فهرست كتاب خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام

صحيفه



صحيفه

﴿تمت﴾

﴿ هذا ﴾

خلاصة الكلام

في بيان أمراء البلد الحرام من

زمن النبي عليه الصلاة والسلام الى وقتنا

هذا بالتمام تأليف شيخ الاسلام ملاذ العلماء

الاعلام امام الحرمين وزين الزمان

المرحوم بكرم الله المنان مولانا

السيد احمد بن زيني دحلان

تغمده الله بالرحمة

والرضوان

آمين

م

قد اشتمل هذا الكتاب على ما يقضي بالعجب العجاب من الاسلوب العجيب والاستطراد الغريب فمن ذلك غزوات الشريف غالب مع الوهابيه والرد عليهم بما هو أمضى من السيوف الاشرفيه وقصة دخول القرامطه مكة المشرفة وذكر بعض أحوال السلاطين ومن تولى من الولاة ولاية الحجاز الامين وغير ذلك من اللطائف الادبيه والانساب الهاشميه وليس الخبر كالعيان وستقر به بعد التأمل العينان

خذ ما نظرت ودع شيأ سمعت به * في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

﴿ ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش التاريخ المسمى بالاعلام ﴾
(باعلام بيت الله الحرام وهو تاريخ مكة المشرفه حرسها الله)

﴿ الطبعة الاولى ﴾
(بالمطبعة الخيريه المنشأة بحوش عطى بجماليه)
(مصر المحميه سنة ١٣٠٥)
﴿ هجريه ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿أما بعد﴾ فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المرتجي من ربه الغفران أحمد بن زيني دحلان غفر الله له ولوالديه ومشايخه ومحبيه والمسلمين أجمعين قد سألني بعض من لا تسعني مخالفته أن ألخص في كراريس من ولي امارة مكة من زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا ليسهل مراجعة ذلك عند الاحتياج وان كان ذلك مذكورا في التواريخ الا أنه منتشر في ضمن كثير من الوقائع والاخبار لا يهتدي اليه من أراده الا بمشقة فجمعت هذه الكراريس ملخصا لما فيها من التواريخ المعتمدة عند أهل العرفان مقتصرا على ما لا بد منه في البيان ﴿وسميته خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام﴾ واعلم أن علم التاريخ علم يعرف به أحوال الماضين وموضوعه أخبار السابقين وثمرته اعطاء كل ذي حق حقه واسترجاع النفوس وتثبيتها واستكثارها من الاعمال الصالحة قال تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قال حسان بن يزيد لم نستعن على دفع كذب الكذابين بمثل التاريخ ويحكى أن يهوديا أظهر كتابا ذكر فيه أنه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة جمع من الصحابة منهم علي ومعاوية وسعد بن معاذ رضي الله عنهم فعرضوا ذلك على الحافظ أبي بكر الخطيب فتأمله وقال هذا مزور فقيل له من أين علمت ذلك قال فيه شهادة معاوية وهو أسلم يوم الفتح وكان الفتح في السنة الثامنة من الهجرة وكان فتح خيبر في السنة السابعة وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات سعد يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين فأي منقبة أشرف من هذا قال الصفدي التاريخ للزمان مرآة وتراجم العلماء للمشاركة والمشاهدة مرقاة وأخبار الماضين لمن عاقره الهموم ملهاه وأنشد

لولا الاحاديث أبقتها أوائلنا • من الندى والردى لم يعرف السمر

يقال

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي جعل المسجد الحرام حرما آمنا ومثابة للناس وأمر بتطهير الكعبة البيت الحرام والعاكفين وأزال عنها الخوف والباس وقيض لعمارة حرمه الامين أعظم الخلفاء والسلاطين وأجلسهم على سرير السعادة أكرم جلاس نحمده على حصول المراد ونشكره على الكرامة والاسعاد بهذا الحرم الشريف الذي سواء العاكف فيه والباد ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له البر السلام ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المنزل عليه قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام القائل من بنى مسجدا لله ولو كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتا في الجنة دار السلام صلى الله عليه وعلى آله الكرام وصحبه العظام نجوم الهدى ومصابيح الظلام ما طاف بالبيت العتيق طائف واعتكف بالمسجد الحرام عاكف ووقف بعرفات والمشعر الحرام واقف ﴿وبعد﴾ فلما وفقني الله تعالى لخدمة العلم الشريف وجعلني

جيران بيته المعظم المنيف تشوقت نفسي الى الاطلاع على علم الآثار وتشوقت الى فن التاريخ وعلم الاخبار لاشتماله على حوادث الزمان وما أبقاه الدهر من أخبار وقائع الدوران وأحوال السلف وما أبقوا من الآثار والاحداث بعد ما صاروا الى الاجداث فان في ذلك عبرة لمن اعتبر وايقاظا بحال من مضى وغبر واعلاما بان ساكن الدنيا على جناح سفر وفكهة للفضلاء وافادة لمن يأتي بعده من البشر فان من أرخ فقد حاسب على عمره ومن كتب وقائع أيامه فقد كتب كتابا من بعده حوادث دهره ومن قيد ما شاهد فقد أشهد أحوال أهل عصره من لم يكن في عصره ومن كتب التاريخ فقد أهدى الى من بعده أخبارا وبوأ أسماعهم وأبصارهم (٣) ديارا ما كانت لهم ديارا وأعلم أهل الآفاق بلادا ما كانت لهم مستقرا ولا دارا

فاتني أن أرى الديار بعيني
فلعلي أرى الديار بسمعي

وقد أفادنا الامم الماضون باخبارهم وأطلعونا على ما دثر وبقي من آثارهم فأبصرنا ما لم نشاهده بابصارهم وأحطنا بما لم نحط به خبرا باخبارهم فرحمهم الله تعالى أجمعين وبوأهم جنات عدن فيها خالدين وقال

لقد غرسوا حتى أكلنا وانا
لنغرس حتى يأكل الناس بعدنا

فأردنا افادة من بعدنا ببعض ما رأينا وشاهدنا واعلامهم ببعض ما شاهدنا وعهدنا استدعاء للدعاء منهم والاسترحام وطلبا للمثوبة من الله البر السلام وقد قلت في هذا المقام

لم يبق منا غير آثارنا
وتمحي من بعد اخلاق
وكلنا مرجعنا للفنا
وانما الله هو الباقي

وقال من أرخ فقد حاسب الايام على عمره ومن كتب حوادث الزمان فقد كتب الى من بعده أحاديث دهره ومن قيد ما شهده فقد أشهد عصره من لم يكن من أهل عصره وقد قيل

اذا علم الانسان أخبار من مضى * توهمته قد عاش حينا من الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره * اذا كان قد أبقى الجميل من الذكر

وقال آخر

طالع تواريخ من في الدهر قد وجدوا * تجد هموما تسلي عنك ما تجد
تجد أكابرهم قد جرعوا غصصا * من الرزايا بهم كم فتتت كبد

قالوا ومن حفظ التاريخ زاد عقله ومن نظر في وقائع الزمان هانت مصيبته قال ابن عباس رضي الله عنهما ذكر الله التاريخ في كتابه واستنبطه بعضهم من قوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين والحاصل أن القرآن فيه الاعلام بذكر الامم الماضية والقرون الخالية وفيه الاحياء لذكرهم ومآثرهم فحصل بذلك التثبيت له صلى الله عليه وسلم ولامته والتنويه بعلو قدره وشرف أمته وهذا أوان الشروع في المقصود فنقول أول أمير تولى امارة مكة بعد فتح النبي صلى الله عليه وسلم اياها في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة

## ﴿عتاب بن أسيد رضي الله عنه﴾

وهو بتشديد التاء وبفتح همزة أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أسلم عتاب رضي الله عنه يوم الفتح فولاه النبي صلى الله عليه وسلم مكة عند مخرجه الى حنين في العشر الاول من شوال سنة ثمان من الهجرة وكان عمره احدى وعشرين سنة وجعل معه معاذ بن جبل الانصاري وهبيرة بن شبل رضي الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه في الدين قيل ان أول من صلى بمكة جماعة بعد الفتح هبيرة بن شبل رضي الله عنه فكان معاذ وهبيرة رضي الله عنهما يتناوبان الصلاة بالناس بمكة وحج عتاب رضي الله عنه بالناس سنة ثمان ولم يزل واليا على أهل مكة الى وفاة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت وفاته ووفاة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في يوم واحد وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وقيل ان عتابا توفي يوم ورود خبر وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لاهل مكة وقال صلى الله عليه وسلم لعتاب حين بعثه واليا على أهل مكة هل تدري الى من أبعثك أبعثك الى أهل الله فاستوص بهم خيرا يقولها ثلاثا وولي امارة مكة في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه (المحرز بن حارثة بن سعد بن عبد العزى ثم قنفذ بن عمير بن جدعان التيمي ثم نافع بن الحارث الخزاعي) وخرج نافع هذا مرة للقاء سيدنا عمر رضي الله

﴿تنبيه﴾ لا يخفى على ضمائر أولي البصائر وخواطر أهل الفضل الباهر ان المسجد الحرام الذي هو حرم أمن للانام زاده الله شرفا وتعظيما ومنحه عزا وعظمة واجلالا وتكريما أعظم مساجد الدنيا وأشرف مكان خصه الله تعالى بالشرف والعليا يجب تعظيمه وتكريمه على كافة الانام سيما سلاطين الاسلام الذين هم ظل الله في العالم وخلائف الله في الارض على كافة بني آدم وقد بنى هذا المسجد ووسعه عدة من الخلفاء أمراء المؤمنين وعمقه ورممه جملة من أكابر السلاطين وسنشرحه ان شاء الله تعالى وكان آخر ما شاهدنا من آخر أيام الصبا الى الكهولة ما عمره المهدي العباسي وزيادة دار الندوة للمعتضد العباسي وزيادة دار ابراهيم للمقتدر العباسي ثم مالت الاروقة الثلاثة من الجانب الشرقي من المسجد الحرام سنة تسعمائة وخمسة وتسعين وفارق

السطح المتصل برباط المرحوم السلطان قايتباي والمدرسة الافضلية لصاحب اليمن التي صارت الآن من وقف الخواجا ابن عباد الله وصاروا يرممون ذلك من كل جانب من السلطنة الشريفة في أيام السلطان الاعظم الاكرم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان الى أن مال هذا الجانب الشرقي ميلا عظيما ظاهرا محسوسا بحيث كان يخشى سقوطه ثم علق وأسند بالاخشاب في أيام السلطان الاعظم والخاقان الاكرم ملك ملوك العصر والزمان الحليم السليم الكثير الاحسان السلطان سليم خان ابن سليمان خان أنزل الله عليه شآبيب الرحمة والرضوان فعرض ذلك عليه فبرز أمره الشريف ببناء جميع المسجد من جوانبه الاربعة على أحسن وضع وأجمل صورة (٤) فأمر أن يجعل مكان السطح قبب محكمة راسخة الاساس لان خشب السقف يبلى بتقادم الزمان وتأكله الارضة والقبب أمكن وأزين في سنة تسعمائة وسبع وتسعين فلما وصل اليه الحكم الشريف شرع فيه لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثمانية وتسعين على وجه جميل بغاية الاحكام والاتقان وأسس على تقوى من الله ورضوان الى أن نقل من سرير سلطنة الدنيا الى ملك لا يبلى وعز لا يفنى وسلطان لا يزول ونعيم لا ينفد ولا يحول في جنة عالية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم كمل اتمام عمارة المسجد الحرام في أيام دولة السلطان الاعظم الهمام أجل عظماء ملوك الاسلام سلطان سلاطين الارض مالك بساط البسيطة بالعرض القائم بوظائف النفل والسنة والفرض خداوندكار العالم وسلطانه وأمير المؤمنين الذي جلس على كرسي الخلافة من خفض قدر كسرى وايوانه الذي غذي بلبان العدل والاحسان ونشأ على طاعة الله وعبادته منذ كان والى الآن وأحب العلماء والصالحين وأمدهم بالخيرات الحسان الى آن وعجز عن القيام بحق شكره لسان كل ملسان مجدد معالم المسجد الحرام هو وأبوه وجده ومشيد مدارس العلوم الدينية وقد شملها سعده وجده ناشر ألوية الامن والامان في جميع الممالك والبلاد ظل الله الممدود على كافة العباد السلطان الاعظم والليث الغشمشم والبحر الغطمطم السلطان مراد جعل الله السلطنة والخلافة كلمة باقية فيه وفي عقبه الى يوم التناد وأزال بنور عدله ظلم الظلم والعناد وشن بسيف قهره شمل أهل الكفر والالحاد

عنه الى عسفان حين قدم للحج واستخلف على مكة عبد الرحمن بن أبزى مولى بني خزاعة فأنكر عليه سيدنا عمر رضي الله عنه كونه جعل مولى من الموالي واليا على أهل مكة فلما رأى عتبه عليه قال يا أمير المؤمنين انه أقرأهم وأعلمهم بالكتاب والسنة فهان ما بعمر رضي الله عنه وقال ان الله ليرفع أقواما بهذا الكتاب ويضع آخرين أي لعدم علمهم به وممن ولي مكة لعمر رضي الله عنه (خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة وأحمد بن خالد وطارق بن المرتفع بن الحارث بن عبد مناف والحارث بن نوفل القرشي) وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يحج بالناس في زمن خلافته الا السنة الاولى من خلافته فانه أمر عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس وكانت وفاة سيدنا عمر رضي الله عنه لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وممن ولي مكة في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه (علي بن عدي بن ربيعة وخالد بن العاص والحارث بن نوفل المتقدم ذكرهما ثم عبد الله بن خالد بن أسيد) وهو أخو عتاب بن أسيد (ثم عبد الله بن عامر الحضرمي ونافع بن الحارث الخزاعي) المتقدم ذكره وفي أول سنة من خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه أمر عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس ثم صار سيدنا عثمان يحج بنفسه الى أن حصر سنة خمس وثلاثين فأمر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فحج بالناس ولما استشهد سيدنا عثمان رضي الله عنه كان أمير مكة (خالد بن العاص) المتقدم ذكره وولي مكة في خلافة سيدنا علي رضي الله عنه (أبو قتادة الانصاري وقثم بن العباس) وقيل وليها أيضا أخوه (معبد بن العباس رضي الله عنهم) ولما استشهد سيدنا علي رضي الله عنه كان أمير مكة قثم بن العباس ولم يتفق لسيدنا علي رضي الله عنه أن يحج بنفسه في زمن خلافته لاشتغاله بالحروب فحج بالناس سنة سبع وثلاثين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وحج بهم سنة ثمان وثلاثين قثم بن العباس وفي سنة تسع وثلاثين حج بهم شيبة بن عثمان الحجبي وسبب ذلك انه قدم مكة يزيد بن شجرة الرهاوي عاملا لمعاوية رضي الله عنه على مكة وأخذ البيعة له بمكة ونازعه عامل علي رضي الله عنه ثم اتفقا على أن يعتزلا الحج بالناس ويحج بهم شيبة بن عثمان واستشهد سيدنا علي رضي الله عنه سنة أربعين من الهجرة وولي مكة في خلافة سيدنا معاوية رضي الله عنه جماعة منهم أخوه (عتبة بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابنه عمرو بن سعيد) المعروف بالاشدق (وخالد بن العاص المخزومي وعبد الله بن خالد بن أسيد) وكانت وفاة معاوية رضي الله عنه سنة ستين من الهجرة وولي مكة في زمن ابنه يزيد جماعة منهم (عمرو بن سعيد والوليد بن عتبة ابن أبي سفيان وعثمان بن محمد بن أبي سفيان والحارث بن خالد المخزومي وعبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب ويحيى بن حكيم) ثم بايع أهل مكة (عبد الله بن الزبير) رضي الله عنهما سنة اثنين وستين

وهدم بمعاول بأسه وسطوته الكنائس والبيع وعمر بصبيب معدلته وصيب عدله ورأفته المساجد والجمع كما قال الله القوى القاهر فى محكم كتابه العظيم الباهر انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وفى ذلك أقول

ان سلطاننا مراد الظل الله فى الارض باهر السلطان • ملك صار من مضى من ملوك الارض وجاء عين المعانى
ملك هو فى الحقيقة عندى • ملك سبغ صبغة الانسان • ملك عادل فكل ضعيف • وقوى فى حكمه سيان
سيفه والمنون طرفا رهان • على قتل العدو يبتدران • كمل المسجد الحرام بناء • فاق فى العالمين كل المبانى
هكذا هكذا والا فلا لا • انما الملك فى بنى عثمان



ولما كان هذا البنيان العظيم الاركان أثرا باقيا على صفحات الزمان دالا على عظم شأن من أمر ببنائه من أعيان الانسان كما أشار اليه القائل فى سالف الازمان

ان البناء وان تعاظم أمره • أضحى يدل على عظيم البانى

جمعت فى هذه الاوراق من أخبار ذلك مارق وراق تسير به الركبان الى سائر الآفاق وتنير فى صفحات الدهر كالشمس فى الاشراق ويحفظ فى خزائن الملوك والسلاطين كانفس الاعلاق فكان كتابا حسنا فى بابه ممنوعا عن تعلق بأسبابه أنيسا تجمل مؤانسته وجليسا لا تمل مجالسته جمع بين لطائف تاريخيه وأحكام شرعيه ومواعظ نافعه وفوائد بارعه ﴿وسميته الاعلام بأعلام بيت الله الحرام﴾ وخدمت به خزائن كتب هذا السلطان الاعظم الشاب الاعدل الاكرم المطيع لله ولاوامر خير الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم أحد السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة تحت ظله يوم لا ظل الا ظله ويشملهم بفيض فضله العظيم فلا فضل الا فضله خلد الله تعالى على الاسلام والمسلمين ظلال سلطنته القوى المتين لتأييد هذا الدين المبين وأنام الانام فى ظل أمانه وعدله المكين وأبقاه على سرير السلطنة العادلة دهرا طويلا وثبته على نهج الكتاب والسنة ولن تجد لسنة الله تحويلا والله أسأل أن يكسو هذا المؤلف من حسن القبول جلبابا لا يخلقه كر الليالى والايام ويجعلنا من المقبولين فى بابه العالى الفائزين بالنظر الى وجهه الكريم فى دار السلام وقد رأينا أن نقسم هذا الكتاب المستطاب الى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة والابواب الى فصول بحسب الاحتياج والى الله المرجع والمآب ﴿الباب الاول﴾ فى وضع مكة المشرفة

من الهجرة ومات يزيد سنة أربع وستين واستمر بها عبد الله بن الزبير الى أن استشهد سنة ثلاث وسبعين من الهجرة فولى مكة (الحجاج) من قبل عبد الملك ثم بعد الحجاج وليها جماعة منهم (مسلمة بن عبد الملك بن مروان ثم الحارث بن خالد المخزومى) وفد على عبد الملك فلم يصله فرجع من عنده وأنشأ أبياتا فبلغت عبد الملك فارسل فى طلبه فلما وقف بين يديه سأله عما عليه من الدين فقال ثلاثون ألفا فقال له عبد الملك قضاء دينك أحب اليك أم ولاية مكة فقال بل ولاية مكة فولاه اياها قيل ان ذلك كان قبل ولاية مسلمة بن عبد الملك ثم عزل الحارث وولى مسلمة ثم عزل مسلمة وولى (خالد بن عبد الله القسرى (ثم نافع بن علقمة الكنانى ثم يحيى بن الحكم بن أبى العاص) وتوفى عبد الملك سنة ست وثمانين فولى الخلافة ابنه الوليد فولى مكة (عمر بن عبد العزيز بن مروان) وعزله سنة تسع وثمانين وقيل سنة احدى وتسعين وولى (خالد بن عبد الله القسرى) المتقدم ذكره واستمر الى أن توفى الوليد سنة ست وتسعين فولى الخلافة سليمان بن عبد الملك وولى مكة (خالد بن عبد الله القسرى) ثم عزله وولى (طلحة ابن داود) ثم عزله بعد ستة أشهر وولى (عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد) وتوفى سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين وولى الخلافة عمر بن عبد العزيز فولى مكة (عبد العزيز) المذكور ثم (محمد ابن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم عروة بن عياض ثم عبد الله ابن قيس بن مخرمة ثم عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن سراقة العدوى) وذكر ابن جرير أن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد المذكور أولا هو الذى ولى مكة لعمر بن عبد العزيز مدة خلافته جميعها وجمع بعض الناس فقال لعل المذكورين من الولاة تولوا امارة مكة لعمر بن عبد العزيز زمن ولايته عن الوليد فى المدة التى كانت ولايته بالمدينة فان مكة كانت فى ولايته أيضا وتوفى عمر بن عبد العزيز سنة احدى ومائة فولى الخلافة بعده يزيد بن عبد الملك فولى مكة (عبد العزيز) السابق ذكره (ثم عبد الرحمن بن الضحاك القرشى ثم عبد الواحد بن عبد الله النصرى) وتوفى يزيد بن عبد الملك سنة مائة وخمسة وقيل مائة وسبعة فولى الخلافة هشام بن عبد الملك فولى مكة فى زمنه جماعة منهم (عبد الواحد النصرى) المتقدم ذكره ثم (ابراهيم بن هشام المخزومى) خال هشام بن عبد الملك (ثم أخوه محمد بن هشام) وقيل ممن ولى مكة زمن هشام بن عبد الملك (نافع بن علقمة الكنانى) السابق ذكره فى خلافة عبد الملك وتوفى هشام بن عبد الملك سنة مائة وخمسة وعشرين فولى الخلافة الوليد ابن يزيد بن عبد الملك فولى مكة (يوسف بن محمد الثقفى) وقتل الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين ومائة وولى الخلافة يزيد بن الوليد وولى مكة (عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز) وكانت مدة خلافة يزيد بن الوليد خمسة أشهر ثم مات فولى الخلافة أخوه ابراهيم بن الوليد ثم بعد أربعين ليلة

شرفها الله تعالى وحكم بيعها وشرائها وحكم المجاورة بها ﴿الباب الثانى﴾ فى بناء الكعبة المعظمة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما ﴿الباب الثالث﴾ فى بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام فى الجاهلية وصدر الاسلام ﴿الباب الرابع﴾ فى ذكر ما زاد العباسيون فى المسجد الحرام ﴿الباب الخامس﴾ فى ذكر الزيادتين اللتين زيدتا فى المسجد الحرام بعد التربيع الذى أمر به المهدى العباسى ﴿الباب السادس﴾ فى ذكر ما عمره ملوك الجراكسة فى المسجد الحرام ﴿الباب السابع﴾ فى ذكر ملوك آل عثمان خلد الله تعالى سلطنتهم الى انقضاء الدوران وذكر نبذة من أخبار شاه اسمعيل القزلباش ﴿الباب الثامن﴾ فى دولة السلطان المحفوف بالرحمة والرضوان السلطان الاعظم سليمان خان ﴿الباب التاسع﴾ فى ذكر دولة السلطان الاعظم الخاقانى حضرة سليم خان الثانى صاحب التكايا والمبانى ﴿الباب العاشر﴾ فى ذكر سلطان الزمان السلطان مراد الذى بأجله تأليف هذا الكتاب ﴿الخاتمة﴾ فى ذكر المواضع والامكنة المشرفة التى يستجاب فيها الدعاء ﴿المقدمة﴾ فى ذكر سندنا فيما ننقله فى كتابنا هذا من أخبار البلد الحرام الى من ننقل عنه الوثوق والاعتماد ﴿اعلم﴾ أن من بركة العلم نسبته الى قائله وما لم يكن هنالك سند بين الناقل الراوى ومن ينقل عنه فلا اعتماد على هذا النقل ولا بد أن يكون رجال السند موثوقا بهم والا فلا اعتبار لتلك الرواية وأقدم مؤرخى مكة هو الامام أبو الوليد محمد بن عبد الكريم الازرقى ثم الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق بن العباس الفاكهى المكى ثم قاضى القضاة السيد تقى الدين محمد بن أحمد بن على الحسينى الفاسى ثم المكى ثم الحافظ نجم الدين عمر بن محمد بن فهد وهذا الاخير ممن أدركناه ولنا عنه رواية فأما الاولون فنذكر سندنا اليهم ليعتمد على نقلنا عنهم أما أبو الوليد الازرقى فرويناه مؤلفاته عن جماعة أجلاء أخيار وعلماء كبار منهم والدى المرحوم مولانا علاء الدين أحمد بن محمد بن قاضى خان بن بهاء الدين بن يعقوب الحنفى القادرى الخرقانى النهروانى ثم المكى رحمه الله تعالى وليس جدنا قاضى خان صاحب الفتاوى المشهورة من علماء مذهبنا بل هذا غير ذلك من علماء نهروان قال أخبرنا بها العز عبد العزيز بن فهد عن والده الحافظ نجم الدين عمر بن فهد عن شيخه قاضى القضاة السيد تقى الدين محمد بن أحمد بن على الفاسى المؤرخ وقال أخبرنا عبد الله بن عمر الصوفى عن أبى زكريا يحيى بن يوسف القرشى اجازة ان أبا الحسن على بن هبة الله الخطيب عبد الله بن

---

خلع وولى الخلافة مروان بن محمد بن مروان فأثبت ولاية (عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز) على مكة ثم عزله وولى على مكة (عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك) ثم تغلب على مكة أبو حمزة الخارجى وأخرج منها عبد الواحد وقصة هذا الخارجى مذكورة فى التواريخ ثم جهز مروان بن محمد جيشا لاخراج الخارجى من مكة والمدينة وأمر على الجيش عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى فأخرج جيش أبى حمزة الخارجى وقتله وولى مكة ووليها أيضا لمروان بن محمد (الوليد بن عروة السعدى) ويقال أيضا وليها لمروان (محمد بن عبد الملك بن مروان) وانقضت دولة مروان بن محمد سنة مائة واثنين وثلاثين وقتل

﴿ابتداء دولة بنى العباس﴾

وقام ملك بنى العباس فكان أول خلفائهم السفاح أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فولى مكة فى أيامه عمه (داود بن على بن عبد الله بن عباس) رضى الله عنهما ثم وليها أيضا فى زمن السفاح (عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) وتوفى السفاح سنة مائة وستة وثلاثين وولى الخلافة أخوه المنصور فولى مكة فى خلافته جماعة أولهم (العباس بن عبد الله بن معبد) السابق ذكره (ثم زياد بن عبد الله الحارثى) السابق ذكره أيضا ثم عزله وولى مكة (الهيثم بن معاوية العتكى الخراسانى) واستمر الى سنة ثلاث وأربعين فعزله وولى مكة (السرى بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب) واستمر الى سنة خمسة وأربعين ومائة

﴿ظهور النفس الزكية ومبايعة الائمة له﴾

وفيها ظهر بالمدينة النفس الزكية وهو محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب فبايعته الائمة من أهل عصره كمالك وأبى حنيفة رحمهما الله تعالى ومن فى طبقتهما فوجه الى مكة من قبله (محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب) ومعه القاسم بن اسحق والياعلى اليمن يعنى القاسم بن اسحق فخرج عليهم السرى أمير مكة من قبل المنصور فالتقيا بشعب اذاخر فانهزم السرى ودخل محمد بن الحسن مكة وأقام بها يسيرا فأتاه كتاب من محمد بن عبد الله يأمره بالرجوع الى المدينة بمن معه ويخبره بمسير جيش المنصور اليه لمحاربته وعليهم أمير عيسى بن موسى بن على بن عبد الله بن عباس فسار من مكة هو والقاسم بن اسحق فبلغه وهو بنواحى قديد قتل محمد بن عبد الله النفس الزكية والقصة مذكورة فى التواريخ وقيل ان الذى ولاه محمد بن عبد الله على مكة الحسن بن معاوية والد محمد بن الحسن والله أعلم بالصواب ثم عاد السرى الى ولاية مكة من قبل المنصور واستمر الى سنة مائة وستة وأربعين فعزله المنصور وولى

مكة

ظافر الازدي أنبأه عن أبي طاهر أحمد بن محمد الحافظ قال أنبأنا بها المبارك بن عبد الجبار المعروف بالطيوري قال أنبأنا بها أبو طالب محمد بن علي بن الفتح العشاري قال أنبأنا بها أبو بكر بن أحمد بن محمد بن أبي موسى الهاشمي قال أنبأنا بها أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي قال أنبأنا بها أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الوليد الازرقي رحمه الله وأما أبو عبد الله محمد بن اسحق الفاكهي فاني أروي مؤلفه عن الحافظ المسند المعمر خطيب بلد الله الحرام أحمد محب الدين ابن أبي القاسم محمد العقيلي النويري المالكي تغمده الله برحمته قال أنبأني به المسند المعمر أبو العباس أحمد بن محمد الدمشقي الشهير بالحفار اجازة قال أنبأتني به المسندة المعمرة زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم اجازة قال أنبأني به الحافظ المسند بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله سبط الحميري اجازة قال أنبأنا به الحافظ محمد بن أحمد بن محمد السلفي اجازة قال أنبأنا به الحافظ محمد بن أحمد التميمي كتابة قال أنبأنا به الحافظ أبو علي الحسيني ابن محمد الغساني أحد أركان الحديث بقرطبة قال أنبأنا به الحافظ الحكم بن محمد الجزامي عن أبي القاسم بن أبي غالب الهمداني عن أبي الحسن الانصاري عن مؤلفه رحمه الله تعالى

﴿الباب الاول في ذكر وضع مكة المشرفة شرفها الله تعالى وحكم بيع دورها واجارتها وحكم المجاورة بها﴾

(اعلم) ان بلد الله الحرام مكة المشرفة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما بلدة كبيرة مستطيلة ذات شعاب واسعة ولها مبدأ ونهايتان فمبدؤها المعلاة وهي المقبرة الشريفة ومنتهاها من جانب جدة موضع يقال له الشبيكة ومن جانب اليمن قرب مولد سيدنا حمزة رضي الله عنه اصق مجرى العين ينزل اليه من درج يقال له بازان وعرضها من وجه جبل يقال له الآن جبل جزل الى أكثر من نصف جبل أبي قبيس ويقال لهذين الجبلين الاخشبان وسماهما الازرقي جبل أبي قبيس والجبل الاحمر فانه قال أخشبا مكة أبو قبيس وهو الجبل المشرف على الصفا والآخر الذي يقال له الاحمر وكان يسمى في الجاهلية الاعرف وهو الجبل المشرف على قيقعان وعلى دور عبد الله بن الزبير انتهى فيكون قيقعان مما يشرف على الجبل المقابل لابي قبيس وقال ياقوت في معجم البلدان قيقعان هو نفس الجبل وانما سمي الآن جبل جزل بكسر الجيم وفتح الزاي وتشديد اللام لان طائفة من الجيوش يقيمون بهذا الجبل يسمون بهذا الاسم يلعبون فيه بالطبل (وأما موضع الكعبة المعظمة) فهو وسط

---

مكة (عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس) عم المنصور والسفاح واستمر الى سنة مائة وتسع وأربعين وكان عبد الصمد هذا من عجائب المخلوقات منها أنه مات بأسنانه التي ولد بها وكانت قطعة واحدة من أسفل وله اتفاقات غريبة ثم ولي بعد عبد الصمد (محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما واستمر الى سنة مائة وثمانية وخمسين وفيها توفي المنصور وولي الخلافة ابنه محمد المهدي فولى مكة (ابراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس) الى سنة مائة واحدى وستين فولى (جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس) الى سنة ست وستين فولى (عبيد الله بن قثم بن العباس بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب) وذكر الفاكهي ان محمد ابن ابراهيم الامام السابق ذكره ممن ولي مكة أيضا للمهدي وتوفي المهدي سنة مائة وثمانية وستين وولي الخلافة ابنه موسى الهادي وفي أيامه تغلب على مكة (الحسين بن علي بن الحسن المثنى بن الحسن السبط) وذلك في سنة مائة وتسعة وستين فانه ظهر بالمدينة وخرج بمن بايعه الى مكة فدخل مكة وبلغ الهادي خبره فكتب الى محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس يأمره بمحاربته ومدافعته وكان محمد بن سليمان قد توجه الى الحج في هذه السنة في عدة من قومه وعسكر بذي طوى وانضم اليه من حج من جماعتهم وقوادهم فلاقاهم الحسين فاقتتلا يوم التروية فقتل الحسين وهو محرم وقتل من أصحابه نحو مائة رجل بفخ وهو موضع معروف بقرب الزاهر وحمل رأس الحسين الى الهادي فلما رآه تعب ولم يعجبه ذلك ومنع الاثنين برأسه من الجائزة وممن قتل مع الحسين من أهل بيته سليمان بن عبد الله بن حسن وعبيد الله بن اسحق بن ابراهيم بن حسن وروى أبو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبيين باسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم قال انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فخ فصلى فيه بأصحابه صلاة الجنائز ثم قال يقتل ههنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المسلمين ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة تسبق أرواحهم الى الجنة أجسادهم انتهى وكان الحسين هذا شهيد فخ كريما شجاعا مفضالا وفد مرة على المهدي فأعطاه أربعين ألف دينار ففرقها ببغداد والكوفة وكان لا يملك ما يلبسه الا فروة ليس تحتها قميص كذا قال الفاسي وتوفي موسى الهادي سنة سبعين ومائة فولي الخلافة أخوه هرون الرشيد فولى مكة في زمنه جماعة لا يعرف ترتيبهم في الولاية منهم (أحمد بن اسمعيل بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وحماد البربري وسليمان بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس والعباس بن موسى بن عيسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس والعباس بن محمد بن ابراهيم الامام) السابق ذكره (وعبد الله ابن قثم بن عباس) السابق ذكره (وعلي بن موسى بن عيسى أخو العباس بن موسى والفضل بن

المسجد الحرام بين هذين الجبلين في وسط مكة ولها شعاب كثيرة ومزورة اذا أشرف الانسان من جبل أبي قبيس لا يرى جميع مكة بل يرى أكثرها وهي تسع خلقا كثيرا خصوصا في أيام الحج فانه يرد اليها قوافل عظيمة من مصر والشام وحلب وبغداد والبصرة والحسا ونجد واليمن ومن بحر الهند والحبشة والشحر وحضرموت وعربان جزيرة العرب طوائف لا يحصيهم الا الله تعالى فتسعهم جميعا وأفنيتها وجبالها ووهادها وهي تزيد عمارتها وتنقص بحسب الازمان وبحسب الولاية والامن والخوف والغلاء والرخاء وهي الآن بحمد الله تعالى في دولة السلطان الاعظم الفياض الاكرم معمر هذا العالم بالبذل والفضل والكرم (السلطان مراد خان) خلد الله ملكه وجعل بساط البسيطة ملكه في أعلا (٨) درجات العمارة والامن والرخا بحسب ما رأينا من أول العمر الى الآن هذه العمارة ولا قريبا منها وكنت اشاهد قبل الآن في زمن الصبا خلو الحرم الشريف وخلو المطاف من الطائفين حتى أني أدركت الطواف وحدي من غير ان يكون معي أحد مرارا كثيرة أترصده طلبا لكثرة ثوابه بان يكون الشخص الواحد يقوم بتلك العبادة وحده في جميع الدنيا وهذا لا يكون الا بالنسبة الى الانسان فقط وأما الملائكة فلا يخلو عنهم المطاف الشريف بل يمكن ان لا يخلو عن أولياء الله تعالى ممن لا تظهر صورته ويطوف خافيا عن أعين الناس ولكن لما كان ذلك خلاف الظاهر صار يثابر على أداء هذه العبادة بالانفراد ظاهرا كثير من الصلحاء لانه ليس معنا عبادة يمكن ان ينفرد بها رجل واحد في جميع الدنيا ولا يشاركه غيره في تلك العبادة بغيرها الا الطواف فانه يمكن ان ينفرد به شخص واحد بحسب الظاهر والله جاء تعالى أعلم بالسرائر • حتى حكى لي والدي رحمه الله ان وليا من أولياء الله تعالى رصد الطواف الشريف أربعين عاما ليلا ونهارا ليفوز بالطواف وحده فرأى بعد هذه المدة خلو الطواف الشريف فتقدم ليشرع واذا بحية تشاركه في ذلك الطواف فقال لها من أنت من خلق الله تعالى فقالت أنا أرصد ما رصدت قبلك بمائة عام فقال لها حيث كنت انت من غير البشر فاني فزت بالانفراد بهذه العبادة وأتم طوافه • وحكى لي شيخ معمر من أهل مكة انه شهد الظباء تنزل من جبل أبي قبيس الى الصفا وتدخل من باب الصفا الى المسجد ثم تعود لخلو المسجد من الناس وهو صدوق عندي وكنا نرى سوق المسعى وقت الضحى خاليا عن الباعة وكنا نرى القوافل

العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ومحمد بن عبيد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمر بن عثمان ابن عفان) رضي الله عنه (وموسى بن عيسى بن موسى) المتقدم ذكره وفي سنة مائة وثلاثة وسبعين جاءت الحبشة في زمن الحج الى جدة فأوقعوا بمن فيها فخرج الناس هاربين الى مكة فخرج معهم أهل مكة لقتال الحبشة ودفعهم فلما رأت الحبشة ذلك هربوا الى المراكب فجهزوا اليهم صاحب مكة غزاة في البحر وقيل ان ذلك كان سنة ثلاث وثمانين ومائة والله أعلم وأراد الرشيد أن يوصل ما بين بحر القلزم وبحر الروم ليتهيأ له ان يغزو الروم ببلادهم فقال له يحيى بن خالد البرمكي لو فعلت ذلك دخلت سفاين الروم أرض العرب واختطفوا المسلمين من المسجد الحرام فتركه وتوفي الرشيد سنة احدى وتسعين ومائة وقيل سنة ثلاث وتسعين ومائة وولي الخلافة ابنه محمد الامين فولى مكة في أيامه (داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما فضمت اليه المدينة فولى ابنه سليمان المدينة فبعد مضي مدة كتب اليه أهل المدينة يلتمسون منه الاتيان اليهم ويفضلونها على مكة فرد عليهم أهل مكة بقصيدة مثلها وحكم بينهم رجل من بني عجل ناسكا كان مقيما بجدة والقصة مشهورة لا حاجة لاستيفائها ولما خلع الامين سنة سبع وتسعين ومائة وبويع المأمون أبقى (داود بن عيسى) على ولاية مكة والمدينة ثم فارق مكة متخوفا من الحسين بن الحسن بن علي الاصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه المعروف بالافطس وذلك ان أبا السرايا السري بن منصور الشيباني قام بالعراق يدعو لبيعة أهل البيت وتغلب على كثير من العراق فولى مكة (الحسين بن الحسن) المذكور فلما بلغ داود بن عيسى توجه الحسين الى مكة جمع أصحابه وقال لا استحل القتال بمكة والله لئن دخلوا من هذا الفج لاخرجن من هذا الفج فانحاز في ناحية ثم خرجوا الى العراق وصعد الناس عرفة بلا امام فصلى بهم رجل من عرض الناس بلا خطبة ودفعوا من عرفة وقيل ان الحسين بن الحسن لما بلغ سرف توقف عن دخول مكة خوفا من بني العباس فلما بلغه خلوها منهم وخروج داود بن عيسى دخل في عشرة أنفار من أصحابه فطاف وسعى ومضى الى عرفة فوقف بهم ليلا ثم صلى بالناس الصبح بالمزدلفة وأقام بمنى الى ان قضى الحج ثم عاد الى مكة فعسف وظلم واستمر الى ان بلغه قتل أبي السرايا سنة مائتين فخاف تغير الناس عليه فعمد الى محمد بن جعفر الصادق الملقب بالديباج لجماله وسأله المبايعة له بالخلافة فكره محمد بن جعفر ذلك فاستمال ابنه علي بن محمد المذكور فلم يزل به حتى بايعوه بالخلافة وجمعوا الناس على مبايعته كرها ولقبوه أمير المؤمنين وذلك في ربيع الاول سنة مائتين وبقي شهورا ليس له من الامر شئ والامر للافطس وعلي بن محمد وهما على أقبح سيرة ثم

تأتي بالحنطة من بجيلة فلا يجد أهلها من يشتري منهم جميع ما جلبوه وكانوا يبيعون ما جاؤا به بالاجل اضطرارا ليعودوا بعد ذلك ويأخذوا أثمان ما باعوه وكانت الاسعار رخيصة جدا لقلة الناس وعزة الدراهم وأما الآن فالناس كثيرون والرزق واسع والخير كثير والخلق مطمئنون آمنون في ظلال السلطنة الشريفة خائضون في بحر انعامها واحسانها ونعمتها الوريفة أدام الله تعالى سلطنته الزاهرة وأطال عمره وخلد دولته القاهرة وخلافته الباهرة (ومكة شرفها الله تعالى) يحيط بها جبل لا يسلك اليها الخيل والابل والاحمال الا من ثلاث مواضع أحدها من جهة المعلاة والثانية جهة الشبيكة والثالثة المسفلة وأما الجبال المحيطة فيسلك من بعض شعابها الرجال على أقدامهم لا الخيل



والجمال والاحمال وكانت مكة في قديم الزمان مسورة فجهة المعلاة كان بها جدار عريض من طرف جبل عبد الله بن عمر الى الجبل المقابل وكان فيه باب من خشب مصفح بالحديد أهداه ملك الهند الى صاحب مكة وقد أدركنا منها قطعة جدار كان فيه ثقوب للسيل قصير دون القامة وهو من قطعة جدار بني الى جانبه سبيل على مجرى ذيل عين حنين بناه المرحوم مصطفى ناظر العين باسم المرحوم المقدس السلطان سليمان خان سقاه الله ماء الكوثر والسلسبيل في يوم العطش الاكبر قدام الميزان وجعل على السبيل منظرة بها شبابيك من الجهات الاربع يتنزه الناس فيها وذلك باق الى هذا اليوم وهدم ما عداه وكان في جهة الشبيكة أيضا سور ما بين جبلين متقاربين بينهما الطريق السالك الى خارج مكة وكان هذا السور فيه باب بعقدين أدركنا



أحد العقدين يدخل فيه الجمال والاحمال ثم هدم شيأ فشيأ الى ان لم يبق منه شئ الآن ولم يبق منه الا قطع بين جبلين متقاربين فيه المدخل والمخرج وكان سور في جهة المسفلة في درب اليمن لم ندركه ولم ندرك آثاره وذكر التقي الفاسي رحمه الله نقلا عمن تقدم انه كان بمكة سور من أعلاها دون السور الذي ذكره قريبا من المسجد المعروف بمسجد الراية فانه كان من الجبل الذي الى جهة القرارة ويقال له لعلع الى الجبل المقابل الذي الى جهة سوق الليل قال وفي الجبلين آثار تدل على اتصال السور بهما انتهى ولم يبق الآن شئ من آثار السور الثاني مطلقا ولعل دور مكة كانت تنتهي الى هذا الموضع حيث وضع عليه السور ثم اتصل العمران الى أن احتيج الى سور المعلاة قال الفاكهي رحمه الله تعالى ومن آثار النبي صلى الله عليه وسلم مسجد بأعلى مكة

---

جاء جيش من المأمون وعليه عيسى بن يزيد الجلودي فطلب محمد بن جعفر الديباج الامان بعد قتال عند بئر ميمونة وخلع نفسه فأجلوه ثلاثا فخرج من مكة ودخلها العباسيون ثم سار الديباج الى العراق واعتذر للمأمون فقبله قال الذهبي ان الجلودي خرج بالديباج الى العراق واستخلف على مكة ابنه (محمدا) وقيل استخلف يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي وجاء من اليمن ابراهيم بن موسى الكاظم ودخل مكة عنوة وقتل يزيد بن محمد سنة مائتين واثنتين وقال الفاسي وولي مكة بعد الجلودي (هرون بن المسيب ثم حمدون بن علي بن عيسى بن ماهان) ثم وليها (ابراهيم بن موسى الكاظم) السابق ذكره وذكر الازرقي أن يزيد بن حنظلة كان واليا على مكة خليفة لحمدون وممن ولي مكة للمأمون (عبيد الله بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه) مع المدينة وممن ولي مكة أيضا للمأمون (صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وسليمان بن عبد الله ابن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وابنه محمد بن سليمان والحسن بن سهل) الا أنه لم يباشرها بل عقد له عليها وممن وليها للمأمون أيضا (عبيد الله بن عبد الله بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب) رضي الله عنه واستمر الى أن توفي المأمون سنة مائتين وثمانية عشر فولي الخلافة أخوه المعتصم بن الرشيد فولى مكة (صالح بن العباس) المتقدم ذكره وبقي الى خلافة المتوكل وولي مكة للمعتصم أيضا (اشناس التركي) من كبار قواده وذلك أنه أراد الحج ففوض اليه المعتصم ولاية كل بلد يدخلها فلما دخل مكة أقام (محمد بن داود بن عيسى) نائبا عنه على الحج ودعي لاشناس على المنابر في الحرمين وكل بلاد دخلها حتى رجع الى سر من رأى وتوفي المعتصم سنة مائتين وثمان وعشرين وعلى مكة محمد بن داود وتولى الخلافة ابنه الواثق وتوفي الواثق سنة مائتين واثنين وثلاثين وعلى مكة محمد بن داود السابق ذكره فولي الخلافة أخوه المتوكل بن المعتصم فولى مكة (علي ابن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور) الى سنة مائتين وتسعة وثلاثين فتوفي فوليها (عبد الله بن محمد بن داود ثم عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام ثم محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد ابن ابراهيم الامام) وممن عقد له على ولاية مكة ولم يباشر في خلافة المتوكل (ابنه محمد المنتصر) فأرسل اليها بعض قواده نائبا عنه وممن وليها أيضا في خلافة المتوكل (ايتاخ مولى المعتصم) وكان من كبار قواد المتوكل واستمر في ولايتها الى أن قتل المتوكل سنة مائتين وسبعة وأربعين وولي الخلافة ابنه المنتصر ومات بعد ستة أشهر فولي الخلافة المستعين بن المعتصم فولى مكة في أيامه (عبد الصمد ابن موسى) المتقدم ذكره (ثم جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) رضي الله عنهما وتغلب على مكة في أيامه اسمعيل بن يوسف بن ابراهيم بن موسى الجون بن

يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه عند بئر جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل وكان الناس لا يتجاوزون فى السكنى فى قديم الدهر هذه البئر وما فوق ذلك خال من الناس وفى ذلك يقول عمر بن ربيعة نزلت بمكة من قبائل نوفل * ونزلت خلف البئر أبعد منزل حذرا عليها من مقالة كاشح * ذرب اللسان يقول مالم يفعل قلت المسجد هذا هو مسجد الراية موجود مزار الى الآن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع رايته يوم فتح مكة فيه والبئر موجودة الآن خلف المسجد وقد تجاوز العمران عن حد هذه البئر كثيرا الى صوب المعلاة ﴿وأما حدوث هذه الاسوار﴾ فقد قال التقى الفاسى رحمه الله ما عرفت متى أنشئت هذه الاسوار بمكة ولا من أنشاها ولا من عمرها غير أنه بلغنى أن الشريف أبا عزيز قتادة بن ادريس الحسنى جد ساداتنا أشراف مكة أدام الله عزهم وسعادتهم هو الذى عمرها قال وأظن أن فى دولته عمر السور الذى بأعلى مكة وفى دولته سهلت العقبة التى بنى عليها سور باب الشبيكة وذلك من جهة المظفر صاحب أربل فى سنة ستمائة وسبعة ولعله الذى بنى السور الذى بأعلى مكة والله أعلم قال ورأيت فى بعض التواريخ ما يقتضى أنه كان بمكة سور فى زمن المقتدر العباسى وما عرفت هل هو هذا السور الذى بأعلى مكة وأسفلها أو من أحد الجهتين قال وطول مكة من باب المعلاة والى باب الماجن يعنى درب اليمن بالمسفلة موضع السور الذى كان موجودا فى زمانه طريق المدعى والمسعى ومسيل وادى ابراهيم والسوق الذى يقال له الآن سوق الصغير مع ما فيه من دورات ولفتات ليست على الاستقامة أربعة آلاف ذراع واثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين بذراع اليد وهو ومما ينقص ثمن ذراع عن ذراع الحديد المستعمل الآن يعنى الذراع الشرعى وطول مكة من باب المعلاة الى باب الشبيكة من طريق المدعى ثم يعدل عنه الى سويقة ثم الى الشبيكة أربعة آلاف ذراع ومائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين بذراع اليد أيضا انتهى وقال أيضا ذكر الزبير بن بكار عن ابن سفيان بن أبى وداعة السهمى أن سعد بن عمرو السهمى أول من بنى بيتا بمكة وأنشد فى ذلك شعرا وأول من بوأ بمكة بيته * وسور فيها ساكنا بأثافى وينبغى لمن بنى بمكة بيتا أن لا يرفع بناءه على بناء الكعبة الشريفة فان بعض الصحابة رضى الله عنهم كان يأمر بهدمه قال الازرقى وانما سميت الكعبة كعبة لانه لا يبنى بمكة بناء مرتفع

---

عبد الله بن الحسن المثنى فانه صاحب مكة جعفر بن الفضل وأخذ جعفر ما على المقام من الذهب وكان وضعه المتوكل فضرب به جعفر دنانير وصرفه فى قتاله فغلبه اسمعيل على مكة فهرب جعفر واستولى اسمعيل على مكة ثم سار الى المدينة فملكها ثم مات بالجدرى سنة مائتين واثنين وخمسين وممن ولى مكة للمستعين (ابنه العباس ومحمد بن طاهر بن الحسين) ولم يباشرا وقتل المستعين سنة مائتين واثنين وخمسين وولى الخلافة المعتز بن المتوكل وولى مكة فى زمنه (عيسى بن محمد بن اسمعيل المخزومى) قال الفاسى وممن ولى مكة فى خلافة المعتز أو المهدى أو المعتمد (محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور) الملقب كعب البقر وقتل المعتز سنة مائتين وخمسة وخمسين وولى الخلافة المهتدى بن الواثق فولى مكة فى زمنه (على بن الحسن الهاشمى) كذا ذكره الفاكهى ولم يرفع نسبه وقتل المهتدى سنة ست وخمسين ومائتين وولى الخلافة المعتمد على الله بن المتوكل فولى مكة أخاه (الموفق طلحة ابن المتوكل) وقيل (محمد بن المتوكل ثم ابراهيم بن محمد بن اسمعيل العباسى) الملقب بزى ثم وليها (أبو المغيرة محمد بن أحمد بن عيسى) المتقدم ذكره وذكر الفاسى ان المعتمد كان قد ولى أبا عيسى محمد ابن يحيى المخزومى ثم عزله بأبى المغيرة السابق ذكره فصار باقتل أبو عيسى ودخل أبو المغيرة مكة ورأس أبى عيسى بين يديه على رمح وممن ولى مكة للمعتمد (الفضل بن العباس بن الحسين بن اسمعيل العباسى وهرون بن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى) وقد عد الناس ممن ولى مكة للمعتمد أحمد بن طولون صاحب مصر ولم تثبت ولايته بهذا القدر لانه لم يباشرها وممن ولى مكة زمن المعتمد (محمد بن أبى الساج وأخوه يوسف بن أبى الساج) ومات المعتمد سنة تسع وسبعين ومائتين وبويع بعده لابن أخيه المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل قال القاضى محمد بن جار الله فى تاريخه وأما ولاتها يعنى مكة فى خلافة المعتضد ثم فى خلافة أولاده المكتفى والمقتدر والقاهر ثم فى خلافة الراضى بن المقتدر ثم المتقى ثم المستكفى ثم المطيع جماعة كثيرة ولم يعرف منهم سوى عج بالعين المهملة والجيم ولم يعلم مبدء ولايته غير ان بعضهم ذكر أنه كان واليا سنة مائتين واحدى وثمانين وذكر ابن الاثير انه كان واليا سنة مائتين وخمسة وتسعين فيحتمل انه استمر لهذا التاريخ أو عزل وأعيد وممن ولى مكة فى هذه المدة (مؤنس الخادم) الملقب بالمظفر بالعقد لا بالمباشرة ولم يعلم من باشرها نه فى مدة عقدها له ومن ولاتها بعد سنة ثلاثمائة أو قبلها (ابن ملاحظ) ترجمه الهمدانى بسلطان مكة ولا أعلم له اسما ولا متى كانت ولايته غير انى أظن أنه كان عليها سنة ثلاثمائة أو قبلها وممن وليها فى هذه المدة ابن محلب وقيل ابن محارب ولم أعلم أول ولايته

﴿ذكر دخول القرامطة مكة﴾

عنهاثم قال حدثنى جدى عن ابن عيينة عن ابن منية الحجى عن شيبة بن عثمان أنه كان يشرف فلا يرى بيتا مشرفا على الكعبة الا أمر بهدمه ثم قال قال جدى لما بنى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم داره التى بمكة حيال المسجد الحرام أمر قومه أن لا يرفعوها على الكعبة وأن يجعلوا أعلاها دون الكعبة لتكون دونها اعظاما للكعبة ثم قال الازرقى قال جدى فلم يبق بمكة دار لكبير أو غيره تشرف على الكعبة الا هدمت أو خربت الا هذه الدار فانها باقية الى الآن انتهى ﴿وأما حكم بيع دور مكة واجارتها﴾ فقد ذكر الامام قاضى خان أنه لا يجوز بيع دورها عند أبى حنيفة رضى الله عنه فى ظاهر الرواية وقيل يجوز مع الكراهة وهو قول محمد وأبى يوسف قال صاحب الواقعات وعليه الفتوى وروى الحسن عن أبى حنيفة أن بيع دور مكة جائز وفيها الشفعة وهو قول أبى يوسف وعليه الفتوى ذكره فى عيون المسائل قال قوام الدين فى شرح الهداية بيع بناء مكة جائز اتفاقا لان بناءها ملك الذى بناه ألا ترى أن من بنى فى أرض الوقف جاز ان يبيع بناءه فكذا هذا ﴿وأما بيع أرض مكة﴾ فلا يجوز عند أبى حنيفة وهو ظاهر الرواية عنه وهو قول محمد وعند أبى يوسف يجوز ورجح الطحاوى قول أبى يوسف وقال رأينا المسجد الذى كان للناس سواء العاكف فيه والباد لا ملك لاحد فيه ورأينا مكة على غير ذلك فقد أجيز البناء فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخلها من دخل دار ابن سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فلما كانت مما يغلق عليه الابواب ويبنى فيها المنازل كان صفتها صفة المواضع التى يجرى فيها الاملاك ويقع فيها التوارث ولا يجوز احتجاج المخالف بقوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد لان المراد المسجد الحرام لا جميع أرض مكة انتهى ملخصا ﴿وأما اجارة دور مكة﴾ فقد ذكر صاحب التقريب قال روى هشام عن أبى حنيفة أنه كره اجارة بيوت مكة وقال لهم أن ينزلوا عليهم فى دورهم اذا كان فيها فضل وان لم يكن فلا وهو قول محمد رحمه الله تعالى انتهى * وروى محمد فى الآثار عن أبى حنيفة عن عبد الله بن زياد عن أبى نجيح عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أكل من أجور بيوت مكة شيأ فانما أكل نارا أخرجه الدارقطنى باسناد ضعيف وقال الصحيح أنه موقوف وروى أنه كره اجارتها لاهل الموسم ولم يكره للمقيم لان أهل الموسم

ومما ينبغى ذكره هنا دخول أبى طاهر القرمطى سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقتله الحجاج ونهبه الاموال لان هذه الحادثة من الحوادث الفظيعة والوقائع الشنيعة التى ما أصيب أهل الاسلام بمثلها لكن لا بد من اتمام الفائدة بذكر ابتداء أمر القرامطة فنقول ذكر كثير من المؤرخين ان ابتداء أمرهم كان من سنة ثمانية وسبعين ومائتين فى خلافة المعتمد على الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وكان أول من ظهر منهم رجل قدم من خورستان الى سواد الكوفة يظهر الزهد والتقشف ويصطنع الخوص ويأكل من كسب يده ويكثر الصلاة وأقام على ذلك مدة وكان اذا قعد اليه رجل ذاكره أمر الدين وزهده فى الدنيا ثم أعلم الناس أنه يدعو الى امام من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ولم يزل على ذلك حتى استجاب له خلق كثير ومرض بقرية من سواد الكوفة فحمله رجل من أهل القرية يقال له كرميته لحمرة عينيه وهو بالنبطية اسم لحمرة العين فلما شفى من مرضه سمى باسم ذلك الرجل كرميته ثم خفف فقالوا قرمطة ويقال للتابعين له القرامطة وفى تاريخ ابن خلكان القرمطى بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة والقرمطة فى اللغة تقارب الشئ بعضه من بعض يقال خط مقرمط ومشى مقرمط اذا كان كذلك وكثر اتباع القرمطى من أهل السواد والبادية ممن لا عقل ولا دين له وأخبرهم بعقائد باطلة وأحكام مخالفة للشرع فى الصلاة والاذان وغيرها فاعتقدوا وصدقوه واغتروا بعبادته وزهده وتقشفه فأجابوه ثم انتقل الى ناحية الشام وانقطع خبره الا أن مذهبه انتشر وكثر المتمسكون به وزعم القرامطة انهم يدعون الى محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وقيل انهم يدعون لمحمد بن الحنفية وظهر من القرامطة بناحية السماوة رجل يقال له ذكرويه يحيى ويكنى أبا القاسم وسموه الشيخ وزعم انه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق قال ابن الاثير وقيل لم يكن لمحمد بن اسمعيل ولد اسمه عبد الله وكانوا يسمونه يحيى بن المهدى فقصد القطيف ونزل على رجل يعرف بعلى بن المعلى وكان من غلاة الشيعة فاظهر له يحيى أنه رسول المهدى وذكر له انه خرج الى شيعته فى البلاد يدعوهم الى أمره وان ظهوره قد قرب فجمع له على بن المعلى الشيعة من أهل القطيف واقرأهم كتابا كان مع يحيى من المهدى يزعم أنه من المهدى فأجابوه وقالوا انهم خارجون معه اذا ظهر أمره ووجه الى سائر قرى البحرين يدعوهم لذلك فأجابوه وكان ممن أجابه أبو سعيد الجنابى بتشديد النون كما فى تاريخ ابن خلكان نسبة الى جنابة قرية من أعمال فارس فاجتمع على أبى سعيد خلق كثير من الاعراب والقرامطة فقتل من كان حوله من أهل القرى ممن لم يدخل تحت طاعته ثم سار الى القطيف ففعل مثل ذلك وأظهر فى سنة ست وثمانين ومائتين انه يريد البصرة

لهم ضرورة الى النزول والمقيم لاضرورة له • وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه نهى أن يغلق بمكة باب دون الحاج فانهم ينزلون كل موضع رأوه فارغا وكتب عمر بن عبد العزيز فى خلافته الى أمير مكة أن لايدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا فانه لايحل لهم وكانوا يأخذون ذلك خفية ومسارة وهذا مبنى على أصل وهو أن فتح مكة هل كان عنوة فتكون مقسومة مغنومة ولم يقسمها النبى صلى الله عليه وسلم وأقرها على ذلك فتبقى على ذلك لاتباع ولا تكرى ومن سبق على موضع فهو أولى به وبهذا قال أبو حنيفة ومالك والاوزاعى رضى الله عنهم أو كان فتحها صلحا فتبقى ديارهم بأيديهم يتصرفون فى أموالهم كيف شاؤا اسكانا وبيعا واجارة وغير ذلك وبه قال الامام الشافعى وأحمد رضى الله عنهما وطائفة من المجتهدين رحمهم الله تعالى وعلى ذلك عمل الناس قديما وحديثا

﴿وأما أسماء مكة المشرفة﴾

فانها سميت بها لقلة مائها من قولهم أملك الفصيل مافى ضرع أمه اذا لم يبق فيه شيأ ولذلك تسمى المعطشة أو لانها تنقص الذنوب أو تفنيها ومن أسمائها بكة لانها تبك أعناق الجبابرة أى تكسرها ومنها العروض بفتح المهملة ولذلك سمى علم الشعر عروضا لان الخليل ابن أحمد اخترعه بمكة فسماه عروضا باسمها والبلد الامين والبلد والقرية وأم القرى قال المحب الطبرى سمى الله تعالى مكة بخمسة أسماء مكة وبكة والبلد والقرية وأم القرى قال ابن عباس سميت أم القرى لانها أعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها ومن أسمائها كوثى وأم كوثى لان كوثى اسم لمحل من قيقعان وفاران والمقدسة وقريه النمل لكثرة نملها والحاطمة لحطمها الجبابرة والوادى والحرام والعرش وبره وحفر وصلاح مبنيا على الكسر كحذام وقطام ومن أسمائها طيبة أيضا ومنها معاد بفتح الميم لقوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال مكة ومن أسمائها الباسة بالباء الموحدة والسين المهملة المشددة قاله مجاهد لانها تبس من ألحد فيها أى تهلكه لقوله تعالى وبست الجبال بسا وتسمى الناشة أيضا بالنون والشين المعجمة أى تنش بتشديد آخرها أى تطرد من ألحد فيها وتنفيه ولها أسامى غير ماذكرنا وللمجد الفيروزابادى رسالة فى أسمائها قال الامام النووى رضى الله عنه ولا يعرف فى البلاد بلدة أكثر أسماء من مكة والمدينة لكونهما أشرف الارض وقال عبد الله المرجانى رحمه الله تعالى فى تاريخه للمدينة بعد ذكره لاسماء

---

فكتب عامل البصرة الى أمير المؤمنين المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد فأمره ببناء سور على البصرة فبناه وأنفق فى عمارته أربعة عشر ألف دينار ثم أغار أبو سعيد بمن معه من الجيوش على نواحى هجر من نواحى البصرة وقوى أمره فجهز المعتضد لقتاله الجيوش ووقع بينهم وبينه وقائع يطول الكلام بذكرها مذكورة فى التواريخ وامتد ملك القرامطة الى نواحى الشام ومصر واليمن والحجاز وملكوا جانبا من العراق وتوفى المعتضد سنة تسع وثمانين ومائتين وولى الخلافة بعده ابنه المكتفى وبقى القتال بينه وبين القرامطة وزاد أمرهم وانتشرت جيوشهم فى أقطار الارض وتعرضوا للحجاج ونهبوه وقتلوا أكثر الحجاج سنة أربع وتسعين ومائتين وتوفى المكتفى سنة خمس وتسعين ومائتين وولى الخلافة بعده أخوه المقتدر بن المعتضد وبقى القتال بينه وبين القرامطة فى مواضع كثيرة وفى سنة احدى وثلاثمائة قتل أبو سعيد الجنابى رئيس القرامطة وقائد جيوشهم وكان قد عهد الى ابنه سعيد فانتزع الامر منه أخوه أبو طاهر وقام بالقتال وقيادة الجيوش والدعوة الى مذهب القرامطة وكان قتل أبى سعيد فى الحمام قتله خادم له صقلبى وكان أبو سعيد قد استولى على هجر والاحسا والقطيف والطائف وسائر بلاد البحرين ولم يزل أمرهم منتشرا وفتنتهم قائمة الى أن دخل أبو طاهر مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة وكان لهذه الطائفة الملحدة اعتقاد فاسد يؤدى الى الكفر يستبيحون دماء المسلمين ويرون ضلال كافة المسلمين فأعظم نحس خبيث ظهر منهم أبو طاهر القرمطى وبنى دارا بهجر وسماها دار الهجرة وأراد نقل الحج اليها لعنه الله وأخزاه وكثر فتكه فى المسلمين وسفكه دماءهم الى ان اشتد به الخطب وانقطع الحج فى أيامه خوفا منه ومن طائفته الفاجرة واشتدت شوكتهم ففى أواخر سنة سبع عشرة وثلاثمائة لم يشعر الحجاج يوم التروية بمكة الا وقد وافاهم عدو الله أبو طاهر القرمطى فى عسكر جرار فدخلوا بخيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام ووضعوا السيف فى الطائفين والمصلين والمحرمين الى أن قتلوا فى المسجد الحرام وفى مكة وشعابها زهاء ثلاثين ألف انسان وسبوا من النساء والذرية مثل ذلك وتلك مصيبة ما أصيب الاسلام بمثلها وركض عند الكعبة أبو طاهر بسيفه مشهورا فى يده قيل وهو سكران وصفر لفرسه عند البيت الشريف فبال وراث والحجاج يطوفون حول البيت الحرام والسيوف تنوشهم الى أن قتل فى المطاف الشريف ألف وسبعمائة طائف وكان ممن يطوف شيخ الصوفية فى ذلك الوقت الشيخ على بن بابويه ولم يقطع طوافه وجعل يقول منشدا

(ترى المحبين صرعى فى دياهم • كفتية الكهف لايدرون كم لبثوا)

والسيوف تقفوه الى أن سقط ميتا رحمه الله تعالى وملؤا برؤس الشهداء بئر زمزم وما بمكة من آبار

مكة ومن الخواص اذا كتبت بدم الرعاف مكة وسط الدنيا والله رؤف بالعباد انقطع الرعاف ﴿وأما فضل مكة شرفها الله تعالى﴾ فاعلم ان مكة والمدينة زادهما الله شرفا وتعظيما أفضل بقاع الارض بالاجماع وذكر القاضي عياض أن موضع قبر نبينا صلى الله عليه وسلم أى ماضم أعضاءه الشريفة أفضل بقاع الاض بالاجماع لحلول سيد الانبياء والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فيه قال اليشكري رحمه الله تعالى

جزم الجميع بأن خير الارض ما * قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت * كالنفس حين زكت زكى مأواها

ثم اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فى أن مكة شرفها الله تعالى أفضل أم المدينة الشريفة عظمها الله تعالى فذهب الامام الاعظم (١٣) أبو حنيفة وأصحابه والامام أحمد وأصحابه والامام الشافعي وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين أن مكة أفضل من المدينة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما لحديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فى مسجدى رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه ولا يرتاب فى الفضائل التى أثبتها الله تعالى لبلده الحرام فجعل فيها بيته المعظم الذى اذا قصده عباده حط عنهم أوذارهم ورفع درجاتهم وجعلها قبلة للمسلمين أحياء وأمواتا وفرض الحج اليه على من استطاع اليه سبيلا مرة فى عمره وفى كل عام على الناس أجمعين فرض كفاية وحرمها يوم خلق السموات والارض ولا تدخل الا باحرام وهى مثوى ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام ومسقط رأس خير الانام صلى الله عليه وسلم ومحل اقامته قبل النبوة وبعدها ثلاثة عشر عاما ومحل نزول أكثر القرآن ومهبط الوحى ومظهر الايمان والاسلام ومنشأ الخلفاء الراشدين * رضوان الله عليهم أجمعين * وبها الحجر الاسود وزمزم والمقام * وغير ذلك من المزايا العظام * ولقد قال القائل

ارض بها البيت المحرم قبلة * للعالمين له المساجد تعدل
حرم حرام أرضها وصيودها * والصيد فى كل البلاد محلل
وبها المشاعر والمناسك كلها * والى فضيلتها البرية ترحل
وبها المقام وحوض زمزم مشرعا * والحجر والركن الذى لا يرحل
والمسجد العالى المحرم والصفا * والمشعران لمن يطوف ويرمل
وبمكة الحسنات ضوعف أجرها * وبها المسىء عنه الخطايا تغسل

وحفروا دفنت الموتى بلا غسل ولا كفن ولا صلاة وطلع أبو طاهر الى باب الكعبة وقلع بابها وصار يقول وهو على عتبة الباب

(أنا بالله و بالله أنا * يخلق الخلق وافنيهم أنا)

وصاح فى الحجاج وهو على فرسه يقول يا حمير أنتم تقولون ومن دخله كان آمنا فأين الامان وقد فعلنا ما فعلنا فأخذ شخص بلجام فرسه وكان قد استسلم للقتل وقال له ليس معنى الآية الشريفة ما ذكرت وانما معناها من دخله فأمنوه فلوى أبو طاهر عنان فرسه ولم يلتفت اليه وصانه الله ببركة بذل نفسه فى سبيل الله للرد على هذا الكافر أخزاه الله تعالى وأراد قلع الميزاب وكان من ذهب فاطلع قرمطيا على الكعبة فأصيب بسهم من جبل أبى قبيس فما أخطأ نحره وخر ميتا وأمر آخر مكانه فسقط من فوق الى أسفل على رأسه ومات فهاب الثالث الاقدام على القلع فترك ذلك أبو طاهر على رغم أنفه وقال اتركوه حتى يأتى صاحبه يعنى المهدى الذى يزعم أنه يخرج منهم وكان ممن قتل بمكة أميرها ابن محارب والحافظ أبو الفضل محمد بن الحسن بن أحمد الجارودى الهروى أخذته السيوف وهو متعلق بيديه بحلق باب الكعبة حتى سقط رأسه على عتبة باب البيت الحرام وقتلوا أيضا امام الفقهاء الحنفية الفقيه أبو سعيد أحمد بن الحسين البردعى والشيخ أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله الرهاوى وشيخ الصوفية على بن بابويه كما تقدم والشيخ محمد بن خالد بن زيد البردعى نزيل مكة وجماعة كثيرين من العلماء والصلحاء والصوفية والحجاج من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم ونهبت أموالهم وسبيت نساؤهم وذراريهم ونهبت دور الناس وقتل من وجد من أهل مكة وغيرها الا من اختفى فى الجبال وممن هرب من مكة يومئذ قاضيها يحيى بن عبد الرحمن بن هرون القرشى مع عياله الى وادى رهجان ونهبت القرامطة من داره وثيابه وأمواله ما قيمته مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار كما فى تاريخ القطبى فافتقر بعد تلك الثروة وكذلك نهبت دور أهل مكة الى أن صار الباقى ممن نجا من تلك الواقعة فقراء يستعطون الناس ولم يحج فى هذا العام أحد ولا وقف بعرفة الا فدر يسير فادروا بأنفسهم وسعوا بأرواحهم فوقفوا به بلا امام وأتموا حجهم مستسلمين للموت وأخذ أبو طاهر خزانة الكعبة وحليها وما كان فيها من الاموال فجمع الجميع مع ما نهبه من أموال الحجاج وقسمه على أصحابه وعرى البيت وانتزع ثوبه وقسمه بين أصحابه وأراد أخذ حجر المقام الذى فيه صورة قدم سيدنا ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا وسائر الانبياء أفضل الصلاة والسلام فلم يظفر به لان سدنة الكعبة الشريفة غيبوه فى بعض شعاب مكة وتألم لذلك واستدعى بجعفر بن أبى علاج البناء وأمره بقلع الحجر الاسود من محله فقلعه بعد العصر يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ذلك

وقال الامام مالك رضي الله عنه المدينة أفضل من مكة لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين خروجه من مكة الى المدينة اللهم انك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد الي فأسكني أحب البلاد اليك رواه الحاكم في المستدرك وما هو أحب البقاع الى الله يكون أفضل والظاهر استجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وقد أسكنه الله تعالى المدينة الشريفة فتكون أفضل البقاع وأدلة أخرى من الاحاديث الشريفة وبين الطائفتين نزاع ومباحث والله أعلم ﴿وأما حكم المجاورة بمكة شرفها الله تعالى﴾ فمذهب امامنا الاعظم أبي حنيفة رضي الله عنه وبعض أصحاب الشافعي وجماعة من المحتاطين في دين الله تعالى رضوان الله عليهم أجمعين كراهة المقام بمكة وذلك لخوف سقوط حرمة البيت الشريف في نظره وقلة الاحترام بالانس والتبسط الى أن يذهب من قلبه



الهيبة بالكلية فيصير بيت الله تعالى في نظره القاصر كسائر البيوت والعياذ بالله أو تنقص الهيبة والحرمة الاولى في نظره كما هو شأن سائر الناس في الاكثر الا من عصمه الله تعالى وحيث كان هو الاكثر من حكم الناس أنيط به حكم الكراهة فاقامة المسلم في وطنه وهو مشتاق الى مكة باق حرمتها في نظره خير له وأسلم من مقامه بمكة من غير احترام لها أو مع نقصان احترامه وهذا ملخص ما قاله امامنا رضي الله عنه ولهذا كان عمر رضي الله عنه يدور على الحاج بعد قضاء النسك بالدرة ويقول يا أهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم فانه أبقى لحرمة بيت ربكم في قلوبكم وقال أبو عمر الزجاجي من جاور بالحرم وقلبه متعلق بشيء سوى الله تعالى فقد ظهر خسرانه وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو أقرب الى هذا البيت ممن يطوف به كما قيل

وكم من بعيد الدار نال مراده * وكم من قريب الدار مات كئيبا

وقال ابن مسعود ما من بلد يؤاخذ فيه بالهم قبل الهم الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ولهذا اختار حبر الامة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما المقام بالطائف وحواليه على مكة وقال لان أذنب سبعين ذنبا بركية أحب الي من ان أذنب ذنبا واحدا بمكة وذهب بعض العلماء الى القول بتضاعف السيآت بأرض الحرم كما تتضاعف الحسنات وجاور أبو محمد الحريري سنة بمكة فلم يستند الى حائط ولم ينم فقيل له بم قدرت على هذا فقال علم الله صدق باطني فأعانني على ظاهري وبقي أبو عمر الزجاجي الصوفي أربعين سنة لم يقض حاجته

ابو

العام وصار بزندقته يقول أخزاه الله تعالى

فلو كان هذا البيت لله ربنا * لصب علينا النار من فوقنا صبا
لانا حججنا حجة جاهلية * محللة لم تبق شرقا ولا غربا
وانا تركنا بين زمزم والصفا * جنائز لا تبغي سوى ربها ربا

وقلع ذلك الكافر قبة زمزم وباب الكعبة وأقام بمكة ستة أيام وقيل أحد عشر يوما ثم انصرف الى بلد هجر وحمل معه الحجر الاسود يريد أن يحول الحج الى مسجد الضرار الذي سماه دار الهجرة وعلقه في الاسطوانة السابعة مما يلي صحن الجامع من الجانب الغربي من المسجد المذكور وبقي موضع الحجر الاسود من البيت الشريف خاليا يضع الناس أيديهم فيه ويلمسونه تبركا بمحله وفي تاريخ الخميس أن أبا طاهر القرمطي دخل مكة بأناس قلائل نحو سبعمائة فلم يطق أحد رده خذلانا من الله تعالى وانفاذا لما أراده سبحانه وتعالى والله غالب على أمره فسبحان من لا يسئل عما يفعل ولا راد لما قضاه سبحانه وتعالى ثم ان الفاجر أبا طاهر القرمطي أراد أن يخطب لعبيد الله المهدي أول الخلفاء العبيديين ويقال لهم الفاطميون وهم الذين ملكوا المغرب ومصر وكان هذا الامر أول ظهور عبيد الله المهدي فبلغ عبيد الله المذكور ذلك فكتب اليه ان أعجب العجب ارسالك بكتبك الينا ههنا بما ارتكبت في بلد الله الامين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام الذي لم يزل محترما في الجاهلية والاسلام وسفكت فيه دماء المسلمين وفتكت بالحجاج والمعتمرين وتعديت وتجرأت على بيت الله تعالى وقلعت الحجر الاسود الذي هو يمين الله في الارض يصافح به عباده وحملته الى منزلك ورجوت ان أشكرك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم في يومه ما ينجو به في غده فلما وصل كتاب عبيد الله المهدي الى أبي طاهر وعلم ما فيه انحرف عن طاعته واستمر الحجر عندهم اثنين وعشرين سنة يستجلبون به الناس طمعا أن يتحول الحج الى بلدتهم ويأبى الله ذلك والاسلام وشريعة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهذه مصيبة من أعظم مصائب الاسلام وأشدهن في الدين من أولئك الكفرة اللئام الملحدين ذابت لها أكباد العباد وعمت فتنتها في الحاضر والبادي الى أن دمر الله تلك الطائفة القاهرة وابتلى أبو طاهر النجس فرماه الله بالاكلة فصار يتناثر لحمه بالدود وتقطعت أوصاله وطال عذابه ومات أشقى ميتة الى دار الخلود وتعذب بأنواع البلاء في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ولما أيست القرامطة من تحويل الحج الى هجر ردوا الحجر الاسود الى محله في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وجاء به سنبر بن الحسن القرمطي في يوم النحر عاشر ذي الحجة من السنة المذكورة فلما صار بفناء الكعبة حضر أمير مكة

البشرية فى الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة وهكذا روى عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فى مدة اقامته بمكة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحجون ثم يرجعون ويعتمرون ثم يرجعون ولا يجاورون ذكره عبد الرزاق فى مصنفه * وروى عن وهب بن الورد المكى رحمه الله قال كنت ذات ليلة أصلى فى الحجر فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار خفيا فاستمعت فاذا هى تناجى وتقول الى الله اشكو ثم اليك يا جبريل ما ألقى ممن حولى من سمرهم وتفكههم باللغو وذكر أحوال الدنيا والاغتياب والخوض فيما لا ينبغى لهم واللهو والعبث لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى الى الجبل الذى قطع منه * وسئل الامام مالك رضى الله عنه الحج والجوار أحب اليك أو الحج والرجوع فقال ما كان الناس الا على الحج والرجوع وفهم ابن رشد من هذا اقتضاء كراهة المجاورة عنده والظاهر انه لا يقتضيه والله تعالى أعلم * وذهب الامام أبو يوسف ومحمد والامام الشافعى والامام أحمد بن حنبل رضى الله عنهم الى استحباب المجاورة بمكة فى قولهما وانه الافضل قال وعليه عمل الناس * وحكى الفاسى فى منسكه عن المبسوط ان الفتوى على قولهما * وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من صبر على مكة ساعة تباعدت النار عنه مسيرة مائة عام * وعن سعيد بن جبير من مرض يوما بمكة كتب الله له من العمل الصالح الذى يعمله فى سبع سنين فان كان غريبا ضوعف ذلك رواهما الامام الفاكهى رحمه الله تعالى ومحصل ما ذهب اليه أبو حنيفة رضى الله عنه من كراهة المجاورة مبنى على ضيق الخلق عن مراعاة حرمة الحرم الشريف وقصورهم عن الوفاء بقيام حق البيت الشريف فمن أمكنه الاحتراز عن ذلك وعرف من نفسه القدرة على الوفاء بحرمة بيت الله تعالى وتعظيمه وتوقيره على وجه تبقى معه حرمة البيت الشريف وجلالته وهيبته وعظمته فى عينه وقلبه كما كان عند دخوله فى الحرم الشريف ومشاهدته بيت الله تعالى فالاقامة بها هو الفضل العظيم والفوز الكبير ولا شك فى تضاعف الحسنات بها وأما تضاعف السيآت فأكثر العلماء على عدم تضاعفها ولا شك فى تردد الاولياء اليها فى الاوقات الفاضلة فمن لمح أحدهم أو لحظه هو نال السعادة العظمى وورد أنهم يحضرون الجمعة والاوقات الشريفة ويحجون كل عام * وكان دأب والدى رحمه الله تعالى قبل أن يكف نظره أن يبادر يوم النحر بعد رمى جمرة العقبة الى مكة ويجلس تجاه بيت

---

أبو جعفر محمد بن الحسن فانحدوا سقطا فيه الحجر الاسود وعليه ضباب من فضة فى طوله وعرضه انضبط شقوق حدثت فيه بعد قلعه وأحضروا جصا يشد به فوضع حسن بن المزوق البنا الحجر فى مكانه الذى قلع منه وقيل بل وضعه سنبر بيده وقال أخذناه بقدرة الله وأعدناه بمشيئته وقد أخذناه بامر ورددناه بأمر ونظر الناس الى الحجر فقبلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى وحضر ذلك الشيخ محمد بن نافع الخزاعى ونظر الى الحجر الاسود وتأمله فاذا السواد فى رأسه دون سائره وسائره أبيض وحضر معهم ممن حج تلك السنة الشيخ محمد بن عبد الملك بن صفوان الاندلسى وشهد رد الحجر الى مكانه ولما أعيد الحجر الاسود الى مكة حمل على قعود هزيل فسمن وكان لما مضوا به مات تحته أربعون بعيرا وتلك من آيات الله فى الحجر الشريف وكانت مدة استمراره عند القرامطة اثنين وعشرين سنة الا أربعة أيام وكان المنصور بن القائم بن المهدى العبيدى أرسل لاحمد بن أبى سعيد القرمطى أخى أبى طاهر بخمسين ألف ذهب فى الحجر الاسود ليرده فلم يفعل وبذل بحكم التركى مدبر الخلافة ببغداد خمسين ألف دينار للقرامطة على رد الحجر الاسود فابوا وقالوا أخذناه بأمر ولا نرده الا بأمر الى أن أراد الله تعالى رده على الوجه الذى ذكرناه قال العلامة القطبى فى تاريخه وفى التواريخ صور أخرى لهذه القضية متناقضة وهذا أصح ما روى فيها فاعتمدنا عليه فعض عليه بالنواجذ قال القطبى ثم ان الحجبة خافوا من استطالة يد خائن اليه لعدم استحكام بنائه فقلعوه وجعلوه فى البيت الشريف حفظا له وصونا عمن أراده الله بسوء ثم أمر صائغين فصنعا له طوقا من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبع وثلاثون درهما فطوقوا به الحجر وشدوا عليه به وأحكموا بناءه فى محله كما كان ذلك قديما وكما هو الآن أيضا كذلك وبقية وقائع القرامطة مع الخلفاء بالعراق والشام ومصر مذكورة فى التواريخ فلا حاجة الى الاطالة بها وفى هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم ولنرجع الى ما نحن بصدده من ذكر ولاة مكة فنقول وممن وليها (محمد بن طغج) المعروف بالاخشيد عقد له بها ولولديه (أبى القاسم وعلى) وكان مبدأ ذلك سنة ثلاثمائة واحدى وثلاثين قال الفاسى ولا أعلم من باشر لهم ولاية مكة وانما ولوها بعقد من المكتفى ولما مات طغج الاخشيد تولى كفالة ولديه كافور الاخشيد بمصر وممن ولى مكة (القاضى أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسى) وذلك سنة ثلاثمائة وثمانية وثلاثين وقيل انه باشر ذلك لعلى بن الاخشيد هذا ما تحصل من الكلام على ولاتها فى هذه المدة

## ﴿ذكر خطبة محمد بن سليمان العلوى لنفسه بمكة﴾

وفى سنة ثلاثمائة وواحد وقع فى الموسم أن محمد بن سليمان من ولد محمد بن داود العلوى خطب لنفسه بالامامة فى مكة وخلع طاعة العباسيين وكان أول خطبته الحمد لله الذى أعاد الحق الى نظامه وأبرز

الله تعالى ويلحظ بنظره ويستمر جالسا هناك الى صلاة المغرب فيطوف بعد صلاة المغرب ويسعى ويعود الى منى وكان يقول ان أولياء الله لابد أن يحجوا في كل سنة ويفعلوا الافضل وهو الاتيان بطواف الزيارة في أول يوم النحر فأبادر الى النزول من منى في ذلك اليوم وأجلس في الحطيم لومي أشاهد الطائفين لعل أن يقع نظري الى أحدهم أو يقع نظره علي فيحصل لي بذلك بركتهم واستمر على ذلك الى أن كف نظره رحمه الله تعالى فكان ذهب به ويجلسه في الحطيم ويقول ان كنت لا أنظرهم فلعل أن يقع نظرهم علي فيحصل لي بركتهم واستمر على ذلك الى أن توفي رحمه الله وان أولياء الله يخفون أنفسهم عن أعين الناس فلا يراهم الا من أسعده الله تعالى والله تعالى المسؤل أن يجعلنا من سعداء الدنيا والآخرة بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى



زهرا الاسلام من كمامه وبكل دعوة خير الرسل باسباطه لابي أعمامه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وكف عنهم ببركته أمر المعتدين وجعلها في عقبه الى يوم الدين ثم أنشد

لا طلبن بسيفي * من كان للحق دينا * واسطون بقوم * بغوا وجاروا علينا
* يجسدون كل بلاء * من العراق الينا *

وفي سنة ثلاثمائة وسبعة عشر كان دخول القرامطة مكة كما تقدم الكلام على ذلك وفي سنة ثلاثمائة وثمانية وخمسين خرجت مصر عن حكم الدولة العباسية ودخلت في حكم دولة العبيديين واشتهروا أيضا بالفاطميين ودخلها قائدهم القائد جوهر وهو عبد المعز العبيدي ثم دخلها مولاه سنة ثلاثمائة واحدى وستين ثم اتسع ملكهم حتى دعي لهم على منابر الحرمين فصارت الخطبة الاسلامية على قسمين فمن بغداد وحلب وسائر ممالك الشرق الى أعمال الفرات يخطب فيها للمطيع العباسي ومن حلب الى بلاد المغرب مع الحرمين يخطب فيها للعبيديين

﴿ذكر دولة الاشراف بمكة﴾

(ولنذكر أول دولة الاشراف الذين ملكوا مكة) طبقة بعد طبقة فان ابتداء ملكهم ولاية مكة كان من هذه المدة فالطبقة الاولى من الاشراف الذين ملكوا مكة الموسويون ويقال لهم بنو موسى وهم أول من ملكها من الاشراف الحسنيين وتداولوها وأولهم (جعفر بن محمد بن الحسين) وقيل ابن الحسين بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه تغلب جعفر بن محمد المذكور على مكة زمن الاخشيدية قبل أن علك مصر العبيديون وكان ذلك بعد موت كافور الاخشيدي وكان موت كافور سنة ثلاثمائة وستة وخمسين وتغلب جعفر على مكة سنة ثلاثمائة وثمان وخمسين وقيل ست وخمسين وقيل سنة ثلاثمائة وستين وسبب ذلك انه وقعت فتنة بين بني حسن وبني حسين أصحاب المدينة وكان جعفر بن محمد بالمدينة فبادر وملك مكة ولما ملك العبيديون مصر دعا جعفر للمعز العبيدي فكتب له المعز بولاية مكة ثم لما توفي جعفر المذكور تولى (ابنه عيسى بن جعفر) ودامت ولايته الى سنة ثلاثمائة وأربعة وثمانين ثم ملكها بعده أخوه (أبو الفتوح الحسن بن جعفر) كما سيأتي وفي مدة ولاية عيسى بن جعفر سنة خمس وستين وثلاثمائة أرسل العزيز العبيدي صاحب مصر أميرا علويا بالمكة ولاه نائبا عنه فحصر مكة واشتد الغلاء ولم يحج أحد من العرب في هذه السنة وتوالت جيوشه وضيقوا على أهل مكة والمدينة لاجل طلب الخطبة لهم ومازال الامر حتى خطبوا للعزيز

﴿الباب الثاني في بناء الكعبة المشرفة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما﴾

قال قاضي القضاة السيد تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسيني الفاسي المكي في كتابه شفاء الغرام لاشك ان الكعبة المعظمة بنيت مرات وقد اختلف في عدد بنائها ويتحصل من مجموع ما قيل في ذلك انها بنيت عشر مرات وهي بناء الملائكة عليهم السلام وبناء آدم عليه السلام وبناء أولاده وبناء الخليل ابراهيم عليه السلام وبناء العمالقة وبناء جرهم وبناء قصي بن كلاب جد النبي صلى الله عليه وسلم وبناء قريش قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعمره الشريف يومئذ خمس وعشرون سنة وبناء عبد الله بن الزبير بن العوام الاسدي وآخرها بناء الحجاج بن يوسف الثقفي وفي اطلاق العبارات في بناء الكعبة تجوز فان بعضهم لم يستوعبها البناء كالبناء الاخير وهو بناء الحجاج فانه انما هدم جانب الميزاب فقط وأعاده وأبقى الجوانب الثلاث وهي جهة الباب وجهة المستجار الذي هو مقابل الباب وجهة الصفا المقابل لجهة الميزاب فانها باقية على بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ﴿أما بناء الملائكة الكعبة المشرفة وهو أول بنائها﴾ فذكره الامام أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد الازرقي في تاريخه فقال حدثنا علي بن مسلم الجلي عن أبيه حدثنا القاسم بن عبد الرحمن الانصاري حدثنا الامام محمد الباقر بن الامام علي زين العابدين بن الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال كنت مع أبي علي بن الحسين عليهما السلام بمكة فبينما هو يطوف وأنا وراءه اذ جاء رجل طويل فوضع يده على ظهر أبي فالتفت أبي اليه فقال

السلام عليك يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أريد أن أسألك فرد عليه السلام وسكت أبي وأنا والرجل خلفه حتى فرغ من أسبوعه فدخل الحجر فقام تحت الميزاب فصلى ركعتي أسبوعه ثم استوى قاعدا فالتفت الي فجلست الى جانبه فقال يا محمد أين السائل فأومأت الى الرجل فجاء فجلس بين يدي أبي فقال له عم تسأل قال اني أسألك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت فقال له أبي من أين أنت قال من أهل الشام قال أين مسكنك قال بيت المقدس قال قرأت الكتابين يعني التوراة والانجيل قال نعم فقال له أبي يا أخا الشام احفظ عني ولا تروعني أما بدء هذا الطواف فان الله تعالى قال اني جاعل في الارض خليفة فقالت الملائكة أي رب أتخلق غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون ويتباغون  اجعل ذلك الخليفة منا فنحن لا نفسد فيها ولا نسفك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ولا نتباغى ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونطيعك ولا نعصيك فقال الله تعالى اني أعلم ما لا تعلمون قال فظنت الملائكة أن ما قالوه رد على الله وانه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤسهم يتضرعون ويبكون اشفاقا من غضبه وطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله اليهم ونزلت الرحمة عليهم ووضع الله سبحانه وتعالى تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور على أربع أساطين من زبرجد فغشاهن بياقوتة حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت فطافت الملائكة بهذا البيت وصار أهون عليهم من العرش ثم ان الله تعالى بعث ملائكة وقال لهم ابنوا لي في الارض بيتا بمثاله وقدره وأمر الله تعالى من في الارض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور فقال الرجل صدقت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كان انتهى قلت هذا الحديث الشريف يدل على أن بناء الملائكة عليهم السلام الكعبة الشريفة كان بعد خلق الارض ولنا أحاديث دالة أن الكعبة خلقت قبل الارض بأربعين سنة في رواية وبألفي عام في رواية قال الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق ابن العباس الفاكهي المكي في أوائل تاريخ مكة حدثني عبد الله بن أبي سلمة قال حدثنا الواقدي قال حدثنا اسحق بن يحيى بن طلحة أنه سمع مجاهدا يقول ان قواعد البيت خلقت قبل الارض بألفي سنة ثم بسطت الارض من تحته أقول وظهر مما رويناه أن موضع البيت الشريف خلق قبل الارض لا نفس بناء البيت فانه أول ما بنته الملائكة بأمر الله تعالى كما سقناه والله تعالى أعلم

للعزيز وتوفي العزيز سنة ثلاثمائة وست وثمانين فولي مصر ابنه الحاكم بأمر الله ثم انه في سنة ثلاثمائة وخمسة وتسعين أرسل الحاكم بأمر الله الى صاحب مكة اذ ذاك وهو أبو الفتوح الحسن بن جعفر سجلا ينتقص فيه الصحابة رضي الله عنهم وبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يأمر الخطيب أن يقرأه على المنبر فشق ذلك على الامير أبي الفتوح وفشى ذلك الامر في الموسم وحضر الحجاج وتداعت العرب من حوالي مكة من هذيل وغيرهم وحضروا في المسجد غضبا لله ورسوله فلما كان الخطيب على المنبر زحف الناس زحفة واحدة بالحجارة والعصي على المنبر فكسروه حتى صار رضاضا ولم يدروا أنه على المنبر أم لا وكان يوما عظيما فلم يقدر أحد بعد ذلك أن يعلن بهذا المذهب القبيح ثم ان أبا الفتوح أظهر العصيان لصاحب مصر الحاكم بأمر الله بسبب طلبه سب الصحابة وخلع طاعة الحاكم وبايع الناس لنفسه وخطب بالناس فقال في أول خطبته طسم تلك آيات الكتاب المبين الى قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ثم خرج من مكة يريد الشام فدانت له العرب وسلموا عليه بالخلافة وأظهر العدل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانزعج منه الحاكم صاحب مصر وخضع لقبائل من العرب منهم آل الجراح واستمال منهم حسان بن مفرج فبذل له ولاخوانه أموالا جزيلة على أن يتخلوا عن أبي الفتوح ويخلوا بينه وبينه فلما فطن لذلك أبو الفتوح استجار بمفرج أبي حسان فكتب مفرج الى الحاكم في شأنه فشفعه الحاكم بذلك ورضي عن أبي الفتوح وأبقى له ملك مكة فرجع الى مكة واليا عليها وفي مدة غيبته عن مكة تغلب على مكة أبو الطيب داود بن عبد الرحمن بن القاسم ابن الفاتك عبد الله بن داود ابن سليمان بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويقال لبني أبي الطيب السليمانيون فلما رجع أبو الفتوح الى مكة تنحى أبو الطيب عنها وأبو الفتوح هذا ذكره صاحب دمية القصر وأورد له من الشعر قوله

وصلتني الهموم وصل هواك * وجفاني الرقاد مثل جفاك
وحكى لي الرسول انك غضبى * يا كفى الله شر ما هو حاكي

وكان فيه من الشجاعة والنجدة والقوة ما لا مزيد عليه * يحكى أن أخته أرسلت اليه بدراهم ليأخذ لها حنطة فأنف من ذلك فأخذ الدراهم وفركها بيده حتى محا رسمها وذهب نقشها وردها اليها مع حنطة أرسلها لها وقال لحامل الدراهم ان هذه الدراهم زيوف لا تصلح فبلغ أخته ذلك وكانت مثله في القوة فأخذت كفا من الحنطة وفركتها حتى صيرته دقيقا ثم أرسلت به اليه وقالت ان هذه

﴿الثانى بناء ادم عليه السلام الكعبة المشرفة﴾ وقد ذكره الامام أبو الوليد الازرقى فقال حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن طلحة بن عمرو الحضرمى عن عطاء بن أبى رباح بفتح الراء والباء الموحدة بعدها ألف ثم حاء مهملة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما أهبط الله آدم الى الارض من الجنة قال يارب مالى أسمع أصوات الملائكة قال بخطيئتك يا آدم ولكن ابن لى بيتا فطف به واذكرنى حوله كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى قال فأقبل آدم يتخطى الارض فطويت له ولم يقع قدمه على شئ من الارض الا صار عمرانا وبركة حتى انتهى الى مكة فبنى البيت الحرام وأن جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الارض فكشف عن أس ثابت فى الارض السابعة فقذفت فيه الملائكة من الصخر مالا يطيق الصخرة ثلاثون رجلا وانه بناه من خمسة أجبل من لبنان وطور سيناء وطور زيتا والجودى وحراء حتى استوى على وجه الارض وهذا يدل على أن آدم عليه السلام انما بنى أساس الكعبة حتى ساوى وجه الارض ولعل ذلك بعد دثور ما بنته الملائكة بأمر الله تعالى ثم أنزل الله تعالى البيت المعمور لآدم عليه السلام ليستأنس به فوضعه على أساس الكعبة ويدل على ذلك ما رواه أبو الوليد الازرقى فى تاريخه قال حدثنى أبى عن جدى قال حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب يا كعب أخبرنى عن البيت الحرام قال كعب أنزل الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم فقال له يا آدم ان هذا بيتى أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشى ويصلى حوله كما يصلى حول عرشى ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعده من حجارة ثم وضع البيت عليه فكان آدم عليه السلام يطوف حوله كما يطاف حول العرش ويصلى عنده كما يصلى عند العرش فلما أغرق الله قوم نوح رفعه الى السماء وبقيت قواعده ومات

﴿وقال الازرقى أيضا حدثنى أبى قال محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن عمر بن أبى معروف عن عبيد الله بن أبى زياد قال لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة قال يا آدم ابن لى بيتا بحذاء بيتى الذى فى السماء تتعبد فيه أنت وولدك كما تتعبد ملائكتى حول عرشى فهبطت عليه الملائكة فحفر حتى بلغ الارض السابعة فقذفت فيه الملائكة الصخر حتى أشرف على وجه الارض وهبط آدم بياقوتة حمراء مجوفة لها أربعة أركان بيض فوضعها على الاساس فلم تزل الياقوتة كذلك حتى كان زمن الغرق فرفعها الله تعالى

---

الحناطة لا تصلح ولم يزل أبو الفتوح واليا على مكة حتى مات سنة أربعمائة وثلاثين فمدة ملكه ثلاثة وأربعون سنة ثم ولى مكة بعد أبى الفتوح ابنه (شكر الملقب بتاج المعالى واسمه محمد ويكنى أبا عبد الله) وكان جوادا عظيم القدر وفد عليه بعض العرب وكانت تحت العربى فرس مشهورة عجيبة الخلق فأعجبت الشريف شكرا لكن لم يسعه طلبها من ذلك العربى لكونه نزل ضيفا عنده فلما رجع ذلك العربى الى أهله أرسل اليه الشريف شكر بعض قواده بمائة دينار وقال له انزل عليه فى بعض الطريق واشتر منه الفرس لك لا لى ولا تذكرنى له فادرك القائد العربى فى بعض المنازل فنزل عليه فلما عرفه أكرمه وفرح به فأتاه بعد ساعة بلحم فأكل ونام فلما أصبح ذكر له ما جاء له من جهة الفرس وانه يريد شراءها منه فأتاه العربى بجلدها وأكرعها وقال له انك لما نزلت علينا البارحة كرهنا أن لا نذبح لك فما وجدنا غير الفرس فذبحناها وكانت ضيافتك من لحمها فشكر له القائد ذلك وأسلمه المائة الدينار ورجع الى الشريف شكر وأخبره بالخبر فقال له أحسنت ولو رجعت بالدراهم ألحقتك بالفرس وأما الآن فأنت حر لوجه الله اهـ واستمر الشريف شكر الى أن توفى سنة أربعمائة وثلاثة وخمسين فى شهر رمضان وفى عمدة الطالب ان وفاته كانت سنة أربعمائة وأربع وستين وكان له شعر حسن منه

قوض خيامك من أرض تهان بها * وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان فى الاوطان منقصة * فالمندل الرطب فى أوطانه حطب

قيل ان ملكه كان ثلاثا وعشرين سنة جمع بين ملك مكة والمدينة بعد محاربة بينه وبين بنى حسين ولم يخلف بعده الا بنتا فولى الامر بعده (عبدله) فغضب لذلك بنو الطيب المتقدم ذكره فانتزعوا الملك منه ووقعت بينه وبين بنى أبى الطيب مظالم وأشياء يطول الكلام بذكرها وكان ممن ولى مكة من بنى الطيب (محمد بن أبى الفاتك بن عبد الرحمن بن جعفر) وفى سنة أربعمائة وخمسة وخمسين قدم الى الحج صاحب اليمن على بن محمد الصليحى فدخل مكة سادس ذى الحجة وملكها وانتزعها من بنى أبى الطيب واستعمل العدل والاحسان لاهل مكة فرخصت الاسعار واستراحت الناس جدا وكثر الدعاء له واستمر بمكة الى يوم عاشوراء وقيل الى ربيع الاول فقام الاشراف الحسنيون عليه وقالوا له اخرج الى بلدك واجعل لك بمكة نائبا من شئت فجعل على مكة (محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن هاشم) واستنجد له الصليحى عسكرا وأعطاه مالا وسلاحا وخمسين فارسا وقيل ان الداعى للصليحى على الخروج من مكة ان بنى أبى الطيب كانوا قد انسعوا من مكة لما قصدها الصليحى فجمعوا جموعا وأرسلوا اليه يطالبونه الخروج من مكة وأن يولى عليهم واحدا منهم وكان قد وقع فى جماعته الوباء

• وقال الازرقي أيضا حدثني محمد بن يحيى عن ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى عن أبي المليح أنه قال كان أبو هريرة يقول حج آدم فقضى المناسك فلما حج قال رب لكل عامل أجر قال الله تعالى أما أنت يا آدم فقد غفرت لك وأما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت فباء بذنبه غفرت له فاستقبلته الملائكة بالردم فقالوا بر حجك يا آدم قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام قال وما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وكان آدم عليه السلام اذا طاف يقول هذه الكلمات وكان طواف آدم سبعة أسابيع بالليل وخمسة بالنهار قال نافع وكان ابن عمر رضي الله عنهما يفعل ذلك • وقال الازرقي أيضا حدثني محمد بن يحيى عن ابن عمر قال حدثني هشام بن سليمان المخزومي عن عبد الله بن أبي سليمان مولى بني مخزوم أنه قال طاف آدم عليه السلام سبعا بالبيت ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم فقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفر لي ذنبي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لا يصيبني الا ما كتبت لي والرضا بما قضيت علي فأوحى الله تعالى اليه يا آدم قد دعوتني بدعوات فاستجبت لك ولن يدعوني بها أحد من ولدك الا كشفت هومه وغمومه ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وأتته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها قال فمنذ طاف آدم عليه الصلاة والسلام كانت سنة الطواف

❊ (الثالث بناء أولاد آدم عليه السلام الكعبة المعظمة) ❊ روى الازرقي بسنده الى وهب بن منبه قال لما رفعت الخيمة التي منح الله بها آدم عليه السلام من حلية الجنة حين وضعت له بمكة في موضع البيت ومات آدم عليه السلام فبنى بنو آدم من بعده مكانها بيتا بالطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام فنسفه الغرق وغير مكانه حتى بوئ لابراهيم انتهى • وقال الحافظ أبو القاسم السهيلي في الفصل الذي عقده لبنيان الكعبة وكان بناؤها الاول حين بنى شيث بن آدم عليه السلام انتهى ولعل مراد السهيلي بالاولية بالنسبة الى بناء البشر لا الملائكة وان بناء آدم عليه السلام انما هو الاساس الى أن ساوى وجه الارض وأنزل الله عليه من الجنة البيت المعمور فوضعه على ذلك الاساس والمراد بالخيمة المشار اليها في خبر وهب بن منبه رضي الله عنه هو البيت المعمور ولعلها

ومات منهم نحو سبعمائة فخرج منها على الصورة المذكورة وفي عمدة الطالب انه لما توفي شكر بقيت مكة شاغرة فملكها حمزة بن وهاس بن أبي الطيب داود السليماني وقامت الحرب بين بني موسى وبين بني سليمان قريبا من سبع سنين ثم خلصت للامير محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم وبقيت في أولاده مدة ولم يملكها من السليمانيين سوى حمزة بن وهاس لكن الذي في التواريخ انه ملكها أربعة منهم أبو الطيب ومحمد بن أبي الفاتك كما تقدم قال الفاسي ومحمد بن جعفر هذا أحد ملوك مكة المعروفين بالهواشم وهو أبو هاشم محمد بن جعفر بن عبد الله بن أبي هاشم محمد بن الحسين بن محمد الثائر لانه ثار بالمدينة زمن المعتز بن المتوكل ومحمد الثائر هو ابن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ودامت ولايته الى ثلاثين سنة وفي تاريخ السخاوي نقلا عن الوقائع وفي سنة أربعمائة وسبع وخمسين حج أبو الغنائم نقيب الاشراف ببغداد فأمر أمير مكة محمد بن جعفر بالدعاء في الخطب للعباسيين ولم يدع لصاحب مصر فقطع صاحب مصر الميرة عن أهل مكة فقطع محمد بن جعفر صاحب مكة الدعاء لصاحب مصر فأخذ محمد بن جعفر صاحب مكة قناديل الكعبة وصفائح الذهب التي كانت على الباب واستمر على الخطبة لبني العباس وترك الاذان بحي على خير العمل وقد كانوا أيام العبيديين ألزموهم بذلك فلما بلغ العباسيين ذلك بعثوا اليه بثلاثين ألف دينار فقصده بنو سليمان الحسنيون وهم أولاد سليمان ابن عبد الله بن موسى ويقال لسليمان الحرابي لشجاعته ويقال لبنيه الحرابيون ومعهم حمزة بن وهاس بن أبي الطيب داود بن عبد الرحمن بن أبي الفاتك عبد الله بن داود بن سليمان بن عبد الله الصالح بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلاقاهم محمد بن جعفر المذكور وحاربهم فغلبوه ففر الى ينبع فولي مكة (حمزة بن وهاس) فجمع محمد بن جعفر جموعا وقصد حمزة بن وهاس وكانت بينهم حروب حتى أخذ محمد بن جعفر مكة من حمزة بن وهاس وكان محمد بن جعفر على غاية من القوة والشجاعة كر في بعض حروبه على التركماني فضربه بالسيف فقطع درعه وجسده والفرس حتى وصل السيف الى الارض فبهت الجند واستمر محمد بن جعفر الى أن توفي سنة أربعمائة وأربعة وثمانين فولي مكة أيضا (القاسم بن محمد بن جعفر) كذا قال الفاسي وقال غيره القاسم بن شميل بن محمد بن جعفر قال وهذا البطن يقال لهم الهواشم ولم يزل القاسم على مكة حتى هجم الاصبهيد بن سارتكين في أوائل السنة المذكورة فهرب القاسم وأقام (الاصبهيد بمكة) الى شوال سنة أربعمائة وسبعة وثمانين فجمع القاسم جموعا وكبس الاصبهيد سنة أربعمائة وثمانية وثمانين واستمر القاسم واليا على مكة الى أن توفي في صفر سنة

خيمة غير البيت المرفوع ولعلها رفعت بعد وفاة آدم عليه السلام وأبقى البيت المعمور الى أن رفع زمن الطوفان وفى ذلك ارتكاب المجاز مما يصحح به هذه الروايات المتباينة ظواهرها

﴿الرابع بناء الخليل عليه الصلاة والسلام الكعبة المشرفة﴾

قال السيد الامام التقى الفاسى رحمه الله تعالى أما بناء الخليل عليه السلام فهو ثابت بالكتاب والسنة الشريفة وهو أول من بنى البيت على ماذكره الفاكهى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وجزم الشيخ عماد الدين بن كثير فى تفسيره وقال لم يرد عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام انتهى فهو ينكر ماقدمناه من الآثار فبناء ابراهيم عليه السلام أول بناء بالنسبة الى من بناه بعده لا أول حقيقى والله تعالى أعلم وأحكم • وروى الازرقى رحمه الله فى تاريخه عن ابن اسحق ان الخليل عليه السلام لما بنى البيت جعل طوله فى السماء تسعة أذرع وجعل طوله فى الارض من قبل وجه البيت الشريف من الحجر الاسود الى الركن الشامى اثنين وثلاثين ذراعا وجعل عرضه فى الارض من قبل الميزاب من الركن الشامى الى الركن الغربى الذى يسمى الآن الركن العراقى اثنين وعشرين ذراعا وجعل طوله فى الارض من جانب ظهر البيت الشريف من الركن الغربى المذكور الى الركن اليمانى احدى وثلاثين ذراعا وطول عرضه فى الارض من الركن اليمانى الى الحجر الاسود عشرين ذراعا وجعل الباب لاصقا بالارض غير مرتفع عنها ولا مبوب حتى جعل لها تبع الحميرى بابا وغلقا بعد ذلك وحفر ابراهيم عليه السلام فى بطن البيت على يمين من دخله حفرة لتكون خزانة للبيت يوضع فيها مايهدى الى البيت وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يبنى واسمعيل عليه السلام ينقل له الاحجار على عاتقه فلما ارتفع البنيان قرب له المقام فكان يقوم عليه ويبنى ويحوله له اسمعيل عليه السلام فى نواحى البيت حتى انتهى على موضع الحجر الاسود فقال ابراهيم لاسمعيل عليهما الصلاة والسلام يا اسمعيل ائتنى بحجر أضعه هنا يكون علما للناس يبتدئون منه الطوف فذهب اسمعيل فى طلبه فجاء جبريل عليه السلام الى سيدنا ابراهيم عليه السلام بالحجر الاسود وكان الله عزوجل استودعه جبل أبى قبيس حين طوفان نوح فوضعه جبريل عليه السلام فى مكانه وبنى عليه ابراهيم وهو حينئذ يتلألأ نورا فأضاء بنوره شرقا وغربا وشاما ويمنا الى منتهى انصباب الحرم من كل ناحية وانما سودته أنجاس الجاهلية وأرجاسها

خمسمائة وثمانية عشر وقيل سبعة عشر وكان القاسم بن محمد هذا أديبا شاعرا لطيفا من شعره

قومى اذا خاضوا العجاج حسبتهم • ليلا وخلت وجوههم أقمارا
لايبخلون بزادهم عن جارهم • عدل الزمان عليهم أو جارا
واذا الطراد دعاهم لملمة • بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا
واذا زناد الحرب أذكت نارها • قدحوا باطراف الاسنة نارا

ولما توفى القاسم بن محمد ولى مكة بعده ابنه (فليتة بن القاسم) ويقال له أبو فليتة وكان أديبا فاضلا شاعرا واستمر الى أن توفى سنة خمسمائة وسبعة وعشرين فولى مكة ابنه (هاشم بن فليتة) وفى سنة خمسمائة وتسعة وثلاثين نهب هاشم بن فليتة الحج العراقى بالحرم الشريف وهم يطوفون لفتنة وقعت بينه وبين أمير الحاج العراقى ودامت ولاية هاشم بن فليتة الى سنة خمسمائة وتسعة وأربعين وقيل الى سنة خمسمائة واحدى وخمسين فتوفى فولى مكة ابنه (القاسم بن هاشم) وكان يلقب عمدة الدين وفى سنة خمسمائة وثلاث وخمسين وقعت فتنة بين القاسم وعمه قطب الدين عيسى واستولى على مكة عمه (عيسى) وقال الفاسى ان القاسم لما فر من أمير العراق استولى على مكة عمه عيسى ولهذه الفتنة دخلت هذيل مكة ونهبوها وتعب الناس وفيها صادر القاسم بن هاشم أعيان مكة والتجار والمجاورين وأخذ غالب أموالهم وهرب من مكة خوفا من أمير الحاج ثم ان القاسم جمع جموعا ورجع فخرج عيسى من مكة فملكها القاسم وذلك سنة خمسمائة وسبعة وخمسين وأقام بها أياما يسيرة ثم قتل وسببه أنه قتل قائدا من قواده فتغير عليه أصحابه وكاتبوا عمه عيسى فاقبل عليهم فهرب القاسم وطلع جبل أبى قبيس فسقط عن فرسه فاخذه بعض أصحاب عيسى فقتله فلما سمع بذلك عمه ندم وغسله ودفنه بالمعلا وفى تاريخ السنجارى نقلا عن الوقائع وفى أيام عيسى وقعت فتنة عظيمة بين عسكر عيسى بن فليتة وبين الحج العراقى فقتل من أهل مكة جماعة وأغار عيسى على الحج العراقى وانتهبه ولم يمكنوا من دخول مكة فقفروا مشاة وقد أخذوا جميع جمالهم وأسبابهم وقتل من الفريقين خلق كثير واستمر عيسى بن فليتة الى سنة خمسمائة وخمس وستين فنازعه أخوه مالك بن فليتة واستولى على مكة نحو نصف يوم وجرى بين عسكره وعسكر أخيه فتنة الى وقت الزوال ثم خرج مالك وبقى عيسى ثم عاد مالك سنة سبع وخمسين وخمسمائة ومعه هذيل فخرج اليهم عسكر عيسى فانهزموا ودخل مالك جدة ونهب التجار وأخذ مافى الجلاب

﴿انقراض دولة العبيديين﴾

وفى سنة خمسمائة وسبع وستين كان انقراض دولة العبيديين بمصر وكان آخرهم العاضد وتفاصيل دولتهم

قال ولم يكن ابراهيم عليه السلام سقف البيت ولا بناه بمدر وانما رصه رصا قال وذكر سنده الى عبد الله بن عمر أن جبريل عليه السلام نزل بالحجر على ابراهيم عليه السلام من الجنة وانه وضعه حيث رأيتم وانكم لا تزالون بخير ما دام بين ظهرانيكم فتمسكوا به ما استطعتم فانه يوشك أن يجيء جبريل عليه السلام فيرجع به من حيث جاء به انتهى قال السيد الامام تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى روينا عن قتادة قال ذكر لنا أن الخليل عليه السلام بنى البيت من خمسة أجبل من طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي وحراء قال وذكر لنا ان قواعده من حراء قال ويروى أن الخليل عليه السلام أسس البيت من ستة أجبل من أبي قبيس ومن الطور ومن القدس ومن ورقان ومن رضوى ومن احد وقال الازرقي رحمه الله قال أبي وحدثني جدي عن سعيد ابن سالم عن أبي جريج عن مجاهد أنه قال كان موضع الكعبة قد خفي ودرس زمن الطوفان فيما بين نوح وابراهيم عليهما السلام قال وكان موضعه أكمة حمراء لا تعلوها السيول غير ان الناس كانوا يعلمون أن البيت فيما هنالك من غير تعيين محله وكان يأتيه المظلوم والمتعوذ من أقطار الارض ويدعو عنده المكروب وما دعا عنده أحد الا استجيب له وكان الناس يحجون الى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لابراهيم عليه السلام لما أراد عمارة بيته واظهار دينه وشرائعه فلم يزل منذ أهبط الله آدم الى الارض معظما محترما عند الامم والملل • قال الامام أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي في كتابه العرائس في قصص الانبياء عليهم السلام لما أنجى الله خليله ابراهيم عليه السلام من نار النمرود وآمن به من آمن خرج مهاجرا الى ربه وتزوج ابنة عمه سارة وخرج بها يلتمس الفرار بدينه والامان على نفسه ومن معه فقدم الى مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وكانت سارة من أحسن النساء وكانت لا تعصى ابراهيم وبذلك أكرمها الله تعالى فأتى ابليس الى فرعون وقال ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء فأرسل الجبار الى ابراهيم وقال له ما هذه المرأة منك فقال هي أختي وخاف ان قال هي امرأتي أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الي فرجع ابراهيم الى سارة فقال ان هذا الجبار سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فانك أختي في كتاب الله فانه ليس مسلم في هذه الارض غيري وغيرك ثم أقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم يصلي وقد رفع الله الحجاب بين ابراهيم وسارة ينظر اليها منذ فارقته الى أن عادت

دولتهم مذكورة في التواريخ واستولى على مصر السلطان صلاح الدين الايوبي ودعا للعباسيين ولم يزل عيسى بن فليتة الى أن توفي سنة خمسمائة وسبعين وفي الحج من هذه السنة وقع بين عيسى قبل وفاته وبين أمير الحج العراقي مقاتلة بالزاهر ولما توفي عيسى بن فليتة ولي مكة بعده ابنه (داود بن عيسى) واستمر الى ليلة النصف من رجب سنة خمسمائة واحدى وسبعين فعزله الناصر العباسي فوليها أخوه (مكثر بن عيسى) واستمر الى الموسم ثم عزل وجرى بينه وبين طاشتكين أمير الحج العراقي حرب شديد كان الظفر فيه لطاشتكين وتحصن مكثر بحصن له على جبل أبي قبيس بعد نهب الحجاج وأخذ أموالهم فدخل طاشتكين مكة وأخرجه من الحصن قهرا فهرب ونهبت مكة وأحرقت بها دور كثيرة فلما استقر الحال سلم طاشتكين البلد (للقاسم بن مهنا الحسيني) أمير المدينة فاستمر بمكة ثلاثة أيام فرأى عجزه عن القيام بامارة مكة فراجع في ذلك طاشتكين فولى مكة (داود بن عيسى) السابق ذكره وأمر طاشتكين بهدم القلعة التي كانت على أبي قبيس ولم يوف أكثر الحجاج المناسك في هذا العام

﴿ذكر آخر أمراء مكة الملقبين بالهواشم﴾

قال الفاسي بعد ذكر اعادة داود بن عيسى لامارة مكة ولا نعلم الى متى استمرت غير انه كان يتداول هو وأخوه مكثر امارة مكة ثم انفرد بها مكثر بن عيسى نحو عشر سنين آخرها سنة سبع وتسعين وخمسمائة وهو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم غير ان الآخر هل هي ولايته أو ولاية أخيه داود على الشك والصحيح انها ولاية مكثر وفي أيام مكثر بن عيسى أبطل السلطان صلاح الدين الايوبي صاحب مصر المكس المأخوذ من الحجاج في البحر على طريق عيذاب وكان من لم يؤد بعيذاب يؤخذ منه بجدة وهو سبعة دنانير مصرية على كل انسان وكان يأخذ ذلك أمير مكة وكان سبب ابطاله ان الشيخ علوان الاسدي الحلبي حج فلما وصل الى جدة طولب بذلك فأبى أن يسلم لهم شيأ وأراد الرجوع فلاطفوه وبعثوا الى صاحب مكة وكان الشريف مكثر بن عيسى فأمر باطلاقه ومسامحته فلما طلع الى مكة اجتمع به واعتذر اليه بأن مدخول مكة لا يفي بمصالحنا وهذا الحامل لنا على هذا فكتب الشيخ علوان الى السلطان صلاح الدين وذكر له حاجة أمير مكة وعرفه ان البلد ضعيفة وانها ما تدخل ما يكفيه وان ذلك هو الذي حمله على هذه البدعة الشنيعة فأنعم عليه مولانا السلطان صلاح الدين بثمانية آلاف أردب قمح وقيل بألفي دينار وألفي أردب قمح وأمره بترك هذه المظلمة جزاه الله خيرا وكان الخطيب يدعو في خطبته للخليفة العباسي ثم لمكثر ثم للسلطان صلاح الدين

﴿ذكر من مات في جوف الكعبة من الزحام﴾

اليه اكراماله وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام فلما دخلت سارة على الجبار ورآها فدهش في حسنها ولم يملك نفسه ان مد يده اليها فيبست يده على صدره فلما رأى ذلك أعظم أمرها وقال لها سلي ربك أن يطلق يدي على فوالله اني لا أوذيك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فاطلق يده فوهب لها هاجر وهي جارية قبطية جميلة وردها الى ابراهيم فأقبلت اليه فلما أحس بها انفتل من صلاته وقال مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر ووهبني هاجر وقد وهبتها لك فلعل الله أن يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أيست فوقع ابراهيم على هاجر فحملت وولدت له اسمعيل وأقام ابراهيم بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وايلياء وهو يضيف من يأتيه وقد أوسع الله عليه وبسط له في الرزق والمال والخدم (٣٣) فلما أراد الله هلاك قوم لوط بعث الله رسله يأمرونه بالخروج من بين ظهرانيهم وأمرهم أن يبدؤا فيبشروه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا عليه سربهم وقال لايخدم هؤلاء القوم الا أنا فجاء بعجل سمين مشوى بالحجارة فقربه اليهم فأمسكوا أيديهم فنكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه ثم قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة تخدمهم فبشروه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت * قال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وكانت بلغت تسعين سنة وبلغ ابراهيم مائة وعشرين وقال مجاهد وعكرمة ضحكت أي حاضت في الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت * قال السدي فحملت سارة باسحق وكانت قد حملت هاجر باسمعيل فوضعتا وشب الغلامان فتسابقا فسبق اسمعيل فأخذه ابراهيم وأجلسه في حجره وأخذ اسحق الى جانبه فغضبت سارة وقالت عمدت الى ابن الامة فأجلسته في حجرك وعمدت الى ابني فأجلسته الى جنبك وأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن منها بضعة ولتغيرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فتحيرت في يمينها فقال لها ابراهيم اخفضيها واثقبي أذنها ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء والخفاض بالمعجمات للنساء كالختان للرجال ثم تضارب اسمعيل واسحق كما تهارش الاطفال فغضبت سارة على هاجر وحلفت أن لا تساكنها في بلد واحد وأمرت ابراهيم أن يعزلها عنها فأمر الله تعالى ابراهيم أن يأتي بهاجر وابنها الى مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهي اذ ذاك عضاه وسلم وموضع البيت ربوة حمراء فعمد بها الى موضع الحجر بسكون الجيم فيه وأمرها أن تتخذ

وفي سنة خمسمائة واحدى وثمانين مات في جوف الكعبة من الزحام أربعة وثمانون نفسا وفي سنة خمسمائة وخمسة وثمانين أخذ داود بن عيسى بن فليتة طوق الحجر الاسود وكان من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبعة وتسعون درهما فلما قدم الحاج عزل داود أمير الحج وولى أخاه مكثر وهرب داود الى وادي نخلة ومات هنالك وبه ينتهي الشك السابق ويعلم ان انتهاء دولتهم كانت في ولاية مكثر وفي سنة خمسمائة واثنين وتسعين عند خروج الحاج وقعت بمكة ريح سوداء عمت الدنيا ووقع على الناس رمل أحمر وسقطت أحجار من الركن اليماني من الكعبة الشريفة وقال أبو شامة في ذيل الروضتين في سنة اثنين وتسعين وخمسمائة وقع من الركن قطعة وتحرك البيت الشريف مرارا وهذا شئ لم يعهد وفي سنة خمسمائة وسبعة وتسعين وقيل ثمانية وتسعين وقيل تسعة وتسعين انتزع مكة من مكثر (الشريف قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد الثائر بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه) والشريف قتادة هذا هو جد سادات الاشراف ملوك مكة الى الآن خلد الله ملكهم الى آخر الزمان وبه انقرضت دولة بني فليتة الهواشم وكان الشريف قتادة يكنى أبا عزيز وهو أول من ملك مكة المشرفة من هذا الفخذ الشريف وكان ذا بأس ونجدة وشوكة فجمع بني عمه وأركبهم الخيل قبل أن يملك مكة وحارب الاشراف بني حراب من أولاد عبد الله المحض بن الحسن المثنى ثم استألف منهم جماعة فصاروا معه وملك ينبع والصفراء وسبب طمعه في ملك مكة ما بلغه من عكوف أمرائها الهواشم بني فليتة على اللهو وتبسطهم في الظلم واعراضهم عن العدل اغترارا منهم بما هم فيه من العز والعنف لرعاياهم فتوحش لذلك خواطر جماعة من قوادهم ولما عرف ذلك قتادة منهم اليه وسألهم المساعدة على ما يرومه من الاستيلاء على مكة وبعثه على السير اليها ان بعض الناس فزع اليه مستغيثا به في ظلامة ظلمها بمكة فوعده بالنصر وتجهز في جماعة من قومه فما شعر أهل مكة الا وهو معهم بها وولاتها على ما هم عليه من اللهو والانهماك فلم يكن لهم بمقاومته طاقة فملكها دونهم وقيل انه لم يأت اليها بنفسه في ابتداء ملكه لها وانما أرسل اليها ابنه حنظلة فملكها وأخرج منها مكثر بن عيسى بن فليتة وقاتل حنظلة بن قتادة ولم يحصل لمحمد ظفر وعمت البلاد لقتادة فجاء اليها قتادة بنفسه بعد ولده حنظلة سنة ستمائة وواحد وعلى القول الاول قالوا ان قتادة دخل مكة بغتة يوم السابع والعشرين من رجب وكانت ملوك مكة تخرج في مثل ذلك اليوم الى التنعيم تعتمر مع غالب أهل مكة اتباعا لعبد الله بن الزبير في اعتماره في مثل هذه الليلة فدخل الشريف قتادة من أعلى مكة فرجع الشريف مكثر وجماعته فحاربوهم

عريشا ثم انصرف فتبعته هاجر فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرجعت عنه وكان معها شن ماء فنفد فعطشت وعطش ولدها فنظرت الى الجبل فلم ترداعيا ولا مجيبا وصعدت على الصفا فلم تر أحدا ثم هبطت وعينها من ولدها حتى نزلت فغابت عنه فهرولت حتى صعدت من الجانب الآخر واستمرت الى ان صعدت المروة فما رأت أحدا فترددت لذلك سبعا وعادت الى ولدها وقد نزل جبريل عليه السلام فضرب موضع زمزم بجناحه فنبع الماء فبادرت هاجر اليه وحبسته عن السيلان كي لا يضيع الماء * وفي لفظ النبوة لولا أم اسمعيل لكانت عينا معينا فشربت وأرضعت ولدها وقال لها جبريل لا تخافي الضيعة فان ههنا بيتا لله عزوجل يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله * قال الامام أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي في تفسيره لا يجوز لاحد أن يتعلق بهذا في جواز طرح ولده وعياله بأرض مضيعة اتكالا على العزيز الرحيم واقتداء بفعل ابراهيم الخليل عليه السلام فانه فعل ذلك بأمر الله تعالى * وقد روى ان سارة لما غارت من هاجر لما ولدت اسمعيل خرج بها ابراهيم عليه السلام الى مكة وأنزل ابنه وأمه هنالك وركب منصرفا من يومه وكان ذلك كله بوحي من الله تعالى ﴿ولماء زمزم من الشرف والخواص والمزايا ما لا يوجد لغيره﴾ في المستدرك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ماء زمزم لما شرب له ورجاله موثقون الا أنه اختلف في ارساله ووصله وارساله أصح كذا في فتح الباري بشرح البخاري * وروى الدارقطني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له وان شربته لتشبعك أشبعك الله به وان شربته لقطع ظمئك قطعه وهي ضربة جبريل وسقيا الله اسمعيل * وعن عكرمة قال كان ابن عباس اذا شرب من زمزم قال اللهم انى أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء * وفي صحيح البخاري قال أبو ذر رضي الله عنه ما كان لي طعام الا ماء زمزم أجتزى به ثلاثين ما بين يوم وليلة فسمنت حتى تكسرت على بطني وما أجد على كبدي سخفة جوع * وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر انه طعام طعم زاد الطيالسي من الوجه الذي أخرجه مسلم وشفاء سقم * قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله وهذا موجود فيه الى يوم القيامة لمن صحت نيته وسلمت طويته ولم يكن مكذبا ولا اشربه مجربا (قلت) ومن عجيب ما اطلعت عليه من كتاب وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى للسيد نور الدين السمهودي الشافعي عالم المدينة في

وكان الظفر له عليهم فهربوا الى وادي نخلة قال الشيخ أحمد بن الفضل باكثير ووقع حرب أيضا بين الشريف قتادة وصاحب المدينة الشريف سالم بن قاسم الحسيني وفي ذلك يقول الشريف قتادة

(مصارع آل المصطفى عدن مثل ما • بدأن ولكن صرن بين الاقارب)

ثم حارب ثقيفا وأهل الطائف وتملك البلاد منهم واتسع ملكه واتسعت ولايته من بلاد اليمن الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وعظم شأنه جدا وصار له صيت في العرب لم يكن لغيره وكان فاضلا أديبا شاعرا وله الشعر البليغ وكانت ولادته في حدود سنة سبع وعشرين وخمسمائة وتوفي بمكة سنة سبع عشرة وستمائة في سن التسعين ولقتادة شعر بليغ يشهد بنبله وسموالهمم العلية لمثله وذلك ان الخليفة الناصر العباسي طلب الشريف قتادة يأتيه ببغداد فسار متوجها اليه الى أن وصل النجف وبلغ الخليفة وصوله فأخرج للقائه العلماء والاعيان وكبراء الدولة وكان مما أخرجوا معهم أسد في سلسلة فلما رآه الشريف قتادة تطير وقال مالي ولارض تذل فيها الاسود والله لا دخلتها ورجع من النجف ولم يدخل العراق فلما بلغ ذلك الناصر كتب اليه يعاتبه فكتب اليه الشريف قتادة الجواب ومن جملته قوله

(بلادي وان جارت علي عزيزة • ولو أنني أعرى بها وأجوع)
(ولي كف ضرغام اذا ما بسطتها • بها اشتري يوم الوغى وأبيع)
(معودة لثم الملوك لظهرها • وفي بطنها للمجدبين ربيع)
(أأتركها تحت الرهان وأبتغي • بها بدلا اني اذا لرقيع)
(وما أنا الا المسك في أرض غيركم • أضوع وأما عندكم فأضيع)

قيل لما جاءه كتاب الناصر المشتمل على العتاب في رجوعه أرسل له الناصر معه مال وكسوة فاخرة ولم يظهر له التعب مما جرى من فعله وجعل الامير الذي جاء بالكتاب يستدرجه ويخدعه ويحثه على التوجه للقاء الخليفة ويقول له ليس كمال الخدمة الا تقبيل العتبة ولا عز الدنيا والآخرة الا بنيل هذه المرتبة فقال له الشريف قتادة أنظر في ذلك ثم جمع بني عمه وعرفهم ان ذلك استدراج لهم وقال لهم يا بني الزهراء عزكم الى آخر الدهر مجاورة هذه البنية والاجتماع في بطحائها واعتمدوا بعد اليوم ان تعاملوا هؤلاء بالشر يرهبوكم من طريق الدنيا والآخرة ولا يرغبونكم بالمال والعدد فان الله قد عصمكم وعصم أرضكم بانقطاعها وانها لا تبلغ الا بشق الانفس ثم غدا الشريف على الامير وقال له اسمع الجواب وأنشده الابيات المتقدمة فقال الامير يا شريف أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفة ابن عمك وأنا مملوك تركي لا أعلم من الامور التي في الكتب ما علمت ولكن

عصره ومؤرخها ومحدثها وقد أخذنا عمن أخذ عنه فروى عنه بواسطة قال ان بالمدينة بئر زمزم ولم تزل أهل المدينة قديما وحديثا يتبركون بها ويشربون من مائها وينقلون منه الى الآفاق كما ينقل ماء زمزم لبركتها انتهى * رجعنا الى القصة قال ومرت رفقة من جرهم يريدون الشام فرأوا طيرا يحوم على جبل أبي قبيس فقالوا ان هذا الطير يحوم على ماء فتبعوه فأشرفوا على بئر زمزم فقالوا لهاجر ان شئت نزلنا معك وآنسناك والماء ماؤك نشرب منه فاذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة وتوفيت هاجر وقبرها في الحجر بسكون الجيم وشب اسمعيل فتزوج اسمعيل من جرهم وتكلم بلسانهم فتعرب فيقال لبني اسمعيل العرب العاربة والعرب العرباء وكان لسان ابراهيم عبرانيا ولسان اسمعيل * ثم ان ابراهيم  عليه السلام استأذن سارة ان يزورها جروابنها

فاذنت له واشترطت أن لا ينزل عندها فقدم ابراهيم مكة وقد ماتت هاجر فاتى الى بيت اسمعيل فوجد امرأته فسألها أين صاحبك فقالت ذهب يتصيد وكان اسمعيل عليه السلام يخرج من الحرم الى الحل يتصيد ما يتعيش به فقال لها عندك ضيافة من طعام أو شراب قالت ليس عندي شئ فقال لها اذا جاء زوجك فأقرئيه مني السلام وقولي له غير عتبة بابك فذهب ابراهيم عليه السلام فلما جاء اسمعيل قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا أقرأك السلام وقال غير عتبة بابك فقال الحق باهلك وتزوج غيرها فمكث ابراهيم مدة ثم استأذن سارة أن يزور اسمعيل فاذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم الى مكة وقدم على منزل اسمعيل فوجده غائبا في الصيد فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد ورحبت به وقالت اجلس يرحمك الله وجاءت بلحم ولبن فاكل وشرب فقالت له 

يا عم هلم حتى أغسل رأسك وأزيل شعثك وجاءته بحجر وهو حجر المقام الذي بني عليه الكعبة فجلس عليه فغاصت رجلاه في الحجر فغسلت شقه الايمن ثم الايسر ثم أفاضت الماء على رأسه وبدنه الى أن فرغت من تنظيفه فقام من عندها وتوجه من حيث جاء وقال لها اذا جاء صاحبك فاقرئي عليه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فالزمها * فلما جاء اسمعيل وجد رائحة أبيه فقال هل جاءك أحد قالت جاءني شيخ من أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فأضفته وسقيته وغسلته وهذا موضع قدميه وحين توجه أقرأك السلام وقال لك كذا وكذا فقال نعم أمرني أن أثبت معك وقبل موضع قدم أبيه من الحجر وحفظه يتبرك به الى أن بني عليه فيما بعد

---

قد رأيت ان هذا من شرف العرب الذين يسكنون البوادي وحاشا الله أن أحمل هذه الابيات عنك الى الديوان فأكون قد جنيت على بيت الله وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وبني بنته رضي الله عنها والله لو بلغ هذا الى حيث أشرت يعني الخليفة لترك كل وجه وحول جميع الوجوه اليك حتى يفرغ منك مالهذا ضرورة انه ان كان خطر ببالك انهم استدرجوك فلا تسر اليهم وقل جميلا فأصغى اليه الشريف قتادة وشكر رأيه ثم قال ما الرأي عندك قال الرأي عندي أن ترسل من أولادك من ان وقع عليه شئ ما يهملك ولا يقع ان شاء الله ومعاذ الله أن يجري الا ما تحبه وسترى ان شاء الله من الخير ما لا يخفى عنك فأعجبه قوله وفعل فبعث ابنه راجحا ومعه أشياخ من الشرفاء فدخلوا بغداد واجتمعوا بالخليفة الناصر وقابلهم بالاعزاز والاكرام وأنزلهم أشرف الاماكن ثم عادوا الى مكة وكان الشريف قتادة عندذكر هذه القضية يقول لعن الله أول رأي عند الغضب ولا أعدمنا عاقلا ناصحا يثبتنا عند ذلك وقيل ان الخليفة لما بلغته الابيات السابقة كتب اليه أما بعد فاذا نزع الشتاء جلبابه ولبس الربيع أثوابه قابلناكم بجنود لا قبل لكم بها ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون فلما أحس الشريف قتادة بالشر كتب الى بني عمه بني حسين بالمدينة يستنجدهم ومن جملة كتابه قوله

(بني عمنا من آل موسى وجعفر * وآل حسين كيف صبركم عنا)
(بني عمنا انا كافنان دوحة * فلا تتركونا يجتني الفنا فنا)
(اذا ما أخ خلى أخاه لآكل * بدا بأخيه الاكل ثم به ثنا)

فلما أقبلت الجنود الناصرية أتته بنو حسين فكسروها وبددوا شملها فلما رأى الخليفة الناصر شدة بأسه مدحه على سيرته وأولاه صفا سريرته وأقطعه قرى متعددة وتوفي الشريف قتادة سنة سبع عشرة وستمائة في سن التسعين كما تقدم قيل ان ولده الحسن قتله خنقا وكان مريضا والله أعلم بحقيقة الحال فولي مكة (الحسن بن قتادة) المذكور وكان للشريف قتادة كثير من الاولاد منهم الحسن وراجح وادريس وعلي فتولى مكة بعد قتادة الحسن وكان فاتكا جريا أقتل اقباش الناصري لاتهامه أنه واطأ راجح بن قتادة أن يوليه مكة ثم علق رأسه في ميزاب الكعبة واستمر على ولاية مكة الى سنة ستمائة وتسعة عشر فانتزعها منه الملك المسعود صاحب اليمن من قبل أبيه ملك مصر والملك المسعود هو يوسف الملقب اقسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب مصر وأبو بكر العادل هو أخو السلطان صلاح الدين كان ملك مصر فيه وفي أولاده بعد أخيه صلاح الدين قدم الملك المسعود من اليمن الى مكة ومعه جيش ففاربه الشريف حسن ثم كان

ابراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبة لما بناها هكذا في قصص الانبياء * وروى فيها أيضا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال أشهد ثلاث مرات انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس نورهما ولولا أن طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب ثم لما أمر الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام ببناء بيته الشريف قدم الى مكة و بناها كما قدمناه فلما فرغ من بناء بيت الله الحرام أمره أن يؤذن الناس بالحج فقال يارب وما عسى أن يبلغ مدا صوتي فقال عليك الأذان وعلينا البلاغ فطلع على جبل ثبير ونادى ياعباد الله ان ربكم قد بنى بيتا وأمركم أن تحجوه فحجوه وأجيبوا داعي الله فأسمع الله صوته جميع من في الدنيا ومن سيولد ممن هو في أصلاب الرجال الآباء وأرحام الامهات (وأما أمر الله تعالى ابراهيم بذبح ولده اسمعيل عليهما السلام) فقد اختلف العلماء في أن المأمور بذبحه اسمعيل أو اسحق فقال قوم هو اسحق وذهب اليه عمر بن الخطاب وعلى ابن أبي طالب رضي الله عنهما وذهب عبد الله بن عمرو وابن المسيب والشعبي ومجاهد والحسن البصري رضي الله عنهم أنه اسمعيل قال الامام أبو زكريا النووي رحمه الله تعالى في كتابه تهذيب الاسماء واللغات اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في الذبيح هل هو اسمعيل أو اسحق عليهما السلام والاكثرون على أنه اسمعيل عليه السلام انتهى وممن رجح كون الذبيح اسمعيل عليه الصلاة والسلام الحافظ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى قال في ترجمته وهو الصحيح وروى عن كعب الاحبار عن رجال قالوا لما أرى ابراهيم في المنام أنه يذبح ابنه وتحقق انه أمر به قال لابنه يابني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب لاهلنا فاخذ المدية والحبل وتبع والده فقال الشيطان لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل الشيطان رجلا فأتى أم الغلام فقال لها أتدرى أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب لنا من هذا الشعب فقال الشيطان لا والله ماذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أشفق به وأشد حبا له فقال لها انه يزعم ان الله أمره بذلك قالت ان كان الله تعالى قد أمره بذلك فليطع أمره فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال ياغلام هل تدرى أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب فقال لا والله مايريد الا ذبحك فقال لاى شئ فقال زعم ان الله أمره بذلك

الظفر للملك المسعود وهرب الشريف حسن ولما تملك الملك المسعود من مكة جعل أمرها نيابة (لنور الدين على بن عمر بن رسول) ورتب له عسكرا فقصده الحسن بن قتادة بجيش جاء به من ينبع سنة عشرين وستمائة فخرج اليه نور الدين الى الحديبية وكسره فهرب الحسن راجعا ثم رحل الى الشام ثم الى العراق ووصل الى بغداد فادركه أجله هناك وفي سنة ستمائة وستة وعشرين ولى مكة للملك المسعود عتيقه (صارم الدين ياقوت المسعود) ثم توفى في تلك السنة الملك المسعود فاستولى على اليمن بعده نور الدين عمر بن على بن رسول وبويع بالسلطنة وتلقب بالملك المنصور ولما توفى الملك المسعود كان أبوه الملك الكامل صاحب مصر موجودا فولى على مكة (طغتكين التركى) أحد خدامه قال ابن خلكان ولقد حكى الى من حضر الخطبة بمكة يوم الجمعة فسمع الخطيب يقول على المنبر في حق الملك الكامل صاحب مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين ورب العلامتين وخادم الحرمين الشريفين المحترمين الملك الكامل خليل أمير المؤمنين وفي سنة ستمائة وتسعة وعشرين وقيل سبع وعشرين اتصل راجح بن قتادة بنور الدين عمر بن على بن رسول صاحب اليمن فلم يزل به ويحسن له أخذ مكة حتى بعث معه جيشا الى مكة فأخرجوا نائب الملك الكامل وهو طغتكين التركى ثم جاء جيش من الملك الكامل فأخرجوا راجحا ومن معه ثم وليها (راجح بن قتادة) مع عسكر من صاحب اليمن سنة ثلاثين وستمائة ثم وليها (عسكر الملك الكامل) في آخر هذه السنة وخرج منها راجح كذا في تاريخ السنجاري والحاصل أنه من سنة ست وعشرين وستمائة وما بعدها كانت ولاية مكة لملوك اليمن وعساكرها وملوك مصر وعساكرها ولم تصف مكة لآل قتادة بل كانوا مع ملوك اليمن اما أصولا أو نوابا ثم صفا الامر للشريف راجح بن قتادة ودامت ولايته الى آخر ذى الحجة سنة احدى وخمسين وستمائة وهذا اجمال تحته تفصيل ينطوي على عجائب تدل على همة هذا السيد الشريف الجليل وان كان فيها تطويل وقد بسط ذلك العلامة الرضي في تاريخه وان كان في بعض ماذكره مخالفة لما في تاريخ السنجاري باعتبار تواريخ الازمان فلنذكر عبارة الرضي بتمامها قال العلامة الرضي في تاريخه ذكر أهل التواريخ المعتمدة انه في سنة ستمائة وست وعشرين التى توفى فيها الملك المسعود وصل جيش من مصر ومعه أمير عظيم من أمراء مصر يسمى صفتكين ودخل مكة وكان فيها نور الدين ففر نور الدين الى اليمن واستمر بها جيش مصر الى سنة سبعة وعشرين وستمائة فوصل جيش من صاحب اليمن نور الدين عمر بن على بن رسول وصحبته الشريف راجح بن قتادة فاستولوا على مكة فجهز صاحب مصر الملك الكامل جيشا كبيرا فقاتلوا الشريف راجحا فانكسر واستولوا على مكة بأميرهم

قال فليفعل ما أمره الله تعالى به وسمعا وطاعة لامر الله تعالى فاقبل الشيطان الى ابراهيم عليه السلام فقال أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه فقال اني أرى أن الشيطان خدعك بهذا المنام الذي رأيت انك تريد ذبح ابنك وفلذة كبدك فتندم بعد ذلك حيث لا ينفعك الندم فعرفه ابراهيم عليه السلام فقال عني يا ملعون فوالله لامضين لامر ربي فنكص ابليس على عقبيه ورجع بخزيه وغيظه فلما خلا ابراهيم في الشعب ويقال ذلك في ثبير قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فقال تحدثت ان اسمعيل قال له عند ذلك يا أبتاه اذا أردت ذبحي فاشدد رباطي لا يصيبك من دمي فينقص أجري وان الموت شديد ولا آمن أن أضطرب عنده اذا وجدت مسه واستحد شفرتك حتى تجهز علي فتذبحني فاذا أنت أضجعتني لتذبحني فأكبني على وجهي ولا تضجعني لشقي فاني أخشى ان أنت نظرت الى وجهي ان تدركك الرقة فتحول بينك وبين أمر ربك في وان رأيت ان ترد قميصي الى أمي فاني أرجو ان يكون أسلى لها فافعل فقال ابراهيم نعم العون أنت يا بني على أمر الله ويقال انه ربطه كما أمره بالحبل فأوثقه ثم شحذ شفرته ثم تله للجبين واتقى النظر الى وجهه ثم أدخل الشفرة حلقه فقلبها جبريل عليه السلام لقفاها في يده ثم اجتذبها اليه ونودي أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فهذه ذبيحة فداء لابنك فاذبحها دونه وأتاه بكبش من الجنة قال ابن اسحق حدثني الحكم بن عيينة عن مجاهد عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أخرج الله هذا الكبش من الجنة قيل رعى قبل ذلك أربعين عاما قال الفاكهي ذكر أهل الكتاب وكثير من العلماء أن الكبش وهو الذي فدى به اسمعيل كبش أملح أقرن أعين ثم روى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه هو القربان المتقبل من أحد ابني آدم * فانظر رحمك الله الى طاعة هذا الوالد أمر الله تعالى من ذبح ابنه قرة عينه وقطعة كبده والى طاعة هذا الولد أمر الله تعالى وأمر والده وانقياده الى ذلك راضيا مستسلما باذلا روحه لله تعالى وانظر الى هذه الوالدة الشفيقة الرحيمة واطاعتها لامر الله تعالى واطاعة زوجها * اللهم صل وسلم عليهما أفضل صلاتك وسلامك وعلى سائر الانبياء والمرسلين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وانفعنا ببركاتهم أجمعين وارزقنا التوفيق وحسن اليقين آمين * قال الازرقي ثم ولد لاسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام من زوجته

---

الاول طفتكين فأسرف في القتل ونهب البلاد وأخاف أهل مكة خوفا شديدا ثم عاد الشريف راجح بجمع عظيم وأمده صاحب اليمن بعسكره فقدم مكة وطرد أمير صاحب مصر فلما بلغ الملك الكامل صاحب مصر ذلك جهز عسكرا مع الحاج فلما بلغ ذلك الشريف راجح خرج من مكة ودخل عسكر مصر من غير محاربة وذلك في سنة ثلاثين وستمائة ثم في سنة احدى وثلاثين جهز الملك المنصور صاحب اليمن عسكرا ومعهم الشريف راجح فدخلوا مكة وأخرجوا أمير صاحب مصر فلما أن وصل الحاج بلغ الشريف راجحا أن السلطان الملك الكامل صاحب مصر واصل بنفسه على النجائب فخرج الشريف راجح فجاء الملك الكامل وحج فلما رجع عاد الشريف راجح الى مكة وفي سنة اثنين وثلاثين وصل عسكر من مصر وأخرجوا الشريف راجحا فتوجه الى اليمن فبعث معه المنصور بخزانة وعسكر فخرج اليه عسكر مصر ووقع بينهما قتال كبير انكسر فيه عسكر الشريف راجح هذا كله الى سنة أربع وثلاثين وستمائة وفي سنة خمس وثلاثين قدم السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول في ألف فارس فتلقاه الشريف راجح في ثلاثمائة فارس ودخلوا مكة وخرج عسكر مصر وتصدق نور الدين على أهل مكة باموال كثيرة وفي هذه السنة مات الملك الكامل صاحب مصر وخطب بمكة لصاحب اليمن المنصور وأقام الشريف راجح في ولاية مكة الى سنة سبع وثلاثين وستمائة وفي هذه السنة أرسل صاحب مصر الملك الصالح بن الملك الكامل ألف فارس ومعهم الشريف شيحة بن قاسم الحسيني أمير المدينة فلما سمع بهم الشريف راجح خرج من مكة فدخلها الشريف شيحة فلما بلغ ذلك صاحب اليمن جهز عسكرا الى مكة مع الشريف راجح فلما أحس بهم الحسيني فر هاربا من مكة وأخلاها وفي سنة تسع وثلاثين وستمائة أرسل صاحب مصر عسكرا الى مكة فلما بلغ صاحب اليمن تجهز وخرج الى مكة بجيش كثير فهرب المصريون وأحرقوا دار السلطنة بمكة فدخل السلطان نور الدين علي بن رسول مكة وصام رمضان بها وأبطل المكوس والجبايات وأعرض عن ولاية الشريف راجح وأرسل يطلب الشريف أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة وولاه مكة فذهب الشريف راجح الى المدينة واستنجد أخواله من بني حسين على ابن أخيه الحسن بن علي بن قتادة فأنجدوه فخرج راجح معهم من المدينة ومعهم سبعمائة فارس قاصدا مكة ومعهم الامير عيسى الملقب بالحرون وكان فارس بني حسين في زمانه فبلغ ذلك الشريف أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة وكان ابنه أبو نمي في ينبع فأرسل اليه يطلبه وعمر أبي نمي في ذلك الوقت سبع عشرة سنة أو ثماني عشرة فخرج في أربعين من ينبع قاصدا مكة فصادف القوم سائرين فلما صادفهم حمل عليهم بالاربعين الذين معه وهم سائرون فهزمهم ورجعوا الى المدينة مغلوبين وفي ذلك يقول السيد جعفر بن محمد بن معية الحسني

السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي اثنا عشر رجلا منهم ثابت بن اسمعيل وقيدار بن اسمعيل وقطور بن اسمعيل وكان عمر اسمعيل مائة وثلاثين عاما ومات ودفن في الحجر مع أمه فولي البيت بعده ثابت بن اسمعيل ونشر الله العرب من ثابت وقيدار فكثروا ونموا ثم توفي ثابت فولي البيت بعده جده لامه مضاض بن عمرو الجرهمي وضم بني ثابت بن اسمعيل وصار ملكا عليهم وعلى جرهم نزلوا بقيقعان بأعالي مكة وكانوا أصحاب سلاح كثير وتقعقع فيهم وصارت وكانوا نازلين باسفل ونزلوا بأجياد وكانوا أصحاب خيل وغيره وكان الامر بمكة لمضاض بن عمرو ودون السميدع الى أن حدث بينهما البغي واقتتلوا فقتل السميدع وتم الامر لمضاض بن عمرو وفي ذلك يقول ونحن قتلنا سيد الحي عنوة • فأصبح فيها وهو حيران موجع (٢٧) وما كان يبغي ان يكون خلافنا • بها ملك حتى أتانا السميدع

فذاق وبالا حين حاول ملكنا • وعالج منا غصة تتجرع

فنحن عمرنا البيت كنا ولاته • ندافع عنه من أتانا وندفع

وما كان يبغي ان يلي ذاك غيرنا • ولم يك حي قبلنا ثم يمنع

وكنا ملوكا في الدهور التي مضت • وكنا ملوكا لا نرام فتوضع

ثم نشر الله بني اسمعيل وخؤلتهم جرهما وكانت جرهم ولاة البيت لا ينازعهم بنو اسمعيل لخؤلتهم وقرابتهم فلما ضاقت عليهم مكة انتشروا في الارض فلا يأتون قوما ولا ينزلون بلدا الا أظهرهم الله عليهم بدينهم وهو يومئذ دين ابراهيم حتى ملكوا البلاد ونفوا عنهم العماليق وكانوا ولاة مكة وكانوا ضيعوا حرمة الحرم واستحلوها واستخفوا بها فاخرجهم الله من أرض الحرم قال ثم ان جرهما استخفت بامر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام وأحدثوا فيها ما لم يكن قبل ذلك فقام فيهم مضاض بن عمرو بن الحارث بن عمرو خطيبا فقال يا قوم احذروا البغي فقد رأيتم من كان قبلكم من العماليق كيف استخفوا بالبيت فلم يعظموه فسلطكم الله عليهم وأخرجتموهم فتفرقوا في البلاد وتمزقوا كل ممزق فلا تستخفوا بحق بيت الله تعالى فيخرجكم منه فلم يطيعوه ودلاهم الشيطان بالغرور وقالوا من يخرجنا ونحن أعز العرب وأكثرها رجالا وسلاحا فقال لهم اذا جاء أمر الله بطل ما تقولونه فلما رأى مضاض بن عمرو ذلك عمد الى غزالتين من ذهب كانتا في الكعبة وما وجد فيها من الامور التي كانت تهدى الى الكعبة ودفنها في بئر زمزم وقد نضب ماؤها فحفرها بالليل وأعمق الحفر ودفن فيها تلك الغزالتين والاموال وطم

وهو اذ ذاك لسان بني حسن بالعراق من قصيدة يذكر فيها تلك الواقعة ويمدح أبا نمي ويحسن فعله

ألم يبلغك شأن بني حسين • وفرهم وما فعل الحرون

فيالله فعل أبي نمي • وبعض الناس يشبهه الجنون

يصف بار بعين على مئين • وكم من كثرة طلبت تهون

ثم ان أبا نمي دخل مكة بعد هزم الجيش مسرورا منصورا فاكرمه أبوه بان جعله شريكاله في الملك وكان أبوه الحسن بن علي بن قتادة من الشجاعة بالمحل الاعلى وكانت أمه أم ولد حبشية يحكى أنه كان في بعض حروبه فلحقته أمه في هودج ودعته فلما جاءها قالت له يا بني انك تقف اليوم موقفا ان ظفرت فيه بعدوك قال الناس ظفر ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هربت قال الناس هرب ابن الامة السوداء فانظر لنفسك فانه لا موت قبل فراغ العمر فشكر لها ذلك وقال جزاك الله خيرا فلقد نصحت وأبلغت ثم ردها وقاتل قتالا ما سمع بمثله حتى ظفر وأقام الحسن بن علي بن قتادة على ولاية مكة أربع سنين وفي سنة احدى وخمسين وستمائة قدم الشريف (جماز بن حسن بن قتادة) من دمشق في عسكر من الملك الناصر على انه يأخذ له مكة ويخطب له بها فدخل مكة في رمضان واستولى عليها وقتل الحسن بن علي بن قتادة ثم نقض العهد السابق مع الناصر وخطب للملك المظفر بن المنصور صاحب اليمن واستمر الى الحج فقدم عمه الشريف راجح بن قتادة بجيش واستولى على مكة وخرج منها جماز بن الحسن بن قتادة بلا قتال وكانت هذه الولاية للشريف راجح آخر ولايته بمكة واستمر فيها الى شهر ربيع الاول سنة ثنتين وخمسين وستمائة فهجم على مكة ابنه (غانم بن راجح) وانتزع الملك من أبيه وتوفي الشريف راجح سنة أربع وخمسين وستمائة وكان شجاعا طوالا من الرجال اذا قام تصل يده الى ركبتيه واستمر غانم بن راجح الى شوال من السنة المذكورة فانتزعها منه (أبو نمي وعمه ادريس بن علي بن قتادة) بعد قتال بينهم مات فيها ثلاثة أنفار واستمرا الى الخامس والعشرين من ذي القعدة فجاء بجيش المبارز بن علي بن الحسن بن برطاس من الملك المظفر صاحب اليمن فجمع ادريس وأبو نمي جموعا فقاتلوا ابن برطاس وهزموه وأسروه ثم افتدى نفسه ورجع من حيث جاء ولم يحج أحد تلك السنة لهذه الفتنة وفي سنة أربع وخمسين وستمائة تنازع ادريس وأبو نمي ثم اصطلحا واستمرا الى سنة سبع وستين وستمائة فتنازعا وانفرد بها أبو نمي وأخرج عمه ادريس وخطب لصاحب مصر السلطان بيبرس وحج السلطان بيبرس تلك السنة فتلقاه الشريف أبو نمي وأصلح بينه وبين عمه ادريس واشترك معه في أمر مكة ثم توجه الى بلده فانفرد بها ادريس وأخرج أبا نمي فبعد أربعين يوما جمع جموعا وقصد مكة فخرج اليه الشريف ادريس والتقيا بخليص فقتل

البئر واعتزل جرهما وأخذ معه بنى اسمعيل وخرج من مكة فجاءت خزاعة فأخرجت جرهما من البلاد ووليت أمر مكة وصاروا أهلها فجاءهم بنو اسمعيل وكانوا قد اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة فسألوا خزاعة السكن معهم فأذنوا لهم وسألهم فى ذلك مضاض بن عمرو الجرهمى وكان قد اعتزل أيضا حرب جرهم وخزاعة ولم يدخل بينهما واستأذنهم ان يساكنهم فأبت خزاعة وقالت من قارب الحرم من جرهم فدمه هدر فنزعت ابل لمضاض بن عمرو فدخلت مكة فأخذتها خزاعة وصارت تنحرها وتأكلها فتبع مضاض أثرها فوجدها فى بطن وادى مكة فابصر الابل تنحر وتؤكل ولا سبيل اليها ورأى انه ان هبط الوادى قتل فولى منصرفا الى أهله وأنشأ يقول

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ٭ أنيس ولم يسمر بمكة سامر



ولم يتربع واسطا فجنوبه ٭ الى المنحنى من ذى الاراكة حاضر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ٭ صروف الليالى والجدود العواثر

وأبدلنا منها الامى دار غربة ٭ بها الذيب يعوى والعدو محاصر

وكنا ولاة البيت من بعد نابت ٭ نطوف بهذا البيت والخير ظاهر

وكنا لاسمعيل صهرا وجيرة ٭ فأبناؤه منا ونحن الاصاهر

فأخرجنا منها المليك بقدرة ٭ كذلك يا للناس تجرى المقادر

وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة ٭ كذلك عضتنا السنون الغوابر

وسحت دموع العين تبكى لبلدة ٭ بها حرم أمن وفيها المشاعر

بواد أنيس لا يطار حمامه ٭ ولا ينفرن يوما لديها العصافر

وفيها وحوش لا تريب أنيسه ٭ اذا خرجت منها فما ان تغادر

فياليت شعرى هل يعمر بعدنا ٭ ظلماهما جياد ومفضى سيله والظواهر

وهل فرج يأتى بشئ نريده ٭ وهل جزع ينجيك مما تحاذر

وانطلق مضاض بن عمرو ومن معه الى اليمن وهم يحزنون على مفارقة مكة وحازت خزاعة حجابة بيت الله الحرام وولاية أمر مكة وفيهم بنو اسمعيل لا ينازعونهم فى شئ ولا يطلبونه الى أن كبر شأن قصى بن كلاب بن مرة فاستولى على حجابة البيت وأمر مكة وكان قصى أول رجل من بنى كنانة أصاب بمكة فكانت اليه الحجابة والرفادة والسقاية والقيادة وهو الذى جمع أمر قيس فسمى مجمعا بكسر الميم المشددة وفى ذلك يقول القائل

أبوهم قصى كان يدعى مجمعا ٭ به جمع الله القبائل من فهر

هم ملكوا البطحاء مجدا وسوددا ٭

الشريف ادريس وذلك سنة تسع وستين وستمائة فدخل أبو نمى مكة واستقل بولايتها فاستنجد غانم ابن ادريس بجماز بن شيحة صاحب المدينة فجمع جموعا وقصد مكة وأخرج أبا نمى ثم عاد أبو نمى بعد أربعين يوما ومعه جموع فأخرجهما واستمر بها

﴿ذكر من مات من الزحام بباب العمرة﴾

قال الفاسى وفى سنة ستمائة وسبعة وسبعين مات من الزحام بباب العمرة ثمانون رجلا وفى سنة ستمائة وثلاثة وثمانين وقعت فتنة بين الشريف أبى نمى وبين بنى أخيه وأعانهم عليه عسكر وردوا من اليمن فخرج الشريف أبو نمى من مكة وجمع جموعا وأخرج بنى أخيه والعسكر اليمنى فورد جيش من مصر مع الحج لاخراج أبى نمى وكان على مكة سور فاغلق أبو نمى أبواب السور ومنعهم من الدخول فحاصروه وأحرقوا باب السور من جهة المعلا ودخلوا مكة وفر من مكة أبو نمى زمن الحج فاقام بمكة ثلاثة آلاف فارس مع نائب من قبل صاحب مصر فاتفق أن خرج منهم ناس الى جهة منى فكمن لهم أبو نمى فى تلك الناحية وهجم عليهم فقتل أميرهم ثم نادى مناديه من قتل رجلا فله فرسه وسلبه ففتكت العرب بالترك وأخذوا خيلهم وسلاحهم ثم دخل العرب مكة وصدقوا معه فكسروا ما وجدوه بمكة من العسكر وفر من فر الى مصر فلما بلغ ذلك صاحب مصر جهز جيشا كثيفا وأراد أن يسير بنفسه فعذله بعض الصالحين ومنعه وأدركته مكاتيب الشريف أبى نمى وهداياه وهو يعتذر اليه فقبل عذره وأبقاه على امارة مكة ثم فى سنة ستمائة وثمانية وثمانين ولى السلطان قلاوون صاحب مصر على مكة (جماز بن شيحة الحسينى) صاحب المدينة وأعانه بعسكر فخرج منها أبو نمى ودخلوا مكة ثم عاد أبو نمى وأخرجهم منها وفى سنة ستمائة وتسعة وثمانين وقع بين الشريف أبى نمى وبين الحاج فتنة بالثنية من الشبيكة وانتهى الامر الى أن هجموا مكة وشهروا بالحرم الشريف أكثر من عشرة آلاف سيف وقتل من الفريقين نحو أربعين نفسا من جملتهم ولد للشريف أحمد بن قتادة وأما الجرحى فكثير ونهبت أموال الناس واستمر الشريف أبو نمى منفردا بمكة الى سنة سبعمائة وواحد فلما كان شهر صفر نزل عن ولاية مكة لولديه (الشريف حميضة ورميثة) ثم توفى الشريف أبو نمى بعد ذلك بيومين وخلف ثلاثين ولدا ما بين ذكر وأنثى ولما توفى صلى عليه وطيف بنعشه سبعا على جرى عادتهم ودفن وبنى عليه قبة بالمعلا وكان فاضلا كريما شجاعا وكانت ولايته مكة انفرادا ومشاركة لابيه وعمه نحو خمسين سنة الا أوقات يسيرة زالت ولايته عنها وبقى ملك مكة فى بنيه ثم بعد وفاته استمر ولداه حميضة ورميثة الى الموسم وفى هذه السنة حج الامير بيبرس صاحب الكرك فلما كان بمكة اجتمع به الشريف (عطيفة وأبو الغيث) ابنا الشريف أبى نمى وشكيا اليه أن أخويهما

وهم طردوا عنها عراة بني عمرو وقيل سميت قريش قريشا لتجمعهم على قصي والتقرش هو الاجتماع وما كان يسمى قريش قبل ذلك قريشا وقيل ان النضر بن كنانة كان يسمى قريشا واستمر بنو قصي كذلك الى ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وقد أطلنا الكلام في هذا المقال وهو مع ذلك قطرة من بحر فانتخبنا منه هذا المقدار لاشتماله على فنون من الاعتبار ﴿الخامس والسادس بناء العمالقة للكعبة المعظمة﴾ ذكر الازرقي في ذلك وذكر سنده الى سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في خبر بناء ابراهيم عليه السلام للكعبة ثم انهدم فبنته العمالقة ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم وذكر الفاكهي بسنده الى سيدنا علي بن أبي طالب أيضا رضي الله عنه أنه قال أول من بنى البيت ابراهيم عليه السلام ثم انهدم فبنته جرهم ثم انهدم فبنته العمالقة قال السيد التقي قلت هذا يقتضي ان جرهما بنت البيت الشريف قبل العمالقة والخبر الاول يقتضي أن العمالقة بنته قبل جرهم وبه جزم المحب الطبري في القرى وذكر المسعودي في مروج الذهب أن الذي بنى الكعبة من جرهم هو الحارث بن مضاض الاصغر وانه زاد في بناء البيت ورفعه كما كان عليه بناء ابراهيم عليه السلام والله أعلم بحقيقة ذلك. ذكر الازرقي شيأ من خبر العمالقة يقتضي سبقهم على جرهم فانه روى بسنده الى سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال كان بمكة حي يقال لهم العماليق كانوا في عز وثروة وكانت له خيل وابل وماشية ترعى حول مكة وما حولها وكانت العضاه ملتفة مبقلة وكانوا في عيش رخي فبغوا في الارض وأسرفوا على أنفسهم وأظهروا المظالم والالحاد ولم يشكروا الله فسلبوا نعمتهم وكانوا يكرون بمكة الظل ويبيعون الماء فاخرجهم الله بأن سلط عليهم النمل حتى خرجوا من الحرم حتى ألحقهم بمسقط رؤس آبائهم ببلاد اليمن فتفرقوا وهلكوا وأبدل الله بعدهم الحرم جرهم فكانوا سكانه الى أن بغوا فيه أيضا فاهلكهم جميعا ﴿السابع بناء قصي للكعبة المعظمة﴾ ذكر الزبير بن بكار قاضي مكة في كتاب النسب أن قصي بن كلاب لما ولي أمر البيت جمع نفقته ثم هدم الكعبة فبناها بنيانا لم يبنه أحد ممن بناها قبله مثله وذكر أبو عبد الله محمد بن عائذ الدمشقي في مغازيه أن قصي بن كلاب بنى البيت الشريف وجزم به الامام الماوردي في الاحكام السلطانية فانه قال فيها أول من جدد بناء الكعبة من قريش بعد ابراهيم قصي بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل انتهى قال السيد

---

نالهما واستبدا بامارة مكة وانهما قد قهراه اوآنالاهما الخسف فولاهما الامير بيبرس على مكة وقبض على حميضة ورميثة وصحبهما معه الى مصر وقيل وليها أبو الغيث ومحمد بن ادريس بن قتادة وفي سنة سبعمائة وثلاثة عاد رميثة وحميضة من مصر واليمن على مكة وأظهرا العدل ثم رجعا الى الجور فبعث اليهما صاحب مصر جيشا فانهزما ثم عادا وفي سنة اثني عشر وسبعمائة حج الناصر قلاوون صاحب مصر ففرا منه ثم عادا بعد رجوعه وفي سنة سبعمائة وثلاثة عشر وصل عسكر من صاحب مصر ومعهم ثلاثمائة فارس مدرعين ومعهم أبو الغيث بن أبي نمي فلما سمع بهم حميضة ورميثة فرا الى حلي من أرض اليمن واستولى أبو الغيث على مكة وقصد حليا بمن معه في طلب حميضة ورميثة فلم يظفر بهما لانهما بالسراة فرجع الى مكة وأقام الجيش بمكة شهرين ثم ان أبا الغيث قصر في حق الجيش وكتب لهم خطا بانه غني عنهم فعادوا الى مصر ولما بلغ حميضة رجوع الجيش قصد أبا الغيث بجمع من العرب وانتزع مكة منه وقتله على فراشه وذلك سنة سبعمائة وأربعة عشر وبعد أن قتله حمله الى داره ثم استدعى اخوانه للضيافة فأتوه فقدم لهم أخاهم أبا الغيث مصلوقا في جفنة وكان قد أوقف على رأس كل واحد منهم عبدين أسودين في يد كل واحد منهما سيف فاذعنوا له واستمر حميضة مستقلا بامر مكة فانتزعها منه أخوه رميثة في شعبان سنة سبعمائة وخمسة عشر بولاية من الناصر صاحب مصر وجاء معه جيش فهرب حميضة الى الخلف والخليف وهو حصن بينه وبين مكة ستة أيام بعد ان أخذ ما جمعه من النقد والبز نحو مائة حمل وأحرق الباقي بالنار وكان وصول الجيش مكة منتصف شهر رمضان وأقاموا بها ثلاثة عشر يوما ثم توجهوا الى الخلف والخليف وكان حميضة قد التجأ الى صاحب ذلك الحصن وصاهره ليحميه فقصده أخوه رميثة بمن معه من العسكر الى هناك فوقعت بينهم محاربة وأسروا ابنا لحميضة وأخذوا جميع ما معه من الاموال ورجعوا الى مكة في شهر ذي القعدة وهرب حميضة الى العراق وقصد السلطان خدابند من سلاطين التتار وكان مسلما فاكرمه وأنعم عليه فلما رأى اقباله عليه حسن له أن يعينه على أخذ مكة ووعده بان يخطب له بها فعين له عشرة آلاف من العسكر وأمر عليهم السيد طالبا الافطس وأرسل الشريف حميضة الى أمراء العرب فاجابوه وأهم ذلك أهل الشام فلجؤا الى أمراء طي وهم عرب كثيرون فاتفق وفاة السلطان خدابند في أثناء ذلك وكان بين وزيره رشيد الدين وبين السيد طالب الافطس عداوة فكاتب الوزير العسكر وذكر لهم موت السلطان فحصل فيهم الاختلاف وثارت عليهم العرب الذين مع الشريف حميضة فنهبت العرب العسكر وكانت بينهم مقتلة وقاتل الشريف حميضة العرب قتالا شديدا يومئذ حتى قال الافطس مازلت أسمع بحملات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

تقي الفاسي في شفاء الغرام وما رواه القاضي الزبير بن بكار أن قصيا بنى الكعبة على خمسة وعشرين ذراعا ففيه نظر لما اشتهر في الأحكام ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بنى طول الكعبة تسعة أذرع وأن قصيا أراد أن يجعل عرضها خمسة وعشرين ذراعا فالمعروف انه من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص عن ثلاثين ذراعا في بناء الخليل بل يزيد عن الثلاثين مقدارا قليلا أن أراد عرضها من الجهة الشامية واليمانية فعرضها في هاتين الجهتين ينقص عن خمسة وعشرين ذراعا ثلاثة أذرع أو أزيد وكل من بنى الكعبة بعد ابراهيم عليه السلام لم يبنها الا على قواعد ابراهيم غير ان قريشا قصرت من عرضها في جهة الحجر الشريف لامر اقتضاه الحال وصنع ذلك الحجاج بعد عبد الله بن  الزبير عناداله والله تعالى أعلم • وكان مبدأ أمر

حتى شاهدتها من الشريف حميضة معاينة ثم ان الشريف حميضة قدم مكة ومعه ثلاثة وعشرون راحلة وكتب الى أخيه رميثة يستأذنه في دخول مكة فامتنع أن يدخله الا باذن السلطان فكتب الى السلطان بمصر يعرفه بذلك وانه ليس مع أخيه الافرس واحدة فكتب اليه السلطان ان وافق أن يأتي الى أبوابنا و يقيم عندنا فامنه وسامحه بذنوبه السالفة وأما الحجاز فلا يقيم فيه وكتب السلطان بالامان لحميضة وأرسله مع عدة من الاتراك لاحضار حميضة فلما وصلوا اعتذر حميضة بعدم القدرة على السفر وتغيب عنهم فرجعوا الى مصر واستمر رميثة الى انقضاء السنة فلما كان يوم الاحد سادس جمادى الآخرة سنة سبعمائة وثمانية عشر أقبل حميضة بجموع ودخل مكة وأخرج منها رميثة وخطب حميضة لملك العراق وهو ابن خدابنده أبي سعيد وقيل ان استيلاءه هذا كان برضا من رميثة فجهز الملك الناصر جيشا من مصر وأمرهم أن لا يعودوا الا بعد القبض على حميضة فلم يظفروا به بل ترك مكة وفر منها وبقي مهججا الى أن قتل بالشرق قيل ان الملك الناصر دس عليه من قتله غيلة وقيل ان جيش الناصر تبعه حتى أدركوه فقتلوه وبقي رميثة على ولاية مكة ثم قبض عليه بهادر مقدم العسكر الذي بعث به الناصر وولى الناصر سنة تسعة عشر (عطيفة بن أبي نمي) وجهز معه جيشا وحج الملك الناصر تلك السنة وفي سنة سبعمائة واحدى وعشرين توجه الشريف عطيفة الى مصر من القحط الذي حصل بمكة من عدم الامطار وقلة الواصل من البحر فرسم السلطان بنقل الحب الى مكة ورتب لصاحب مكة كل عام شيأ من القمح يحمل اليه من الصعيد والزمه أن يسقط المكس الذي يأخذه على الواردين ففعل ذلك وفي سنة اثنين وعشرين وسبعمائة أطلق الملك الناصر الشريف رميثة وأشركه مع أخيه عطيفة في ولاية مكة

﴿ذكر الفتنة بين الترك والتكارنة﴾

وفي سنة سبعمائة وأربعة وعشرين حج ملك التكرور موسى وحضر معه للحج أكثر من خمسة عشر ألفا من التكارير ووقعت فتنة بين الترك والتكارير بالمسجد الحرام وأشهرت السيوف بالمسجد وكان أمير التكرور بالشباك المشرف على المسجد من رباط هناك فامر جماعته بالكف فامسكوا وفي سنة سبعمائة وثلاثين وقعت فتنة بين أمير المصريين وأهل مكة وقتل الامير وابنه وجماعة منهم وذلك يوم الرابع عشر من ذي الحجة والخطيب يخطب فلما بلغ السلطان ذلك غضب ونوى أن يبعث الى مكة جيوشا و يستأصل الاشراف فقيض الله له قاضي القضاة جلال الدين القزويني فوعظه وعظا بليغا وصرفه عن نيته فرضي على رميثة وأبقاه واليا على مكة بمفرده ورحل عطيفة الى مصر واستمر رميثة الى سنة سبعمائة وأربعة وثلاثين فاشرك معه أخاه عطيفة بلا قتال ثم انفرد بها

رميثة

قصي ان أباه كلاب بن مرة تزوج فاطمة بنت سعد بن سيل فولدت له زهرة وقصيا فهلك كلاب وقصي صغير وهو بضم القاف وفتح الصاد بمعنى بعيد واسمه زيد وانما لقب قصيا لانه أبعد عن أهله ووطنه مع أمه لما توفي أبوه فانها تزوجت ربيعة بن حرام فرحل بها الى الشام فولدت له زراحا فلما كبر قصي وقع بينه وبين آل ربيعة شر فعيروه بالغربة وقالوا ألا تلحق بقومك وكان لا يعرف له أبا غير ربيعة بن حرام زوج أمه فشكى اليها ما عيروه به فقالت له ياولدي أنت أكرم أبا منهم أنت ابن كلاب بن مرة وقومك بمكة عند البيت الحرام فقدم لمكة فعرف له قومه فضله فقدموه وأكرموه وكانت خزاعة مستولية على البيت وعلى مكة وكان كبيرهم حليل بن حبشية الخزاعي بيده مفتاح البيت الشريف وسدانته فخطب الى حليل ابنته فعرف حليل نسبته فزوجه ابنته عيسى فتزوجها قصي وكثرت أولاده وأمواله وعظم شأنه وهلك حليل وأوصى بمفتاح البيت الشريف لابنته عيسى فقالت لا أقدر على السدانة فجعلت ذلك لابي غبشان وكان سكيرا يحب الخمر فأعوزه في بعض الاوقات ما يشتريه من الخمر فباع مفتاح البيت بزق خمر فاشتراه منه قصي وسار في الامثال أخسر صفقة من أبي غبشان فلما صار المفتاح الى قصي تناكرته خزاعة وكثر كلامها عليه فأجمع على حربهم فحاربهم وأخرجهم من مكة وولي قصي أمر الكعبة ومكة وجمع قومه فملكوه على أنفسهم وكانوا يحترمون أن يسكنوا مكة ويعظمونها على أن يبنوا بها بيتا مع بيت الله فكانوا يكمنون بمكة نهارا فاذا أمسوا خرجوا الى الحل ولا يستحلون الجنابة بمكة

آباؤه

لما جمع قصى قومه اليه أذن لهم أن يبنوا بمكة بيوتا وان يسكنوها وقال لهم انكم ان سكنتم الحرم حول البيت هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم ولا يستطيع أحد اخراجكم فقالوا له أنت سيدنا ورأينا تبع لرأيك فجمعهم حول البيت وفى ذلك يقول القائل

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا ❊ به جمع الله القبائل من فهر ❊ وأنتم بنو زيد وزيد أبوكم ❊ به زيدت البطحاء فخرا على فخر

وابتدأه وبنى دار الندوة وهى فى اللغة الاجتماع وكانوا يجتمعون فيها للمشورة وغيرها من المهمات فلا تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش الا فيها ❊ قال الازرقى ولم يدخل من قريش ولا غيرهم الا ابن أربعين سنة وكان ولد قصى كلهم أجمعون يدخلونها وقسم جهات البيت الشريف بين طوائف قريش فبنوا دورهم حول الكعبة الشريفة من جهاتها الاربع وتركوا الطواف بيت الله تعالى مقدارا يقال انه المفروش الآن حول البيت الشريف بالحجر المنحوت المسمى بالمطاف الشريف وشرعوا أبواب بيوتهم الى نحو البيت وتركوا ما بين كل بيتين طريقا ينفذ منه الى المطاف الى أن زاد عمر رضى الله عنه فى المسجد الحرام وتبعه عثمان رضى الله عنه وتبعهما غيرهما على ما سيأتى تفصيله ان شاء الله تعالى وكان قصى أول ملك من بنى كعب أصاب ملكا أطاعه به قومه وله كلمات حكم تؤثر عنه منها من أكرم لئيما شركه فى لؤمه ❊ ومن استحسن قبيحا نزل الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان ❊ وكان اجتمع لقصى مالم يجتمع لغيره من المناصب فكان بيده الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة فالحجابة وهى سدانة البيت الشريف أى توليته مفتاح بيت الله والسقاية اسقاء الحجيج كلهم الماء العذب وكان عزيزا بمكة يجلب اليها من الخارج فيستقى الحاج منه و ينبذلهم التمر والزبيب فيسقونه الحاج وكانت وظيفة فيهم والرفادة اطعام الطعام لسائر الحاج تعدلهم الاسمطة فى أيام الحج وكانت السقاية والرفادة مستمرة أيام الخلفاء ومن بعدهم من الملوك والسلاطين قال السيد التقى رحمه الله ان الرفادة كانت أيام الجاهلية وصدر الاسلام واستمر الى أيامنا وقال و هو الطعام يصنع بأمر السلطان كل عام حتى ينقضى الحج ❊ قلت وأما فى زماننا فلا يفعل شئ من ذلك ولا أدرى متى انقطع وأما الندوة فقد تقدم بيانها وأما اللواء فراية يلوونها على رمح و ينصبونها علامة للعسكر اذا توجهوا الى محاربة عدو فيجتمعون

---

رميثة وأخرج عطيفة ليلة رحيل الحاج من مكة واستمر الى سنة سبعمائة وخمسة وثلاثين فرجع عطيفة وشاركه الى اثناء سنة سبعمائة وستة وثلاثين فتنافرا فاقام عطيفة بمكة وخرج رميثة وأقام بالجديد من وادى مر ثم هجم رميثة مكة فى شهر رمضان من السنة المذكورة فلم يظفر وخرج منها بعد ان قتل وزير عطيفة و بعض أصحابه وأقام بالجديد ثم اصطلحا سنة سبعة وثلاثين ثم انفرد رميثة بالولاية بعد ان حضر هو وأخوه عطيفة عند الملك الناصر بمصر فاعتقل عطيفة و بعث رميثة الى مكة ولم يزل عطيفة بمصر الى أن توفى هناك سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وكان موصوفا بالشجاعة والكرم

❊﴿ذكر فتنة بعرفة بين الاشراف وأمير الحج المصرى﴾❊

وفى سنة سبعمائة وثلاثة وأربعين كان بعرفة فتنة وقتال عظيم بين الاشراف وأمير الحج وقتل من الترك نحو ستة عشر رجلا ومن الاشراف نفر يسير منهم السيد محمد بن عقبة بن ادريس بن قتادة و بعد الوقوف توجهوا الى مكة وتحصنوا بها وتركوا الحضور الى منى فى أيامها ودخل الحج مكة قبل النفر الاول وفات كثير من الناس المناسك بسبب هذه الفتنة وفى سنة سبعمائة وأربعة وأربعين وقعت أيضا فتنة بين أمير الحاج وأهل مكة وقتل جماعة وخمدت الفتنة ولم يزل الشريف رميثة متوليا الى سنة خمس وأربعين وسبعمائة فنزل عن الولاية وتركها لولديه ثقبة وعجلان لكبره وعجزه ثم ان ثقبة توجه الى مصر يطلب مكة من السلطان الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد قلاوون فلما وصل اليه اعتقله وأمر برد ولاية مكة الى أبيه رميثة فردت اليه وخرج الشريف عجلان الى اليمن ومنع الجلاب من الوصول الى مكة ولما رحل الحج قصد مكة ونزل الزاهر ثم اصطلح مع أبيه

❊﴿ولاية الشريف عجلان بن رميثة﴾❊

وفى سنة ست وأربعين توجه الشريف عجلان الى مصر فولاه الملك الصالح مكة دون أبيه فوصل الى مكة ومعه خمسون مملوكا وقبض على البلاد بلا قتال فى حياة أبيه وجاء معه أخوه ثقبة وخرج الى وادى نخلة وأقام مع رميثة بمكة أخواه سند ومغامس وأعطاهما رسوما يأكلانها ثم أخرجهما الى مر الظهران ثم لحقا بأخيهما ثقبة بنخلة فلم يجداه وأخبرا انه توجه الى مصر فلحقاه بمصر فقبض عليهم جميعا وكان الملك الصالح قد توفى قبل وصول عجلان الى مكة وتسلطن بعده أخوه الكامل شعبان فكتب الى عجلان بالولاية وتوفى الشريف رميثة سنة ست وأربعين أيام مجىء ابنه عجلان من مصر و ولايته عليها وكان عند وصوله زين السوق بمكة وفى أثناء الزينة توفى أبوه رميثة وكانت ولايته مكة سبع مرات كما فى تاريخ الرضى شريكا لاخيه حميضة نحو عشر سنين وشريكا لاخيه عطيفة نحو

تحتها او يقاتلون عندها والقيادة امارة الجيش اذا خرجوا الى حرب وهذه كلها اجتمعت فى قصى فلما كبر سنه وضعف بدنه قسمها بين أولاده وكان عبد الدار أكبر أولاده وكان عبد مناف أشرف زمان أبيه فقال قصى لعبد الدار لالحقنك يا بنى بالقوم وان شرفوا عليك فاعطاه الحجابة وسلم اليه مفتاح البيت وقال لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له وأعطاه السقاية واللواء وقال لا يشرب أحد الا من سقايتك ولا يعقد لواء لقريش لحربها الا أنت بيدك وجعل له الرفادة وقال لا يؤكل من هذا الموسم طعام الا من طعامك وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش من أموالها فى كل موسم فتدفعه الى قصى فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وكان قصى  فرض ذلك على قريش حين جمعهم وقال لهم يامعشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل حرمه وان الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق الاضياف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدر عنكم ففعل قصى كلما كان بيده من أمر قومه الى عبد الدار وكان قصى لا يخالف ولا يرد عليه شئ صنعه لعظم شأنه ونفاذ سلطانه قال ابن اسحق ثم ان قصيا هلك فقام على أمره بنوه من بعده ثم ان بنى عبد مناف هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا انهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم وتفرقت قريش فكانت طائفة منهم يرون ان بنى عبد مناف أحق من بنى عبد الدار وطائفة يرون ابقاء بنى عبد الدار على ماجعله قصى لابيهم فاجمعوا على الحرب ثم اصطلحوا على ان تكون السقاية والرفادة لبنى عبد مناف والحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار وتحالفوا على ذلك فولى الرفادة والسقاية هاشم وكان عبد شمس سفارا مقلا ذا ولد وكان هاشم موسرا وهو أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف وهو أول من أطعم الثريد بمكة واسمه عمرو وانما سمى هاشما لهشمه الخبز وثرده لقومه كما قال القائل

عمرو الذى هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف
سنت اليه الرحلتان كلاهما • سفر الشتاء ورحلة الاصياف

ثم هلك هاشم بغزة من أرض الشام تاجرا فولى الرفادة والسقاية أخوه المطلب بن عبد مناف وكان ذا شرف وكرم وكان يسمى الفيض لسماحته وكرمه وفضله وكان أصغر من عبد شمس فتوفى المطلب بردمان من أرض اليمن وتوفى

خمس سنين ومنفردا نحو خمس عشرة سنة فكانت مدة ولايته ثلاثين سنة وكان الشريف رميثة كريما شجاعا ممدوحا

﴿ذكر شراكة ثقبة وسند ومغامس للشريف عجلان فى ولاية مكة﴾

وفى سنة سبع وأربعين أو ثمانية وأربعين أطلق السلطان الشريف ثقبة وأخويه سندا ومغامسا وأشركهم مع الشريف عجلان فجاؤا من مصر ومعهم مرسوم فيه أن لهم نصف البلاد وأن الشريف عجلان له نصف البلاد ثم تنازعوا فكان ثقبة بالجديد من وادى مر فخرج اليه الشريف عجلان وأراد قتاله فاصلح بينهما القواد ثم انسع الشريف عجلان عن البلاد فوثب ثقبة ودخل البلاد فجاء الخبر الى الشريف عجلان فذهب الى مصر ومعه ولداه الجيش وأحمد فرجع متوليا مكة وأخرج منها اخوته ثقبة وسندا ومغامسا الى اليمن وكان قدومه مكة خامس شوال سنة خمسين وسبعمائة وفى سنة سبعمائة واحدى وخمسين حج الملك المجاهد صاحب اليمن فوقع بينه وبين الشريف عجلان وحشة فاغرى به الشريف المصريين فقبضوا عليه بمنى قيل انه لما أحس بهم هرب الى جبل هنالك وقاتل بعض جماعته ثم انكسروا ونهبت محطته بما فيها فنزل من الجبل على أمان من المصريين فقيدوه وقيل انه لما صعد الى الجبل ورأى القتل فى جماعته نادى بأعلا صوته ان كان القصد أنا فلا تقتلوا الناس فانا آتيكم فكفوا عن الحرب ونزل اليهم بنفسه فترجل له الامراء عن الخيول وأركبوه بغلا وذهبوا به وألزم الامراء الشريف عجلان بحفظ الحج بعد ان ذهب أكثره نهبا ثم ذهب المصريون بالملك المجاهد الى مصر فاكرمه صاحبها ثم جهزه الى بلاده فلما بلغ الدهنا من وادى ينبع ورد أمر من صاحب مصر بالذهاب به الى الكرك فاعتقل هنالك ثم شفع فيه فاعيد الى مصر ثم توجه منها الى بلاده فوصلها فى ذى الحجة سنة سبعمائة واثنين وخمسين وفى سنة احدى وخمسين وسبعمائة ولى مكة الشريف ثقبة مع الشريف عجلان بموافقة بينهما وكان ثقبة قد وليها بمفرده فى هذه السنة فلم يمكنه عجلان فاقام بخليص الى أن دخل مع أمير الحج فاصلح الامر بينه وبين أخيه على المشاركة ثم استقل بها ثقبة اثناء سنة سبعمائة وثلاث وخمسين بعد قبضه على أخيه عجلان واستمر ثقبة الى أن قبض أمراء الحج عليه وعلى أخويه سند ومغامس وابن عمه محمد بن عطيفة وفر عنه القواد والعبيد وذلك فى موسم سبعمائة وأربعة وخمسين وذلك ان عجلان خرج الى الامراء واشتكى عليهم أمره فدخلوا مكة وقبضوا على الاشراف ثم أحضروا الشريف عجلان وألبسوه الخلعة من الزاهر ودخلوا به مكة وذهبوا بالاشراف الى مصر ثم أطلق ثقبة من مصر واصطلح مع عجلان وشاركه فى ولاية مكة سنة سبعمائة وسبعة وخمسين ثم انفرد بها ثقبة فى ثالث عشر

عبد شمس بمكة وتوفي نوفل بالعراق ثم ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب فأقام لقومه ما كانت تقيمه آباؤه من قبله وشرف في قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه قومه وعظم خطره فيهم * وكان أكبر أولاده الحارث لم يكن له أول أمره غيره وبه كان يكنى فقال عدي بن نوفل بن عبد مناف يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال عبد المطلب أو بالقلة تعيرني فوالله لئن آتاني الله عشرة من الولد لأنحرن أحدهم عند الكعبة فلما كمل له عشرة جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء بذلك فأطاعوه وقالوا أوف بنذرك وافعل ما شئت قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا فيكتب فيه اسمه ثم ائتوني ففعلوا ودخل بهم على هبل وهو صنم كان يعبد في جوف الكعبة فقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب على هولاء بقداحهم وأعطاه كل واحد قدحه وكان عبد الله ابن عبد المطلب أصغرهم سنا وأحبهم الى والده ثم ضرب صاحب القداح فخرج السهم على عبد الله فأخذ عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل به على اساف وهو صنم كان على الصفا ليذبحه عنده فجذب العباس عبد الله من تحت رجل أبيه حتى أثر في وجهه شجة لم تزل في وجه عبد الله الى أن مات فقامت قريش من أنديتها وقالوا لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه فما بقي الناس على هذا ولكن اعذر فيه فتفديه بأموالنا وكان بالحجاز عرافة كاهنة لها تابع من الجن فانطلقوا حتى قدموا عليها وقص عليها عبد المطلب خبر نذره فقالت لهم ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله فرجعوا من عندها ثم غدوا عليها فقالت كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت قربوا عن ولدكم عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعلى ولدكم واستمروا كذلك الى أن يخرج السهم على الابل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا ولدكم فخرجوا حتى قدموا مكة فقربوا عشرة من الابل وضربوا القداح فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرة فخرج على عبد الله واستمروا يزيدون عشرة فعشرة حتى بلغت الابل مائة فخرج القدح على الابل فأعادوه ثانية ثم ثالثة فخرج القدح على الابل فأتي بها فنحرت ثم تركت لا يمنع عن لحومها آدمي ولا وحش ولا طير قال الزهري وكان عبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الابل فجرت في قريش ثم في العرب وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم

((الثامن بناء قريش الكعبة المشرفة))

قال خاتمة الحفاظ والمحدثين مولانا الشيخ محمد

---

عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة ثم وليها عجلان بمفرده في موسم هذه السنة ثم اشتركا في موسم سنة سبعمائة وثمانية وخمسين ودامت ولايتهما الى أن عزلا سنة سبعمائة وستين بعد ان استدعيا للحضور الى سلطان مصر الناصر حسن فاعتذرا فوليها (الشريف سند بن رميثة ومحمد ابن عطيفة بن أبي نمي) وجهز مع محمد بن عطيفة جيشا كثيفا وكان سند باليمن مع أخويه فوصل الى مكة ولاثم العسكر والامراء

﴿ذكر فتنة بين الاشراف وعسكر مصر﴾

وفي سنة سبعمائة واحدى وستين وقعت فتنة بين عسكر مصر والاشراف وقتل كثير من الاتراك وعثرت بالشريف مغامس بن رميثة فرسه فسقط فقتله الاتراك وأسر الاشراف كثيرا من الاتراك وأرسلوهم الى ينبع وصاروا يبيعونهم ينادي عليهم الدلالون كالعبيد فلما بلغ صاحب مصر هذه الفتنة أرسل الشريف عجلان وولده الى الاسكندرية الى البرج وكانا معتقلين عنده وأمر بتجهيز عسكر للحجاز وأمرهم باستئصال الاشراف وقال لا حاجة لنا بهم فلم يقم بعد ذلك الا أياما حتى عزلته الاتراك وولوا مصر الملك المنصور محمد بن المظفر فأطلق السيد عجلان وولاه مكة وأشرك معه أخاه ثقبة بسؤال منه وأرسل السلطان مع الشريف عجلان عسكرا وكان ثقبة بوادي مر فلما وصل عجلان وادي مر اجتمع بأخيه ثقبة وكان عليلا فاستمر هنالك الى أن توفي في شوال سنة اثنتين وستين وسبعمائة وحمل الى مكة ودفن بها واستمر الشريف عجلان على ولاية مكة

((ذكر شراكة أحمد بن عجلان مع أبيه في ولاية مكة))

ثم أشرك معه ابنه أحمد في شوال من السنة المذكورة وجعل له ربع المتحصل وقطع الدعاء لسند على المنبر وأمر بالدعاء لابنه أحمد ثم ان سند بن رميثة استولى على جدة ونازع في الامر ولم يتم له ومات بالحديد سنة سبعمائة وثلاثة وستين واستمر عجلان وابنه الى سنة سبعمائة وأربع وستين ثم انفرد بها أحمد بن عجلان بسؤال أبيه له ذلك على شروط منها أن لا يقطع اسمه في الخطبة والدعاء أعلى زمزم فولي ابنه أحمد ذلك وكان شجاعا وجمع من الاموال والخيل مالم يجمعه أحد قبله من هذا الفرع وفي سنة سبعمائة وستة وستين أسقط السلطان المكس المأخوذ بمكة وعوض عنه صاحب مكة مائة وستين ألف درهم من بيت المال وألف اردب قمح وقرر ذلك في ديوان السلطان شعبان صاحب مصر ونقر ذلك في دعائم المسجد الحرام وذلك باق الى الآن من جهة باب الصفا وباب الزيادة وباب الباسطية وفي سنة سبعمائة وخمسة وثمانين وقعت فتنة بين حاج التكرور والمغاربة وبين حجاج العراق واليمن زمن الحج وقتل فيها نحو ألف انسان واستمر

الدعاء على المنبر للشريف عجلان وابنه أحمد الى سنة سبعمائة وسبعة وسبعين فانتقل الشريف عجلان للعديد من وادي مر ثم توفي به وحمل على أعناق الرجال الى مكة وصلي عليه وطيف به اسبوعا ودفن بالمعلى وبني عليه قبة وقد بلغ سبعين سنة وكانت مدة ولايته استقلالا واشتراكا نحو ثلاثين سنة

((ذكر شراكة محمد بن أحمد بن عجلان لابيه في ولاية مكة))

ثم استمر أحمد بن عجلان الى سنة سبعمائة وثمانية وسبعين فأشرك معه ابنه محمد بن أحمد بن عجلان ودامت ولايتهما الى أن توفي أحمد سنة سبعمائة وثمانية وثمانين

((ذكر من مات في جوف الكعبة من الزحام))

وفي سنة احدى وثمانين وسبعمائة انه مات في جوف الكعبة من الزحام أربعة وثلاثون رجلا ولما ان توفي الشريف أحمد بن عجلان أقام ابنه محمد مائة يوم ثم قتل في مستهل ذي الحجة من السنة المذكورة قتله أمير الحج المصري وقيل قتل في أيام منى بسوق منى ضربه رجل بسكين مسمومة وغاب في سواد الناس ولم يعرف وقيل ان الشريف محمد بن أحمد بن عجلان كان في حبس أبيه جماعة من الاشراف منهم عمه محمد وخالاه أحمد وحسن ابنا ثقبة وابن خاله علي بن أحمد بن ثقبة فسأل السلطان أباه أحمد أن يطلقهم فأبى ثم كحلهم ابنه محمد بعد موت أبيه فتغير عليه السلطان وكان بمصر عنان بن مغامس فارا من أحمد بن عجلان فأضمر السلطان ولاية (عنان بن مغامس بن رميثة) عوض محمد وسيره من مصر مع الحج المصري ولم يطلعه على ذلك وأمر أمير الحج المصري أن يحتفل بمحمد لئلا يتشوش فيفر فيفوت المراد فلما وصل الى مكة خرج محمد للقائه فلما حضر عند المحمل وثب عليه باطنيان فجرحاه جراحات مات منها من فوره وذلك يوم الاثنين مستهل ذي الحجة سنة سبعمائة وثمانية وثمانين وله من العمر نحو عشرين سنة ولما قتل أعلنوا بولاية عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نمي عوضه ودخل مكة مع الترك وهم مسلحون حتى انتهوا الى أجياد فحاربوا من ثبت لهم من جماعة محمد وثبتت ولاية مكة لعنان بن مغامس وله قصة عجيبة في فراره من مكة الى مصر خوفا من أحمد بن عجلان

((قصة فرار عنان بن مغامس من مكة الى مصر))

وذلك ان الشريف أحمد بن عجلان كان قد قبض على عنان وحسن بن ثقبة ومحمد بن عجلان وأحمد بن ثقبة وابنه عليا وقيدهم وحبسهم ثم انهم أرادوا الفرار من السجن ففطن بهم الحراس وفر منهم عنان وما شعر أحد به هنالك فسار الى جهة سوق الليل فصادف كبيش بن عجلان وجماعة يفتشون عليه بضوء معهم فاختفى في محل هنالك وأراد الله خلاصه فلم يصادفوه وصادف بعض معارفه فأخفاه في بيت له بشعب علي في صهريج ووضع عليه حشيشا فنمى الى كبيش انه ثمة فجاء الى البيت وفتشه سوى

الصهريج

الصالحي قدس الله تعالى روحه في كتاب سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وهو أحسن كتاب للمتأخرين وأبسطه في السيرة النبوية ولنا منه اجازة عامة رحمه الله تعالى ان امرأة جمرت الكعبة بالبخور فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة فاحترق أكثر أخشابها وجاء سيل عظيم فصدع جدرانها بعد توهينها فأرادوا أن يشدوا بنيانها ورفعوا بابها حتى لا يدخل الا من شاؤا وكان البحر قد رمى بسفينة الى ساحل جدة لتاجر رومي اسمه باقوم بموحدة وقاف مضمومة وكان نجارا بناء فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش الى جدة فابتاعوا خشب السفينة وكلموا باقوم الرومي أن يقدم معهم الى مكة فقدم اليها وأخذوا أخشاب السفينة أعدوها لسقف الكعبة • قال الاموي كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم ويحمل فيها الرخام والخشب والحديد الى الكنيسة مع باقوم الى الكنيسة التي أحرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت قريب مرسى جدة بعث عليها ريحا فحطمتها انتهى قلت لا يعرف طريق بين بحر الروم والحبشة يعرفها على جدة الا ان يكون ملك الروم طلب ذلك من ملك مصر فجهزها له من بندر السويس أو الطور أو نحو ذلك • قال ابن اسحق وكان بمكة قبطي يعرف بنجر الخشب وتسويته فوافقهم أن يعمل لهم سقف الكعبة ويساعده باقوم • قال وكانت حية عظيمة تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى الى الكعبة تشرف على جدار الكعبة لا يدنو منها أحد الا انشت وفتحت فاها وكانوا يهابونها ويزعمون أنها تحفظ الكعبة وهداياها وان رأسها كرأس الجدي وظهرها وبطنها أسود وانها أقامت فيها خمسمائة سنة قال ابن عتبة فبعث الله تعالى طائرا فاختطفها وذهب بها فقالت قريش ترجو أن يكون الله تعالى رضي لنا ما أردنا فعله فأجمع رأيهم على هدمها وبنائها قال ابن هشام فتقدم عائذ بن عمران بن مخزوم وهو خال النبي صلى الله عليه وسلم فتناول حجرا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع الى مكانه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من مالكم الا حلالا لا ليس فيه مهر بغي ولا ربا ولا مظلمة • ثم ان قريشا اقتسمت جوانب البيت فكان شق الباب لبني زهرة وبني عبد مناف وما بين الركن الاسود والركن اليماني لبني مخزوم ومن انضم اليهم من قريش وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم وكان شق الحجر لبني عبد الدار وبني أسد بن عبد العزى وبني عدي بن كعب وجمعوا الحجارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل

معهم حتى اذا انتهى الهدم الى الاساس فأفضوا الى حجارة خضر كالاسنمة فضربوا عليها بالمعول فخرج برق يكاد أن يخطف البصر فانتهوا عند ذلك الاساس ثم بنوا حتى بلغ البنيان موضع الركن الحجر فاختصم فيه القبائل وكل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه وكادوا أن يقتتلوا على ذلك فقال لهم أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان شريفا مطاعا اجعلوا الحكم بينكم فيما اختلفتم فيه أول من يدخل من باب الصفا فقبلوا منه ذلك فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين وكان يسمى قبل أن يوحى اليه أمينا لامانته وصدقه فقالوا جميعا رضينا بحكمه ثم قصوا عليه قصتهم فقال صلى الله عليه وسلم هلم الى ثوبا فأتى به فأخذ الركن فوضعه بيده فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بطرف من هذا الثوب فحملوه جميعا واتوا به ورفعوه الى ما يحاذي موضعه فتناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثوب ووضعه بيده الشريفة في محله وفي ذلك يقول هبيرة بن أبي وهب المخزومي

تشاجرت الاحياء في فصل خطة * جرت طيرهم بالنحس من بعد أسعد
تلاقوا بها بالبغض بعد مودة * وأوقد نارا بينهم شر موقد
فلما رأينا الامر قد جد جده * ولم يبق شيء غير سل المهند
رضينا وقلنا العدل أول طالع * يجيء من البطحاء من غير موعد
ففاجأنا هذا الامين محمد * فقلنا رضينا بالامين محمد
بخير قريش كلها أمس شيمة * وفي اليوم مع ما يحدث الله في غد
فجاء بأمر لم ير الناس مثله * أعم وأرضى في العواقب والبد
أخذنا بأطراف الرداء وكلنا * له حصة من رفعها قبضة اليد
فقال ارفعوا حتى اذا ما علت به * أكفهم وافى به خير مسند
وكل رضينا فعله وصنيعه * فأعظم به من رأي هاد ومهتد
وتلك يد منه علينا عظيمة * يروح بها هذا الزمان ويغتدي

(ولما بنت قريش الكعبة) جعلت ارتفاعها من خارجها ثمانية عشر ذراعا منها تسعة أذرع زائدة على ما عمره الخليل عليه السلام ونقصوا من عرضها أذرعا من جهة الحجر لقصر النفقة الحلال التي أعدوها لعمارة الكعبة ورفعوا بابها عن الارض ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا وجعلوا في داخلها ست دعائم في صفين ثلاث في كل صف من شق الحجر الى الشق اليماني وجعلوا في ركنها الشامي من داخلها درجة يصعد منها الى سطح الكعبة ((تنبيه)) اختلف في سن رسول الله صلى

---

الصهريج فلم يجده فرجع ثم ان عنانا بعث لبعض أصحابه فأخرجوا له ركائب الى المعلى وحملوا عليها حشيشا ليخفي أمرها ولحقها عنان من سوق الليل وجاء الى المعابدة عند امرأة كان يعرفها فأخفته بالباس ثياب النساء ونما الخبر الى كبيش فركب وأتى الى منزل تلك المرأة وسألها عنه فقالت من عنان وأتت بكلام فهم منه انه ليس عندها فصدقها ورجع فلما جن الليل ركب عنان مع رجلين أو ثلاثة ووصل خليصاء وقد كانت ركائبه فسأل عن ناقة لصاحب له ثمة يجيء بها وأخبروه ان صاحبها كان اذا فرغ من علفها قال ليت عنانا يخلص فينجو عليك فكان ما عناه فركب عنان وسار الى مصر فأقبل عليه الملك الظاهر برقوق وولاه مكة عوضا عن محمد بن أحمد بن عجلان كما تقدم وكان السيد كبيش بن عجلان لما قتل محمد بن أحمد بن عجلان فر الى جدة واستولى عليها بمن معه من العرب ونهب الاموال التي بجدة والغلال التي فيها لبعض الدولة بمصر والتف عليه للطمع بعض أصحاب عنان ثم انتقل كبيش بما أخذه من الاموال للوادي وأكثر القتل في الطرقات وعنان مقيم بمكة

((مشاركة أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك بن رميثة لعنان في ولاية مكة))

وأشرك معه في الامارة ابن عمه أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك بن رميثة وكان أحمد بن ثقبة ضريرا لانه كحله محمد بن أحمد بن عجلان وانما أشركه لانه كان من أجل بني حسن وأسعدهم خيلا ورجالا وسلاحا وكان يدعي لهم معه على زمزم ورأى ان ذلك تقويم لامره فكان الامر بخلاف ذلك فنما الامر الى السلطان وعرفوه ما وقع من الاختلال فعزل عنانا

((ولاية علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي على مكة ورجوعه الى مصر حيث لم يمكنه منها عنان))

وولي مكة (علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي) ووصل الخبر بولايته في ثاني شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة ثم قدم مكة ومعه كبيش وآل عجلان ومن جمعوا فلم يمكنهم منها عنان وأصحابه وقاتلوهم بأذاخر وقتل كبيش ونحو عشرين معه ورجع آل عجلان الى الوادي ثم توجه علي بن عجلان الى مصر

((ذكر رجوع علي بن عجلان مشاركا لعنان في ولاية مكة))

فأعاده صاحب مصر وأشركه مع عنان بشرط حضور عنان الى خدمة المحمل المصري وجاء علي مع المحمل فلما بلغ عنانا ذلك تهيأ للقاء المحمل فلما كاد ان يصل خوف بآل عجلان فرجع الى الزيماء وأقام بها وحج بالناس علي بن عجلان بعد ان قرأ توقيعه بالحطيم وسار بعد الحج بمن معه من الاتراك الى الزيما فهرب عنان ومن معه ولما رحل الحج المصري نزل عنان بمن معه الوادي وشارك علي بن عجلان في جدة ثم سافر عنان الى مصر في اثناء سنة سبعمائة وتسعين فاعتقل هناك واصطلح علي بن عجلان مع

الله عليه وسلم حين بنت قريش الكعبة فقيل كان ابن خمس وثلاثين سنة وهو أشهر الاقوال وروى عن مجاهد ان ذلك كان قبل المبعث بخمس سنين والله أعلم ((التاسع بناء عبد الله بن الزبير الكعبة الشريفة فى زمن الاسلام)) وسيأتى تفصيل ذكره وما وقع له فى الباب الثالث فى بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام فى أيام الجاهلية وصدر الاسلام ان شاء الله تعالى ((العاشر بناء الحجاج بن يوسف الثقفى)) بعد بناء سيدنا عبد الله بن الزبير وسيأتى بيانه عقب ذكر بناء عبد الله بن الزبير للكعبة ان شاء الله تعالى وبناء الحجاج هو جهة الميزاب والحجر بسكون الجيم وتعلية جوف الكعبة ورفع الباب الشريف الذى فى لصق الملتزم وسد الباب الغربى الذى بلصق المستجار لا غير وما عدا ذلك فى الجهات الثلاث وهو وجه الكعبة الشريفة وجهة ظهرها وما بين الركن اليمانى والحجر الاسود فهو بناء سيدنا عبد الله بن الزبير باق الى الآن كما سنذكره فى زيادة عبد الله بن الزبير فى المسجد الحرام وهدمه الكعبة وبنائها على قواعد ابراهيم عليه السلام

((فصل فى تحلية الكعبة الشريفة وبابها الشريف بالذهب والفضة وقناديلها الشريفة)) قال أبو الوليد الازرقى رحمه الله أول من حلى الكعبة الشريفة فى الجاهلية عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم بالغزالين اللذين وجدهما فى بئر زمزم حين حفرها ثم قال أول من ذهب البيت فى الاسلام عبد الملك بن مروان وقال المسبحى ما يقتضى خلاف ذلك فقال أول من حلى البيت عبد الله بن الزبير وجعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب * وذكر الفاكهى ان عبد الملك بعث الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسرى بستة وثلاثين ألف دينار يضرب بها على باب الكعبة الزبارة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الاساطين التى فى جوف الكعبة وعلى أركانها من داخل * وذكر الازرقى ان الامين بن هارون الرشيد أرسل الى عامله على مكة سالم بن الجراح بثمانية عشر ألف دينار فضرب بها صفائح سمرت على الباب وجعل مساميرها وحلقتى الباب وأعتابه من الذهب وذكر أيضا ان حجبة الكعبة أرسلوا الى المتوكل العباسى يذكرون له ان زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها كانتا ذهبا فأرسل المتوكل الى اسحق بن سلمة الصائغ بذهب وأمره بعمل ذلك فكسر اسحق تلك الزوايا وأعادها من الذهب وعمل منطقة من فضة ركبها فوق ازار الكعبة من داخلها عرضها ثلثا ذراع وجعل لها طوقا من الذهب متصلا بهذه

---

الاشراف بمكة واستمر الى سنة سبعمائة واثنتين وتسعين وفى اثنائه شاركه عنان بولاية من الملك الظاهر برقوق صاحب مصر فوصل مكة فى نصف شعبان من السنة المذكورة واصطلح هو وآل عجلان وكان معه القواد ومع على الشرفاء واستمر الى شهر صفر سنة سبعمائة وأربعة وتسعين فولى مكة على بن عجلان بمفرده وذلك ان بعض آل عجلان هم بقتل عنان فى المسعى ففر ولم يظفروا به وخرج من مكة ولم يدخلها الا بعد ان استدعاه هو وعلى بن عجلان سلطان مصر فدخل عنان مكة ليتجهز بعد ان أخليت من العبيد فأقام مدة يسيرة وخرج الى مصر ولحقه على بن عجلان واستخلف على مكة أخاه محمد بن عجلان مع العبيد وقبض على عنان بمصر وسجن بالاسكندرية مع جماز الحسينى صاحب المدينة وعلى بن مبارك بن رميثة وولديه وذلك سنة سبعمائة وتسعة وتسعين ورجع على بن عجلان الى مكة متوليا من الظاهر برقوق

((موت الشريف عنان بمصر))

ثم نقل عنان الى مصر سنة ثمانمائة وأربعة وحصل له مرض اقتضى ابطال بعض جسده فعولج لذلك باضجاعه فى محل حمى بالنار فاشتدت عليه الحرارة فاحترق ومات سنة ثمانمائة وخمسة عن ثلاث وستين سنة وكان شجاعا مقداما جوادا كريما أجاز الشاعر ابن العليف فى قصيدة بثلاثين ألف درهم واستمرت ولاية على بن عجلان الى أن استشهد فى سابع شوال سنة سبعمائة وسبعة وتسعين وكان مغلوبا عليه من الاشراف وذلك انه بعد وصوله من مصر بشهر قبض على جماعة من الاشراف والقواد فخودع فيهم فأطلقهم فصاروا يشوشون عليه ويكلفونه مالا تصل قوته اليه

((قتل الشريف على بن عجلان))

فأفضى الحال الى أن قل الامان بمكة وجدة فقصد التجار ينبع ولحق أهل مكة لذلك شدة ومازال القواد به حتى عملوا على قتله فقتلوه سابع شوال سنة سبعمائة وسبعة وتسعين ولما قتل ولى مكة أخوه (الشريف محمد بن عجلان)

((ولاية الشريف الحسن بن عجلان))

وتقوى بالعبيد الى أن وصل أخوه الشريف الحسن بن عجلان من مصر بولاية مكة عوضا عن أخيه لانه كان قبل ذلك توجه الى مصر مغاضبا لاخيه على فلما وصل خبر قتل على الى مصر جعل سلطان مصر الحسن واليا على مكة فجاء الى مكة ومعه عسكر ولاقاه أخوه محمد من عسفان ودخل مكة يوم السبت الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة سبعمائة وثمانية وتسعين وهرب منه بعض الاشراف ثم خرج الى بئر شمس لقتالهم فساروا منه الى وادى مر فسار اليهم والتقوا بمكان يقال له

المنطقة قال وكان اسفل الباب عتبة من خشب ساج قد رثت وتآكلت فأبدلها بخشب آخر والبسه صفائح من فضة قال اسحق الصائغ فكان مجموع الزوايا والطوق الذهب ثمانية آلاف مثقال ومنطقة الفضة وما على الباب من الفضة وما حلى به المقام من الفضة سبعين ألف درهم * وذكر السيد القاضي تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى ماوقع بعد الازرقي من تحلية البيت الشريف فقال من ذلك ان الحجبة كتبوا الى المعتضد العباسي ان بعض ولاة مكة قطع أيام الفتنة عضادتي باب الكعبة وغيرهما وسبكهما دنانير وصرفهما على الفتنة فأمر المعتضد باعادة ذلك جميعه وأعيدت كما أشار به قال ومن ذلك ان أم المقتدر الخليفة العباسي أمرت غلامها لؤلؤا أن يلبس جميع اسطوانات البيت الشريف ذهبا (٣٧) ففعل ذلك في سنة عشر وثلثمائة قال ومن ذلك ان الوزير جمال الدين ابن محمد بن علي بن منصور المعروف بالجواد وزير صاحب مصر أنفذ في سنة تسع وأربعين وخمسمائة حاجبه الى مكة ومعه خمسة آلاف دينار ليعمل بها صفائح الذهب والفضة في أركان الكعبة من داخلها * قال وممن حلاها الملك المظفر الغساني صاحب اليمن وحلاها حفيده الملك المجاهد صاحب اليمن أيضا ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي صاحب مصر حلى باب الكعبة الذي عمله لها بخمسة وثلاثين ألف درهم وان حفيده الملك الاشرف شعبان حلى باب الكعبة في سنة ست وسبعين وسبعمائة انتهى ماذكره التقي الفاسي رحمه الله * قلت وقد أدركنا الباب الشريف مصفحا بالفضة وكان يختلس من فضته أوقات الغفلة من قل دينه وخفت يده الى ان انكشف أسفل الباب الشريف عن خشب الباب ومسك مرارا من يفعل ذلك وحبسوا واهينوا فعرض ذلك على الابواب الشريفة السلطانية في أيام المرحوم المقدس السلطان سليمان خان أسكنه الله تعالى فراديس الجنان في سنة احدى وستين وتسعمائة فبرز الامر الشريف السلطاني بتصفيح الباب الشريف بالفضة الى ناظر الحرم الشريف المقيم بمكة في منصب نظارة الحرم الشريف يومئذ وهو من فضلاء كتبة مصر أحمد جلبي المقاطعجي صهر المرحوم محمد بن سليمان دفتدار مصر اذ ذاك رحمه الله تعالى وكان له شعر لطيف بالتركي وتخلصه تبركا وتيمنا جامي وترجم باللسان التركي كتاب روضة الشهداء لمولانا جامي وضمنه من لطائف النظم والنثر مايستحسنه ومن محاسن السجع مايخف على السمع وهو كتاب مقبول

الزيارة فقاتلهم وقتل منهم عدة وتمت له ولاية مكة وحاسن الناس من الرعية والتجار وكان أديبا فاضلا شاعرا واستمر الشريف حسن بن عجلان على ولاية مكة الى سنة ثمانمائة وتسعة فأشرك معه ولده بركات بن حسن في امارة مكة وفي هذه السنة وصلت هدية كبيرة من صاحب بنقالة السلطان غياث الدين أعظم شاه ومعها صدقة لاهل الحرمين وخلع للقضاة والائمة وهدية من صاحب كنباية وكتاب يخبر فيه انه أنهى اليه ان الناس في صلاة الجمعة لايجدون مايستظلون به من الشمس عند سماع الخطبة بالمسجد الحرام وان بعض الناس منهم الشيخ حسن المناوي حسن اليه ان نجعل مايستظل به الناس وانا بعثنا بخيام تنصب في المطاف فجاءت تلك الخيام ونصبت حول المطاف مدة قليلة وكان في نصبها ضرر لعثار الناس باطنابها فأخذها الشريف بعد سفر الحج المصري بأيام قلائل وفي سنة ثمانمائة وعشرة تكلم الشريف حسن لابنه أحمد في مشاركته لاخيه بركات فولى السلطان نصف امارة مكة لاحمد شركة لاخيه وولى أباهما نيابة السلطنة في جميع بلاد الحجاز وجاء التوقيع من السلطنة سنة احدى عشرة وثمانمائة فكان الخطيب يدعو للشريف حسن وولديه بمكة ويدعى في المدينة للشريف حسن بمفرده وفي سنة ثمانمائة واثنتي عشرة كان بين الشريف حسن وأمير الحاج المصري منافرة حصل بسببها قتل في الحجاج ونهب لكثير منهم حال توجههم لعرفة ومنى وتخلف أكثر أهل مكة عن الحج وسبب ذلك ان أمير الحاج لما وصل الى ينبع أعلن للناس ان أمير مكة معزول وانه يريد محاربته فنما الخبر الى الشريف فاستعد للقتال وجمع من الخيل والرجال مالم يجمع مثله أحد قبله من امراء مكة قيل ستمائة فرس وخمسة آلاف مقاتل حتى ضاقت بهم مكة وتعبت الخواطر وتوقع الناس فتنة عظيمة فبينما هم كذلك اذ لاطف الله وأتى الخبر من مصر أن السلطان قد أعاد الشريف حسنا وأولاده وبعث اليهم بالخلع مع خادمه الخاص فيروز وبعد ذلك بيوم أو يومين وصل الخادم فيروز مكة وألبس الشريف وأولاده التشاريف السلطانية وقرأ العهد الذي معه بعودهم وتأخر أمير الحج عن الدخول تخوفا من الشريف لما بلغه ماهو فيه من القوة فتكلم الاغا فيروز مع الشريف في عدم مؤاخذة أمير الحاج وطلب منه ان يأذن له في الدخول فأجابه الشريف الى ذلك مع اشتراط ان يسلم اليه الامير جميع مامعه من السلاح الى وقت خروجه فضمن فيروز المذكور ذلك وسلم أمير الحاج جميع مامعه من السلاح للشريف ودخل مكة مع فيروز المذكور وحضر بين يدي مولانا الشريف واعتذر اليه ثم انه خرج من عنده وانقبض كل منهما عن صاحبه الى ان انقضت أيام الحج ووقف الناس بعرفة في هذه السنة يومين لاختلاف وقع في الشهور وتوجه أمير الحاج بالحج بعد ان دفع اليه الشريف سلاحه وظهر من الشريف في حقه ماحمده

عليه الناس كافة ولم يحج مولانا الشريف ولا احد من أولاده تلك السنة ولا أهل مكة الا القليل وأصاب الحج مشقة بين المأزمين فحصل هناك قتل ونهب من غوغاء العرب ودفع عن الناس بعض رجال الشريف وفي سنة ثمانمائة وخمسة عشر وقعت فتنة بعرفة بين العرب وقتل من آل جميل جماعة فركب الشريف حسن بنفسه لاخماد الفتنة وسلم الله تعالى

﴿ذكر الجمل الذي دخل المسجد الحرام﴾

قال العلامة القطبي ان في أثناء جمادى الآخرة من هذه السنة هرب جمل لجمال فدخل المسجد وجعل يطوف بالكعبة والناس حوله يريدون امساكه فلم يقدروا وافتركوه الى أن أتم ثلاثة أسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود واستلمه ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هناك محاذيا للميزاب ودموعه تتساقط وألقى نفسه على الارض فمات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة وحفروا له ودفنوه ثمة

﴿ذكر الفتنة التي حصلت في المسجد بين القواد والمصريين وتسمير أبواب المسجد وجعله اصطبلا للخيل﴾

وفي سنة ثمانمائة وسبعة عشر لما كان يوم الجمعة خامس ذي الحجة حصلت فتنة بين القواد والمصريين وانتهكت حرمة المسجد الحرام لما حصل فيه من القتال وسفك الدماء وتلويث الخيل بسبب طول مقامها في المسجد وسبب ذلك ان أمير الحاج المصري أدب بعض العبيد بالعمرة على حمل السلاح لنهيه عن ذلك وحبسه فرغب مواليه في اطلاقه فامتنع فلما قام الناس لصلاة الجمعة من اليوم المذكور هجم جماعة من القواد المسجد الحرام من باب ابراهيم على خيولهم وعليهم لامات الحرب وانتهوا الى مقام الحنفي فلقيهم الترك والحجاج وقاتلوهم الى ان وصلوا سوق المعلافة أسفل مكة فظهر عليهم المصريون وانتهب السوق وبعض بيوت المكيين فلما كان آخر النهار أمر أمير الحاج بتسمير أبواب المسجد كلها الا باب بني شيبة والباب الذي عند المدرسة المجاهدية فسمرت الابواب وأدخل جميع خيله المسجد وجعلت في الرواق الشرقي قريبا من رباط الشرابي وباتت في المسجد الى الصباح والمشاعل موقدة في المسجد ومشاعل المقامات موقدة أيضا ونهب القواد الحاج الذي بالابطح وخارج المسجد فخرج الشريف حسن وانضم الى القواد بموضع بأسفل مكة وحضر اليه في بكرة هذا اليوم جماعة من أعيان مكة وذكروا له ما وقع فأظهر التعب وكراهة ذلك فرجعوا الى أمير الحاج المصري وأخبروه بمقاله وأخبروه انه أخطأ في امساك القائد وضربه فأمر باطلاقه وطلب منهم ان صاحب مكة يخمد هذه الفتنة فرجع الجماعة الى الشريف وأخبروه والتمسوا منه اخماد الفتنة والعفو عن هذه الزلة فبعث ولده الشريف أحمد الى أمير الحاج فخلع

عليه

منذ اول بين الناس اللطفاء وكان وصوله الى مكة في افتتاح سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وكان في البيت الشريف خشبة من أخشاب خشبه المنيف انكسرت وصار الماء ينزل من موضع الكسر الى جوف البيت المعظم وكان قاضي مصر يومئذ قدوة علماء الموالي العظام مولانا حامد أفندي وهو اليوم مفتي ممالك الاسلام بالباب العالي أطال الله عمره المديد وأدام بقاءه السعيد فحج الى بلد الله الحرام وقاضي مكة يومئذ الافندي مولانا محمد بن محمود المعروف بخواجه قيني أسكنهما الله فسيح الجنان وحفت تربتهما بالروح والريحان فاطلعا على هذا الاخلال وعرضاه على الابواب الشريفة السليمانية فلما وصل العرض الى المرحوم المقدس المغفور الاقدس السلطان سليمان خان حاز أعلى (٣٨) غرف الجنان أرسل الى مفتي الاسلام سلطان العلماء الاعلام مولانا أبي السعود أفندي المفتي الاعظم قدس الله روحه يستفتيه عن حكم الله في هذه المسئلة جوازا وعدم جواز فكتب اليه بجواز ذلك ان دعت الضرورة اليه فأرسل بجواب المفتي الاعظم الى صاحب مصر يومئذ الوزير المعظم المرحوم علي باشا فأرسله الوزير المذكور الى ناظر الحرم المشار اليه وقاضي مكة يومئذ محمد بن محمود رحمهما الله تعالى مع أمر شريف سلطاني مضمونه العمل بمقتضى الفتوى فجمع أحمد جلبي مؤن العمارة والاخشاب اللائقة لهذا العمل وكان كاتبه صواق مصطفى جلبي ومعماره مصطفى المعمار وقبل الشروع في العمل اقتضى رأيهم مشاورة العلماء في ذلك فجلس مولانا الافندي محمد بن محمود بن كمال بعد صلاة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة تسع وخمسين وتسعمائة في الحرم الشريف واستحضر مفتي العلماء الشافعية المرحوم مولانا الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي ومولانا الشيخ نور الدين علي بن ابراهيم العسيلي ومولانا القاضي يحيى بن فائز بن ظهيرة ومؤلف هذا الكتاب وتفاوضوا في هذه المسئلة فذكر مصطفى المعمار انه شاهد عودين من أعواد سقف الكعبة مكسورين نزلا عن محاذاة بقية اخشاب السقف الشريف من وسطهما مقدار اثني عشر قيراطا وذكر ان عودا ثالثا الى جانبهما لجهة الباب الشريف نزل أيضا تسعة أصابع عن محاذاة أعواد السقف الصحيحة هبوطا الى أسفل وانه يحتمل ان يكون مكسورا أيضا ويحتمل ان يكون صحيحا لكنه اعوج باعوجاج مال الى جانبه من العود المكسور وشهد معه أحمد الجيماني المصري وغيره

وذكروا بأنه ان لم يتدارك تغير الخشب المكسور بخشب صحيح فالغالب في أمثال ذلك ان يسقط الى أسفل وتتزعزع الجدران بسقوطه ويغلب في الظن اختلال في جوانب السطح يؤدي الى سقوط السقف جميعه وتشقق الجدران وسقوطها فاتفقت آراء الحاضرين على الاقدام على تعمير السطح وتبديل تلك الاعواد وعينوا ان يشرعوا صبح يوم السبت منتصف شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين وتسعمائة فتعصب طائفة حركهم الهوى والغرض لمخالفة ما رأينا وحركوا طائفة من العلماء الى الخلاف وزعموا ان من تعظيم البيت الشريف ان لا يتعرض له بترميم ولا اصلاح وان قيام الكعبة الشريفة هذه المدة المديدة والرياح تنسفها من الجوانب الاربع ولا تؤثر فيها دليل على أن قيامها ليس بقوة البناء بل هي قائمة بقدرة الله تعالى وانه



عليه الامير وخرج من عنده ونادى بالامان فاطمأنت الناس وأمنت بعد جراحات كثيرة حصلت للفريقين قال بعضهم ولا أعلم فتنة أعظم منها بعد القرامطة وكان القائد الذي وقعت الفتنة بسببه يقال له جراد واتفق ان تلك السنة كانت غلاء فقال بعض الادباء في ذلك

وقع الغلاء بمكة * والناس أضحوا في جهاد

والخير قل فهاهم * يتقاتلون على جراد

وفيه تورية لطيفة واستمر الشريف حسن وأولاده الى سنة ثمانية عشر وثمانمائة

((ولاية رميثة بن محمد بن عجلان))

فولى السلطان الشريف (رميثة بن محمد بن عجلان) فدخل مكة في العشر الاول من ذي الحجة وصرح في توقيعه انه ولي نيابة السلطنة عن عمه حسن وامارة مكة عوضا عن ابن عمه

((رجوع الشريف حسن في ولاية مكة))

وخرج الشريف حسن من مكة الى الشقان وبعث ابنه بركات الى مصر لاستعطاف السلطان فأنعم عليه بولاية مكة وجهز له خلعة فوصلت في العشر الاوسط من شوال سنة ثمانمائة وتسعة عشر فتوجه الشريف حسن الى مكة فلما بلغ باب المعلى قاومه أصحاب رميثة ومنعوه الدخول فأزال من كان هنالك بالرمي بالنشاب والاحجار فعمد بعض العسكر الى الباب فخرقه حتى سقط على الارض وهدموا بعض السور رمايلي الجبل وبركة الشامي ودخل منه بعض العسكر ورقوا موضعا من الجبل ورموا أصحاب رميثة بالنشاب وحاصل الامر انهم دخلوا مكة بعد حصول قتال بين الفئتين وخرج جماعة من أعيان مكة ومن الفقهاء والصلحاء ومعهم ربعات شريفة وقابلوا الشريف حسنا وسألوه كف القتال فأجاب الى ذلك بشرط اخراج معانديه من مكة فرجع الجماعة الى الشريف رميثة وأخبروه بذلك ودخل الشريف حسن وخيم عسكره بالمعلى حول البركتين فأقام هنالك حتى أصبح ودخل مكة لابسا خلعة السلطان الملك المؤيد في السادس والعشرين من شوال من السنة المذكورة وطاف بالبيت وقرأ توقيعه وكان يوما مشهودا ونادى بالامان للمعاندين خمسة أيام فخرجوا الى اليمن ثم ان الشريف رميثة اجتمع بعمه الشريف حسن واصطلحا فتغير القواد على الشريف حسن وقاموا بنصرة ذوي رميثة بن أبي نمي وهم أولاد أحمد بن ثقبة بن رميثة بن أبي نمي وأولاد علي بن مبارك بن رميثة وأعانوا بولاية مكة لثقبة بن أحمد بن ثقبة وميلب بن علي بن مبارك وجعلوا الكل منهما نوابا بجدة فجهز عليهم الشريف حسن فهربوا من جدة وقصدوا مكة فغاربهم نائب الشريف وهو حسن مفتاح الزفتاوي فقتلوه وقتلوا معه جماعة ثم فروا الى جهة اليمن في

لا يجوز تغيير أخشابها الا اذا سقطت بنفسها وغير ذلك من التمويهات والتهويلات التي تنبو عن مسامع العقلاء وهولوا الامر على عوام الناس وغوغائهم وكادت أن تقوم لذلك فتنة على العوام وكتب مولانا شهاب الدين أحمد بن حجر تأليفا واسعا في الرد على أولئك المعاندين واستند الى نقول كثيرة وهم على الجواز وجاءني رحمه الله تعالى يحرضني على الثبات على ماصدر مني من القول بالجواز ونقل لي عن المحب الطبري في كتابه استقصاء البيان في مسئلة الشاذروان بعد ذكره حديث عائشة رضي الله عنها في هدم الكعبة ما نصه ومدلول هذا الحديث تصريحا وتلويحا انه يجوز التغيير في الكعبة لمصلحة ضرورية أو حاجية أو مستحسنة انتهى * ولما

بلغ سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن نمي صاحب مكة اذ ذاك تغمده الله تعالى برضوانه وأسكنه فسيح جنانه حضر بنفسه من البر الى مكة المشرفة وطلب سيدنا ومولانا سلطان العلماء الاعلام شيخ الاسلام شمس الملة والدين الشيخ محمد بن مولانا الشيخ أبي الحسن البكري نفع الله به وبأسلافه الكرام وشيد به أزر شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ومولانا الافندي الاعظم قاضي مكة المشرفة وسيدنا ومولانا قاضي القضاة ومرجع أهل بلد الله الحرام القاضي تاج الدين بن عبد الوهاب بن يعقوب المالكي طيب الله مثواه وجعل الفردوس الاعلى مأواه وناظر الحرم الشريف المكي يومئذ أحمد جلبي المذكور وغيرهم واجتمعوا تجاه البيت الشريف عند مقام سيدنا ابراهيم عليه السلام وأشير الى سيدنا

ومولانا الشيخ الاعظم محمد البكري ان يأتي درسا يتكلم فيه على قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم فتكلم على جاري عادته بلسان طلق فصيح ولفظ منتظم مليح أبهر به الحاضرين وأدهش الناظرين وأفاد وأجاد وقلد نفائس الدرر الاجياد * فلما انقضى الدرس أخرج الناظر فتوى المفتي للناس فرآها مولانا الشيخ الاعظم الشيخ محمد البكري فقال ومن يخالف هذا من الناس هذا هو عين الحق ومحض الصواب وأمر مولانا السيد أحمد العمال بالشروع في العمل فشرعوا وسكنت الفتنة ولله الحمد وكل ذلك بتدبير المرحوم القاضي تاج الدين المالكي رحمه الله وكان عاقلا محتشما ذا رأي صواب محض وله فضل تام وفكر صائب (٤٠) تمام وتوفي الى رحمة الله تعالى في سنة احدى وستين وتسعمائة * ثم لما كشف عن تلك الاعواد في السقف وجدوها كما ظنوا وأبدلوها بأعواد جيدة في غاية الاحكام والاستقامة وأعادوا السقف والسطح كما كان بغاية الاتقان وسطر ثواب ذلك في صحائف المرحوم السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان ثم بعد الفراغ طلبوا منا شيأ يمكن كتابته فكتبت لهم كلاما يتضمن التاريخ وهو * الحمد لله الذي عمر الكعبة الشريفة بشرائع المحمدية وسقفها بتشييد واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا وأصلح الوجود بوجود من وجد فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه وخصه بكنز انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر فكان له أعظم كرامة وأناله الحظ الاوفر من ملك سميه نبي الله سيدنا سليمان بن السلطان سليم خان الحادي عشر من ملوك بني عثمان خادم الحرمين (ولاية الشريفين الخافقة ألويته نصره ورايات ظفره في الخافقين فلقد جدد سقف الكعبة المعظمة حفظ الله دولته حفظ البيت المعمور والسقف المرفوع وأصلح أرضها المقدسة وجدرانها المتخذة قبلة للسجود والركوع وغرد طير تاريخ تجديد عمارته على غصون حساب أبجد (فكان مجدد سطح بيت الله مالك الدولة سليمان) ملكه الله الارض ومن عليها وجعل باب سعادته قبلة تسجد جباه المطالب اليها ثم لما فرغ من تجديد سطح البيت الشريف وما يتعلق به شرع في تسوية فرش المطاف الشريف فان أحجاره انفصلت وصار بين كل حجرين حفر وكانت تلك الحفر تسد تارة بالنورة وتدلك وتارة بالرصاص ويسمر بمسامير الحديد فأزال ما بين

---

شوال سنة ثمانمائة وعشرين وقدم من مصر الشريف بركات بن حسن شريكا لوالده فسر بذلك والده ورشحه للامر

((ذكر قيام الشريف بركات بن حسن بولاية مكة))

وفي سنة ثمانمائة واحدى وعشرين تخلى الشريف حسن عن أمر مكة لابنه الشريف بركات فجمع عليه ابنه أحمد وخرج عن طاعة أبيه فاستعطفه أبوه فلم يفد وأغراه بعض جماعة من المفسدين على نهب جدة ففعل ثم صالح أباه ودخل مكة ثم نكث وذهب الى ينبع ثم رجع مع الحج ثم عاد الى ينبع وفي سنة ثمانمائة وثلاثة وعشرين طلب الشريف حسن من السلطان المؤيد صاحب مصر تفويض امارة مكة لولديه بركات وابراهيم وانفصل عن الامارة لرغبته في العبادة لكبره وضعفه وتوجه عقب الارسال الى حلي في شهر صفر فوصل جوابه ثاني عشر ربيع الاول سنة ثمانمائة وأربعة وعشرين وجاء عهد مكة له ولابنه بركات ولم يسمح بها لابراهيم فحصل التنافر بين الاخوين فخرج ابراهيم الى اليمن ثم جاء ومعه جمع من الاشراف وغيرهم ودخل مكة وألزموا المؤذن بالدعاء له فدعا له الخطيب مع أخيه وأبيه بالكره عليهما واستمر الامر على ذلك سنة ثمانمائة وستة وعشرين فأمر الشريف حسن بترك الدعاء لابنه ابراهيم لانه أمره بمباينة ذوي راجح فلم يفعل وجاءت خلعتان للشريف حسن وابنه بركات من صاحب مصر الملك المظفر بن الملك المؤيد وجعل للشريف حسن ألف أحمر تحمل اليه من مصر في مقابلة تركه المكوس على الخضراوات بمكة وأمر أن يكتب ذلك في بعض أساطين المسجد الحرام ثم ولي مصر السلطان برسباي فجعل امارة مكة للشريف رميثة بن محمد بن عجلان وكان باليمن فلم يصادف الامر محلا وكان أمير الحاج فيروز الناصري فدخل مكة وهو في غاية الوجل والخوف وكان يظن عدم مقابلة الاشراف له فتسقط حرمته فخرج الشريف حسن الى لقاء المحمل على جري العادة ولبس التشريف الوارد ثم قابل الامير المذكور مقابلة خاصة وقال له بلغنا ان مولانا السلطان عزلنا عن امارة مكة لكلام الحساد الباطل فلما بلغنا ذلك لم نفعل فعل أهل الظلم والجور الذين اذا بلغهم عزلهم نهبوا البلاد وأضروا العباد فاجابه الامير بأن هذه بلادكم خلفا عن سلف وان مولانا السلطان محب لكم وسوف تعلمون صحة قولي اذا رجعت وجاءتكم المكاتيب منه بعدم صحة ما نقل لكم عنه فلما ان سافر الامير المذكور أرسل معه الشريف هدية عظيمة للسلطان فلما وصل الامير الى مصر وذكر للسلطان ماقاله الشريف حسن وأخبره بما وقع من تحرزه من الفتنة وحفظه للحاج وقدم له الهدية رضي السلطان فأرسل الى الشريف حسن بالتأييد والاستمرار وقضى جميع مطالبه

الاحجار من الحفر وتحت طرف الحجر الى ان الصقه بطرف الحجر الآخر من جوانبه الاربعة واستمر فى فرش المطاف الشريف على هذا الاسلوب الى ان فرغ من ذلك واصلح أبواب المسجد الشريف وفرش المسجد جميعه بالحصى ثم ورد الحكم السلطانى بتصفيح الباب الشريف واصلاح الميزاب الشريف وصفح بالفضة المموهة بالذهب الى ان غير بعد ذلك وعمل الميزاب فى الباب الخاقانى فوصل ووضع فى الخزانة العامرة ﴿واما عمارة المطاف الشريف﴾ فوقع فى سنة احدى وستين وتسعمائة وكنت قد أمرت بتاريخ يكتب على بعض مواضع المطاف فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا تقرب الى الله تعالى بتجديد فرش أحجار المطاف وتسويتها تحت أقدام الطائفين فى الطواف وتحلية الباب الشريف والميزاب المعظم المنيف خليفة الله تعالى الاعظم سلطان الروم والعرب والعجم من اصطفاه الله تعالى واجتباه لترميم بيته الحرام واختاره وارتضاه بخدمة الركن والمقام السلطان ابن السلطان الملك المظفر أبو الفتوحات السلطان سليمان خان تقبل الله منه صالح الاعمال وبلغه مايؤمله من السعادة والاقبال ولما تم ذلك غرد بالتاريخ طير الهنا عمر الله قبلتنا

*(فصل فى ذكر تعاليق الكعبة المعظمة وكسوتها)*

اما التعاليق فقال المسعودى فى مروج الذهب كانت الفرس تهدى الى الكعبة أموالا وجواهر فى الزمان الاول وكان ابن ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفا وذهبا كثيرا الى الكعبة * وقال الشريف التقى الفاسى فى شفاء الغرام يقال ان كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشى أول من علق فى الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة ثم نقل عن الازرقى فى أشياء أهديت للكعبة منها ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما فتح مدائن كسرى كان مما بعث اليه هلالان فبعث بهما فعلقهما فى الكعبة وبعث السفاح بالصفحة الخضراء فعلقت فى الكعبة والمأمون بالياقوتة التى تعلق فى كل موسم بسلسلة من الذهب فعلقت فى وجه الكعبة وبعث المتوكل على الله بشمسية من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد تعلق بسلسلة من الذهب فى وجه البيت فى كل موسم واهدى المعتصم العباسى قفلا لباب الكعبة فيه ألف مثقال ذهبا

*(ولاية الشريف على بن عنان بن مغامس على مكة)*

وفى سنة ثمانمائة وسبعة وعشرين توجه الشريف على بن عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نمى الى مصر فولاه السلطان برسباى امارة مكة فورد من مصر ومعه عسكر جرار فدخل مكة سادس جمادى الاولى من السنة المذكورة وخرج منها الشريف حسن وأهل بيته

*(رجوع الشريف حسن فى الامارة)*

وفى أول ذى الحجة سنة ثمانمائة وثمانية وعشرين ورد التفويض من السلطان برسباى للشريف حسن وعزل على بن عنان لموجب كتاب وصل الى السلطان من الشريف حسن رفق فيه المعانى وعرفه ان عزله له من غير جناية فأعاد اليه مكانته وحفظ عليه أمانته فدخل مكة رابع ذى الحجة من السنة المذكورة

*(ذكر وفاة الشريف حسن بمصر سنة ٨٢٩)*

ثم ان الشريف حسن بعد موسم سنة ثمانمائة وثمانية وعشرين توجه الى مصر للقاء السلطان برسباى فاجتمع به وأجله وأعظمه وقرره على أمر مكة وذلك فى العشرين من جمادى الاولى سنة ثمانمائة وتسعة وعشرين وقد أصابته علة فتجهز للرجوع فأدركته منيته فتوفى بمصر سادس عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكانت ولايته سنة سبعمائة وخمسة وسبعين وكانت مدة ولايته انفرادا ومشاركة لابنه بركات ستة عشر سنة وشهورا وكان صاحب ثروة وخيرات كثيرة بمكة بنى رباطا للرجال وآخر للنساء ولم يكن بمكة من يدانيه فى جوده وكرمه وكان من افضلاء أجازه بالتحديث جماعة من علماء مصر والشام وخرج له التقى بن فهد أربعين حديثا ومدحه كثير من الشعراء منهم العلامة شرف الدين اسمعيل بن المقرى صاحب الروض والارشاد فى مذهب الشافعية وله فى مدحه قصائد منها قصيدة مطلعها

أحسنت فى تدبير ملكك ياحسن * وأجدت فى تحليل اخلاط الفتن وهى طويلة

*(ولاية الشريف بركات بن حسن على مكة بعد وفاة أبيه وذكر بعض فضائله)*

وولى مكة بعده ابنه الشريف بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى بن حسن بن على بن قتادة وكان الشريف بركات بن حسن هذا أديبا فاضلا مائلا بالطبع الى العلماء والاخذ عنهم وقد أجازله جماعة منهم الحافظ العراقى والهيثمى والبرهانى والمراغى وحدث عنه البقاعى وغيره

*(ذكر استدعاء السلطان برسباى الشريف بركات الى مصر)*

قال القاضى جمال الدين بن ظهيرة ان السلطان برسباى بعد موت الشريف حسن استدعى ابنه

في سنة تسع عشرة ومائتين وكان والي مكة يومئذ من قبل صالح بن العباس فأرسل الى الحجبة ليقبضهم القفل فأبوا ان يأخذوه منه وأرادوا ان يأخذ القفل الاول ويرسل به الى الخليفة فأبوا ان يعطوه ذلك وتوجهوا الى بغداد وتكلموا مع المعتصم فترك قفل الكعبة عليها واعطاهم القفل الذي كان بعثه اليها فاقتسموه بينهم وذكر الفاكهي أن مما اهدي الى الكعبة طوق من ذهب مكلل بالزمرذ والياقوت مع ياقوتة كبيرة خضراء أرسله ملك الهند لما أسلم في سنة تسع وخمسين ومائتين فعرض أمره على المعتمد على الله فأمر بتعليقها في البيت الشريف فعلقت قال التقي الفاسي رحمه الله تعالى ومما علق بعد الازرقي قصبة من فضة فيها كتاب بيعة جعفر ابن أمير المؤمنين المعتمد على الله



وبيعة أبي أحمد الموفق بالله ابن أخي المعتمد على الله وقدم بها الفضل بن عباس في موسم سنة احدى وستين ومائتين وكان وزن الفضة ثلثمائة وستين درهما فضة وعليها خارجا عن ذلك ثلاث أزرار بثلاثة سلاسل من فضة ودخل الكعبة يوم الاثنين لاربع خلون من صفر فعلق هذه القصبة مع تعاليق الكعبة (قلت) وسيأتي ان هرون الرشيد كتب أن يكون ولي عهده بعده محمد الامين ثم عبد الله المأمون وبايع لهما على ذلك أعيان مملكته وكتب مبايعتهم وأرسل نسخة ذلك العهد الى الكعبة وعلقها في الكعبة ثم لما وقع بعده الاختلاف بينهما وأرسل الامين عسكر القتال أخيه المأمون أرسل الى مكة وأخرج كتاب العهد من الكعبة ومزقه فمزق الله ملكه وانكسر عسكره وانتصر المأمون وجاء الى بغداد وحاصر الامين الى أن أمسكه عبد الله بن طاهر وقتله وأتى برأسه الى المأمون وسيأتي تفصيل ذلك جميعه ان شاء الله تعالى • ثم لما فولى وقعت الفتن بمكة أخذت تلك التعاليق من الكعبة وصرفت في ذلك وقد كانت الملوك ترسل بقناديل الذهب وتعلق في الكعبة وكانت شيوخ سدنة البيت الشريف اذا احتاجت اختلست منها ما تسد به خللها وتدفع به فقرها واحتياجها وقد أدركنا في أيام الصبا وقد خفت القناديل من شيوخ الكعبة من كان يتهم بذلك بل أخبرني نجار انه عمل لاحدهم محطاما كما من الخشب مؤلفا من عدة أعواد طول كل واحد منها نحو ذراع تركب فيطول ثم ينفكل ويحمل في الكم فاذا دخل الشيخ يوم فتح الكعبة ابتدأ فدخل وحده كما هو عادة مشايخ الكعبة وركب ذلك المحط ونزل قنديلا وفك تلك الاعواد وعفس ذلك القنديل ووضع في كمه الواسع ثم

---

بركات من مكة فتوجه اليه ومعه أخوه ابراهيم فقدما مصر في شهر رمضان سنة تسع وعشرين وثمانمائة فلاقاهم السلطان بالاجلال والاكرام وخلع عليه الخلعة السنية وعزاه عن الروح الزكية وولاه أمر مكة البهية وطلب الشريف بركات لاخيه ابراهيم ان يكون نائبا عنه بمكة اذا غاب وتوجها الى مكة فوصلاها في ذي القعدة فقرأ عهده ولبس الخلعة واستمر الى سنة ثمانمائة وخمسة وأربعين فعزل بأخيه علي ثم أعيد

•(ولاية علي بن حسن بن عجلان)•

وفي سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة وصلت المراسيم من صاحب مصر بأن ثلث ما يتحصل من عشور المراكب الهندية يكون لامير مكة والثلثان لصاحب مصر ثم في سنة ثمانمائة وأربعين جاءت المراسيم بأن نصف عشور جدة من المراكب الهندية يكون لامير مكة وفي سنة اثنين وأربعين توفي سلطان مصر السلطان برسباي فتغلب السلطان جقمق على ابن برسباي وملك مصر وأرسل للشريف خلع التأييد وأرسل الامير سيدون ومعه خمسون فارسا من الترك تقيم بمكة وولاه نظر الحرمين ومشد العمائر بها وفي هذه السنة وقع بين الاشراف وآل بني غي وبين السيد علي بن حسن منافرة فسافر السيد على صحبة الحاج ثم وقعت فتنة بين الاشراف والاتراك واقتتلوا في المسعى وقتل جماعة من الفريقين

•(ذكر اعفاء السلطان الشريف من تقبيل خف جمل المحمل)•

وفي سنة ثلاث وأربعين وردت مراسيم باعفاء السلطان الشريف من تقبيل خف الجمل الذي يأتي بالمحمل وفي سنة خمسة وأربعين وقيل ست وأربعين عزل السلطان الشريف بركات

•(ولاية الشريف علي بن حسن بن عجلان على مكة)•

وولي مكة أخاه الشريف علي بن حسن ووصل الى مكة في رجب وخرج منها الشريف بركات وتوجه الى اليمن واستمر الشريف علي الى شوال من السنة المذكورة فقبض عليه الاتراك وعلى أخيه ابراهيم وتوجهوا بهما الى جدة ثم الى مصر وأظهروا رسوما بولاية أخيهما الشريف أبي القاسم بن حسن وكان بمصر فقام بحفظ مكة ولده زاهر بن أبي القاسم

•(ولاية الشريف أبي القاسم بن حسن على مكة)•

ووصل الشريف أبو القاسم من مصر في ذي القعدة من السنة المذكورة ودخل مكة لابسا الخلعة واستمر الى ربيع الاول سنة تسع وأربعين وثمانمائة فهجم عليه الشريف بركات ففر

•(رجوع الشريف بركات الى مكة وفرار أخيه أبي القاسم)•

فولى مكة الشريف بركات وشاع فى آخر السنة ان السلطان غضب من فعل الشريف بركات وانه بعث بعزله مع الحج فجاء الحج وقد احترز الشريف بركات غاية الاحتراز وورد مع الحج نحو عشرين أميرا فخرج الشريف بركات للقاء الامراء على جرى العادة فى أكمل عدة فلما بصروا به على هذه الصفة ألبسوه الخلعة الواردة معهم وحج بالناس الا أنه اعتزلهم بالموقف فوقف جانبا عنهم الى أن نفروا ثم خرج بعد النزول عن مكة ولم يجتمع بأحد من أرباب الدولة

*(رجوع الشريف أبي القاسم الى مكة)*

فعاد الشريف أبو القاسم الى مكة واستمر الى سنة احدى وخمسين

*(رجوع الشريف بركات الى ولاية مكة)*

ولما كان سابع عشر ربيع الاول من السنة المذكورة ورد قاصد من مصر باعادة الشريف بركات الى امارة مكة ورضى عنه السلطان لان ابنه محمد بن بركات توجه الى مصر وتلطف بالسلطان فأكرمه ورضى عنه وأعاد والده الى مكانته ولما جاء هذا القاصد الى مكة خرج منها الشريف أبو القاسم الى وادى الابار ثم توجه الى مصر ومات بها هو وأخوه على سنة ثمانمائة وثلاثة وخمسين وكان الشريف على بن حسن فاضلا كريما ذا ذوق وفهم ونظم رقيق فمن شعره قوله

اذا نال العلا قوم بقوم * رقيت علوها فردا وحيدا

*(استدعاء السلطان جقمق الشريف بركات الى مصر وأخذ العلماء عنه الحديث لعلو سنده ورجوعه الى مكة)*

وفى سنة ثمانمائة واحدى وخمسين استدعى السلطان الشريف بركات الى مصر فقدم الى القاهرة مستهل رمضان فخرج السلطان للقائه الى الرميلة وبالغ فى اكرامه وقابله بالاجلال والاكرام وأخذ عنه العلماء بالقاهرة وازدحموا على القراءة عليه لعلو سنده وأجازهم ورجع الى مكة ودخلها خامس جمادى الاولى محرما بالعمرة فطاف وسعى بالليل وخرج الى الزاهر وبات به ودخل مكة فى الصبح لابسا خلعة الولاية وقرئ توقيعه بالحطيم وفى سنة ثمانمائة وتسعة وخمسين مرض الشريف بركات فعرض لابنه محمد أن يكون ولى عهده من بعده

*(وفاة الشريف بركات)*

ثم توفى الشريف بركات تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة بأرض خالد من وادى مر وحمل على أعناق الرجال الى مكة وغسل وصلى عليه وطيف به سبعا على عادة أشراف مكة ودفن بالمعلاة وبنى عليه قبة ورثاه الشعراء

أذن للناس بالدخول الى البيت الشريف وما كان يحمله على ذلك غير فقره واحتياجه تجاوز الله عنه وافتقد مرة أمير من أمراء جدة قنديلا كان علقه قريبا فى البيت الشريف فكلم على ذلك الشيخ وأراد اهانته فلم يقدر على ذلك وتكلم الناس عليه وكان يقول المحافظة على بنية الانسان أوجب من المحافظة على قناديل معلقة فى الكعبة لا ينفعها تعليقه ولا يضرها فقده وقد وصلنا الى حد المخمصة فتعذر فى ذلك ان وقع فعله منا * والبيت الشريف الآن ولله الحمد والشكر فى غاية الصون فى أيام هذا الشيخ الموجود الآن لعفته وأمانته وعلقت فى أيامه قناديل كثيرة أهداها الملوك الى الكعبة الشريفة وهى محفوظة معلومة عند الناس بادية يرونها فى سقف البيت الشريف فى أوقات فتح الكعبة لسائر الناس * وقد وصل فى وسط سنة أربع وثمانين وتسعمائة من الباب العالى الشريف السلطانى جاويش اسمه محمد جاويش كان قبل ذلك كاتبا للحرم الشريف على عمارة المسجد الحرام وكان توجه ببشارة اتمام المسجد الشريف الى الباب العالى السلطانى وهو رجل فى غاية الامانة والاستقامة وحسن الخدمة وفضيلة الكتابة وحسن الخط والمروءة وعلو الهمة سلمه الله تعالى فأقبلت عليه السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى وأنعمت بأنواع الانعام والترقى وغير ذلك من الاكرام وأدخل فى عداد خواص جاوشية الباب العالى وأرسل الى الحرمين الشريفين بالخلع الشريفة السلطانية لمن باشر خدمة الحرم الشريف فى هذه العمارة أجلهم سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى سيد السادات الاشراف صفوة الصفوة من شرفاء بنى عبد مناف السيد الشريف الحسيب النسيب المستغنى بشرف ذاته عن التوصيف والتلقيب بدر الدنيا والدين حسن بن أبى نمى خلد الله دولتهما وسعادتهما وأدام عزهما وسيادتهما وكذلك شيخ مشايخ الاسلام سيد العلماء الاعلام ونسل الفضلاء الكرام ناظر المسجد الحرام ومدرس أعظم سلاطين الانام صفوة آل سيد المرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقاضى المدينة المنورة سابقا بدر الملة والدين مولانا السيد حسين الحسينى المكى المكين لازال حرم الله الامين مشمولا فى أيام نظارته بالعز والتمكين وأهل الحرمين الشريفين غارقين فى بحر احسانه كل وقت وحين وكذلك لقاضى مكة المشرفة يومئذ أقضى قضاة المسلمين أولى ولاة الموحدين معدن الفضل واليقين وارث علوم الانبياء والمرسلين مولانا مصلح الدين

لطفى بك زاده ذكره الله بالصالحات وأفاض عليه سوابغ الخيرات وكذلك أمير العمارة الشريفة افتخار الامراء العظام معمر المسجد الحرام الامير أحمد وفقه الله وسدد وا كرمه وأسعد وجهزت السلطنة الشريفة نصر الله تعالى بها الاسلام وأيد تأييدها دين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام مع الجاويش المشار اليه ثلاثة قناديل من الذهب مرصعة بالجواهر ليعلق اثنان منها فى سقف بيت الله تعالى زاده الله تعالى تشريفا وتعظيما والثالث فى الحجرة الشريفة تجاه الوجه الشريف النبوى تعظيما لسيد الانام وقال على ذلك الوجه المليح تحية * مباركة من ربنا وسلام فلما وصل محمد جاويش الى مكة المشرفة شرفها الله تعالى بما فى يده من الخلع والتشاريف والقناديل المعظمة قوبل بغاية التعظيم والاجلال وعومل بنهاية الاحترام والاقبال وألبس الخلع الشريفة الفاخره وأنعم عليها بالضيافات والانعامات الوافره وحضر الى المسجد الحرام بنفسه النفيسة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى السيد حسن المشار الى حضرته العالية أدام الله عزه واقباله ومعه أكابر السادة الاشراف وجلس فى الحطيم الكريم تجاه بيت الله المنيف ومعه سيدنا ومولانا ناظر حرم الله تعالى شيخ مشايخ الاسلام السيد القاضى حسين الحسنى المومى اليه خلد الله عظمته واجلاله عليه وباقى من ذكر وسائر الاعيان والاهالى وكافة العلماء والفقهاء والموالى واجتمعت الناس حول الكعبة الشريفة وامتلأ الحرم الشريف بذلك الموكب المنيف وفتح باب بيت الله تعالى وأحضرت الخلع الشريفة السلطانيه والقناديل السنية الخاقانيه وقرئت المراسيم الشريفة المطاعة فى الاقطار فى والجهات فوق منبر لطيف بصوت جهورى يسمعه الخاص والعام وألبس سيدنا ومولانا السيد حسن نصره الله تعالى خلعتين فاخرتين ثم مولانا ناظر الحرم الشريف ثم من كان له خلعة من السلطنة ثم طاف مولانا وسيدنا السيد حسن بالبيت بخلعته على المعتاد والرئيس المؤذن يدعو للسلطنة الشريفة وله بعلو زمزم على العادة والناس كلهم رافعون أصواتهم بالدعاء والتأمين الى أن فرغ سيدنا ومولانا من الطواف ودعا بالملتزم الشريف ثم صلى ركعتى الطواف فى مقام ابراهيم عليه السلام ثم طلع هو ومولانا ناظر الحرم الشريف وبقية الاعيان الى باب بيت الله تعالى ودخلوا الكعبة وأحضرت القناديل الشريفة واختاروا لها مكانا عاليا يقع

*(تفويض الولاية للشريف محمد بن بركات)*

وجاء جواب عرضه ثانى يوم دفنه وفيه تفويض مكة للشريف محمد بن بركات وكان غائبا فى اليمن لقبض بعض أموال والده ولما رجع قرئ مرسومه بالحطيم والخطاب فيه لوالده الشريف بركات وفى شهر شوال ورد اليه مرسوم من السلطان يتضمن التعزية فى والده وتأييده فى ولاية مكة وكان مولد الشريف محمد بن بركات فى رمضان سنة ثمانمائة وأربعين بمكة وكان جم الفضائل شريف الشمائل واستمر الى سنة ثلاثة وتسعمائة متوليا على مكة مظهرا للعدل فى الرعية ودانت له العباد واتسع ملكه وتصرفه فى البلاد وكانت مدة ولايته ثلاثا وأربعين سنة وفى سنة ثمانمائة واثنين وسبعين تولى سلطنة مصر الملك الاشرف قايتباى وأرسل الخلعة لمولانا الشريف محمد بن بركات وخلعة لقاضى مكة القاضى برهان الدين بن ظهيرة القرشى المخزومى وأرسل مراسيم تقتضى رفع المكوس بمكة وأمر ان ينقر ذلك على اسطوانة بالمسجد الحرام بباب السلام وفى سنة ثلاثة وسبعين وثمانمائة غزا مولانا الشريف محمد بن بركات قبيلة زبيد بين خليص ورابغ وقتل شيخهم رومى وأخاه مالكا ونحو سبعين رجلا وغنم نحو ثلاثين ألفا من المواشى وفى سنة ثمانمائة وسبعة وسبعين وصل مع الحج مرسوم من السلطان يطلب صاحب مكة مولانا الشريف محمد بن بركات والقاضى ابراهيم بن ظهيرة فأرسل مولانا الشريف عوضه ابنه الشريف بركات وصحبته القاضى برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة والقاضى أبو السعود بن ظهيرة وجماعة من أقاربهم فقوبلوا بالاجلال والاكرام من السلطان قايتباى ثم رجعوا

*(ذكر من مات جوف الكعبة من الزحام)*

وفى سنة احدى وثمانين مات من الزحام بالكعبة خمسة وعشرون نفرا

*(ذكر صلاة الشريف هزاع بن محمد بن بركات التراويح بالختمة)*

وفى سنة اثنين وثمانين صلى بالناس السيد هزاع بن الشريف محمد بن بركات صلاة التراويح بجميع القرآن على يمين مقام المالكية وجعل له حطيم من الخشب علق فيه من الثريات والقناديل مالا يحصى وأوقد من الشموع فى تلك الليالى مالا يحصى وكان فى كل ليلة يخرج من بيت والده فى زفة عظيمة فيها جماعات من الاعيان ويتلقاه من باب المسجد القضاة الاربعة ويمشون معه الى مصلاه ثم اذا فرغ يمشون معه الى باب المسجد ويصلى خلفه الامراء والقضاة والفقهاء والاعيان والاروام والتجار وغيرهم ويصلى على يمينه نقيبه وعن شماله القاضى أبو السعود ابن ظهيرة وفى ليلة الختم زف المصلى المذكور راكبا من بيت والده الى الصفا وسار الى ان دخل المسجد وزيد

نظر الداخل الى البيت الشريف فى أول دخوله الى الكعبة المعظمة عليها وأحضر سلما يصعد عليه فعلقهما سيدنا ومولانا السيد حسن بيده الشريفة تعظيما لامر السلطنة العلية المنيفة وقرئت الفواتح فى الكعبة الشريفة وحولها ودعت الناس أجمعون ورفعت أصواتهم وهم الى الله تعالى يتضرعون بدوام دولة هذا السلطان الاعظم سلطان سلاطين العالم خلد الله تعالى خلافته الزاهره وأبد أيام سلطنته القاهره وجمع له بين سعادتى الدنيا والآخرة ثم انفض ذلك المجلس العظيم وانقضى ذلك الموكب الشريف الوسيم وكان يوما شريفا مشهودا ووقتا مباركا متيمنا مسعودا رقمته الليالى والايام فى صفحات أوراقها وأثبتته فى جرائد دفاترها واطباقها (٤٥) وانما المرء حديث بعده • فكن حديثا حسنا لمن روى ثم توجه

محمد جاويش بالقنديل الذى بقى معه الى المدينة المنورة ووصل الى تلك الروضة الشريفة المطهرة واجتمعت له أكابر المدينة الشريفة وأعيانها وعلماؤها وصلحاؤها وأركانها وشيخ حرمها ونوابها ومن له شأن وقدر من مجاوريها وسكانها وعمل موكب شريف فى الحرم الشريف النبوى وفتحت الحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وعلق ذلك القنديل تجاه وجه النبى صلى الله عليه وسلم وقرئت الفواتح وحصل الدعاء من جيران سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام بدوام دولة هذا السلطان الاعظم سلطان سلاطين العالم خلد الله تعالى ملكه السعيد وأبد معدلته وفضله واحسانه المزيد فالله يطيل عمره ويسعده ويوفقه للخيرات ويرشده ويسوقه الى الباقيات الصالحات من أعمال الخير ويسدده وهو أول من علق قناديل الذهب فى الحرمين الشريفين من سلاطين آل عثمان خلد الله تعالى سلطنتهم وأبد دولتهم الى انتهاء الزمان وقد سبق بهذه المنقبة الشريفة آباءه السلاطين العظام وفاق بهذه المزية آباءه وأجداده الكرام لا زال فائقا سلاطين العالم وخلفاءها وراقيا باقدام اقدام عزمه ملوك الدنيا وعظماءها

هو العادل الظلام للمال والعدا • خزائنه قد أقفرت وديارها
عليهم بنور الله ينظر قلبه • فلم يغن اسرار القلوب استتارها
به دمر الله الصليب وأهله • به ملة الاسلام عال منارها
فلا زالت الافلاك تجرى بنصره • ولا زال عنه قطبها ومدارها

*(فصل فى ذكر كسوة الكعبة الشريفة قديما وحديثا وحكم بيعها وشرائها والتبرك بها)* • ذكر

---

فى الشموع والوقيد أضعافا مضاعفة ومشى معه جميع الناس وكان من جملة الماشين معه والده وأنشد المنشدون فى الختم وخلع عليهم وعلى المكبرين والفراشين والوقادين وفرقت الحلاوة على الحاضرين وكان ذلك كله مما يضرب به المثل وفى سنة أربعة وثمانين وثمانمائة غزا مولانا الشريف جازان من أرض اليمن فخرب حصونها وأوديتها وأخذ الاموال وغنم غنائم جزيلة منها ورجع سالما

*(ذكر حج السلطان قايتباى)*

وفى هذه السنة حج السلطان قايتباى فاحتفل به مولانا الشريف غاية الاحتفال وأرسل بعض قواده يسبقه للقاء السلطان فوصل الى الحوراء ولاقى السلطان ومد له سماطا فجلس عليه السلطان بنفسه وأظهر من كرم الاخلاق والالطف ما لا يوصف حتى يقال انه لما تناول من نوع الحلواء الذى يقال له كل واشكر التفت الى قائد الشريف وقال له قد أكلنا وشكرنا وخلع على القائد ومن معه ولما وصل الى ينبع عدل الى المدينة لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم وسار مولانا الشريف محمد بن بركات للقائه الى الصفراء فلاقاه السلطان راجعا من المدينة وكان صحبة الشريف ولده هزاع وقاضى مكة برهان الدين بن ظهيرة وجملة من الاعيان ووجوه مكة وصار السلطان يلاطفهم ويشكر لهم فعلهم وفارقوه من بدر وتقدموا الى مر الظهران ورتبوا له هنالك سماطا فلما كان يوم الاحد مستهل ذى الحجة وصل السلطان الى الوادى ووجد السماط ممدودا فجلس عليه ومن معه وجعل يأكل وخلع على الخدم ووصل بقية الخطباء والقضاة وأعيان مكة وسلموا عليه وانصرفوا وركب فيمن معه ودخل مكة ليلا وكان قاضى مكة ابن ظهيرة هو الملقن له الادعية الى ان دخل من باب السلام فدخل بحصانه فعثر فطاحت عمامته فتقدم رمضان المهتار فناوله اياها وكان ذلك تأديبا له من الله تعالى حيث لم يدخل محرما فترجل من العتبة الثانية وقرأ الرئيس لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الآية ثم دعا للسلطان وأمن أصحاب الاصوات وطاف وخرج الى الصفا فسعى راكبا فلما فرغ من السعى عاد الى الزاهر فى صيوانه وبات هنالك وركب فى الصبح فى موكب أعظم ولاقاه مولانا الشريف محمد بن بركات وأعيان الاشراف وقضاة مكة وخرج للقائه حتى النساء ودخل مكة فى أوفى عظمة ووصل الى مدرسته التى بناها قبل ذلك عند باب النبى ومد له الشريف سماطا واستمر بها الى ان طلع عرفات وعاد بعد أيام التشريق الى مكة وتأخر بعد الحج أياما بمكة ولما أراد السفر ركب معه شريف مكة وأولاده وقاضيها فودعهم وأمرهم بالرجوع من الزاهر ورجع الى مصر فوجدها على غاية من الضبط فى مدة غيبته واستمر السلطان قايتباى على سلطنة مصر الى ان توفى سنة احدى وتسعمائة

الازرقى وابن جريج رحمهما الله تعالى ان أول من كسى الكعبة تبع الحميرى من ملوك اليمن فى الجاهلية تعظيما لها واسم هذا التبع أسعد وانه رأى فى منامه أن يكسو الكعبة فكساها الانطاع * ثم رأى انه يكسوها فكساها من حبر اليمن وجعل لها بابا يغلق وقال أسعد فى ذلك

وكسونا البيت الذى حرم الله  مالا معصبا وبرودا
وأقمنا منه الى حيث كنا * ورفعنا لواءنا المعقودا

قال الازرقى أيضا حدثنى سعيد بن سالم عن ابن جريج عن ابن مليكة قال كان يهدى للكعبة هدايا شتى فاذا بلى شئ منها جعل فوقه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شئ * وكانت قريش فى الجاهلية ترافد فى كسوة البيت فيضربون على القبائل بقدر احتمالهم من عهد قصى بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم وكان مثريا يتجر فى المال فقال لقريش أنا أكسو الكعبة وحدى سنة وجميع قريش سنة وكان يفعل ذلك الى ان مات فسمته قريش العدل لانه عدل قريشا وحده فى كسوة البيت الشريف ويقال لبنيه بنو العدل وقال أيضا أخبرنى محمد بن يحيى عن الواقدى عن اسمعيل بن ابراهيم بن أبى حبيبة عن أبيه قال كسى النبى صلى الله عليه وسلم البيت الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان رضى الله عنهما القباطى وكان يكسى كل سنة كسوتين فيكسو أولا الديباج قميصا يدلى عليها يوم التروية ولا يخاط ويترك الازار حتى يذهب الحاج لئلا يخرقوه فاذا كان الى عاشوراء علقوا عليها الازار وأوصلوه بالقميص الديباج فلا يزال عليها الى اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان فيكسوها الكسوة الثانية وهى من القباطى * فلما كان أيام خلافة المأمون أمر أن تكسى الكعبة ثلاث مرات فتكسى الديباج الاحمر يوم التروية ثم تكسى القباطى أول رجب وتكسى الديباج الابيض فى عيد رمضان واستمر على ذلك ثم أنهى اليه أن الازار الذى تكسى به الكعبة فى العاشوراء ويلصق بالقميص الديباج الاحمر الذى يكسى به يوم التروية لا يصبر الى تمام السنة وانه يحتاج أن يجدد لها ازارا على عيد رمضان مع قميص الديباج الابيض الذى تكسى به على العيد فأمر أن تكسى ازارا آخر فى عيد رمضان ثم بلغ المتوكل على الله ان الازار يبلى قبل شهر رجب من كثرة مس أيادى الناس فزادها ازارا وأمر باسبال قميص الديباج الاحمر الى الارض ثم جعل فوقه فى كل شهرين ازارا وذلك فى سنة أربعين ومائتين * ثم بعد الخلفاء العباسيين وأيام وهنهم

*( وفاة الشريف محمد بن بركات )*

وفى سنة تسعمائة وثلاثة توفى الشريف محمد بن بركات فى الحادى عشر من محرم بوادى مر الظهران وحمل الى مكة وصلى عليه ودفن بالمعلاو بنى عليه قبة ولما وصلوا به من الوادى الى مكة ضجت البلاد وغلقت الابواب وقرئت الربعات ستة أيام بالمسجد الحرام صباحا ومساء بحضرة الاشراف والقضاة والفقهاء وغيرهم وحزن عليه الناس وكان موته مصيبة عظيمة على العباد ورثاه الشعراء بالمراثى وكانت مدة ولايته ثلاثا وأربعين سنة كما تقدم وكان رحمه الله جامعا لاشتات الفضائل حاويا لمحاسن الشمائل وكان الشيخ على بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن مصاص من الصالحين المجاورين بمكة قال رأيت فى المنام فى أيام الشريف محمد بن بركات صاحب مكة ان الشريف المذكور توفى وان الشيخ عليا المذكور الرائى للرؤيا يغسله وكأن دملا يخرج منه القيح ويسيل فاراد الشيخ على ان يكتفى بذلك الغسل ويكفنه والقيح يسيل فرأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول له نقه نقاك الله قال فكررت غسله الى ان نظف ثم استيقظت فلما توفى الشريف محمد بن بركات المذكور طلبت لغسله فرأيت الدمل الذى كنت رأيته فى المنام ورأيته يخرج منه القيح فلازلت أغسله حتى نظف وهذا يدل على صلاح مولانا الشريف محمد وصلاح هذا الرائى

*( ولاية الشريف بركات بن محمد )*

فتولى مكة بعده ابنه الشريف بركات ومولده سنة ثمانمائة واحدى وستين بمكة المشرفة ونشأ فى كفالة والده وكان دخل القاهرة سنة ثمانمائة وثمانية وسبعين ورجع شريكا لوالده وأخذ فى مصر على نحو أربعين شيخا أجازوه وأجازه بمكة جماعة وجاء التأييد له من سلطان مصر وأشرك معه أخوه هزاع فى لبس الخلعة الثانية الواردة اليه ثم خالفه أخوه الشريف هزاع ومعه أخوه أحمد سنة تسعمائة وأربعة وتداخلا مع أمراء الحج فسعوا له فى ولاية مكة وطلبوا له مرسوما بالولاية من سلطان مصر السلطان الغورى

*( ولاية الشريف هزاع بن محمد بن بركات )*

فجاء المرسوم بولاية هزاع ووقع بينه وبين الشريف بركات حرب بوادى مر فكسر فيه هزاع وقتل من أصحابه نحو الثلاثين ثم أعانه أمير الحج المصرى فكثر القتال على الشريف بركات وأخذت محطته بما فيها فانهزم وذهب الى جدة ودخل الشريف هزاع مكة ثم ذهب الشريف بركات الى بدر وجمع جموعا فلم يأمن هزاع فخرج مع الحج المصرى الى ينبع فدخل الشريف بركات مكة أواخر ذى الحجة

وضعفهم كانت كسوة الكعبة الشريفة تارة من قبل سلاطين مصر وتارة من قبل سلاطين اليمن بحسب قوتهم وضعفهم الى ان استقرت الكسوة الشريفة من سلاطين مصر الى ان اشترى السلطان الملك الصالح ابن السلطان الملك الناصر قلاوون قريتين بمصر ووقفهما على عمل كسوة الكعبة الشريفة اسمهما بيسوس وسندبيس ثم استمرت سلاطين مصر من بعده ترسل كسوة الكعبة في كل عام وكانوا يرسلون عند تجدد كل سلطان مع الكسوة السوداء التي تكسى من ظاهر البيت الشريف كسوة حمراء لداخل البيت الشريف وكسوة خضراء للحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مكتوب على كل من الكسوة السوداء والحمراء والخضراء لا اله الا الله محمد رسول الله دالات في قلب دالات  وقد تزاد في حواشي تلك الدالات آيات أخر مناسبة أو أسماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تترك ساذجة بحسب ما يؤمر النساج به فلما آلت سلطنة ممالك العرب الى سلاطين آل عثمان خلد الله تعالى أيام سلطنتهم القاهرة ما دام الدوران وأقام الزمان وأخذ المرحوم المقدس السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان عليه الرحمة والرضوان مملكة العرب من الجراكسة بالسيف والسنان جهزت كسوة المدينة الشريفة على ما جرت به العادة وأمر باستمرار الكسوة السوداء للكعبة الشريفة على الوجه المعتاد ولما آلت السلطنة الى المرحوم المغفور له السلطان سليمان خان أمر باستمرار الكسوة الشريفة على عوائدها السابقة ثم ان قريتي بيسوس وسندبيس الموقوفتين على كسوة الكعبة الشريفة تخربتا وضعف ريعهما عن الوفاء بمصروف الكسوة فأمر أن تكمل من الخزائن السلطانية بمصر ثم أضاف الى تلك القريتين الموقوفتين قرى أخر وقفها على كسوة الكعبة الشريفة فصار وقفا عامرا وافيا مستمرا وذلك من أعظم مزايا السلاطين العظام التي يفتخرون بها على ملوك الانام ولا يصل الى ذلك الا أعظم السلاطين الفخام وهي الآن من مخصوصات سلاطين آل عثمان الكرام زين الله بمزاياهم اجياد الليالي والايام وخلد ذكر محاسنهم في صفحات دفاتر الدهر الى يوم القيامة ان شاء الله الملك العلام ﴿واما نزع كسوة الكعبة الشريفة وتقسيمها بين الناس﴾ فقد ذكر الازرقي رحمه الله تعالى قال حدثني جدي عن مسلم بن خالد عن أبي نجيح عن أبيه ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ينزع

ثم تأهب لقتال هزاع وأقبل هزاع نحوه بجموع وعساكر فخرج لقتاله والتقيا بالبرقاء تاسع جمادى الاولى سنة تسعمائة وسبعة وقتل خلق كثير من الفريقين فانهزم الشريف بركات وتوجه الى الليث

*(وفاة الشريف هزاع)*

ودخل الشريف هزاع مكة وجاءته المراسيم والخلع من السلطان ثم مرض وتوفي خامس عشر رجب من السنة المذكورة

*(ولاية الشريف أحمد بن محمد بن بركات)*

فولي مكة أخوه أحمد بن محمد بن بركات الملقب بالجازاني وكان أيضا مغاضبا لاخيه بركات وكانت ولايته بمساعدة القاضي أبي السعود بن ظهيرة ومالك بن رومي شيخ طائفة زبيد وأعيان الشرفاء

*(رجوع الشريف بركات بن محمد لولاية مكة واعتذار صاحب مصر له)*

ثم وردت المراسيم والخلع من السلطان صاحب مصر للشريف بركات واعتذر اليه السلطان بأن ما وقع انما هو بمباطنة أمير الحج لاخيه فدخل مكة الشريف بركات وخرج منها أخوه الشريف أحمد الجازاني ثم قبض الشريف بركات على القاضي أبي السعود بن ظهيرة لاعانته الشريف أحمد الجازاني وأخذ أمواله وقتله تغريقا في البحر عند القنفذة ثم ان الشريف أحمد الجازاني جمع جموعا وتقاتل مع أخيه الشريف بركات سنة ثمانية وتسعمائة فانهزم الشريف بركات وقتل ولده السيد ابراهيم ودخل مكة ثم خرج منها وتوجه الى اليمن ودخل مكة الشريف أحمد وصادر أهلها وأخذ أموالهم وسبي الارقاء وأمهات الاولاد وحصل الخوف والنهب الكثير ثم عاد الشريف بركات وتحارب حادي عشر رمضان مع أخيه أحمد بالمنحنى وانهزم الشريف بركات وتوجه الى الحسينية فتبعه أخوه أحمد بعسكره فاختلف الشريف بركات الطريق ودخل مكة ففرح به أهل مكة لما جرى عليهم من ظلم أخيه وعاهدوه على القتال معه وحفروا خندقا في أعلى مكة وفي أسفلها فعاد اليه أخوه أحمد ثالث عشر رمضان من أسفل مكة فقاتله الشريف بركات وأهل مكة معه وأظهر له المجاورون من الاروام الصدق فكسر والشريف أحمد بعد قتل جماعة من الفريقين وفر الى جهة جدة واستنجد بصاحب ينبع فأعانه بجيش بعثه له فتقوى به وقصد مكة في الرابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة ودخل مكة من اذاخر فتلقاه الشريف بركات بمن معه من أهل مكة وقاتلوهم عند باب المعلاة مقاتلة شديدة وفر جماعة الشريف بركات وثبت معه الاروام والمجاورون وأبان ذلك اليوم عن شجاعة وقوة حتى انه كان تحته ذلك اليوم فرس تسمى بالجرادة وانه أقحمها الخندق الذي حفره الاتراك حول سور المعلاة وكان عرضه سبعة

كسوة البيت في كل سنة فيقسمها على الحاج وقال أيضا حدثني جدي حدثنا عبد الجبار بن الورد المكي قال سمعت ابن أبي مليكة يقول كان على الكعبة الشريفة من كسوة الجاهلية ما بعضها فوق بعض فكلما كسيت في الاسلام من بيت المال خففت عنها تلك الكساوي شيأ فشيأ * وكان أول من ظاهر لها بكسوتين عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما كان أيام معاوية بن أبي سفيان كساها الديباج مع القباطي ثم انه بعث اليها بكسوة ديباج وقباطي وحبر وأمر شيبة بن عثمان أن يجرد الكعبة عن الكساوي ويخلقها بالطيب ويلبسها ما جهزه اليها فجردها وطيبها وطيب جدارتها بالخلوق وكساها تلك الكسوة التي بعث بها معاوية وقسم الثياب التي كانت عليها بين أهل مكة (٤٨) وكان سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حاضرا في المسجد الحرام فما أنكر ذلك ولا كرهه قال وكان شيبة يكسو منها حتى رأى على امرأة حائض من كسوتها فأنكر ذلك عليها وقال أيضا حدثني محمد بن يحيى عن الواقدي عن عبد الحكيم ابن أبي فروة عن هلال بن اسامة عن عطاء بن يسار قال قدمت مكة معتمرا فجلست الى عبد الله في منعة زمزم وشيبة بن عثمان يجرد الكعبة ورأيته يخلق جدورها ويطيبها ورأيت ثيابها التي جردها عنها قد وضعت بالارض ورأيت شيبة بن عثمان يومئذ يقسمها فلم أر ابن عباس أنكر شيأ من ذلك مما صنع شيبة بن عثمان وقال أيضا حدثني جدي حدثنا ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى حدثنا علقمة عن أمه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ان شيبة بن عثمان دخل عليها وقال لها يا أم المؤمنين تكثر ثياب الكعبة عليها فنجردها عن خلقانها ونحفر لها حفرة ندفن فيها ما بلي منها كيلا يلبسها الحائض والجنب فقالت له عائشة رضي الله عنها ما أصبت فبئسما صنعت فلا تعد الى ذلك فان ثياب الكعبة اذا نزعت عنها لا يضرها من لبسها من حائض ولكن بعها واجعل ثمنها في سبيل الله تعالى وابن السبيل ومذهب علمائنا رضي الله عنهم في ذلك رجوع أمره الى السلطان * قال الامام فخر الدين قاضي خان رحمه الله تعالى في كتاب الوقف من فتاواه ديباج الكعبة اذا صار خلقا يبيعه السلطان ويستعين به في أمر الكعبة لأن الولاية فيه للسلطان لا لغيره وفي تتمة الفتاوى عن الامام محمد رحمه الله تعالى في ستر الكعبة يعطى منه انسان فان كان شيء له ثمن لا يأخذه وان لم يكن له ثمن فلا بأس قال الامام نجم الدين الطرسوسي في منظومته

أدرع وجعل يضرب في الجيش بسيفه فانهزموا وهو يضرب بهم حتى أبعدهم وانهزموا راجعين الى ينبع ثم ان الشريف بركات خرج الى اليمن لاجل بعض الاصلاحات فجاء الشريف أحمد ودخل مكة في غيبة الشريف بركات وأذل أهلها وعاقبهم أشد عقاب وأهانهم أشد اهانة وقتل خلقا كثيرا ونهب البيوت وسبى الارقاء وأمهات الاولاد ورجع الى ينبع فصادف اقبال تجريدة من مصر الى مكة فاجتمع بأميرها وجعل له ستين ألف أشرفي أحمر على ان يقبض على الشريف بركات ويوليه مكة فترك ينبع ورجع الى مكة وكان قد رجع الشريف بركات من اليمن في ثالث عشر ذي القعدة فخرج الى ملاقاة التجريدة فخلع أمير التجريدة على الشريف بركات بالزاهر ودخل مكة وهو لابس الخلعة وأمير التجريدة معه فلم يزالوا الى ان وصلوا مدرسة الاشرف قايتباي فقبض على الشريف بركات ومن معه من الاشراف وجعلهم في الحديد ونهبت بيوتهم وأخذت خيولهم وابلهم ونادى في البلد للشريف أحمد الجازاني وحج بهم أمير التجريدة وهم في الحديد ثم رجع بهم الى مصر فتعب السلطان الغوري لذلك وأمر باطلاقهم من الحديد وأنزل الشريف بركات في منزل خاص به هو ومن معه من الاشراف ثم ان الشريف بركات مازال ينتهز الفرصة حتى أمكنه الله ففر الى مكة أواخر سنة تسعمائة وثمانية وفي تاريخ الرضي سنة تسعمائة وتسعة ولم يشعر به الغوري الا بعد يومين فأرسل خلفه فلم يلحقه فبالغ في التحفظ على من بقي بمصر من الاشراف وجعل عليهم حرسا وأخرج الحاج في هذه السنة بقوة عظيمة من العسكر والمدافع خوفا من الشريف بركات فلما بلغ ذلك الشريف بركات بعث مكاتيب لامير الحج يؤمنه ويأمره بالحج على أسر الاحوال ويعرفه اني من خدمة السلطان ولا يحصل مني شيء في أمر الحاج فلما بلغ هذا الخبر السلطان رضي عنه وجهز اليه عياله وجميع ما كان له بمصر وفي غيبته هذه عن مكة قتلت الاروام المقيمون بمكة أخاه الشريف أحمد صاحب مكة في الطواف يوم الجمعة عاشر رجب

﴿ ولاية الشريف حميضة بن محمد بن بركات ﴾

وبعد دفنه ألبس الامير على العساكر أخاه السيد حميضة خلعة لولاية مكة وأقامه على الجاز حتى يأتي أمر السلطان من مصر وكتبوا الى السلطان الغوري بذلك ثم ان الشريف حميضة قابل أمير الحج المصري ولبس الخلعة الواردة وحج بالناس ذلك العام وأما الشريف بركات فانه سار من ينبع الى المدينة ثم منها الى الشرق فنزل على السيد حميدان بن شامان الحسيني وكان بعض الاشراف من بني حسين خطب ابنته الشريفة عيشة بنت حميدان فقبله وفي الحي زبر يضرب وقد تهيؤا للزواج ولم يبق الا العقد فسأل الشريف بركات من العريس ان يسمح له بهذه البنت فيتزوجها فسمح له بها

فعقدوا

فعقدوا بها على الشريف بركات

**﴿زواج الشريف بركات بالشرق﴾**

فدخل بها الشريف بركات فحملت منه بالشريف أبي نمي ابن بركات

**﴿ولادة الشريف أبي نمي ابن بركات سنة ٩١١ ليلة ٩ من ذي الحجة﴾**

فولدت له الشريف أبا نمي المذكور ليلة التاسع من ذي الحجة سنة تسعمائة واحدى عشرة ولنرجع الى اتمام الكلام الاول فنقول انه لما كان يوم التروية سنة تسعمائة وثمانية هجم الشريف بركات بمن معه من العرب من عتيبة وغيرهم على مكة وشرعت العرب في النهب فأرسل الامراء للشريف بركات وضمنوا له ان يأخذوا له من أخيه حميضة خمسة آلاف دينار فقال حميضة مالي قدرة فأعطاه الامراء من مال الصر الذي جاؤا به فكف العرب ودخل مكة وهرب الشريف حميضة ثم ان السلطان الغوري أرسل بالتفويض الى الشريف بركات سنة تسعمائة وعشرة وان المعول في الامور عليه فأمر ان يخلع على أخيه قايتباي ويدعى له ولابنه علي بن بركات ويختص الشريف بركات بالدعاء على المنبر وفي سنة تسعمائة وثلاثة عشر خرج الشريف بركات لقتال مالك بن رومي الزبيدي الذي كان سببا في نهب مكة زمن أخيه أحمد الجازاني ووصل الى جبل الروحا وقتل مالك بن رومي وأولاده الثلاثة وأخاه مشهور بن رومي وطائفة كثيرة منهم وبعث برؤسهم الى الغوري ونصبت على أبواب مصر وحصل بذلك غاية الفرح للسلطان الغوري

**﴿وفاة علي بن بركات بن محمد بن بركات﴾**

وفي هذه السنة توفي علي بن بركات فجعل الشريف بركات عوضه أخاه محمد بن بركات وكان كل منهما يلبس معه الخلعة أعني محمدا وقايتباي وفي سنة تسعمائة وخمسة عشر بعث مولانا الشريف السيد عرار بن عجل الى السلطان الغوري بهدية من جملتها عشرون عبدا حبشيا وعشرون ألف دينار ذهبا وعشرون فرسا وللدويدار ثلاثة آلاف دينار فقابلهم السلطان وخلع عليه وعلى من معه وأرسل الى مولانا الشريف بخلعة وهدية سنية وخاطبه بخطاب بليغ وفوض اليه جميع أمور الاقطار الحجازية حتى ينبع وغيرها وحصل بمكة فرح عظيم

**﴿وفاة قايتباي بن بركات بن محمد بن بركات﴾**

وفي سنة تسعمائة وثمانية عشر توفي السيد قايتباي وفي شهر ربيع الاول من هذه السنة أرسل السلطان الغوري يطلب الشريف بركات الى عنده فأرسل يعتذر اليه وأرسل ابنه أبا نمي ابن بركات بدله الى مصر ومعه السيد عرار بن عجل وقاضيا مكة صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي ونجم الدين بن

وما على الكعبة من لباس * ان رث جاز بيعه للناس ولا يجوز أخذه بلا شرا * للاغنياء لا ولا للفقرا وقال الامام الفقيه أبو بكر الحدادي في السراج الوهاج لا يجوز قطع شيء من كسوة الكعبة ولا نقله ولا بيعه ولا شراؤه ولا وضعه بين أوراق المصحف ومن حمل شيأ من ذلك فعليه رده ولا عبرة بما يتوهمه انهم يشترون ذلك من بني شيبة فانهم لا يملكونه * فقد روي عن ابن عباس وعائشة انهما قالا يباع ذلك ويجعل ثمنه في سبيل الله تعالى انتهى * وقد ورد في الحديث لولا حداثة قومك بكفر لانفقت كنز الكعبة في سبيل الله قال القرطبي من علماء المالكية رحمه الله تعالى كنز الكعبة المال المجتمع مما يحلى به من الذهب والفضة لان حليتها حبس عليها كحصرها وقناديلها لا يجوز صرفها في غيرها انتهى فعلى قول القرطبي يكون كسوتها أيضا حبسا عليها كحصرها وقناديلها فلا يملكها انتهى وقال الزركشي من علماء الشافعية رحمهم الله تعالى في قواعده قال ابن عبدان أمنع من بيع كسوة الكعبة وأوجب رد من حمل منها شيأ وقال ابن الصلاح مفوض الى رأي الامام والذي يقتضيه القياس أن العادة استمرت قديما بانها تبدل كل سنة وتأخذ بنو شيبة تلك العتيقة فيتصرفون فيها بالبيع وغيره والذي يظهر لي أن كسوة الكعبة الشريفة ان كانت من قبل السلطان من بيت مال المسلمين فامرها راجع له يعطيها لمن شاء من الشيبيين أو غيرهم وان كانت من أوقاف السلاطين وغيرهم فأمرها راجع الى شرط الواقف فيها فهي لمن عينها له وان جهل شرط فيها عمل فيها بما جرت العوائد السابقة فيها كما هو الحكم في سائر الاوقاف وكسوة الكعبة الآن من أوقاف السلاطين ولم يعلم شرط الواقف فيها وقد جرت عادة بني شيبة انهم يأخذون لانفسهم الكسوة العتيقة بعد وصول الكسوة الجديدة فيبقون على عادتهم فيها والله تعالى أعلم * وللعلماء المتأخرين رسائل في حكم كسوة الكعبة لم يتيسر لي الآن الوقوف على شيء منها

*(الباب الثالث في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في أيام الجاهلية وصدر الاسلام وبيان ما أحدث فيه من التوسع والزيادة في زمان خلافة سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومن خلافة سيدنا عثمان بن عفان وزمن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم وهدم عبد الله بن الزبير بناء قريش للكعبة واعادتها على قواعد ابراهيم عليه السلام ثم هدم الحجاج جانب الحجر

والميزاب من الكعبة واعادتها على ما بنته قريش فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه الشريف) • اعلم ان الكعبة الشريفة لما بناها سيدنا ابراهيم عليه السلام لم يكن حولها دار ولا جدار احتراما للكعبة الشريفة فلما آل أمر البيت الى قصى ابن كلاب واستولى على مفتاح الكعبة كما تقدم بيانه جمع قصى قومه وأمرهم ان يبنوا بمكة حول الكعبة الشريفة بيوتا من جهاتها الاربع وكانوا يعظمون الكعبة ان يبنوا حولها بيوتا أو يدخلوا مكة على جنابة وكانوا يقيمون بها نهارا فاذا أمسوا خرجوا الى الحل فقال لهم قصى ان سكنتم حول البيت هابتكم الناس ولم تستحل قتالكم والهجوم عليكم وبدأ هو وبنى دار الندوة فى الجانب الشامى كما تقدم بيانه ويقال (٥٠) انها مقام الحنفية الذى يصلى فيه الآن الامام الحنفى الصلوات الخمس وقسم قصى باقى الجهات بين قبائل قريش فبنوا دورهم وشرعوا أبوابها الى نحو الكعبة الشريفة وتركوا للطائفين مقدار المطاف الشريف بحيث يقال ان القدر المفروش الآن بالحجر المنحوت الى حاشية المطاف الشريف وجعلوا بين كل دارين من دورهم مسلكا شارعا فيه باب يسلك منه الى بيت الله تعالى ثم كثرت البيوت واتصلت الى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فولد صلى الله عليه وسلم على أشهر الاقوال بشعب بنى هاشم بقرب المحل المسمى الآن بشعب على وكان صلى الله عليه وسلم يسكن دار سيدة النساء أم المؤمنين خديجة الكبرى رضوان الله عليها ثم لما ظهر الاسلام وكثر المسلمون استمر الحال على ذلك الوضع فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وزمان خليفته أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم زاد ظهور الاسلام وتكاثرت المسلمون فى زمن أمير المؤمنين عمر الى الفاروق رضى الله عنه فرأى انه يزيد فى المسجد الحرام فأول زيادة زيدت فى المسجد الحرام زيادته رضى الله عنه • (فنبدأ بذكرها فنقول) • روينا بالسند المتصل المذكور سابقا فى المقدمة عن الامام أبى الوليد الازرقى قال أخبرنى جدى قال أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج قال كان المسجد الحرام ليس عليه جدران تحيط به وانما كانت دور قريش محدقة به من كل جانب غير أن بين الدور أبوابا يدخل منها الناس الى المسجد الحرام • ولما كان زمان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضاق المسجد بالناس ولزم توسيعه اشترى دورا حول المسجد وهدمها وأدخلها فى المسجد وبقيت دور احتيج الى ادخالها فى المسجد وأبى أصحابها من بيعها

يعقوب المالكى وولداه القاضى محمد والقاضى تاج الدين وجملة من القواد فتوجهوا الى مصر ومعهم السيد أبو نمى وعمره اذ ذاك ثمانى سنين فلما دخلوا مصر قابلهم السلطان الغورى بالاعزاز والاكرام وأجلس السيد أبا نمى على حجره وقبل يده وفرح به غاية الفرح وكان السلطان الغورى يتجهز للخروج الى قتال فسأل السيد أبا نمى ما سورتك فقال انا فتحنا لك فتحا مبينا فاستبشر الغورى بذلك ثم جعله شريكا لوالده فى أمر مكة وجدة وينبع وسائر الاقطار الحجازية وكتب له توقيعا شريفا بكل ذلك وأعاده الى والده وأكثر الشعراء المدائح والتهنئة وكان يدعى لهما على المنابر وفى سنة تسعمائة وعشرين حجت زوجة السلطان الغورى ومعها ولده محمد وكاتم السر محمود فأكرمهم مولانا الشريف بركات وقام بكل ما يحتاجونه أتم قيام وسألاه ان يتوجه معهم الى مصر ليجازوه على فعله فسار معهم وأكثر شعراء مصر من مدائح الشريف بركات بقصائد كثيرة لما وصل الى مصر وكانت هذه ثالث مرة لدخوله مصر وأكرمه السلطان وأجزل بره والاحسان اليه ثم رجع الى مكة فى شهر رجب من العام المذكور وزينت مكة لقدومه وكان يوم قدومه أكبر فرح

﴿ذكر قتال السلطان الغورى والسلطان سليم خان وفقد سلطان مصر سنة ٩٢٢﴾

وفى سنة اثنتين وعشرين كان القتال بين السلطان الغورى والسلطان سليم ملك القسطنطينية بمرج دابق وكسرت الجراكسة وفقد السلطان الغورى فى المعركة تحت سنابك الخيل وذلك كله مبسوط فى التواريخ ودخل السلطان سليم مصر يوم الجمعة غرة محرم الحرام سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان السلطان سليم كثير المحبة لاهل الحرمين وهو أول من رتب لهم صدقة الحب ولما فرغ من أمر مصر أراد أن يجهز جيشا الى مكة المشرفة وكان بالديار المصرية القاضى صلاح الدين ابن أبى السعود بن ظهيرة معتقلا بها صادره الغورى يطلب منه عشرة آلاف دينار فعجز فأمر بحمله الى مصر واعتقله ثمة فاطلقه السلطان سليم لما دخل مصر فلما بلغ القاضى تجهيز الجيش اجتمع بوزير مولانا السلطان سليم وعرفه عظمة صاحب مكة ومنزلته من الشرف وانه من خدم مولانا السلطان وان الرأى ارسال مكتوب اليه ولا تبدو منه مخالفة أبدا ولا يحتاج الى تجهيز جيش فاستقر الحال على ارسال توقيع شريف لمولانا الشريف بركات وابقاء الشريف أبى نمى على شركة أبيه نظير توقيع السلطان الغورى وكتب القاضى صلاح الدين لمولانا الشريف يعرفه بما وقع ويسأل منه ارسال ابنه الشريف محمد أبى نمى الى الحضرة السلطانية يتشرف باللقاء ويكون دليلا على الرضا والبقاء فقبل الشريف ذلك فلما وصل اليه الامر السلطانى أرسل ابنه أبا نمى وأطلق السلطان سليم الجماعة الذين كانوا بمصر من أعيان مكة فى حبس الغورى وأرسل بهم بعد اكرامهم

فقال لهم عمر رضي الله عنه أنتم نزلتم في فناء الكعبة وبنيتم بها دوراً ولا تملكون فناء الكعبة ومازالت الكعبة في سوحكم وفنائكم فقومت الدور وجعل ثمنها في جوف الكعبة ثم هدمت وأدخلت في المسجد ثم طلب أصحابها الثمن فسلم إليهم ذلك وأمر ببناء جدار قصير أحاط بالمسجد وجعل فيه أبواباً كما كانت بين الدور وقبل ان تهدم جعلها في محاذاة الابواب السابقة • ثم كثر الناس في زمان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فأمر بتوسعة المسجد واشترى دوراً حول المسجد هدمها وأدخلها في المسجد وأبى جماعة عن بيع دورهم ففعل كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهدم دورهم وأدخلها في المسجد فضج أصحاب الدور وصاحوا فدعاهم وقال انما جرأكم علي حلمي عليكم ألم يفعل ذلك بكم عمر رضي الله عنه فما جنح به أحد ولا صاح عليه وقد احتذيت حذوه فصحتم مني وصحتم علي ثم أمر بهم الى الحبس فشفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد • فتركهم ولم يذكر الازرقي رحمه الله متى كانت زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولا زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهما • وذكر ابن جرير الطبري وابن الاثير الجوزي في تاريخهما ان زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت في سنة سبع عشرة من الهجرة بتقديم السين وان زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان في سنة ست وعشرين من الهجرة • أقول زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعمارته للمسجد كانت عقب السيل العظيم سنة سبع عشرة من الهجرة وتخريبه معالم الحرم الشريف ويقال لذلك السيل سيل أم نهشل • قال شيخ شيوخنا حافظ عصره الشيخ عمر بن الحافظ التقي محمد بن فهد الهاشمي العلوي رحمهم الله تعالى في كتاب اتحاف الورى باخبار أم القرى في حوادث سنة سبع عشرة فيها جاء سيل عظيم يعرف بسيل أم نهشل من أعلى مكة من طريق الردم فدخل المسجد الحرام واقتلع مقام ابراهيم من موضعه وذهب به حتى وجد بأسفل مكة وعين مكانه الذي كان فيه لما عفاه السيل فأتي به وربط بلصق الكعبة في وجهها وذهب السيل بام نهشل بنت عبيدة بن سعد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب فماتت فيه واستخرجت بأسفل مكة وكان سيلاً هائلاً فكتب بذلك الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بالمدينة الشريفة فهاله ذلك وركب فزعاً الى مكة فدخلها بعمرة في شهر رمضان فلما وصل الى مكة وقف على حجر

الى مكة

•(ابتداء المحمل الرومي سنة ٩٢٣)•

وأرسل الامير مصلح بيك بمحمل رومي وكسوة للكعبة وصدقات ولما وصل الشريف أبو نمي الى مصر قابله السلطان سليم بالاجلال والاكرام وأعاده شريكاً لوالده وعمره اذ ذاك اثنتا عشرة سنة وبعث معه أمراً سلطانياً بقتل حسين الكردي صاحب جدة من جهة الغوري وهو أول من بنى السور على جدة وولي على جدة الخواجا قاسم الشرواني نخاء بالامر السيد عرار ونزل جدة وأغرق حسين الكردي المذكور في البحر بعد ان ربط في ظهره صخرة ولما ان قدم الامير مصلح بيك بالمحمل الرومي والامير العلائي بالمحمل المصري خرج الشريف لملاقاتهما هو وابنه في عرضة من قومه فالتقوا في الزاهر ولبسا الخلعة وسار مع الامراء والمحمل خلفهما الى ان أوصلاهما الى باب السلام فأدخل المحملان الحرم وجعل أحدهما على يمين مدرسة الاشرف قايتباي والآخر على يسارها وسكن الامير مصلح المدرسة وسكن الامير المصري رباطا كان في مسيل الوادي هدم بعد ذلك لتوسعة المسيل وفرقت الصدقة الرومية لاربع مضين من ذي الحجة سنة تسعمائة وثلاثة وعشرين في الحرم على الفقراء والمجاورين من أهل مكة وقرر فيها لصاحب مكة خمسمائة دينار ثم فرقت الذخيرة وهي صدقة كانت تخرج من خزينة مصر تخرجها الجراكسة فأبقاها مولانا السلطان سليم تفرق على العربان أصحاب الادراك وفقراء أهل مكة ثم فرقت صدقة الاوقاف المصرية ويسمى الصر الحكمي ولم يحج في تلك السنة المحمل الشامي وخطب يوم التروية الشريف النواكبري ودعا لحضرة مولانا السلطان سليم وخطب بعرفة قاضي مكة القاضي صلاح الدين بن ظهيرة ودعا للسلطان في الموقف الاعظم

•(أول ورود حب الصدقة لاهل مكة سنة ٩٢٣)•

ثم وصلت الى بندر جدة مراكب من السويس فيها سبعة آلاف أردب قمح وهو أول حب ورد لاهل مكة فكتب جميع بيوت أهل مكة الا السوقة والتجار ووزع عليهم ذلك الحب وكان المتولي نظر ذلك الامير مصلح قال العلامة السنجاري وقد تزايد هذا الحب ولله الحمد حتى صار معاش أهل مكة منه فان السلطان سليمان زاد على ذلك ثلاثة آلاف أردب والسلطان مراد بن سليم بن سليمان زاد خمسة آلاف أردب فيجب على أهل مكة وسائر الاقطار الاسلامية الدعاء من صميم الفؤاد بدوام هذه الدولة الشريفة العثمانية أدامها الله تعالى الى يوم القيامة وعمر الامير مصلح مقام السادة الحنفية ولما فرغ توجه الى المدينة المنورة لاجراء الصدقات ثم الى مصر ثم الى الروم

المقام وهو ملصق بالبيت الشريف ثم قال أنشد الله عبدا عنده علم في هذا المقام فقال المطلب بن أبي وداعة السهمي رضي الله عنه انا يا أمير المؤمنين عندي علم ذلك فقد كنت أخشى عليه مثل هذا الامر فأخذت قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بمقاط وهي عندي في البيت فقال له عمر رضي الله عنه اجلس عندي وأرسل اليها من يأتي بها فجلس عنده وأرسل اليها فأتي بها فقيس ووضع حجر المقام في هذا المحل الذي هو فيه الآن واحكم ذلك واستمر الى الآن قال وفيها وسع أمير المؤمنين رضي الله عنه الردم الذي بأعلى مكة صونا للمسجد وبناه بالضفائر والصخر العظام وكبسه بالتراب فلم يعلم سيل بعد ذلك غير انه جاء سيل عظيم في سنة اثنتين ومائتين فكشف عن بعض  أحجاره وشوهدت فيه أحجار عظيمة كبيرة لم ير مثلها والاقدمون يسمون هذا الردم ردم بني جمح بضم الجيم وفتح الميم وبعدها حاء مهملة وهم بطن من قريش نسبوا الى جمح بن عمرو بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك * أقول المراد بهذا الردم الموضع الذي يقال له الآن المدعا وهو ما كان يرى منه البيت الشريف أول ما يرى وكان الناس يرونه خصوصا من يريد الحج من ثنية كداء وهي الحجون اذا وصلوا هذا المحل شاهدوا منه البيت الشريف والدعاء مستجاب عند رؤية بيت الله تعالى وكانوا يقفون هنالك للدعاء واما الآن فقد حالت أبنية عن رؤية البيت الشريف ومع ذلك يقف الناس للدعاء فيه على العادة القديمة وعن يمينه ويساره ميلان للاشارة الى انه المدعا * قال مولانا القاضي جمال الدين محمد أبو البقاء بن الضياء الحنفي في كتاب البحر العميق في مناسك الحج الى بيت الله العتيق انه كان يرى في زمانه رأس الكعبة لا كلها من رأس الردم يعني المدعا فاذا ظهر له يقف ويدعو ويسأل الله حوائجه فان الدعاء مستجاب عند رؤية البيت * ونقل حافظ الدين النسفي في المنافع عن صاحب الهداية رحمهما الله تعالى انه استوصى عن شيخ سماه له فقال له اذا وصلت المدعا من كداء ورأيت الكعبة فادع الله تعالى ان يجعلك مستجاب الدعاء لمن قال ان من زارها ودعا كانت دعوته مستجابة انتهى * وكان القاضي أبو البقاء بن الضياء المذكور في أواسط المائة التاسعة ووفاته في سنة أربع وخمسين وثمانمائة ولا شك ان من عهد الصحابة رضي الله عنهم الى زمانه كان الناس يقفون ويدعون عنده لمشاهدة تم الكعبة ولا أعلم هل وقف النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وكان ذلك المحل غير مرتفع في عهده صلى الله

*(وفاة السلطان سليم سنة ٩٢٦)*

وتوفي السلطان سليم سنة تسعمائة وستة وعشرين وتولى ابنه مولانا السلطان سليمان وأرسل بالتأييد لصاحب مكة مولانا الشريف بركات وابنه السيد أبي نمي

*(وفاة الشريف بركات سنة ٩٣١)*

واستمر الشريف بركات الى ان توفي رابع عشر ذي الحجة وفي تاريخ الرضي لست بقين من ذي القعدة سنة تسعمائة واحدى وثلاثين وصلي عليه تجاه الكعبة وطيف به سبعا ودفن بالمعلاة وبني عليه قبة وله من العمر احدى وسبعون سنة وكانت مدة ولايته استقلالا ومشاركة لابيه وولده واخوته نحو ثلاث وخمسين سنة وخلف كثيرا من الاولاد أعظمهم وأعلاهم قدرا الشريف أبو نمي

*(ولاية الشريف أبي نمي استقلالا بعد وفاة أبيه وعمره عشرون سنة)*

فولي مكة بعد وفاة أبيه وتقدم ان ولادته كانت سنة احدى عشرة وتسعمائة وكان ذا جد واقبال وسعد يستخدم به في جميع الاحوال وكان والده الشريف بركات يضع يده على ناصية ابنه أبي نمي ويقول لم تزل الاكدار علي متوالية حتى ظهرت هذه الناصية وقد أعز الله الشريف أبا نمي هذا وأعلاه ورفع شأنه وجعل له من الذكر والصيت ما لم يكن لاحد من اسلافه وآبائه شارك والده في ولاية مكة وعمره ثمان سنين ثم أبقاه السلطان سليم على المشاركة ثم استقل باعباء سلطنة الحجاز بعد موت أبيه وعمره اذ ذاك عشرون سنة وجاءته المراسيم السلطانية السليمانية فخمدت بولايته نار الفتن وأمن بمكة وجه الزمن ولم يزل متمتعا بمكارم الشيم ودانت له رقاب الامم وفي سنة تسعمائة وأربعة وأربعين توجه الشريف أبو نمي لاخذ جازان وصاحبها اذ ذاك عامر بن عزيز فأخذها الشريف وفر صاحبها فأقام بها الشريف قائدا من جهته يضبطها ورجع ظافرا منصورا واستمرت في حكمه الى سنة تسعمائة وخمسة وأربعين فلما مر بها سليمان باشا راجعا من اليمن أخرج منها قائد الشريف وأقام فيها نائبا من جهته وأضافها الى ما افتتحه من اليمن ثم ورد سليمان باشا مكة فواجهه الشريف ليلة دخوله في الحجر ولما أراد التوجه الى مصر بعث معه الشريف أبو نمي ابنه السيد أحمد فقابله مولانا السلطان سليمان وصحبته السيد عرار بن عجل والقاضي تاج الدين المالكي فوصلوا الروم واجتمعوا بمولانا السلطان سليمان ففرح بهم وأجلس السيد أحمد بن الشريف أبي نمي مسامتا له على يساره وأحسن اليهم وأشرك السيد أحمد مع أبيه في امرة مكة

*(جد الاشراف آل منديل وآل حراز)*

والسيد

عليه وسلم ومارفعه الاسيد نا عمر رضى الله عنه بالردم الذى بناه فارتفع عن الارض فصار البيت الشريف يشاهد منه حينئذ فوقف الناس عنده بعد ذلك لمشاهدة البيت الشريف منه ولكنى أنظر فى جميع عمرى فى المدعا يوقف فيه تبركا فالله أعلم لاستمرار وقوف الناس بهذا المحل الشريف والدعاء فيه تبركا بوقوف من سلف للدعاء فيه والله تعالى أعلم ● ولما ردم هذا المكان صار السيل اذا وصل من أعلى مكة لا يعلو هذا المكان بل كان ينحرف عنه الى جهة الشمال للبناء الذى بناه عمر رضى الله عنه فلا يصل هذا السيل الى المسعى ولا الى باب السلام الى الآن وصارت هذه الجهة من يومئذ الى اثناء هذا مرتفعة عن ممر السيل وصار السيل الكبير كله ينحدر الى جهة سوق الليل ويمر بالجانب الجنوبى من المسجد الى ان يخرج من أسفل مكة وهذا السيل وادى ابراهيم ويكاد يمنع جريان هذا السيل الى مكة سيل آخر يعترضه يسمى سيل جياد ويمر عرضا الى ان يصدم الركن اليمانى من المسجد وينحرف الى أسفل مكة وقوة جريان هذا السيل يمنع من جريان سيل وادى ابراهيم فيقف ويتراكم ويدخل المسجد الحرام ويقع مثل هذه السيول بمكة فى كل عشرة أعوام تقريبا مرة فيدخل المسجد الحرام ويحتاج الناس الى التنظيف وتبديل الحصى ونحو ذلك وقد عمل المتقدمون والمتأخرون لذلك طرقا واهتموا لذلك تمام الاهتمام فاندثرت أعمالهم لطول الزمان ولم يتفطن الملوك بعدهم لذلك فاستمرت السيول العظيمة بعد كل مرة تدخل المسجد ولسنا الآن بصدد شرح ذلك

﴿واما زيادة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه فى المسجد الحرام﴾ فقد ذكرها الامام أقضى القضاة الماوردى فى كتابه الاحكام السلطانيه وغيره من الائمة المعتمدين رحمهم الله تعالى وفى كلام بعضهم زيادة على بعض فقالوا اما المسجد الحرام فكان فناء حول الكعبة وفضاء للطائفين ولم يكن له على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه جدار يحيط به وكانت الدور محيطة به وبين الدور أبواب تدخل الناس من كل ناحية فلما استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكثر الناس وسع المسجد واشترى دورا وهدمها وزادها فيه واتخذ للمسجد جدارا قصيرا وكانت المصابيح توضع عليه ● وكان عمر رضى الله عنه أول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام فلما استخلف عثمان رضى الله عنه ابتاع منازل ووسعه بها أيضا وبنى المسجد الحرام والأروقة فكان عثمان أول من اتخذ

والسيد أحمد هذا هو جد السادة آل منديل وآل حراز وتوفى السيد عرار هنالك وتوعك السيد أحمد فلم يرجع من عامه ورجع سنة تسعمائة وسبعة وأربعين ولاقاه والده الشريف أبو نمى من وادى مر الظهران ومد له سماطا هنالك ودخل مكة غرة ربيع الاول وقرأ توقيعه بالحطيم يوم العاشر من ربيع والبس الخلعة السلطانية وطاف بها والمؤذن يدعو له ولوالده وامتدحه الادباء والشعراء بالشعر الرائق

●(ذكر قتال الشريف أبى نمى الافرنج بجدة)●

ومن مناقب الشريف أبى نمى قتاله الافرنج وذلك انه فى سنة تسعمائة وثمانية وأربعين خرجت طائفة عظيمة من الافرنج وخربت غالب البنادر ثم قصدوا جدة فى أواخر السنة ونزلوا المرسى المعروف بابى الدوائر فى خمسة وثمانين برشة مشحونة بالرجال والسلاح فقاتلهم مولانا الشريف أبو نمى بنفسه وترك الحج ونزل الى جدة فى جيش عظيم بعد ان أمر بالنداء فى نواحى مكة من صحبنا فله أجر الجهاد وعلينا السلاح والنفقة فبلغ أهل الجهاد مبلغا عظيما لا يعد ولا يحد ونفقة مولانا الشريف شاملة للجميع وعيون الكفار تدور عليهم كل حين فشاهدوهم يزيدون عددا وعددا وعيشا رغدا وخدم مولانا الشريف يتوجهون الى أطراف البلاد ويحضرون بأنواع الطعام باغلا ثمن حتى فرغت الحبوب وكادت تعدم واقبلوا على نحر الابل فكانوا ينحرون لكل مائة نفس بدنة فاستمر ذلك مدة فقال بعض الناس لمولانا الشريف ان هذا الفعل يستأصل ما عندك من الابل فأجابه بانى نويت ان أنحر ما أملكه وعلكه أولادى وأحفادى فاذا نفدت الابل نحرت الخيل ثم كل حيوان يجوز أكله ولما قرب زمن الحج برز أمره الى ابنه الشريف أحمد ان يقابل الامراء ويلبس الخلع الواردة ويحج بالناس على عادة أجداده فلما وصل أمراء الحج وبلغوا ما قصدوه توجهوا القاء مولانا الشريف أبى نمى بجدة لالباسه الخلع فقابلهم ولاقاهم وهو شاكى السلاح لابسا درعه على هيئة المقاتل ولما ان قرب الامراء أمر باطلاق المدافع فاطلق لمقابلتهم نحو ثلثمائة مدفع فألبسوه الخلع الواردة صحبتهم وانصرفوا راجعين ولما رأى الافرنج صبره وحصاره لهم انقلبوا خائبين مخذولين ولما بلغ مولانا السلطان سليمان ذلك زاد فى اكرام المشار اليه وسمح له بنصف معلوم جدة الى غير ذلك من الانعامات التى لا تحصر

●(فتنة بين الشريف أبى نمى وأمير الحج محمود باشا سنة ٩٥٨)●

وفى سنة تسعمائة وثمانية وخمسين وقعت فتنة عظيمة بين الشريف أبى نمى وأمير الحاج محمود باشا وذلك ان محمود باشا سولت له نفسه الهجوم على الشريف أبى نمى يوم النحر وقتله هو وأولاده فى ساعة واحدة فظفرهم الله به ووقع فى أيديهم وأرادوا قتله ثم ان الشريف خشى على الحجاج فامسك

للمسجد الاروقة انتهى • وقال الحافظ النجم عمر بن فهد فى تاريخه فى حوادث سنة ست وعشرين فيها اعتمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه من المدينة فأتى ليلا فدخل فطاف وسعى وأمر بتوسيع المسجد الحرام فذكرما قدمناه قال وجدد أنصاب الحرم وكلم أهل مكة عثمان رضى الله عنه أن يحول الساحل من الشعيبة وهى ساحل مكة قديما فى الجاهلية الى ساحلها اليوم وهى جدة لقربها من مكة فخرج عثمان رضى الله عنه الى جدة ورأى موضعها وأمر بتحويل الساحل اليها ودخل البحر واغتسل فيه وقال انه مبارك وقال لمن معه ادخلوا البحر للاغتسال ولا يدخله أحد الا بمئزر ثم خرج من جدة على طريق عسفان الى المدينة وترك الناس ساحل الشعيبة من ذلك الزمان (٥٤) واستمرت جدة بندرا الى الآن لمكة شرفها الله تعالى وهى على مرحلتين طويلتين من مكة بسير الاثقال تستوعب احداهما الليل كله فى أيام اعتدال الليل والنهار وتزيد المرحلة الثانية على جميع الليل بشئ قليل وأما الراكب المجد والساعى على قدميه يقطعهما فى ليلة واحدة وما رأيت من علمائنا من صرح بجواز القصر فيها بل رأيت من أدركت من مشايخى الحنفية كانوا يكملون الصلاة فيها وأما أنا فأرى القصر فيها لأن مدة القصر عندنا ثلاث مراحل يقطع كل مرحلة فى أكثر من نصف النهار من أقصر الايام بسير الاثقال وهاتان المرحلتان تكونان على هذا الحساب ثلاث مراحل فأزيد • ثم رأيت فى موطا الامام مالك رضى الله عنه حديثا صحيحا يدل على صحة ما جنحت اليه صورته عن مالك أنه بلغه ان ابن عباس كان يقصر الصلاة فى مثل ما بين مكة والطائف وفى مثل ما بين مكة وعسفان وفى مثل ما بين مكة وجدة والله أعلم ﴿ثم وقعت زيادة الشريف عبد الله بن الزبير رضى الله عنه﴾ هو صحابى ابن صحابى أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها ذات النطاقين وخالته عائشة الصديقة أم المؤمنين رضى الله عنها • ولد بالمدينة بعد عشرين شهرا من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وهو أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحا شديدا لان اليهود زعموا انهم سحروا المسلمين فلا يولد لهم ولد وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها وسماه عبد الله وكناه أبا بكر باسم جده الصديق رضى الله عنه وكان صواما قواما طويل الصلاة وصولا للرحم عظيم الشجاعة قوبا قسم الليالى الى ثلاث فليلة يصلى قائما الى الصبح وليلة

عن قتله وأمر باطلاقه ثم ذهب الشريف ليلة النفر الى مكة والناس فى أمر مريج فلم يرد ذلك الجبار الاطغيانا فنادى ان الشريف معزول فلما سمع الاعراب ذلك نهبوا الحجاج وأخذوا أموالا كثيرة وعزموا على أخذ مكة أيضا فبلغ ذلك الشريف وعلم هلاك الحجاج فركب بنفسه وأثخن فى العرب الجراح وقتل بعضهم فخمدوا واستمر أمير الحاج بمكة والناس فى أمر مريج بحيث عطلت أكثر شعار الحج ورحل كثير من الحجاج من غير رمى للجمار ثم رحل محمود باشا وهو يتوعد الشريف بالعزل والنقمة من السلطنة ثم كان عكس ما أضمر فلما وصل الخبر من الابواب السلطانية أرسلوا التأييد والاعتذار لمولانا الشريف عما وقع من محمود باشا وانه قوبل بما يستحقه من النكال وكان ذلك من كرامات صاحب مكة وقبل هذه الفتنة كان السيد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن على بن أحمد بن الاستاذ الفقيه المقدم باعلوى بالفقيه المشهور صاحب الشبيكة أرسل من حضرموت كتابا لمولانا الشريف أبى نمى يقول فيه ما عليك من الطباخين والعبيد والفلاحين وأنت منصور عليهم مع اشارات كثيرة فلم يفهم معناها الا بعد وقوعها وأرسلها مع خادمه فحفظ الشريف الكتاب فوقعت تلك الواقعة بمنى فلما أراد الخادم ان يسافر الى حضرموت طلب من الشريف جواب الكتاب فقال له الشريف صفته كذا وكذا وجعل يصف السيد فقال له الخادم هذه صفة سيدى عبد الله بالفقيه فقال له الشريف رأيته فى وقت الواقعة وهو امامى يذود الناس عنى وكان الشيخ محمد بن الشيخ أبى الحسن البكرى حج فى هذا العام ونزل من منى للطواف والسعى وكان عنده فى منزله الشيخ أحمد الحرفوش فحصل للشيخ محمد حالة جلال فجعل يدور فى المجلس الذى هو فيه وقد امتلأ غيظا ويشير بيده كأنه يدفع شيأ ويقول حوش ياحرفوش فاستغرب الحرفوش ذلك ثم ان الشيخ لما سكنت حالته قال للحرفوش الآن وقعت بمنى فتنة عظيمة وكان الامر كذلك (ويحكى) عن بعض مشايخ اليمن انه أمر بعض فقرائه وهو باليمن ان يجذب ماء من بئر عندهم فى بلده ويكبه فى الارض فى ساعة الوقعة ثم عاد الى شعوره وقال وقعت فتنة عظيمة بمنى وطفأناها بهذا الماء ومحمود باشا صاحب الواقعة كان ممن ولى اليمن وأرسله داود باشا صاحب مصر بخلع للشريف فلما وصل الى مكة كانه لم يرض بما قوبل به من الشريف فعاد الى مصر وهو تعبان فى نفسه فلما صار أمير الحج سنة تسعمائة وثمانية وخمسين وقعت منه هذه الفتنة ثم انه ورد متوليا اليمن سنة تسعمائة وستين فلما وصل الى جدة فلم يحتفل به جماعة الشريف لما سلف منه فارسل للشريف يعتذر ويحلف له أن ما وقع منه كان عن غير اختيار وانه تاب الى الله عز وجل ورجع فقبل الشريف عذره وأرسل الى خدمه فتلافوا ما فرط منهم فى حقه ثم انه صعد الى مكة للطواف فخرج أناس لملاقاته وبشروه برضا

الشريف ففرح بذلك وقابله مولانا الشريف من تربة الشيخ محمود هو واخوته ففرح غاية الفرح وأنزلوه مدرسة قايتباي وجعلوا له سماطا فاقام يومين ورجع الى جدة متوجها الى اليمن

*(وفاة السيد أحمد بن أبي نمي سنة ٩٦١)*

وفي سنة تسعمائة واحدى وستين توفي السيد احمد بن أبي نمي والسيد احمد هذا هو جد السادة الاشراف آل منديل وآل حراز وكان أكبر من الشريف حسن وكان مشاركا لابيه بأمر سلطاني بالتماس والده فكان يلبس معه خلعة ثانية فلما توفي التمس مولانا الشريف من السلطنة ان يكون عوضه السيد حسن أكبر أولاده فجاءت التشريفات والمراسيم والخلعة من السلطنة للشريف حسن في مشاركة أبيه في ولاية مكة وزينت البلد سبعة أيام

*(ابتداء مجيء المحمل من اليمن سنة ٩٦٣ واستمر الى سنة ١٠٤٩)*

وفي سنة تسعمائة وثلاثة وستين عرض الوزير مصطفى باشا المتولي على اليمن على مولانا السلطان أن يحدث محملا يجيء من اليمن فأذن له فوصل المحمل فبرز مولانا الشريف للقائه الى بركة ماجن ولبس الخلعة ودخل الشريف مكة ومعه المحمل والامير وأنزلوا المحمل بالمعلا واستمر مجيء هذا المحمل الى سنة ألف وتسعة وأربعين ثم انقطع لما حدث من الفتن وفي سنة أربعة وسبعين وتسعمائة طلب مولانا الشريف من السلطنة تفويض الامر الى ابنه الشريف حسن وأراد هو العكوف على العبادة فجاء الامر بالتفويض لابنه الحسن بحيث فوض اليه أمر مكة وجدة والمدينة وينبع وخيبر وحلي وجميع أقطار الحجاز من خيبر الى حلي الى نجد وما دخل في ذلك وعكف مولانا الشريف أبو نمي على العبادة واجتناء العلوم وكان جامعا لاشتات الفضائل حاويا لمحاسن الشمائل وله النثر الفائق والشعر الرائق وتوفي ابنه الشريف بركات سنة تسعمائة وخمسة وثمانين فحزن عليه كثيرا قال الشيخ نور الدين الشهير بالجم دخلت على مولانا الشريف أبي نمي معزيا له في ولده السيد بركات فانهلت دموعه فاخذها بمنديل فأنشدته ارتجالا

يا أيها الملك العزيز ومن رقى * هام العلى رفع المهيمن شانه
لا تبك مرحوما أتى تاريخه * بركات أنزله اللطيف جنانه

*(وفاة الشريف أبي نمي سنة ٩٩٢ ومدة ولايته مشاركة واستقلالا ٧٢ وعمره ٨٠)*

فسري عنه بعض ما كان فيه واستمر الشريف أبو نمي الى أن توفي تاسع شهر المحرم وقيل في العاشر سنة تسعمائة واثنتين وتسعين بوادي الابار من جهة اليمن وحمل الى مكة وصلى عليه تجاه الكعبة ودفن بالمعلا وبني عليه قبة وكان عمره ثمانين سنة وشهرا ويوما ومدة ولايته منفردا ومشاركا لولديه

يصلي ويستمر راكعا الى الصبح وليلة يصلي ويستمر ساجدا الى الصبح وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثين حديثا * وكان ممن أبى البيعة ليزيد وفر الى مكة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ولم يخرج عن طاعته الا أهل مصر والشام فانهم بايعوا يزيد فلما هلك أطاع أهلها عبد الله بن الزبير ثم خرج مروان بن الحكم فتغلب على مصر والشام الى أن ولي عبد الملك فجهز جيشا كثيفا على ابن الزبير وأمر الحجاج عليهم ابن يوسف الثقفي فحاصره ورمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير أصحابه فخرج ابن الزبير وحده وقاتل قتالا عظيما الى أن استشهد رضي الله عنه في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وأنشد فيه النابغة الجعدي

حكيت لنا الصديق لما وليتنا * وعثمان والفاروق فارتاح معدم  وسويت بين الناس في الحق فاستوى * وعاد صباحا حالك الليل أسحم

وكان لما حاصره الحصين ابن نمير في عسكر جهزه يزيد عليه التجأ الى المسجد الحرام فنصب عليه المجانيق وأصاب بعض حجارة الكعبة فتهدم بعض جدرانها واحترق بعض أخشابها وكسوتها وانهزم الحصين بعسكره لهلاك يزيد وبلوغ خبر نعيه فرأى عبد الله بن الزبير أن يهدم الكعبة ويحكم بناءها ويبنيها على قواعد ابراهيم عليه السلام لما سمعه من حديث عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فان قريشا استقصرتها حين بنت الكعبة فان بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا منه فأراها نحوا من سبعة أذرع أخرجه الشيخان في صحيحيهما * وفي رواية مسلم عن عطاء قال قال ابن الزبير اني سمعت عائشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولا أن الناس حديثو عهد بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع فاستشار عبد الله بن الزبير من بقي من الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فمنهم من أبى ومنهم من وافقه على ذلك فصمم وأقدم على ذلك ﴿ولما أراد هدم البيت الشريف ليجدد بناءه﴾ خرج أهل مكة خوفا فتأخر العمال عن ذلك فأرقى عبد الله بن الزبير عبدا دقيق الساقين وعبيدا له من الحبوش يهدمونها رجاء ان يكون فيهم الحبشي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة * قال الامام عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله في تاريخه مرآة الجنان أراد عبد الله بن

الزبير ان يجعل الطين الذى يبنى به الكعبة من الورس فقيل له انه لا يستمسك به البنيان كما يستمسك بالجص فأرسل الى صنعاء اليمن طالب منها جصا نظيفا محكما فأتوا به فبنى به الكعبة اه ﴿فلما أكملوا هدمها﴾ كشف منها عن أساس ابراهيم عليه السلام فوجد الحجر داخلا فى البيت فبنى البيت على ذلك الاساس وكان أدار سترا على فناء البيت وكان البناة يبنون من وراء ذلك الستر والناس يطوفون من خارج فادخل الحجر فى البيت وألصق باب الكعبة بالارض ليدخل الناس منه وفتح لها بابا غربيا فى مقابلة هذا الباب ليخرج الناس منه كما كان عليه لما جددت قريش الكعبة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وعمره الشريف خمسة وعشرون سنة وكانت النفقة قصرت بقريش لما بنوا الكعبة يومئذ فأخرجوا الحجر من البيت وجعلوا عليه حائطا قصيرا على انه من الكعبة فأزال عبد الله بن الزبير ذلك الوضع وأعادها على ما كانت عليه زمن الجاهلية وهى على قواعد ابراهيم عليه السلام وكان طول الكعبة قبل قريش تسعة أذرع فلما أكمل عبد الله بن الزبير طولها ثمانية عشر ذراعا عرضية لا طول لها فزاد فى طولها تسعة أذرع فصار طولها فى السماء سبعة وعشرين ذراعا ﴿ولما فرغ من بنائها﴾ طيبها بالمسك والعنبر داخلا وخارجا من أعلاها الى أسفلها وكساها بالديباج وبقيت من الحجارة بقية فرشها حول البيت الشريف نحوا من عشرة أذرع • وكان فراغه من عمارة البيت الشريف فى سابع عشر رجب سنة أربع وستين من الهجرة فخرج الى التنعيم هو وأهل مكة معتمرين شكرا لله تعالى ونحر مائة بدنة وذبح كل أحد على قدر وسعه وجعلوا ذلك اليوم عيدا مشهودا ر بقيت هذه العمرة سنة عند أهل مكة الى هذى اليوم يجتمعون الى الاعتمار فيه ولا يكادون يتخلفون عن الاعتمار فى هذا اليوم فى كل عام و يأتون من البر بقصد هذه العمرة وكان اعتناء الناس بهذه العمرة قبل الآن أكثر وأعظم من الآن بحيث يقال ان صاحب الينبع يومئذ السيد قتادة بن ادريس ابن الحسنى جد ساداتنا الاشراف ولاة مكة الآن أدام الله تعالى عزهم وسعادتهم لما علم من أمراء مكة يومئذ وهم طائفة أخرى من بنى حسن يقال لهم الهواشم لانهماكهم على اللهو واللذات وكثرة الظلم من عبيدهم على الناس واستيلاء الغرور عليهم ونفرت القلوب عنهم وعدم توجههم الى أحوال البلد ارتقب الشريف قتادة اليوم السابع والعشرين من رجب واغتنم الفرصة لاشتغال

---

ثلاث وسبعون سنة (يحكى) ان الشيخ عفيف الدين الدلاصى لما توفى الشريف أبو نمى امتنع من الصلاة عليه فرأى تلك الليلة سيدة النساء السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها فى المسجد الحرام والناس يسلمون عليها وأراد الشيخ عفيف الدين السلام عليها فأعرضت عنه فتحامل وسألها فقالت يموت ابنى ولا تصلى عليه فاعتذر اليها واستيقظ من نومه وحدث بما رأى وأعقب الشريف أبو نمى كثيرا من الذكور والاناث فمن الذكور الحسن وثقبة وشبير وراجح ومنصور وسرور ومنهم أحمد وبركات لكنهما توفيا فى حياته ولكل منهما عقب وكان من أعظم أولاد الشريف أبى نمى الشريف حسن

•(ولاية الشريف حسن بن أبى نمى استقلالا)•

فولى مكة بعد موت أبيه ولبعض الفضلاء من أهل مكة فى تاريخ وفاة الشريف أبى نمى

يا من به طبنا وطاب الوجود • قد كنت بدرا فى سماء السعود

ما صرت فى الترب ولكنما • أسكنك الله جنان الخلود

٩٩٢

ذكر السيد عبد القادر العيدروس صاحب النور السافر فى أخبار أهل القرن العاشر ان الشريف أبا نمى كان من أكابر العلماء وأجلة الاولياء وقد أخذ كثيرا عن العلماء وأخذ عنه كثيرون اه وكانت ولادة مولانا الشريف حسن بن أبى نمى سنة تسعمائة واثنتين وثلاثين حملت به أمه عام وفاة جده الشريف بركات وكان الشريف حسن جامعا بين الفتوة والبسالة كما جمع جده صلى الله عليه وسلم بين النبوة والرسالة كأنه معهد للكمالات الجلية ومعقد الخناصر أرباب الهمم العلية وكان آية عظيمة فى حل المشكلات موفور العقل وصحة الفراسات نشر للعلماء المفاخر وألحق عاجزهم بالماهر فانتظموا فى سوحه انتظام لآلئ الاكاليل ونظموا فى محاسنه ما يضاهى زواهر الاكاليل وكان يجيز على التأليف والقصيدة الالف وأكثر فأبرزت له مخدرات العلوم من أنواع ما ينظم وينثر وهو أول من كتب فى التوقيعات يجرى على الوجه الشرعى والقانون المحرر المرعى فكان يكتب ذلك على الحجج الشرعية وتبعه على ذلك من بعده من الملوك ويكتب على القصص وهى الانهاآت الجواب الى سؤاله زاد الله فى نواله وكتبه فلان ويعهر الحجة والقصة ويكتب على التقارير اسمه فقط من غير ان يعهر عليها ولما توفى والده تولى امارة مكة وجاءته المراسيم السلطانية بالتأييد وهناه الشعراء ومدحوه بقصائد كثيرة ولما بنى دار السعادة التى هى منزله جعل له بعض الافاضل أبيات شعر كتبت فى بعض الطراز هى هذه

يا سائلى عن محل الملك من كثب • له السعادة ما ان سارت الفلك

أهل مكة بهذه العمرة وخروجهم بجملاتهم الى التنعيم فهجم عليهم بعبيده وذويه ودخل مكة وهي يومئذ مسورة وولاتها من حسن الهواشم آخرهم الشريف مكثر بن عيسى بن فليتة ففر بمن معه الى جهات اليمن وتمكن السيد قتادة من البلاد وذلك في سنة تسع وتسعين وخمسمائة واستمرت الولاية في ولده الى الآن والى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وفي سنة أربع وسبعين من الهجرة كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يذكر له ان عبد الله بن الزبير زاد في الكعبة ما ليس منها وأحدث فيها بابا آخر فكتب اليه عبد الملك ان يعيدها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدم الحجاج من جانبها الشامي قدر ستة أذرع وشبرا وبنى ذلك الجدار على أساس قريش وكبس



أرضها بالحجارة التي فصلت ورفع الباب الشرقي وسد الباب الغربي وترك سائرها ولم يغير منها شيئا فهي الآن جوانبها الثلاثة من بناء عبد الله بن الزبير والجانب الرابع الشامي بناء الحجاج وهو ظاهر الانفصال من بناء عبد الله ابن الزبير * فلما فرغ الحجاج من ذلك وفد عبد الملك بن مروان وحج في ذلك العام ومعه الحارث بن عبد الله ابن ربيعة المخزومي وهو من ثقات الرواة فتحادثا في أمر الكعبة فقال عبد الملك ما أظن ابن الزبير سمع من عائشة ما كان يزعم انه سمع منها في أمر الكعبة فقال الحارث أنا سمعت ذلك من عائشة رضي الله عنها انها تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قومك استقصروا في بناء البيت ولولا حداثة عهد قومك بالكفر أعدت فيه ما تركوا منه وأعدته على ما كان عليه في زمن ابراهيم فان بدا لقومك ان يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع قال صلى الله عليه وسلم وجعلت لها بابين موضوعين على الأرض بابا شرقيا يدخل الناس منه وبابا غربيا يخرج الناس منه فقال عبد الملك أنت سمعتها تقول ذلك قال نعم سمعت هذا منها قال فجعل ينكت بقضيب في يده منكسا ساعة طويلة ثم قال وددت والله اني تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك ذكره النجم بن فهد رحمه الله تعالى وقد ذكرنا ذلك جميعه بالاستطراد لاشتماله على الفوائد المهمة والحديث مشهور رجعنا الى ما نحن بصدده في ذكر زيادة سيدنا عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام * وبسندنا المتقدم ذكره متصلا مرفوعا الى الامام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الازرقي قال حدثني جدي قال كان المسجد الحرام محاطا بجدار قصير غير مسقف وكان

---

هذي الديار التي قد عز منشؤها * فما بنى مثلها عجم ولا ترك
أرخت بنيانها اذ تم معظمها * بنظم بيت كدر زانه السلك
ما منزل الملك الا ما حوى حسن * وفي بنيه يكون العز والملك

فيكتب ذلك في الطراز فعظم على أخيه السيد ثقبة بن أبي نمي بيت التاريخ فأنشأ داره المعروفة به وكتب في طرازها شعرا أنشأه له بعض الفضلاء وجاء فيه بقوله

*(ما منزل الملك الا ما حوى ثقبه)*

ففرح به السيد ثقبة غاية الفرح لمناقضته للسابق في دار الشريف حسن فاتفق انه لما جلس فيه للسكنى أتاه الشريف حسن للتهنئة وجعل يقرأ الطراز فلما وصل الى هذا النصف قرأه بكسر الميم من الملك فلا تسأل عما وقع للسيد ثقبة من الخجل وعجب الحاضرون من حسن هذا التحريف من مولانا الشريف حسن وللشيخ عبد القادر الطبري أبيات فيها تاريخ دار السعادة في شطر هي هذه

ان بيتا بناه خير مليك * أسس الملك كفه واشاده
فاق في وصفه وحسن بناه * كل قصر لاهل العلى والسياده
جاء تاريخ وصفه في نصيف * أنا بيت الملوك دار السعاده

*(موضع دار السعادة ودار الهناء)*

يقال ان دار السعادة كان في موضع التكية المصرية الآن وكان من تولى من ذوي زيد ينزله وأما ذوو بركات فينزلون في دار الهناء ويقال انه كان في موضع بيت الشريف نمي الذي تجاه باب الوداع وذكر السيد محمد مدني المعروف بكبريت انه دخل الشيخ عبد الرزاق الشيبي على مولانا الشريف حسن يستأذنه في السفر الى الهند فأنشده مولانا الشريف بيت الطغرائي

فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وأنت تغنيك منه مصة الوشل

(فاجابه بقول الطغرائي من القصيدة)

أريد بسطة كف أستعين بها * على قضاء حقوق للعلى قبلي

فاستحسن استحضاره الجواب من القصيدة حيث لم يكن مذكورا عقب البيت الذي ذكره مولانا الشريف فامر له بألف دينار وفي أيامه في سنة تسعمائة وست وتسعين فقد مفتاح الكعبة وذلك ان الشيخ عبد الواحد الشيبي فتح الكعبة في رمضان على جري العادة فسرق من حجره مفتاح الكعبة وهو مصفح بالذهب فوقعت الضجة واغلقت أبواب الحرم وفتشت الناس فلم يظفروا به ثم وجده سنان باشا باليمن مع رجل أعجمي فأخذه وقرره وكبس داره فوجد عنده غير المفتاح كثيرا من

الناس يجلسون حول الكعبة بالغداة والعشي يتبعون الافياء فاذا قلص قامت المجالس • قال وحدثنا جدي حدثنا عبد الرحمن بن الحسن بن القاسم بن عقبة عن أبيه قال زاد عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام واشترى دورا وأدخلها الى المسجد وكان مما اشترى بعض دار جدنا الازرقي وكانت لاصقة بالمسجد الحرام وبابها شارع على باب بني شيبة على يسار الداخل الى المسجد وكانت دارا كبيرة اشترى بعضها ببضعة عشر ألف دينار وأدخلها المسجد الحرام وكتب لنا الى أخيه مصعب بن الزبير بالعراق يدفع الينا قال فركب رجال منا الى العراق فوجدوا مصعبا يقاتل عبد الملك بن مروان فلم يلبث الا يسيرا حتى قتل مصعب فرجعوا الى مكة فصار ابن الزبير يعدنا ويدافعنا حتى جاء الحجاج ابن يوسف



وحاصره وقتل ولم نأخذ منه شيأ • قال وذكر جدي أنه سمع مشيخة أهل مكة يذكرون ان عبد الله بن الزبير سقف المسجد غير انهم لا يدرون أكله سقف أم بعضه قال ثم عمره عبد الملك ابن مروان ولم يزد فيه لكنه رفع جدرانه وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة • قال وحدثني جدي حدثنا سفيان بن عيينة عن سعيد بن قرة عن أبيه قال كنت على عمل المسجد في زمان عبد الملك بن مروان فأمر أن يجعل في رأس كل اسطوانة خمسين مثقالا من الذهب قال وروى جدي عن سفيان عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن زادان بن فروخ قال مسجد الكوفة تسعة أجربة ومسجد مكة سبعة أجربة وذلك في زمان عبد الله بن الزبير ﴿ذكر عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد الحرام﴾ قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى كان الوليد جبارا ظالما أخرج أبو نعيم في الحلية قال عمر بن عبد العزيز الوليد بالشام والحجاج بالعراق وعثمان بن حيارة بالحجاز وقرة بن يزيد بمصر امتلأت الارض والله جورا قال الحافظ السيوطي لكنه أقام الجهاد في أيامه وفتحت في دولته الفتوحات العظيمة كأيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه • وقال ابن أبي عبيدة وأين مثل الوليد افتتح الهند والاندلس وبنى مسجد دمشق وكتب بتوسيع المسجد النبوي وبنائه قال أبو الوليد الازرقي قال جدي عمر الوليد المسجد الحرام ونقض عمل عبد الملك وعمل عملا محكما وكان اذا عمل المساجد زخرفها وهو أول من نقل الاساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف وجعل على رؤس الاساطين صفائح الذهب وأزر المسجد بالرخام وجعل للمسجد سرادقات قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى بعث الوليد بن عبد

السرقات أقر بها فقطع رأسه وأرسل المفتاح للشيخ عبد الواحد الشيبي وقد ترجم مولانا الشريف حسن بن أبي نمي العلامة المحبي في كتابه المسمى خلاصة الاثر في أعيان أهل القرن الحادي عشر وأطال في ترجمته فيما ذكره قوله نشأ في كفالة والده سعيدا رئيسا حميدا ولبس الخلعة الثانية بعد أخيه أحمد في سنة اثنتين وستين وتسعمائة ثم فوض اليه والده الامر فلبس الخلعة الكبرى التي لصاحب مكة ولبس أخوه ثقبة الخلعة الثانية واستمر مشاركا لوالده في الامرة الى ان انتقل والده سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة فاستقل بسلطنة الحجاز وقام بها أحسن قيام وضبط الامور والاحكام على أحسن نظام وأمنت البلاد واطمأنت العباد وقطع دابر أهل الفساد فكانت القوافل والاحمال تسير بكثير من الاموال مع آحاد الرجال ولو في المخاوف والمهالك وخافه كل مقدام فاتك وكان عظيم القدر مفرط السخاء بصيرا بفصل الامور شجاعا مقداما صاحب فراسة عجيبة

﴿فراسة الشريف حسن بن أبي نمي في أحكامه﴾

(حكي) انه سرقت الفرضة السلطانية بجدة وضاع منها قماش له صورة وأموال كثيرة ولم يكسر بابها ولا نقب جدارها ولا أثر يحال عليه معرفة المطلوب والطالب بل وجد حبل مسدول من بعض الجوانب فلما عرض الامر عليه طلب الحبل ثم شمه فقال هذا حبل عطار ثم دفعه الى ثقة من خدامه وأمره ان يدور على العطارين فعرفه بعضهم وقال هذا حبل كان عندي اشتراه مني فلان فسألوا عن ذلك فوجدوا الحبل قد نقل من رجل الى رجل الى ان وصل لشخص من جماعة أمير جدة ثم وجدت السرقة بعينها في المحل الذي ظنها فيه ومن ذلك انه اختصم عنده رجلان مصري وعماني في جارية فادعى كل منهما انها له وأقام بذلك بينة فأجال فكرته الوقادة وطلب قليلا من الحب وقال لها ما اسم هذا في بلادكم فقالت بر فحكم بها للعماني فظهر بعد ذلك انها ملكه ومن ذلك انه اختصم لديه رجلان شامي ومصري في جمل فادعى كل منهما انه له وأقام بذلك حجة ثم قال لهما اني سأحكم بحكم فان ظهر لي أن الحق بيد أحد كما غرمت الآخر ثمن الجمل فأمر بذبح الجمل فذبح وأمر باستخراج مخه فاستخرج فتأمله وقضى بالجمل للشامي وأمر المصري بتسليم القيمة فقيل له في ذلك فقال رأيت مخه منعقدا فاستدللت بذلك فان أهل الشام يعلفون دوابهم الكرسنة وهي تعقد المخ وأهل مصر يعلفون الفول وهو يعقد الشحم دون المخ فظهر بعد ذلك ان الحق كما قال ومن ذلك ان شخصا دفن مالا بالمزدلفة أي ليكون محفوظا مدة مقامه بالمزدلفة وكان شخص يرقبه فلما قصد النفر منها الى منى وجد المال قد حفر عنه وأخذ ولم يظفر بأثر من آثار الغريم الا بعصا ملقاة فأخذها ورفع شكواه اليه وذكر له القصة فسأله هل وجدت من أثر فقال نعم وجدت عصا ملقاة فطلبها منه فأحضرها ثم

تاملها

الملك الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسرى بستة وثلاثين ألف دينار فضرب منها على بابى الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التى فى باطنها وعلى الاركان التى فى جوفها ويقال ان الحلية التى حلاها الوليد بن عبد الملك للكعبة هى ما كانت فى مائدة سليمان بن داود من ذهب وفضة وكانت قد احتملت من طليطلة من جزيرة الأندلس على بغل قوى تفسخ تحتها وكان لها أطواق من ياقوت وزبرجد

﴿الباب الرابع فى ذكر ما زاده العباسيون فى المسجد الحرام﴾

لما انطوى بساط ملك بنى مروان وآل الى آل عباس الامرة والسلطان مزقت بنو أمية كل ممزق وشقق الدهر حلل ايناسهم ومزق وحرق بنار البأس لباسهم وخرق وكان رقص لهم (٥٩) وصفق وكانت ثغور آمالهم بواسم وغرر أيامهم بصنوف اللهو مواسم ورياح عزتهم فى رياض غرتهم نواسم وكانت تضيق بجيوشهم الفضا ويجرى على حسب مطويهم خيول القدر والقضا ثم انحرفت عنهم الايام فأظلمت اشراقهم وأذرى بالهيب العكس يانع اوراقهم ورمتهم بصواعق ارعادهم وابراقهم فلم يدفع عنهم الرمح ولا الحسام ولم ينفع ما سبق لهم من المنن الجسام وأذيق الموت الاحمر مروان الحمار ونزع من تخت الملك الى تحت حافر الحمار فما بكت عليهم الارض وما بقى لهم الا ما قدموه من نفل وفرض ونزعوا من بين الأتراب الى باطن التراب وسيقوا للحساب الى يوم الحساب فسحقا للدنيا لا وفاء فيها لبنيها ولا بقاء لحالتى تحليها وتجنيها ولا بقاء منها على مجتليها ومجتنيها ذلت عزة عاد وهدمت قصر شداد وأخربت ارم ذات العماد فأف على الدنيا وزخرفها والحذر الحذر من هجوم صرفها وتصرفها كم نادت عليهم حذار حذار من بطشى وفتكى وكم صاحت عليهم لا تغتروا بضحكى ولا يغرركم منى ابتسام فقولى مضحك والفعل مبكى وكانت مدة ملكهم ألف شهر وكان ما تحملوه من الوزر والقهر لتلك المدة كالمهر وجعل الله تعالى لبيت النبوة عوض ذلك ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر • قال الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى فى الدر المنثور أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت ولد الحكم بن العاص على المنابر كأنهم القردة وأنزل الله فى ذلك وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة يعنى الحكم وولده • وأخرج ابن مردويه عن

---

تأملها فأمر باحضار جماعة مخصوصين من العرب فحضروا فأشرفهم على العصا وسألهم هل يعرفون صاحبها فقالوا نعم هى عصا فلان فأحضره وسأله فانكر فشدد عليه فأقر بالمال ومن ذلك ان شخصا من سادات اليمن وصل الى مكة بجارية حسناء سنها نحو العشر سنوات فتعصب عليه طائفة من الجبرت وادعى بعضهم انها من أصل وانها بنت فلان وشهد منهم شاهدان من طلبة العلم بذلك واستخلصوها من يد ذلك السيد قهرا فرفع القضية له فطلب الشاهدين وأخذ يستدرجهما بعد جرحهما وانهما من مشاهير من جاور بمكة من مدة طويلة وان شهادتهما مقبولة ثم سألهما عن الشهادة فأدياها كما سبق وانها بنت فلان الجبرتى ولدت ببلده ونحن بها قبل وصولنا مكة فقبل شهادتهما ثم سألهما عن مدة اقامتهما بمكة وهل خرجا بعد دخولها فذكرا ان المدة تنوف على ثلاثين سنة وانهما ما خرجا منها الى بلدهما بعد ان دخلا فشاغلهما بالكلام ساعة ثم سألهما عن سن الجارية فقالا نحو عشر سنين فأخذ يسبهما ويتكلم عليهما حيث شهدا بولادتها وهما ببلدهما وقصد اتلافهما وأعاد الجارية الى سيدها وكانت هذه الحكومة منه حكمة بالغة فانه قصم بها طائفة الجبرت عن مثل ذلك فانهم سلكوا هذا المسلك مدة واستخلصوا به ارقاء الناس من أيديهم ثم قال فى الخلاصة وكان محبا للعلماء معظما لهم كثير الانعام عليهم فكانوا يتقربون الى خدمته بالتآليف الجليلة فيجيزهم عليها الجوائز الجزيلة من ذلك ان الشيخ عبد القادر الطبرى تقرب الى خدمته بشرح القصيدة الدريدية فأجازه عليها بألف دينار واتفق انه حكم تاريخ الشرح قوله

أرخنى مؤلفى • ببيت شعر ماذهب
أحمد جود ماجد • أجازنى ألف ذهب

فلما قرأ البيتين قال والله ان هذا النزر جدا بالنسبة الى هذا التأليف ولكن حيث وقع الاختصار عليه فعلى الرأس والعين وأعطاه ذلك وكان مولانا الشريف حسن رحمه الله ذا فضل باهر وأدب غض ومحاضرة فائقة واستحضار غريب (يحكى) انه كان فى مجلس تصدر بعض الناس على بعض بنى عمه فيه فظهر أثر الغضب على ابن عمه ففطن له مولانا الشريف حسن فقال انه ليقودنى للعجب ويهز من عطف أريحى ساعد الطرب قصيدة أبى الطيب المتنبى التى أولها

فؤاد ما يسليه المدام • وعمر مثل ما يهب اللئام

فتسلى بذلك ابن عمه وتبسم وجهه بعد القطوب لانه علم تلميحه الى قوله فيها ولو لم يعل الا ذو محل ويروى

ولو ان المقام له علو • تعالى الجيش وانحط القتام

(ويحكى) انه سقط من يد بعض بنى عمه خاتم به حجر ثمين القيمة فلم يطلبه ويفتش عليه فقال له مولانا

الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح يوما وهو مهموم فقيل له مالك يا رسول الله قال اني رأيت في المنام كان بني أمية يتعاورون منبري هذا فقيل يا رسول الله لا تهتم فانها دنيا تنالهم فأنزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قال ابن عطية في تفسيره ولا يدخل في هذه الرؤيا عثمان رضي الله عنه ولا معاوية ولا عمر بن عبد العزيز وما كانت في الحقيقة ولاية بني أمية الا فتنة للناس وآل الملك من بعدهم الى آل العباس وأضحكهم الدهر بعد العبوس والباس وألبسهم الدهر حلل الامر والنهي وأفرحهم بذلك الالباس وآنسهم بعد الوحشة ومادام لهم ذلك الايناس وهكذا الدنيا دول تدول وتدال وما زال لكل زمان دولة (٦٠) ورجال ﴿فأول من ولي منهم السفاح﴾ أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن العباس رضي الله عنهما وكان أصغر من أخيه أبي جعفر المنصور قال جرير الطبري كان بدء أمر العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم العباس عمه ان الخلافة تؤول الى ولده فلم يزل ولده يتوقعون ذلك الى أن بويع لولده محمد فلما مات محمد عهد لولده ابراهيم فسجنه مروان وقتله في الحبس فعهد ابراهيم لاخيه عبد الله هذا وبويع له في الكوفة في ثالث ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان مولده سنة ثمان ومائة وتوفي بالجدري في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن وكان بذولا سفاكا قتل في مبايعته من بني أمية وأتباعهم ما لا يحصى كثرة ووطأت الممالك من الشرق الى أقصى الغرب وكان عمره ثمانية وعشرين عاما ومدة امارته أربعة أعوام وجرت عادة الله في الملوك والسلاطين قصر لولاة أعمار من سفك الدماء منهم ﴿وولي بعده أخوه أبو جعفر المنصور عبد الله﴾ هو أسن من أخيه السفاح وبويع له بعهد من أخيه في أول سنة سبع وثلاثين ومائة وكان ظالما غشوما وهو أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وقتل الاخوين محمدا وابراهيم ابني محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم وكانا خرجا عليه وآذى بسببهما خلقا كثيرا من العلماء قتلا وضربا من أفتى بجواز الخروج عليه منهم الامام أبو حنيفة رضي الله عنه أكرهه على القضاء فسجنه فمات في السجن لكونه أفتى بالخروج عليه وسمي لبخله أبا الدوانيق لمحاسبته الصناع والعمال على الدانق والحبة وقتل أبا مسلم الخراساني وهو الذي قام بدعوة

الشريف لم لا تقف لطلب ذلك الخاتم الثمين فقال ألست من أبناء أمير المؤمنين فاستحسن مولانا الشريف الى قول أبي الطيب

بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

(ولمح ابن عمه لقول المتنبي)

كذا الفاطميون الندى في أكفهم * أعز انمحاء من خطوط الرواجب

وقد نظم الامام عبد القادر الطبري أرجوزة في محاسن مولانا الشريف حسن وسماها حسن السيرة وشرحها بشرح سماه حسن السريرة وأطال في ذلك ثم قال في خلاصة الآثار انه لم يزل حاميا حوزة البيت المعظم وذابا عن سوحه المطهر المفخم حتى انه من مزيد أمنه اختلط فيه العرب والعجم ورعى الذئب مع الغنم وأمن السبل الحجازية ومهد الطرق الحرمية فكانت تشد الرحال في سائر جهاته وليس معها خفير سوى الاجير ولا يفقد منها صواع ولا يختلس منها ولا قدر صاع ورب تارك المتاع أو المنقطع في القفر السبسب ليؤتى له بما يحمل عليه أو يركب فيوجد سالما من الآفات ولو طالت الاوقات مع كثرة الطارقين لتلك المعاهد والسالكين لهذه المواطن والمقاصد ولم يعهد هذا الا في زمن هذا الملك العادل ولم ينقل مثله عن مثله من الملوك الاوائل فلقد كانت هذه الطرق مخوفة والمخاليف كلها غير مألوفة حتى من أراد أن يعزم من مكة الى التنعيم للاعتمار لابد له أن يأخذ خفيرا من أرباب الدولة الكبار وان لم يفعل ذلك يعطب في نفسه وماله ولا يرثى في أخذ الثار لحاله وطالما نهبت الاموال ما بين مكة وعرفة ليلة الصعود اليها وسفكت الدماء في تلك المشاعر وجدلت الاجساد لديها واذا سرق متاع قل ان يظفر به وربما قتل صاحبه عند طلبه بسببه وكل ذلك من العرب المحيطين باطراف البلاد الساعين في الارض بالفساد فذ بسط الله بساط الامان بولايته ألزمهم بحراسة هذه المواطن وغرم ما يذهب للناس في هذه الاماكن وعاملهم بصنوف العقاب وأنواع العذاب من الصلب وقطع الايدي وتكليف أحدهم بالقتل ان لم يبد الى غير ذلك من أصناف الاجتهادات السياسية والآراء السلطانية المرضية حتى صلح العالم غاية الاصلاح ونادى منادي الامن بالبشر والفلاح فاطمأنت النفوس باقامة هذا الناموس واعتدلت أحوال الرعايا واتصل ذلك الى علم الملوك البقايا فشكر كل سعيه في هذه المآثر الحميدة وحمد الله تعالى في هذه المعدلة الظاهرة المجيدة وكثر حجاج بيت الله العتيق وضربوا اليها آباط الابل من كل فج عميق فيرون ما كانوا يسمعون به عيانا فيستغفرون الله تعالى في ان تكون بلده لهم مسكنا وأهلها اخوانا وكان في القواعد القديمة

لولاة مكة المكرمة أن ينادي بعد تمام الحج يا أهل الشام شامكم ويا أهل اليمن يمنكم فيرحل كل الى بلاده ولا يقيم بمكة الا خواص أهلها من ذوي البيوت القديمة فلما تولى مكة وشاع ذكره رغب كل أحد في المجاورة بها وصارت مصرا من الامصار

•(وفاة داود بن عمر الانطاكي صاحب التذكرة سنة ١٠٠٨)•

وفي تاريخ الرضي في سنة ثمان بعد الالف توفي العالم العلامة الفاضل الحكيم داود بن عمر الانطاكي البصير صاحب التذكرة وكان اجتمع بمولانا الشريف حسن بن أبي نمي صاحب الترجمة وله معه محاورات ولطائف وكان آية في الحذق والنباهة من جملة ذلك انه لما حضر مجلس الشريف المذكور أمر الشريف أحد اخوانه أن يمد يده ليجسها على انها يد الملك فلما جسها قال ليست هذه يد الملك فأعطاه الاخرى فقال وهذه أيضا ليست يد الملك فأعطاه الشريف حسن يده فقبلها وقال هذه والله يد الملك فانظروا الى فطنته وذكائه مع كفاف نظره

•(وفاة الشريف ثقبة بن أبي نمي سنة ١٠٠٨)•

وفي هذه السنة توفي الشريف ثقبة بن أبي نمي أخو مولانا الشريف حسن وله عقب يقال لهم ذوو ثقبة كان بعضهم بمكة وكان بعضهم في البر

•(وفاة الشريف حسن بن أبي نمي سنة ١٠١٠)•

وفي سنة ألف وعشرة توجه مولانا الشريف حسن الى نجد غازيا فتوفي هناك ثالث جمادى الآخرة وكان في مسافة عشرة أيام عن مكة فحمل على البغال الى مكة ووصلوا به في ثلاثة أيام وغسل وكفن وصلي عليه تجاه الكعبة ودفن بالمعلى وبني عليه قبة رحمه الله وله من العمر تسع وسبعون سنة ونحو ثلاثة أشهر ومدة ولايته مشاركا لابيه ومستقلا نحو خمسين سنة

•(عدد أولاد الشريف حسن وأسماؤهم)•

وله أولاد كرام وذرية فخام نحو سبعة وعشرين وخلف من الاناث خمسا وعشرين وقيل ستة عشر فأولاده الذكور أبو طالب وحسين وباز وسالم وأبو القاسم ومسعود وعبد المطلب وعبد الكريم وادريس وعقيل وعبد الله وعبد المحسن وعبد المنعم وعدنان وفهيد وشنبر والمرتضى وهزاع وعبد العزيز ومضر وعثمان وجود الله وعبيد الله وبركات ومحمد الحارث وقايتباي وآدم قال الشهاب الخفاجي في كتابه الريحانة آخر ترجمة مولانا الشريف حسن بن أبي نمي وقد كان انتهاء صعود الشرف بالحجاز بالشريف حسن وفي المغرب بمولاي أحمد وفي الروم بالسلطان مراد ونحن الآن لا ندري ما يريد وما يراد فقد ذهب سليمان وانحلت الشياطين ووقف الرجاء على شفا جرف هار

---

الناس الى بني العباس وشرح ذلك يطول ووطئت له الممالك ودانت له الامصار ولم يخرج عنه غير جزيرة الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الاموي فانفرد بالاندلس وطالت مدته وملكها بنوه واستمرت في يدهم مدة • وفي المحرم سنة ثلاثين ومائة أمر أبو جعفر المنصور بالزيادة في المسجد الحرام فزيد في شقه الشامي الذي يلي دار الندوة وزاد في أسفله الى أن انتهى الى المنارة التي في ركن باب بني سهم ولم يزد في الجانب الجنوبي لاتصاله بسيل الوادي ولصعوبة البناء فيه وعدم ثباته اذا قوي السيل عليه ولذلك لم يزد في أعلى المسجد واشترى من الناس دورهم وأدخلها في المسجد الحرام وكان الذي ولي عمارة المسجد لابي جعفر أمير مكة يومئذ من جانبه زياد بن عبيد الله الحارثي • وكان من شرطته (٦١) عبد العزيز بن عبد الله بن مشافع حدثنا مشافع بن عبد الرحمن الشيبي وكان زياد أجحف بدار شيبة بن عثمان وأدخل أكثرها في الجانب الاعلى من المسجد فتكلم مع زياد في أن يميل عنه قليلا ففعل فكان في هذا المحل ازورار في المسجد وأمر أبو جعفر المنصور بعمل منارة هنالك فعملت واتصل عمله في أعلى المسجد بعمل الوليد بن عبد الملك وكان عمل أبي جعفر طاقا واحدا باساطين الرخام دائرا على صحن المسجد وكان الذي زاد فيه مقدار الضعف مما كان قبله وزخرف المسجد بالفسيفساء والذهب وزينه بانواع النقوش ورخم الحجر بالحاء المهملة المكسورة ثم الجيم وهو أول من رخمه وكان كل ذلك على يد زياد بن عبيد الله الحارثي والي الحرمين والطائف من قبل المنصور وفرغ من عمل ذلك في عامين وقيل في ثلاثة أعوام • وكتب على باب بني جمح أحد أبواب المسجد الحرام من جهة الصفا بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين أمر عبد الله أمير المؤمنين المنصور بتوسعة المسجد الحرام وعمارته والزيادة فيه نظرا منه للمسلمين واهتماما بأمورهم

(قوله بركات) المذكور من أولاد الشريف حسن من عقب بركات الشريف سعيد العمري ابن مساعد بن مبارك بن هزاع بن عبد الله بن عمرو بن بركات بن حسن بن أبي نمي

والذي زاد فيه الضعف مما كان عليه قبل وفرغ منه ورفعت الايدي منه في ذي الحجة سنة أربعين ومائة وذلك بتيسير الله على أمير المؤمنين وحسن معونته وكفايته واكرامه له بأعظم كرامته فاعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام وأحسن ثوابه وجمع الله له به خيري الدنيا والآخرة وأعز نصره وأيده * وحج المنصور في ذلك العام وأحرم من الحيرة وبذل على بخله الأموال العظيمة وأعطى أهل المدينة عطايا لم يعطها أحد كان قبله ولما قضى الحج والزيارة توجه الى زيارة بيت المقدس ثم سلك الى الشام ثم أتى الى الرقة فنزلها كذا ذكره الحافظ عمر بن فهد رحمه الله تعالى * وذكر حكاية مفيدة أذكرها استطرادا وان كانت خارجة عن مقصودنا لعظم فائدتها وهي (٦٢) لما حج كان يخرج من دار الندوة الى الطواف آخر الليل فيطوف ويصلي ولم يعلم به أحد فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة فيجيء المؤذنون ويسلمون عليه ويؤذنون للفجر ويقيمون الصلاة فيخرج يصلي بالناس فخرج ذات ليلة في السحر وشرع يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم يقول اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع المنصور في مشيته حتى ملأ مسامعه من كلامه ثم خرج من الطواف الى ناحية من المسجد ثم أرسل الى ذلك الرجل يطلبه فصلى ركعتين وقبل الحجر وأقبل مع الرسول وسلم على المنصور فقال له المنصور فما هذا الذي سمعتك تقول من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعي ما أقلقني وأمرضني وأشغل خاطري فقال يا أمير المؤمنين ان أمنتني على نفسي وصغيت الى باذن واعية انبأتك بالامور من أصلها والا احتجبت عنك بقدرة الله واقتصرت على نفسي ففيها الى شغل شاغل عن غيري فقال أنت آمن على نفسك وقل فاني ألقي اليك السمع وأنا شهيد بالقلب فقال ان الذي داخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق ومنع عن اصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض هو أنت فقال أيها الرجل كيف يداخلني الطمع والصفراء والبيضاء بيدي والحلو والحامض في قبضتي ومن يحول بيني وبين ما أريد من ذلك فقال هل داخل الطمع أحدا من الناس ما داخلك يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل استرعاك أمور المؤمنين وأنفسهم وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والطين وأبوابا من

وفاة

بين قوم مجانين فالجواد دون الحمار المصري وأبو جهل يعظ الحسن البصري اه وأرخ بعضهم وفاة مولانا الشريف حسن بقوله من قصيدة

فنظمت تاريخ الوفاة جواهرا * في سلك بيت صغته بنضار
حسن عفا عنه العزيز بطوله * وأحله أوج الجناب الباري

*(ولاية الشريف أبي طالب بن حسن بن أبي نمي)*

ولما توفي مولانا الشريف حسن تولى امارة مكة ابنه مولانا الشريف أبو طالب قال في خلاصة الاثر كان من أمره انه لما كبر أبوه فوض أولا نيابة الامارة لابنه الشريف حسين فلم يطل أمره فيها فمات فولاها شقيقه الشريف مسعودا وكان موصوفا بالشجاعة والقوة لكنه لم يسلك مسلكا مرضيا فتوفي وهو شاب فآلت الى أبي طالب صاحب الترجمة وكان ذا فكر صائب وشجاعة عظيمة وفضيلة باهرة وبعدما حكم بالنيابة عن أبيه مدة أمر أبوه أمراء الحاج ان يلبسوه الخلعة الكبرى وألبسوا ولده عبد المطلب الخلعة الثانية فألبساهما ثم جهز من اتباعه الامير بهرام بهدية سنية الى الابواب السلطانية في هذا الخصوص والتمس من السلطان محمد بن السلطان مراد تقريرا بذلك فاجيب الى ملتمسه ورجع بهرام بالتقرير وصورة منشوره مطولة مذكورة في ريحانة الخفاجي

*(ما كتب في منشور الشريف أبي طالب)*

ومن جملة ما في ذلك المنشور ثم ليعلم كل من كحل بصره باثمد منشورنا الكريم وشنف مسامعه بلآلي لفظه العظيم ممن في دارة تلك الديار وهالة تلك الاقطار وانتظم في سلك سكان القرى والامصار من السادات الكرام والقضاة والحكام وولاة الامور من الاعيان والوافدين على تلك الديار والسكان ان امارة تلك المعاهد وما فيها من العساكر وما أحاطت به من الاصاغر والاكابر وسائر الوظائف والمناصب والجهات والمراتب مفوضة الى السيد السند الشريف أبي طالب ناظرا بعين الانصاف متجنبا سبيل الاعتساف ويصرف المستحقين بحسن التصريف ويصرف من لا يستحق برايه الشريف أقمناه مقام نفسنا في ذلك المقام وفوضنا اليه النقض والابرام والعلامة السلطانية حجة لما فيه مرقوم محققة كافية من منطوق ومفهوم فليتحقق من وقف على هذا الخطاب ومن عنده علم الكتاب من أهل مكة ومن في جوارها وطيبة الطيبة وسائر اقطارها وبقية الثغور الباسمة لدولتنا بباسم السرور من حاضرها وباديها انا أعطينا القوس باريها فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها سدد الله سهام رايه في اغراض الصواب وفتح له بمفاتح السر كل مغلق من الابواب ما سقطت من أكف الثريا الخواتم ورقت على منابر الاغصان خطب الحمائم والسلام

الخشب والحديد وجعلت معهم السلاح واتخذت وزراء فجرة وأعوانا ظلمة ان نسيت لا يذكرونك وان أحسنت لا يعينونك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والسلاح والرجال وأمرت أن لا يدخل عليك غيرهم من الناس ولم تأمر بايصال المظلوم اليك ومنعت عن ادخال الملهوف عليك وحجبت الجائع والعاري والمحتاج وما أحد منهم الا وله حق في هذا المال فما زال هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرتهم أن لا يحجبوا عنك يقولون في أنفسهم هذا قد خان الله ما لنا لا نخونه فاتفقوا على أن لا يصل اليك من أخبار الناس الا ما أرادوه ولا يخالف أمرهم عامل الا أقصوه عنك وأبعدوه فلما انتشر ذلك عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم وأكرموهم وهادوهم وكان أول  من صانعهم وداراهم عمالك بالاموال والهدايا والرشا فتقووا بها على ظلم رعيتك ليظلموا من دونهم فامتلأت بلاد الله تعالى بالظلم والغشم وزاد بغيهم وطمعهم وكثر فسادهم وافسادهم وصار هؤلاء شركاءك في سلطانك وأنت غافل فان جاءك متظلم حيل بينه وبين الوصول اليك وان أراد رفع قصته اليك وصرخ بين يديك ضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر بعينك ولا ترحم بقلبك فان سألت عنه قالوا أساء الادب فادبناه وجهل مقامك فضربناه فأبقاء الاسلام على هذه المظالم والآثام واني سافرت الى أرض الصين فقدمتها وقد أصاب ملكها آفة أذهبت سمعه فجعل يبكي فقال له وزراؤه لم تبكي لا بكت عيناك فقال اني لا أبكي على فقد سمعي ولكني أبكي على المظلوم يصرخ ببابي يطلب رفع ظلامته فلا أسمع صوته وحيث ذهب سمعي فان بصري لم يذهب فنادوا في الناس ان لا يلبس الاحمر الا مظلوم لاميزه بالنظر فأعينه وكان يركب الفيل كل يوم ليرى المظلومين ويستدنيهم ويرفع عنهم ظلاماتهم انظر يا مسكين هذا مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين على رأفتك بالمسلمين وأنت مؤمن بالله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الاموال لا تجمع الا لواحد من ثلاثة أمور ان قلت أجمعها للولد فقد أراك الله عبرا في الطفل يخرج من بطن أمه عريانا ما له على وجه الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه وتصونه عن كل أحد فما زال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى يسوق اليه ما قدر له من المال فيملكه ويحويه كما حواه غيره ولست بالذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع وان قلت اجمع المال لاشتد به سلطاني فقد أراك

### (وفاة الشريف عبد المطلب بن حسن سنة ١٠١٠)

وفي سنة وفاة الشريف حسن توفي ابنه الشريف عبد المطلب وكانت ولادة الشريف أبي طالب سنة تسعمائة وخمس أوست وستين واستقل بالملك بعد وفاة أبيه من غير شريك فيه وهنأه الله بما صار اليه وأصلح الله به أمور البلاد والعباد وقام بأعباء الملك وأظهر السطوة وقهر أهل العناد فهابته النفوس واتصف في أحكامه وسار السيرة المرضية وكان حسن الهيئة شديد الهيبة فاذا حضر الناس مجلسه سكتوا لمهابته وكانت تخافه البوادي وأهل النوادي وكان سخيا ندي الكف

(ومما يحكى) من كرمه انه زار النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يلي أمر مكة فلما أمسى نزل في واد هناك هو ومن معه فاضافه رجل من أهل الوادي يقال له السوداني فذبح الذبائح ومد الموائد وقدمها اليهم فبلغه أن الشريف أبا طالب لم يأكل من ذلك الطعام ولم يحضره لشغل عرض له فعمد السوداني الى أربع أو خمس دجاجات فذبحهن وطبخهن وقدمهن على كيلتين من العيش في زبدية كبيرة من الصيني وجاء بها اليه وقال له يا سيدي هذا عشاء عبدك اجبر خاطره جبر الله خاطرك فغسل الشريف يده وأكل من تلك الزبدية لقيمات ودعا له فلما استقل بالولاية وفد عليه السوداني بعد سنة فقال له الشريف الزبدية التي تعشينا فيها عندك فقال نعم فقال ائتني بها فملأها له ذهبا وله كثير من هذا القبيل ولاهل عصره فيه مدائح كثيرة ولما توفي أبوه أمر بالقبض على عبد الرحمن بن عتيق وكان وزيرا لابيه الشريف حسن وكان ظالما جبارا عنيدا صدرت منه مظالم كثيرة تتعلق بدماء الناس وأموالهم وكان غالبا على الشريف حسن متوليا عليه لا يسمع فيه شكية شاك حتى كان الناس يقولون ليس في دولة الشريف حسن ما يشينها الا ابن عتيق ويقال انه كان صانعا معمارا للشريف حسن فلما توفي وتولى ابنه الشريف أبو طالب قبض على ابن عتيق وحبسه وأراد أن يحقق مظالمه فيردها الى أهلها فايس ابن عتيق من الخلاص فقتل نفسه وذلك في جمادى الآخرة سنة ألف وعشرة وأرخ بعض الادباء ذلك بقوله

أشقى النفوس الباغيه * ابن عتيق الطاغيه * نار الجحيم استعوذت * منه وفاتت ماليه
لما أتى تاريخه * أجب لظى والهاويه

ولم يزل الشريف أبو طالب في أعلى درجات الحبور مالكا لازمة الامور والعلماء عاكفة على أبوابه والشعراء ناظمة محاسن صفاته في أحاسن ألقابه

### (وفاة الشريف أبي طالب سنة ١٠١٢)

الى ان توفي راجعا من بعض غزواته بمحل يقال له العش من نواحي بيشة في العشر من جمادى الآخرة

الله عبرا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما أعدوا من السلاح والكراع وما ضرك ما كنت أنت وولد
أبيك عليه من الضعف والقلة حين أراد الله بكم ما أراد وان قلت أجمع المال لطلب غاية هي أعلى مما أنت فيه فوالله ما فوق ما أنت
فيه منزلة تدرك الا بالعمل الصالح واعلم بانك لا تعاقب أحدا من رعيتك اذا عصاك بأعظم من القتل وان الله تعالى يعاقب من عصاه
بالعذاب الاليم وانه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فكيف يكون وقوفك غدا بين يديه وقد نزل ملك الدنيا من يدك ودعاك الى
الحساب هل يغني عنك ما كنت فيه شيأ * قال فبكى المنصور بكاء شديدا حتى ارتفع صوته ثم قال كيف احتيالي فيما خولت ولم أر
من الناس الا خائنا قال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام  الراشدين قال ومن هم قال العلماء العاملون قال فانهم
قد فروا مني قال نعم فروا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر لهم من طريقتك فاذا فتحت الابواب وسهلت الحجاب ونصرت المظلوم ومنعت الظالم وظهرت بالعدل ونشرت الفضل فاني ضامن لمن هرب منك أن يعود اليك * وجاء حينئذ المؤذنون وسلموا عليه وأذنوا للفجر وأقاموا فقام المنصور للصلاة وصلى بالناس واذا بالرجل قد غاب من بين أيديهم فلما فرغ المنصور من الصلاة سأل عنه فقالوا ذهب فقال ان لم تأتوني به عاقبتكم عقابا شديدا فذهبوا يلتمسونه فوجدوه في الطواف فتقدم اليه الحرس وقال انطلق معي والا هلكت وهلك من معي فقال كلا لا يقدر عليك وأخرج من جيبه رقعة وقال ضعها في جيبك فلا ينالك منه سوء فانه دعاء الفرج قال وما دعاء
الفرج قال دعاء لا يرزقه الا السعداء من دعا به صباحا ومساء هدمت ذنوبه واستجيب دعاؤه وبسط الله
تعالى رزقه عليه وأعطاه أمله وأعانه على عدوه وكتب عند الله تعالى صديقا فقال اقرأه علي لا آخذه عنك وأتلقاه منك * فقال قل
اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت
وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار
أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي
وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه منك فصرت أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وانك المحسن الي وأنا المسيء

سنة ألف واثنتي عشرة فغسل هناك وكفن وقصد به مكة ولم يأت معه من السادة الاشراف غير السيد ابراهيم بن بركات وصلي عليه يوم الاربعاء ضحى ثاني عشر جمادى الآخرة ودفن بالمعلى وبني عليه قبة فكانت ولايته سنتين وأربعة عشر يوما وعمره سبع وأربعون سنة وهو يزار ويحمي سادات بنو حسن من استجار بقبره ولا ينال من استجار به مكروه

﴿ولاية الشريف ادريس بن حسن﴾

فولي مكة بعده أخوه مولانا الشريف ادريس بن الحسن بن أبي نمي ومولده سنة تسعمائة وأربعة وسبعين وكانت ولايته باجماع من السادة الاشراف وأشركوا معه أخاه السيد فهيد بن حسن وبين ابن أخيه الشريف محسن بن الحسين بن الحسن وأرسلوا قاصدا الى الروم بما وقع عليه الاتفاق فقوبل بالاجلال والاكرام من مولانا السلطان أحمد وبعث اليه بخلعة الاستمرار وقرئ توقيعه بالحطيم حادي عشر صفر سنة ألف وثلاث عشرة قال في خلاصة الاثر في ترجمة الشريف ادريس وكان من أجل الناس من مراة الاشراف تهابه الملوك والاشراف شجاعا حسن الاخلاق وكان يكنى أبا عون وكان له من العبيد المولدين والرقيق الجلب ما يزيد على أربعمائة ومن المقاديم من العرب جماعة كثيرون واستمر أخوه الشريف فهيد وابن أخيه الشريف محسن مشاركين له في الربع في جميع أقطار الحجاز الداخلة تحت حكم صاحب مكة فكثرت أتباع فهيد من الاشراف وغيرهم بحيث صار موكبه يضاهي موكب الملك وكان اذا جلس وقفت الترك عن يمينه وشماله واتخذ رماة للبندق نحو مائتين أو أكثر ولم يحفظ أتباعه وعبيده من النهب والسرقة فكثر ضررهم على الناس وعجز عن مداراته الشريف ادريس ولما اشتد أمره أخذ بجانب اكمل الدين القطبي وأراد أن يصيره مفتيا فلم يرض الشريف ادريس ووقع بينهما تنافر بسبب ذلك فارسل الشريف ادريس لابن أخيه الشريف محسن وكان اذ ذاك باليمن وكان خروجه الى اليمن مغاضبا لعمه الشريف ادريس وكتب اليه أن يأتي بجميع من معه من الاشراف والقواد والعرب فحضر ومعه أمير علي محمد بن بركات الحرامي ونودي في البلد بأن البلاد لله وللسلطان وللشريف ادريس والشريف محسن وخلع الشريف فهيد من الذكر ومنع من الربع وجعل ما كان له للشريف محسن ولم يخطب له وكان يومئذ في بيته جموع وافرة فاستعد أصحابه للقتال وأشار اليه أعيانهم بالحرب فامتنع من ذلك وطلب من الشريف ادريس مقدار شهر مهلة ليتأهب للخروج من مكة الى حيث أراد فاعطاه ثم خرج من مكة سنة تسع عشرة وألف بعد أن طلب من أخيه الشريف ادريس أن يمكنه من سكنى مكة بغير ربع فامتنع فانضم الى بعض أكابر الحج المصري وسافر الى مصر ثم توجه الى الديار الرومية واجتمع

بالسلطان

الى نفسي فما بيني وبينك تتودد الي بالنعم وأتبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك فعد بفضلك واحسانك
الي انك أنت التواب الرحيم قال فقرأته وأخذت الورقة في جيبي واذا بالرسل تسعى الي تستعجلني فأتيته واذا هو جمر يتلظى فلما وقع
نظره علي سكن غضبه وغيظه وتبسم وقال لي ويلك أتحسن السحر فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمري ثم قال
هات الورقة فأخذها وصار يبكي الى ان بل لحيته وأمر لي بعشرة دنانير ثم قال أتعرف الرجل فقلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام
• قلت وأنا أروي هذه الحكاية عن والدي الشيخ علاء الدين أحمد القادري الخرقاني النهرواني الحنفي نزيل مكة المشرفة رحمه الله
تعالى قال أنبأني بهذه الحكاية العز بن عبد العزيز بن النجم عمر بن  فهد عن القاضي زين الدين أبي بكر بن
الحسين العثماني المراغي عن الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزي • قال أنبأنا الامام أبو الحسن علي بن أحمد بن البخاري عن الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي قال له أنبأنا محمد ابن ناصر أنبأنا المبارك بن عبد الجبار أنبأنا محمد بن علي بن الفتح حدثنا أبو نصر محمد بن محمد النيسابوري عن ابراهيم ابن أحمد الخشاب حدثنا أبو علي الحسن بن عبد الله الرازي حدثنا المثنى حدثنا سلمة القرشي قاضي اليمن قال سمعت أبا المهاجر المكي يقول قدم المنصور مكة وكان يخرج من دار الندوة الى الطواف آخر الليل وساق الحكاية بطولها قال النجم عمر بن فهد رحمه الله • وفي سنة ثمان وخمسين ومائة عزم على الحج أبو جعفر المنصور وكان يريد قتل سفيان
 الثوري فلما وصل الى بئر ميمون بعث الى الخشابين فقال لهم ان رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه فجاؤا ونصبوا
له الخشب وكان جالسا بفناء الكعبة ورأسه في حجر فضيل بن عياض ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة فقيل له يا أبا عبد الله قم
واختف ولا تشمت بنا الاعداء فتقدم الى أستار الكعبة وأخذها ثم قال برئت منه ان دخلها أبو جعفر وعاد الى مكانه فركب أبو
جعفر وعاد الى مكانه فركب أبو جعفر المنصور من بئر ميمون فلما كان بين الحجون سقط عن فرسه فاندقت عنقه فمات لوقته في سابع
الحجة وقت السحر فحفروا لهم مائة قبر ودفنوه في أحدها ليعموا قبره على الناس وبر الله قسم عبده سفيان فانظر الى عباد الله المخلصين
وادلالهم على جناب قدس رب العالمين وكيف حال أهل الدنيا المغرورين وكيف تضمحل عظمتهم في عظمة سلطان السلاطين

بالسلطان أحمد فيقال انه أنعم عليه بامارة مكة فعاجلته المنية ومات هنالك في سنة عشرين بعد الالف
وقيل في تاريخ موته • مات بالروم فهيد بن الحسن واستمر الشريف محسن مشاركا لعمه الشريف
ادريس على صدق الكلمة والنصح والمساعدة في الاحوال المهمة ونافره بنو أخيه عبد المطلب
ابن حسن لامر فقام الشريف محسن في موافقتهم له فتم ذلك ودخلوا في الطاعة وطابت نفوسهم

•(دخول الشريف ادريس وابن أخيه الشريف محسن أقصى الشرق)•

وتوغل الشريف ادريس والشريف محسن في الشرق ووصلا الى قرب الاحساء واجتمعوا هنالك
بذوي عبد المطلب حين كانوا مغاضبيه واصطلحوا ثم وصلوا الى الاحساء وضربت خيامهم قبالة
الباب القبلي من سور الاحساء وأكرمهما صاحبها علي باشا وأمرهما بالدخول والاقامة عنده
فامتنعا وأقاما نحو ثمانية أيام ورجعا ولم يتفق لاحد من أشراف مكة المتولين من القتاديين دخول
الاحساء كما اتفق لهذين الشريفين ثم وقع بين الشريفين ادريس ومحسن تنافر بسبب خدام
الشريف ادريس وتجاوزهم في التعدي وعمت البلوى بما يصدر عنهم من الامور المشتملة على
التلبيس خصوصا من وزيره أحمد بن يونس وكان الشريف ادريس متغافلا عما يصنعونه ولم يلق
سمعه الى ما ينهى اليه من فعلهم ولا ينصف أحدا من شكاياتهم وراجعه الشريف محسن في شأنهم
مرارا ورد القول عليه فكانت الشكوى الى غير منصف فرأى الشريف محسن وخامة عواقب
الحال فعند ذلك اجتمع أهل الحل والعقد من بني عمه السادة الاشراف والعلماء والفقهاء والاعيان
ورفعوا الشريف ادريس عن ولاية الحجاز

•(استقلال الشريف محسن بولاية الحجاز)•

وفوضوا الامر الى الشريف محسن وكان ذلك في سنة أربع وثلاثين وألف ولما أشيع بمكة ان
السادة الاشراف نيتهم اقامة الشريف محسن مستقلا بالامر حصل اضطراب عظيم في البلد وحركة
عظيمة وقسمت آلات الحرب من الجانبين وكان ذلك يوم الاربعاء ثالث المحرم سنة أربع وثلاثين
وألف فلما كان يوم الخميس ألبس كل منهما آلة الحرب لمن معه من العساكر والجنود ووقف كل
منهما عند باب داره فبرز من جماعة الشريف محسن شرذمة من جانب مقعد السيد بشير بنية عقد
النداء في البلد للشريف محسن استقلالا فقبل وصولهم المقعد رمتهم الجبالية المحمولون في مدرسة
السيد العيدروس بالبندق فقتل من الجماعة المذكورين بالبندق السيد سليمان بن عجلان بن
ثقبة والقائد مرجان بن زين العابدين وزير الشريف محسن فرجع الباقون وفي ضحى هذا اليوم
ركب الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن ومعه خيل والمنادي ينادي بالبلاد للشريف محسن

وما أحقر سلطان البشر المخلوق من ماء مهين وما أسرع زوال ملكه وصيرورته عبرة للمعتبرين ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار ويعلم ان الملك لله الواحد القهار لا شريك له في الملك ولا ولي له من الذل على الدوام والاستمرار والمنصور هو الذي بنى مدينة بغداد ومولده سنة خمس وتسعين ومدة ملكه اثنتان وعشرون سنة وثلاثة أشهر وعاش أربعا وستين سنة وكان رأى مناما يدل على قرب أجله فعهد الى ولده محمد وسار الى الحج وتوفي كما ذكرنا *(وولي بعده الملك والخلافة ولده أبو عبد الله محمد ولقبه المهدي)* ثالث من ولي من العباسيين وقام بالبيعة له بمكة لما مات أبوه أبو الربيع بن يونس الحاجب وأسرع بارسال الخبر اليه فوصل اليه الخبر في بغداد فكتم الامر ثم جمع الناس فخطبهم فحمد الله  وأثنى عليه ثم قال ان المنصور أمير المؤمنين عبد دعي فأجاب وأمر فاطاع ثم ذرفت عيناه ثم قال بلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراق الاحبة وقد فارقت عظيما وقلدت جسيما فعند الله أحتسب أمير المؤمنين وبه أستعين على تقلد أمور المسلمين ونزل فبايعه الناس وأول من جمع بين تعزيته وتهنئته أبو دلامة الشاعر حيث قال

عيناي واحدة ترى مسرورة
بأميرها جذلى وأخرى تذرف

تبكي وتضحك تارة ويسوءها
ما أنكرت ويسرها ما تعرف

فيسوءها موت الخليفة محرما
ويسرها ان قام هذا الخلف

ما ان رأيت كما رأيت ولا أرى
شعرا أسرحه وآخر أنتف

هذا حباه الله فضل خلافة
ولذاك جنات النعيم تزخرف

وكان المهدي لما شب ولاه أبوه طبرستان والري وما يليها فتأدب وتميز وجالس من العلماء وكان كريما مليح الشكل شجاعا محبا للعلماء وكان يقول ادخلوا على العلماء والقضاة وأحضروهم عندي فلو لم يكن من حضورهم الا رد المظالم حياء منهم لكان خيرا وقدم عليه مروان بن أبي حفصة الشاعر فانشده قصيدة فلما وصل الى قوله

اليك قصرنا النصف من صلواتنا * مسيرة شهر بعد شهر نواصله وما نحن نخشى أن يخيب مسيرنا * اليك ولكن أهنأ البر عاجله

فضحك المهدي وقال كم بيتا قصيدتك قال سبعون بيتا فامر له بسبعين ألف درهم قبل أن يتم انشادها وله شعر رقيق لطيف أحسن من شعر أبيه وأولاده بكثير ومنه ما ذكره الصولي وهو

ما يكف الناس عنا * ما يريد الناس منا
انما همتهم أن * ينبشوا ما قد دفنا

---

ولم يزل هذا الاضطراب في البلد ذلك اليوم جميعه ومن ألطاف الله تعالى ان الجماعة بالمسجد الحرام قائمة ذلك اليوم والاسواق فاتحة وفيها الاقوات ولم يحصل تغير أبدا فلما كانت ليلة الجمعة خامس المحرم وقع الصلح بينهما على أن يستقل الشريف محسن بالامر ويكون الكف عن المحاربة ستة أشهر منها ثلاثة يكون الشريف ادريس فيها في البلد وثلاثة في البر فاتفق الحال ودعا الخطيب للشريف محسن يوم الجمعة بمفرده ثم خرج ادريس من مكة ليلة المولد وقال في خلاصة الاثر ونقل الثقات انه لما ضويق عليه وأجلبت عليه الاشراف ومن معهم بحيث انه أصيبت جويرية بين يديه بالبندق فسقطت ميتة بين يديه فارتاع لذلك وحزن ووضع منديلا لطيفا على وجهه وبكى لفقد الناصرين فدخلت عليه في تلك الحالة أخته الشريفة زينب بنت الحسن فقالت له على م ذا الحزن والعناء دعها الابن أخيك فقد وليتها مدة طويلة فحينئذ أرسل الى الشريف محسن والاشراف وطلب منهم مهلة شهرين في البلد وأربعة أشهر خارجها ليتأهب للسفر الى حيث شاء فاعطاه الشريف محسن ذلك وشرط عليه أن لا يحدث شيأ من المخالفات فاستمر شهر محرم وصفر فمرض فيه حتى خيف عليه

*(وفاة الشريف ادريس سنة ١٠٣٤)*

وفي ليلة المولد خرج من مكة فطاف للوداع الا في محفة وخرج وقد أضعفه المرض فتوفي سابع عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة عند جبل شمر ودفن بمحل يسمى ياطب ومن الاتفاق العجيب ان ياطب حسابه بالجمل اثنتان وعشرون سنة وهي مدة ولايته مجبورة فان ولايته احدى وعشرون سنة ونصف وعمره ستون سنة ووصل خبر وفاته الى مكة في مستهل رجب وصلى عليه صلاة الغائب بالمسجد الحرام رحمه الله تعالى واستمر الشريف محسن على امارة مكة وعرض الى الابواب السلطانية بما وقع فجاء الجواب بالتأييد وقرئت المراسيم رابع عشر رمضان سنة ألف وأربعة وثلاثين وكان القارئ لمرسومه العلامة الشيخ عبد الرحمن المرشدي وكانت ولادة مولانا الشريف محسن سنة تسعمائة وأربع وثمانين ونشأ في كلاءة عمه أبي طالب لان أباه الشريف حسينا توفي في حياة أبيه الشريف الحسن بن أبي نمي كما تقدم وكان الشريف محسن كثير الفضائل قال العلامة العصامي في تاريخه قام بالامر الشريف محسن وأحسن كما أحسن الله اليه ونهض من احكام الاحكام ما وجب عليه فصفت من الامن مناهله ووضحت من طريق الجهل مجاهله وقد ألف العلامة أحمد بن الفضل باكثير تأليفا في مناقبه ومحاسنه سماه وسيلة المآل بذكر فضائل الآل ومدحه الشعراء بقصائد وأرخوا عام ولايته فمن ذلك قول الامام علي بن عبد القادر الطبري

عام ولاية المليك محسن * ابن الحسين بن الشريف الحسن

لوسكا باطن الار * ض لكانوا حيث كانا   ان أرادوا كشف أمري * قد سترناه كشفنا   ومن نظمه هذا البيت من عدة أبيات نظمها في جارية كان يحبها حبا شديدا   أما يكفيك انك تملكيني * وأن الناس كلهم عبيدي   وكان المهدي يحب الحمام فدخل عليه غياث وكان يروي الحديث فقال يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا لا سبق الا في حافر أو نصل وزاد فيه أو جناح ففهم المهدي انه وضع له هذه الزيادة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه بالرد تأدبا وأمر له بعشرة آلاف درهم فلما قام قال المهدي أشهد ان قفاك قفا كذاب ثم أمر بذبح ما عنده من الحمام فذبحت وكان نقش خاتمه  الله ثقة محمد وبه يؤمن  وحكى الربيع قال عرض على المنصور يوما خزائن



مروان بن محمد وكان من جملتها اثنا عشر ألف عدل

من رام أن يضبطه فقد أتى * تاريخه خير ملوك الزمن

وللامام زين العابدين بن عبد القادر الطبري أبيات في آخرها التاريخ وهو هذا

فلهذا قد جاء تاريخه المفتشرون باليمن المؤرخ عامه
ولي الملك محسن بن حسين * أنجز الله نصره وأدامه

ومن الوقائع الغريبة في مدة ولايته انه خرج في خمس وثلاثين بعد الالف غازيا الى جهة الشرق فاتفق انه في هذه السنة كانت خطبة العيد للامام زين العابدين ابن الامام عبد القادر الطبري فتأهب والده لها بجميع ما يحتاجه من السماط والحلوى على القاعدة المعروفة

* (نقل خطبة العيد من الائمة الشافعية الى الائمة الاحناف وما وقع فيها من الغرائب) *

فلما كان يوم الاربعاء سلخ رمضان المعظم أرسل الوزير حيدر باشا الوارد من اليمن ذلك العام الى الوزير مصطفى السيوري ان لا يباشر العيد الا خطيب حنفي فتوجه الامام عبد القادر الطبري الى الوزير مصطفى السيوري وراجعه في ذلك فقال الوزير راجع الباشا فرجع الامام عبد القادر الى منزله وأتى بعد المغرب الى دار ولده وقد تأهب وأحضر كل ما يحتاج اليه فجاءه الخبر بالمنع فشهق شهقة الامام عبد القادر كانت موتا وظنت صعقة فلما تحقق موته نقل الى بيته وباشر الخطبة الشيخ محمد بن موسى القليوبي المكي ونزلوا بجنازة الامام عبد القادر والخطيب على المنبر فياله من فرح انقلب الى مأتم وسرور تبدل الى حزن ومأتم وتقطع قلوب عيال أتتهن المصائب غافلات  فدموع الحزن في دم الدلال سافكات   ولم يزل مولانا الشريف محسن منفردا بامراده  قامعا الاضداده  آمنا في سربه عزيزا في حزبه الى ان دخلت سنة سبع وثلاثين وألف فورد من السلطنة العلية أحمد باشا متوليا على اليمن فلما دخل مركبه جدة ومعه نحو الفين من العسكر غرق بالقرب من جدة ونجا هو ونحو ثلثمائة من عسكره وكان دخوله الى جدة في صفر من السنة المذكورة فطلب الباشا المذكور من خدام مولانا الشريف محسن الذين في جدة غواصين لطلب أسبابه فعينوا له أقواما غاصوا نحو خمسة عشر يوما ولم يخرجوا شيأ من أسبابه فتخيل انهم مأمورون بذلك من مولانا الشريف محسن مع انه بعث الى مولانا الشريف بهدية سنية  وأرسل له مولانا الشريف الشيخ عبد الرحمن المرشدي مفتي السلطنة بمكة بمكاتيب منه وأوصى عليه خدمه فلما استحكم ذلك الخيال من الباشا أنفت نفسه وشنق حاكم مولانا الشريف بجدة وهو القائد راجح ونزل الى جدة الشريف أحمد بن عبد المطلب بن الحسن بن أبي نمى قال في خلاصة الاثر انه كان بين الشريف مسعود بن ادريس بن حسن وبين الشريف أحمد بن عبد المطلب ممالأة ومواطأة قبل نزوله لبندر جدة مضمونها ان الشريف أحمد قال للشريف مسعود اني

ثياب خز فأخرج منها ثوبا واحدا ودعا الخياط وقال فصل من هذا جبة لي وجبة لولدي محمد المهدي فقال لا يجيء منه جبتان فقال فصل جبة وقلنسوة وبخل ان يخرج ثوبا آخر منها فلما أفضت الخلافة الى ولده محمد المهدي أمر بتلك الثياب كلها بعينها ففرقها كلها في عبيده وخدمه في ساعة واحدة وكان جوادا شجاعا كثير اللهو والصيد الا انه يكره الزنادقة وقتل منهم خلقا كثيرا وأوصى ابنه الهادي بقتلهم حيث وجدهم وقال النجم عمر بن فهد في حوادث سنة ستين ومائة وفيها حج أمير المؤمنين المهدي العباسي وحمل له الأمير محمد بن سليمان الثلج حتى وافى به مكة وهذا شيء لم يتم لأحد قبله ونزل المهدي دار الندوة وجاءه عبيد الله بن عثمان بن ابراهيم الحجبي في ساعة غالبة نصف النهار فأدخل عليه فقال له ان معي شيأ لم يحمل لأحد قبلك فكشف له من الحجر الذي فيه صورة قدمي ابراهيم خليل الله عليه السلام وهو الذي يزار الآن بمقام ابراهيم عليه السلام فسر المهدي بذلك وقبله وتمسح به وصب فيه ماء وشربه وأرسل له الى أهله وأولاده فتمسحوا به وشربوا منه ثم احتمله وأعاده الى مقام ابراهيم وأعطاه المهدي جوائز كثيرة وأقطعه خيفا بوادي نخلة يقال له ذات الفريع فباعه بعد ذلك بسبعة آلاف دينار * وذكر حجبة الكعبة للمهدي انه تراكمت على الكعبة كسوة كثيرة أثقلتها ويخاف على جدرانها من ثقلها فأمر بنزعها فانتزعت حتى بقيت مجردة ووجدوا كسوة هشام من الديباج الثخين وكسوة من قبله عامها من ثياب اليمن فجردت الكعبة منها وطلي جدرانها من داخلها وخارجها بالغالية والمسك والعنبر وصعد الخدام على سطح

الكعبة وصاروا يسكبون قوارير الغالية الممسكة المطيبة على جدران الكعبة الى أن استوه بنو هاشم كسيت ثلاث كساوى من
القباطي والخز والديباج وقسم المهدي في الحرمين الشريفين أموالا عظيمة وهي ثلاثون ألف ألف درهم ووصل بها معه من العراق
وثلثمائة ألف دينار ووصلت اليه من مصر ومائتا ألف دينار ووصلت اليه من اليمن ومائة ألف ثوب وخمسون ألف ثوب ففرق جميع
ذلك على أهل الحرمين واستدعى قاضي مكة يومئذ وهو محمد الاوقص بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي وأمره أن يشتري دورا في أعلى
المسجد ويهدمها ويدخلها في المسجد الحرام وأعد لذلك أموالا عظيمة فاشترى القاضي جميع ما كان بين المسجد الحرام والمسعى
من الدور فما كانت من الصدقات والاوقاف  اشترى للمستحقين بدلها دورا في فجاج مكة واشترى كل ذراع بكسر
في مثله مما دخل في المسجد بخمسة عشر دينارا فكان مما دخل في ذلك الهدم دار الازرقي وهي يومئذ لاصقة بالمسجد الحرام من أعلاه على يمين الخارج من باب بني شيبة وكان ثمن ناحية منها ثمانية عشر ألف دينار وكان أكثرها داخلا في المسجد الحرام في زيادة عبد الله بن الزبير ودخلت أيضا دار خيرة بنت سباع الخزاعية وكان ثمنها ثمانية وأربعين ألف دينار دفعت اليها وكانت شارعة على المسعى يومئذ قبل ان يؤخر المسعى ودخلت أيضا دار لآل جبير بن مطعم ودار شيبة بن عثمان اشترى جميع ذلك وهدم وأدخل في المسجد وجعل دار القوارير رحبة بين المسجد الحرام والمسعى حتى استقطعها جعفر البرمكي من الرشيد لما آلت الخلافة اليه فبناها دارا ثم صارت الى حماد البربري فعمرها
وزين باطنها بالقوارير وظاهرها بالرخام والفسيفساء قلت وتداولت الايدي عليها بعد ذلك الى أن
صارت رباطين متلاصقين أحدهما كان يعرف برباط المراغي والثاني كان يعرف برباط السدرة فاستبدلهما السلطان قايتباي
وبناهما مدرسة ورباطا في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ووقف عليها مسقفات بمكة وأوقافا بمصر وهو باق الى الآن صدقة جارية
على سكانه غير انه شرع في أوقافه الخراب لاستيلاء الايدي الجارية عليها عمر الله من عمرها وأحسن الى من أحسن نظرها وهذه
الزيادة الاولى للمهدي في أعلى المسجد وكذلك في أسفل الى أن انتهى به الى باب بني سهم ويقال له الآن باب العمرة والى باب
الخياطين ويقال له الآن باب الخياطين وكذلك زاده من الباب الشامي الى منتهاه الآن وكذلك زاد في الجانب اليماني أيضا الى قبة

لا أريد الملك لنفسي انما أريده لك وهو بيننا فخذ لك من استطعت من آل أبي نمي وثبطهم وحل
عزائمهم فوعده الشريف مسعود بذلك وفعل فلما نزل الشريف أحمد الى جدة تداخل مع أحمد باشا
المذكور فولاه شرافة مكة ونادى له في جدة وأبان عزل مولانا الشريف محسن ثم قدر الله ان
الباشا مات في تلك الايام وعد الناس ذلك من كرامات صاحب مكة فكتب كتخدا الباشا لمولانا
الشريف محسن بوفاة الباشا وطلب منه عشرة آلاف قرش ليتوجه بها الى اليمن قال والبلاد بلادكم
فبلغ فعل الكتخدا الشريف أحمد بن عبد المطلب فاستمال العسكر فقتلوا له الكتخدا ومن بقي من
جماعة الشريف محسن وصادر التجار وأهل البلد فأخذ منهم جملة من الاموال وتأهب لحرب
الشريف محسن فلما بلغ ذلك مولانا الشريف محسنا خرج لهم الى الحدبة موضع مقابل الجدة فخرج
اليه بعض الاتراك وأخذوا قطيع غنم لعرب فقاتلهم بعض الاشراف فقتل السيد ظفر بن مسرور
ابن أبي نمي والسيد أبو القاسم بن جازان وغيرهما ومن الاتراك نحو الخمسين ثم انحاز كل الى فئته وأتى
الخبر لمولانا الشريف محسن ان السيد مسعود بن ادريس دخل مكة واستمال الاشراف بني حسن
بكتاب جاءه من الشريف أحمد بن عبد المطلب أطمعه فيه بمناصفة مكة ان هو استمال الاشراف
اليه فكر الشريف محسن راجعا الى مكة وترك على جماعته هنالك السيد قايتباي بن سعيد بن
بركات فخرج خلفه الشريف أحمد ومعه العسكر الذين وردوا مع الباشا السابق ذكره وسار من جدة
الى مكة في سبعة عشر يوما ولما وصل التنعيم لاربع عشرة ليلة بقيت من رمضان خرج الشريف
محسن للقائه بجيش جرار الا ان غالب من معه كان مباطنا للشريف أحمد بواسطة السيد مسعود بن
ادريس فلما التقى الفريقان وتبين للشريف محسن انحلال عقد من معه كف عن القتال بعد ان
أطلق جماعة الشريف أحمد مدفعين وتوجه الشريف محسن ومعه بعض جماعته الى اليمن

(وفاة الشريف محسن بأرض اليمن سنة ١٠٣٨)

واستمر هنالك الى ان توفي في سنة ألف وثمان وثلاثين وعمره أربع وخمسون سنة ودفن بصنعاء وبني
عليه قبة هنالك تزار

(دخول الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن مكة ومعاقبته لبعض أعيانها سنة ١٠٣٧)

ودخل مكة الشريف أحمد بن عبد المطلب ضحى يوم الاحد سابع عشر رمضان سنة سبع وثلاثين
وألف وفر من مكة من كان فيها من جماعة الشريف محسن واختفى من اختفى وممن اختفى من
الاعيان الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي الحنفي مفتي السلطنة العلية فلما بلغه اختفاؤه حث
في طلبه ونادى عليه ببراءة الذمة ممن وجد لديه فاظهره من أضمره فذهب داره وقبض عليه وحبسه

واخاه

وأخاه القاضى أحمد بن عيسى المرشدى

✳ (سبب قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدى) ✳

ثم قتل الشيخ عبد الرحمن فى السجن كما سيأتى قال الرضى فى تاريخه اختلفت الاقوال فى سبب قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدى فقيل تعريضه بالشريف أحمد بن عبد المطلب فى خطبة عقد النكاح التى خطب بها فى زواج سلطانة بنت على شهاب وكان الشريف أحمد طلب التزوج بها فلم يزوج فعرض الشيخ بذلك حيث قال فى ابتداء الخطبة الحمد لله الذى أعز سلطانه وأدحض شيطانه وقيل انه جاء الى الشريف المذكور عند موت أخيه السيد محمد بن عبد المطلب معزيا لابسا صوفا أبيض أى وكانت عادتهم لبس السواد فى مثل ذلك اليوم وقيل ان الشريف أحمد حين استولى على مكة وطلع الى دار السعادة على فرش الشريف محسن وجد تحت طرف المرتبة فتيا من الشيخ المذكور بتسميتهم بغاة جائرين ظالمين وبوجوب قتالهم بخطه المعروف واسمه الموصوف وكان الشريف أحمد بعد ان حبس الشيخ عبد الرحمن المرشدى يخرجه فى كل شهر لحضور ديوانه وهو فى اصفاده واحزانه فاقبل مرة فلما قرب من حضرة الشريف أحمد بن عبد المطلب أنشد

لا تضع للعزيز قدرا وان كنـ ـت مشارا اليه بالتعظيم

فالعزيز الكريم ينقص قدرا ✳ بالتعدى على العزيز الكريم

فالتفت الشريف الى الحاضرين وقال انظروا الى جراءته فى ثلبى وقوة جنانه حربى فجعل عين ذلك المجلس وهو الامام زين العابدين بن عبد القادر الطبرى يعتذر ويحسن التعليل عما قدر فقصره الشريف عن التطويل وقال هيهات انما قصد من القطعة ما قيل ولع الخمر بالعقول رمى الخمر بتنجيسها وبالتحريم ✳ ثم قال والله انى لاعلم انه افضلكم على الاطلاق وقد عن لى العفو عنه الا انه جاء نكرا اذ جعل نفسه عقلا وجعلنى خمرا وأمر باعادته الى حبسه الى ان نقله الى رمسه فانه لم يزل فى الحبس الى الموسم فورد الحج المصرى وأميره قانصوه باشا ومعه الخلع الواردة لصاحب مكة فخرج للقائه الشريف أحمد فالبسه الخلعة على جرى العادة وحج بالناس ولم يحج أحد من أهل مكة فى هذا العام الا القليل ولما كانت ليلة الحادى عشر من ذى الحجة جاء مولانا الشريف من أوحى اليه ان الامراء عزموا على اطلاق الشيخ عبد الرحمن المرشدى وتخليصه من يد مولانا الشريف فبعث من ليلته الى الحبس

✳ (قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدى فى السجن) ✳

وأمر بقتل الشيخ وأخيه فشفع حاكم عتيق بن عمر فى القاضى أحمد أخى الشيخ عبد الرحمن لصحبة

الشراب وتسمى الآن قبة العباس والى حاصل الزيت وكان بين جدار الكعبة اليمانى وجدار المسجد الحرام الذى يلى الصفا تسعة وأربعون ذراعا ونصف ذراع وكان ماوراء مسيل الوادى فهذه كلها الزيادة الاولى للمهدى وأمر بالاساطين فنقلت من مصر ومن الشام وحملت بحرا الى قرب جدة فى موضع كان فى أيام الجاهلية ساحلا لمكة يقال لها الشعيبة فجمعت هناك لان مرساه قريب بخلاف بندر جدة لان مرساه التى تقف فيه السفينة بعيدة من البر وصارت أساطين الرخام تحمل منها على العجل وتحاكى العربان ان بها الآن بقايا أساطين رخام دفنها الريح بالرمل والله أعلم بحقيقة ذلك ✳ وعمل الاساس لتلك الاساطين بحيث حفر لها فى الارض جدارات على شكل الصليب أقاموا كل اسطوانة على موضع القاطع  كشف منه السيل العظيم الواقع فى سنة ثلاثين وتسعمائة فشاهدنا أساس الاساطين على هذا الوجه واستمر عليهم الى سنة أربع وستين ومائة فحج المهدى فى ذلك العام وشاهد الكعبة المعظمة ليست فى وسط المسجد بل فى جانب من وراء المسجد قد اتسع من اعلاه وأسفله ومن جانبه الشامى وضاق من الجانب اليمانى الذى يلى مسيل الوادى وكان فى محل السيل الآن بيوت الناس وكانوا يسلكون من المسجد فى بطن الوادى ثم يسلكون زقاقا ضيقا ثم يصعدون الى الصفا وكان المسعى فى موضع المسجد الحرام اليوم وكان بابه دار محمد بن عباد بن جعفر العبادى عند حد ركن المسجد اليوم عند موضع المنارة الشارعة فى نحر الوادى يمرون بها فى بطن المسجد الحرام اليوم فهدموا أكثر دار محمد بن عباد بن جعفر العبادى وجعلوا المسعى والوادى فيها وكان عرض الوادى من الميل الاخضر اللاصق للمأذنة التى فى الركن الشرقى وكان هذا الوادى مستطيلا الى أسفل المسجد الآن يجرى فيه السيل ملاصقا لجدر المسجد اذ ذاك وهو الآن بطن المسجد من الجانب اليمانى ✳ فلما رأى المهدى تربيع المسجد الحرام ليس على الاستواء ورأى الكعبة الشريفة فى الجانب اليمانى من المسجد أراد لتكون الكعبة فى وسط المسجد فقال له لا يمكن ذلك الا بأن تهدم البيوت التى على حافة المسيل فى مقابلة الجدار اليمانى من المسجد وينقل المسيل الى تلك البيوت ويدخل المسيل فى المسجد كما قدمنا ومع ذلك فان وادى ابراهيم له سيول عارمة وهو واد حدور يخاف ان حولناه عن مكانه ان لا يثبت أساس البناء فيه على ما نريد من الاستحكام فتذهب به السيول وتعلو السيول فيه

فتنصب في المسجد و يلزم هدم دور كثيرة و تكثر المؤنة و تكبر ولعل ذلك لا يتم فقال المهدي لابد ان أزيد هذه الزيادة ولو أنفقت جميع بيوت الاموال وصمم على ذلك وعظمت نيته واشتدت رغبته وصار يلهج به فهندس المهندسون ذلك بحضوره وربطوا الرماح ونصبوها على أسطحة الدور من أول الوادي الى آخره وربعوا الوادي من فوق الاسطحة وطلع المهدي الى جبل أبي قبيس وشاهد تربيع المسجد ورأى الكعبة في وسط المسجد ورأى ماهدم من البيوت ويجعل مسيلا محلا للسعي وشخصوا له ذلك بالرماح المربوطة من الاسطحة ووزنوا له ذلك مرة بعد أخرى حتى رضي به * ثم توجه الى العراق وخلف الاموال الكثيرة لشراء هذه البيوت والصرف على هذه العمارة العظمى وهذه هي الزيادة الثانية للمهدي في المسجد الحرام هذا ملخص ماذكره الازرقي والفاكهي والحافظ نجم الدين عمر بن فهد في تواريخهم رحمهم الله تعالى ﴿وههنا اشكال﴾ ما رأيت من تعرض له وهو ان السعي بين الصفا والمروة من الامور التعبدية التي أوجبها الله تعالى علينا في ذلك المحل المخصوص ولا يجوز لنا العدول عنه ولا تعتبر هذه العبادة الا في ذلك المكان المخصوص الذي سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وعلى ماذكره هؤلاء الثقات أدخل ذلك المسعى في الحرم الشريف وحول المسعى الى دار ابن عباد كما تقدم * وأما المكان الذي يسعى فيه الآن فلا يتحقق انه بعض من المسعى الذي سعى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره فكيف يصح السعي فيه وقد حول عن محله كما ذكر هؤلاء الثقات ولعل الجواب عن ذلك ان المسعى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عريضا وبنيت تلك الدور بعد ذلك في عرض المسعى القديم فهدمها المهدي وأدخل بعضها في المسجد الحرام وترك بعضها للسعي فيه ولم يحول تحويلا كليا والا لانكره علماء الدين من الائمة المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين مع توفرهم اذ ذاك فكان الامامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما والامام مالك بن أنس رضي الله عنه موجودين يومئذ وقد أقروا ذلك وسكتوا وكذلك من صار بعد ذلك الوقت في مرتبة الاجتهاد كالامام الشافعي وأحمد بن حنبل وبقية المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين فكان اجماعا منهم رضي الله عنهم على صحة السعي من غير نكير نقل عنهم * وبقي الاشكال في جواز ادخال شئ من المسعى في المسجد وكيف يصير ذلك مسجدا وكيف

كانت بينهما فشفعه فيه ونزل المأمورون بقتل الشيخ عبد الرحمن فقتلوه صبرا في تلك الليلة ودفن بالشبيكة وقتل معه تلك الليلة حيدر الشامي أحد تجار مكة بدلا عن القاضي أحمد بن عيسى المرشدي لكونه أمر بقتل الاثنين فلما كانت صبيحة يوم الصرجاء الامر الى مولانا الشريف وذكروا له أمر الشيخ وشفعوا فيه فقال قد تفرطنا فيه وهلا ذكرتم لنا قبل هذا وكان عمر الشيخ المرشدي حين قتل احدى وستين سنة وأصاب الناس عليه أعظم حسرة وقتل الشريف أحمد هذه القتلة بعينها كما سيأتي وفي الاثر كما تدين تدان وهذا حال الدهر مع كل قاص ودان وكان أحمد الشريف بن عبد المطلب ذا أدب وفضل نبيها نجيبا جيد الذكاء حسن الصورة عظيم الهيبة أخذ طريق الصوفية عن العارف بالله أحمد الشناوي وهو الذي بشره بولاية مكة لكنه قال له على الشهادة يا أحمد فقال على الشهادة وكان كثيرا ما يكنى عنها بطلوع الشمس ولما دخل مكة واستولى عليها صادر كثيرا من الناس وأخذ أموالهم ولم يرحم أحدا وعاقب كثيرا ممن كان قبل استبعدها عنه وبعد منه وكان له اخوان وجلساء قبل الولاية فجعل لهم الاذية واستمر متغلبا على مكة فحبس من حبس وقتل من قتل فنفرت الناس وجلت عن مكة وخالفت القبائل وتقطعت الطرق وأكثر العسكر الفساد في شرف البلاد وسكنوا بيوت الاشراف وانتهكوا حرمتهم وكان ممن فر منه واختفى الشيخ جمال الدين محمد باقشير فتوجه مع الحج المصري الى مصر مختفيا وفي ليلة خروجه مختفيا صادف في خروجه في طريقه الشريف أحمد عائدا من العمرة فكتب بطاقة وأمر بعض العامة أن يعطيها الشريف أحمد فاوصلها له فقرأها في ضوء الشمع وكان يسير به ليلا بدلا عن المشاعل فاذا فيها

تستحل الدماء وتحرم بالعشرة دعها وعن دما الناس أمسك

ما رأينا والله أعجب حالا * منك واها لفاتك متنسك

فسأل عن صاحب الرقعة فلم يعرف وبقي الشيخ جمال الدين باقشير بمصر الى ان قتل الشريف أحمد فرجع الى مكة واستمر الشريف أحمد على ولاية مكة ولم يف للشريف مسعود بن ادريس بتلك العهود بل أراد قتله ففر الى قانصوه باشا والتجأ اليه فوجد قانصوه مملوأ على الشريف أحمد فلما أقبل قانصوه قاصدا اليمن لاقاه الشريف مسعود من ينبع أو الحوراء وجاء معه مختفيا وكان قانصوه مأمورا ان ينظر في أمر مكة ويولي فيها من يختار ولما ان قضت الحجاج مناسكهم وذهبوا الى بلادهم تخلف قانصوه بثقله أسفل مكة فلما تحرك للسفر قدم ثقله ولم يبق الا خيمه وخيام العسكر فاشار قانصوه الى شخص يتعاطى خدمته من أبناء الطواف يسمى محمد المياس ان يحسن للشريف أحمد الوصول الى قانصوه للوداع ففعل وذهب الى الشريف أحمد وحسن له ذلك يوم السبت رابع عشر صفر

حال الاعتكاف فيه وحله بأن يجعل حكم المسعى حكم الطريق فيصير مسجدا او يصح الاعتكاف فيه حيث لم يضر بمن يسعى فاعلم ذلك وهذا مما انفردت ببيانه ولله الحمد على التوفيق لتبيانه ﴿فصل﴾ ومما يلائم ما نحن فيه ما نقل في التعدي على المسعى الشريف واغتصاب ما وقع قبل عصرنا بنحو مائة عام في أيام دولة الجراكسة في سلطنة الملك الاشرف قايتباي المحمودي سامحه الله تعالى ومحصله انه كان تاجر يستخدمه قبل سلطنته ويتعاطى له متاجره مع دينه وخيريته ومآثره الجميلة واعتقاده في العلماء والصلحاء واتصافه بطلب العلم أيضا وكان السلطان قايتباي أرسله الى مكة ليتعاطى له متاجره وليعمر له مدرسة ويعمر جانبا من الحرم الشريف ومن المسجد الشريف النبوي بعد الحريق المشهور الواقع في سنة ست (٧١) وثمانين وثمانمائة وبنى له المدرسة التي في المدينة الشريفة وأجرى عين الزرقاء بالمدينة وعين خليص من طريق المدينة وعين عرفات وغير ذلك من الخيرات الجارية الى الآن غير أن حب الجاه ونفاذ الامر أوقعه فيما نذكره • وهو انه كان بين الميلين ميضأة أمر بعملها الملك الاشرف شعبان بن الناصر حسن ابن قلاوون وكانت في مقابلة باب علي حدها من الشرق بيوت للناس ومن الغرب المسعى الشريف ومن الجنوب سيل وادي ابراهيم الذي يقال له الآن سوق الليل ومن الشمال دار سيدنا العباس رضي الله عنه الذي هو الآن رباط يسكنه الفقراء فاستأجر الخواجا شمس الدين بن الزمن هذه الميضأة وهدمها وتقدم من جانب المسعى نحو ثلاثة أذرع وحفر أساسه ليبني بها رباطا لسكن الفقراء فمنعه من ذلك قاضي القضاة بمكة عالم المسلمين وقاضي الشرع المبين القاضي برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة الشافعي فلم يمتنع من ذلك فجمع القاضي ابراهيم محضرا حافلا حضره علماء المذاهب الاربعة ومن أجلهم مولانا الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي رئيس العلماء الحنفية يومئذ والشيخ شرف الدين موسى بن عيد المالكي والقاضي علاء الدين الردادي الحنبلي وبقية العلماء المكيين والقضاة والفقهاء وطلب الخواجا شمس الدين بن الزمن وأنكر عليه جميع الحاضرين وقالوا له في وجهه ان عرض المسعى كان خمسة وثلاثين ذراعا وأحضر النقل من تاريخ الفاكهي وذرعوا من ركن المسجد الى المحل الذي وضع فيه ابن الزمن أساسه فكان سبعة وعشرين ذراعا فقال ابن الزمن المنع خاص بي أو بجميع الناس فقال له القاضي أمنعك الآن لانك مباشر في

صفر فلما كانت ليلة الاحد خامس عشر الشهر المذكور سنة تسع وثلاثين وألف ركب الشريف أحمد اليه وصحبته جماعة من الاشراف ومن الخدم فلم يزالوا يدخلون في المخيم من باب الى باب حتى وصلوا اليه فتحادثا مليا ثم نصبا الشطرنج

•(قتل الشريف أحمد بن عبد المطلب سنة ١٠٣٩)•

فلما كانت الساعة الخامسة من الليلة المذكورة قبض على الجميع فقتل الشريف أحمد وأطلق الباقين فتحركت عساكره فاظهر لهم مقتولا ونشر العلم ونودي المطيع للسلطان يقف تحته فوقفت العساكر تحته وخلع على الشريف مسعود بن ادريس وكانت مدة ولاية الشريف أحمد بن عبد المطلب سنة واحدة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما

•(ولاية الشريف مسعود بن ادريس بن حسن بن أبي نمي سنة ١٠٣٩)•

فولي مكة بعده مولانا الشريف مسعود بن ادريس بن حسن بن أبي نمي وكان ملكا جوادا شجاعا حسن التدبير محبا للادب عارفا بمقادير العلماء والافاضل فبلغت به الناس المنى وكثر عليه الثناء ومدحه الشعراء بالقصائد

•(دخول السيل المسجد وسقوط البيت سنة ١٠٣٩)•

وفي هذه السنة أعني سنة تسع وثلاثين بعد الالف كان سقوط البيت في مدة الشريف مسعود المذكور وسببه انه وقع مطر شديد في التاسع عشر من شعبان ودخل السيل المسجد وغرق فيه نحو ألف انسان وهذه القصة مع العمارة مذكورة في التواريخ فلا حاجة بنا الى ذكرها

•(وفاة الشريف مسعود سنة ١٠٤٠)•

وفي اثناء مدة العمارة توفي الشريف مسعود في عشرين من ربيع الثاني سنة أربعين وألف فكانت مدة ولايته سنة وثلاثة أشهر

•(ولاية الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي وهو جد ساداتنا آل عون أمراء مكة حالا الى آخر الدوران)•

فاجتمع السادة الاشراف واتفقوا على تولية الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي وعرضوا ذلك الى السلطنة العلية فجاءته مراسيم التأييد وكان اتمام عمارة البيت الشريف على يده وهذا الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي هو جد سيدنا الشريف محمد بن عبد المعين بن عون أمير مكة فانه محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن ابن أبي نمي وقد ترجم صاحب خلاصة الاثر مولانا الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي فقال كان سيدا جليلا

هذا الحال لهذا الفعل الحرام وأمر المغيرة أيضا بازالة تعديه وتوجه القاضي بنفسه الى محل الاساس ومنع البنائين والعمال من العمل وأرسل عرضا ومحضرا فيه خطوط العلماء الى السلطان قايتباي وكتب ابن الزمن أيضا اليه وكانت الجراكسة لهم تعصب وقيام ومساعدة من يلوذ بهم ولو على الباطل فلما وقف على تلك الاحوال السلطان قايتباي نصر ابن الزمن وعزل القاضي ابراهيم وولى خصمه المنصب وأمر أمير الحاج ان يضع الاساس على مراد ابن الزمن ويقف عليه بنفسه وكان أمير الحاج شيبك الجمالي فوصل في موسم سنة خمس وسبعين وثمانمائة ووقف بنفسه بالليل وأوقد المشاعل وأمر البنائين والعمال بالبناء خوفا من انكار العملة عليهم فبنوه الى ان صعدوا به وجه الارض (٧٢) وجعل ابن الزمن ذلك رباطا وسبيلا وبنى في جانبه دارا وصغر الميضأة جدا

عظيما صالحا ولي مكة بعد أخيه الشريف مسعود وهو اذذاك أكبر آل أبي نمي بالاتفاق من الاشراف وأمراء السلطان وكان ممتنعا من الولاية وتخلف عن جنازة الشريف مسعود لذلك فألزموه بذلك حقنا لدماء العالم ومازالوا به حتى رضي وحصل بولايته الامن والامان واستمر مولانا الشريف عبد الله بن حسن الى ان حج بالناس سنة أربعين

*(نزول الشريف عبد الله بن حسن عن الامارة لولده محمد ومشاركة زيد بن محسن لولده المذكور سنة ١٠٤١)*

وفي شهر صفر من سنة احدى وأربعين وألف خلع نفسه تعففا وديانة وقلد أمر مكة لولده الشريف محمد بن عبد الله وأرسل الى اليمن يطلب مولانا الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي لانه بقي هنالك بعد ان توفي والده وأخبره انه يريد ان يجعله شريكا لولده فوفد عليه الشريف زيد ابن محسن من اليمن فأشركه مع ولده في النصف الآخر وتخلى مولانا الشريف عبد الله عن الامر وتجرد للعبادة الا انه كان يدعى له على المنبر معهما

*(وفاة الشريف عبد الله بن حسن سنة ١٠٤١)*

واستمر مولانا الشريف عبد الله بن حسن بعد ان خلع نفسه الى ان توفي ليلة الجمعة عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وصلي عليه ودفن في قبة والده الشريف حسن فكانت مدة ولايته تسعة أشهر وثلاثة أيام وأعقب جملة من الذكور وهم محمد وأحمد وجود وحسين وهاشم ونقيبة وزامل ومبارك وزين العابدين واستمر بعد وفاته ابنه الشريف محمد والشريف زيد بن محسن على ولاية مكة وجاءهما التأييد من السلطنة العلية والبسا خلعتين وقرئ مرسومهما في سابع جمادى الاولى من هذه السنة وفي هذه السنة عصى أهل الطائف وقتلوا السيد راشد بن بركات بن أبي نمي صبرا في مضرب المبعوث فجاء الخبر للسيد علي بن بركات بن أبي نمي فاستحث بني عمه جميعا فأجابوه فخرج معهم مولانا الشريف زيد بأمر مولانا الشريف محمد بن عبد الله ففتحها وقتل من رأى في قتله الاصابة ورجع الى مكة ومعه غالب الاشراف في موكب عظيم وفي أواخر هذه السنة كانت وقعة الجلالية وملخصها ان عسكرا من اليمن خرجوا عن طاعة قانصوه باشا وجاء الخبر انهم لما وصلوا القنفذة اجتمع بهم السيد نامي بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي واستمالهم على أخذ مكة فأرسلوا مكاتيب لمولانا الشريف محمد ومولانا الشريف زيد يطلبون الاذن في دخول مكة ثم يتوجهون الى مصر فرجع اليهم الجواب بعدم الاذن في دخول مكة ثم جاء الخبر بأن الاتراك وصلوا السعدية فخرج مولانا الشريف محمد ومولانا الشريف زيد ومعهم العساكر الى قوز المكاسة أسفل مكة قال

وجعل لها بابا من جهة سوق الليل وجعل في جانب الميضأة مطبخا تطبخ فيه الدشيشة وتقسم على الفقراء ووقف على ذلك دورا بمكة ومزارع بمصر واستمرت الى أن انقطع ذلك الطبخ وبيعت القدور بل والدور ويالله العجب من ابن الزمن وماذكرناه في فضله وخيريته كيف ارتكب هذا المحرم باجماع المسلمين طالبا به الثواب وكيف تعصب له سلطان عصره السلطان قايتباي مع انه أحسن ملوك الجراكسة عقلا ودينا وخيرية وهو يأمر بفعل هذا الامر المجمع على حرمته في مشعر من مشاعر الله تعالى وكيف يعزل قاضي الشرع الشريف لكونه نهى عن منكر ظاهر الانكار فرحم الله الجميع وسامحهم وغفر لهم * وأين هذا مما يحكى عن أنوشروان العادل

وهو من أهل الكفر لما أراد المهندسون تسوية ايوانه بادخال قطعة أرض لعجوز بعد أن بذلوا لها أضعاف ثمن أرضها فأبت فأمر بعدم التعرض لارضها فبقي في ايوانه ازورار بسبب ذلك فقيل هذا الازورار خير من الاستقامة وصار ذلك مثلا يذكر بعد الوف من السنين وقال العلامة

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن روى

﴿فصل﴾ قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في حوادث سنة سبع وستين وسبعمائة ما ملخصه فيها هدمت الدور التي اشتريت لتوسعة المسجد والزيادة فيه الزيادة الثانية للمهدي فهدموا أكثر دار محمد بن عباد وجعلوا المسعى والوادي فيها وهدموا ما بين الصفا والوادي من الدور وحرفوا الوادي في موضع الدور حتى أوصلوه الى مجرى الوادي القديم في الاجياد الكبير وهو الآن الطريق الذي يمر منه الى دور السادة

الاشراف أمراء مكة المشرفة عمر الله بهم البلاد وأزال بوجودهم مواد الفتنة والفساد وابتدؤا من باب بني هاشم من أعلى المسجد ويقال له الآن باب علي رضي الله عنه ووسع المسجد منه الى أسفل المسجد وجعل في مقابلة هذا الباب باب في المسجد يعرف الآن بباب حزورة ويحرفه العوام فيسمونه باب عزورة لان السيل اذا زاد على مجرى الوادي ودخل المسجد خرج من هذا الباب الى أسفل مكة فاذا طفح عن ذلك خرج من باب الخياطين أيضا ويسمى الآن باب ابراهيم فيمر السيل ولا يصل الى جدار الكعبة الشريفة ومن الجانب اليماني وكان من جدار الكعبة الى الجدار اليماني من المسجد المتصل بالوادي تسعة وأربعون ذراعا ونصف ذراع فلما زيدت هذه الزيادة الثانية فيه صار من المسجد أولا الى الجدار الذي عمل آخرا وهو باق الى اليوم تسعون ذراعا فاتسع المسجد غاية الاتساع وأدخل في قرب الركن اليماني من المسجد في أسفله دار أم هانئ لان دارها رضي الله عنها كانت بقرب هذا الباب داخل المسجد الحرام الآن ومن هذا الباب يدخل الى المسجد أمراء مكة سادتنا الاشراف آل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانت عند دار أم هانئ رضي الله عنها بئر جاهلية حفرها قصي بن كلاب أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم فأدخلت أيضا تلك البئر في المسجد الحرام وحفر المهدي عوضها بئرا خارج الحزورة يغسلون عندها الموتى من الفقراء ومن أبواب المسجد من أسفله باب بني سهم يعرف الآن بباب العمرة لان المعتمرين من التنعيم يدخلون منه الى المسجد من أعلى مكة كما هو السنة الشريفة وسيأتي ذكر بقية أبواب المسجد الحرام عند ذكر العمارة الشريفة السلطانية العثمانية خلد الله ملك سلطنتها الى قيام الساعة ان شاء الله تعالى واستمر البناة والمهندسون في بناء الزيادة ووضع الأعمدة الرخام وتسقيف المسجد بالخشب الساج المنقش بالالوان نقرا في نفس الخشب كما أدركناه وكان في غاية الزخرفة والاحكام باقيا فيه لون اللازورد في غاية الصفاء والرونق بالنسبة الى لازورد هذا الزمان واستمر عملهم الى ان توفي المهدي رحمه الله لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة قبل أن تتم عمارة المسجد على الوجه الذي أراده وكان مولده في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة ومدة ملكه احدى عشرة سنة وشهرا وعاش ثلاثا وأربعين سنة وعقد الامر لولده موسى الهادي

العلامة العصامي وكان خروجهم في عشرين من شعبان في مثل سقوط البيت وفي الساعة بعد العصر وكان ذلك السقوط سنة تسع وثلاثين وألف كما تقدم ووقع اللقاء بين العسكرين هناك فحصلت ملحمة عظيمة

*(قتل مولانا الشريف محمد بن عبد الله في وقعة الجلالية سنة ١٠٤١)*

وقتل مولانا الشريف محمد بن عبد الله صاحب مكة وجماعة من الاشراف منهم السيد أحمد بن حراز والسيد حسين بن مغامس والسيد سعيد بن راشد وأصيبت يد السيد هزاع بن محمد الحرث وقتل من الجماعة نحو المائتين ورجع الاشراف بالشريف محمد عصر ذلك اليوم وغسلوه وصلوا عليه ودفنوه في المعلى مع آبائه وكانت مدة ولايته سبعة أشهر الاستة أيام وتوجه من نجا من الاشراف الى جهة وادي مر الظهران بعد ان قاتل مولانا الشريف زيد قتالا شديدا ثم بعد تمام الواقعة دخلت الاتراك مكة

*(ولاية الشريف نامي بن عبد المطلب سنة ١٠٤١)*

ومعهم الشريف نامي بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي فنودي له بالبلد وأشركوا معه السيد عبد العزيز بن ادريس بن حسن في ربع مكة لكن لم يشركوه في الدعاء على المنبر وأرسلوا الى أمير جدة دلاوراغا ان يسلمها اليهم فمنع من ذلك فجهز اليه الشريف عبد العزيز والعسكر وحاصروا الامير المذكور ثم دخلوا جدة ونهبوا بيته وأخذوه وأهانوه وضربوه ثم أطلقوه ونهبوا غالب التجار بجدة ثم رجعوا الى مكة وتفرق العسكر الى غالب بيوت الاشراف وبقية البيوت وعاثت العسكر في مكة وصادر الشريف نامي بعض التجار وقتل مصطفى بيك كبير العسكر الذين كانوا مع شريف مكة وفر بقية العسكر الذين كانوا معه الى جدة ثم الى سواكن ولما كان اثناء شهر ذي القعدة أشيع بأن صاحب مصر بعث أربعة صناجق مع تجريدة وأسلحة لمولانا الشريف زيد بن محسن وكان بعد الواقعة توجه الى المدينة فصادف ببدر السيد علي بن هيزع يريد مصر فكتب معه الى صاحب مصر فوصل السيد علي المذكور وأخبر الباشا وهول الامر فيما وقع بمكة من الجلالية فجهز الباشا ثلاثة آلاف عسكري ومعهم خمسة صناجق سافروا برا وجهز قبطان السويس ومعه خمسمائة عسكري وأرسل قفطانين لمولانا الشريف زيد وأمره بلبسهما والتوجه الى ينبع لملاقاة العسكر فلبسهما بالمدينة المنورة في حجرة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه الى ينبع ولاقى العسكر وسار معهم الى ان وصلوا الجموم ووصل خبرهم الى مكة فبعث الشريف نامي عيونا يبصرون له العسكر في وادي الجموم نحو ثلاثين خيالا وعشرة هجانة فوصلوا الوادي ليلا فشعر بهم العسكر المصري فلحقتهم الخيل

● (فصل في ولاية أبي محمد موسى الهادي بن المهدي بن المنصور العباسي) ● ولد بالري في سنة سبع وأربعين ومائة وأمه أم ولد تسمى الخيزران والدة هرون الرشيد وكان حين موت والده بجرجان وقد عهد له أبوه بالخلافة فأخذ له البيعة أخوه هرون الرشيد لما مات أبوه لثمان بقين من شهر المحرم سنة تسع وستين ومائة ولم يل الخلافة قبله أحد في مقدار سنه ● وركب خيل البريد من جرجان الى بغداد لما بويع له بالخلافة وما ركبها خليفة غيره وكان طويلا جسيما أبيض بشفته العليا تقاص فيكثر لذلك فتح فمه ويغفل عن ذلك فيستمر فمه مفتوحا فوكل به أبوه في صباه خادما كلما رآه مفتوح الفم قال له موسى أطبق فيستفيق على نفسه ويضم شفته فلقبه الناس موسى أطبق فعرف بهذا اللقب



وكان وصاه أبوه بقتل الزنادقة فقتل منهم خلقا كثيرا وكان شجاعا كريما يحبه المدح دخل عليه مروان بن أبي حفصة فانشده قصيدة في مدحه فلما بلغ الى قوله

تشابه يوما بؤسه ونواله ... فما أحد يدري لأيهما الفضل

فقال له الهادي قبل أن يتمها أيما أحب اليك ثلاثون ألفا معجلة أو سبعون ألفا مؤجلة فقال بل ثلاثون ألفا معجلة فقال له جعلنا لك المعجل والمؤجل ثم قال بل نعجلهما لك بهما وأمر له بمائة ألف ومدحه ابراهيم الموصلي بقصيدة أولها

سليمى أزمعت بينا ... فأين لقاها أينا

فأعطاه سبعمائة ألف درهم وكان اكمال المسجد الحرام أول شيء أمر به الهادي وبادر الموكلون بذلك الى اتمامه الى ان اتصل بعمارة المهدي وبنوا بعض أساطين الحرم الشريف من جانب باب أم هانئ بالحجارة ثم طليت بالجص وكان العمل في خلافة الهادي دون العمل في خلافة المهدي في الاستحكام والزينة والاهتمام لكن كملت عمارة ولايته المسجد الحرام على هذا الوجه الذي كان باقيا الى هذه الايام وما زيد بعد ذلك الا الزيادتان كما نشرحهما ان شاء الله تعالى ● وهذه الاساطين الرخام جلبها المهدي من بلاد مصر والشام وأكثرها مجلوب من بلاد اخميم من أعمال مصر وهي بلدة خراب الآن من بلاد مصر القديمة كثيرة الرخام يجلب منه الى مصر والى غيرها من البلدان الرخام العظيم والاعمدة اللطيفة المنحوتة المخروطة من الرخام الابيض يقال ان أكثر رخام المسجد الحرام مجلوب منه والله أعلم ● ولم تطل مدة موسى الهادي وكان مدة ملكه سنة وشهرا وتوفي شابا وعمره أربع وعشرون سنة في منتصف ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ● واختلف في سبب موته فقيل انه دفع نديما فتعلق

---

فقتلوا منهم ثلاثة عشر خيالا وخمسة أوستة هجانة وفر الباقون الى مكة فجاؤا الى الشريف نامي وأخبروه بما هالهم فلما تيقن ذلك خرج من مكة ومن معه من الجلابة ومعه أخوه سيد بن عبد المطلب والسيد عبد العزيز بن ادريس لاربع خلون من ذي الحجة بعد صلاة العصر سنة احدى وأربعين وألف وتوجهوا الى تربة وتحصنوا بها وفارقهم في اثناء الطريق السيد عبد العزيز بن ادريس وانحدر الى ينبع وكان بمكة مولانا السيد أحمد بن قتادة بن ثقبة بن مهنا فنادى في البلاد لمولانا السلطان فأمن الناس واطمئنوا وأرسل لمولانا الشريف زيد يعرفه بخلو البلاد

● (دخول مولانا الشريف زيد بن محسن مع العسكر المصريين وخروج الشريف نامي الى تربة) ●

فلما كان وقت شروق الشمس يوم الخميس سادس ذي الحجة دخل مولانا الشريف زيد ومعه الصناجق ونزل بدار السعادة ودخل المحمل المصري عقب دخوله ولم يكن معهم حجاج غير العسكر ثم نزل مولانا الشريف زيد المسجد وقت الضحى من ذلك اليوم وطاف بالبيت والرئيس يدعو له والمنادي ينادي له في شوارع مكة ثم سأل عمن تخلف من العسكر فأخبر بجماعة منهم تخلفوا وانهم قتلوا منهم نحو الخمسين وحج بالناس في السنة المذكورة وامتدحه الشعراء بقصائد وحصل للناس سرور كثير

● (توجه الشريف زيد لقتال الشريف نامي في تربة) ●

ثم بعد قضاء المناسك توجه مولانا الشريف زيد مع الاشراف والعسكر الى تربة لمحاصرة المتحصنين بها فحاصروهم وخرج من الحصن بعضهم بالامان وهجم العسكر على الحصن ودخلوه وقتلوا غالب من فيه وأمسكوا كور محمود والشريف نامي وأخاه سيدا وجاء الخبر الى مكة فزينت البلد سبعة أيام وكان دخولهم الحصن عاشر محرم سنة اثنتين وأربعين وألف فرجعوا ودخلوا مكة سابع عشر محرم فاستفتوا بمكة على الشريفين نامي وأخيه فأفتى العلماء بقتلهما

● (تعليق الشريف نامي وأخيه بالمدعى) ●

فشنقوا الشريفين بالمدعى في روشنين متقابلين يوم الخميس ثامن عشر محرم وأمرت العساكر بتخريق سواعد كور محمود وأركبوه جملا وطافوا به في شوارع مكة ثم علقوه بالجيزة التي في المعلى وبقي حيا الى آخر النهار فأنزلوه وقتلوه وحرقوه وذروا رماده في الهواء وتخلف أمير الحاج المصري والشامي الى ان رجع العسكر من تربة وتوجهوا جميعا وانصرفوا واستمر مولانا الشريف زيد حاكما بمكة ضابطا لها مؤمنا لها ولاهلها الى أن توفي الى رحمة الله وكانت مدة الشريف نامي مائة يوم ويوما على قدر حروف اسمه وكان مولد مولانا الشريف زيد سنة ست عشرة وألف بأرض بيشة وكانت أيام

به فوقعا فى مقصبته فدخل القصب فى مخارجهما فماتا جميعا وقيل بل قتلته أمه الخيزران لما أراد قتل أخيه هرون الرشيد ليولى العهد ولدا صغيرا من أولاده عمره عشر سنين وكانت أمه الخيزران قد استبدت بالامور العظام وكانت المواكب تقف على بابها فزجرها الهادى عن ذلك وقال لها ان وقف امير على بابك ضربت عنقه أما لك مغزل يشغلك أو مصحف أو سبحة تذكرك فقامت من عنده غضبى فبعثت اليه طعاما مسموما فأطعمه فعملت على قتله فلما وعك أمرت جواريها أن يغم وجهه ببساط جلس على جوانبه فانسد نفسه الى أن مات *(وولى الخلافة بعده بعهد من أبيه أخوه هرون الرشيد العباسى الخامس من العباسيين)* ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من ربيع الاول سنة سبعين ومائة ومولده فى الرى لما كان أبوه المهدى أميرا عليها



وعلى خراسان فى سنة ثمان وأربعين ومائة وأمه الخيزران أم الهادى وفيها قال مروان بن حفصة الشاعر

ياخيزران هنالك ثم هنالك
أمسى يسوس العالمين ابناك

وكان فصيحا بليغا كثير العبادة كثير الحج والغزو وفى ذلك يقول بعض شعرائه

فمن يطلب لقاءك أو يرده
فبالحرمين أو أقصى الثغور

وكان يحج عاما ويغزو عاما وقد يجمع بينهما فى عام واحد وكان يصلى فى خلافته كل يوم ألف ركعة لا يتركها الا لعلة ويتصدق كل يوم بألف درهم ويحب العلم وأهله ويعظم حرمات الاسلام * وبلغه عن بشر المريسى انه كان يقول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لاضربن عنقه وكان يأتى بنفسه الى بيت الفضيل بن عياض رضى الله عنه ويعظه وكان يبكى على نفسه وعلى اسرافه وذنوبه وكان قاضيه الامام أبو يوسف رضى الله عنه وكان يعظمه كثيرا ويمتثل أوامره * ويروى عن أبى معاوية الضرير قال أكلت مع الرشيد يوما ثم صب على يدى من لا أعرفه ثم قال لى الرشيد أتدرى من يصب عليك قلت لا قال أنا اجلالا للعلم * وأراد الرشيد أن يوصل بحر الروم ببحر القلزم ليسهل له ان يغزو الروم ببلادهم فقال له يحيى بن خالد البرمكى لو فعلت ذلك دخلت سفائن الروم واختطفوا المسلمين من المسجد الحرام فتركه وكانت أيام الرشيد أيام خير كأنها أعراس وله أخبار فى اللهو واللذات سامحه الله تعالى وله مناقب لا تحصى ومحاسن لا تستقصى * وأسند الصولى عن يعقوب بن جعفر قال خرج الرشيد فى السنة التى ولى فيها الخلافة الى طرق الروم فغزا أهلها وظفر وعاد فحج

---

ولايته مواسم لاهل الفضائل تجبى اليه ثمرات العلوم والآداب من كل طائل ويقابل بالبشر والنائل ويباحث العلماء فى دقيق المسائل وفى سنة ثلاث وأربعين خرج مولانا الشريف زيد لقتال صبح وهم فرقة من حرب فسار اليهم ونصره الله عليهم حتى صعد الى أقصى جبلهم وغنم منهم أموالا لا تعد ثم صالحه أهل السهل بالسلاح والمال فأخذه منهم ورجع

*(وقوع الفناء فى الخيل بمكة سنة ١٠٤٣)*

وفى هذه السنة وقع الموت والفناء فى الخيل بمكة وسمته العامة أبا مشفر وفنيت الخيل حتى لم يبق بمكة الا فرس واحد أخذوه لمولانا الشريف وصارت الاشراف تركب الحمير وفى عشرين من ذى الحجة وقعت فتنة بين العبيد والعسكر المصرى وسببها انهم تزاحموا عند سقيا الماء بالبزابيز فثارت الفتنة واتسعت حتى ان العسكر أحضروا مدافعا عند البزابيز وآخر عند المدرسة واستمرت الفتنة الى ان هجم الليل ثم خرج مولانا الشريف ثانى يوم وأسكن الفتنة ونادى مناديه بالامان فأمن الناس وسكنت الفتنة

*(منع العجم من الحج والزيارة سنة ١٠٤٧)*

وفى سنة سبع وأربعين وألف ورد أمر سلطانى مضمونه ان العجم لا يحجون البيت ولا يزورون قبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم بعد النزول نادى منادى الشريف على الموجود منهم فى ذلك العام ان يخرجوا الى السفر سابع عشر ذى الحجة ولا يحجون بعد عامهم هذا وادار عليهم العسكر واخرجوهم من بين الحجاج فخرجوا على أشنع حال وفى هذه السنة غزا مولانا الشريف بنى سعد وغامد ورجع سالما غانما وفى سنة تسع وأربعين وألف حج بشير أغا الطواشى من مماليك السلطان مراد وكان حظيا عنده فاستأذنه فى الحج فأذن له واخرج دستورا مكرما بيده ومعناه جواز تصرفه فى كل ما يريد من عزل وتولية فلما دخل مصر خرج للقائه صاحب مصر الى خارج البلد فلما نظر اليه ترجل عن فرسه وسار الى أن قبل ركبته ومشى الى ان أمره بالركوب فدخل مصر ووصل الخبر بما وقع لمولانا الشريف زيد فأخذته أنفة الاريحية والهمة العلية وأقلقه ما ورد عليه من الخبر وحدوث هذه العبر فعزم على الخروج من مكة ليكون عذرا فى عدم اللقاء وحاجزا عن التسافل بعد الارتقاء ولما تزايد عليه هذا الطارئ قصد العارف بالله السيد عبد الرحمن المحجوب وذكر له ما خطر بباله لتزايد بلباله فقال له مولانا السيد عبد الرحمن دع عنك هذا فالله يكفيك من ذلك وطب نفسا فما يقع الا الخير ولله التدبير فاعتمد على قوله فلما ان وصل بشير أغا الى رابغ أتاه نجاب بخبر وفاة مولانا السلطان فبطل ما بيده من الاحكام وصار كآحد الناس بعد ان كان رئيس الحكام وجاء الخبر الى مولانا الشريف زيد بالتأييد

بالناس آخر السنة وفرق بالحرمين مالا • وكان رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال ان هذا الامر قد صار اليك فى هذا الشهر فاغز وحج ووسع على أهل الحرمين ففعل هذا كله فى عام واحد أول خلافته ذكر ذلك الحافظ السيوطى وغيره • قال الحافظ النجم عمر ابن فهد رحمهما الله فى حوادث سنة سبعين ومائة فيها حج هرون الرشيد بالناس وفرق مالا كثيرا وكان حجه ماشيا على اللبود تفرش له من منزل الى منزل وقيل ان الحجة التى حج فيها ماشيا هى حجته فى سنة سبع وسبعين ومائة • قال وفى بعض حجات هرون اخلى له المسعى ليسعى فيه فتعلق ببغلته وهو يسعى أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم فوقف له هرون الرشيد (٧٦) وأقبل عليه فصاح به يا هرون فقال لبيك يا عم قال ارق الى الصفا فلما رقاه قال ارم بطرفك الى البيت قال قد فعلت فقال كم هى يعنى الحجيج فقال ومن يحصيهم الا الله تعالى قال فاعلم أيها الرجل ان كل واحد من هذه الخلائق يحاسب عن خاصة نفسه ويسئل عنها وحدها يوم القيامة وأما أنت وحدك فتسئل عنهم أجمعين فانظر كيف جوابك حين تسئل يوم القيامة فبكى هرون بكاء شديدا وخدمه يعطونه منديلا بعد منديل وهو يبلها بدموعه فقال له وأخرى أقولها لك قال قل يا عم فقال ان الرجل اذا أساء التصرف فى ماله حجر عليه فكيف أنت تسرف فى مال المسلمين وتسيء التصرف فيه وأنت محاسب عليه بين يدى الله عز وجل وازداد بكاؤه وكثر نحيبه وأراد جنده ان يطردوا الرجل عنه فكفهم عنه الى ان فرغ من نصائحه كلها وقام عنه بنفسه وهرون يبكى ويتضرع ويستغفر قال

وان السلطان توفى فى أوائل شوال فولى بعده مولانا السلطان ابراهيم بن أحمد خان أخو السلطان مرادفورد بشير أغا مكة فلاقاه مولانا الشريف بقرب مكة وبشير أغا عنده ان خبر موت السلطان مكتوم فلما تقارباو تصالحا ركض مولانا الشريف فرسه متقدما على بشير أغا وناكبه وقال (الله رحمت ايله سلطان مراد) فحين سمعه بشير أغا تداخل فى جسمه ومشى كالاسير وهذا من جملة سعودات مولانا الشريف زيد ومن جملة ما اتفق ان الشريف رحمه الله رأى ليلة فى منامه ان شخصا ينشد هذا البيت

كان لم يكن أمر وان كان كائنا • فكان به أمر نفى ذلك الامرا

فحفظ البيت وكتبه بالسواك على رمل فى صحن نحاس خشية النسيان وكانت هذه الرؤيا فى الليلة التى أسفر صباحها عن ورود هذا الخبر واستمر بشير أغا الى ان حج وتوجه صحبة الحاج وقد ضمن البيت الذى رآه مولانا الشريف زيد فى منامه الشاعر المشهور محمد الانسى فى قصيدة طويلة امتدح بها مولانا الشريف زيد فاجازه بألف دينار وفى هذه السنة عصى أهل الحجاز فغزاهم مولانا الشريف ولم يزل بهم حتى أضعفهم ثم رجع سالما رابع ذى الحجة وفى سنة ثلاث وخمسين وألف وقع سيل عظيم بعرفة يوم الموقف واستمر من الظهر الى المغرب ولما نفر الناس عاقهم السيل المعترض من تحت العلمين عن المرور ومنعهم من دخول الحرم واستمر الناس وقوفا الى آخر الليل فخف فقطعه الناس بغاية المشقة وفى سنة ألف وست وخمسين وردت مشيخة الحرم المكى لصنجق جدة مصطفى بيك وكان متوليا صنجقا فقط من سنة اثنتين وخمسين فلما جاءته مشيخة الحرم مضافة الى الصنجقية استفحل أمره وشرع فى التطرق للاحكام بمكة فنفرت نفس مولانا الشريف زيد من ذلك فلما جاء وقت الحج خرج مولانا الشريف من مكة وأقام بها نائبا السيد ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن حسن ابن أبى نمى وتوغل فى بلاد الشرق حتى وصل الى محل بينه وبين البصرة خمسة أيام وكان أوصى بعض هذيل رجلا يقال له أحمد الجعفرى بقتل مصطفى بيك وأمره أن يقتله مهما أمكن وفى هذه السنة ورد بشير أغا السابق ذكره متوليا مشيخة حرم المدينة فجاء الى مكة وطلع الى الطائف للتنزه مع الصنجق المذكور فى أوائل سنة سبع وخمسين وألف فطلعا وهما فى أعلى درجات النعمة واستمرا الى هلال رجب فنزل مصطفى بيك مكة من طريق كراء فلما وصل الى النقب الاحمر ظهر له العربى المأمور بقتله وكان قد صحبه وخدمه وتعرف به وألفه فاقبل عليه وقد انفرد عن أعوانه ومع الجعفرى شاب آخر فلما قرب منه وحياه قال للشاب قبل يد سيدك وكان على جانبه الايسر فاعطاه يمينه فضربه الجعفرى من جانبه الايسر بجنبية فى وسطه فقطع بها مصارينه وكلاه وأقام عليه تكلاه فلما طاح

﴿فصل﴾ وفى اثناء دولة الرشيد قدمت الخيزران أم الرشيد والهادى الى مكة قبل الحج فى سنة احدى وسبعين ومائة فأقامت الى ان حجت وعملت الخيرات واشترت دورا بالصفا الى جنب دار الارقم المخزومى التى تشتمل على مسجد مأثور يقال له المختبأ لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيه الى الاسلام خيفة من صولة على المسلمين فى أول البعث وأسلم فيه جماعة رضى الله عنهم ولما أسلم فيه عمر رضى الله عنه أظهر الاسلام وفيه قبة ومزار تسمى قبة الوحى وهذه الدور التى اشتراها صاحبنا المغفور له المرحوم المبرور المشكور الامير المأمور باجراء عين عرفة الى بيت الله المعمور الباذل نفسه وماله وأولاده فى سبيل الله طلبا لنيل المثوبات والاجور دفتردار مصر سابقا صاحب اللواء السلطانى

المنشور المذكور باحسان الى يوم النشور ابراهيم بك بن تغرى بردى المهمندار أسكنه الله تعالى فى دار القرار جنات تجرى من تحتها الانهار ثم ملكها من المرحوم بطريق الهدية على يد المرحوم رجب جلبى أفندى ناظر الصدقات السليمية حضرة السلطان الاعظم سلطان ملوك العالم ذوى الخلق الحليم والطبع الكريم المرحوم المغفور له السلطان سليم نقله الله الى جنات النعيم وملكه ملكا أعظم من ملكه العظيم فملكها وهو شاهزاده يومئذ قبل ان يلى تخت السلطنة العظمى ففرح بها كثيرا واستبشر بحصولها ونوى ان ينشئ فيها عمائر وخيرات وجهات تصرف الى فقراء هذه الجهات فلم يقدر له ذلك وزاحمته أمور الملك والسلطنة ومجاهدة الكفار وافتتاح بلاد قبرس وغيرها ولم يمهله الزمان الجائر ولا ساعده الدهر الغابر ولكن حصل له ثواب مانواه من الخيرات فالاعمال بالنيات وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وصارت هذه الدار الآن من املاك ملك العصر والزمان سلطان سلاطين الدهر فى هذا الاوان صاحب تخت السعادة والاسعاد وارث سرير الملك عن الآباء والأجداد السلطان الاعظم الاكرم السلطان مراد خلد الله تعالى أيام سلطنته القاهرة الى يوم التناد وألهمه العدل فى الرعية لاحياء رسوم المعدلة بين العباد * قلت ولم أطلع للرشيد مع كثرة خيره على انه عمر فى أيامه شيأ من المسجد الحرام غير أن عامله بمصر موسى بن عيسى أهدى الى مكة المشرفة منبرا منقوشا مكلفا له تسع درجات فجعل فى المسجد الحرام وأخذ المنبر القديم الذى كان يخطب عليه بمكة ووضع فى عرفة وذلك فى أول حجات الرشيد فى سنة سبعين ومائة وقيل غير ذلك * وفى سنة أربع وأربعين من الهجرة الشريفة نصب وخطب عليه معاوية ابن أبى سفيان وهو أول من خطب بمكة على منبر وكانت الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون بها قياما على أقدامهم فى وجه الكعبة وفى الحجر * قال أبو الوليد الأزرقى حدثنى جدى عبد الرحمن بن حسن عن أبيه قال أول من خطب بمكة على منبر معاوية بن أبى سفيان وساق ماقدمناه فى ذلك ثم قال وذلك المنبر الذى جاء به معاوية ربما نخرب فكان يعمر ولا يزاد فيه حتى حج الرشيد فأتى بمنبر له تسع درجات وخطب عليه فكان منبر مكة لمن بعده الى أيام الواثق بالله العباسى فأراد ان يحج فأمر ان يعمل ثلاث منابر منبر لمكة ومنبر لمنى ومنبر لعرفات وحج وخطب عليها وفرق بالحرمين على أهلهما مالا كثيرا * وفى أيامنا التى

---

قال لرفيقه السراح وتولوا بين الجبال لا تدركهم الخيل ولا الرجال فلحق مصطفى بيك أصحابه وقد خرجت روحه ونقلوه الى مكة ودفنوه بالمعلى وقدم مولانا الشريف من سفره فى ذى القعدة وسرت بقدومه كل نفس وذهب الصنجق مثل ماذهب أمس

•( زيارة مولانا الشريف زيد بن محسن المدينة المنورة سنة ١٠٥٩ )•

وفى سنة تسع وخمسين وألف عزم مولانا الشريف على زيارة النبى صلى الله عليه وسلم فتوجه ودخلها ثامن شهر شعبان من السنة المذكورة

•( قتله زفر افندى قاضى المدينة )•

واتفق أن وقعت حادثة عجيبة ليلة عاشر الشهر المذكور وهى ان حضرة زفر أفندى قاضى الشرع الشريف نزل لحضور صلاة الصبح وقت الغلس ومعه ثلاثة من الخدم فلما كان عند الدفتردارية وثب عليه شخص فضربه بالسلاح فى ظهره فانفذه من صدره فاكب على دابته ولم تزل سائرة به الى ان دخلت به محراب سيدنا عثمان رضى الله عنه وامام الشافعية قائم يصلى فى المحراب الفجر فقام بعض الناس اليه وأنزلوه على آخر نفس وهو يقول يارسول الله يارسول الله ووضع امام الوجه الشريف وبعد لحظة قضى عليه فاتهموا مولانا الشريف زيدا بقتله من غير معرفتهم شيأ يقتضى ذلك فحشدت العساكر واجتمعت وأغلقت باب السور وكان الشريف زيد نازلا خارج السور فوجهوا المدافع اليه وشرعوا ينادون اخرج عنا فبعث اليهم الشريف زيد أكابر جماعته وأكابر جماعة عسكر مصر فحلفوا لهم بانه لا علم للشريف زيد بذلك ولا شعور له ولاموهم على ذلك خطابا من تحت السور فتراجعوا وفتحوا باب السور وفى اليوم الثانى استدعى وجوههم لينظر فى حال قتلة الافندى ويبحث عنهم فلم يزل يمسك رؤس الفتنة واحدا بعد واحد وحبسهم مدة مديدة ثم حصلت شفاعة فى بعضهم فأطلقهم وذهب بالباقين وهم تسعة نفر وأمر بابقائهم فى ينبع واستمروا الى الحج فاستشفعوا بأمير الحاج فشفعه فيهم ثم تعسكر والغيطاس بيك أمير جدة ونزلوا معه واتفق انه فى نزوله هذا الى بندر جدة كان مغاضبا لمولانا الشريف لاسباب ذكرها المؤرخون أقواها وأعظمها تردد السيد عبد العزيز بن الشريف ادريس المذكور سابقا فى دولة الشريف نامى على غيطاس بيك وافساده على الشريف زيد وتوغير خاطر البيك المذكور عليه فواطأه على الباسه شرافة مكة فبعد نزوله الى جدة لحقه السيد عبد العزيز المذكور فالبسه شرافة مكة ونودى له فى البلاد ثم خرج غيطاس بيك والشريف عبد العزيز ومن معهما من العسكر وخرج الشريف زيد ومن معه من الاشراف لدفعهم وتلاقوا تاسع عشر جمادى الآخرة سنة

أدركناها من الشباب الى المشيب شاهدنا منا برعملها سلاطين عصرنا وسنذكرها فى محلها ان شاء الله تعالى ﴿فصل﴾ اعلم أن ما يشغفه العاقل و يدخر عنه الا الابله أن الدنيا دار الاكدار ومحل الهموم والغموم والحسرات وان أخف الخلق بلاء وألما الفقراء وأعظم الناس تعبا وهما وغما الملوك والامراء والكبراء و يقال لكل بشر غنى قامة من الهم وقيل

لقد قنعت همتى بالخمول • وصدت عن الرتب العاليه
وما جهلت والله طيب العلى • ولكنها تؤثر العافيه

وقيل أيضا

بقدر الصعود يكون الهبوط • فاياك والرتب العاليه
وكن فى مقام اذا ما وقفت • تقوم ورجلاك فى عافيه

وطالما رضيت الملوك والسلاطين بحال الضعفاء والفقراء والمساكين

ولعل بيتك ان رأيت أقلها • فى كل بيت كربة ومصيبة

فارض بحال فقرك واشكر الله على خفة ظهرك ولا تتعد طورك تجد ذلك نعمة خفية ساقها اليك ورحمة أفاضها الله تعالى من خزائن لطفه عليك واعتبر بهذه الكلمات وخذ لنفسك حظا وافرا من هذه العظات • ومن ذلك ان هرون الرشيد من أعقل الخلفاء العباسيين وأكملهم رأيا وتدبيرا وفطنة وقوة واتساع مملكة وكثرة خزائن بحيث كان يقول للسحابة امطرى حيث شئت فان خراج الارض التى تمطرى فيها يجىء الى ومع ذلك كان أتعبهم خاطرا وأسنهم فكرا وأشغلهم قلبا وكان من أولاده محمد الامين من زبيدة بنت جعفر المنصور

﴿تقسيم الرشيد الملك بين ولديه الامين والمأمون﴾

وكانت زبيدة قد استولت على عقل الرشيد تتصرف فيه كيف أرادت وكان ولده منها محمد الامين شديد الترفه والدلال كثير اللهو واللعب مغلوبا على عقله لا يصلح للملك ولا حتى يستحق الخلافه وولده الثانى من جارية سوداء اسمها مراجل من جوارى المطبخ ماتت فى نفاسها عن عبد الله المأمون وكان أتم عقلا ورأيا وأصح تدبيرا وأكثر فضلا ومعرفة فيه صلاحية لتدبير الملك واهلا لأن يكون خلفا عن أبيه فى خلافته وما قدر أبوه ان يجعله ولى عهده بعده مخافة على خاطر زبيدة على ذلك فجعل ولى عهده محمد الامين فى سنة خمس وسبعين ومائة ولقبه بالامين وعمره يومئذ خمس سنين لحرص أمه زبيدة على ذلك وجعل عبد الله المأمون ولى العهد بعد محمد الامين فى سنة ست وثمانين وولاه الجزيرة والثغور وهو صبى ٣ ولقبه المؤتمن وقسم ملكه بين هذه الثلاثة فقالت العقلاء لقد ألقى بينهم وأضر الرعية بهم قال عبد الملك بن صالح

ستين وألف قرب موضع قبر السيدة ميمونة رضى الله عنها وصار بينهم قتال عظيم أصيب فيه عدد كثير من الجانبين من الاشراف وغيرهم فلما اشتد الحال طلب الشريف عبد العزيز الامان له ولغيطاس بيك ومن معهما فأعطاهم مولانا الشريف زيد الامان وأرسل مع غيطاس بيك خمسين نفرا يوصلونه الى جدة ثم بعد مدة جاء الامر بعزله فتوجه الى مصر ولحقه السيد عبد العزيز

•(وفاة السيد عبد العزيز بمصر بالطاعون سنة ١٠٦٣)•

وتوفى السيد عبد العزيز بمصر بالطاعون سنة ثلاث وستين وألف وأما غيطاس بيك فجاء فى سنة احدى وستين أميرا على الحاج فتوهم منه مولانا الشريف غاية التوهم الا انه خرج للخلعة على العادة وانما أخل بالقانون القديم وهى المناكبة فصافحه بيده ومن تلك السنة تركت المناكبة وبقيت المصافحة فقضى حجه وذهب وقيل فى أسباب فتنة غيطاس بيك ان سببها رضوان بيك العقادى أمير الحاج وكان غيطاس بيك من مماليكه ففى سنة ثمان وخمسين وقعت منافسة بين رضوان بيك وبين مولانا الشريف فحقد عليه رضوان بيك وكتب الى الابواب وأكثر الخطاب وطلب عزل الشريف زيد فوافقه السلطان على مراده وأخرج عزل الشريف زيد فاضمر رضوان بيك عزله وتوليته الشريف مبارك بن بشير بن حسن الى ان وصل الى عسفان ولم يظهر ما أكن وكان صاحب مصر أحمد باشا طلب الى الابواب فلما وصل الروم أخبر بذلك فتكلم مع حضرة الوزير الصدر الاعظم وراجعه فى ذلك وعرفه ان رضوان بيك حل بهذا الفعل لكثير مما أبرم وان هذا الامر لا يكون الوصول اليه الا بشق الانفس فاقتضى الامر ان أعيد مولانا الشريف زيد وجهزوا قاصدا بأمر مولانا السلطان ناسخا للامر الاول الذى بيد رضوان بيك وأمر القاصد بالجد فى السير لاداء هذا الخبر فوصل يوم الرابع من ذى الحجة وكان ذلك يوم وصول مولانا الشريف من الطائف فنزل من المابدة فى الاى أعظم الى ان دخل من باب السلام والامر بين يديه الى ان وصل الحطيم وفتحت الكعبة فقرأ مرسومه الوارد ولبس القفطان وكتبت الاتراك لرضوان بيك بما وقع فدخل مطويا على حنق فحج ورجع وهو جاهد فى هوى نفسه فأخذ صنجقية جدة لغيطاس بيك وقربه لانتهاز فرصته حتى وقعت تلك الفتنة وقيل سببها اتهامه مولانا الشريف قتل قاضى المدينة والله أعلم بحقيقة الحال ولا مانع من اجتماع تلك الاسباب وفى سنة سبع وستين عقد مولانا الشريف زيد على ابنته لمولانا الشريف حمود بن عبد الله واحتفل فى زواجه ومدحه علماء مكة ومدحوا مولانا السيد حمود بعدة قصائد وفى سنة اثنتين وسبعين وألف حصل بمكة غلاء شديد وسببه حدوث جراد كثير وأعقب ذلك وباء عظيم عم الارض ودخل الجراد مكة فصار يقع فى كل شئ

الله فلله هرونا خلافته * لما اصطفاه فأحيا الدين والسننا وقدم الامر هرون لرأفته * بنا أمينا ومأمونا ومؤتمنا

وطوى الرشيد الملك عن ولده الرابع وهو محمد المعتصم لكونه أميا فاراد الله تعالى خلاف ما أراده الرشيد وقتل محمد الامين على يد عبد الله المأمون وصارت الخلافة بعد المأمون الى محمد المعتصم ساقها الله تعالى اليه وجعل الخلق كلهم من نسله ولم يجعلها من غيره نسله من أولاد الرشيد وان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وكان الرشيد لما كمل عهده لاولاده الثلاثة جمع الجموع وأمرهم بمبايعة أولاده المذكورين فبايعوهم وعاهدوهم وكتب بذلك عهدا محكما وكتابا مبرما ووضع الاعيان والاركان والامراء والكبراء خطوطهم عليه وجهزه الى بيت الله تعالى وأمر بتعليقه فى وسط الكعبة الشريفة (٧٩) ليشتد الوثوق به ولا يقع خلافه فى ذلك

حتى تعب الناس واستمر مدة حتى كسى الجدران بأجمعها فأعقبه الغلاء فأشار مولانا الشيخ محمد البابلى بترك التسعير فنادى المنادى بذلك فأظهر كل ما عنده وهون الله الامر

*(حدوث سيل عظيم بمكة دخل المسجد سنة ١٠٧٣)*

وفى سنة ثلاث وسبعين وألف يوم السبت السابع من شعبان أمطرت السماء بعد صلاة العصر وحصل سيل عظيم دخل المسجد الحرام فبلغ القناديل ومات به فى المسجد ستة نفر وبات تلك الليلة الى الصباح فلما طلعت الشمس نزل مولانا الشريف بنفسه وأمر بفتح مسيل باب ابراهيم فنزل السيل الى أسفل مكة وباشر مولانا الشريف العمل بنفسه حال التنظيف فاقتدى الناس به ونظفوا المسجد وغسلت الكعبة ظاهرا وباطنا ثم جىء بالجير والبقر لحرث الارض وحمل ما بقى من التراب والطين وجدد سليمان آغا المعمار بعض ما تلف ثم جاء سنة أربع وسبعين محمد آغا الكزلار بالامر لاتمام هذه العمارة وأعقبه السلطان بالامر بقتله فما وجدوه فى مكة بل توجه الى الزيارة بعد الحج فادركوه ثمة وقتلوه وبقى سليمان آغا على العمارة وفى سنة ست وسبعين وألف خرج مولانا الشريف الى بلاد جهينة لقتالهم بالعساكر المدربة ومعه غالب الاشراف وكان خروجه لاخذ ثار السيد مساعد بن محمد بن مساعد بن حسن بن مسعود وكان الملزم له بالخروج أخاه السيد غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود لانه ولى الدم الاقرب فتوجه مولانا الشريف لقتالهم فظفر بهم ورجع سالما

*(وفاة الشريف زيد بن محسن سنة ١٠٧٧)*

وفى سنة سبع وسبعين وألف مرض الشريف زيد ثم توفى يوم الثلاثاء ثالث محرم الحرام فمدة ولايته خمس وثلاثون سنة وشهر وأيام ورثاه الشعراء بقصائد وأرخوا وفاته بتواريخ من ذلك قول الشيخ أحمد بن أبى القاسم الحلى حيث قال

مات كهف الورى مليك ملوك الـ * أرض من لم يزل مدى الدهر محسن
فالمعالى قالت لنا أرخوا * قد ثوى فى الجنان زيد بن محسن

وعمره احدى وستون سنة وأعقب الشريف سعدا ومحمد يحيى وأحمد وحسنا وأما ابنه حسين فمات فى حياة أبيه وخلف محسنا ولى من امارة مكة كما سيأتى ولم يحضر وفاته غير الشريف سعد وحسن وأما السيد محمد فكان بالمدينة وأحمد كان بجدة رديف ملك الشريف زيد السيد حمود بن عبد الله ابن حسن بن أبى نمى فكان يرى انه الاحق بولاية مكة بعد الشريف زيد لكون أبيه الشريف عبد الله بن حسن هو الذى طلب الشريف زيدا من اليمن وأشركه فى الامر مع ابنه محمد كما تقدم فلما توفى الشريف زيد انحازت الاشراف باجمعها الى دار السيد حمود ولم يبق مع الشريف سعد

قال ابراهيم الموصلى
خير الامور بغية
وأحق أمر بالتمام
أمر قضى احكامه
مولاى فى البيت الحرام
ولم يغن ذلك التدبير عما رفعه قلم التقدير فى لوح المقادير والله على كل شئ قدير وقال
ولو كانت الدنيا تنال بغبطة
وتدبير رأى نيل أعلى المراتب
ولكنما الاقدار تجرى بقدرة
من الله لا تجرى تدابير طالب
قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى وذكر محمد بن الصباح الطبرى ان أباه مشى مع الرشيد من خراسان الى النهروان فجعل الرشيد يحادثه فى الطريق ويشكو همومه ويتنفس عنده نفثات الصدور والى أن قال يا صباح أظنك لا ترانى بعد هذا فقلت بل يطيل الله عمر أمير المؤمنين ويفديه بارواحنا ويعيش سالما من الآفات فقال انك لا تدرى ما أجد فقلت لا والله فقال تعال حتى أريك ما أخفيه عن غيرك وتنحى عن الطريق وأومأ الى من معه بالتنحى عنه فأبعد عنهم وهم يرمقونه بطرف خفى ثم قال أمانة الله يا صباح اكتم أمرى فقلت نعم فكشف عن بطنه فاذا عصابة حرير معصوبة على بطنه فقال هذه علة أكتمها عن كل احد وحولى رقباء لكل واحد من أولادى يعدون أنفاسى على فمسرور رقيب المأمون وجبريل بن بختشوع رقيب الامين وفلان وفلان نسيته رقيب المؤتمن وكل منهم يحصى أيامى وساعاتى ويستطيل عمرى وحياتى وبظهر ذلك الآن منهم أن أطلب منهم برذونا لركوبى فيأتونى به أعجف ضعيفا يزيد فى علتى ويضاعف على مرضى ثم طلب منهم برذونا لركوبه فأتوه ببرذون عاجز منقطع يتعب راكبه كما ذكروهو يداريهم ويصبر على ما يكابده منهم فنظر الى

نظرة حزين مكروب وركب ذلك البرذون فقبلت رجله وودعته وهم ينظرون الى نظرة خفت عاقبتها وكفاني الله تعالى شرهم واستمر الرشيد عليلا الى أن بلغني وفاته بطوس رحمه الله تعالى فانظر الى هذا الملك الجليل والخليفة النبيه النبيل والسلطان الذي قل ان يوجد له مثيل وهو عاجز في يد غلمانه مغلوب عليه في ملكه وسلطانه متحسر على عظيم شانه متاسف على علو مكانه بيده خزائن الارض ولا يملك منها نقيرا ولا قطميرا ولا يقدر على كل شيء وكان ربك قديرا * ولما جردت المنية موسى الحمام على هرون ومزقت ثياب رشد الرشيد بمخالب المنون وخلعت عنه خلع الخلافة والسلطان وغسلته بماء الدموع الممزوج بدماء الاجفان وحنطته بحنوط أعماله (٨٠) وأدرجته في أكفان خصاله وخلاله ونقلته من سرير السعود الى اخدود اللحود فمضى كانه لم يكن شيئا مذكورا وكان أمر الله قدرا مقدورا * وقد حكى الرشيد انه كان رأى مناما انه يموت بطوس فلما وصل الى طوس وقد غلب عليه الوعك عرف انه ميت فبكى واختار لنفسه مدفنا وقال احفروا لي قبرا في هذا المحل فحفروا له فقال قربوني الى شفيره فحملوه في قبة الى ان نظر الى القبر فسالت عبرته وزادت عبرته وقال يا ابن آدم الى هذا تصير ولا بد من هذا المصير وامر ان ينزل الى لحده من يقرأ ختمة فيه ففعلوا ذلك فمات وصلى عليه ابنه صالح والحد في القبر بطوس لثلاث مضين من جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين ومائة وتقدم ان مولده بالري سنة ثمان وأربعين ومائة وكانت مدة ملكه ثلاثا وعشرين سنة وشهرين ونصف رحمه الله تعالى

الاجماعة بحصيهم العدد فترددت الرسل من الجانبين السيد حمود والشريف سعد الى عماد أفندي وكان عين الدولة بمكة لانه صنجق جدة وشيخ الحرم المكي وقعت رجة عظيمة بمكة في التولية على المسلمين فمن يقوم مقام الشريف زيد بين ولده الشريف سعد والسيد حمود بن عبد الله وقام كل من الرجلين أشد قيام وجمع الجموع وبذل المال وتحصنوا في البيوت والمنائر فرد الامر الى عماد أفندي شيخ الحرم فاستحسن تولية الشريف سعد فأرسل الخلعة اليه فلبسها في بيته فقيل لعماد افندي ان الشريف زيدا كان قد أخذ أمرا سلطانيا من الدولة لابنه السيد محمد وكتمه لامر خشيه ولم يظهره خوفا من الاختلاف فهو ولي العهد بعده فقال قولوا للشريف سعد بشرط انك قائمقام فجاء جماعة من الاشراف من جهة السيد حمود يراجعون عماد أفندي فقال لهم نحن البسنا الشريف سعد بشرط انه قائم مقام أخيه السيد محمد يحيى لانه هو القائم بعد أبيه بأمر سلطاني فلم يردوا له جوابا ورجعوا الى بيت السيد حمود فأخبروه وفي خلاصة الاثر انهم راجعوا عماد أفندي فقال له بعضهم وهو السيد مبارك بن فضل بن مسعود نحن حمود شيخنا وكبيرنا ولا نرضى الا به وكان عبد عماد أفندي السيد راجح بن قايتباي من جانب الشريف سعد فوقع بينهما كلام طويل ثم ذهب الاشراف الى الشريف حمود وكان للشريف زيد عبد حبشي اسمه بلال ومملوك تركي اسمه ذو الفقار وكان شيخا للعسكر وأوصاه الشريف زيد على بنيه فقام عليهم أحسن قيام وكان ذا هيبة ورأى سديد فقام على قدميه وشمر عن ساقيه ورتب العسكر في المواضع الحصينة والسيد حمود لم يبرح من بيته بين بني عمه وشيعته ونار الفتنة قائمة أشد قيام

*(جلوس الشريف سعد بن زيد للتهنئة بالامارة سنة ١٠٧٧)*

فجلس الشريف سعد للتهنئة ودعا مشايخ العرب وأهل الادراك وفعل ما تفعل الملوك حال الجلوس وامتدحه الشعراء بعدة قصائد وفي اليوم الثالث من جلوسه حصل اضطراب عظيم من بعد الظهر الى بعد العصر بين الشريف سعد والسيد حمود وكل منهما جمع جيوشه وتحصنوا في البيوت والمنائر وركب جماعة السيد حمود على الجبل الذي خلف بيته وعلى الجبل المعروف بجبل عمر وتراموا بالرصاص من بعد ولم تحصل مواجهة واستمر بهم الحال وكل يوم يصبحون في قيل وقال وكل من الفريقين واقف على قدميه كالسبع الصائل ولما كان اليوم الثالث عشر وقع الاتفاق بين الشريف سعد والسيد حمود على قدر معلوم من المعلوم وعينت جهاته وكان يوما عظيما عند الناس وحصل بذلك الامن وارتفع الباس وأمر الشريف سعد بالزينة ثلاثة أيام ثم كتب محضر من الشريف سعد الى الدولة العلية بانهاء ما صار من وفاة الشريف زيد وجلوس الشريف سعد بعده والتماس تأييده

﴿فصل﴾ ولما توفي الرشيد ولي الخلافة ولده محمد الامين وكان مليح الصورة أبيض جميلا فصيحا بليغا سيئ التدبير وبقائه كثير التبذير ضعيف الرأي أرعن لا يصغي الى قول المشير * ولما ولي الخلافة اتخذ اللهو شعارا وشرب الخمر جهارا وخلع العذار في العذارى واشترى عريب المغنية بمائة ألف دينار وجارية ابن عمه ابراهيم بن المهدي بعشرين الف الف دينار وعزل أخاه المؤتمن وخلع أخاه المأمون وأرسل الى الكعبة المعظمة من جاءه بصحيفة عهد والده له ولاخويه فمزقها وعهد الى ولده له رضيع سماه الناطق بالحق ودعى له على المنابر وممن نصح الامين ومنعه عن هذا الغدر والنكث حازم بن خزيمة فقال له يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك ولن يغشك من صدقك واني أنصحك وأصدقك ولا أكذب في نصحك لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على

نكث العهد فينكثون عهدك وان الغدر شؤم والناكث منكوب مغلوب وصاحب الحق مظلوم وجرت العادة بنصر المظلوم وتوجه القلوب اليه ورقة النفوس عليه ولذلك تأثير في الظاهر والباطن فأبى الامين منه ونبذ كلامه وعمل برأيه السقيم وصمم أشد تصميم وأرسل جيشا مع علي بن عيسى على أخيه المأمون عدتهم أربعون ألفا وأرسل المأمون لقتاله طاهر بن الحسين ومعه أربعة آلاف مقاتل فانهزم علي بن عيسى وقتل وذبح وتشتت عساكره وجاء طاهر بن الحسين برأسه الى المأمون وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقوى قلب المأمون بذلك وكثر أتباعه ومال الناس اليه فجمع الجموع وسار الى بغداد لقتال أخيه الامين ولازال أمر المأمون يحسن بحسن تدبيره وامتثال الناس اليه  ويضعف الامين في لهوه وغفلته ولعبه مع نسائه بحضرته واحتجابه عن أهل دولته الى ان هجم طاهر بن الحسين ودخل الى بغداد فجاء مسرور الخادم الى الامين وهو في جنب حوض مع جواريه يصيد معهن السمك من ذلك الحوض وكان وضع في أنف كل سمكة درة نفيسة شبكها بقضيب الذهب فكل من صادت من جواريه سمكة كانت الدرة التي في أنفها لصائدتها فرفع الامين رأسه الى مسرور فقال له ان طاهر بن الحسين دخل بعسكره الى بغداد فقال له دعني فان الجارية فلانة صادت سمكتين وأنا ما صدت شيأ فرجع مسرور راهنا واذا بالجند قد أحاطوا بدار الخلافة ونهبوها وأمسك طاهر ابن الحسين الامين بيده وحبسه فلما شاهد الامين هذا الحال قال لطاهر بن الحسين يا طاهر اعلم انه



ما قام لنا قائم قط فكان جزاؤه عندنا الا السيف فانظر لنفسك أو دع يلوح بأبي موسى الخراساني وأصحابه الذين بذلوا أموالهم في قيام الدولة العباسية فكان مآلهم الى القتل وهذه عادة الله تعالى فيمن ذكر من مقيمي الدول كعمرو بن سعيد أقام دولة عبد الملك بن مروان فقتله وأبي مسلم الخراساني أقام دولة السفاح فقتله المنصور وكعبد الله القائم بدولة العبيديين قتله عبيد الله المهدي وأمثال ذلك كثير فأثرت هذه الكلمات في قلب طاهر وصار يحذر منها الى أن كان آخر قتله بيد المأمون * ولما رأى طاهر بن الحسين بعد الاستيلاء على الامين وحبسه عدم سكون الفتنة أدخل أعاجم لا يعرفون اللسان على الامين وأمرهم بقتله فقتلوه فأخذ برأسه وطيف به في مدينة بغداد ونودي عليه هذا رأس المخلوع الى أن سكنت الفتنة وكان ذلك في المحرم سنة

خطوط الاعيان وذهب به عبد والده المذكور سابقا بلال أغا الى مصر وسلمه صاحب مصر فارسله الى الدولة العلية مع مزيد الاعتناء منه وأصحبه مكتوبا من عنده وصدر أيضا عرض آخر من السيد حمود بنقض ما كتبه الشريف سعد ولم يكن عليه الا خطوط السادة الاشراف وأرسله مع رجل من أهل مصر يسمى الشيخ عيسى فقضى الله عليه قبل دخوله مصر بيومين فوجدوا العرض في تركته فلم يجد نفعا وصدر أيضا عرض ثالث من السيد محمد يحيى بن زيد من المدينة لانه كان بها وعليه خطوط الاعيان من أهل المدينة وألزم السيد محمد يحيى نفسه أربعين ألف دينار لوزير الدولة العثمانية فلما كان اليوم الثاني والعشرون من رجب جاءت الاخبار الصحيحة بان الدولة العلية قد أنعمت على الشريف سعد بشرافة مكة وفي السادس والعشرين من رجب وصل رسول حضرة السلطان بالخلعة الشريفة والامر السلطاني فلبس الخلعة بالمسجد الحرام وقرئ الامر السلطاني وجلس للتهنئة وامتدحه الشعراء ولم يحضر هذا المجلس السيد حمود ولا أحد ممن معه من السادة الاشراف ثم استمر الشريف سعد والسيد حمود على كيفية حسنة وحالة مستحسنة الى أن حصل بينهما التنافر والفراق وقام كل منهما في مقاومة صاحبه على ساق وذلك باسباب عدم ايفاء الشريف سعد بما رتبه للسيد حمود من تلك المقررات والوعود فأزمع السيد حمود على الترحل عن البلاد ومفارقة العيال والاولاد فبرز الى وادي مر يوم الاربعاء ثامن ذي القعدة من سنة سبع وسبعين وألف وأرجفت الناس لهذا الخروج وخيف انقطاع السبل وأقام عن معه من السادة والاشراف والخدم والاتباع الى قدوم الحاج المصري فاجتمع بأميره السيد حمود ومعه السيد أحمد ابن محمد الحارث والسيد بشير بن سليمان فانهوا اليه الحال وعدم الوفاء من الشريف سعد فيما التزم لهم به من معاليمهم وقالوا لامير الحج اننا أيها الامير لا ندع أحدا يحج الا ان نأخذ ما هو لنا وكان قدره مائة ألف أشرفي فالتزم للسيد حمود ان ينقده الشريف سعد قبل الصعود خمسين ألفا منها فقبل ذلك وخلى سبيله ومن معه فلما دخل أمير الحج مكة خامس ذي الحجة خرج اليه الشريف سعد ولبس الخلعة المعتادة ثم كلمه أمير الحج فيما التزمه للسيد حمود ومن معه فصدق التزامه وأعطى خادم السيد حمود الحسين الالف قبل الصعود وبقي السيد حمود ومن معه بالوادي الى ثالث عشر وقيل عشرين من ذي الحجة فدخل مكة ومن معه من الاشراف وقصد أمير الحج وكبار العساكر الصلح بينه وبين الشريف سعد فترددت الرسل بينهم ثم عقدوا مجلسا حضره الامراء ووجوه أركان الدولة وعماد افندي لسماع الدعاوي التي بينهم فارسل الشريف سعد بلال أغا وكيلا عنه في الخصومة والدعوى فاغتاظ السيد حمود من ذلك وأراد الفتك به في ذلك المجلس فذهب مسرعا فزعا

فأرسل الشريف سعد أخاه السيد محمد يحيى وكيلا عنه وتطالبا على يد الحاكم الشرعي وطال المجلس ولم يقع بينهما اتفاق وادعى على السيد حمود بأنه أخذ أموال الامين طريق جدة فلم يثبت عليه ذلك بوجه شرعي وطلب مولانا السيد حمود ان يتوجه الى الديار المصرية ويرفع أمره الى الحضرة السلطانية فأذنوا له واتفق الحال على ذلك ثم لما توجه الحاج الشامي وسائر الحجاج توجه معهم حتى وصل الى بدر فتخلف عنهم وأقام بها فلما دخلت سنة ثمان وسبعين وألف توجه السيد حمود من بدر الى ينبع في شهر صفر وأرسل ولده أبا القاسم والسيد أحمد الحارث وولده السيد محمد والسيد غالب ابن زامل بن عبد الله بن حسن وجماعة من ذوي عنقا وأرسل معهم هدية الى صاحب مصر المسمى عمر باشا ومن جملة تلك الهدية ستة من الخيل فلما بلغوا الحوراء لاقاهم قاصد من ابراهيم باشا المتولي بعد عزل عمر باشا بمكاتيب متضمنة للامر بالاصلاح فرجع السيد غالب بن زامل صحبة القاصد لينظر ما يتم عليه الحال وأقام الباقون بالحوراء نحو خمسة عشر يوما ينتظرون الفرج بعد الشدة فلم يصل اليهم خبر بعد هذه المدة فساروا الى مصر فدخلوها ليلة عيد المولد وقدموا مكاتيبهم والهدية والخيل التي معهم لابراهيم باشا فأكرمهم وعظمهم وأضافهم واحترمهم فاستمر الحال كذلك الى شهر جمادى الآخرة ولم يرجع ذلك القاصد من مكة الى مصر فأشيع بها ان السادة الاشراف الذين بينبع قتلوا ذلك القاصد وحصل الهرج والمرج وجاءت الاكاذيب فوجا بعد فوج فأشار بعض الاشقياء على الباشا بمسك السيد أبي القاسم والسيد محمد الحارث ونقلهم من منزلهم الى محل آخر وجعل عليهم حرسا واستمر السيد حمود بينبع ولما ان سافر الحج وقع تنافر بين الشريف سعد وأخيه السيد محمد فانه طلب ان يكون له ربع مكة بشعار الدعاء مع الشريف سعد فامتنع الشريف سعد فخرج السيد محمد مغاضبا لاخيه ولحق بالسيد حمود بينبع فخرج الشريف سعد وضرب وطاقه بالزاهر لارادة لحوقهم ثم جاءه خبر ورود خلعة له من صاحب مصر فرجع الى مكة وجاءته الخلعة سابع عشر رجب ولما سمع السيد حمود باعتقال ولده أبي القاسم والسيد محمد الحارث لحقه من التعب ما لا مزيد عليه ثم جهز الباشا صاحب مصر تجريدة لقتال السيد حمود ومن معه خمسمائة من العسكر وعليهم صنجق فلما وصلت الى ينبع اعترضها السيد حمود والسيد محمد بن زيد ومن معهم من الاشراف وجمع من جهينة وغيرهم وقتلوا منهم نحو أربعمائة نفس واستولوا على أموالهم وقبضوا على الصنجق وحريمه وأولاده وقالوا هؤلاء رهائن في السيد أبي القاسم بن حمود والسيد محمد بن أحمد الحارث وأصيب في هذه الوقعة جماعة من الاشراف وقتل آخرون ولم يزل الصنجق عندهم الى ان مات ووصل خبر هذه الواقعة بمكة تاسع عشر رجب وحصل بمكة اضطراب عظيم ولما

وصل

ثمان وتسعين ومائة * قال محمد بن راشد أخبرني ابراهيم بن المهدي انه كان مع الامين لما حوصر قال فطلبني في ليلة مقمرة فجئته فقال ماترى في حسن هذه الليلة وضوء هذا القمر فاشرب معي نبيذا فسقاني ثم طلب جارية تغنيه فجاءت جارية اسمها ضعف فتطيرت منها وغنت بشعر النابغة الجعدي   كليب لعمري كان أكثر ناصرا * وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم   فتطير من ذلك وقال غني غير هذا فغنت تقول   أبكي فراقهم عيني فأرقها * ان التفرق للاحباب بكاء   ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر عداء   فقال لها لعنك الله أما تعرفين غير هذا فقالت   أما ورب السكون والحرك ان المنايا كثيرة الشرك   (٨٣)   ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء في الفلك   الا لنقل السلطان عن ملك قد زال سلطانه الى ملك   وملك ذي العرش دائم أبدا   ليس بفان ولا بمشترك   فقال لها قومي لعنك الله فقامت فعثرت في كأس بلور فكسرته فازداد تطيره فقال يا ابراهيم ما أظن أمري الا قد قرب واذا بصوت سمعناه من الشاطئ قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقام مغتما وقتل بعد ليلتين وقيل تجاوز الله تعالى عنه وعظم قتل الامين على المأمون وكان يريد أن يرسل به طاهر بن الحسين الى أخيه حيا ليرى رأيه فيه فحقد ذلك على طاهر حتى عاش طريدا بعيدا وآل أمره الى ما آل

* فصل * لما تم على الامين ما تم وكان ذلك على أمه زبيدة أعظم ما تم آل الملك الى عبد الله المأمون بعد قتل أخيه في سنة ثمان وتسعين ومائة * وكان من أتم رجال بني العباس حزما وعزما وعلما وحلما وفراسة وفهما سمع الحديث على جماعة وتأدب وتفقه وبرع في فنون التاريخ والادب ولما كبر اعتنى بالفلسفة وعلوم الادب فضل وأفضل ومحن الناس بالقول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان يعد من أكمل الخلفاء وكان يضرب المثل بحلمه * ومن انصافه انه رأى آل النبي صلى الله عليه وسلم أحق بالخلافة من غيرهم وهم بخلع نفسه وتفويض الامر الى علي بن موسى الكاظم وهو الذي لقبه بالرضا وضرب الدنانير والدراهم باسمه وزوجه ابنته وأمر بترك السواد ولبس الخضرة وجعله ولي عهده في الخلافة فاشتد ذلك على بني العباس وخرجوا عليه وبايعوا ابراهيم بن المهدي ولقبوه المبارك فثار المأمون عليه فهرب منه واختفى ثمان سنين ثم جاء الى المأمون في صفر سنة أربع ومائتين

وتوفى الامام على بن موسى الرضا فى سنة ثلاث ومائتين وأسف عليه المأمون وأراد اقامة غيره فذكر الصولى ان بعض نصحائه قال له انك فى برك بأولاد على بن أبى طالب كرم الله وجهه والامر فيك أقدر على برهم والامر فيهم وكلمه العباسيون فى اعادة لبس السواد فأبى فكرروا ذلك عليه الى أن أجابهم الى ذلك وأعاد شعار السواد وكان كثير الجهاد وهو الذى افتتح قره حصار وكان كثير العبادة قيل انه ختم فى شهر رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة وكان العلماء ممتحنين فى أيامه يجبرهم على القول بخلق القرآن فدعوا عليه فأهلكه الله تعالى * ويقال ان سبب موته انه اشتهى أكل سمكة تسمى الرعادة ان لمسها أحد أخذته النفاضة من ساعته لبردها فأكل فمات لوقته وماأمن المأمون من اظفار ريب المنون ونقل من الملك الى الهلاك جسمه المصون وواراه التراب عن الاحباب وسالت العيون ورجع الى ربه الكريم وانا الى الله راجعون وكانت وفاته لاثنى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين بأرض الروم ودفن فى طرسوس وفيه قال أبو سعيد المخزومى

هل رأيت النجوم أغنت عن المأ ... مون أو عن ملكه المأسوس
خلفوه بعرصتى طرسوس ... مثل ماخلفوا أباه بطوس

﴿فصل لمامات المأمون﴾ ولى بعده الخلافة أبو اسحق محمد المعتصم بن هرون الرشيد ﴿مولده سنة ثمانين ومائة * وكان يقال له المثمن لانه ثامن الخلفاء وثامن أولاد الرشيد والثامن من ولد العباس واستخلف سنة ثمان عشرة ومائتين وملك ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثمانية أيام وعاش ثمانية وأربعين سنة * وذكر الصولى قال كان مع المعتصم غلام فى الكتاب يتعلم معه القرآن فمات الغلام فقال له الرشيد يا محمد مات غلامك قال نعم ياسيدى واستراح من الكتاب فقال ياولدى وان الكتاب يبلغ منك هذا المبلغ وقال لمعلمه اتركه لاتعلمه شيأ فانشأ أعاميا يكتب كتابة مغشوشة ويقرأ قراءة ضعيفة وقال نفطويه كان المعتصم من أشد الناس قوة وبطشا كان يجعل زند الرجل بين اصبعيه فيكسره نقل ذلك الحافظ السيوطى وتلك قوة عظيمة ماوصل اليها أحد * قال وهو أول من أدخل الاتراك الدواوين وكان يتشبه بملوك الاعاجم وبلغ غلمانه الاتراك ثمانية عشر ألفا * وبعث الى سمرقند وفرغانة أموالا لشراء الاتراك وألبسهم أطواق الذهب والديباج وكانوا يطردون الخيل فى بغداد ويؤذون الناس فضاقت بهم البلد فشكاهم أهل بغداد الى المعتصم واجتمعوا على بابه وقالوا ان لم تخرج جندك

وصل الخبر الى مصر اشتد حنق صاحب مصر وأمر بقتل من بها من اتباع السيد أبى القاسم والسيد محمد الحرث وضيق عليهما بنقلهما الى حبس شنيع لايليق بهما وجمع العلماء واستفتاهم فى قتلهما فامتنعوا عن الافتاء بذلك فضيق عليهما الحبس واستمر الى ان عزل ابراهيم باشا وتولى حسين باشا جنبلاط فسأل عن حالهما من حين دخوله عن سبب حبسهما فأخبر بقضيتهما ثم تفحص الى الغاية عن حالهما بسؤالات كثيرة حتى ظهر له انهما مظلومان فامر بالافراج عنهما واحضارهما لديه فأكرمهما غاية الاكرام وخيرهما بين الاقامة والعود بعد ان أنزلهما فى بيت نقيب الاشراف وأكرمهما وأيضا بما لامزيد عليه ثم مشى السيد محمد الحرث الى مكة خفية على ركائب وتأخر السيد أبو القاسم بن حمود واستمر بمصر الى ان توفى بالطاعون ولم يزل السيد حمود بينبع بعد الواقعة المشروحة ثم انتقل الى الشرق ووقع له بالشرق وقائع مع مطير وبنى ظفر وبنى حسين ولم يزل على هذا الحال وهو فى غاية الاعزاز والاجلال الى ان أذن الله بالصلح بينه وبين الشريف سعد فوفد عليه السيد حمود بالطائف وقيل بالمبعوث سنة احدى وثمانين وألف فقابله بالاجلال والاكرام ثم دخل معه الطائف وتكاتبا وتعاهدا على تشييد مبانى الصلح المحكم الاساس بمرأى من ضريح سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وأقاما فى أرغد عيش بعد ذلك الطيش وفى سنة تسع وسبعين وقع غلاء وقحط بمكة حتى أكل الناس الكلاب والهرات والرمم العظام وأما بندر جدة فكان أعظم من ذلك فكانوا يرسلون الى مكة لطلب القوت وأهل الطائف اجتمع عليهم البرد والجوع والمخافة ووصلت كيلة الحب عندهم خمسين محلقا ثم لطف الله فوردت جدة المراكب المصرية بالغلال وجرايات أهل مكة وفى هذه السنة ورد مع الحاج الشامى حسن باشا وفوضت الدولة اليه أمر جدة ومشيخة الحرم المكى والنظر فى أمر مكة ولما دخل المدينة أغراه بعض الناس منهم محمد ظافر ببعض خدم مولانا الشريف سعد الذين كانوا بالمدينة فقبض عليهم وحبسهم بالقلعة ومنع الخطيب من الدعاء للشريف سعد وفى خلاصة الاثر ان سبب ارسال حسن باشا ان أهل المدينة رفعوا الى السلطان شكايات من الشريف سعد فلما بلغ الشريف سعدا مافعله حسن باشا بالمدينة أخذ حذره منه وجمع جموعا فلما دخل حسن باشا مكة دخلها وهو فى تخت الى باب السلام ثم استلم الصمر المكى ولم يقسم منه شيأ فدعا مولانا الشريف كبراء الحج وسألهم عن حال هذا الرجل وقال ليظهر مابيده ان كان بيده عزل أو توليه وكادت ان تقوم فتنة فالتزم له الامراء بانه لايقع منه محذور وتوثق منهم وخرج مولانا الشريف بالناس بعد اضطراب شديد وقع بمكة بحيث عزل السوق فلما ماج وزل فرق حسن باشا الصمر على أهاليه ولم يجتمع مولانا الشريف سعد بالباشا الى ان سعى

الا تراك عنا حاربناك قال كيف تحاربونى وأنتم عاجزون عن حربى قالوا نحاربك بسهام الاسحار ونسل عليك سيوف الدعاء فقال والله لا أطيق ذلك ولكن أنظرونى لا نظر لى بلدا أستقل بهم فيها ولا تتضررون بى وكفوا عنى سهام دعائكم فبنى مدينة سر من رأى بقرب بغداد وانتقل اليها فى سنة عشرين ومائتين وللمعتصم عدة غزوات مع الكفار أشهرها غزوة عمورية ظهرت له فيها اليد البيضاء ونصر فيها الملة المحمدية الغراء وخذل فيها الكفرة أعداء الدين وأعز فيها الاسلام والمسلمين • وملخصها ان ملك الروم كان اذ ذاك من أكبر ملوك النصارى أرسل كتابا للمعتصم يهدده فاستشاط غضبا فكتب له الجواب فلم يرضه شئ منها ومزق الكتاب الذى ورد عليه وأمر أن يكتب فى ظهر قطعة منها • بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ما تراه لا ما تقرؤه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار وتجهز من ساعته فمنعه المنجمون وقالوا ان الطالع نحس فقال هو نحس عليهم لا علينا وسافر من يومه وتلاحقت العساكر ووقع حرب عظيم قتل فيه ستون ألفا من النصارى وأسر منهم ستون ألفا وهرب ملكهم وتحصن بحصن عمورية فحاصره المعتصم ونزل به الى أن فتحه وأسر ذلك الملك الكافر وقتله وكان ذلك فتحا عظيما من أعظم فتوح الاسلام ومدحه الشعراء بقصائد طنانة وأحسن ما قيل فيها قصيدة أبى تمام التى سارت بها الركبان وطنت حصاتها فى الاسماع والآذان وهى

السيف أصدق انباء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى
متونهن جلاء الشك والريب والعلم فى شهب الارماح لامعة • بين الخميسين لا فى السبعة الشهب فتلاحقته
أين الرواية بل أين النجوم وما • صاغوه من زخرف فيها ومن كذب ولو تبين أمر قبل موقعه •
ما يخفى ما حل بالاوثان والصلب فتح تفتح أبواب السماء له • وتبرز الارض فى أثوابها القشب فتح الفتوح المعلى أن يحيط به •
نظم من الشعر أو نثر من الخطب تدبير معتصم بالله منتقم • لله مرتقب فى الله مرتقب لم يرم قوما ولم ينهض الى بلد
الا تقدمه جيش من الرعب لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا • من نفسه وحدها فى عسكر لجب عداك حر الثغور المستضاءة عن
برد الثغور على سلسالها الحضب حتى تركت عمود الشرك منعفرا • ولم تعرج على الاوتاد والطنب

بينهما أمراء الحج وضمنوا عدم المخالفة وطيبوا خاطر مولانا الشريف فاجتمع به فى الحرم ثانى محرم الحرام خلف مقام الحنفى ساعة وحضر أعيان الدولة وجمع من المسلمين وأصلحوا بينهما ثم قام مولانا الشريف الى منزله ثم ان مولانا الشريف أتاه الى منزله هو وأخوه الشريف أحمد بن زيد فلما أرادوا الانصراف ألبس كلا منهما قفطانا يليق به وقام مشيعا لهما الى باب الطريق وفى اليوم العاشر من محرم وصل المذكور الى زيارة مولانا الشريف فاجتمع به ولما أراد القيام أمر له مولانا الشريف بفرس تساوى ألف دينار فنزل من عنده وسافر من وقته الى جدة ثم ظهر منه غاية الشقاق كما سيأتى وفى ثالث ربيع الاول من هذه السنة ثار عسكر مولانا الشريف من تأخير المرتبات وتعصبوا مع شيخ اليمنية ونهبوا ما قدروا عليه من السوق فأقاموا بالمعلى يوما وليلة ثم نزلوا متوجهين الى اليمن فخرج اليهم السيد حسن بن زيد وضمن لهم الوفاء ورجع بهم وفى الخامس من ربيع الاول دخل السيد محمد يحيى بن زيد مكة مصالحا لاخيه مولانا الشريف سعد فتكلمت العساكر المقيمون بمكة مع مولانا الشريف فى أمره وانه كان ممن أثخن القتل بينبع فى العسكر مع السيد حمود فأظهر لهم مولانا الشريف كتابا من الباشا صاحب مصر فيه الامر باصلاح الاشراف المطلوب بين مهما أمكن وسجل ذلك عند قاضى الشرع فسكنت الفتنة وفى خامس عشر ربيع الآخر وقعت منافرة بين عسكر مولانا الشريف فافترقوا فرقتين وتقابلوا بالسيوف على باب مولانا الشريف وحصل فى الفريقين جراحات ثم اصطلحوا وفى هذا الشهر توجه مولانا السيد محمد يحيى الى قبيلة بنى سعد لخروجهم عن الطاعة فلم يقدر عليهم فأرسل الى أخيه مولانا الشريف سعد يعرفه بذلك فأرسل اليه بجموع جزيلة وقبيل وصولهم دانوا للطاعة على اعطاء جميع الاموال وسلامة الارواح وفى ثانى رجب من هذه السنة وصل الى بندر جدة سلطان من سلاطين العجم فارسل اليه مولانا الشريف من يقابله ومعهم تحوت ثم دخل مكة وادى الحج ونال منه مولانا الشريف مالا عظيما وفى شهر رمضان فى التاسع منه من هذه السنة وقعت صاعقة بمكة قتلت رجلا وفى هذه السنة طلب مولانا السيد أحمد بن زيد من أخيه أن يكون شريكا له فى مكة فوافقه على ذلك وفوض اليه ربع مدخول مكة فطلب أن يدعى له فى المنبر معه فامر مولانا الشريف بذلك ثم عرض الى السلطنة وطلب تقرير ذلك فجاءت المراسيم بذلك ولما جاء الحج ألبس كل منهما خلعة وفى سنة احدى وثمانين وألف لما كان يوم الجمعة السادس والعشرين من رمضان دخل المسجد رجل أعجمى بيده سيف والخطيب يخطب وهو ينادى بالفارسية انه المهدى وجلس فى صحن الطواف الى ان فرغ الخطيب فلما أراد ان ينزل قصده الاعجمى بالسيف وأراد ضربه فرد فى وجهه باب المنبر

ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب     خليفة الله جازى الله سعيك عن
جرثومة الدين والاسلام والحسب     ان كان بين صروف الدهر من رحم * موصولة أو ذمام غير منقضب
فبين أيامك اللاتى نصرت بها * وبين أيام بدر أقرب النسب     انظر الى هذا الدر المنضود والجوهر الذى يزرى بجوهر العقود
وتنزه فى رياض ألفاظه ومعانيه واجتنى ثمار البلاغة من مقاطف أزهاره ومجانيه وخذ بالحظ الوافر من ذوق تراكيبه ومبانيه
* وكان المعتصم من أغلظ الخلفاء الذين ألزموا الناس بخلق القرآن وجبر علماء الاسلام على ذلك وأذاقهم الهوان وهذه من أعظم
خلاله الرديه مع انه كان عاميا لاحظ له من الكمالات العلميه بل حمله على ذلك مجرد الجهل والعصبيه وما كان
أغناه هو وأخوه عن الزام العلماء بهذه الجهليات عدوانا وبغيا وما لهم والدخول فى هذه المسالك الضيقة ضلالا وغيا وما حملهم على ذلك غير الجهل والغرور بهذه الدنيا فما أسرع ما ذهبوا وذهب غرورهم وعزهم بددا ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا * ولما جرد عليه الاجل سيف المنون ما عصم المعتصم ظهور الحصن ولا بطون الحصون
ولا منعه عن حسام الحمام مال ولا بنون
كل حى لاقى الحمام فمردى
ما لحى مؤمل من خلود
لا تهاب المنون شيأ ولا تر
عى على والد ولا مولود
يقدح الدهر فى شماريخ رضوى
ويحط الصخور من هبود
ولقد تنزل الحوادث والاي
ام وهنا فى الصخرة الجلمود
وأرانا كالزرع يحصدنا الده
ر فمن بين قائم وحصيد     يحكم الله ما يشاء ويمضى * ليس حكم الله بالمردود     ليس ينجى من المنون حصون
عاليات ولا حصار حديد     ومن أرجى دعائه لما احتضر اللهم انك تعلم انى أخافك من قبلى لا من قبلك وأرجوك من قبلك لا من قبلى
فيا من لا يزول ملكه ارحم من ملكه قد زال ملكه * وتوفى الى رحمة الله يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة
سبع وعشرين ومائتين ﴿فصل﴾ وولى الخلافة بعد المعتصم أبو جعفر ولقب الواثق بالله فى تاسع ربيع الاول سنة ثمان وعشرين
ومائتين * ومولده لعشر بقين سنة ست وتسعين ومائة وأمه أم ولد رومية اسمها قراطيس واستخلف تركيا اسمه أشناس ولقبه
بالسلطان وهو أول خليفة استخلف سلطانا وألبسه وشاحين وتاجا مجوهرا وتبع أباه فى القول بخلق القرآن ثم رجع عن ذلك آخر

فتلاحقته العامة من العساكر المجاورين فضربوا الاعجمى بالسيوف الى أن أثخنوه جراحة وسحبوه
الى ان أخرجوه من باب السلام ثم جرته العامة الى المعلى وجعلوا عليه قمامة وأحرقوه ولما نزل الى
جدة حسن باشا المتقدم ذكره بارز مولانا الشريف بالعداوة وقطع معاليمه من جدة وطلع الى الحج
ختام سنة احدى وثمانين وقيل اثنتين وثمانين وألف فلما فرغ من تعريفه توجه الى المزدلفة ثم الى
منى وأقام بها فلما كان اليوم الثالث من أيام منى رمى برصاصة وقيل بثلاث رصاصات عند غروب
الشمس تجاه جمرة العقبة وهو منحدر الى مكة فأصيب فى فخذه فوقع من فوق حصانه فاحتمله العسكر
الى التخت ونزلوا به وقتلوا من وجدوه تجاههم من الحجاج والفقراء الى ان وصلوا باب الباسطيه
مسكنه وبلغ مولانا الشريف الخبر فنزل من منى بمن معه من العسكر والاشراف فى لباس الحديد
ونزل الى بيته واعتدت عساكر حسن باشا للحصار وجعلوا المدافع على باب السدرة ورباط الباسطية
ومن جهة باب الشبيكة ومن جهة سويقة فاقتضى الحال تحرز مولانا الشريف أيضا ولم يزل
الحال هكذا الى الصبح فاجتمع أمراء الحج بمولانا الشريف فأخبرهم ان هذا الامر ليس لى به خبر وقد
وقع ذلك والله أعلم بفاعله ولا لنا علم به وطالب مولانا الشريف بمحاسبته ما دام فى قيد الحياة عما هو له
من مدخول جدة لانه منعه من غير أمر يقتضى ذلك بعد انعام السلطنة على به وصمم فى الدعوى
ووكل الخواجا محمد سعيد بن مصطفى السبورى وزير جدة من جهته فجاء الى حضرة القاضى وادعى
على الباشا المذكور وأحضر دفاتر بندر جدة فصح لمولانا الشريف عنده أربعة وعشرون ألف
قرش فتوسطت الامراء فى ترك البعض فأخذ عشرة آلاف وسامح بأربعة عشر ألفا وقيل كان المبلغ
ثلاثين ألفا فترك عشرة وأخذ عشرين ثم ان الباشا المذكور توجه الى جدة فى سابع عشر ذى الحجة
ثم توجه الى المدينة المنورة فلما دخلها وأقام بها أياما حسن له محمد ظافر السابق ذكره ان يبعث الى
مولانا السيد أحمد بن محمد الحرث بن الحسين بن أبى نمى ويوليه شرافة مكة فبعث اليه فجاء الى المدينه
فألبسه حسن باشا خلعة فى الروضة الشريفة ونادى له فى البلد وأمر بالدعاء له على المنبر وأرسل الى
جدة يريد ذخيرة ليتوجه بها الى مكة فلما بلغ مولانا الشريف الخبر توجه الى ينبع وتحقق ان حسن
باشا ألبس الشريف أحمد الحرث
* (صورة ما كتبه الشريف سعد للسيد أحمد بن الحرث حين ولاه حسن باشا امارة مكة بالمدينه) *
فكتب الى السيد أحمد كتابا سلك فيه مسلك مثله من الاعتراف بحق الاكبر مع مزيد اللطافة
ومضمونه كما فى تاريخ العصامى بعد مزيد الثناء وحميد الدعاء ان هذا الذى سمعنا به من تقمصك لبرد
الملك وأثوابه فهذا أمر أنت بيته الاعلى ومثلك أحرى به وأولى فانك أنت الشيخ والوالد الحائز لكل

عمره • قال الخطيب كان أحمد بن داود حاضرا فقال الرجل وهو مكبل بالحديد أخبروني عن هذا الرأي الذي دعوتم الناس اليه هل هو علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدع الناس اليه أولم يعلمه فقال ابن داود بل علمه فقال فكان يسعه ان لا يدعو الناس اليه وأنتم لا يسعكم فبهتوا وضحك الواثق وقام قابضا على فمه ودخل بيته ومد رجليه وهو يقول وسع النبي صلى الله عليه وسلم ان يسكت عنه ونحن لا يسعنا وأمر ان يعطى الرجل ثلثمائة دينار وان يرد الى بلده ولم يمتحن أحدا بعدها ومقت ابن داود من يومئذ ولم يرتفع له شأن والرجل هو أبو عبد الله بن محمد الازدي شيخ الكسائي • وكان الواثق عالما شاعرا حاذقا كثير الاكل أكثر بني العباس رواية للشعر ومن شعره في واقعة حال له

(٨٦)

حياك بالنرجس والورد • معتدل القامة والقد

فألهبت عيناه نار الجوى • وزاد في اللوعة والوجد

أملت بالملك وصالا به • فصار ملكي سبب البعد

مولى تشكى الظلم من عبده • فأنصفوا المولى من العبد

قال الصولي أجمعوا على انه ليس لاحد من الخلفاء مثل هذه الابيات في الرقة واللطف • مات بسر من رأى يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين • وحكي انه لما مات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جرذون واستل عينيه وأكلها فسبحان العزيز المتعال وتبارك القوي القادر ذو الجلال بيده الملك لا يزول ولا يزال (ثم ولي بعده أخوه أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد العباسي) مولده سنة خمس ومائتين وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات أخوه فيه وأمه أم ولد تركية اسمها شجاع وكان كريما ما أعطى خليفة شاعرا ما أعطاه المتوكل وكان سنيا سنيا أظهر السنة وأكرم علماء الحديث وأمات البدع ومنع القول بخلق القرآن وألبس النصارى بلباس الغل وشنع على الجهمية والمعتزلة وأمر نائبه بمصر ان يحلق لحية قاضي مصر ابن أبي الليث ويطوف به الاسواق على حمار لانه كان جهميا معتزليا يقول بالجهة وخلق القرآن • ومن أفعاله الشنيعة انه هدم قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما في سنة ست وثلاثين ومائتين وهدم ما حوله من الدور وجعل مزرعة ومنع من زيارته فتألم الناس لذلك وكتبوا شتمه على الحيطان وقيل فيه

تالله ان كانت أمية قد أتت • قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله • هذا لعمري قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا • ...

طريف من الكمال وتالله فان كان هذا محكم الاساس والبنيان جاريا على مقتضى رسوم السلطان فنحن بالطاعة أعوان وان كان الامر خلاف ذلك وانما كان من تسويلات هذا الظالم الغادر وتمويهات ذلك المذمم الغير الظافر فاجل حلمك ان تستخفه أو ان تستنزله اخلاط الاشارب وغوغاء الجيش فارسل اليه بالجواب مولانا السيد أحمد بأن الامر لم يكن على هواي وانما هو الزام مع علمي بان هذا الابتداء لا يكون له تمام والسلام ولما بلغ حسن باشا ان الشريف سعد قد ذم جميع أحواله وعزم على حربه وقتاله وتجهز للمسير اليه والركوب عليه وضع في الحواء من حديد قريبا من مائتين غلا بالرصاص والحديد يرمي بها من بعد الى الجيش فثبطه السيد أحمد الحارث عن ذلك وسهل الامر فيما هنالك فتحرك الحركة واستقر وأقام بالمدينة واستمر وكان السيد حمود بن عبد الله بالمبعوث فبعث اليه السيد أحمد الحارث وحسن باشا يطلبانه اليهما للمعونة واتفق ان مولانا الشريف سعد بعث اليه أيضا يطلبه ويستدنيه ويخبره بما وقع فاتفق وصول الرسولين اليه في يوم واحد فتوجه قاصدا جهة مولانا الشريف سعد فوصل اليه وهو بمجابا القرب من ينبع كذا في تاريخ البخاري وفي خلاصة الاثر فعزم سعد وأحمد الى المدينة وصمما على القتال وكان حمود نازلا بالمبعوث في المربعة المنسوبة الى السيد محمد الحارث فأتاه السيد أحمد بن حسن بن حراز رسولا من الحارث وحسن باشا بكتابين يستدعيانه اليهما للانضمام ووعداه بما يريده من الجهات والمعينات ومضمون كتاب ابن الحرث بعد الثناء واظهار الود والشوق ان أخاك لم يكن له هذا الامر ببال ولم يلتفت اليه بالمقال والحال وانما الحقني ولدي محمد الى الشعري وكرر علي القول مرة بعد أخرى ولم أوافقه حتى رأيت جدك النبي في المنام قائلا لي وافق ودع الاوهام فحينئذ رجعت والقصد اني أخوك الذي تعرفه ولا تنكره فأقبل الينا فهو أعظم جميل نذكره ففكر حمود ساعة وقال كأني برسول سعد يصبحنا ان لم يمسنا فقبل الغروب اذا براكب منيخ فتقدم اليه وأخرج مكتوبين من سعد وأحمد مضمونهما استحثاثه في المسير اليهما وان حسن باشا قد شمر عن ساقيه للحرب وكشر عن نابيه للطعن والضرب واستشهد سعد بقول الشاعر

وما غلظت رقاب الاسد حتى • بأنفسها تولت ما عناها

وأتبعه بقوله وأنت تعلم ان الامر الذي يعنينا يعنيك وأدرى بما يؤول اليه الامر في ذلك وهذه ألف دينار صحبة الواصل اليك فأدرك أدرك أدام الله فضله عليك فقال له بعض الحاضرين ما رأيت لمن تتوجه قال الى سعد صاحب الفضل ومولاه فان بيني وبينه في ضريح الحبر عبد الله عهودا والعارضي فيها والذي عبد الله لكفحت وجهه بالسيف دون ذلك ثم توجه على الركائب يومه الثاني وقوض

في قتله فتتبعوه ورموا وهذا الفعل السيئ محا جميع محاسنه وصار ماء عذب من زلال احسانه مغلولا باجاجه وآسنه وعدت عليه هذه الزلة أقبح فضيحة وهذه الخلة الشنيعة أقبح من كل قبيحة * و وقعت في أيامه عجائب منها ان النجوم ماجت في السماء وتناثرت كالجراد ولم يعهد قط مثل ذلك ورجمت قرية السويداء بناحية مصر بحجار من السماء فوزن حجر منها فكان عشرة أرطال وسار جبل باليمن عليه مزارع الى جبل آخر ووقع في قرية طائر دون الرخمة فصاح يامعشر الناس اتقوا الله أربعين مرة وجاء من الغد ففعل ذلك فكتبوا الخبر ذلك على البريد الى بغداد وكتبوا فيها شهادة خمسمائة انسان سمعوا ذلك باذانهم وذلك في رمضان سنة احدى وأربعين ومائتين وحصلت الزلازل وغارت عيون مكة فأرسل  المتوكل الى مكة مائة ألف دينار ذهبا لاجراء ماء عين عرفات اليها فصرف فيها الى ان جرت ذكر ذلك السيوطي رحمه الله * وذكر الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في كتابه اتحاف الورى بأخبار أم القرى في حوادث سنة خمس وأربعين ومائتين فيها غارت عين مشاش وهي عين مكة فبلغ ثمن القربة درهما فبعث المتوكل على الله جعفر بن المعتصم مالا فأنفق عليها حتى جرت كذا ذكره ابن الاثير في تاريخه وهذه العين من عمل زبيدة وهي عين بازان ظننا انتهى * قلت عين مشاش موجودة الى الآن وهي من جملة العيون التي تنصب في دبل عين حنين وهي تجري وتضعف أحيانا بقلة المطر ومحلها معروف * ولما كثرت المماليك في بغداد ودخلوا في أمر الملك استولوا على المملكة وصار بيدهم الحل والعقد والولاية والعزل الى أن حملهم الطغيان على العدوان وسطوا على الخليفة المتوكل لما أراد ان يصادر مملوك أبيه وصيف التركي لكثرة أمواله وخزائنه فتعصب له باغر التركي وانحرف الاتراك عنه فدخل باغر عليه ومعه عشرة أتراك وهو في مجلس انسه وعنده وزيره الفتح بن خاقان بعد ان مضى من الليل ثلاث ساعات فقال الفتح ويلكم هذا سيدكم وابن سيدكم وهرب من كان حوله من الغلمان والندماء على وجوههم وبقي الفتح وحده والمتوكل غائب عن نفسه من السكر فضربه باغر بالسيف على عاتقه فقده الى خصره فطرح الفتح نفسه عليه فضربهما باغر ثانية فماتا جميعا فلفهما معا في بساط ومضى هو ومن معه ولم ينتطح في ذلك شاتان * وكان قتله في ليلة الاربعاء لليلتين مضتا من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين في القصر الجعفري وكان بناه المتوكل ولما قتل

الاخيبة وفارق المباني حتى وصل الى سعد وأخيه وهما بمحل يقال له مجلافوا في ذلك عزل حسن باشا وأتى الخبر لمولانا الشريف سعد بالخزانة والذخيرة التي طلبها حسن باشا فأرسلت له من جدة فتعرضها وأخذها عن آخرها وقسمها على من عنده ثم جاء الخبر من السلطنة بعزل حسن باشا وطلبه الى الابواب وجاء لمولانا الشريف خلعة مع ذلك القاصد فلبسها ثمة وفي خلاصة الاثر عند ذكر هذه الخلعة وكان ارسالها مضمر بامر المكايد وتوجه القاصد بخبر العزل الى المدينة فتوجه حسن باشا من المدينة على طريق غزة وتوفي في الطريق وتوجه معه محمد ظافر واغاة القلعة وذهب محمد ظافر الى غزة ثم الى مصر ثم انقطعت الاخبار عن مولانا الشريف وكثرت الاقاويل عند الوزير حتى قيل انهم أحضروا اليه ثوب الباشا الذي ضرب بالرصاص فيه وزاد الاعداء في الكلام وكان الشيخ محمد بن سليمان المغربي المشهور بالروداني اذ ذاك في القسطنطينية وكان مجاورا بالمدينة ثم بمكة وله عداوة مع الشريف سعد وذلك انه تشفع عنده في شفاعة فلم يقبلها ثم سافر الى الروم واتصل بالوزير واجتمع بالسلطان محمد بن ابراهيم وطلب منه ان يزيل أشياء كانت بمكة فأمر السلطان بابطالها فلما كانت قضية حسن باشا حضر عند الوزير وانفتح ذلك المجال فوجد مكانا فسيحا للمقال فعند ذلك أمر الوزير الاعظم باخراج أمر سلطاني الى صاحب مصر أحمد باشا بتجهيز ثلاثة آلاف عسكري من مصر الى مكة وكتب الى حسين باشا صاحب حلب ان يحج في هذا العام بألفي عسكري وينظر في أمر الحرمين ولا يبرم شيأ دون اشارة الشيخ محمد بن سليمان وأمر الشيخ بالحج واصلاح البلد وتولية من يرى فيه الصلاح وجعل اليه أمر ذلك فلما كان ثالث شوال ورد من مصر الخبر بتجهيز العساكر الى الجهة الحرمية وكثر الهرج والمرج واستمر مولانا الشريف بينبع الى ذي القعدة فرجع ووصل الى مكة يوم الحادي عشر من ذي القعدة

﴿ غريبة ﴾

ولما كان يوم الثالث عشر من ذي القعدة جاء رجل من أهل وادي الجموم معروف بالخير عليه آثار الجذب وانفرد عن الناس ونادى بأعلى صوته من الشبيكة وهو سائر الى ان وصل المعلى وهو يقول يا أهل مكة أشهدكم وأشهد الله وملائكته اني أديت الامانة الى شريف مكة وهو ان أمرا يريد ان ينزل بأهل هذه البلدة عقوبة فليخرج بجميع الناس يوم الجمعة يصلي بهم ركعتين ايرفع هذه البلاء بذلك عن أهل هذه البلدة وقد أديت ما أمرت بتبليغه فوصل خبره الى مولانا الشريف فاستدعاه وسأله عن حاله فقال أنا رجل مقيم بالريان فصليت البارحة العشاء ونمت ثم قمت لصلاة أصليها فاغتسلت من عين هناك فغشيني نور طبق الافق فجهدت خشية ثم رفعت رأسي وأنا كالغائب

دفن فيه رحمه الله تعالى هو و وزيره الفتح بن خاقان رحمهما الله تعالى * وكانت خلافته أربعة عشر عاما وعمره احدى وأربعون سنة (وولى بعده ولده محمد أبو جعفر المنتصر بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن هرون الرشيد العباسي) بويع له بالخلافة بعد قتل أبيه ولم يتهن بالملك لاستيلاء المماليك الاتراك على المملكة ويقال انه واطأ الاتراك على قتل أبيه ليلي الخلافة بعده والله أعلم بذلك * وكان على حذر من الاتراك ويسبهم ويقول هؤلاء قتلة الخلفاء فلم يأمنوه وأرادوا قتله فما أمكنهم الاقدام على ذلك لشدة محاذرته منهم فدسوا الى طبيبه بن طيغور ثلاثين ألف دينار عند توعكه ليسمه فقصده بمبضع مسموم فأحس بذلك وأراد قتل الطبيب فقال انك تصبح طيبا وتندم على قتلى فامهلني الى الصبح فأمهله فأصبح ميتا * ويحكى انه بات ليلة في وعكه فانتبه فزعا وهو يبكي فسألته أمه ما يبكيك فقال أفسدت ديني ودنياي رأيت والدي الساعة وهو يقول قتلتني يا محمد لاجل الخلافة والله لا تتمتع بها الا أياما قلائل ثم مصيرك الى النار فاستمر مهموما من هذا المنام فما عاش بعد ذلك الا أياما قليلة وذكر ابن يحيى المنجم ان المنتصر جلس يوما للهو وأمر بفرش بساط من ذخائر الخزينة تداولته الملوك ففرش فرأى فيه صورة رأس عليه تاج وعليه كتابة بالفارسية فطلب من يستخرج تلك الكتابة فاحضر لذلك رجل من الاعاجم فقرأه بلسانه وعبس عند قراءتها فسأله المنتصر عنها فقال لا معنى لها فألح عليه فقال هي أنا الملك شيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت أبي فلم أتمتع بالملك الا ستة أشهر وهي مشهورة فتغير وجه المنتصر لذلك وأقام من ذلك المجلس وترك اللهو الذي أراده وصار مغتما مهتما به * وكان على خلاف رأي أبيه في آل أبي الحرب طالب وعاد قبر الامام الحسين بعد ما كان هدمه أبوه وأمر بزيارته ورد على آل الحسين حائط فدك * وقصته مشهورة وهي مما تنقمه الشيعة على سيدنا أبي بكر رضي الله عنه وانما فعل ذلك لحديث سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة ووافقه على ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي سيدنا على بن أبي طالب كرم الله وجهه ولم ينقض ذلك الحكم لما آلت الخلافة اليه لعلمه أن ذلك هو الحق وماذا بعد الحق الا الضلال وكانت خلافة المنتصر ستة أشهر كما توهمه * وقال أبو منصور الثعالبي رحمه الله في العجائب ان أعرق الا كاسرة في الملك شيرويه قتل أباه فلم يعش بعده الا ستة

فشاهدت النور قد اجتمع دائرة مكتوبا فيها نحو اثنى عشر سطرا أولها لا اله الا الله والثاني الله نور السموات والارض والثالث مخط لخط مخط ولم أعرف بقية الاسطر غير هذه الثلاثة فأردت ان أميل الى جهة اليمين فرأيت من أخذ بشقي الايسر فاردت ان أميل الى الايسر فأخذت من الايمن فقلت من أنت وقد غمرتني رائحة المسك فقال اسمع وع انا سمشائيل رسول جبريل من رب العالمين اذهب الى مكة وأبلغ صاحبها السلام وناد بأعلى صوتك من أسفل مكة الى أعلاها وقل للملك ان سلمت يوم عرفة سلمت فأمر مولانا الشريف بالاحسان اليه ثم صرفه وعاد من يومه ولم يعد مولانا الشريف رأيا في قوله وحمل الناس قوله على التخليط والتغليط واذا نظرت الى ما وقع بعد ذلك علمت صدق الدعوى ولما كان يوم الثالث والعشرين من ذي القعدة وصل ثلاثة آلاف من العسكر ورئيسهم محمد جاوش ونزلوا بجرول خارج الشبيكة فخرج اليهم الوزير والحاكم وبعث مولانا الشريف لمحمد جاوش هدية من جملتها فرس عربية مذهبة وكذلك أخوه الشريف أحمد فشكر فعلهما ثم اجتمعا به واستخبراه عن مجيئه بهذا العسكر فلم يخبرهما وقال لا علم لي وانما جهزت بهذا العسكر الى مكة وقيل لي يصل اليك مع الحج حسين باشا صاحب حلب والامر اليه وأمرني حضرة الباشا صاحب السعادة ان لا أدخل البلد بهذا العسكر ثم جاء كتاب من الشيخ محمد بن سليمان لمولانا الشريف من المدينة يخبره بوصوله مع حسين باشا وانه من المحبين لكم فقابلوه بما يليق به فانه عين للوزير الاعظم فلما قرأ الشريف كتابه أمر القاضي امام الدين بن الشيخ أحمد المرشدي ان يتلقى المشار اليه وأرسل معه كاتب الجراية محمد جلبي وفي اليوم الثالث من ذي الحجة بعث مولانا الشريف لمحمد جاوش ان يترفع عن طريق العرضة يوم خروج الشريف للقاء الامير ولبس الخلعة فامتنع من ذلك فعند ذلك ظهر لمولانا الشريف المراد من هذا المنزل وفي اليوم الخامس من ذي الحجة ورد الامير المصري وانتظر مجيء مولانا الشريف للخلعة فلم يأته فأرسل اليه يسأل عن سبب التأخر فأخبره مولانا الشريف بامتناع محمد جاوش عن الترفع من طريقه فبعث اليه ان اقبل واترك العسكر اليمانية فلا يضيق بكم الطريق وترددت المراسيل الى قبيل الزوال فأرسل محمد جاوش بعض الصناجق رهائن في ان لا يحصل شيء من العسكر فخرج مولانا الشريف وأخوه ومن معهما وطلعوا من الحجون ونزلوا على الزاهر ولبسا الخلعة ورجعا من الشبيكة وهو أول الاختلاف فانه لم يعهد من صاحب مكة انه خرج للقاء الامير من الحجون فلما وصلا الى منزلهما أطلقا الصناجق الرهائن فرجعوا الى العسكر كذا في تاريخ البخاري وفي تاريخ الرضي ان مولانا الشريف لما خرج من الحجون وقف منتظر الارسال الخلعة اليه فأرسلوا اليه بالطلب للحضور فأبى وعاد الى مكة عازما على

الحرب والقتال فأرسلوا اليه الخلعة بنهاية الاسراع وفى هذا اليوم أرسل مولانا الشريف قاصدا الى البيضاء من جهة اليمن يأمر الامير فرحان صاحب حج اليمن بالعود من هنالك وان لا يدخل مكة فرد الحج من يلملم فلما وصل الامير فرحان صنعاء وأخبر الامام القائم فيهم وهو المتوكل على الله اسمعيل قال لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة فقد صد صلى الله عليه وسلم عن البيت فتعب غالب فقهاء الزيدية وقصدوا الامام المذكور بالقصائد التى فيها ما يشق عليه من العتاب والتعريض والتعريض على أخذ مكة ولما كان سادس ذى الحجة ورد الشيخ محمد بن سليمان مكة وصحبته القاضى امام الدين بن الشيخ أحمد المرشدى والجمال محمد بن مصطفى كاتب الجراية وحسين الميرى فسألهم مولانا الشريف عما رأوه وفهموه من حسين باشا فأخبروا انهم لاقوه ورأوا منه غاية الكمال وسألوه عن العساكر المصرية فقال ما عندى علم بهم وانما أمرت بالخروج مع الحج الشامى وحفظه من العرب ولما كان يوم السابع من ذى الحجة ورد حسين باشا مكة ونزل بالزاهر ودخل الطواف ليلة ثمان بعد ان أرسل له مولانا الشريف هدية سنية منها فرس محلاة تساوى ألف دينار وكذلك بعث اليه مولانا الشريف أحمد وخرج مولانا الشريف للقائه تلك الليلة بعد صلاة المغرب بالمعلى وتصافحا على خيولهما وقبل الباشا المذكور يد مولانا الشريف أحمد وأظهر الفرح بلقائه وأبدى من الخضوع ما تقر به العين وهو مضمر ما أضمر شمر للحسين وأمر مولانا الشريف بالتقدم عنه وتأخر عنه فى السير ولم يزالا الى باب السلام فقال لمولانا أتأذنوا لنا ان نشرب عندكم قهوة اذا فرغنا فأذن له مولانا الشريف ودخل الحرم وعزم مولانا الشريف الى دار السعادة ثم طاف وسعى ودخل الحرم بعد السعى ثم دخل من الحرم الى دار الخواجا محمد الكركى وكان نزل بها أغاة الكتاب حج فى هذه السنة واستمر عنده الى نحو ثلث الليل ثم خرج من عنده وطلع الى مولانا الشريف واستمر عنده يظهر اللطف والمؤانسة ويستدعى الحديث بأنواع المجانسة الى أن مضى نحو نصف الليل فخرج من عنده فأركبه مولانا الشريف فرسا أخرى من خيله ولما كان يوم الثامن من ذى الحجة خرج مولانا الشريف وأخوه مولانا الشريف أحمد للقائه على جرى العادة للبس الخلعة الواردة مع الامير الا انه ترك عسكر اليمن وطلع من الجون وقال مولانا الشريف لبعض جلسائه لما رجع لما نزلنا من الجون نظرت بعين الفراسة فاذا هو قد جمع عسكره الى العسكر المصرى وأظهر فى طى ذلك غدرى وأوقفهم موقف البراز وكل فى يده جزاز وخلفه الملبس للدروع والكل منهم خدوع فعلمت انه أمر بيت بليل وقدمنا فى الحصون من ظهور الخيل فلم نزل حتى خلصنا الى سعة وأخذنا ناحية مرتفعة فأرسلنا له السيد الحسين بن حسن بن

أشهر * قلت وكل منهما مات مسموما وكانت وفاة المنتصر بالفصد بمبضع مسموم كما قدمناه لخمس مضين من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين وكان عمره ستا وعشرين سنة ﴿ثم ولى بعده أبو العباس أحمد المستعين بالله بن المعتصم بالله عم المقتدر بالله أخو المتوكل على الله﴾ وانما قدمه الترك واختاروه وعدلوا عن أولاد المتوكل لانهم كانوا قتلوه فخافوا أن يلى الخلافة أحد من أولاده فيأخذ بثار أبيه فاختاروا من أولاد المعتصم المستعين بالله * ومولده سنة احدى وعشرين ومائتين وأمه أم ولد تسمى مخارق وما كان له من الخلافة الا الاسم وكانت المماليك الاتراك مستولين على الملك وكان الامر جميعه لوصيف التركى وباغر التركى حتى قيل فى ذلك خليفة فى قفص * بين وصيف وبغا يقول ما قالا له * كما يقول الببغا فاستمر كذلك وهو يترصد لهما الى ان ظفر بوصيف التركى فقتله ونفى باغر التركى الذى كان سطا على المتوكل وقتل به فتنكرت له الاتراك فخرج عنهم من سامرا الى بغداد فأرسلوا اليه يعتذرون منه ويسألونه فى العود الى سامرا وهو محل الاتراك فامتنع منهم وكان المستعين فاضلا أديبا اخباريا مطلعا على التواريخ متجملا فى ملبسه وهو أول من أحدث الاكمام العراض فجعل عرض الكم ثلاثة أشبار وهو الآن من شعار سادتنا أشراف مكة بنى حسن أعزهم الله تعالى ولما أبى المستعين عن العود الى الاتراك فى سامرا قصد الاتراك خلعه فأتوا الى الحبس واستخرجوا منه محمدا أبا عبد الله بن المتوكل على الله ولقبوه المعتز بالله وبايعوه وعمره تسعة عشر عاما ولم يل الخلافة أصغر سنا منه وخلعوا المستعين بالله فى أول سنة اثنتين وخمسين ومائتين وجيشوا الى بغداد جيشا كثيفا على المستعين بالله وقاتلوه وقاتلهم ودام القتال أشهرا وكثر القتال وغلت الاسعار وعظم البلاء وتلاشى أمر المستعين بالله الى ان خلع نفسه وأشهد القضاة والعدول على نفسه بذلك فأخذوه وانحدروا الى واسط وحبسوه بها تسعة أشهر ثم ندب له سعيد الحاجب فذبحه فى الحبس فى ثالث شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وله احدى وثلاثون سنة رحمه الله واستمر المعتز بالله خليفة وكان بديع الحسن مليح الصورة وليس فى الخلفاء أجمل حسنا منه وكان مستضعفا مع الاتراك وكان صالح بن وصيف مستوليا على المعتز خائفا منه فاجتمع الجند عليه وطلبوا منه أرزاقهم فركبوا معه على صالح بن وصيف وقتلوه لبصه وله الملك ولم يكن فى خزائنه مال

ليصرفه عليهم وطلب من أمه وكانت تركية اسمها قبيحة لفرط جمالها فأبت عليه وشحت بالمال وسمحت بولدها وهو خليفة وكان معها مال عظيم فاتفق الاتراك على خلعه وركب عليه صالح بن وصيف ومحمد بن باغر وأتوا الى دار الخلافة وهجموا على المعتز وجروه من رجله فأوقفوه فى الشمس وعذبوه حتى خلع نفسه وأدخلوه الحمام ومنعوه من شرب الماء الى ان مات عطشا ❁ وأحضروا أبا عبد الله محمد بن الواثق بالله ولقبوه المهتدى بالله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد وبايعوه بالخلافة ليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وله بضع وثلاثون سنة وصادر صالح بن وصيف أم المعتز وعذبها حتى أخذ منها ألف ألف دينار ذهبا ونصف اردب لؤلؤ ومثله زمرذ وثلث اردب ياقوت أحمر ثم أخرجت الى مكة وأقامت بها الى ان ماتت وأقل الناس الترحم عليها حيث ظهر عندها هذا المال وشحت به على ولدها ❁ وكان المهتدى كثير العبادة ليس له من الامر شئ وكان قد اطرح الملاهى ومنع الظلمة عن الظلم فاتفق الاتراك على خلعه وركبوا عليه فخرج اليهم وقاتلهم بنفسه الى ان مسكوه باليد وعصروا على بطنه الى ان مات رحمه الله تعالى فى رجب سنة ست وخمسين ومائتين وكانت خلافته سنة الا خمسة عشر يوما

❁ وولى الخلافة بعده ابن عمه أبو جعفر أحمد ❁

وتلقب المعتمد على الله وستأتى ترجمته قريبا ان شاء الله تعالى

❁ الباب الخامس فى ذكر الزيادتين ❁

اللتين زيدتا فى المسجد الحرام بعد تربيعه الذى أمر به المهدى بن المنصور العباسى وشرع فيه فأدركته الوفاة قبل اتمامه وأتم فى ولاية الهادى بن المهدى المذكور كما سبق شرح ذلك فيما تقدم ووقع ترميم فى الجانب الغربى من المسجد الحرام قبل الزيادتين فى أيام المعتمد على الله العباسى ثم بنيت الزيادة الكبرى فى الجانب الشمالى من المسجد الحرام فى أيام المعتضد بالله ثم زيدت الزيادة الصغرى فى الجانب الغربى من المسجد الحرام فى أيام المقتدر بالله فلنذكر تراجم هؤلاء الخلفاء ولنذكر ما أحدثوه فى المسجد الحرام من تجديد وزيادة وترميم على الترتيب ان شاء الله تعالى مع ما نذكر فى ضمن ذلك من الفوائد الاستطرادية ترويحا للنفس وتسببا لحصول الفوائد والانس وتوقيفا على أحوال الدهر وتعريفا بما يحدث من الحوادث فى كل عصر لئلا يعتمد العاقل على هذه الدنيا ويعتبر بمن قبله فى غدر هذه العجوز العميا وهذه الفوائد فى الحقيقة هى نتائج علم الاخبار ليعتبر

---

يحيى وطلبنا منه الخلعة بعد البناء على مفارقة الاحياء فأرسل يأمرنا بالوصول اليه لشرب القهوة وقد أعد لنا بساطا على سهوة فأرسلت أقول ما جرت بهذا عادة وشرب القهوة من غير هذه المادة فأرسل يقول ان فى هذا تعظيم شأن السلطان ولكم منا الامان وان لم يكن منكم وصول الينا فلا خلع لكم لدينا فعند ذلك ثنيت عنان فرسى راجعا وفى القتال طامعا فنادى مناديه الامان الامان فلما علم الانصراف عن وطاقه والثبات اشفاقه أرسل بالخلع منشوره فعلمت ان الامر شوره فلبست الخلع أنا وأحمد ورجعت أشكر الله وأحمد ثم ركب مولانا الشريف حاجا بالقوم وهو محترس من ذلك الخائن وبات بمنى ثم صعد الى عرفات واستمر فى منزله بعرفات الى أن نفر الباشا الى المزدلفة مع المحملين فعند ذلك ركب مولانا الشريف الى الموقف الاعظم ثم الى المزدلفة ثم الى منى ولما كان ثانى يوم النحر الذى فيه ترد الخلع السلطانية والمرسوم المتضمن بقاء الشرافة والوصايا على الحجاج والرعايا تأخر أمين الصرة فى وصوله الى مولانا الشريف عن الوقت المعهود فأرسل مولانا الشريف يطلبه فوجده عند الباشا وبعثوا يطلبونه الى عنده لالباسه فأرسل يعرفهم ان القواعد جرت باتيانهم اليه فامتنعوا فعلم حينئذ القضية

❁ (ارتحال الشريف سعد وأخيه أحمد ووصوله الى الديار الرومية سنة ١٠٨٢) ❁

ولما علم انه لابد من القتال أو الارتحال رأى ان القتال فى هذا الشهر الشريف مما يضر بأهل التعريف فاختار الارتحال فارتحل هو وأخوه الشريف أحمد ليلة الثانى عشر من ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين وألف فما أصبح الصباح الا وقد ذهب وراح ثم توجه الى الطائف ثم الى تربة ثم الى بيشة وأقام بها ثم سار عنها الى جهات عديدة ثم توجه الى الديار الرومية وأقام بها وقابل الدولة العلية ثم عاد الى ولاية مكة سنة ألف ومائة وثلاث كما سيأتى بيانه وحاصل الامر انه تولى شرافة مكة أربع مرات سيأتى ان شاء الله تعالى بيانها فى محلها فهذه المرة الاولى وكانت مدة ولايته فى هذه المرة ست سنوات الا أحد عشر يوما وقيل الا احدا وعشرين يوما فلما أصبح الناس يوم الثانى عشر من ذى الحجة شاع بين الناس ارتحال مولانا الشريف سعد وأخيه فاجتمع حسين باشا وأمين الصرة وكاتب الديوان ومحمد جاوش فى منزل الشيخ محمد بن سليمان بمنى واستدعوا جماعة من الاشراف منهم السيد أحمد بن محمد الحارث والسيد بشير بن سليمان

❁ (ولاية الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم على مكة سنة ١٠٨٣) ❁

واستدعوا الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن أبى نمى وأظهر الباشا أمرا سلطانيا بتولية المشار اليه شرافة مكة وألبسوه خلعة الولاية وكان بعض من حضر من الاشراف وصلتهم

كتب

المعتبر حال نفسه بحال غيره في هذه الدار فان من قواعد الحكمة ان أفعال الفاعل متشابهة الآثار والله تعالى هو الفاعل
المختار وان دار الآخرة هي دار القرار وقد وجدت محل القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل لما قتل متغلبة
العبيد الاتراك الخليفة المهدي بالله صبرا عمدوا الى الحبس وأخرجوا منه ابن عمه جعفرا ﴿أحمد بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله
ابن الرشيد العباسي﴾ ولقبوه المعتمد على الله بايعوه على الخلافة في رجب سنة ست وخمسين ومائتين ومولده سنة تسع وعشرين
ومائتين وأمه أم ولد رومية اسمها قينان وكان له انهماك على اللهو واللذات فقدم أخاه طلحة بن المتوكل على الله ولقبه الموفق بالله
وجعله ولي عهده وولاه المشرق والحجاز واليمن وفارس وطبرستان وسجستان والسند وكان له ولد صغير اسمه جعفر
لقبه المفوض الى الله وولاه المغرب والشام والجزيرة وعقد لهما لوائين أبيض وأسود وعقد لهما البيعة وشرط على أخيه الموفق انه ان حدث به الموت وولده صغير كان الموفق ولي عهده وان كان حينئذ ولده كبيرا كان ولده ولي عهده وكتب بذلك معاقدة كتب كل منهما خطه عليها وكتب عليها القضاة والعدول خطوطهم وأرسلها الى مكة فعلقت فيها وما أفاد من هذا التدبير حذر من قدر وما وقع الا ما قدره الله تعالى وكان الموفق عاقلا مدبرا شجاعا مشتغلا بامور المملكة مدبرا ملتفتا لاحوال الرعية وكان أخوه المعتمد مكبا على لهوه ولذاته مهملا لاحوال الرعية غير ملتفت لامور المملكة فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة الموفق بالله وظهرت منه نجابات
كثيرة * وكان ميمون النقيبة مظفرا في الحروب وكان ظهر في أيام المعتمد على الله طائفة الزنج وتغلبوا على المسلمين وكان لهم رئيس
اسمه بهبول يدعي انه أرسله الله الى الخلق وادعى علم المغيبات وقتل في المسلمين حيث ذكر الصولي انه قتل ألف ألف وخمسمائة
ألف مسلم وكان يستأسر نساء المسلمين ويبيعهن بأبخس الاثمان وكان ينادي على العلوية والشريفة بدرهمين وكان عند الزنج
نساء شريفات يطؤهن ويمتهن في الخدمة الشاقة وكان ذلك من أعظم المصائب في الاسلام وتملك هذا الكافر بلادا كثيرة
أخذها من المسلمين واستأصل أهلها وجعلها دار مملكته كواسط ورامهرمز وما والاهما فانتدب لقتاله الموفق بالله وجمع الجموع
والعساكر ممن حنكته وقائع الحروب ووسمته قوارع الخطوب فاتخذهم جناحا ويدا ورضي بهم ساعدا وعضدا وتعصب لعمود

---

كتب من الوزير الاعظم ومن صاحب مصر بالتوصية والمعاونة وكل ذلك كان برأي الشيخ محمد بن
سليمان وتدبيره فانه الذي سيرهم على هذا المنهج المذكور ورتب تلك المقدمات لانتاج هذا الفعل
المقدور *(صورة كتاب الوزير للسيد حمود بن عبد الله بن حسن)*
ومن جملة من له كتب مع السادة الاشراف من الوزير الاعظم السيد حمود بن عبد الله بن حسن
المتقدم ذكره ولم يحضر معهم بل لما تولى الشريف بركات خرج من مكة ثم رجع كما سيأتي ولفظ كتابه
*فرع ذؤابة هاشم وشيخ المحامد والمكارم السيد حمود نظم الله عقوده وأباد حسوده وبعد
فلا يخفاكم ان الكعبة البيت الحرام ومطاف طواف الاسلام وهو أول بيت وضع للناس
وأسس على التقوى منه الاساس وانه لم يزل في هذه الدولة العثمانية آمنا لاهله من النوائب
وروضا مخصبا بأحسن الاطايب الى أن ظهر من السيد سعد من الامر الشنيع ما يشيب عنده
الطفل الرضيع وما كفاه ذلك حتى شد الخناق على أهل المدينة البهية وأذاقهم كأس المنون
روية فلما بلغ هذا الحال السمع الكريم السلطاني أمر بعزل السيد سعد عن شرافة مكة
وتفويضها الى الشريف بركات فيعمل فيها بحسن التصرفات وتكونوا له عونا وظهيرا وناصحا
ونصيرا وكل ما يتفرع غصنه من دوحة فاطمة الزهراء أو تتصل نسبته الى مكة المكرمة الغراء
تهدونه الى طريق الصلاح وترشدونه الى معالم النجاح والفلاح وأنتم على ما تعهدونه من التكريم
والتبجيل والله على ما نقول وكيل وأما بقية الكتب فكلها بهذا المضمون الا ان العبارة مختلفة
فلا حاجة الى التطويل بنقلها وفي المشرع الروي للسيد الشلي في ترجمة السيد عبد الله الحداد ان
الشريف بركات قبل ان يتولى الامارة بأيام أتاه وهو في الحجر يعني السيد الحداد وسأله الدعاء بتيسير
المطلوب فدعا له بذلك

*(تهنئة الشيخ محمد بن أحمد الزرعة واستشهاده من القرآن وما وقع
لولده بعد موته سنة ١٠٨٦)*

فلما ذهب سأل الشيخ رجل من أشراف مكة عما طلب فقال انه طلب ان يكون ملكا ثم ان مولانا
الشريف بركات نزل من منى الى مكة في موكب عظيم وجاءه الناس يهنؤنه بالملك من السادة الاشراف
والاعيان والعربان وامتدحه الشعراء بقصائد وممن جاءه مهنئا الشيخ محمد بن أحمد الزرعة فقرأ عند
لقائه أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة
وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا وكان الشريف بركات
من آل ابراهيم بن بركات بن أبي نمي فعجب الحاضرون وكذا الشريف بركات من هذا الاستحضار

الاسلام وأعد السيوف والرماح والسهام وركض بجحفله الى الاعداء الكفرة اللئام الى أن التقت الفئتان على حومة الحرب وتساقيا كؤوس الطعن والضرب فخلت السودان من لمعان الصارم الابيض وولوا الادبار للفرار كما يفر الليل الاسود من النهار المبيض وانهزموا ما بين مقتول ومأسور ومجروح ومكسور وغير مجبور الى أن قتل كبيرهم بهبول ووجوه عسكره المخذول ونصر الله تعالى ملة الاسلام ومحا بنوره ذلك الظلام واستردت المدن التى أخذها بالكفر والعناد كواسط ورامهرمز وغيرهما من البلاد واطمأنت المسلمون وكافة العباد (ولقبوه الناصر لدين الله) وصار له حينئذ لقبان ودخل الى بغداد فى عظمة وعلو شان ورأس ذلك (٩٢) الكافر على رمح ورؤس كبار عسكره على الرماح ودعا له المسلمون وقصده الشعراء بالقصائد فاجبه الناس وبعد صيته وكثر فى بابه المداح واستفحل أمره ولاحت له السعادة والفلاح واستمر أخوه المعتمد على حاله منهمكا فى لهوه ولذاته وشرب الراح وله اسم الخلافة وجميع الامور يتلقاها الموفق بصدر منشرح ويسدد غاية السداد وفى أيامه سنة احدى وسبعين ومائتين وقع وهن فى بعض جدران المسجد الحرام من الجانب الغربى قبل زيادة باب ابراهيم وكان فى نفس الجدار الغربى من المسجد الشريف باب كان يقال له باب الخياطين وكان بقربه دار تسمى دار زبيدة بنت أبى جعفر المنصور فسقطت تلك الدار على سطح المسجد الحرام فانكسرت أخشابه وانهدمت اسطوانتان من أساطين المسجد الشريف ومات تحت ذلك عشرة أنفس من خيار الناس وكان عامله بمكة يومئذ هرون بن محمد بن اسحق وقاضيها يوسف بن يعقوب القاضى * فلما رفع أمر هذا الهدم الى بغداد أمر أبو أحمد الموفق بالله عامله على مكة هرون المذكور بعمارة ما تهدم من المسجد الشريف وجهز اليه مالا بسبب ذلك فشرع فى عمارته وجدد له سقفا من خشب الساج ونقشه بالالوان المزخرفة وأقام الاسطوانتين الساقطتين وبنى عقودهما وركب السقف ونصب فى أيام عمارته سرادقا بين العمال والبنائين وبين الناس يسترهم عن أعين من بالمسجد الى أن أكمل ذلك فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين وركب من الحجر لوحين فى جدار المسجد الشريف فى ذلك الجانب نقش على أحدهما بالنقش فى لوح الحجر ما صورته * بسم الله الرحمن الرحيم أمر أبو أحمد الموفق بالله الناصر لدين الله ولى عهد المسلمين أطال الله بقاءه

لكن جوزى الشيخ محمد الزرعة بعد ذلك منه كما جوزى سنمار وذلك ان الشيخ محمد الزرعة توفى سنة ست وثمانين وألف وله ولد رجل فى غاية العدالة وخلف سبعة عشر ألف دينار وأوصى منها الابن ابن له بأربعة آلاف فقال الشيخ محمد بن سليمان ان هذا الرجل لم يزك ماله وقد استغرقت الزكاة ماله وصار لبيت المال وأمر ولد الشيخ محمد الزرعة وهو الشيخ تاج الدين ان ينزل عند القاضى ويقر بأنه ليس له أهلية التصرف فى هذا المال وأقام على نفسه الخواجا محمد سكيكر بالتصغير وكيلا مفوضا فى حفظ ماله والتصرف فيه وأسلموه المال بالكره ورتب له القاضى معلوما مقررا يأخذه من الوكيل وأرخ بعضهم ولاية الشريف بركات بقوله بارك الله لنا فى بركات الا أن فيه زيادة واحد ولما كان يوم الخامس عشر من ذى الحجة نزل مولانا الشريف بركات الى الحطيم واجتمع كبراء العسكر وقرئ مرسوم يتضمن عزل الشريف سعد بن زيد وتولية الشريف بركات وألبس مولانا الشريف قفطانا ودعا فاتح الكعبة لمولانا السلطان ولما كان يوم التاسع والعشرين من ذى الحجة اجتمع مولانا الشريف وكبير العسكر وحسين باشا فى منزل الشيخ محمد بن سليمان فأظهر أمرا سلطانيا يتضمن نظره فى الحرمين واصلاحهما والتصرف فى أحوالهما فأذعن له مولانا الشريف بركات ومكنه من زمام وفق التصريف فنشر نشورا العسف وبث جيوش الكبريا فنفرت عنه القلوب وشرع فى اظهار المطلوب وكان مولانا الشريف بركات يحضر درسه فى كثير من الاوقات وكذا شيخ الحرم صاحب جدة وفى رابع محرم الحرام من سنة ثلاث وثمانين وألف أخرج الشيخ محمد بن سليمان أمرا يتضمن اخراج من كان فى الخلاوى الموقوفة ممن له بيت وعيال فروجع فى ذلك فلم يقبل وأظهروا له فتاوى فما أجدى ذلك نفعا وأخذ مدرسة الشرابية من يد الشيخ أحمد الحكيم وكان بيده أوامر لا تائه تقضى له بالسكنى فما أجدى ذلك وأعطاها لبعض المجاورين وأخرج الشيخ ابراهيم بيرى زاده من وقف الدورلى الكائن بأعلى المدعى من جهة سوق الليل وقال انه من عمائل السلطان جقمق وانه كان موضع دشيشة للفقراء وأخذ ما بأيدى الناس من حب السلطان جقمق الوارد الى مكة وحب السلطان سليمان الواصل من مصر لاهل مكة وكذلك حب السلطان قايتباى ومال المصرية وعمر بذلك تكية فى محل وقف الدورلى المذكور وطبخ فيها شربة للفقراء بالحب المذكور وقال السنجارى وما أحسن قول المهنا الشاعر المكى ومن لم يدرك هذا الوقت المكى

وظائف الناس قد صارت مفرقة * ما بين عبد ومعتوق وآفاقى
وأهل مكة قد غارت نجومهم * فما يرى كوكب يبدو بآفاق

وعمر الشيخ محمد بن سليمان عدة أوقاف بمكة كانت خربت قد استولت عليها الايدى ونصب الشيخ عليا

بعمارة المسجد الحرام رجاء ثواب الله تعالى والزلفى اليه وتم ذلك على يد عامله على مكة ونواحيها هرون بن محمد بن اسحق بن موسى فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين وعلى اللوح الثانى نقش كتابة صورتها بسم الله الرحمن الرحيم أمر الناصر لدين الله ولى عهد المسلمين أبو أحمد الموفق بالله أخو أمير المؤمنين أطال الله بقاءهما القاضى يوسف بن يعقوب بعمارة المسجد الحرام لما فى ذلك من رجاء ثواب الله تعالى أجزل الله ثوابه وأجره وتم ذلك على يد محمد بن العلاء بن عبد الجبار فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين والجران المذكوران لاوجود لهما الآن بل محاهما الدهر والازمان وعفا أثرهما القديم الجديدان كما عفا أثر غيرهما من العمائر والبنيان ودار عليهما الدوران ولا يبقى الاثر أيضا  بعد زمان الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور وقد نقلت صورة تلك الكتابات من تاريخ مكة للامام أبى عبد الله محمد بن اسحق الفاكهى رحمه الله تعالى * وكان للموفق بالله ولد نجيب هو أحمد أبو العباس جعله الموفق ولى عهده واستعان به فى حروبه وأحواله وظهرت به نجابة وقوة فخشى الموفق منه على نفسه وعلى أخيه المعتمد لما رأى من شجاعته وبسالته فأودعه بطن الحبس ووكل به من يثق به فى أمره واستمر محبوسا الى الزمان الذى قدره الله تعالى له * ثم وقعت الوحشة بين المعتمد على الله وأخيه الموفق بالله المذكور وتباغضت قلوبهما وتشاحنت الصدور فان الرآسة الدنيوية لاتقبل الاشتراك والغيرة على الملك والسلطنة أسرع شئ يوغر صدور الملوك والانفراد والاستقلال مما يتفانى عليه أبناء الدنيا من أصحاب الاملاك وماهى الا جيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتذابها فان تجتنبها كنت سلما لأهلها * وان تجتذبها نازعتك كلابها ولما كان المعتمد على الله مع كونه عاجزا عن أخيه الموفق كان يحسده ويريد هضمه لاستيلائه على المملكة ورضا الناس عنه واشتغاله بالفحص عن أحوال الرعية عن الملاهى والملاذ فاستعان المعتمد على الله فى هضم جانب أخيه بصاحب مصر يومئذ أحمد بن طولون وكان ملكا شجاعا فاتكا صاحب جيوش وجنود كثيرة الاموال والخزائن مستقلا بمملكة مصر يأخذ خراجها وكانت يومئذ عامرة آهلة كثيرة المحصول لرفقه برعيته وتقويته لهم وعدم ظلمه وجوره عليهم فكان يحصل منها أموال كثيرة جدا بسبب عمارتها وكانت كالروض البهيج

علياالعصامى مدرسا شافعيا فى مدرسة قايتباى ونصب الشيخ محمد المغربى الغدامسى مدرسا مالكيا فى المدرسة المذكورة ومدرسها الحنفى قاضى الشرع ونصب مدرسا للحديث الشيخ عبد الله العباسى عوضا عن المدرس الحنبلى وصرف على الدشيشة من كراء جقمق وقايتباى وأموال الحرمين ومن الاوقاف الباقية والحاصل انه تصرف تصرفات كثيرة يطول الكلام بذكرها وفى سابع محرم من سنة ثلاث وثمانين ورد مكة السيد حمود بن عبد الله بن حسن بعد ان كاتب مولانا الشريف فراجع فيه الشيخ محمد بن سليمان وحسين باشا الا انهما غضبا من خروجه وعدم حضوره ولاية الشريف بركات فاعلمهم الشريف بركات ان الصلاح فى اصلاحه وكتب له حجة شرعية تتضمن الامان والاذن من جهة السلطنة له فى دخوله فجاء وكان دخوله فى اليوم المذكور وأراد الشريف بركات ومن معه من العسكر أن يتوجهوا الى الطائف خلف الشريف سعد وأخيه فجاءهم الخبر بخروجه من الطائف وكان خروج الشريف سعد من الطائف يوم الثامن عشر من المحرم وتوجه الى عباسة ثم الى تربة وفى الخامس والعشرين من المحرم توجه السيد حمود الى الطائف بالعساكر الصارجية وفى السادس والعشرين توجه الشريف بركات بالعساكر المصرية وتأخر عنه محمد جاوش أياما ثم لحق به ومن معه من العسكر ثم توجهوا الى المبعوث وفى ثالث صفر أمر الشيخ محمد بن سليمان ان تدهن السوارى المكتوب فيها أبطل المكوس ليظهر للناس مافيها من الكتابة فدهنت ولما كان ليلة المولد الشريف أمر بترك الدفوف ومنع من ذلك أهل الزوايا وفى خلاصة الاثر فى ترجمة الشريف بركات قال وفى أيامه عمرت الخاصكية التكية المعروفة الآن بمكة بين البزابيز والمدعى وصرف عليها أموالا كثيرة وعم نفعها وفى اليوم الثانى عشر من ربيع ورد الخبر من مصر بقتل محمد ظافر الطاغية المدنية واستمر مولانا الشريف بالمبعوث الى شهر ربيع الاول فأتاه الخبر بأن مولانا الشريف سعدا توجه الى بيشة فنزل مولانا الشريف الى الطائف واستمر هنالك وأما الشريف أحمد بن زيد فانه فارق أخاه الشريف سعدا من بيشة وتوجه الى دويرة بنى حسين لمصاهرته اياهم واستمر مقيما عندهم الى ان ورد الحج الى المدينة ودخلها ليلة دخول الحج المدينة واجتمع بأمير الحج الشامى ثم ارتحل من المدينة ثانى ذى الحجة ونزل ديار حرب على أحمد بن رحمة واستمر الى ان رجع الحج الشامى فلم يتفق له معه مسير فتوجه فى أول سنة أربع وثمانين وألف الى الفرع واستمر بها مدة ثم لما خرج مولانا الشريف بركات لقتال حرب رجع اليهم الشريف أحمد وحضر القتال ثم لما كسرت حرب رجع الى الفرع ثم وصل اليه أخوه الشريف سعد واما أخوهما السيد حسن بن زيد فتوفى باليمن سنة أربع وثمانين وألف وكان خروج مولانا الشريف بركات لقتال حرب فى أواسط سنة أربع وثمانين وألف

في زهرتها ونضارتها وما كانت خرابا يبابا أكثرها مأوى البوم والصدا ولا تفرق رعيتها من جور ولاتهابد داعمرها الله تعالى بعدلة سلطاننا الأعظم وخليفة عصرنا الأكرم الأفخم الذي عمر بعدلته البلاد سلطان السلاطين (السلطان مراد) ألهمه الله تعالى العدل والرفق بالعباد ومحق بسيفه الصارم أهل الظلم والفساد وأطال عمره ودولته حتى تلحق الأحفاد بالأجداد فكاتب المعتمد على الله أحمد بن طولون وأمره أن يقاتل أخاه الموفق ليخف أمره عليه بذلك ويهون وجرت بينهما من ذلك شؤون واشتغل الموفق بذلك عن أخيه وصار يواليه تارة ويداريه ويباعده تارة ويدانيه ومضى على ذلك أيام وانقضى عليه أعوام الى أن مالت قناة حياة الموفق كل الميل ولزم بطون الفراش بعد متون سوابق الخيل ووهى جسده ووهنت



قواه ولاصانه حصانه ولا وقاه وخانه يده عن حمله فلما من بعد حطم القنا في لبة الاسد فلما اشتد حاله وتحقق عند غلمانه ما له بادروا الى الحبس وكسروه وأخرجوا منه ولده المعتضد وآووه ونصروه وجاؤا به الى والده الموفق فلما رآه أيقن بالموت وتحقق وقال له يا ولدي لهذا اليوم خبأتك وفوض اليه وأوصاه بعمه المعتمد خيرا وكان ذلك قبل موت الموفق بثلاثة أيام فعطف الموت على الموفق فركب طبقا عن طبق الى أطباق الثرى بالعنق ومضى عن الدار الفانية الى الدار الباقية والحق وكانت وفاته رحمه الله في سنة ثمان وسبعين ومائتين وشمت في موته أخوه المعتمد وظن انه استراح من الموفق وما علم انه عن قليل بأخيه ملحق وحسب انه صفا له دهره وما علم ان الصفا يعقبه الكدر وان الدهر ما صفا لأحد من البشر وان صروف الدهر تأتي باليمن والعبر وانها لا تبقي ولا تذر فحال عليه الحول حتى استلب ذلك الطول والحول ولم يكن له بعد خذلان الناصر من قوة ولا ناصر ولا طال عمره القصير ولا استطال حوله القاصر ولم يبق للمعتمد عمال ولا اعتماد على الدهر الخؤن الغادر وانتقل من سرير الملك الى ظهر الهلك ومضى كأن لم يكن شيأ مذكورا وكان أمر الله قدرا مقدورا وكانت وفاته ليلة الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى ﴿وولي الخلافة بعده في تاريخه ابن أخيه أبو العباس أحمد المعتضد بالله بن طلحة الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسي﴾ مولده سنة ثلاث وأربعين

---

خرج هو وجميع السادة الاشراف والعساكر المصرية والعربان وكان شيخهم أحمد بن رحمة فحضروا خنادق قبل وصول مولانا الشريف اليهم وتأهبوا لمقاتلته فأقبل عليهم بجيوشه ونزل بدرا وأقام بها مدة مصابرا لهم وهم متحصنون في جبالهم وسبوره عليهم وسعاته في بعض قبائلهم بانخلالهم عن الآخرين مع انه في كل عشرة أيام أو أقل يزمهر بالحركة اليهم والركوب عليهم ثم يحل عزمه عن القتال فعل ذلك بهم مرارا عديدة مع طول الاقامة فتفرق أكثرهم بهذه المصابرة مع أشياء أخر حتى صاروا لا يهتمون بحركته ولو عظمت ففي اثناء ذلك وثب عليهم وثوب الاسد فكسرهم واستأصلهم وأقام في قتلهم نحو ستة أيام وجيوشه تحمل أدباش حرب الى بدر وقطع نخيلهم وأما جثث القتلى فهي متراكمة على بعضها في كل جبل وواد من تلك الجبال والاودية مع سبي النساء والاطفال حتى أبادهم ومهد تلك الاقطار وأجرى فيها أحكامه ولما جاء الخبر لمكة زينت ثلاثة أيام وكانت هذه الواقعة من أعظم الفتوحات لهذا الملك المعظم وكان دأبه لم شعث الاشراف لتكون كلمتهم واحدة حتى انه اتفق ان السيد حمود بن عبد الله والسيد أحمد بن غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود بن حسن ابن أبي نمي الآتي ذكر ولايته شرافة مكة وقع بينهما واقعة قبل ولاية الشريف أحمد بن غالب شرافة مكة فلما انتظم موقف الحرب وآن وقت الطعن والضرب أقبل عليهما هذا الملك العظيم وأقسم عليهما الا ما اصطلحتما في هذا الموقف فاعتنقا وتصالحا وأولاهما الطاعة والى

●(وفاة السيد حمود بن عبد الله بن حسن سنة ١٠٨٥ وكذلك وفاة السيد أحمد بن محمد الحارث في السنة المذكورة)●

وكانت وفاة السيد حمود المذكور في سنة خمس وثمانين وألف بالطائف ودفن خلف قبة الحبر رضي الله عنه وجعل على قبره تابوت وعليه حوطة وفي السنة المذكورة توفي أيضا السيد أحمد بن محمد الحارث المتقدم ذكره حين ولاه حسن باشا في المدينة المنورة وكانت وفاته بمكة المشرفة ودفن في قبة السيد مسعود بن حسن ووضع عليه تابوت وأما السيد أحمد بن غالب فسيأتي ذكر وفاته عند ذكر ولايته شرافة مكة وفي سنة خمس وثمانين أيضا في سابع رجب كان خروج مولانا الشريف بركات الى الفرع وأقطاره لتمرد أهله عليه وخروجهم عن طاعته وقيل لانه بلغه ان الشريف أحمد بن زيد نزل الفرع واستمال أهله فسار اليهم مولانا الشريف بركات ومعه السادة الاشراف ولم يتخلف الا من وضح عذره وكان خروجه في التاريخ المذكور وخرج معه صاحب بندر جدة بعساكره ومدافعه فتلاقيا على عسفان وسارا جميعا وأدركهم شهر الصيام قبل وصولهم الفرع في منزل يسمى قويزة فأتم به صيامه وعيد ثم توجه اليه ووصله ونزل بقرية منه تسمى أم العيال وأمر السيد ناصر بن

السيد

ومائتين وبويع له بالخلافة بعد عمه المعتمد فى تاريخ وفاته المذكور آنفا وامه ام ولد اسمها صواب وكان ملكا مهيبا ظاهر الجبروت وافر العقل شجاعا يقدم على الاسد وحده شديد السياسة اذا غضب على أحد ألقاه فى حفيرة وطم عليه التراب وكان أسقط المكوس فى أيامه ورفع الظلم عن الرعية وجدد ملك بنى العباس بعد ماوهى ووهن وأظهر عزة الملك بعد ماتذلل وامتهن وكان يسمى السفاح الثانى حيث جدد كل منهما ملك بنى العباس وفى ذلك يقول ابن الرومى

هنيأ بنى العباس ان امامكم * امام الهدى والجود والباس أحمد
كما بأبى العباس أنشئ ملككم * كذا بأبى العباس أيضا يجدد
امام يظل الامس يشكو فراقه * تأسف ماهوف ويشتاقه غد

وفى ذلك يقول عبد الله بن المعتز أيضا

أماترى ملك بنى هاشم * عاد عزيزا بعد ماذللا
ياطالبا للملك كن مثله * تستوجب الملك والافلا

وكان مع سطوته وبأسه يتوخى المعدلة ويبرز أمورا فى صورة الجبروت والعسف وهو فى الباطن محق فيها فيما يفعله وهذا هو الرأى السديد للحاكم الرشيد لجمعه بين سياسة الدنيا والحق عند الله تعالى * وقد نقل الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى فى تاريخ الخلفاء عن عبد الله بن حمدون قال خرج المعتضد للصيد وأنا معه فمر بمقثأة فعاث بعض جنوده فيها فصاح صاحبها واستغاث بالمعتضد فأحضره وسأله عن سبب صياحه فقال ثلاثة من غلمانك نزلوا المقثأة فأخربوها فأمر عبيده باحضارهم فضرب أعناقهم ومضى وهو يحادثنى فقال اصدقنى يا عبد الله ما الذى تنكره الناس على من أحوالى فقلت له تسفك الدماء كثيرا فقال ماسفكت دما حراما فقلت له بأى ذنب قتلت أحمد بن الطيب فقال انه دعانى الى الالحاد وظهر لى الحاده فقتلته لنصرة الدين قلت فالثلاثة الذين نزلوا المقثأة الآن بم استحللت دماءهم ولاى شئ قتلتهم فقال والله ماقتلتهم وانما أحضرت ثلاثة من قطاع الطريق وأوهمت الناس انهم هم الذين نزلوا المقثأة فأمرت بضرب أعناقهم ثم أمر صاحب الشرطة باحضار الثلاثة الذين نزلوا المقثأة وأحضرهم بأنفسهم وشاهدتهم ثم أمر باعادتهم الى الحبس وهكذا ينبغى لتدبير السياسة واظهار النصفة وتخويف الجند وارعابهم * ومن معدلته انه كتب الى الآفاق بابطال ديوان المواريث والامر بتوريث ذوى الارحام وكانوا يحرمونهم الميراث وكانوا يستولون على مخلفات الناس بالظلم ولا يتصل الوارث

السيد أحمد الحارث بالنزول بقرية أخرى تسمى بابى ضباع ثم استمر مقيما بتلك الدويرة الى ان ذهب جميع أموالهم ومزارعهم حتى عادوا الى طاعته راغبين من غير قتال ثم لما مشى من عندهم قبض على خمسة وعشرين شخصا من كبارهم وأتى بهم الى مكة فى الحديد الى ان ماتوا بأجمعهم واحدا بعد واحد ولما قصد مولانا الشريف بركات الفرع انتقل منه الشريف سعد بن زيد والشريف أحمد ابن زيد وتحولا الى وادى النفير من ديار حرب ثم قصدا المدينة ونزلا الغابة ثم توجها قاصدين الابواب السلطانية قال فى خلاصة الاثر وذهبوا خامس شوال متوجهين الى الشام لا يمرون بحى من أحياء العرب الا أكرموهم ومن أعجب الاتفاق نزولهم على مراح بنى سعيم من غير علم منهم بذلك وكان الشريف سعد قتل أباه فلما علموا به حصل لهم كرب شديد فلم يشعروا الا وولده مواجه لهم بالعبودية والسلام وأهدر دم والده وأكرمهم وذبح لهم الذبائح ومنح المنائح وهذا من غير شك معجزة من جدهم ولم يزالوا على مثل ذلك مع كل من مروا عليه من العرب الى ان وصلوا الشام فتلقاهم أهلها وامراؤها وكبراؤها ونقيبها ودخلوا بموكب عظيم ثم دخلا أدرنة فى ربيع الاول سنة ست وثمانين ودخلا اسلامبول فى ربيع الثانى من السنة المذكورة فأنعم مولانا السلطان محمد بن ابراهيم على الشريف سعد بباشوية المعرة فى حادى عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة وأقام الشريف أحمد باسلامبول الى سنة ثلاث وتسعين وألف فأعطى قصبة تسمى كايسة وكان قبل ذلك أرسل مولانا السلطان الى أخيه الشريف سعد فورد عليه من المعرة فأعطى بلدا هنالك تسمى وزة قريبة من طرف كايسة واستمر هنالك الى سنة أربع وتسعين وألف ثم فى أثناء ذلك عاد الى اسلامبول ثم صارت ولاية الشريف أحمد شرافة مكة وسيأتى بيان ذلك ان شاء الله تعالى وفى أواخر شهر الحجة من سنة خمس وثمانين وألف ورد كتاب من السيد محمد بن زيد لمولانا الشريف بركات بطلب الاذن فى دخول مكة فامتنع الشريف بركات من الاذن له فتوجه الى اليمن ثم توفى سنة تسعين باليمن ولبس عليه السادة الاشراف السواد على جرى عادتهم وكان يوم ورود نعيه بمكة مأتما أكبر وكانت ولادته سنة ألف وتسع وأربعين وفى سنة خمس وثمانين خرج جماعة من السادة الاشراف مغاضبين لمولانا الشريف بركات يدعون عليه انه أخذ ما وصل اليهم من الانعامات السلطانية فنزلوا بوادى مر الظهران فبعث اليهم السيد بشير بن سليمان بن لؤى بن بركات فمازال بهم حتى رجعوا ففرق عليهم الانعام الواصل بينهم بالسوية وذلك نحو أربعة آلاف دينار وألفى اردب حب وفى سنة خمس وثمانين أيضا ورد مرسوم من السلطنة مضمونه قسمة مدخول مكة أربعة أقسام الربع لمولانا الشريف وثلاثة الارباع للسادة الاشراف على السوية وفيها أيضا جعل مولانا

قد عظم خرابها وتهدمت وكثيرا مايلقى فيها القمام حتى صارت ضررا على المسجد الحرام وجيرانه واذا جاء المطر سالت السيول من بابها الى بطن المسجد وحملت تلك القمام الى المسجد الحرام وانهم لو أخرج مافيها من القمام وهدمت و بنيت مسجدا يوصل بالمسجد الحرام يصلى الناس فيها و يتسع الحجاج بها لكانت مكرمة لم يتهيأ لاحد غير الخلفاء بعد المهدى والهادى ومنقبة باقية وشرفا وأجرا باقيا على طول الزمان وان بالمسجد خرابا كثيرا وان سقفه يسيل منه الماء اذا جاء المطر وان وادى مكة قد انكبس بالاتربة فعلت الارض عما كانت وصارت السيول تدخل من الجانب اليمانى أيضا الى المسجد الحرام ولا بد من قطع تلك الاراضى وتمهيدها وتنزيلها الى حد تمر فيها السيول منحدرة عن الدخول الى المسجد الحرام ووصل أيضا الى بغداد سدنة الكعبة و رفعوا أمرهم الى ديوان الخلافة ان وجه جدران الكعبة من باطنها قد تشعث وان الرخام المفروش فى أرضها قد تكسر وان عضادتى باب الكعبة كانتا من ذهب فوقعت فتنة بمكة فى سنة احدى وخمسين ومائتين بخروج بعض العلويين فقلع عامل مكة يومئذ ما على عضادتى باب الكعبة من الذهب وضربه دنانير واستعان به على حرب العلوى الذى خرج عليه يومئذ وصاروا يسترون العضادتين بالديباج ووقعت بعدها أيضا فتنة بمكة فى سنة ثمان وستين ومائتين فقلع عامل مكة يومئذ مقدار الربع من الذهب الذى كان مصفحا على باب الكعبة ومن أسفله وما على أنف الباب الشريف من الذهب وضربه دنانير واستعان به على دفع تلك الفتنة وجعل بدل الذهب فضة مموهة على الباب الشريف وعلى أنف الباب المنيف واذا غسح الحجاج به أيام الحج تبركا بذلك المكان الشريف ذهب صبغ الذهب وانكشفت الفضة فيجدد تمويهها كل سنة والمناسب اعادة ذلك ذهبا صرفا كما كان وان رخام الحجر الشريف قد تكسر و يحتاج الى التجديد وان بلاط المطاف حول الكعبة الشريفة لم يكن تاما و يحتاج أن يتمم من جوانبها كلها وان ذلك من أعظم القربات وأكرم المثوبات وقد رفع الى الديوان العزيز المبادرة الى انتهاز ذلك والامر راجع الى دار الخلافة الشريفة والسلام فلما أشرف على هذه المكاتبات كاتب الخليفة المعتضد يومئذ الوزير عبد الله بن سليمان بن وهب الكاتب وكان من أهل الخير له قدم راسخ فى قصد الجميل وفعل الحسنات ونية جميلة فى احراز الاجر والمثوبات بادر الى عرض ذلك على اسماع

الا المعذور وقصد بيشة وفى الرابع عشر من شوال جاء المبشر بأخذ مولانا الشريف قبيلة اكلب وانه قتل فيهم قتلة شنيعة ورجع الى مكة فى السابع والعشرين من ذى القعدة سالما غانما وفى هذه السنة تشفع الدفتردار عند الوزير الاعظم فى ان الشيخ محمد بن سليمان يعود الى مكة فجاء الاذن له بذلك وان يكف يده عن مخالطة الدولة فدخل مكة فى التاسع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وفى الثانى والعشرين من ذى الحجة من السنة المذكورة حصل بمكة مطر عظيم وكثر السيل ودخل المسجد وبلغ الى نصف الكعبة واستوعب جملة العواميد التى فى الرواق من الجهة الغربية لانحدارهما وكان ذلك اليوم خروج الحج المصرى فغرق فيه كثير من المسافرين ومن غريب الاتفاق أن حمل السيل جملا محملا ودخل المسجد فلم يزل السيل يدفعه وقد انقطع حمله حتى رقى على منبر الخطيب فلم يزل الى الصبح من اليوم الثانى واستمر الماء الى الصباح ففتح باب ابراهيم وانحدر الماء فوجدوا تحته كثيرا من الموتى من الغرباء وأهل البلد وأما خارج المسجد فقد أخرب غالب البيوت وذهب بأموال عظيمة وقال كبار المكيين فى ذلك الوقت ان هذا السيل لم يشاهدوا مثله فكان ذلك السيل من مصائب الزمان ثم شرعوا فى تنظيف المسجد على المعتاد وأرخ بعضهم هذا السيل بقول (طغى الماء) وحصل من هذا السيل خراب عظيم فى العين فجاء الامر من مولانا السلطان محمد بن ابراهيم بتعميرها فعمرت سنة اثنتين وتسعين وألف وفى خلاصة الاثر وفى هذه السنة أيضا حصل فى قرية السلامة وما حولها من أرض الطائف برد شديد له وقع عظيم بحيث صار يضرب بالصخور والابواب كالبنادق غالبه كبيض الحمام و بعضه كبيض الدجاج قال الشلى فى تاريخه وقد سمعت غير واحد يقول وزنت واحدة فكانت رطلا ووقع بعضه على قدر فخرقه وأتلف ثمار البساتين وجرح كثيرا من الحيوانات و بعضها مات وفى ربيع الاول من سنة ثلاث وتسعين وألف خرج مولانا الشريف أحمد بن غالب من مكة مغاضبا لمولانا الشريف بركات وخرج لخروجه عدة من الاشراف نحو الثلاثين وسار متوجها الى الابواب السلطانية شاكيا من مولانا الشريف بركات وفى ثانى شهر جمادى الاولى وقعت فتنة بين الاتراك وعبيد الاشراف فى المسعى وانتهب بعض الدكاكين فى المروة وقتل بعض الاتراك المجاورين تحت مدرسة القاضى وأصيب بعض الاتراك برصاصة من جهة بيت مولانا الشريف وعزل السوق ثم تدارك مولانا الشريف الامر حتى سكنت الفتنة ثم ورد جوخدار القاضى من جدة ومعه محصول جدة فضرب بالشبيكة وأخذ مامعه وتكلم مولانا الشريف مع الاشراف فيما يقع من العبيد فلم ينجع وتزايد الامر حتى صار مولانا الشريف يعس فى الليل بنفسه هو وأولاده ومعه بعض عسكر مصر ثم تزايد الامر فاجتمع جميع عبيد مولانا الشريف وعبيد

وعبيد الحاكم وما انضم اليهم من عبيد السادة الاشراف وتألبوا جهة الحسينية تأنفا من سوق الشريف لبعضهم بعسكر مصر فتفاقم الامر على مولانا الشريف فأرسل اليهم أخاه السيد عمرو ابن محمد لردهم فامتنعوا الا ان يتضمن لهم شريف من الاشراف انه لا يعطى أحد منهم للعسكر اذا وقع شئ في البلد فضمن لهم ذلك بعض الاشراف فدخلوا أرسالا ثم ان مولانا الشريف ظفر بعبدين ليلا فأمر بقتلهما فقتلا بالمعلى وأصبحت جثتهما ملقاة بالشارع ثم أمر بعبدين آخرين كانا في حبسه فشنقهما بالمسعى وأوهم انهما القاتلان للعبدين اللذين في المعلى ثم ان مولانا الشريف ازداد به التعب والهم فأصبح مريضا يوم الثلاثاء خامس ربيع الثاني من سنة أربع وتسعين بمرض باطنى لا يعلم سببه الا القهر

*(وفاة الشريف بركات سنة ١٠٩٤)*

فازداد به المرض الى ان توفي ليلة الخميس التاسع والعشرين من ربيع الثاني من السنة المذكورة فصلى عليه الشيخ عبد الواحد بن أحمد الشيبي بعد الشروق تحت الكعبة ودفن بالقرب من المعلى بجوار الشيخ النسفي بوصاية منه وبنى عليه حائط غير مسقف وأسفت الناس عليه سامحه الله تعالى وكانت مدته عشر سنين وأربعة أشهر وعشرين يوما قال السنجاري وكان وحيد دهره وانسان عين عصره لولا ما اعترض دولته من استيلاء الشيخ محمد بن سليمان ورثاه كثير من الشعراء بقصائد ثم قال السنجاري وبالجملة فانه كان كثير الاحسان عارفا بأحوال الزمان وفي خلاصة الاثر في ترجمة الشريف بركات وحظى عند السلطنة وكان مقبول الكلمة عندهم معتقدا لما كان يكثره من مداراتهم وكان كثير الاحسان للاشراف والتعطف بهم وتقووا في زمنه وقويت شوكتهم وكثرت أموالهم وبسبب ذلك بقي كبار الاشراف وصغارهم تحت طوعه وكان يخرج بهم لحرب العرب من أهل الفرع وغيرهم ويكون الظفر فيه له وللاشراف وحمدت طريقته وأمنت في زمنه السبل وربحت التجار وانتظم الامر خصوصا للحجاج وفيه يقول بعض أدباء دمشق وقد حج

أنخ الركاب فهذه أم القرى • قد لاح نور الهدى من مشكاتها
واجعل شعارك منه تقوى الله كى • تستنتج الخيرات من بركاتها

قال ولم يزل كذلك عالى الهمة ميمون النقيبة الى ان تغلب عليه غالب الاشراف وخرج السيد أحمد ابن غالب مفارقا له في نحو ثلاثين شريفا من ذوى مسعود وغيرهم

*(ولاية الشريف سعيد بن بركات بن محمد سنة ١٠٩٤)*

وبعد وفاة الشريف بركات تولى ابنه مولانا الشريف سعيد بن بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن

---

الخليفة المعتضد وحسن له اغتنام هذه الفرصة والمبادرة اليها وبذل المقدور فيها فبرز أمر المقتدر اليه والى غلامه المؤمن بالحضرة بعمل ما رفع اليه من ترميم الكعبة الشريفة والحجر والمطاف والمسجد الحرام وأن تهدم دار الندوة وتجعل مسجدا يلحق بالمسجد الحرام ويوصل به وان يحفر الوادي والمسيل والمسعى وما حول المسجد الحرام ويعمق حفرها الى أن يعود الى حاله الاول ويجرى ماء السيل فيه ولا يدخل شئ منه الى المسجد الحرام فيصان المسجد بذلك عن دخول السيول اليه وأن يحكم ذلك غاية الاحكام ويعمر ما تجب عمارته على وجه الاتقان والاستحكام وأمر ان يحمل من خزائنه مالا عظيما لهذا العمل وأمر قاضى بغداد يومئذ وهو القاضي يوسف بن يعقوب أن يرتب ذلك ويجهز لعمله من يعتمد عليه وأمر بحمل المال اليه فجهز بعضه نقدا في أيام الحج مع ولده أبي بكر عبد الله ابن يوسف وكان مقدما على حوائج دار الخلافة ومصالح طريق الحج وعمارتها وأرسل بباقي المال صحائف سلمها الى ولده المذكور ليسلمها من كتب اسمه في تلك الصحائف وعين معه لهذه الخدمة رجلا يقال له أبو الهياج عميرة بن حسان الاسدى له أمانة وحسن رأى ونية جميلة وسيرة حسنة فوصلا الى مكة في موسم حج سنة احدى وثمانين ومائتين فحلى بالذهب الخالص باب الكعبة الشريفة وحج وتخلف بعد الحج بمكة أبو الهياج المذكور ومن معه من العمال والاعوان وعاد عبد الله بن القاضي يوسف مع الحجاج الى بغداد ليرسل اليه ما يحتاج اليه من بغداد لتكميل ما أمر به من العمارة المذكورة فشرع أبو الهياج في حفر الوادي وما حول المسجد الحرام فحفره حفرا جيدا حتى ظهر من درج المسجد الحرام الشارعة على الوادي اثنتا عشرة درجة وانما كان الظاهر منها خمس درجات فحفرت الارض ورمى بترابها خارج مكة ونظفت دار الندوة من القمام والاتربة وهدمت وحفر اساسها وجعلت مسجدا وأدخل فيها من أبواب المسجد الكبير ستة أبواب كبار سعة كل باب خمسة أذرع وارتفاع كل باب من الارض الى جهة الشمال أحد عشر ذراعا وجعل بين الابواب الكبار ستة أبواب صغار ارتفاع كل باب ثمانية أذرع وسعة كل باب ذراعان ونصف وجعل في هذه الزيادة بابان بطاق شارعين الى الخارج في جانبها الشمالي وباب بطاق واحد في جانبها الغربي وأقيمت أروقتها وسقوفها من جوانبها الاربعة وركبت سقوفها على أساطينها وسويت بخشب الساج وجعل لها منارة وفرغ من عمارتها في ثلاث

سنين ولعل اكمالها في سنة أربع وثمانين ومائتين الا انها ما استمرت على هذه الهيئة بل غيرت بعد قليل الى وضع أحسن منه بعد المعتضد المذكور * قال محمد بن اسحق الفاكهي في تاريخ مكة ان أبا الحسن محمد بن نافع الخزاعي ذكر في تعليق له ان قاضي مكة محمد بن موسى القاضي لما كان اليه أمر البلد جدد بناء زيادة دار الندوة وغير الطاقات التي كانت فتحت في جدار المسجد الكبير وجعلها متساوية واسعة بحيث صار كل من في زيادة دار الندوة من مصل ومعتكف وجالس يمكنه مشاهدة البيت الشريف وجعل أساطينها حجارا مدورا منحوتا وركب عليها سقوفا من الخشب الساج منقوشا مزخرفا وعقودا مبنية بالآجر والجص ووصل هذه الزيادة بالمسجد الكبير وصولا أحسن من أول وجدد شرفاتها وبيضها وانه عمل ذلك في سنة وثلثمائة

انتهى * ولقد كان ابتداء عمارة هذه الزيادة أمرا عظيما وفعلا جزيلا أتى به المعتضد بالله وأثرا باقيا على صفحات هذا الدهر ما فاز به سواه وفعلا لا يزال يذكر وصاحبه يمدح بألسنة الخلق ويشكر وقد بلى عظامه تحت التراب الأعفر فمامات من يذكر بالجميل بعد أن يقبر وما عاش من عاش بالسوء حين يذكر

ما عاش من عاش مذموما خصائله
ولم يمت من يكن بالخير مذكورا

واستمرت تلك الاساطين المنحوتة من الاحجار السود عليها أسقف الساج المزخرف المنضود مشيدة باقية الى ان أدركناها في عصرنا ثم بدلت بأساطين منحوتة من الشبيى الاصفر بعقود محكمة أزين من عقود الجوهر وجعل عرض السقف الذي يبلى خشبه كل حين قبابا مرفوعة نزهة للناظرين في غاية الاتقان والتزيين في زمان سلطان سبقت سلاطين الزمان السلطان مراد خان بن سليم خان بن سليمان خان بن عثمان خلد الله تعالى سلطانه وأفاض على العالمين بره واحسانه ﴿رجعنا الى ما كنا فيه﴾ من أخبار المعتضد العباسي وما وقع له من الناس الذي ليس من آسي * ولما أن عضد المعتضد عضد الموت العاضد وقطع عرق حياته مباضع الزمان الحاسد وما حمته عن الحمام قوته ولا منعته عنه منعته ولا هيبته فأزلته يد المنايا من سرير الخلافة والملك وأركبته سرير الحدباء الى شفير الفناء والهلاك ودفنه في تربة عمله الصالح وسقف ثراه بما طاب من ثنائه الفائح ﴿ومن أذرب ما حكاه﴾ المسعودي عن المعتضد في وفاته أنه اعتل من افراطه في كثرة هنا بياض بالاصل

أبي نمي ألبسه قاضي مكة خلعة الاستمرار بموجب أمر السلطان الذي بيده المتضمن كونه ولي عهد أبيه ولم ينازعه في ذلك أحد من السادة الاشراف ولما كان يوم الجمعة سلخ ربيع الثاني نزل مولانا الشريف سعيد الى الحطيم وحضر الفقهاء وأكابر الدولة وقرأ مرسومه الوارد في حياة أبيه ثم جهز قاصدا الى الابواب السلطانية بخبر وفاة والده وبطلب صريح الاستمرار وكتب له على عرضه علماء مكة فوصل جوابه من صاحب مصر ثاني رجب المبارك من السنة المذكورة وفيه التعزية في المتوفى وصحبته خلعة الاستمرار على ما كان عليه والده من امارة مكة فلبس القفطان الباشوي ثم ورد الامر السلطاني في الرابع والعشرين من شعبان وفي الثامن والعشرين ورد من الروم اغا وأخبر انه ورد صحبة مولانا السيد أحمد بن غالب وانه معه أمر سلطاني مخاطب به المرحوم الشريف بركات مضمونه ارضاء السيد أحمد بن غالب وابقاؤه وجميع معاليمه والوصاية على السادة الاشراف وان لا يحوج مولانا الشريف أحدا منهم الى الوصول الى الابواب وان تكون البلد ارباعا الربع منها لمولانا الشريف والثلاثة الارباع للسادة الاشراف وأخبر الاغا ان السيد أحمد واصل وانه فارقه في الطريق وكان قد وصل قبل ذلك أمر بذلك للشريف سعيد عقب وفاة أبيه فما أظهره ثم وصل السيد أحمد بن غالب وصار تقسيم الارباع ومن ذلك حصل الاختلاف بين الاشراف فكتب السيد أحمد بن غالب مائتين من العسكر لفقها من ضروب العالم وانحازت اليه عبيد ذوي زيد وفي خلاصة الاثر بعد ذكر وفاة الشريف بركات قال ثم عقد مجلس الاجتماع يوم الجمعة ثاني يوم الوفاة بالحطيم بحضرة الاشراف والعلماء والاعيان والعساكر فاظهر الشريف سعيد أمرا سلطانيا كان برزله لما أرسله والده الى السلطان ان الملك له بعد أبيه فقرئ بذلك المجمع ولم تقع مخالفة من أحد وكان قد ورد للشريف سعيد بعد وفاة أبيه الامر بالارباع فأخفاه وكان الاشراف متحققين خبره قبل وصوله فطلبوه من الشريف سعيد فأحضره الى مجلس الشرع وسجل مضمونه وقسموا مدخول البلاد أرباعا ربع لشريف مكة وربع تشيخ فيه السيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن حسن بن حسين بن أبي نمي والسيد ناصر بن أحمد الحارث ومعهما جماعة من الاشراف والربع الثالث تشيخ فيه السيد أحمد بن غالب والسيد أحمد بن سعيد ومعهما جماعة والربع الرابع تشيخ فيه السيد عمرو بن محمد والسيد غالب بن زامل ومعهما جماعة فحصل بذلك التشاجر في القسمة والتعب والتشاحن ووقع في البلاد السرقة والنهب واختلفوا فيما بينهم وصارت الرعية بالارباع ولزم من ذلك ان كل صاحب ربع يكون له كتبة وخدام يجمعون ما هو له وجمع السيد أحمد بن غالب عسكرا وانضم اليه من العبيد كثير فتعب الشريف سعيد بذلك وأمرهم بترك العسكر فامتنعوا وقالوا ان السوالف

الجماع وطالت علته وغشي عليه فشك من حوله في موته وكان لا يجسر عليه أحد لشدة هيبته فتقدم اليه الطبيب يختبره بجس نبضه ففتح عينه وفطن لذلك فرفس الطبيب برجله رفسة فنحاه أذرعا فمات الطبيب ثم مات المعتضد من ساعته * وكانت وفاته يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وخلف من الاولاد ذكورا واحدى عشرة بنتا وكانت مدة ملكه تسع سنين وتسعة أشهر ونصفا رحمه الله ﴿فصل﴾ لما اشتد مرض المعتضد جعل ولي عهده من بعده ولده أبا محمد ولقبه المكتفي بالله وأخذ له البيعة قبل موته بثلاثة أيام فلما توفي المعتضد الى رحمة الله كان المكتفي غائبا بالرقة فنهض بالبيعة له الوزير أبو الحسين القاسم بن عبيد الله وكتب اليه فوصل الى بغداد  من الرقة في سابع جمادى الاولى وكان يوم وصوله يوما مشهودا زينت له بغداد ونزل دار الخلافة وخلع على الوزير المذكور تسع خلع عظيمة ومدحه الشعراء وأنعم عليهم بالجوائز السنية * وكان مولده في غرة ربيع الاول سنة أربع وستين ومائتين وأمه أم ولد تركية اسمها جيجل وكان مليح الصورة يضرب بحسنه المثل وفيه قال القائل يصف الدنيا

ميزت بين جمالها وفعالها * فاذا الملاحة بالقباحة لا تفي

والله لا أختارها ولو انها * كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

وكانت سيرته حسنة وأفعاله جيدة فأحبه الناس وفرحوا بخلافته ودخوله وذكر عبد الغافر في تاريخ نيسابور عن ابن أبي الدنيا وكان معلما للمكتفي قبل أن يلي الخلافة قال فلما أفضت الخلافة الى المكتفي كتبت اليه هذين البيتين

ان حق التأديب حق الأبوه * عند أهل الحجى وأهل المروه

وأحق الرجال أن يحفظوا ذا * ك ويرعوه أهل بيت النبوة

انتهى * ومن أعظم الحوادث في أيامه ظهور القرامطة الملحدين بل الكفرة المفسدين أعداء الدين فأول من خرج منهم يحيى ابن مهرويه القرمطي ومحل خروجهم ودار ملكهم هجر وهم اباحية يستحلون دماء الحجاج والمسلمين يدعون ان الامام الحق بعد النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وينتسبون اليه بالباطل ويسندون اليه أقاويل باطلة لا أصل لها ويكفرون من عداهم وهم الكفرة قاتلهم الله تعالى ﴿ولما ظهر بالخروج يحيى المذكور﴾ جهز اليه المكتفي بالله جيوشا واستمر القتال بينه وبين عسكر الخليفة الى أن قتل وسيق الى جهنم وبئس المصير فقام بعده أخوه الحسين وأظهر شامة بوجهه

---

سبقت عمل هذا الصاحب الربع وشهد بذلك كبار الاشراف وذكر الشريف سعيد انه متوهم من هذا الفعل وطلب من يكفل له ابن غالب فيكفله عشرة من الاشراف واصطلحا على ذلك ثم ادعى الشريف سعيد ان عبيدهم أتلفوا البلاد والقصد ان أهل الارباع كل منهم يرسل رجلا من جانبه يعس البلاد بالليل مع جماعته فارسل ابن غالب أخاه السيد حسنا وأرسل السيد محمد بن أحمد ابنه السيد بركات وأرسل الشريف سعيد السيد حمزة بن موسى بن سليمان في جماعة من الخيالة والمشاة ومعهم حاكم مكة القائد أحمد بن جوهر ولما قدم الحاج وخرج الشريف لملاقاته على المعتاد لم تخرج معه الاشراف في العرضة فبعد ان حج الناس ونزلوا عقد الشريف مجلسا فيه أحمد باشا حاكم جدة وأمير الحاج الشامي صالح باشا وأمير الحاج المصري ذو الفقار بيك وأمين الصرة وأكابر عسكر الجبين فلما حضروا جميعهم شكا من السيد أحمد بن غالب من جهة كتابة العسكر وانه مناكد له في البلاد وافسد عليه الاشراف وانه حصل منه ومن جماعته الفساد في البلاد وأرسلوا له السيد غالب بن زامل ليحضر فيظهر من الخلاف فامتنع من الحضور في بيت الشريف سعيد وقال ان كان القصد الاجتماع ففي المسجد وان كان لكم دعوى فاوكل وكيلا يسمع ما تدعون به علي فارسلوا يسألونه من جهة كتابة العسكر وما بعده فاجاب بان هذه قواعد بيننا قد سلفت ان لصاحب الربع ان يكتب عسكرا وأما قولكم انه حصل من جماعتي أو عسكري مفسدة فأطلقوا مناديا ينادي معاشر الناس كافة هل أحد منكم يشتكي من أحمد بن غالب أو من جماعته أو من عسكره شيئا أو أخذوا حق أحد ظلما أو ضربوا أحدا فان وجد ثم مشتكيا صح ما قاله الشريف سعيد والا فلا وجه له ولكم وأما قولكم انا تركنا العرضة معه فخفنا ان يقع شيء فينسب الينا أو الى جماعتنا كل هذا وجميع الاشراف اجتمعوا على قلب واحد وخيولهم مسرجة ودروعهم على ظهورهم وملؤا الجياد الى العقد وتحركت الانفة الهاشمية التي تأبى الضيم ولما سمعوا جواب السيد أحمد بن غالب علموا انه لا وجه له عليه فسعوا في الصلح بينهما وكتب بينهما بذلك حجة وطلبوا من السيد أحمد بن غالب ان يأتي الى الشريف سعيد فأتاه ليلة ثم أتاه الشريف سعيد ليلة أخرى وتم الصلح وحصل من الشريف سعيد في ذلك الموسم انه أمر مناديا ينادي في البلاد باخراج الاعراب من مكة من جميع الطوائف لحصل للناس مزيد تعب فتكلم العسكر معه في ذلك فرجع فلما رأى أحمد باشا حاكم جدة اختلال حاله سطا على ربع حب الجرابة التي ترد الى مكة وأراد الاستيلاء عليه فبلغ ذلك الاشراف فلما كان يوم الجمعة ثاني عشر المحرم افتتاح سنة خمس وتسعين وألف أراد النزول الى جدة فشكت عليه الاشراف بعد ان كلموه في ذلك فامتنع وتحزبوا جميعا وقالوا لا ينزل حتى يعطينا ما هو لنا ولا يبقى

الاسود زعم أنها آيته وظهر ابن عمه عيسى بن مهرويه وتلقب بالمدثر وزعم انه المراد بالسورة الشريفة القرآنية ولقب غلاما مظلما بالنور بالنون وتسمى أمير المؤمنين وزعم أنه المهدى ودعا لنفسه على المنابر وأفسد بالشام وعاث فيها الخور بوا وقتل الثلاثة وحزت رؤسهم وطيف بها فى البلاد فى سنة احدى وتسعين * وخلف من بعدهم خلف ظهر منهم مفاسد سيأتى ذكرها استطرادا وتعب المسلمون كثيرا فى أمرهم الى أن خذلهم الله تعالى ولم يطل زمان المكتفى * وكانت مدة ملكه ستة أعوام ونصفا ولما مرض مرض الموت وتيقن بالفناء والفوت سأل عن أخيه أبى الفضل جعفر بن المعتضد فقيل انه احتلم وصح عنده ذلك ﴿فجعله ولى عهده ولقبه المقتدر بالله﴾ وبويع له على ان يكون الخليفة بعده قال الصولى سمعت المكتفى يقول فى علته التى مات فيها والله ما آسى الا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من بيت مال المسلمين فى أبنية وعمارات لا أحتاج اليها وذكر أبو منصور الثعالبى قال حكى ابراهيم بن نوح ان الذى خلفه المكتفى مما جمعه هو وأبوه لا غير مائة ألف ألف دينار ما بين عين وأمتعة وأوان وعقارات وكان من جملة الامتعة ثلاثة وسبعون ألف ثوب ديباج فسبحان من بيده خزائن السموات والارض له الملك واليه ترجعون ولما جاء الاجل المحتوم المقتدر وتلى لسان حاله ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر انقصف غصن شبابه القشيب ويبس عود جماله النضير الرطيب وصار بدر كماله مخسوفا وعاد محياه المشرق بالجمال مكسوفا فانتقل من دار الفناء الى دار البقاء فى ليلة الاحد لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر القعدة الحرام سنة خمس وتسعين ومائتين رحمه الله تعالى وخلف ثمانية أولاد ذكور وثمانى بنات ﴿وولى بعده أخوه أبو محمد على المقتدر بالله بن المعتضد بالله بن الموفق بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسى﴾ بايعه الناس وعمره ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله أصغر منه ذكره الجلال السيوطى وأمه أم ولد تسمى شغب وولى الخلافة ثلاث مرات هذه الاولى منها ولم يتم له فيها أمر لصغر سنه فتغلب الجند عليه واتفقوا على خلعه فخلعوه * وعقدوا البيعة لابى العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد * ولقبوه الغالب بالله وبايعوه لعشر بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين واستمر خليفة ساعة من ذلك النهار * وعبد الله بن المعتز لقصر خلافته لا ينبغى عده من الخلفاء ولكن نذكره لفضله وأدبه

---

لنا عنده شئ وكان ذلك بعد أن قدم أهله وثقله الى خارج مكة قاصدين جدة فصار حينئذ أحير من ضب واجتمعوا كلهم ببيت السيد محمد بن حمود وأرسلوا اليه السيد ثقبة فقال له ان نزلت قبل أن تصلح الاشراف يأخذوا جميع أسبابك التى تقدمتك وينهبوا حرمك ويقتلوك فاذعن حينئذ بوفائهم فقالوا لا نرضى بذلك حتى يكفل لنا فكفله كرد أحمد أغا وجميع رؤساء العسكر وكتب بذلك حجة وانه ان حصل منه منع لبعض حقوقهم يكن عاصى الشرع والسلطان ثم خرج من مكة بعد العصر كالهارب وطلب منهم شريفا يوصلهم الى جدة خوفا من العرب أن يطمعوا فيه ففعلوا ذلك وأرسلوا معه السيد مبارك بن ناصر ثم اشتد البلاء بالسرقة ليلا ونهارا وكسرت البيوت والدكاكين وترك الناس صلاة العشاء والفجر بالمسجد خوف القتل أو الطعن وصار العبيد لا يأتون الا ثمانية أو عشرة وانقلب ليل الناس نهارا وكثرت القتلى فى الرعية حتى ضبطت القتلى فى رمضان فبلغت تسعة أشخاص فضجت الناس من هذه الاحوال فارسل الشريف سعيد الى الابواب السلطانية ترجمانه يذكر فساد مكة وانها خربت وأرسل يطلب عسكرا لاصلاحها وكانت الناس فى هذه المدة يتوسلون الى الله تعالى أن يصلح الامور فاستجاب الله دعاءهم فاقتضى نظر السلطان واركان دولته أن لا يصلح هذا الحال الا الشريف أحمد بن زيد فاعطى الشرافة اه وسيأتى ذكر ذلك بعد اتمام الكلام على دولة الشريف سعيد

* (ذكر ورود الامر السلطانى باخراج الشيخ محمد بن سليمان وما وقع له عند خروجه) *

فى مدته كان اخراج الشيخ محمد بن سليمان من مكة وذلك انه فى شهر شوال سنة خمس وتسعين ورد أمر سلطانى يتضمن اخراجه من الحرمين قدم به السيد أحمد بن غالب وسجل عند قاضى الشرع فلما سجله القاضى أرسل الى الوزير عثمان حميدان وبعثه مع نائبه الى الشيخ محمد بن سليمان يأمره بالخروج من الحرمين ويخبره بورود الامر السلطانى فامتنع الشيخ من الخروج وقال ليس هذا وقت خروج من البلد واذا جاء الحج خرجت مع الحج فصعب القاضى فى خروجه وعدم ابقائه الى الحج وطلع بنفسه الى مولانا الشريف وألح على اخراجه فارسل مولانا الشريف سعيد بن عمه السيد رضوان بن عمرو بن ابراهيم والقائد أحمد بن جوهر الى الشيخ يأمره بالخروج وانهم يعطونه كل ما يريد وانه يحضر عند القاضى ويبدى عذرا فامتنع وقال ان الامر السلطانى ورد بان اخرج وأنا خارج اذا جاء الحج وأما الآن فلا ألقى بيدى الى التهلكة وليس فى الامر ان أخرج يوم وصول هذا الامر وتعجيله فزادت صعوبة القاضى وبعث ترجمانه الى الوزير ليرسل معه عشرة من صارجية الشريف وأمرهم ان يأتوا بالشيخ مكرها البتة فجاؤا الى باب دار الشيخ وهو فى المدرسة التى عند مدرسة الداودية المشهورة

وهو أشعر بنى العباس بل أشعر بنى هاشم على الاطلاق وأكثرهم فضلا وأدبا ودخولا ومعرفة بعلم الموسيقى وأشعر الشعراء مطلقا فى التشبيهات المبتكرة الغريبة المخترعة المرقصة التى لا يشق غباره فيها أحد ❊ مولده فى شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين ❊ قال المعافى بن زكريا لما بويع ابن المعتز دخلت على شيخنا محمد بن جرير الطبرى العالم الكبير المفسر المحدث المؤرخ رحمه الله تعالى فقال لى ما الخبر قلت بويع بالخلافة لعبد الله بن المعتز قال فمن مرشح لوزارته فقلت محمد بن داود قال فمن قاضيه قلت أبو المثنى فأطرق قليلا ثم قال هذا أمر لا يتم فقلت ولم لا يتم فقال كل من ذكرت ذو شأن عظيم متقدم فى فضله وعلمه وعقله وان الدنيا تولبه والزمان مدبر ولا مناسبة لاحد ممن ذكرت اسمه برآسة فى مثل هذا الزمان وما أرى هذا العقد  الآئلا الى الانحلال والاضمحلال فقدر الله تعالى انهم خلعوه فى ذلك اليوم وتلاشى أمره فان عبد الله بن المعتز لما عقدت له البيعة والخلافة أرسل الى المقتدر يأمره باخلاء دار الخلافة وان يذهب الى دار محمد بن طاهر لينظر فى أمره ❊ فلما جاء الرسول الى المقتدر وبلغه الرسالة قال ليس له جواب عندى غير السيف ولبس السلاح وركب معه جماعة قليلة من خدمه وهم مستسلمون للقتل فى غاية الخوف والرعب وهجموا على عبد الله بن المعتز وعلى بعض الامراء والفقهاء وسلمهم الى يونس الخازن وقتل منهم من أراد وحبس عبد الله بن المعتز وأخرج من الحبس ميتا واستقام الامر للمقتدر وهذه ولايته الثانية فسار أحسن سيرة واستقام أمره بعد الاضمحلال وطلعت شمس سعادته بعد الزوال ولاح بدر فلاحه من أوج الكمال والعزة لله الكبير المتعال وحيث انجر الكلام الى ذكر عبد الله بن المعتز فلا بأس بتنميق هذه العجالة وترويق هذه الرسالة ببعض أشعاره المستظرفة لبعلم البلغاء مرتبته فى البلاغة واقتداره على الكلام فنورد قصيدته فى الحماسة التى فاخر بها آل النبى صلى الله عليه وسلم ولا يخفى على ان الاقدام على مثل ذلك يدل على قوة الطبع فان الادعاء لهذا المطلب العالى من أمثاله ممجوج فى الاسماع منفر للطباع فاذا أبرزه مع ذلك فى قالب مطبوع دل ذلك على قوة طبع الشاعر كما قال شاعر عصره الاديب المفوه ابن الرومى

فى زخرف القول تزيين لباطله ❊ والحق قد يعتريه سوء تغيير

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وان تعب قلت ذا قئ الزنابير وهذه منتخب تلك القصيدة التى فاخر فيها بين قومه بنى العباس وآل أبى طالب رضى الله عنهم فى

المشهورة بمدرسة ابن سليمان والباب مغلق فهموا بكسر الباب والشيخ واقف فى الطاقة يستغيث بالناس وينادى بأعلى صوته يا أهل مكة يا مسلمين اطلب شريعة محمد بن عبد الله ان أمر السلطان بقتلى فأمضوه وان كان باخراجى فأنا خارج اذا جاء الحج والازدحام على بابه يجمع بين الخاص والعام وأهله يضجون بالبكاء والنحيب فخرج عند ذلك العلامة الشيخ أحمد بن عبد اللطيف البشبيشى المصرى وكان مجاورا بمكة وكان أعطاه الشيخ المدرسة الداودية يقيم فيها ويأخذ معلومها وطلع الى القاضى فلم يقبل شفاعته فرجع من عنده فرآه الشيخ محمد بن سليمان فصاح بأعلى صوته مستغيثا به فوقف الشيخ وقال له يا شيخ محمد أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فقال أنا مطيع لله ورسوله ولاولى الامر ولم يأمر السلطان بتخريجى فى هذا اليوم وأنا خارج مع الحج ولست بكافر وأودع من يسمعنى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنا غير مدافع للشرع ولست بخارج من دارى فليصنعوا ما يرونه والعامة عن آخرهم تصرخ بسببه بانواع السب الشنيع وجعل هو يسب مولانا الشريف سعيدا والمرحوم مولانا الشريف بركات بانواع السب وعم الجميع القول الفاحش ثم ان بعض أصحاب الشيخ لحق بمولانا الشريف ثقبة بن قتادة واستغاثه وأطمعه فيه فخرج من بيته ودخل من باب رباط الغورى الذى عند باب الوداع وتسبب فى الوصول الى الشيخ فدخل عليه وآمنه وأمر مولانا السيد ثقبة بفتح باب الدار فلما رآه العسكر ومن معهم وقفوا ورجعوا الى مولانا الشريف والقاضى وأخبروهم بأن مولانا السيد ثقبة عند الشيخ وانه آمنه وأرجعهم الى من أرسلهم ثم ان السيد ثقبة قال للشيخ ان كان لابد من خروجك فأخرج أنت وأنا الى بلدى بخليص واستمر عندى الى الحج فرضى ثم ان مولانا السيد ثقبة فرق الناس وطلع الى الشريف والقاضى وكلمهما بأنه فى جواره واستأذنهما فى بقائه بمكة الى الحج فبقى وقد ذلت صعوبته ولانت صعدته وانقبض انبساطه وتطأطأ اشتطاطه ثم سافر مع الحج وهكذا الدنيا قرضا بوفاء لا تدوم على صفاء وممارسخ فى المسامع ان الدنيا بجمعها غير الاكل وبأكلها غير الجامع ثم توفى فى حادى عشر ذى القعدة سنة أربع وتسعين بالشام ودفن بالصالحية بسفح قاسيون وكان الشيخ محمد بن سليمان المذكور من أكابر العلماء وأصله من سوس وولد بها سنة ثلاث وثلاثين وألف وأخذ العلم بالمغرب وصحب اجلاء الشيوخ من أهل المغرب ولازم أكابر العلماء ثم رحل فطاف المغرب ثم رحل الى المشرق فدخل مصر وأخذ عن أكابرها وعلمائها ثم دخل أرض الحرمين وأقام بالمدينة المنورة ملازما غالب أوقاته للذكر والخلوة عن الناس ثم وصل مكة المشرفة وأقام بها وصحبه الفضلاء وأخذوا عنه وكان رحمه الله عالما متفننا متسعا عديم النظير فصيح النطق ذا هيبة

الخلافة وما أنصف فيما ادعاه ولكنه أتى بشعر بليغ معناه فقال    ألا من لعيني وتسكابها * تشكي القذا وبكاها بها
ترامت بنا حادثات الزمان * ترامي القسي بنشابها    ويا رب ألسنة كالسيوف * تقطع أرقاب أصحابها
وكم دهي المرء من نفسه * فمزقه حد أنيابها    وان فرصة أمكنت في العدو * فلا تبد فعلك إلا بها    فان لم تلج بابها مسرعا
أتاك عدوك من بابها    وما نافع ندم بعدها * وتأميل أخرى وأنى بها    وما ينتقص من شباب الرجال * يزد في نهاها وألبابها
نهيت بني رحمي ناصحا * نصيحة بر بأنسابها    وقد ركبوا بغيهم وارتقوا * معارج تهوي بركابها    وراموا فرائس أسد الشرى
وقد نشبت بين أنيابها        دعوا الاسد تفرس ثم اشبعوا * بما فضل الاسد في غابها    قتلنا أمية في دارها

جلالة وفراسة في اصابة الرأي وصار له بمكة شهرة فاعتقده كثير من الناس ثم رحل الى الديار الرومية صحبة أخي الوزير مصطفى باشا وبلغه بواسطة أخيه الوزير من ترقي مراتب العز ما شا حتى قلده السلطان والوزير النظر في أمر الحرمين فرجع وحصل جميع ما تقدم وكان له اليد الطولى في المعقول وعلم الفلك وغيرهما وله تآليف كثيرة منها حاشية على التصريح للشيخ خالد في علم النحو قال السنجاري كان دخوله في هذه الدائرة من المحن السائرة والا فهذا امام جليل ومحقق نبيل تقصر عن وصفه العبارة وتحدو بذكره السيارة وكان شريف مكة وصاحب جدة لا يقطعان أمرا دونه وانتهت اليه رآسة مكة وبنى بمكة رباطا للفقراء يعرف الآن برباط ابن سليمان عند باب ابراهيم يسكنه أهل اليمن وبنى مقبرة بالمعلى تعرف الآن بمقبرة ابن سليمان فأقام بمكة تلك المدة وأمره نافذ على غلاظة وشدة الى ان تبدلت تلك السعودات بالنحوس وهبط بعد ان كان على الرؤس فورد الامر باخراجه الى آخر ما تقدم رحمه الله وسامحه ولا يعترض بذكر قضية الشيخ محمد بن سليمان وان كان القصد من هذا التاريخ المختصر ذكر أمراء مكة وما يتعلق بهم لان هذه القضية لها تعلق بهم وفيها عبرة لمن اعتبر وأيضا هي مشهورة بين الناس اجمالا وكل أحد يحب أن يطلع عليها تفصيلا فلا لوم في ذكرها ومن الحوادث في دولة سيدنا الشريف سعيد ان والده سيدنا الشريف بركات كان أرسل هدية الى سلطان الهند فأقام الحامل للهدية هناك أربع سنين لعدم قبول السلطان عليه والتفاته اليه فدخل بما معه من الهدية الى بندر اشي وكان بها امرأة فأهدى اليها ما معه من الهدية وأفهمها انه رسول من الشريف بركات صاحب مكة ففرحت بذلك فرحا عظيما ووقع لها موقع وأمرته بالاقامة لتهيئ له هدية لمرسله فاتفق ان حرقت كنيسة هنالك فانسبك ما فيها من الذهب الى ان صار له صورة فأمرت بحمله في هدية سيدنا الشريف وجعلت أيضا معها صدقة لمكة فجاء الحامل للهدية والصدقة مكة بعد ولاية سيدنا الشريف سعيد ومن جملتها هذا الذهب ومقداره على ما قيل ثلاثة قناطير من الذهب وربما يصفو خالصا على النصف وكافور ثلاثة أرطال وعود وزباد وخمسة قناديل ذهب للكعبة ومبخرتان وشمعادين وللمدينة أيضا قناديل وشمعادين فلما وصلت هذه الهدية في شعبان سنة أربع وتسعين وقع بين السادة الاشراف أصحاب الارباع نزاع لان الاشراف يريدون ان يأخذوا ثلاثة أرباع تلك الهدية والشريف سعيد لا يريد اعطاءهم ثلاثة ارباع فأوجب ان تحمل في بيت السيد محمد الحرث الى ان يتفقوا وينقضي رمضان فبقيت عنده ثم اتفقوا على ان يأخذ أصحاب الارباع النصف مما ورد باسم الهدية وتفرق الصدقة على الفقراء فأخذوا الهدية وفرقوا الصدقة وتقدم ذكر ما وقع من اختلاف السادة الاشراف مفصلا واستمر ذلك

وكنا أحق بأسلابها
ولما أبى الله أن تملكوا
نهضنا اليها وقمنا بها
ونحن ورثنا ثياب النبي
فلم تجذبون بأهدابها
لكم رحم يا بني بنته
ولكن بنو العم أولى بها
فهلا بني عمنا انها
عطية رب حبانا بها
وكانت تزلزل في العالمين
فشدت لدينا بأطنابها
وأقسم أنكم تعلمون
بأنا لها خير أربابها
فرد عليه شاعر زمانه
وبليغ أوانه الصفي الحلي
بقوله
ألا قل لشر عبيد الاله
وطاغي قريش وكذابها
أأنت تفاخر آل النبي
وتجحدها حق أسبابها
بكم بأهل المصطفى أم بهم
ترد العداة بأوصابها
أعنكم نفي الرجس أم عنهم
لطهر النفوس وألبابها
اما الشرب واللهو من دأبكم
وفرط العبادة من دأبها
هم الصائمون هم القائمون
هم العالمون بآدابها    هم الزاهدون هم العابدون * هم الساجدون بمحرابها
هم قطب ملة دين الاله * وأهل الرحا بأقطابها    تقول ورثنا ثياب النبي * فلم تجذبون بأهدابها    وعندك لا يورث الانبيا
فكيف حظيتم بأثوابها    أبوهم وصي نبي الاله * وأهل الوصية أولى بها    أجدك يرضى بما قلته * وما كان يوما بمرتابها
وكان بصفين من حزبهم * لحرب البغاة وأحزابها    وصلى مع الناس طول الحيا * وحيدر في صدر محرابها
فهلا تقمصها جدكم * وهل كان من بعض خطابها    واذ جعل الامر شورى لهم * فهل كان من بعض أربابها
وقولك أنتم بنو بنته * ولكن بنو العم أولى بها    بنو البنت أيضا بنو عمه * وذلك أدنى لأنسابها

ذلك الى سنة خمس وتسعين فولى مولانا السلطان سيدنا الشريف أحمد بن زيد وجاء الخبر الى مكة في عشرين من ذي القعدة وكان قدوم مولانا الشريف أحمد مع أخيه الى اسلامبول سنة سبع وثمانين وألف وقد ترجم الشيخ المحبي صاحب خلاصة الاثر سيدنا الشريف أحمد بن زيد بترجمة واسعة ووصفه بالفضل والادب وكان قد اجتمع به في القسطنطينية فمن جملة ما قال في الخلاصة وأقام بقسطنطينية مدة مديدة واتحدت بخدمته اتحادا تاما وتقربت اليه كثيرا وكان كثيرا ما يدنيني اليه ويقبل على بكليته وقد مدحته بقصائد منها هذه القصيدة ثم ذكرها وهي طويلة جيدة بليغة مطلعها

يجوب الارض من طلب الكمالا ● ومن صحب القنا بلغ السؤالا
وكم في الارض من سكن ودار ● وان كان النوى يضني الجبالا
وما هجري الدماذ لا ولكن ● رأيت الذل ان أهوى الجمالا

ثم ذكر كثيرا من تلك القصائد ثم ذكر كيفية ولايته مكة وفي تاريخ الرضي انه في سنة سبع وثمانين أنعمت الدولة على مولانا الشريف سعد بولاية المعرة وأمر بالتوجه اليها واستمر مولانا الشريف أحمد باسلامبول وعرضت عليه ولاية طرسوس وأخرى بجهة الروملي فلم يقبل واحدة منهما وكان جوابه ان تفضلتم بولاية بلاد نارا الافخر تحت أعتاب السلطنة فاستمر مقيما بها يتجدد له من الاكرام والترقيات ما فوق المرام وحصل بينه وبين قزلار أغاسي محبة أكيدة وطلب الاجتماع بالوالدة فاجتمع بها وأغدقت له سوابغ النعم ووعدته بتمام المرام واستمر كذلك الى سنة ثلاث وتسعين وألف فوصل فيها الى الديار الرومية السيد محمد بن مساعد والسيد بشير بن مبارك مرسولين من السيد أحمد بن غالب فركبا الى مولانا الشريف أحمد وقالا عنده فألقى بعض المفسدين الى الوزير الاعظم وقال ان اقامة مولانا الشريف أحمد باسلامبول يخشى منها فالاولى عدم اقامته بها فاحضره الوزير وألبسه قفطانا بولاية كرك كليسه اسم محل بينه وبين ادرنة ثمان ساعات فلكية وكان قبل ولايته بشهرين أرسل بأخيه الشريف سعد الى البلد المسمى وزة بكسر الواو وتخفيف الزاي وهي قريبة أيضا من كرك كليسه بنحو ثمان ساعات واستمر كل منهما بمكانه الى سنة أربع وتسعين ثم فسح لهم السلطان بالتوجه الى حيث شاؤا من الديار الرومية فتوجه مولانا الشريف سعد الى اسلامبول واستمر مولانا الشريف أحمد في بلدته وطابت له وتأنس بها الى ان كانت سنة خمس وتسعين ثم لما جاءت الاخبار الى مولانا السلطان بما وقع في الحجاز من الخراب والعناد والنهب وكان السلطان بادرنة طلب مولانا الشريف أحمد ثالث شوال وولاه بعد استقرار رأي رجال دولته

وقلت بأنكم القائلون ● اسود أمية في غابها
كذبت ولولا أبو مسلم ● لعزت على جهد طلابها
وقد كان عبد الهم لا لكم ● رأى عندكم قرب أنسابها
وكنتم أسارى بطون الحبوس ● وقد شغلكم لثم أعتابها
فأخرجكم وحباكم بها ● وقمصكم فضل جلبابها
فجازيتموه بشر الجزا ● لطغوى النفوس واعجابها
فدع في الخلافة فضل الخلاف ● فليست ذلولا لركابها
وما أنت والفحص عن شأنها ● وما قمصوك بأثوابها
وما ساومتك سوى ساعة ● فما كنت أهلا لاسبابها
عليك بلهوك بالغانيات ● وخل المعالي لأربابها
ووصف العذار وذات الخمار ● ورونقت العقار بألقابها
● فذلك شأنك لا شأنهم ● وجرى الجياد بأحسابها

ومن السحر الحلال الذي عقده في سلك اللآل ورقمه بقلم البلاغة على صفحات الايام والليال هذا الموشح الذي يصلح وشاحا للجوزا واكليلا على التاج المحلى بنجوم الثريا سارت به الركبان وتناقلته الرواة بألسنة الزمان قوله

أيها الساقي اليك المشتكى
قد دعوناك وان لم تسمع
ونديم همت في غرته
وبشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق اليه واتكى
وسقاني أربعا في أربع
مالعيني عشيت بالنظر
أنكرت بعدك ضوء القمر
واذا ما شئت فاسمع خبري
عشيت عيناي من فرط البكا
وبكى بعضي على بعضي معي
غصن بان مال من حيث التوى
مات من يهواه من فرط الجوى



خفق الاحشاء موهون القوى ● كلما فكر في البين بكى ● ويحه يبكي لما لم يقع ● ليس لي صبر ولا لي جلد
يالقومي عذلوا واجتهدوا ● أنكروا اشكواي مما أجد ● مثل حالي حقها أن تشتكي ● طامع اليأس وذل الطمع
كبدي حري ودمعي يكف ● يذرف الدمع ولا يعترف ● أيها المعرض عما أصف ● قد نمى حبي بقلبي وزكا
لاتقل في الحب اني مدعي ومن تشبيهاته الرائقة واشعاره الفائقة قوله ومقرطق يسعى الى الندماء ● بعقيقة في درة بيضاء
والبدر في أفق السماء كدرهم ● ملقى على ياقوتة زرقاء ● (وله مثلث وهو معنى بديع) ● خليلي طاب الراح من بعد طبخها
وقد عدت بعد الكسر والعود أحمد ● فهاتا عقارا من قميص زجاجة ● كياقوتة في درة تتوقد ● يصوغ علينا الماء شباك فضة

لها حاق بيض تحل وتعقد * وقتنى من نار الجحيم بنفسها * وذلك من احسانها ليس يجحد   وله من التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب مفاكهات الاخوان وكتاب الصيد والجوارح وكتاب السرقات الشعرية وكتاب أشعار الملوك وكتاب طبقات الشعراء وديوان شعر وغير ذلك * ومن كلامه فى البلاغة البلوغ الى المعنى ولم نطل سفر الكلام واشعاره البليغة وتشبيهاته الغريبة كثيرة لا نطول بها هذه العجالة ولما تقرر أمر المقتدر فى التمكن والاقتدار واستقرت خلافته أتم استقرار استوزر أبا الحسن على بن محمد بن الفرات فسار أحسن سيرة واستقر فى الخلافة الى سنة سبع عشرة وثلثمائة فخرج يونس الخادم على المقتدر وركب وركب معه الجيش (١٠٦) والامراء وجاؤا الى دار الخلافة فهرب خواص المقتدر من داره ونهبوا دار الخلافة فكان مما نهب ستمائة ألف دينار لام المقتدر واشهد على نفسه بالخلع لاربع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة سبع عشرة وثلثمائة ﴿وأحضر أبو منصور محمد بن المعتضد ابن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد﴾ وبايعه يونس والامراء ولقبوه القاهر بالله وفوضت الوزارة الى الوزير أبى على بن مقلة الكاتب المشهور وجلس القاهر يوم السبت وكتب الوزير ابن مقلة الى سائر البلاد وعمل يوم الاثنين الديوان فى العسكر يطلبون منه انعام الجلوس فارتفعت الاصوات فنعهم الحاجب ومالوا الى دار يونس وأخرجوا المقتدر من الحبس وحملوه على أعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير وأتوا باخيه محمد القاهر اليه وهو مقهور يبكى ويقول الله الله يا أخى فى روحى فاستدناه المقتدر وقبل بين عينى أخيه وقال له يا اخى لا ذنب لك وأنت مغلوب على أمرك والله لا ينالك منى مكروه فطاب نفسا وقر عينا ولما زال روعه آوى اليه أخاه قال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون وبذل المقتدر الاموال للجند واسترضاهم وثبتت له الخلافة وهذه ثالث مرة والثالثة ثابتة * (فصل) ومن جملة محاسن المقتدر بالله انه زاد فى المسجد الحرام زيادة باب ابراهيم وليس المراد به الخليل عليه وعلى نبينا وسائر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه بل كان ابراهيم هذا خياطا يجلس عند هذا الباب مدة دهر فعرف به وكان قبل هذه الزيادة باب متصل بأروقة المسجد الحرام بقرب باب الحزورة ويقال له باب الخياطين ويقرب منه باب ثان يقال له باب بنى جمح وخارج هذين البابين ساحة بين دارين لزبيدة أم

على ان الصلاح لا يكون الا به وقد ذكر فى خلاصة الاثر كيفية توليته حيث قال ولم يزل مقيما بالروم والاحوال تنتقل به الى ان حصل لمكة ما حصل من الاختلاف بين الاشراف فبلغ ذلك السلطان فأرسل الى الشريف أحمد يطلبه فلما أتاه ودخل قام اليه وقابله بغاية الاجلال ووضع كفه بكفه وصافحه من قيام قائلا اللهم صل على محمد وآل محمد وأول خطاب من السلطان قال له يا شريف أحمد الحجاز خراب أريدك تصلحه فامتثل ذلك فعند ذلك ألبسه ما كان عليه ثم جلس السلطان وأمره بالجلوس فجلس وأعاد عليه ما قاله أولا مرتين وهو يجيبه بالامتثال والقبول فحينئذ قال السلطان اذا آن أوان الشئ أبرزه الله تعالى ثم أمر الوزير والكتاب ان يكتبوا له ملتمسه فخرج الشريف وقدم له مركوب من خيل السلطان ورحل على خيل البريد الى دمشق وقد خرج الحاج منها قال صاحب الخلاصة فدخلت عليه مهنئا له بالشرافة وأنشدته هذه الابيات

الحق عاد الى محله * والشئ مرجعه لاصله يا طالما وعد الزما * ن به وأعيانا بمطله
حتى تحقق انه * فى الناس مفتقر لمثله والسيف عند الاحتيا * ج اليه يعرف فضل نصله
والدهر ينفر تارة * ويعود معتذرا لاهله لا ريب قد سر الورى * بفعاله الحسنى وعدله
فالكل شاكر صنعه * ولسانهم وصاف فضله

وأقام بدمشق ثلاثة أيام ثم خرج قاصدا الحاج حتى لحقه بالعلا ودخل المدينة الشريفة وتلقاه عسكرها ولبس الخلعة السلطانية تجاه الحجرة الشريفة كما لبسها أبوه ثم دخل مكة سابع ذى الحجة ختام سنة خمس وتسعين وألف وذكر فى الخلاصة أيضا عند ذكر آخر ولاية الشريف سعيد بن بركات فى ضمن ترجمة أبيه ان الشريف سعيدا عرض للدولة خراب الحجاز وطلب عسكرا لاصلاحه وكان هو وعمه عمرو ينتظران الجواب فلما كان سابع عشر ذى القعدة سنة خمس وتسعين ركب الشريف سعيد الى أحمد باشا صاحب جدة وكان بالابطح ببستان الوزير عثمان حميدان واستمر عنده الى جانب يسير من الليل ثم ركب وقصد ثنية الحجون ذاهبا الى السيد غالب بن زامل وكان نازلا بذى طوى فلما جاوز الحجون اذا هو برجل على ذلول فاستخبره من أى العرب فقال من بنى صخر فقال له الشريف سعيد أمعك كتاب من يحيى بن بركات وهو أخو الشريف سعيد فقال لا وكان الشريف يحيى قد ذهب لملاقاة الحج الشامى فأمر بضربه وهدده بالقتل فأقر بانه رسول من الشريف أحمد بن زيد الى السيد أحمد بن غالب وانه قد جاء متوليا مكة ولحق الحاج الشامى فى العلا ثم ذهب ليلة الثلاثاء تاسع عشر الشهر الى بيت عمه السيد عمرو واستدعى السيد غالب بن زامل والسيد ناصر بن أحمد الحارث والسيد عبد الله بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبى نمى وتشاوروا فى اظهار هذا الامر كيف

الامين بنيتا فى سنة ثمان ومائتين ومابقى لتينك الدارين أثر الآن والذى يظهران دارى زبيدة كانت احداهما فى الجانب الشامى فى مكان رباط الخوزى الآن وكانت الاخرى تقابلها من الجانب اليمانى من تلك الزيادة وهى رباط رامشت الذى يعرف الآن برباط ناظر الخاص فأدخلت هذه الساحة التى بين الدارين فى المسجد الحرام وأبطل البابان يعنى باب الحياطين وباب بنى جمح بحيث دخلا فى المسجد الحرام وجعل عرض البابين بابا كبيرا هو المسمى بباب ابراهيم فى غربى هذه الزيادة (قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد رحمه الله تعالى) فى حوادث سنة ست وثلثمائة من كتاب اتحاف الورى باخبار أم القرى وفيها زاد قاضى مكة يومئذ محمد بن موسى فى الجانب الغربى قطعة عند باب الحياطين وباب بنى جمح وهى السوح التى كانت بين دارى زبيدة أم الامين وعمل ذلك مسجدا أوصله بالمسجد الكبير وطول هذه الزيادة من الاساطين التى فى ازاء جدار المسجد الكبير الى القبة التى عليها باب ابراهيم سبعة وخمسون ذراعا الاسدس ذراع وعرض هذه الزيادة من جانبها اليمانى وذلك من جدار رباط الخوزى الى جدار رباط رامشت اثنان وخمسون ذراعا وربع ذراع وفى هذه الزيادة فى جانبها الشرقى المتصل بالمسجد الكبير صفان من الرواق على أساطين منحوتة من الحجارة وكذلك فى جانبها الشمالى ولم يكن فى جانبها الغربى رواق وفى جانبها الشمالى سبيل وسط رواقيه وكانت بهذه الزيادة منارة ذكرها التقى الفاسى فى شفاء الغرام * قلت أما المنارة فلا أدرى من بناها ولا متى هدمت وأما السبيل فكان موجودا الى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة فهدم عند وصول العمارة السلطانية اليه وأعيد بناؤه سبيلا كما كان وهذه الزيادة الثانية وقعت فى أيام المقتدر العباسى رحمه الله تعالى * (ومن جملة محاسن المقتدر أيضا) * انه أبطل من دواوينه استخدام أهل الذمة من اليهود والنصارى وأبطل ما يرفع من المواريث فى الاموال السلطانية وأعاد الامر بتوريث ذوى الارحام فى سائر ممالك الاسلام وأتلف كثيرا من الاموال وأفرغ خزائن بيت المال وباع كثيرا من الضياع حتى أرضى الجند بامهال عطياتهم وكان يفرق كل عام من الابل والبقر أربعين ألف رأس ومن الغنم خمسين ألف رأس كذا ذكره الجمال يوسف بن تغرى بردى فى تاريخه مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة * وقال أبو المحاسن يوسف سبط ابن الجوزى رحمهما الله تعالى كان المقتدر يصرف فى طريق

كيف يكون فاتفق الامر على ان يرسلوا الى السيد مساعد بن الشريف سعد بن زيد فارسلوا اليه السيد عبد الله بن هاشم فأتى به فلما دخل بيت السيد عمرو ورأى الجماعة مجتمعين جلس معهم فقال الشريف سعيد يا سيد مساعد لم أرسل اليك فى هذا الوقت الا قصدى أودعك أهلى فان عمك الشريف أحمد تولى مكة وانك تقوم مقامه حتى يصل وأرسل الشريف سعيد الى أغاوات العسكر وقال لهم ان الامر للسيد أحمد بن زيد فاخدموا سيدكم وخرج الشريف سعيد تلك الليلة الى الوادى وأقام به حتى سافر الحج المصرى فذهب معه الى مصر وفى تاريخ السنجارى انه فى صبح الليلة التى سافر فيها الشريف سعيد انعقد مجلس فى المسجد خلف مقام الحنفى وحضره سائر الاشراف وصاحب جدة والقاضى والمفتى والعلماء ووجوه الناس وأقيم السيد مساعد بن سعد بن زيد نائبا عن عمه الشريف أحمد بن زيد ونودى له فى البلد وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ثم توجه الشريف سعيد بن بركات الى مصر وتوفى بها وأما أخوه السيد يحيى بن بركات فتوجه الى الشام وسيأتى ذكر ولايته امارة الحج الشامى ثم ولايته شرافة مكة وفى ثانى ذى الحجة جاءت مكاتيب من الشريف أحمد بن زيد لكبار الاشراف مضمونها التلطف بالرعية والوصية على البلد الى حضوره وخرج الناس الى لقاء مولانا الشريف أحمد بن زيد فوصل يوم السابع من ذى الحجة ودخل مكة فى موكب أعظم وكادت الناس ان تقتتل من الزحام وجلس للتهنئة ومدحته الشعراء بقصائد وفرح الناس به وضج بالناس ثم نشر لواء العدل والانصاف فحصل له فى القلوب هيبة وأمنت الطرق واستقر الناس واستمر فى ولايته الى سنة تسع وتسعين وألف

*(ذكر قضية الشيخ تاج الدين القلعى سنة ١ ٩٧)*

وفى أيامه كانت قضية الشيخ تاج الدين القلعى مع أحمد باشا صاحب جدة وشيخ الحرم المكى وملخصها انه فى يوم الاحد خامس عشر ربيع الثانى سنة سبع وتسعين وألف وافق أن كانت مباشرة صلاة الصبح فى مقام الحنفى عند الشيخ تاج الدين ابن الشيخ عبد المحسن القلعى فتأخر قليلا فصلى بالناس بعض المجاورين فلما أتم الصلاة سأل أحمد باشا شيخ الحرم عن صاحب النوبة الذى تأخر عن الحضور فأخبر به فدعاه الى مدرسة الداودية ثم أمر بضربه على رجليه فلما سمع بذلك بعض الائمة أنفت نفوسهم فاجتمع منهم جماعة مع بعض أئمة الشافعية وهو الشيخ على العصامى وكان أكبر الجماعة وذهبوا الى مولانا الشريف أحمد بن زيد وعرفوه ما وقع وقالوا له ان جرم التأخير لعذر لا يوجب هذه الاهانة وطلبوا منه ان يعفوهم من هذه الخدمة بعد هذا القدر فانهم لا طاقة لهم بذلك ثم على فرض كون الامام اتى جرما لا يوصل به الى هذه الحالة فقال مولانا الشريف انا لا أرضى بهذا المن

مكة والحرمين ثلثمائة ألف دينار وخمسة عشر ألف دينار * وقال الحافظ السيوطي كان النساء غالبين على المقتدر فأخرج عليهن جميع جواهر الخلافة ونفائسها وأعطى بعض حظاياه الدرة اليتيمة وكان وزنها ثلاث مثاقيل وأعطى زيدان القهرمانة سبحة جوهر لم ير مثلها وكان في داره أحد عشر ألف غلام خصي غير الصقالبة والروم والسود * وكان مبلغ النفقة على بيمارستان أم المقتدر في كل عام سبعة آلاف دينار وانه ختن خمسة من أولاده فصرف في ختانهم ستمائة ألف دينار *(وقدمت رسل ملك الروم)* بهدايا لطلب الهدنة فعمل المقتدر موكبا عظيما لارهاب العدو وأقام مائة وستين ألف مقاتل بالسلاح الكامل سماطين من باب الشماسة الى دار الخلافة ببغداد تمر الرسل بينهما في هذه المسافة وأقام بعدهم الخدام وهم سبعة آلاف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب وكانت الستور التي بقيت على دار الخلافة ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التي فرشت في الارض اثنين وعشرين ألف بساط وفي الحضرة مائة سبع في سلاسل الذهب والفضة وغير ذلك * وزاد الجمال يوسف تغري بردي من جملة الزينة شجرة صيغت من الذهب والفضة والجواهر تشتمل على ثمانية عشر غصنا أوراقها من الذهب والفضة وأغصانها تتمايل بحركات مصنوعة وعلى الاغصان طيور من ذهب وفضة ينفخ الريح فيها فيسمع لكل طير صدح مفرد وصفير خاص وهذا يعدونه في الدولة العباسية وضعفها فكيف كان زينتها في أيام قوة دولتهم في كمال وصفها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتريه الزوال ولا تغيره الشؤن ولا تحوله الاحوال وهو الله الكبير المتعال له الملك وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا مثال كون الاكوان وقدرها تقديرا ولم يتخذ صاحبة ولا وزيرا تعالى شأنه وعلا سلطانه علوا كبيرا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا

*(فصل وأول ما ظهر من الوهن للخلافة)* في أيام المقتدر ظهور الطائفة الملحدة التي تسمى القرامطة لهم اعتقاد فاسد يؤدي الى الكفر يستبيحون دماء المسلمين وينسبون الى موالاة محمد بن الحنفية من أولاد سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويرون ضلال كافة المسلمين فأول نجس خبيث ظهر منهم أبو طاهر القرمطي وبنى دارا في هجر سماها دار الهجرة أراد نقل الحج

---

دونكم ولكن اكتبوا سؤالا وخذوا عليه خط المفتي ونأخذ لكم النصفة بعد ذلك بالوجه الشرعي فكتبوا السؤال فأجابهم المفتي الشيخ عبد الله عتاقي زاده بانه يجب تعزير من أهان أهل العلم وطلع جماعة منهم لمولانا الشريف أحمد وأشرفوه على الجواب فأمر بالاجتماع عند القاضي واقامة الدعوى على الباشا الذي ضرب الشيخ تاج الدين فاجتمعوا وحضر الباشا عند القاضي بعد الطلب وأقيمت الدعوى فحكم القاضي على الباشا شيخ الحرم بما يوجبه جواب السؤال ثم اصطلحوا في المجلس وخرج شيخ الحرم وأخذ معه الى بيته الشيخ تاج الدين القلعي وأرضاه بما طابت به نفسه وحقد شيخ الحرم في نفسه على المفتي لاجل هذه الفتوى ثم بعد مدة أتى الى الباشا ان المفتي الافندي عبد الله عتاقي أحدث مرحاضا في سبيل السلطان مراد قصبته في جدار المسجد فارسل جماعة يشرفون على ذلك فرجعوا اليه بعد الاشراف وأخبروه بانه قديم من البناء الاصلي فقام بنفسه وذهب الى دار المفتي وسأله عن المرحاض فقال له انه قديم وليس بحادث فسبه وضربه الى ان أدماه ورماه على الارض وداسه برجله وخرج فتلاه المفتي وقصد منزل مولانا الشريف وعليه دمه فغضب مولانا الشريف لذلك غضبا شديدا وحصل اضطراب في البلد وأخذ الناس حمية وأنفة مما حصل للمفتي وعزل السوق فجاء الخبر للباشا فدخل عند القاضي فارسل مولانا الشريف للقاضي ان يحفظه عن الفرار وأمر شيخ الفراشين أن يدعو الفقهاء ووجوه الناس للقيام بهذا الشأن فسبقت العامة الى بيت القاضي ورجموا القاضي والباشا بحصى المسجد ثم جاء الوزير عثمان حميدان وأخذ الباشا وخرج به من الباب الذي من جهة باب الزيادة وأدخله منزله بسويقة والناس تتبعه بالرجم بالحجارة ثم اجتمعوا عند القاضي وألزموه باحضار الباشا لتقام الدعوى عليه فامتنع من الحضور فقالت الفقهاء انه خان الشرع وحكموا بارتداده وكفره لمخالفته الشرع وضربه للمفتي وأخذوا بذلك حجة وطلعوا بها لمولانا الشريف فأخذها منهم ولم يؤذن في هذا اليوم لصلاة الظهر لهذه الحادثة غير ان الائمة صلوا وقامت الجماعة ثم نادى المنادي من مولانا الشريف بالامان وبعد صلاة العشاء أخذ الوزير عثمان حميدان الباشا وأطلعه لمولانا الشريف فلامه على فعله فلم يجد جوابا وطلب مولانا الشريف المفتي فجاء بعد الامتناع وجلس معتزلا عن الباشا ولم يجتمع به واجتمع بمولانا الشريف واعتذر له وقال له أما يكفيك ما وقع لهذا الباشا من هذه الهيضة وقد جاء متعذرا ثم بعد يومين أو ثلاثة توجه الباشا بعسكره الى جدة وكتب الافندي عتاقي زاده المفتي الى من يعتمد عليه في اسلامبول وكذلك كتب مولانا الشريف أحمد بما وقع فجاءت المراسيم من السلطنة بعزل الباشا المذكور

وفي

وفى سنة سبع وتسعين أيضا غزامولانا الشريف أحمد وقصد جهة الشرق وخرج من مكة عاشر ربيع الثانى فى جيش عظيم وحمله نحو خمسمائة بعير وأطاعته القبائل وكافة العرب وانقادوا له وأذعنوا الطاعته قال السنجارى ولم يزل مولانا الشريف يتنقل فى تلك الرحاب ويطفى ما توقد من لهب الاعراب الى ان وصل الى المدينة المشرفة يوم الخميس سادس عشر شوال من السنة المذكورة فخرج للقائه أهل المدينة واستمر الى العصر ثم سار لزيارة السيد حمزة سيد الشهداء رضى الله تعالى عنه وبات هناك ثم دخل المدينة يوم الجمعة واتفق انه فى ذلك اليوم ورد قاصد من الروم معه خلعة وسيف لمولانا الشريف وقفطان لشيخ الحرم المدنى فلبس مولانا الشريف الخلعة فى الروضة والبس أيضا شيخ الحرم قفطانه واستمر سيدنا الشريف بالمدينة الى ان توجه الى مكة ثانى عشر ذى القعدة ودخل مكة هلال ذى الحجة محرما فطاف وسعى بالليل ثم عاد الى الزاهر ودخل فى الصبح فى الاى أعظم وفى شهر المحرم افتتاح سنة تسع وتسعين حصل اختلاف وتنافر بين مولانا الشريف والسيد أحمد بن غالب فخرج السيد أحمد بن غالب من مكة مغاضبا فى شهر صفر وتبعه جماعة من الاشراف ثم فى شهر ربيع توجه السيد أحمد بن غالب الى جهة الشام وفى أواخر ربيع الثانى مرض مولانا الشريف أحمد وجاءته حمى واستمر مرضه نحو خمسة عشر يوما ثم توفى الى رحمة الله يوم الخميس ثانى عشر جمادى الاولى وقت الضحى وكتم موته ابن أخيه الشريف سعيد الى بعد صلاة الظهر وكان مولانا الشريف سعيد هذا ابن مولانا الشريف سعد بن زيد مقربا عند عمه مولانا الشريف أحمد بن زيد يخصه بمزيد محبته لما يرى من نجابته وربما أمره بالجلوس فى ديوان بدايته فى مدة توعكه

*(الولاية الاولى للشريف سعيد بن سعد ١٠٩٩)*

لما توفى مولانا الشريف أحمد جلس مولانا الشريف سعيد فى الديوان العام وبعث الى الوزير وكبار العسكر فتكلم معهم فى المكانة فأذعنوا له وطلعوا الى قاضى الشرع مع جماعة من وجوه الفقهاء واتفق رأيهم على اقامة المذكور مقام عمه وأخذوا الخلعة وطلعوا بها الى دار السعادة وألبسوه اياها واستقر الحال على أحسن ما يكون وأخرجوا الجنازة وقت العصر فصلوا عليه ودفنوه بالمعلى على والده فكانت مدة دولته أربع سنين الاثلاثة أيام ومولده سنة اثنتين وخمسين وألف فعمره سبع وأربعون سنة وأسف الناس عليه وحزنوا لموته ورثاه الشعراء بقصائد ومولد الشريف سعيد سنة خمس وثمانين وألف وسافر والده من مكة وهو عند مراضعه وهذه الولاية الاولى من ولايته شرافة مكة وفرق يوم السبت على العسكر جوامكهم وزاد من أراد زيادته وختم على جميع مخلفات عمه الشريف أحمد بحضرة السيد ثقبة بن قتادة وكتب الى ابن عمه السيد عبد

---

لهالعنه الله وأخزاه وكثرفتكه فى المسلمين وسفك دماء المؤمنين الى ان اشتد بهم الخطب وانقطع الحج فى أيامه خوفا منه ومن طائفته الفاجرة واشتدت شوكتهم ففى أواخر عام سبع عشرة وثلثمائة لم يشعر الحجاج يوم التروية بمكة الا وقد وافاهم أبو طاهر القرمطى فى عسكر جرار فدخلوا بخيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام ووضعوا السيف فى الطائفين والمصلين والمحرمين مجردين فى احرامهم الى ان قتلوا فى المسجد الحرام وفى مكة وشعابها زهاء ثلاثين ألف انسان وتلك مصيبة ما أصيب الاسلام بمثلها وركض أبو طاهر بسيفه مشهورا فى يده وهو سكران فصفر بفرسه عند البيت الشريف فبال وراث والحجاج يطوفون حول البيت الحرام والسيوف تنوشهم الى ان قتل فى المطاف الشريف ألف وسبعمائة طائف محرم ولم يقطع طوافه على بن بابويه وجعل يقول

ترى المحبين صرعى فى ديارهم
كفتية الكهف لايدرون كم لبثوا

والسيوف تقفوه الى ان سقط ميتا رحمه الله تعالى وطمت بالشهداء بئر زمزم وما بمكة من آبار وحفر قد ملئت بهم وطلع أبو طاهر الى باب الكعبة وقلع بابها وصار يقول

أنا بالله وبالله أنا
يخلق الخلق ويفنيهم أنا

وصاح فى الحجاج ياحمير أنتم تقولون ومن دخله كان آمنا فأين الأمن وقد فعلنا ما فعلنا فأخذ شخص بلجام فرسه فقال وقد استسلم للقتل ليس معنى الآية الشريفة ما أنكرت وانما معناه من دخل فأمنوه فلوى أبو طاهر عنان فرسه عنه ولم يلتفت اليه وصانه الله تعالى ببركة بذل نفسه فى سبيل الله والرد على ذلك الكافر خزاه الله • وأراد قلع الميزاب وكان من ذهب فأطلع قرمطيا يقلعه له فأصيب بسهم من جبل أبى قبيس فما أخطأ منحره وخر ميتا وأمر آخر مكانه فسقط من فوق الى أسفل على رأسه فهاب الثالث عن الاقدام على القلع فمضى أبو طاهر وتركه على رغم أنفه وقال اتركوه حتى يأتى صاحبه يعنى المهدى الذى زعم انه يخرج منهم • وكان ممن قتل بمكة أميرها ابن محارب والحافظ أبو الفضل محمد بن الحسن بن أحمد الجار ودى الهروى أخذته السيوف وهو متعلق بيديه بحلقة باب الكعبة حتى سقط رأسه على عتبة باب بيت الله تعالى وأخوه امام الفقهاء الحنفية أبو سعيد أحمد بن الحسين البردعى والشيخ أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله الرهاوى وشيخ الصوفية على بن بابويه الصوفى والشيخ محمد بن خالد بن زيد البردعى نزيل مكة وجماعة كثيرون من العلماء والصلحاء والصوفية والحجاج

من أهل خراسان والمغاربة ونهبت أموالهم وسبيت ذراريهم ونهبت دور الناس وقتل من وجد من أهلها الا من اختفى فى الجبال وممن هرب من مكة يومئذ قاضيها يحيى بن عبد الرحمن بن هرون القرشى مع عياله الى وادى رهجان ونهبت القرامطة من داره وأثاثه وأمواله ماقيمته مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار فافتقر بعد تلك الثروة وكذلك نهبت دور مكة الى ان صار الباقى ممن نجا من تلك الواقعة فقراء يستعطون ولم يحج فى هذا العام أحد ولا وقف بعرفة الا عدد يسير فاز وابأنفسهم وسمعوا بأرواحهم فوقفوا بدون امام وأتموا حجهم مستسلمين للموت وأخذ أبو طاهر خزانة الكعبة ومافيها من الذهب والفضة وكسوة الكعبة وخلعها ومانهبه من أموال الحجاج فقسمها بين أصحابه وأراد أخذ حجر المقام الذى فيه صورة قدم سيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه وعلى سائر أنبياء الله ورسله الكرام فلم يظفر به لان سدنة الكعبة أخفوه وغيبوه فى شعاب مكة وتألم لذلك فاستدعى بجعفر بن أبى علاج البناء وأمره بقلع الحجر الاسود من محله فقلعه بعد العصر يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ذلك العام وصار يتدفقه يقول قاتله الله ولعنه وأخزاه

فلوكان هذا البيت لله ربنا
لصب علينا النار من فوقنا صبا

لانا حججنا حجة جاهلية
محللة لم تبق شرقا ولا غربا

وانا تركنا بين زمزم والصفا
جنائز لاتبغى سوى ربها ربا

وقلع ذلك الكافر قبة زمزم وباب الكعبة وأقام بمكة أحد عشر يوما وقيل ستة أيام ثم انصرف الى بلده هجر وحمل معه الحجر الاسود يريد أن يحول الحج الى مسجد الضرار الذى سماه دار الهجرة وعلقه هو فى الاسطوانة السابعة مما يلى صحن الجامع من الجانب الغربى من المسجد وبقى موضع الحجر الاسود خاليا يضع الناس أيديهم فيه ويتبركون بمحله وأمر هذا الفاجر أن يخطب لعبيد الله المهدى أول الخلفاء العبيديين الفاطميين وكان أول ظهوره فبلغ عبيد الله المذكور ذلك فكتب اليه ان أعجب العجب ارسالك بكتبك ممتنا بما ارتكبت فى بلد الله الامين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام الذى لم يزل محترما فى الجاهلية والاسلام وسفكت فيه دماء المسلمين وفتكت بالحجاج والمعتمرين ثم تعديت وتجرأت على بيت الله تعالى وقلعت الحجر الاسود الذى هو يمين الله فى الارض يصافح بها عباده وحملته الى أرضك ورجوت ان أشكرك على ذلك فلعنك

المحسن والى أخيه ابن المرحوم الشريف أحمد بن زيد يخبرهم بذلك وكانا بينبع فأمرهم بالمقام هنالك لمحافظة ما يليهم وعامله من مكة الاشراف بالسمع والطاعة وزينت البلد ثلاثة أيام وفى جمادى الثانية يوم السادس منه ورد قابجى بخبر خلع السلطان محمد بن ابراهيم وتولية أخيه السلطان سليمان ابن ابراهيم ومعه مرسوم باسم الشريف أحمد بن زيد وقفطان مضمون المرسوم الانعام على الشريف أحمد بحماية الحرمين الشريفين على ما كانت عليه أوائله فحضر الشريف سعيد بالحطيم والقاضى والمفتى وأعيان الناس وقرؤا المرسوم ولبس الشريف سعيد القفطان وخلع على الناس ثم جلس فى بيته للتهنئة وفى الرابع عشر من الشهر ورد السيد عبد المحسن بن الشريف أحمد بن زيد من ينبع ومعه السيد مساعد بن سعد بن زيد وجلسا للعزاء وفى الثالث والعشرين من الشهر المذكور كتب الشريف سعيد عرضا لصاحب مصر يطلب التقرير له على شرافة مكة وبلغه ان الفقهاء يتكلمون فيما لايعنيهم فبعث اليهم ان يلزموا منازلهم ويحفظوا ألسنتهم بعد التهديد لبعضهم من حاكمه القائد أحمد بن جوهر وفى غرة شعبان جاء الخبر بان السيد أحمد بن غالب اعترض المكاتيب والعرض الذى أرسله الشريف سعيد وأخذه فى ينبع ممن كان معه وكان مرسلا مع الشيخ محمد المنوفى ثم كتب الشريف سعيد عرضا آخر عليه خطوط العلماء وعرفهم بواقعة الحال وماجرى من السيد أحمد بن غالب وبعثه من جهة الشام وكان الشريف أحمد بن غالب مقيما بينبع وبعث الى صاحب مصر يطلب ولاية مكة وبذل لصاحب مصر مالا يقال انه مائة كيس وكان بمصر مال تجمع للفقراء من أهل مكة من باقى الحب نحو خمسة وسبعين ألف قرش فقام ابراهيم بيك القاسمى أمير الحاج المصرى ويوسف أغا وكيل صاحب مكة وأعطيا الباشا ذلك من قبل السيد أحمد بن غالب وقاما فى توليته لكتب وردت اليهما منه وتصالحا على ذلك وأخذا بعضا من المال واستخرجوا أمرا من الباشا بولاية الشريف أحمد بن غالب شرافة مكة فجاء الامر مع بعض أعوان الباشا وبعثوا به الى صاحب جدة ومعه أمر لصاحب جدة فى تنفيذ ذلك وأرسل صاحب مصر الى أبواب السلطنة يطلب الولاية للشريف أحمد بن غالب فلما كان ليلة الرابع عشر من رمضان ورد من صاحب جدة قاصد الى قاضى الشرع وأغاة الانكشارية يعرفهم بان صاحب السعادة صاحب مصر وصلنا منه أمر بان مكة قد تولاها السيد أحمد بن غالب وقد بعث الينا السيد أحمد بعض أشراف وانهم واصلون اليكم مع تسلم مولانا الشريف أحمد بن غالب وهو مولانا السيد محمد بن مساعد بن مسعود بن حسن فطلع مولانا القاضى الى مولانا الشريف سعيد وأخبره بذلك فما أجاب الا بالتصميم على القتال وانه لايسلم مكة بامر باشوى وعلى فرض ذلك فكان وصوله اليك

هو الواجب لا الى صاحب جدة وفي تاريخ الرضي ان الشريف سعيدا قال للقاضي ان كان بيد السيد أحمد بن غالب أو صاحب جدة أمر سلطاني فليأتوا به ونحن مطيعون للامر السلطاني وان كان ليس بامر سلطاني فحكم الباشا على مصر وعيدها يعزل فيه ويولي من شاء وما دون مكة الا السيف فقال له القاضي يا مولانا هذا وزير مصر يعزل ويولي فكذبه صريحا فقال يعزل ويولي مثلك فلما تعقل القاضي كلامه بعث الى صاحب جدة يحذره عاقبة الامر فجاء جوابه بانا نادينا للسيد أحمد بن غالب بجدة في ثالث عشر رمضان وانه طالع الى مكة مع قائم مقام المذكور والسيد مساعد فلما بلغ مولانا الشريف سعيدا ذلك تأهب للقتال وجمع عبيد ذوي زيد وكلم العساكر فظهر له احجامهم وبعث نحو عشرين خيالا من عبيده الى نحو جدة فجاءه النذير بان صاحب جدة وصل هو وبعض الاشراف ممن كان مع الشريف أحمد بن غالب ونزلوا الركاني بلد الشريف أحمد بن غالب في طريق جدة وان جماعة الشريف سعيد واجهوه وقالوا له لا تدخل مكة فان مولانا الشريف سعيدا غير مسلم للبلد بدون قتال أو أمر سلطاني فقال لهم انه لا بد من دخول مكة ثم جاؤا للشريف سعيد بكتاب ظفروا به من قاضي مكة لصاحب جدة يأمره بالدخول ويخبره بانه استمال له أغاوات العساكر فحفظ الكتاب وزاد في التحرز وحفظ الطرقات وأقام عسكرا ببابه محافظين وأقام آخرين في بعض البيوت التي على الطريق ثم ظهر للشريف سعيد ان شيخ عسكره موافق للشريف أحمد بن غالب وانه بعث الى صاحب جدة يأمره بالطلوع وانه عازم على تثبيط العسكر فأمر بقتله فقتل وفي أواخر رمضان ورد الخبر بقدوم الشريف أحمد بن غالب الى مكة فاشتد التحفظ وفي التاسع والعشرين من رمضان وصل المذكور النوارية وهل هلال العيد ليلة الخميس والناس في أعلى درجات الشدة وجلس مولانا الشريف سعيد لرؤية العيد في الليل وهو في غاية التحفظ من كل الجهات ولم يحضر في الصبح صلاة العيد وعيد الشريف أحمد بن غالب في النوارية ومد لجماعته سماطا أعظم وترددت الرسل بينه وبين الشريف سعيد وكل يذل صاحبه عن القتال ثم جاء الخبر بوصول الشريف أحمد العمرة وجاء جماعة من الاشراف للشريف سعيد وأخبروه بان الامر قد خرج عنه وأظهروا له التخلي عنه بالكلية حتى أخوه وابن عمه فلما رأى انحلال الامر وكل الامر الى الله تعالى وأودع طوارفه السيد أحمد بن سعيد بن شنبر وسار متوجها الى الطائف فدخل مكة الشريف أحمد بن غالب بن محمد بن مسعود بن حسن بن أبي نمي ضحى يوم الجمعة ثاني شوال سنة تسع وتسعين وألف في آلاي أعظم من الجون لابسا خلعته الباشوية ومعه جميع الاشراف ونزل داره بيت الشريف محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي وكان قد اشتراها من السيد محمد بن زيد وجلس للتهنئة وحقن الله الدماء وامتدحه الشعراء بقصائد وعزل

الله ثم لعنك الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم في يومه ما ينجو به في غده فلما وصل كتاب عبيد الله المهدي الى أبي طاهر القرمطي وعلم ما فيه انحرف عن طاعته واستمر الحجر عندهم أكثر من عشرين سنة يستجلبون به الناس اليهم طمعا أن يتحول الحج الى بلدهم ويأبى الله ذلك والاسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهذه أعظم مصائب الاسلام وأشد وهنا في الدين من أولئك الفجرة اللئام ذابت لها أكباد العباد وعمت فتنتها في الحاضر والباد • الى أن دمر الله تعالى تلك الطائفة الفاجرة وتمزقت كل ممزق بيد الله القاهرة وابتلى أبو طاهر النجس بالاكلة فصار يتناثر لحمه بالدود ومات أشقى ميتة الى دار الخلود وتعذب بأنواع البلاء في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد  وأبقى ولما أيست القرامطة من تحويل الحاج حجهم الى هجر ردوا الحجر الاسود الى محله وورد سنبر بن الحسن القرمطي الى مكة في يوم النحر يوم الثلاثاء عاشر ذي الحجة الحرام سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ومعه الحجر الاسود فلما صار بفناء الكعبة حضر معه أمير مكة يومئذ وهو مطنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسي فأظهر سفطا أخرج منه الحجر الاسود عليه ضباب من فضة في طوله وعرضه تضبط شقوقا قد حدثت فيه بعد قلعه وأحضر معه جصا يشده به فوضع حسن ابن مرزوق البناء الحجر في مكانه الذي قلع منه وقيل بل وضعه سنبر بيده وقال أخذناه بقدرة الله وأعدناه بمشيئته وقد أخذناه بأمر ورددناه بأمر ونظر الناس الى الحجر فقبلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى وحضر ذلك محمد بن نافع الخزاعي ونظر الى الحجر الاسود وتأمله فاذا السواد في رأسه دون سائره وسائره أبيض وحضر معهم من حج في تلك السنة محمد بن عبد الملك بن صفوان الاندلسي وشهد رد الحجر الى مكانه ولما أعيد الحجر الى مكة حمل على قعود هزيل فسمن وكان لما مضوا به مات تحته أربعون جملا وكانت مدة استمراره عند القرامطة اثنين وعشرين سنة الا أربعة أيام وكان المنصور بن القائم بن المهدي العبيدي راسل أحمد بن سعيد القرمطي أخا طاهر بخمسين ألف ذهب في الحجر الاسود ليرده فلم يفعل وبذل حكم التركي مدبر الخلافة خمسين ألف دينار للقرامطة على رد الحجر الاسود فأبوا وقالوا أخذناه بأمر ولا نرده الا بأمر الى أن أراد الله تعالى رده على الوجه الذي ذكرناه وفي التواريخ صور أخرى لهذه القصة رأيناها متناقضة وهذا أصح ما روي فيها فاعتمدنا عليه فعض عليه بالنواجذ • ثم

كثيرا من أهل المناصب وولى غيرهم

## *(ولاية الشريف أحمد بن غالب سنة ١٠٩٩)*

وفى شهر القعدة جاء المرسوم السلطانى مضمونه ان صاحب السعادة صاحب مصر حسن باشا ر
الى الابواب السلطانية انه بعد وفاة الشريف أحمد بن زيد يستحق الشرافة الشريف أحمد بن غالب
وان الاشراف راضون به فحصل من السلطنة الانعام عليه بذلك فقرئ المرسوم بالحطيم ولبس
الشريف أحمد القفطان الوارد وجلس للتهنئة وزينت البلد ثلاثة أيام ولما جاء الحج خرج للقائه ع
العادة وحج بالناس وبعد سفر الحج جاء الخبر أن الشريف سعيدا توجه مع الحج الشامى الى جهة والد
وجهز مولانا الشريف أحمد بن غالب قاصدا الى الروم أوائل سنة ألف ومائة بهدية سنية وجا
الجواب بالقبول فى شوال مع مرسوم وخلعة فقرئ المرسوم بالحطيم وفتحت الكعبة للدعاء ع
المعتاد ولبس الخلعة وفى سنة واحد ومائة وألف فى أوائل المحرم تنافر الشريف احمد بن غالب و
جماعة من الاشراف ذوى زيد فخرجوا من مكة مغاضبين له ولم يبق بمكة منهم الا السيد عبد المحس
ابن الشريف أحمد بن زيد ووصلوا الى ينبع واستمالوا العرب واتفقوا على تولية الشريف محسن ب
الحسين بن زيد ونادوا له بشرافة مكة فى ينبع وأخذوا ستمائة اردب حب كانت هناك للشريف أح
ابن غالب وكتبوا الى صاحب مصر يعرفونه باخراج الشريف احمد لهم من مكة وخرج جماعة م
الاشراف من ذوى عبد الله وأخذوا القنفذة ومنعوا الزالة وانقطع طريق اليمن وكثر القطاع ع
طريق جدة وكثرت السرقة بمكة ووقع القتل بها ليلا ونهارا وكثرت الاقاويل بين العامة فى ذل
وتنافر السيد أحمد بن سعيد بن مبارك بن شنبر مع الشريف أحمد بن غالب وقبل ذلك نافره أيضا ذو
الحرث فتتابع الاشراف المنافرون فى الخروج من مكة واجتمعوا على السيد احمد بن سعيد ب
مبارك بن شنبر ونزلوا الحسينية واراد الشريف احمد بن غالب الركوب عليهم فلم يتيسر له ذلك ثم جا
الخبر انه نودى فى جدة للشريف محسن بن الحسين بن زيد فاضطرب حال الشريف وفرق العسكر
المدارس والطرقات وشعاب مكة واضطرب الناس لذلك ثم اجتمع العلماء وكتبوا محضرا لصاحب
جدة يسألونه عن هذا الامر ونزل به مولانا السيد عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبى نمى
ومعه السيد عبد المحسن بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبى نمى ومعهم جماعة من
القاضى ومن أصحاب البلكات فرجعوا وأخبروا بعدم الوفاق ولم يزل الامر يتفاقم وسبب انقلاب
صاحب جدة على الشريف احمد بن غالب توليته وزارة جدة لابن حميد القرشى فانه ورد جدة وجعل
يناقض الباشا فى كل أمر الى أن تكدر خاطره بعد صفائه فرجع لغدره بعد وفائه ثم جاء الخبر ب

ان الحجبة خافوا على الحجر الاسود من استطالة يد خائن اليه لعدم استحكام بنائه فقلعوه وجعلوه فى البيت الشريف حفظا له وصو
عمن أراده بسوء ثم أمر واصانعين فصنعا له طوقا من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبعة وثلاثون درهما فطوقوا به الحجر وشد
عليه به وأحكموا بناءه فى محله كما كان ذلك قديما وكما هو الآن أيضا كذلك * وكان قلع الحجر الاسود فى أيام المقتدر ثم وقع بينه و ب
يونس حرب فتوغل فى المعركة فضربه واحد من البربر من خلفه فسقط الى الارض فقال لضاربه ويحك أنا الخليفة فقال له أن
المطلوب وذبحه بالسيف ورفع رأسه على الرمح وسلب ما عليه وبقى مكشوف العورة الى أن ستر بالحشيش ثم حفر له مكانا ودفن ف
وعفى أثره فسبحان المعز المذل السميع البصير  له الملك وحده لا شريك له وهو على كل شئ قدير وكانت مد

خلافة المقتدر أولا وثانيا وثالثا خمسا وعشرين سنة الا أياما وقتل لثمان بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة وولى أخوه مكانه أبو منصور محمد بن المعتضد * ولقب القاهر بالله وقهر القاهر المذكور وسمل عينيه * وجاؤا بأبى العباس محمد بن المقتدر بالله بن المعتضد ولقبوه الراضى بالله وبايعوه فى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وصار خليفة الى أن مات سنة تسع وعشرين وثلثمائة وبويع لاخيه أبى اسحق ابراهيم بن المقتدر بعده ولقب المتقى بالله وقبض عليه توزون التركى وسمل عينيه فى صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وبويع بعده لابن عمه أبى القاسم عبد الله بن المكتفى بالله بن المعتضد * ولقب المستكفى بالله واستمر فى خلافته سنة واحدة وأمسكه من أمرائه معز الدولة ابن بويه

وسمل عينيه وضمه الى المكتفى بالله والقاهر بالله وصاروا ثلاثة فى العمى * * وولى الخلافة الفضل
ابن المقتدر ولقب المطيع لله وبويع له بالخلافة فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة * وكان رد الحجر الاسود الى مكانه من البيت
الشريف فى أيام المطيع لله هذا وتم أمره على ضعف الخلافة ووهنها واستيلاء بنى بويه على الملك وطالت أيامه الى أن خلع نفسه
وبويع لولده أبى بكر بن عبد الكريم فى سنة ثلاث وستين وثلثمائة ولقب الطائع لله وكان مغلوبا عليه من قبل امرائه وما كان
الا العظمة ظاهرا لاغير بحيث لما ورد فى سنة تسع وستين وثلثمائة رسول العزيز بالله بن المعز العبيدى صاحب مصر الى بغدا
وسأله عضد الدولة ابن بويه وهو يومئذ ملقب بالسلطنة من الطائع وبيده أمر المملكة ان يزيد فى ألقابه ويقال له تاج الملة ويجـ

عليه الخلع ويلبسه التاج فأجابه الى ذلك فجلس الطائع على سرير عال وأوقف حوله مائة سيف مسلول وبين يديه مصحف عثمان رضى الله عنه وعلى كتفه بردة النبي صلى الله عليه وسلم وبيده قضيب النبي صلى الله عليه وسلم وهو متقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك جميعه كما يتوارثه الخلفاء ويجعلونه لهوا كبهم العامة واحتجب بستارة عالية حتى لا يقع عليه نظر الجند قبل رفع الستارة وحضر الجند من الاتراك والديلم ووقف أرباب المراتب صفين ثم أذن بعضد الدولة فدخل ثم رفعت الستارة وقبل الارض وأدخل رسول العزيز صاحب مصر فارتاع وأهاله ما رأى فقال لعضد الدولة أهذا هو الله فقال له هذا خليفة الله فى أرضه ثم استمر يمشي ويقبل الارض سبع مرات التفت الطائع الى خادمه المقرب عنده واسمه خالص وقال له استدنه فقربه الى رجل السرير وقبل رجله فثنى الطائع يمينه على رأس عضد الدولة وأمره أن يجلس على كرسى وضع له قريبا من السرير فاستعفى عضد الدولة من ذلك فأقسم عليه ليجلس فقبل الكرسى ثم جلس عليه فلما استقر جالسا قال له الطائع قد فوضت اليك ما كان الله تعالى فوضه الى من أمور الرعية فى شرق الارض وغربها فقال يعيننى الله تعالى على طاعة أمير المؤمنين وقبل الارض فأمر أن يفاض عليه سبع خلع فأفيضت عليه وهو يقبل الارض فى كل واحدة وانصرف الناس خلفه وقد أهالهم ما رأوه واستعظموا ما شاهدوه وما كانت هذه العظمة الاصورة صناعية وكلفة اصطناعية حقيقتها واهية وقوتها واهنة وان السلطنة لما آلت الى أبى النصر بن بويه ركب الطائع اليه وخلع عليه سبع خلع وطوقه بطوق مجوهر وسوره بسوارين ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة فى سنة تسع وسبعين وثلثمائة * ثم فى سنة احدى وثمانين وثلثمائة جاء بهاء الدولة الى الطائع وقبل الارض بين يديه وجلس على الكرسى وأمر خدامه من الديلم فجذبوا الطائع من سريره ولفوه فى كساء وأمره بهاء الدولة ان يخلع نفسه ففعل ❊ وأتى بأبى العباس أحمد ابن اسحق بن المقتدر ولقبه القادر بالله ❊ وبويع له بالخلافة لعشر مضين من شهر رمضان من ذلك العام وكان على غاية من الديانة والعبادة والفضل وصنف كتابا فى الرد على القائلين بخلق القرآن وأمر ان يقرأ فى كل جمعة فى حلق أصحاب الحديث بحضرة الناس وعده ابن الصلاح فى علماء الشافعية وذكره فى طبقاته وطالت مدة خلافته حتى أنافت على احدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر



الطائف بأن السيد حسن بن أحمد الحرث نادى فى الطائف للشريف محسن بن الحسين بن زيد وتدانت الاشراف الذين مع السيد أحمد بن سعيد الى البلد وأخذوا ابلا للشريف أحمد بن غالب نحو خمسمائة ناقة من السعدية ولم يزل مولانا الشريف فى التحرز وأمر عسكر اليمن بملازمته فى الاروقة التى خارج المسجد ليلا ونهارا وفى عشرين من جمادى الثانية خرج من مكة السيد محمد بن حمود مغاضبا أيضا ونزل العابدية ثم كتب أهل مكة عرضا الى صاحب مصر والى أبواب السلطنة وينهون فيه ما وقع من صاحب جدة وأكثروا فيه من التشنيع عليه وفى سادس رجب عقدوا مجلسا فى الحطيم حضره جماعة من الاشراف والعلماء والقاضى فجعل مولانا الشريف يشكو للقاضى ما وقع من صاحب جدة فى حقه وانه كان سبب تفرق الكلمة وتفعل الاشراف عليه وقد انقطعت السبل وقد نادى فى جدة للشريف محسن بن حسين بن زيد من غير أمر السلطنة وان مطلوبى ان تكتبوا الى حجة فى تجويز مقاتلته لئلا تنقم على السلطنة فقال له كبير أغا سردار العسكر ياشريف نحن محافظون لمكة نذود عنها العدو ونقاتل حتى نقتل وأما الاشراف فهم بنو عمك لا ندخل بينكم وأما الباشا فتسأله عما فعل فانه لا يفعل شيأ من ذاته فى بلد السلطان فاتفق الامر على ان يرسلوا الى صاحب جدة رسولا من القاضى وانقضى المجلس عن شناعة ظاهرة فأرسل القاضى رسولا الى صاحب جدة فعاد بالامر اد وفى هذا اليوم أخرج الشريف بعض المدافع الى جهة الشبيكة وبعضها الى جهة المعلى وبعضها الى جهة بركة ماجن من جهة اليمن فى كل جهة مدفعان وفى ثامن عشر رجب جاء الخبران الشريف محسن بن حسين بن زيد ومن معه نزلوا الزاهر وان السيد أحمد بن سعيد بن مبارك بن شنبر فى أول القوم وأطلق الصنجق سبع مدافع لمنازل الزاهر فركب من بقى مع الشريف أحمد من الاشراف وغيرهم وخرجوا الى جرول ومعهم بيرق عسكر اليمن وأخرج الى جهة المعلى جماعة من العسكر وجماعة الى جهة البركة والشريف احمد بن غالب فى بيته وفى يوم السبت تاسع عشر رجب أرسل الشريف محسن بن حسين بن زيد جماعة من الاشراف فدخلوا مكة وقصدوا قاضى الشرع واستدعوا رؤس البلكات وأظهروا صورة بيوردى باشوى وطلبوا من القاضى تسجيله فامتنع ومضمونه تولية الشريف محسن وطلب القاضى نفس البيوردى الباشوى وثارت الانكشارية لعدم تنفيذ البيوردى الوارد صورته من الباشا وهجموا على القاضى وأعانتهم العامة لما لحقهم من التعب فهرب القاضى من سطح المدرسة فلم يجدوه فنهبوا ما وجدوه وأطلقوا البنادق على المدرسة وجاءت طائفة من جماعة مولانا الشريف ودخلوا المسجد ورموا فى وسط الحرم وتطاردوا ساعة ودخل بعض العسكر مدرسة المفتى عبد الله افندى عتاقى زاده على أهله

وتوفى الى رحمة الله تعالى فى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ﴿وولى بعده بعهد منه ولده أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله ولقبه القائم بأمر الله﴾ وكان خيرا دينا باهر الفضل الا انه مغلوب بيد أمرائه وطالت مدته مع ذلك وكانت خلافته خمسة وأربعين سنة ووفاته فى شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ﴿وولى بعده بعهد منه حفيده أبو القاسم عبد الله محمد بن القائم بأمر الله ولقب المقتدى بأمر الله﴾ وبويع له بالخلافة يوم وفاة جده بحضرة الامام الكبير الولى الشهير مولانا أبى اسحق الشيرازى أحد أركان أئمة الشافعية رضى الله عنهم وكان خيرا دينا من نجباء خلفاء بنى العباس وصالحيهم ومن جملة صلاحه وبركته ان السلطان ملك شاه من آل سبكتكين قصد ان يتحكم عليه  ويظهر الحيف والحيف على الخليفة المذكور فأرسل اليه وهو يقول لابد أن تترك لى بغداد وتذهب الى أى بلد شئت فأرسل الخليفة اليه يتلطف به فى ذلك فأبى الا شدة وغلظة فقال لرسوله اسأله المهلة لى ولو شهرا فأبى وقال ولا ساعة فأرسل الى وزيره واستمهله عشرة أيام فصار الخليفة يصوم بالنهار ويقوم بالليل ويتضرع الى الله تعالى ويضع خده على التراب ويناجى رب الارباب ويدعو على ملك شاه فنفذ دعاؤه وهو مظلوم نفوذ السهم المسموم فى كبد الظلوم واستجاب الله دعاءه وتقبل ضراعته فهلك السلطان ملك شاه قبل مضى عشرة أيام وكفاه الله تعالى شره وما ربك بظلام وعدت هذه كرامة للخليفة المقتدى وهذه عقبى كل ظالم معتدى ورحم الله من قال

وكم لله من لطف خفى ... يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم فرج أتى من بعد عسر ... وفرج كربة القلب الشجى
وكم هم تساء به صباحا ... وتأتيك المسرة بالعشى
اذا ضاقت بك الاحوال يوما ... فثق بالواحد الفرد العلى
تمسك بالنبى فكل هم ... يزول اذا تمسك بالنبى

ذلك وكذلك من قال

لا تشتغل بهموم القلب مكتئبا ... ولا تبيتن الا خالى البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها ... يغير الدهر من حال الى حال

وكانت وفاة الخليفة المقتدى بأمر الله فى محرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة ﴿وولى بعده ابنه أبو العباس أحمد ولقب المستظهر بالله﴾ بويع له بالخلافة يوم مات ابوه وكانت أمه أم ولد تركية اسمها الطون وكان كريم الاخلاق حسن الخط لا يقاومه أحد فى كتابته حافظا للقرآن عالما فاضلا وكان قد غلب عليه ملوك آل سلجوق وكانت مدة خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر توفى يوم

---

وعياله وأراد واقتله ففر منهم واستتر عنهم ثم أخرجوهم من الحرم بعد قتل بعض العبيد وقتل رجل فى المسجد من الهنود وعزل السوق ثم جاء من جهة الشريف محسن بن حسين السيد عبد الله بن سعيد واجتمع بالشريف أحمد بن غالب ثم خرج من عنده وأرسل الشريف أحمد جماعة الشريف محسن بن حسين يطلب منهم ان يعينوا له رجلا يودعه اطرافه فعينوا له السيد أحمد بن سعيد وطلب مهلة عشرين يوما يتجهز فيها ولما كان ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من رجب خرج الشريف أحمد ابن غالب الى الحسينية قاصدا جهة اليمن ومدة دولته سنة كاملة وتسعة أشهر وعشرون يوما

*(ولاية الشريف محسن بن الحسين سنة ١١٠١)*

فلما كان ضحى يوم الثلاثاء دخل مكة مولانا الشريف محسن ومعه محمد باشا صاحب جدة فى آلاى أعظم ولبس قفطانا كان قد ورد للشريف أحمد بن غالب فاحتبسه الشريف محسن عنده من سنة احدى ومائة وألف وجلس فى دار السعادة للتهنئة وامتدحته الشعراء وكانت ولادة الشريف محسن بعد الخمسين وألف نشأ فى كفالة جده الشريف زيد بعد انتقال والده بعد الستين ولم يزل الى أن سافر الى الابواب مع عميه ثم انتقل قبلهم الى مصر وأقام بها الى أن رجع الى مكة مع عمه الشريف أحمد ثم خرج هذا المخرج فرجع وقد كمل بدره وبذخ فخره وعاقب بعد دخوله مكة جماعة كانت أيديهم مع الشريف أحمد بن غالب فنزع مفتاح الكعبة من الشيخ عبد الواحد بن محمد الشيبى وأعطاه لاخيه الشيخ عبد الله بن محمد الشيبى وكان أصغر من أخيه الشيخ عبد الواحد ومنع مولانا الشريف محسن الشيخ عبد الواحد من الخروج والاجتماع بأكابر الحج زمن الحج وما أخذ منه المفتاح الا بعد أن عقد عليه مجلسا أحضر فيه القاضى والعلماء وادعى عليه بأنه أعطى بعض قناديل الكعبة للشريف أحمد بن غالب جعلها سكة وأحضر الصواغ الذين سكوها فسألهم مولانا الشريف فقالوا سككناها بأمر مولانا الشريف أحمد فسألهم ما الذى سككتموه فقالوا اسورة وحجول فقامت العامة وقالت انه من ذهب قناديل الكعبة التى مكنه منها الشيخ عبد الواحد وتكاثر الكلام من بعض الفقهاء الحاضرين لذلك المجلس الى أن أخذت العامة الشيخ عبد الواحد بالايدى فقام الصنجق وأخذه من أيدى العامة ودخل به محلا مختصا من دار مولانا الشريف وفزع أهل الشيخ عبد الواحد الى السيد ناصر الحرث فركب وأتى الى دار مولانا الشريف وخرج به الى داره ثم ان الصنجق بعث الى جدة يطلب الشيخ عبد الله بن محمد الشيبى وكان بجدة فلما حضر أمر مولانا الشريف بعض الفقهاء ان يدعى عند القاضى بطريق الوكالة عن مولانا الشريف على الشيخ عبد الواحد بالخيانة وانه اعطى الشريف أحمد بن غالب أربعة قناديل من الكعبة فادعى عليه وأثبت

الاربعاء لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة * (وولي بعده ولده أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله ولقب المسترشد بالله) * وبويع له بالخلافة يوم مات والده وأمه ام ولد تسمى لبابة وكان شجاعا ذا بنا مشغولا بالعبادة حفظ القرآن وقرأ الحديث ونظم الشعر ومن شعره

أنا الاشقر الموعود لى فى الملاحم * ومن يملك الدنيا بغير مزاحم

وكان هذا التخيل من خيالاته الفاسدة فانه ما ملك من الدنيا ولا فناء داره وخرج الى قتال مسعود بن محمد بن ملك شاه السلجوقى فلم يقاتل معه أحد فقاتل وحده الى ان قتل فى ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة * (وولي بعده ابنه جعفر منصور بن المسترشد ولقب الراشد بالله) * وبويع له بالخلافة يوم قتل أبيه رحمه الله تعالى ولم تطل مدته بل قبض عليه



السلطان مسعود السلجوقى وخلعه من الخلافة فى يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة الحرام سنة ثلاثين وخمسمائة وحبسه وقتله فى حبسه * (وولي عمه أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ولقبه المقتفى بالله) * وبويع له يوم خلع ابن أخيه وكان عالما فاضلا حسن السيرة دمث الاخلاق شجاعا توفى يوم الاحد لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة * (وولي بعده ولده المظفر يوسف بن المقتفى ولقب المستنجد بالله) * وبويع له يوم وفاة أبيه وأمه أم ولد حبشية اسمها طاوس ويحكى أنه قبل أن يصير خليفة رأى فى منامه ان ملكا نزل من السماء فكتب فى كفه خمس خاآت فلما أصبح سأل بعض المعبرين عن منامه فقال انك تلى الخلافة فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان كذلك توفى الى رحمة الله تعالى فى يوم السبت لليلتين خلتا من ربيع الثانى سنة ست وستين وخمسمائة * (وولي بعده ابنه أبو محمد المستنجد بالله ولقب المستضىء بالله) * وبويع له يوم وفاة والده وكان حسن السيرة كريم النفس أسقط المكوس فى ممالكه وكثر ثناء الخلق عليه وتوفى فى مستهل ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة * (وولي بعده ابنه أبو العباس أحمد ولقب الناصر لدين الله) * وبويع له بالخلافة لثمان مضين من ذى القعدة وهو اليوم الثانى من وفاة والده وفى أيام ظهور السلطان صلاح الدين بن أيوب واستخلاصه بيت المقدس من أيدى النصارى الفرنج واستيلائه على مصر وازالة دولة الفاطميين عنها وخطب لهذا الناصر العباسى على منابر مصر ووقع بينه وبين السلطان صلاح الدين منافرة بسبب لقبه بالناصر لدين الله فان صلاح الدين تلقب

ذلك بشهود الله أعلم بهم فحكم القاضى بعزله عن هذه المكانة التى هى حجابة البيت الشريف وألبس مولانا الشريف محسن الشيخ عبد الله وأسلمه المفتاح وخرج الى بيته ثم بعد يومين حضر هو وأخوه عند مولانا الشريف فأمر كلا منهما بالعمل بحق الاخوة وان يكونا شيأ واحدا فانفصلا من بحضرته وتعاهدا على ذلك واستمر عنده المفتاح الى أوائل محرم سنة ثلاث ومائة وألف وذلك سنة وخمسة أشهر الا ثمانية أيام وهى مدة ولاية الشريف محسن فلما ولى الشريف سعيد أعاد المفتاح للشيخ عبد الواحد ثم طلب الشيخ عبد الواحد ان يكون المفتاح لابنه عبد المعطى وأفرغ ذلك له فأجيب ثم توفى ابنه عبد المعطى سنة عشرة فطلب الشيخ عبد الواحد ثانيا ان يكون لابن ابنه الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطى فأجيب لذلك وارتفع صيت محمد هذا وعظم بمكة مقامه حتى صار أوحد زمانه وفريد أقرانه واستمرت سدانته وشكرت بين أهالى مكة وواردها أمانة وديانة الى ان توفى وفى سابع عشر شوال ورد الاغا بقفطان الاستمرار للشريف ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف محسن للقاء الامراء على المعتاد ولبس الخلعة وحج بالناس وفى يوم النحر ظهرت عدة كتب بايدى السادة الاشراف وانها وردت من اليمن من الشريف أحمد بن غالب من جملتها كتاب لمولانا الشريف محسن ومضمونه الانذار وطلب المواجهة وان القصد اليكم عن قريب فاضطرب الحال بمنى وحصل للعالم قلق عظيم ثم ان مولانا الشريف جمع أكابر الدولة وأمراء الحج والفقهاء بعد النزول من منى وتحاوروا فى هذا الامر فاقتضى رأيهم تعريف صاحب مصر بذلك وأمر صاحب جدة بتجهيز أموال التجار وضبطها بجدة واشتد الامر وكثر القيل والقال ثم ظهر ان ذلك كله مختلق من مكة من بعض الاشراف وأما الشريف أحمد بن غالب فانه توجه الى صنعاء فأكرمه امام صنعاء وأراد ان يرسل معه جيشا لتخليص مكة له ثم مات الامام وعاقه عوائق فمكث فى اليمن وتولى الامارة صبيا ولاقى حروبا وأمورا يطول ذكرها ثم رجع الى الركانى كما سيأتى فكانت غيبته فى اليمن ثلاث سنين وعشرة أشهر وفى يوم النفر الاول من هذه السنة ظفر بعض عبيد السيد أحمد بن ناصر الحرث برجلين من حرب وردا حاجين فقبضوا عليهما فى المسعى وذهبوا بهما الى سيدهم فأمر بقتلهما فقتلا على جبل أبى قبيس ولزم من ذلك ان فسخ عمامته مع مولانا الشريف وخرج الى الحسينية وبعد أيام خرج السيد أحمد بن سعيد بن شنبر مغاضبا وخرج معه جماعة من الاشراف وفى أواخر ذى الحجة وقع بيد مولانا الشريف عرضحال الى صاحب مصر وعليه خطوط السادة الاشراف مضمونه عدم الرضا بالشريف المذكور فعاتبهم على ذلك ولام ثم ان السيد عبد الله بن هاشم خرج مغاضبا مع السيد أحمد بن سعيد بن شنبر وأخذوا الطريق على المارة وارتفعت الاسعار بسبب ذلك واشتد الامر

به والفاطميون ويقال لهم العبيديون أربعة عشر خليفة أولهم عبيد الله المهدى * واختلف المؤرخون فى نسبهم وهم ينسبون
الى فاطمة الزهراء رضى الله عنها وأنكر ذلك كثير من المؤرخين وطعنوا فيهم بأنهم من أولاد الحسين بن محمد بن القداح وقالوا كان
القداح المذكور مجوسيا وثانيهم المنصور وثالثهم القائم ورابعهم المعز وهو الذى انتقل من بلاد المغرب الى مصر وملكها من
الاخشيديين وبنى القاهرة المعزية واستمر هو ومن بعده من العبيديين بمصر الى ان كان آخرهم العاضد وهو الرابع عشر منهم
* توفى يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة وذلك بعد استيلاء صلاح الدين بن أيوب عليه وعلى مملكته وخطب على منابر مصر
للناصر لدين الله وانقرضت دولة العبيديين وكانوا أرفاضا سبابين ومنهم ملاحدة كالحاكم بأمر الله ويحكى عنه
كفريات عجيبة وأكثر
المؤرخين على نفى شرفهم
والله أعلم بحقيقة ذلك
وطالت مدة الناصر فاحيا
رسوم الخلافة وامتلأت
القلوب من هيبته وكان
ذا فكرة صائبة وكانت
أيامه من غرر الزمان
وكان له احسان الى أهل
الحرمين الشريفين وكانت
الكعبة الشريفة تكسى
الديباج الابيض فى زمن
المأمون الى آخر أيام
الناصر فكساها الديباج
الاسود كساه الحمام ثياب
أكفانه وعزله عن سرير
ملكه وتخت سلطانه
وكانت وفاته فى سلخ شهر
رمضان سنة اثنتين
وعشرين وستمائة * (وولى
مكانه بعد موته أبو نصر
محمد بن الناصر ولقب
القاهر بالله) * وبويع له
بالخلافة يوم مات والده
بعهد منه فأظهر العدل
والاحسان وأبطل
المكوس وورث ذوى
الارحام وكان العمال يكيلون للديون بكيل زائد على ما يكيلون به للناس فأبطل الظاهر ذلك وكتب مولانا
الى وزيره ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون
ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال الوزير ان تفاوت الكيل ينوف على ثلاثين ألف دينار فقال ابطله ولو انه ثلثمائة ألف
دينار فلامه الوزير على ذلك فقال اتركنى افعل الخير فانى لا أدرى كم أعيش فلم يلبث ان وفاه الله الكيل الاوفى وأثابه على عمله
الصالح ووفى فعاش حميدا ومضى سعيدا وتوفى فى رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة * (وولى بعده ولده أبو جعفر منصور بن
الظاهر ولقب المستنصر بالله) وبويع له بالخلافة يوم وفاة والده فنشر العدل وبذل الانصاف وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد

ونهبت أموال من طريق جدة ثم وقع الصلح بين مولانا الشريف والمذكورين فى شهر صفر سنة
اثنتين ومائة وألف ودخل مكة السيد أحمد بن سعيد واتفقوا على ان المنكسر للسادة الاشراف
وقدره أربعة وعشرون ألف قرش يقطع منه الثلث ويعطيهم الثلث ويصبرون على الثلث
الباقى الى ان ترد المراكب وكتبوا بذلك وثيقة وماطلهم فى تسليم الثلث الى ان ورد مكة
قاصد معه قفطان بالاستقرار لمولانا الشريف ودخل مكة فى آلاى أعظم عاشر صفر وقد نزل
مولانا الشريف المسجد وحضر القاضى والمفتى والفقهاء والاشراف وقرئ المرسوم بالحطيم
وألبس مولانا الشريف الخلعة وقرأ بعد ثمانية أوامر منها ان تعطى السادة الاشراف ما كان
لهم من غير زيادة تضر بمولانا الشريف والتحرز من المخالفة وأمران من الوزير خطابا بهما
أصحاب البلكات بالامر بالطاعة لمولانا الشريف وأمران من صاحب مصر أحدهما بالتعريف
بمضمون الاوامر السابقة والثانى مخاطبا به أصحاب البلكات بالسمع والطاعة ولم تعتن السلطنة
بغيره مثل ما اعتنت به من هذه المخاطبات وفى أوائل جمادى الثانية تفرقت كلمة الاشراف وخرجوا
الى الطرقات وأكثروا النهب فى طريق جدة وغيرها وأخذوا ذخيرة للصنجق من جدة واشتد الحال
على الناس حتى ان الصنجق صار ما يقدر على ايصال الذخيرة من جدة الى مكة الا بعسكر وبيرق وفى
ثالث رجب اجتمع القاضى وسرادير العسكر بمولانا الشريف وأسمعوه غليظ القول بحيث انهم
قالوا له ان كنت عاجزا عن اصلاح البلد فعين لهذا المنصب من يقوم به فكان عذره ان قال لهم ان
الاشراف لا تقاتل بنى عمها واذا أردتم الخروج بالعسكر المصرى فانا أخرج بهم فأمرهم القاضى
بالخروج ومقاتلة من قاتلهم فقال كبار العسكر نحن حفظة لمكة ليس هذا الامر مما بعثنا اليه ولم
يزل الامر يتفاقم ولا يطلع أحد من جدة الا مع عسكر وأشراف تصحبهم من جدة الى مكة ثم
يرجعون بهم ولا يرد من جدة الا صحب العسكر وارتفع السعر ثم لما كان أواخر ذى القعدة ورد الخبر
بوصول الشريف سعيد بن سعد بن زيد المدينة متوجها الى مكة فاختبط العالم وكثر القيل والقال
ثم ورد الخبر انه وصل وادى مر وأرسل رجلا الى مكة يطلب الدخول فقال الشريف محسن
لا يدخل مكة الا بامر سلطانى ان كان متوليا ثم وصل الشريف سعيد الى فخ ثم انتقل الى ربيع اذاخر
واستمر هناك ودخل شهر الحجة وكان أمير الشامى السيد يحيى بن بركات جاء فى زى الاتراك وخرج له
مولانا الشريف فالبسه القفطان الوارد معه على مجرى العادة وحج مولانا الشريف محسن بالناس ولم
يحج الشريف سعيد واستمر بربيع اذاخر الى ان سافر الحج الشامى والمصرى فخرجت الاشراف عن
طاعة مولانا الشريف محسن وعاد الامر الى انقطاع الطرق ونهب الاموال وفى سلخ ذى الحجة جمع

والربط والمدارس وهو الذي بنى المدرسة المستنصرية ببغداد التي لم ير مثلها في مدارس الاسلام ولم يوجد في المدارس أكبر منها كتبا ولا أكثر أوقافا عليها وكان لهذه المدرسة أربعة مدرسين يدرسون فيها على المذاهب الاربعة رتب فيها الخبز والحلوى والفاكهة وكسوة الشتاء والصيف وجعل فيها ثلاثين يتيما ووقف على ذلك ضياعا وقرى كثيرة سردها الذهبي وغيره فرحم الله أهل الخير وأهل الاحسان ورفع الله درجاتهم في أعلى الجنان ووفقهم لنشر العدل بالقسط والميزان وكانت مدارس بغداد يضرب بها المثل في ارتفاع العماد واتقان المهاد وطيب الماء ولطف الهواء ورفاهية الطلاب وسعة الطعام والشراب وغير ذلك من الاسباب وقد حكى ان أول مدرسة بنيت في الدنيا مدرسة نظام (١١٧) الملك في بغداد فبلغ علماء ماوراء النهر هذا الخبر فاتخذوا للعلم مأتما وحزنوا على سقوط حرمة العلم فسئلوا عن ذلك فقالوا ان العلم ملكة شريفة فاضلة لا يتطلبها الا النفوس الشريفة الفاضلة لجاذب الشرف الذاتي والمناسبة الطبيعية ولما جعل عليه أجرة تتطلبه النفوس الرذلة وتجعله مكسبا لحطام الدنيا ويتزاحم عليه لا لتحصيل شرف العلم بل لتحصيل المناصب الدنيوية السفلة الفانية فيرذل العلم برذالتهم ولا يشرفون بشرفه الا ترى الى علم الطب فانه مع كونه علما شريفا تعاطته أراذل اليهود بشرف علم الطب وهذا حال أكثر طلبة العلم في هذا الزمان الفاسد وهذا شأن طلاب هذه العلوم المتداولة الآن في هذا السوق الكاسد فانك ترى أكثرهم معدا به في الطاب واكبابه على فنون العلم والادب يزداد كل وقت عجبا وكبرا ويتعاظم على كل أحد تيها وفخرا ولم ينتق من أوصاف الاخلاق الرذيله ولو اكتسب مهما اكتسب من الفضيله وقلما يتحلى أحد منهم بحلى الاخلاق الحسنة الجميله والمزايا الفاضلة الكاملة الجليله وما ثمرة كسب العلوم غير التخلق بحسن الاخلاق والعمل بمقتضى طب الاصول والاعراق فالله تعالى يبصرنا بعيوبنا ويستر علينا معايب ذنوبنا وينير بصر بصائرنا ويزيل عوار قلوبنا ويرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه *قلت وحيث انجر الكلام الى ذكر نظام الملك فأذكر لك حكاية لطيفة نقلها صاحب كتاب وصل الحبيب ونديم اللبيب *قال ذكر* ان نظام الملك لما استوزر بالعراق للسلطان أبي الفتح السلجوقي قام بالدولة أحسن قيام فشيد أركانها وأسس بنيانها ووالى

مولانا الشريف الفقهاء وأعيان الناس وأجمع رأيهم على كتابة عرض الى السلطنة بشكوى حالهم وماوقع من الاشراف وهل شهر المحرم افتتاح سنة ثلاث بعد الالف ومائة فتفرقت العسكر من يد مولانا الشريف ولم يبق معه من يعول عليه ونمى اليه ان الشريف سعيدا والسيد عبد الله ابن هاشم كل منهما يطلب هذه المنزلة فطلب من صاحب جدة ان يبعث له عسكرا يبيتون بالباب فباتوا ليلة ثالث المحرم ثم طلع صاحب جدة والقاضي لمولانا الشريف وتذاكروا في هذا الامر فاقتضى الحال ان يركب الصنجق وستمائة من العسكر ليبعدوا الشريف سعيدا فلما وصل سوق المعلى خرج في ساقته السيد مساعد بن سعد والسيد عبد المحسن بن أحمد بن زيد وجماعة آخرون واعترضوه عند الذي فردوه مكرها وأخبروه انه ان جاوز هذا الحد قتل فرجع وبات بذي طوى ثم سار الى جدة ولما كان يوم السبت سادس محرم نزل مولانا الشريف سعيد الى المعلى بالدفترداريه ولاذ به بعض عسكر الشريف الذين نفروا عنه واجتمعت عليه العامة فلما بلغ ذلك عسكر مصر طلعوا الى القاضي فاستدعى القاضي بعض الاشراف وبعض وجوه الناس وبعثوا الى الشريف سعيد يسألونه عن هذا الفعل فقال مرادي انزل دار أبي فمن يمنعني وجاء الخبر الى مولانا الشريف محسن فنزل عن شرافة مكة لمولانا السيد مساعد بن سعد وجاء السيد مساعد الى القاضي لتسجيل هذا النزول فجاءهم الخبر ان مولانا الشريف سعيدا وصل المسعى فخرج مولانا الشريف محسن من دار السعادة الى منزل السيد ثقبة بن قتادة ولم يزل مولانا الشريف سائرا الى ان دخل منزل أبيه والمنادي ينادي بين يديه بان البلد له وليس معه أحد غير العامة

*(الولاية الثانية للشريف سعيد بن سعد بن زيد سنة ١١٠٣)*

فلما بلغ ذلك أخاه السيد مساعدا نزل عما نزل له به الشريف محسن من المكانة بحضرة القاضي والمفتي وكبار العسكر فسجل ذلك وبعث له القاضي بقفطان نيابة عن مولانا السلطان فلبسه في منزله وجلس للتهنئة ومدحته الشعراء ونودي في البلد بالزينة سبعة أيام ولم يخالف أحد من الاشراف فولي مكة مولانا الشريف سعيد بن سعد بن زيد بن محسن وجلس للتهنئة يوم الاحد سابع المحرم سنة ثلاث ومائة بعد الالف فكانت مدة ولاية الشريف محسن بن الحسين بن زيد سنة وخمسة أشهر الا ثمانية أيام وهذه الولاية الثانية للشريف سعيد وتقدمت الاولى عند موت عمه الشريف أحمد وكلاهما بغير أمر سلطاني وكتبوا الى الباشا صاحب جدة فامتنع من النداء له ثم روجع في ذلك فوافق ونادى له بجدة سلخ محرم ثم خرج جماعة من الاشراف مغاضبين للشريف سعيد واما الشريف محسن فانه توجه الى المدينة وأخبرهم انه خرج من مكة قهرا وانه آثر عدم القتال وان الشريف سعيدا انولاها من

الاولياء واستمال الاعداء وعم احسانه العدو والصديق والقريب والبعيد وكان أقبل اقبالا عظيما على العلماء والصلحاء والفقهاء وبنى المدارس العظيمة والخانقاهات العالية وأجرى الخيرات الكثيرة والكساوى الجليلة الفاخرة لطبقات طلبة العلم والمشايخ والصوفية وغيرهم ممن يتوسم فيه الدين والصلاح وعم بذلك الاقطار من بلاد العراقين الى الحرمين الشريفين بحيث كان يخرج من خاصته الخالصة السلطانية والخزائن الديوانية من هذه الوجوه ماينوف عن ستمائة ألف مثقال من الذهب غير الذى ينفقه من خاصة أمواله ومحصلات غلاله ومايدخل عليه من الهوائيات وغيرها ولعله كان يقرب من القدر الذى يخرجه من أموال السلطنة فسار سيطه فى الآفاق (١١٨) وكثر حساده ولا يخلوا السعداء من الحساد فى كل زمان كما هو مشهود بالعيان فى كل أوان وما وجدوا للطعن على نظام الملك طريقا غير اجحافه فى الاخراج من الاموال السلطانية فى هذه الوجوه فوشوا به الى السلطان أبى الفتح من طرق شتى وكرروا فى سمعه ان نظام الملك أخرب بيت المال وان هذه المصاريف الزائدة التى يخرجها فى هذه الوجوه يمكن أن تصرف فى جمع جيش كثيف يركز رايته فى سور قسطنطينية وكانت يومئذ مملكة النصارى وهى الآن بحمد الله دار ملك الاسلام عمرها الله تعالى بعدلة سلطان سلاطين الانام وحرسها بالنصر والتأييد الى يوم القيام وانه يأخذ بذلك الجيش كثيرا من الممالك والاقاليم ويتسع بها المملكة ويكثر الخراج والاموال فلما تكرر ذلك على سمع السلطان أثر كلامهم فى قلبه واعتقد نصحهم وكل كلام تكرر على السمع قبله القلب وانطبع فى الطبع ولو كان واهنا واهيا في نفس الامر فطلب نظام الملك وقال له يا أبى وكان يخاطبه بالاب تعظيما له لكبر سنه وعقله بلغنى أنك تخرج من بيت المال فى كل سنة ستمائة ألف دينار الى من لا ينفعنا ولا يغنى شيأ فبكى نظام الملك وقال يابنى أنا شيخ أعجمى لو نودى على فى السوق ماساويت خمسة دنانير وأنت شاب تركى لو نودى عليك عساك أن تساوى ثلاثين دينارا وقد اختارنا الله وفوض أمور عباده وبلاده الينا فلم نقابله بالشكر ولا عرفنا قدر نعمة الله تعالى فاستمريت أنا فى كتابتى وضبطى وأنت منهمك فى لذاتك ولهوك وأكثر مايصعد الى الله تعالى معاصينا دون طاعتنا وشكرنا وجيوشك الذين أعددتهم للنوائب اذا احتشدوا عنك كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان

غير رضا الاشراف فتوقف شيخ الحرم من النداء للشريف سعيد بالمدينة وأجرى على الشريف محسن مايقوم به ثم جاءهم كتاب من مولانا الشريف سعيد ومعه خطوط القاضى والمفتى والعلماء بصورة الواقعة فنادى له بالمدينة ودعا له على المنبر يوم الجمعة رابع عشر صفر وأمر القاضى الشريف محسنا بالخروج من المدينة خوف الفتنة فخرج عنها وأرسل الشريف سعيد أخاه السيد دخيل الله بن سعد ومعه ثلاثمائة من العسكر الى القنفذة لاخراج الاشراف الذين فيها وجاء الخبر سابع ربيع الثانى بانه التقى معهم وانتصر عليهم وقتل من الاشراف خمسة ومن العسكر كثيرا وانه دخل القنفذة بعد هروب من فيها واختبطت الاشراف بمكة لذلك ثم ان الاشراف الذين أخرجوهم من القنفذة جاؤا الى طريق جدة وأخذوا قفلا فبعث مولانا الشريف سعيد عسكرا يترصدونهم فى الطريق وفى ليلة الاثنين الثانى من جمادى الاولى ورد قفطان ومرسوم من صاحب مصر فأدخلوه فى الآى الى ان وصل لباب السلام ودخل الحطيم ونزل مولانا الشريف سعيد وبعض الاشراف ووجوه أهل مكة فقرئ المرسوم ومضمونه انه وصل الينا واتصل بمسامعنا ان مولانا الشريف محسن بن الحسين بن زيد نزل عن الشرافة للشريف سعيد وما أحسن هذا يد فرغت فى أخرى وان الواصل اليكم قفطان من جانبنا وأمر آخر يخاطب به العسكر المحافظون مضمونه ان يكونوا تحت أمر مولانا الشريف والحذر من المخالفة الى ان يأتى الامر السلطانى من الابواب فلبس مولانا الشريف سعيد القفطان الوارد وخلع على من يستوجب ذلك فى مثل ذلك اليوم وطلع داره وجلس للتهنئة ولما كان يوم الاثنين رابع عشر جمادى الثانية ورد سلحدار مولانا الشريف سعد بن زيد ومعه صورة أمر مولانا السلطان بتفويض أمر الاقطار الحجازية لمولانا الشريف سعد بن زيد وخلعة سلطانية للشريف سعيد ليكون نائبا عن أبيه الشريف سعد فنزل مولانا الشريف سعيد الى الحطيم فى جمع من الاشراف وحضر القاضى والمفتى وأكابر العساكر ووجوه الناس وقرئ الامر الوارد ومضمونه انه لما بلغنا عجز الشريف محسن عن حفظ الديار المكية أنعمنا على الشريف سعد بولاية مكة والمدينة وضبط العربان والاشراف وحفظ الحجاج وقلدناه جميع الاقطار الحجازية من غير مراجعة فى ذلك الى غير ذلك من الوصاية على الفقراء وأصحاب الوظائف وأمر آخر من صاحب مصر مخاطبا فيه مولانا الشريف سعيدا وقاضى الشرع وبلكات العساكر مضمونه حكاية الواقع وان مولانا السلطان أنعم بشرافة مكة لمولانا الشريف سعد قبل وصول عرضنا اليه وانه أقام نائبا عنه بمكة مولانا الشريف سعيدا الى وقت وصوله فالله الله بالطاعة وعدم المخالفة وكتاب ثالث من مولانا الشريف سعد الى نجله ذى الشرف المنيف مضمونه التعريف بالواقع وأنه

قائم

وسهم لا يعمر ومر ماه وهم مع ذلك منهمكون فى المعاصى والجور والملاهى هم أحرى بنزول القهر عن نزول الفتح والنصر فاتخذت لك جيشا كثيفا وعسكرا منيفا يسمى جيش الليل وعسكر السحر اذا نامت جيوشك ليلا قامت هذه الجيوش على أقدامهم صفوفا بين يدى ربهم وأرسلوا دموعهم وأطلقوا بالدعاء ألسنتهم ومدوا أكفهم فرموا سهاما تخرق السموات والارضين وسلوا سيوفا تعمل فى كل حين طوالا تبلغ الى الصين فانت وجيوشك فى خفارتهم تعيشون وببركاتهم تمطرون وبدعائهم تنصرون فبكى السلطان أبو الفتح بكاء شديدا وقال شاباش يا بابه استكثر من هذا الجنس فانه الذى لابد لنا منه ولما كان كل منهما له قابلية الخير معجونا به ما أثر عنده لملكه كلام الحساد مع تكرره الا تأثيرا ضعيفا وزال فى الحال وعاد الى حب الخير الذى جبل عليه واستغفر الله تعالى عما فرط من تقصيره فرحم الله تلك الارواح الطاهره ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم فى الدار الآخره فقد زالوا وما زالت أخبارهم تروى وأحاديثهم الحسنة تنشر على ألسنة الرواة ولا تطوى ﴿عدنا الى ما كنا فيه﴾ ومن جملة خدام المستنصر بالله الامير شرف الدين اقبال الشرابى المستنصرى العباسى بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب السلام ووقف فيها كتبا كثيرة فى سنة احدى وأربعين وستمائة ذهبت شذر مذر والمدرسة باقية الى الآن وقد صارت رباطا وفيه محل التدريس وبه كتب وقفها أهل الخير ممن أدركناه رحمه الله تعالى وبلصق الكعبة الشريفة فى وسط مقام سيدنا جبريل عليه السلام من الرخام الازرق الصافى منقور فيه بالمنبت ماصورته • بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا المطاف الشريف سيدنا ومولانا الامام الاعظم المفترض الطاعة على سائر الامم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله آماله وزين بالصالحات أعماله وذلك فى شهور سنة احدى وثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم اه وهذا اللوح باق الى زماننا وكانت وفاة المستنصر بالله لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة وكتم موته وخطب بعد موته الى أن جاء الامير اقبال الشرابى الى ولده أبى أحمد بن المستنصر وسلم عليه بالخلافة لعشر مضين من رجب سنة أربعين وستمائة (فبويع له ذلك اليوم ولقب المستعصم بالله) وهو آخر الخلفاء العباسيين فى بغداد وبزواله زالت دولتهم من الدنيا كما سنشرحه ان

قائم مقامه فى الوصاية الى غير ذلك وفى أوائل جمادى الثانية رجع مولانا السيد دخيل الله من القنفذة وأقام نائبا فى مقامه ثم جاء الخبر بعد ان الاشراف تغلبوا على القنفذة ولم تزل الاخبار تتوارد بمجىء مولانا الشريف سعد الى أن وصل الحج فجاء معه فدخل مكة ليلا وطاف وسعى ورجع الى الزاهر ودخل وقت الضحى فى آلاى أكبر من المشيكة ولم يزل الى أن دخل المسجد وحضر القاضى والمفتى والعلماء والاشراف بالحطيم ودخل قابجى بالامر السلطانى فقرئ بالحطيم ولبس مولانا الشريف سعد الخلعة السلطانية وصعد الى داره للتهنئة ومدحته الشعراء وجاء فى زى الاروام بعمامة على قاووق الا أن لسانه بالفاظ أهل الشام بحيث ان غالب ألفاظه شامية واستمر بهذا الزى ثم انه لبس عمامة العرب فجعل بعد ذلك يلبس هذه مرة وهذه مرة وحج بالناس هذه السنة مولانا الشريف سعد قال السنجارى وما أحسن قول بعضهم وهو قديم

يا سعد دارت رحى الافلاك وانتصرت • لك الليالى امدتها المقادير

•(الولاية الثانية للشريف سعد سنة ١١٠٣)•

وهذه الولاية الثانية لمولانا الشريف سعد وبين انفصاله من الولاية الاولى وهذه الولاية احدى وعشرون سنة وهى مدة غيبته وعند سفر الحج أمر ابنه مولانا الشريف سعيد ان يخرج مع الحج ومعه جماعة من الاشراف وفى تاسع صفر جاء الخبر بان جماعة من عنزة عدوا على الحج الشامى واعترضوه على الماء فقتل مولانا الشريف سعيد منهم جماعة وربط جماعة واوصل الحج الى المعلى فنصبت الرايات على دور السادة الاشراف على جرى العادة لخبر النصرة وفرح الناس وفى شهر جمادى الاولى سنة أربع ومائة وألف خرج مولانا الشريف غازيا قبيلة حرب وسبب ذلك انهم قتلوا السيد عبد الله بن أحمد بن الحرث فالزم الشريف بقتالهم أخاه السيد ناصر بن أحمد بن الحرث باخذ الثار ولم يزل سائرا الى ان وصل بدرا وجمعت حرب جموعا وأرسلوا يطلبون الصلح والقيام بما يجب فامتنع الشريف سعد ومن معه وفى سادس عشر رجب جاء خبر بانه التقى بحرب ثالث عشر رجب واقتتل معهم فتثبطت الاشراف وأحجموا عن اللقاء فحصل بموجب ذلك الكسر وتقوت حرب ودخلوا بدرا ورجعت الاشراف الى رابغ ثم جاء الخبر بتحول مولانا الشريف ومن معه الى خليص ووصل الى مكة فى رمضان ثامن عشرة واستمر الى عاشر شوال ثم توجه الى المبعوث ودخل الطائف فاقام به يوما وليلة وأقام بالمبعوث الى العشرين من ذى القعدة ثم جاء الى مكة ولم يزل بها الى أن حج بالناس وفى سنة خمس ومائة وألف خرج جماعة من ذوى عبد الله بن حسن بن أبى نمى مغاضبين لمولانا الشريف سعد الى جهة اليمن واعترضوا القوافل الواردة من تلك الجهة وتفاقم الامر

شاء الله تعالى * وحجت والدة المستعصم بالله فى سنة احدى وأربعين وستمائة وهى أم ولد حبشية واسمها هاجر وكان فى خدمتها اقبال الشرابى الدوادار ومعه ستة آلاف خادمة وتصدق بنحو ستين ألف دينار وعدة جمال ركب بغداد فى تلك السنة فكانت مائة ألف وعشرين ألف جمل ثم عادت الى بغداد رحمها الله تعالى ولما جرت عادة الله تعالى بانقراض الدول واختصاص العزة والبقاء لله عز وجل آلت دولة آل عباس الى الانقراض والزوال وغيرتهم الغير ونابتهم النوائب وحالت بهم الاحوال ودالت دولة غيرهم

ولكل زمان دولة ورجال     مابين غمضة عين وانتباهتها * يغير الدهر من حال الى حال

وكل شئ له سبب من الاسباب وعلة يدور عليه التقلب والانقلاب (١٢٠) وكان سبب ضعف خلفاء بنى العباس استيلاء مماليكهم وأمرائهم عليهم وتفويض أمور جميع المملكة اليهم وتلقيبهم بألقاب السلطان وفرط ادلالهم على مواليهم وامتهانهم اياهم غاية الامتهان الى أن صاروا اسما بلا مسميات وصورا هيولانية يتصرف فيها بالمحو والاثبات وصار أمراؤهم يفشون سرهم ويغشونهم ويصل أرباب الغرض الى اغراضهم الفاسدة لما يرضونهم * فأول أسباب زوال الملك ان المستنصر بالله كان له ولدان أحدهما يعرف بالخفاجى كان شديد الباس صعب المراس والثانى المستعصم بالله هينا لينا ضعيف الرأى فاختاره الامير اقبال الشرابى على أخيه ليستبد بالامور ويستقل بأحوال المملكة ولا يناله مكروه من المستعصم ولا يخشاه كما يخشى من أخيه الخفاجى فلما توفى المستنصر أخفى الامير اقبال موته عشرين يوما حتى دبر لولاية المستعصم وبويع له بالخلافة وفر أخوه الى العربان وتلاشى أمره * ثم أعظم سبب الزوال ان مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الملك العلقمى صار وزيرا للمستعصم وكان رافضيا سبابا مستوليا على المستعصم عدوا له ولاهل السنة يداريهم فى الظاهر وينافقهم فى الباطن وكان تدبيره على ازالة الخلافة من بنى العباس واعادتها الى العلويين وطمس آثار أهل السنة واطفاء نورهم وتقوية أهل البدعة وابقاء ديارهم فصار يكاتب هولاكو خان ويطمعه فى ملك بغداد ويخبره عن صورة أخذها وضعف الخليفة واختلال العسكر وصار يحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر والاذن لهم فى التفرق والذهاب أين شاؤا ويقطع أرزاقهم ويشتت شملهم بحيث أذن مرة لعشرين ألف مقاتل أن يذهبوا أين

وشرع أهل الفساد فى التلصص والسرقات بمكة الى أن أمر مولانا الشريف بعض الاشراف أن يعس مع العسكر ثم أدى الامر الى أن يخرج بنفسه فى الليل مختفيا ليصادف أحدا من المفسدين وفى تاسع عشر شعبان جاءت كتب من الشريف أحمد بن غالب لبعض الاشراف يطلبون له الاذن بدخول مكة فامتنع أكابر العساكر وفى هذه السنة خرج مولانا الشريف أيضا لقتال قبيلة حرب فى شهر جمادى الاولى ووردت البشائر رابع عشر رمضان بانهم التقوا مع حرب بالصفراء وحصلت ملحمة عظيمة قتل فيها من الفريقين نحو المائة واعتقل مولانا الشريف أربعة من مشايخ حرب ودخل الباقون فى الطاعة وكان قائم مقام مولانا الشريف بمكة السيد عبد الله بن محمد بن زيد فامر بتزيين البلد ثلاثة أيام ورجع مولانا الشريف فى شوال وجاءت الاخبار بان الشريف أحمد بن غالب هجم على القنفذة فدخلها قهرا ثم جاء الخبر انه سار متوجها الى مكة فوصل الليث ونادى باسمه وأخذ الزالة من أصحاب الجلاب ولم يزل يتنقل فى المنازل الى أن طرقه وصول اسمعيل باشا من جهة الروم ومعه محمد باشا صاحب جدة فاضطرب حاله ثم كاتب مولانا الشريف سعدا وذكر له أنه ليس لى بمكة حاجة وانما أنا عابر سبيل فاذن له بدخول مكة فجاء وحج ثم نزل ببلاده الركانى ومازال الشريف سعد نافذ الكلمة حسن الذكر عند الدولة العلية الى أن حصل الكدر بينه وبين صاحب جدة فسعى فى عزله وحاصله انه كان ببندر جدة شخص يسمى محمد باشا واليا من قبل السلطنة فعزل عنها وفى أثناء ولايته وعزله وقعت بينه وبين حضرة الشريف أمور أوجبت المشاحنة والمباغضة بينهما وصدرت منه سعايات فى الشريف المذكور عند الدولة العلية ثم توجه الى الابواب العثمانية واجتهد فيما هو بصدده حتى غير خاطر الدولة عليه وصممت على عزله فبعثت محمد باشا المذكور وجردة من العسكر ليسير بهم الى مكة صحبة الحاج الشامى وعلى الحاج اسماعيل باشا أيضا أميرا بعساكره وخيله واوصتهما بان تكون كلمتهما واحدة ويتعاضدا على عزل الشريف سعد وتولية السيد عبد الله بن هاشم امارة أقطار الحجاز فوصلا جميعا الى مكة المشرفة فخرج مولانا الشريف سعد للبس الخلعة على المعتاد وكان مع اسمعيل باشا عسكر كثير وضم اليهم العسكر المصرى فلما قرب من موضع الخلعة المعتاد تقدم جماعة من عسكر اسمعيل باشا يريدون أن يحيطوا بالشريف فاتسع الى جهة يساره فظنت الاشراف حدوث واقعة فانهزموا راجعين وثبت مولانا الشريف وتواقع أطراف العسكر مع عسكر مولانا الشريف فلما شعر اسمعيل باشا بهذا بعث بالقفطان فلبسه مولانا الشريف سعد ورجع ووقع بمكة اضطراب وتشويش لاهل البلد وعزل السوق ثم بعث اليهم مولانا الشريف بما محصله ان كان معكم امر بعزلى فانا طائع للسلطان فانزلوا فاقرؤه بالحرم الشريف وان لم يكن

أين أرادوا ووفر علوفاتهم في الخزينة وأظهر للمستعصم انه وفر من علوفاتهم خزائن أموال عظيمة توفرت في بيت المال فأعجب المستعصم رأيه وتوفيره وكان يحب المال ويجمعه وما علم انه يجمعه لعدوه • وقد سئل بنو أمية بعد ذهاب ملكهم فقالوا أقواها انا اعتمدنا على المال واستهونا بالرجال فوفرنا المال وقللنا الرجال فأخذ العدو مالنا وتقوى به علينا وانا أبعدنا الصديق اعتمادا على صداقته وقربنا العدو استجلابا لمحبته فصار الصديق عدوا ولم يصر العدو صديقا بالاستجلاب

احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مره
فلربما انقلب الصديق * فصار أدرى بالمضره

وكان من قضاء الله وقدره ان هولاكوخان سلطان القول وجفتاي من دشت قفجاق رجع على بلاد الاسلام (١٢١) وجاء بعسكر جرار لا يعلمه الا الله تعالى وكان أقوى سلاطين الاسلام اذ ذاك علاء الدين خوارزم شاه وكان ملك من العراق الى أقصى بلاد الشرق وكان له قوة وشوكة وعسكر وافر وجند متكاثر فظهر هولاكو وقاتله خوارزم شاه مرارا وهو ينكسر الى أن قتل هو وأولاده وجنوده واستباح كثيرا من بلاد الاسلام وقتل من فيها بالقتل العام وصار يجول هولاكو في الديار وناره في غاية الاشتعال والاستعار والمستعصم ومن معه في غفلة عنه لاخفاء ابن العلقمي عنه سائر الاخبار الى أن وصل هولاكو خان الى بلاد العراق واستأصل من بها قتلا وأسرا وتوجه الى بغداد وأرسل الى الخليفة يطلبه اليه فاستيقظ من نوم الغرور وندم على غفلته حيث لا ينفعه الندم وجمع من قدر عليه وبرز الى قتاله وجمع من أهل بغداد وخاصة عبيده وخدمه ما يقارب أربعين ألف مقاتل لكنهم مرفهون بلين المهاد ساكنون على شاطئ بغداد في ظل نعيم وماء معين وفاكهة وشراب واجتماع أحباب وأصحاب ما كابدوا حربا ولا ذاقوا طعنا ولا ضربا وعساكر المغل ينوفون عن مائتي ألف مقاتل ما بين فارس وراجل وسالب وباسل وفاتك وقاتل يثبون وثب القردة ويتشكلون باشكال المردة يقطعون المسافات الطويلة في ساعات قليلة ويخوضون الاوحال ويتعلقون بالجبال ويصبرون على العطش والجوع ويهجرون الغمض والهجوع ولا يبالون بالبرد والحر والسهل والوعر والبحر والبر طعامهم كف شعير وشرابهم من طرف البير يكاد أحدهم يتقوت بأذن فرسه يقطعها ويأكلها نيئة ويصبر على

يكن الامر كذلك فاخبروني عن سبب هذه العساكر وابعثوا الى بالامر السلطاني الذي يقرأ يوم النحر لانظر فيه فلم يعيدوا له جوابا شافيا فبات ليلة سبع سنة ألف ومائة وخمسة ولما كان يوم السبت سابع ذي الحجة طلع أمير الحج ويوسف أغا شيخ الحرم المدني وسردار العسكر وقاضي الشرع والمفتي الى بستان حمدان وكان اسمعيل باشا نازلا به فلما ان وصلوا بعثوا الى مولانا السيد عبد الله بن هاشم ابن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي وأظهر محمد باشا أمرا سلطانيا فيه عزل مولانا الشريف سعد وتولية السيد عبد الله بن هاشم شرافة مكة فالبسه اسمعيل باشا قفطانا في المجلس وأمره بالنزول الى البلد فركب ومعه محمد باشا والامر السلطاني بين أيديهم والمنادي ينادي بالبلد للشريف عبد الله بن هاشم فلما وصلوا المخناطة جاءهم الخبر ان بعض جماعة مولانا الشريف سعد سطوا في المنادي وحصل عليهم الرمي وتحصن مولانا الشريف سعد في داره وحصرهم عن الوصول واستمروا الى صلاة الظهر ونزل مولانا الشريف عبد الله بن هاشم بدار الشفاء وبقيت العساكر وانضمت اليهم العرب والانكشارية ووقف العسكر الى قايتباي وملكت جماعة مولانا الشريف جبل أبي قبيس فانحازوا الى المسعى ونهب جماعة الشريف سعيد بعض دور الاتراك وقتل جماعة في المسعى ونهب رباط الهندية بسوق الليل وبعض دور مكة ولما طال الامر على محمد باشا نزل بنفسه وأخذ مدفعا وجاء به الى باب السدرة المسمى بباب العتيق وأراد رميه على بيت الشريف سعد فاصيب طبجيه برصاصة مات بها فنقل المدفع عن ذلك المحل ورجع به الى المسعى وقتل من جماعته خلق كثير بالمسعى واستمر الحال الى الليل فلما رأى مولانا الشريف سعد ان الامر يطول رحل ليلا هو وابنه الشريف سعيد الى جهة الحسينية ثم الى اليمن وأصبحت الناس وقد رحل مولانا الشريف سعد فجمع محمد باشا القاضي المتولي والمعزول والمفتي وبعض العلماء بالحطيم

﴿ولاية الشريف عبد الله بن هاشم امارة مكة﴾

وأظهر الامر السلطاني ملخصه ان مولانا السلطان عزل الشريف سعدا عن شرافة مكة لامور بلغته وانه أنعم بها على مولانا الشريف عبد الله بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي وألبسه القفطان وركب من باب السلام وطاف شوارع مكة والمنادي ينادي بالبلد له ونهبت العسكر منزل مولانا الشريف سعد ونحو عشر بيوت من بيوت ذوي زيد ثم ان مولانا الشريف عبد الله بن هاشم لما بلغه ذلك ركب بنفسه وجاء لمحمد باشا وقال له ان هذا النهب لا نرضاه واسترد بعض أشياء لا تذكر وسلم ذلك لبعض خدم مولانا الشريف سعد وعد من قتل ذلك اليوم فكان زهاء مائة رجل ثم ان الباشا ظفر برجل من عسكر الشريف وشهد عليه بانه قتل بعض الرعايا فامر

ذلك أياما عديده أو يكتفي هو وفرسه بحشيش الارض مدة مديده فوقع المصاف والتحم القتال ووقع الطراد والنزال وزحف الخميس الى الخميس في يوم الخميس عاشر المحرم الحرام سنة ست وخمسين وستمائة وثبت أهل بغداد مع براقتهم على حد السيوف وصبروا مضطربين على طعم الحتوف وأعطوا الدار حقها فاستمطروا غمائم السهام وابلها وودقها واستقبلوا بحر وجوههم صواعق الحرب وبرقها ورزقوا في تلك المكابدة الفوز بالشهاده وارتقوا في الدار الآخرة رتب السعاده وجادوا بأنفسهم في سبيل الله وأجادوا وأحسن اجاده واستمروا كذلك من اقبال الفجر الى ادبار النهار فعجزوا عن الاصطبار وانكسروا أشد انكسار وولوا الادبار بالادبار وما أغنى عنهم الفرار



ولذهم الطراد الى قتال * أحد سلاحهم فيه فرار

مضوا متسابقي الاعضاء فيه * لاجلهم بارؤسهم عثار

يرون الموت قداما وخلفا * فيختارون والموت اضطرار

وغرق كثير منهم في دجله وقتل أكثرهم أشد قتله وأعقبهم التتار ووضعوا السيف فيهم والنار وقتلوا من المسلمين في ثلاثة أيام ما ينوف على ثلثمائة ألف وسبعين ألفا وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الخزائن والاموال فأخذ هولاكو جميع النقود وأمر باحراق الباقي ورموا كتب بغداد في بحر الفرات وكانت لكثرتها جسرا يمرون عليها ركبانا ومشاة وتغير لون الماء بمداد الكتابة الى السواد وكانت هذه الفتنة من أعظم مصائب الاسلام (واستؤسر المستعصم) هو وأولاده وجماعته وأتوا به الى هولاكو أسيرا ذليلا فقيرا حقيرا فسبحان المعز المذل القادر القاهر تعالى شأنه الباهر وعلا سلطانه على كل ذي سلطان قاهر فاستبقى هولاكو الخليفة أياما الى أن استصفى أمواله وخزائنه وذخائره ودفائنه ثم رمى رقاب أولاده وذويه وأتباعه ومتعلقيه وأمر أن يوضع الخليفة في غرارة فيرفس بالارجل الى أن يموت ففعل به ذلك فاستشهد رحمه الله تعالى في يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة ست وخمسين وانقطعت الخلافة من بني العباس وهم سبع وثلاثون أولهم السفاح وآخرهم المستعصم وبعده صار المسلمون بلا خليفة ولم ينل ابن العلقمي ما أراده ولم يستفد غير سلامة أهل الحلة من النهب والقتل بمساعدته لهم فان مجد الدين محمد بن الحسن بن طاووس الحلي وسديد الدين يوسف بن المطهر الحلي أرسلا كتابا الى هولاكو على يد ابن العلقمي وفيه كلام

بشنقه فشنق بالجيزة في باب المعلى تحت سبيل السلطان وطلع الامير المصري بالمحمل يوم ثمان وطلع الباشا اسمعيل بالمحمل الشامي يوم التاسع ولم يحج أحد من أهل مكة الا القليل وأخذ بعض الحجاج في طريق منى ونهبت عتيبة بعرفة من الحاج قبل وصول الامراء وقتلوا بعرفة نحو أربعة من أهل اليمن ثم بعد الحج خرج جماعة الى جدة فاخذوا فاحتاج الامراء الى ان تجمع أهل جدة وينزلوا دفعة واحدة ونزل دفعة أخرى فاخذ بعضهم بشئ فرجع من الطريق واضطربت الناس ولم يزل الامر في شدة وصار الناس ينزلون الى جدة ببيرق عسكر من عسكر الباشا ومعهم شريف وأخذت قافلة فانتدب الشريف أحمد بن غالب وهو ببلده الركاني فارجع البعض الى أهله

•(ذكر قبض محمد باشا على الوزير حمدان وكيف كان خلاصه)•

وفي هذا الشهر بعد النزول قبض محمد باشا على الوزير عثمان حمدان وزير الشريف سعد وسبب ذلك انه كان بينه وبين الوزير مشاحنات في أيام ولايته على بندر جدة فاسرها في نفسه ولم يبد له شيأ من ذلك وكان يتعاطى خدمته وخدمة اسمعيل باشا ويتردد عليهما القضاء حوائجهما وعند قرب سفرهما توافقا على قتله فارسلا اليه وطلباه واعتقلاه في خيمة من خيام العسكر ودركا به شخصا من كبار العسكر وأمراه أن يأتي به اليهما بعد ست ساعات من الليل ليقتلاه فلما جزم بالهلاك واشتد به الحال وأيس من الحياة استند الى صندوق في الخيمة وهو يفكر في حاله فمضى جانب من الليل وهو على هذه الحالة فبينما هو كذلك واذا الرجل الموكل به منكب على وجهه يصيح مددمدد فحركه بيده وناداه باسمه مرارا فلم يجبه فعظم روعه ثم عمد الى ابريق وأخذه بيده ليبول ثم يعود فلما خرج من الخيمة خيل له انهم الآن يتنبهون له ويعيدونه بغلظة واهانة فعزم على العود فاحس عند ذلك بدافع يدفعه الى قدام مع زوال ما كان به من الارتياع ورقد جميع الحراس المحيطين بالخيمة فتقدم ومشى ولحقه غلام له كان معه الى أن اتصل بجدار المعلاة ثم قفز من الجدار الى داخل المقبرة واختفى ببعض المحال المقاربة لقبة السيدة خديجة رضي الله عنها فانتبهت الحراس وأوقدوا المشاعل وفزعت الخيل والعساكر خلفه وهو يشاهدها فلما غابت عنه وزال وهمه قام ومشى في المقابر وخرج من تربة الشيخ محمد بن سليمان ثم أخذ طريق العلق حتى وصل الى المسجد ثم قصد بيت مولانا الشريف عبد الله بن هاشم شريف مكة حالا فاخفاه واصبح الاميران يفتشان عليه فلم يجداه وانحلت القضية بدفع مال عظيم وانجاه بسببه ومازال الشريف احمد بن غالب بالركاني معتزلا عن شريف مكة ومولانا الشريف عبد الله بن هاشم كان يحب أن يواليه ليكون معينا له وليأمن من شره فلم يزل يتلطف به الى ان وافقه على المعاملة فلزم مولانا الشريف وطلب من الباشا أن يكتب له

حجة بأن دخوله برضا مولانا الشريف وضمانته ان لا يقع منه ما يضر بالرعية فكتب له وضمن مولانا الشريف انه ما يقع منه خلاف

﴿دخول الشريف أحمد بن غالب مكة﴾

فدخل مكة مولانا الشريف أحمد بن غالب سابع صفر واجتمع بمولانا الشريف عبد الله بن هاشم ثم اجتمعا معا بالباشا وأرسل الباشا له هدية وفي أواسط ربيع الاول جاء خبر بقوة مولانا الشريف سعد في بندر القنفذة وانه أخذ عشورها وانعقد مجلس بمكة عند مولانا الشريف حضره الباشا والقاضي والمفتي واتفقوا على ارسال عسكر للقنفذة وطلبوا دراهم من التجار فامتنعوا ثم حبسوا فأخذوا من بعضهم ثم أطلقوا ثم وردت كتب من الشريف سعد لمولانا الشريف والباشا والشريف أحمد بن غالب مضمونها ان ماوقع من السلطنة انما كان لما راسلهم من الاعداء انى قتلت شيخ الحرم المدني وبعض الاروام بمكة ونهبت الحجرة وكل ذلك لم يكن وأنا داخل البلد أطلب شرع الله وحجة من القاضي أتوجه بها الى أبواب السلطنة فاياكم والمنع فاني مقاتل على الدخول من قاتلني فاستدعى الشريف أحمد أغاوات العسكر وأخبرهم ان الشريف سعد امتعد وعرفوا الباشا بذلك في جدة فطلع الباشا من جدة ومعه العساكر وجاء الخبر بأن الشريف سعدا وصل الليث مقبلا ففرق العساكر على جبال مكة وعمر المدارس وفرق المدافع في الطرق وفي غرة ربيع الثاني نادى منادي مولانا الشريف عبد الله بن هاشم في البلد بالنفير العام فاغتم الناس لذلك وفي ثالث ربيع الثاني وصل مولانا السيد أحمد بن حازم بن عبد الله والسيد عثمان بن جازان من عند الشريف سعد وأخبرا بأن الشريف سعدا في أقوام عظيمة لا تكاد توصف فاجتمع مولانا الشريف عبد الله بن هاشم ومولانا الشريف أحمد بن غالب عند الباشا من الضحى الى الظهر واستدعوا كبار العسكر المصري من السبع بلكات ثم خرجا من عند الباشا ثم ان الباشا كتب صورة فتوى كتب عليها المفتي عبد الله عتاقي وأمر العلماء بالكتابة عليها ومضمون ذلك جواز قتال الداخل على صاحب مكة وان القائم بامرها مخاطب بذلك وجميع من بها من أرباب الدولة وذوي القدرة على الدفاع فكتبوا عليه وفي ليلة رابع ربيع الثاني تفرق عساكر مصر عند كل رئيس منهم جماعة وباتوا ساهرين الى الصبح مخافة ان يدهموا البلد ولم يزالوا كذلك الى ليلة السابع من ربيع الثاني ففي صبح ذلك اليوم جاء الخبر بوصول مولانا الشريف سعد من أعلى مكة فكان أول من قام في هذا الامر والقتال الشريف أحمد بن غالب فركب في خيله وسلاحه وجماعته ومن يلوذ به وأظهر الهمة وكذا من معه من الاشراف الى مولانا الشريف عبد الله بن هاشم وطلع بهم المعلى هو ومولانا الشريف عبد الله

---

يروونه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه • صورته اذا جاءت العصابة التي لا خلاق لها التحرين يا أم الظلمة ومسكن الجبابرة وأم البلايا ويل لك يا بغداد وللدار العامرة التي لها أجنحة كالطواويس ثمانين كالحيات الملح في الماء ويأتي بنو قنطوراء ومقدمهم جهوري الصوت لهم وجوه كالمجان المطرقة وخراطيم كخراطيم الفيلة لم يصل الى بلد الا افتتحها ولا راية الا نكسها فلما وصل الكتاب الى هولاكو أمر أن يترجم له فلما قرأه أمر لهم بسهم الامان وسلموا بسبب ذلك من القتل والنهب وباء ابن العلقمي باثمه واثم من ظلم بسببه وكان من أهل النار وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون • قلت وأما هذه الكلمات فما عليها طلاوة كلام سيدنا علي رضي الله عنه ولا حلاوته وآثار الوضع ظاهرة عليها وكأنهم اخترعوه بعد وقوع الطامة وعند حصول هذه الفتنة العامة والا لاشتهر ذلك قبل الوقوع وتناقلته الرواة في كل مجموع والله أعلم بالسرائر وما تجنه الاحشاء والضمائر

﴿فصل﴾ كان ممن نجا من سيوف هولاكو من بني العباس أحمد وتلقب المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضيء بن المستنجد بن المقتفي بالله العباسي فوصل الى مصر وافدا على سلطانها اذ ذاك وهو الملك الظاهر سيف الدين بيبرس البندقداري في سنة ست وخمسين وستمائة فخرج السلطان بيبرس الى تلقيه وأكرمه وأثبت نسبه في موكب عظيم فيه قضاة الشرع الشريف وأعانه الظاهر بجيش وتوجه الى بغداد ووصل الى الفرات في ثالث ذي القعدة سنة تسع وخمسين وستمائة فقاتله قرابغا نائب هولاكو على بغداد فقتل المستنصر ومن معه ولم ينج منهم الا القليل فلم يتم له أمر ثم وصل بعد ذلك الى مصر من بني العباس أبو العباس أحمد وتلقب الحاكم بأمر الله بن الراشد بن المسترشد بن المستظهر بن المقتدر العباسي فأكرمه الملك الظاهر وأثبت نسبه قضاة الشرع بحضرته وبايعه بالخلافة وأجرى عليه نفقته وسكن بمصر وليس له من الامر شيء وانما اسمه الخليفة وأولاده من بعده على هذا المنوال ليس لهم الا اسم الخلافة ويأتون به الى السلطان الذي يريدون توليته فيبايعه ويقول له وليتك السلطنة هكذا كانوا بألقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكان سلاطين الاقاليم يتبركون بهم ويرسلون اليهم أحيانا يطلبون منهم تفويض السلطنة باللسان فيكتبون له تقليدا ويعهدون اليه بالسلطنة عهدا ويولونه سلطنة الجهة التي هو فيها فيتبرك بهذا التقليد ويتيمن به ولا يخفى ان هؤلاء ليس لهم من

الخلافة بالصورة كما كان للخلفاء العباسيين ببغداد المحجور عليهم من جهة امرائهم الا صورة الخلفاء فقط وهؤلاء ليس لهم ولا تلك الصورة أيضا وانما لهم الاسم المجرد عن المعنى من كل وجه ولكن شيخ شيوخنا الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى عدهم من جملة العباسيين وكتب تاريخ الخلفاء ذكر هؤلاء من جملتهم وقام بشأنهم واعتبارهم وآخر من ذكر منهم في تاريخ الخلفاء ﴿المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز بن يعقوب﴾ بويع له في يوم الاثنين السادس والعشرين من المحرم سنة أربع وثمانين وثمانمائة بحضرة السلطان الاشرف قايتباي والقضاة والاعيان بالقلعة في مصر ثم ركب من القلعة الى منزله وكان يوما مشهودا وبه ختم كتابه تاريخ الخلفاء • ورأيت في تاريخ  لطيف للحافظ السيوطي أيضا سماه الوفيات في الرقيات ان في سنة ثلاث وتسعمائة مات في المحرم منها الخليفة المتوكل على الله أبو العز العباسي المصري رحمه الله تعالى ﴿وعهد لابنه يعقوب ولم يلقبه فلقبه الناس المستمسك بالله﴾ قلت واستمر يعقوب المستمسك بالله خليفة الى ان كبر سنه وكف نظره ودخلت أيام الدولة الشريفة العثمانية وافتتح السلطان الاعظم والخاقان الاقهر الاشم السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مصر القاهرة وقهرها وأزال عنها مظالم الجراكسة وعاد مع الفتح والبشرى الى دار السلطنة الكبرى قسطنطينية العظمى فتوفي الخليفة المذكور بمصر لعشر بقين من ربيع الثاني سنة سبع وعشرين وتسعمائة أخذه سركا الى اصطنبول عوضا عن والده يعقوب المستمسك بالله لكبر سنه وذهاب نظره فلما توفي السلطان سليم رحمه الله عاد المتوكل على الله هذا الى مصر وصار خليفة بها واستمر الى أن توفي الى رحمة الله تعالى لاثنتي عشرة ليلة مضت من شعبان سنة خمسين وتسعمائة في أيام المرحوم داود باشا الخادم صاحب مصر رحمه الله تعالى وبموته انقطعت الخلافة العباسية الصورية بمصر أيضا وكان المتوكل هذا فاضلا أديبا له شعر فمنه قوله

لم يبق من محسن يرجى ولا حسن • ولا كريم اليه مشتكى الحزن وانما ساد قوم غير ذي حسب • ما كنت أوثر ان يمتد بي زمني

ضمن قول الطغرائي من لامية العجم ما كنت أوثر ان يمتد بي زمني • حتى أرى دولة الاوغاد والسفل وقد اجتمعت به وأخذت عنه في رحلتي الى مصر لطلب العلم الشريف في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكانت مصر اذ ذاك مشحونة بالعلماء العظام مملوءة

ثم ان مولانا الشريف سعد لما وصل الى المعابدة عند بستان الوزير عثمان حميدان رجع مولانا الشريف ومن معه الى مكة وانطلقت العربان على جبال مكة والمتارس فذبحوا من بها وفر من فر واستولوا على المعلى ثم انطلقوا الى ما حول البلد من المتارس وشرع القتل في المعلى في جماعة الشريف أحمد بن غالب والشريف عبد الله بن هاشم الى ان قتل أغلبهم واسعف الله بمطر ابرد ما كان هنالك بالمتارس من النار وفرق بين الفريقين ونزل الشريف عبد الله والشريف أحمد بن غالب من المدعى الى باب السلام ودخل الليل فلما أصبحوا رجع الامر الى ما كان من الحرب والقتل والسيف يعمل والعسكر تقتل وكان ذلك يوم الجمعة فجاء وقت الصلاة الا وقد ملكت العرب جبل أبي قبيس وعطف جماعة منهم على جياد فلما ظهر للسادة الاشراف ما ظهر من تلك الامور والاهوال العظيمة خرج الشريف عبد الله بن هاشم والشريف أحمد بن غالب ومن معهم من الاشراف متوجهين من أسفل مكة الى الركاني بين مكة وجدة بلد مولانا الشريف أحمد بن غالب ونزلا به ثم ارتحلا الى الديار الرومية الى ان توفيا بها

﴿وفاة الشريف أحمد بن غالب سنة ١١١٣ وكذلك الشريف عبد الله بن هاشم في السنة المذكورة﴾

فتوفي الشريف أحمد بن غالب سنة ثلاث عشرة ومائة وألف وتوفي الشريف عبد الله بن هاشم في السنة المذكورة أيضا ومدة دولة الشريف عبد الله بن هاشم أربعة أشهر من غير زيادة ولا نقصان وبعد ارتحال الشريف عبد الله بن هاشم والشريف أحمد بن غالب الى الركاني اجتمع ناس من العلماء عند القاضي وقالوا له ان كان لهذا الباشا قدرة على دفاع هذا الرجل فليخرج لدفاعه فان جلوسه في بيته وقد استحر القتل بعسكره مضر به وبالناس وان لم يكن لكم قدرة على دفاعه فالواجب عليكم درء هذه الفتنة بالنداء للشريف سعد فاقتضى رأي الجماعة حضور شريف من كبار الاشراف فطلب القاضي حضور السيد أحمد بن سعيد فامتنع فبينما هم في المجلس جاء رسول من الباشا يقول ان الباشا يقول لا غرض لي في أحد فاذا جاءكم ناس يريدون عدم القتال وذكروا من يولون من الاشراف فانا تبع لهم فقالوا له أين الاشراف الذين يريدون ان يولى واحد منهم فانك لا تجد الآن أحدا يقدم على هذه المكانة فالرأي ان تسجلوا للشريف سعد وتنادوا له وتخمدوا هذه الفتنة فرجعوا الى الباشا فاخبروه فطلب الجماعة الذين عند القاضي فما وصل اليه منهم الا أربعة فلما أدخلوا عليه حصل لهم خوف كثير فجعل يعذلنا ويقول نحن قاتلنا على حفظكم بعد ان كتبتم لنا على الفتوى بجواز قتاله فكيف هذا الاختيار منكم له اليوم فقالوا له آتينا ذنبا وهلكت

الناس

الناس فكأنه عرف الحق فامر نائبا الخروج وخاف على أبناء جنسه فامر بالتعجيل والنداء فعجل ذلك ووصل مولانا الشريف سعد بمنزله بسوق الليل ونودي له وحصل الامن فما جاء المغرب الا والبلد لصاحبها ونودي بالزينة ثلاثة أيام وخرج مولانا الشريف وجميع العساكر الى بستان الوزير عثمان حميدان بالمعابدة ونزل في الاضحى يوم السبت تاسع ربيع الثاني وقدم العساكر المصرية وجاء العرب من خلفه وهم كالسيل حتى ملؤا ذلك الوادي الى أن وصلوا سوق المعلى فعطف بالعسكر على سوق الليل ولم يزل سائرا الى أن وصل الى باب علي فبعث للعسكر ان يعطفوا من السوق الكبير الى بيوتهم فلما انتهى آخرهم تقدم هو بمن معهم من العرب حتى دخل منزله وامتلأ بهم ذلك الوادي ثم أمرهم الى أجياد فدخلوها وجعلوا يدخلون شيأ فشيأ الى ثاني يوم وجلس للتهنئة يوم السبت وطلع له الناس ومدحته الشعراء واستقرت البلد ولله الحمد وبعث اليه الباشا بفرو سمور البسه اياه الا ان بعض العرب خرج بما نهب من الاموال يبيعها في السوق على رؤس الاشهاد وما أمكن رد شئ مما نهبوه وفي يوم الاحد ألبس الوزير عثمان حميدان الفرو الذي ألبسه الباشا وجعله وزيرا كما كان وطلع له أصحاب الادراك فخلع عليهم ولما كان يوم الخميس الرابع عشر من ربيع اجتمع بالباشا في مدرسة ابن عتيق عند صلاة الظهر فجلس عنده ساعة ورجع الى بيته ثم بعث له مولانا الشريف مركوبا من اصطبله بكمال العدة ولما كان يوم السبت نزل الباشا الى جدة وركب مولانا الشريف معه الى الشيخ محمود ومعه ولده مولانا الشريف سعيد فوادعه فنزل الباشا عن حصانه وقدمه له لما أراد الرجوع وقدم لابنه أيضا مركوبا من مراكبيه وسار الى جدة ورجع مولانا الشريف الى بيته واستمر مولانا الشريف وكتب للابواب السلطانية يعتذر لهم مما وقع فقبلوا عذره وجاءه التأييد والتشريفات

•(الولاية الثالثة للشريف سعد)•

وهذه الولاية الثالثة لمولانا الشريف سعد ثم ان مولانا الشريف أمر وزيره الخواجا عثمان حميدان أن يصنع ضيافة للعرب في بستانه في المعابدة فجعل لهم هناك سماطا حضره مولانا الشريف وابنه واستمروا هناك الى العصر ثم أقام العرب بعد هذا مدة يسيرة وأذن لهم في الرجوع فرجعوا شاكرين وأبقى أناسا منهم بمكة ثم جاء الخبر من المدينة بامتناعهم من النداء لمولانا الشريف ثم عند ورود الخلعة له نادوا له ثم جاءت الاخبار بان الشريف أحمد بن غالب والشريف عبد الله بن هاشم توجها الى ينبع وأخذا منه ألفي اردب حب لاهل مكة ومائتين للقاضي مكة وربع صاحب مكة وجاء الخبر أيضا بانهم كتبوا عرضا لصاحب مصر وبعثوه ثم ان الشريف جهز جماعة

بالفضلاء الفخام ميمونة بين بركات المشايخ الكرام كأنها عروس تتهادى بين اقمار وشموس ثم انقضت تلك السنون وأهلها • فكأنها وكأنهم أحلام •(الباب السادس في ذكر ملوك الجراكسة لان بعضهم أو أكثرهم عمر في المسجد الحرام وسبق لهم فيه من الترميم والنظام لما صاروا من سلاطين الاسلام) اعلم أن الجراكسة جنس من الترك في جنوب الارض لهم مدائن عامرة ولهم جبال ومزارع يرعون الغنم ويزرعون وهم تابعون السلطان خوارزم وملوك هذه الطوائف الملك سراي كالرعية يقاتلونهم ويسبون منهم النساء والاولاد ويجلبونهم الى أطراف البلدان والاقاليم هكذا ذكر المقريزي في عقوده قال واستكثر المنصور قلاوون صاحب مصر من ملوك الاتراك بعد الايوبية ملوك  الاكراد أصحاب مصر من شراء المماليك الجراكسة وكذلك ولده وبنوه وأدخلوهم في الخدم الخاصة فصاروا السلحدارية والجامدارية وجاشكيرية وأمراء وكبروا وعمائهم وسلكوا طريق أسيادهم من ملوك الترك وداخلوا السلطنة وغلبوا عليها واستقلوا بها واستكثروا من جنسهم وعملوا لها قوانين وقواعد انتظمت بها دولتهم وولي منهم ومن أولادهم السلطنة بمصر اثنان وعشرون ملكا وكانت مدة ملكهم مائة وثمانيا وعشرين سنة •(وأولهم السلطان الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن فانصوه العثماني الجركسي)• كذا ذكره المقريزي في عقوده وخططه قال الجمال يوسف ابن تغري بردي هو جركسي الاصل قام بدولة الجراكسة جلبه عثمان ابن مسافر ولذلك يقال له برقوق العثماني فاشتراه الاتابك يلبغا العمري وهو من جملة الاتراك الذين مسهم الرق من مماليك بني أيوب المتغلبين عليهم بمصر ومات يلبغا وهو من صغار مماليكه وانما سمي برقوقا لجحوظ في عينيه وتنقلت به الاحوال الى أن صار أمير مائة ألف مقدم وكان أتابكا للملك الصالح حاجي بن الاشرف شعبان بن الامجد حسين بن الناصر محمد بن قلاوون وهو الرابع والعشرون من ملوك الاتراك من مماليك الايوبية الاكراد المتغلبين عليهم غير الجراكسة وكان سن الملك الصالح لما ولي السلطنة عشرة أعوام ليس له من السلطنة غير الاسم فالزم الامير الاتابك برقوق أن يخلع الملك الصالح ويتولى السلطنة بدله فخلعه بعد سنة ونصف سنة وذلك في يوم الاربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة ومن آثاره مدرسة أنشأها بمصر بين القصرين كان مشد

عمارتها بركسي الخايلي فقيل له في ذلك شعر
قد أنشأ الملك السلطان مدرسة • فاقت على ارم مع سرعة العمل
يكفي الخايلي ان جاءت لخدمته • صم الجبال لها تغدى على عجل
وجهز للحرم المكي مالا لعمارة ماتهدم من المسجد الحرام وسار الركب الرجبي من مصر الى مكة بعد طول انقطاعه واستكثر من المماليك الجراكسة فاستمروا متغلبين على ملك مصر الى ان كثر ظلمهم وزاد عسفهم وغشمهم فأزالهم الله تعالى بعد ذلك بالسيوف الصارمة العثمانية وتشرفت بدولتهم القاهرة مصر والثغور اليوسفية الكنعانية ملكهم الله تعالى كافة البسيطة وجعل معدلتهم ورأفتهم عامة بسائر أهل الارض محيطة * ودخل الظاهر برقوق متمكنا بجميع أموال الاوخزائن وأكثر من



المماليك الجراكسة فتمكنوا من الملك وتلاعبت بعده المماليك الجراكسة بملك مصر وصاروا ملوكها وسلاطينها بالقوة والغلبة والاستيلاء وكانت تقع فتن وقتال وجلاد وجدال وقتل نفوس وحرب البسوس وشدة وبوس الى أن يستقر الامر على واحد منهم فيركب في شعار السلطنة واصطلحوا على هيئة خاصة أخذوها عن الملوك الايوبية الاكراد وزادوا فيها ونقصوا وكان ذلك الوضع مقبولا عندهم فان العرف يحسن ويقبح وان كان صورة مضحكة عند من لا يألفها ولكل اقليم وضع خاص لسلاطين ذلك الاقليم يكون مهيبا مهولا في أعين أهل ذلك الاقليم لالفهم بتلك الهيئة لسلاطينهم فكان من شعار سلاطين الجراكسة عمامة ملفوفة بصنائع مكلفة يجعلون في مقدمها وعينها ويسارها شكل ستة قرون بارزة من نفس العمامة ملفوفة من نفس الشاش يلبسها السلطان في مواكبه وديوانه ويلبس قفطانا من فاخر واقام الثياب يكون على كتفه اليمين طراز مزركش بالذهب وكذلك على كتفه اليسار الا ان ذلك ليس مخصوصا بالسلطان بل يلبس ذلك من أراد من الامراء ومن دونهم ويخلع بهذا الثوب المطرز من أراد ويحمل على رأس السلطان قبة لطيفة وفي وسط ذلك صورة طير صغير يظلل السلطان بتلك القبة والذي يحملها على رأس السلطان أمير كبير وظيفته أن يصير سلطانا بعد ذلك وأكابر أمرائه أربعة وعشرون كبيرا يلطخانه على بابهم صنجاوعمرا كل واحد منهم أمير مائة مقدم على ألف بمنزلة البكلر بكية عندهم يلبس كل واحد منهم عمامة بأربعة قرون ودونهم أمير عشرة مقدم مائة بمنزلة الصنجق يلبس كل واحد منهم عمامة بقرنين ودونهم الخاصكية

من العسكر المقيمين بمكة و بعثهم الى جدة ليعزموا الى ينبع على البحر وما رأى الباشا في ارسالهم فائدة فرجعوا وفي شهر رمضان ورد من الابواب السلطانية خلعة لمولانا الشريف ومرسوم بالتأبيد له وفيه الاخبار بوفاة السلطان أحمد بن ابراهيم وتولية السلطان مصطفى بن أحمد بن ابراهيم فقرئ المرسوم بالحطيم ولبس الخلعة وأمر بالزينة ثلاثة أيام والذي في تاريخ السنجاري ان الخبر بورود الاغاة الذي معه المرسوم جاء في رمضان فكان الامر بالزينة وأما وروده الى مكة وقراءة المرسوم انما كان في رابع عشر شوال ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف للقائه على العادة ولبس الخلعة الواردة اليه وحج بالناس وكانت الحجة بالجمعة ثم لما دخلت سنة سبع ومائة وألف أرسل مولانا الشريف ابن أخيه الشريف محسن بن حسين متوليا على المدينة واستمر هنالك الى أن توفي وفي شهر جمادي الاولى توجه مولانا الشريف غازيا جهة الشرق ولم يرجع الا ثاني ذي الحجة وورد له القفطان السلطاني والمراسيم على المعتاد وحج بالناس وفي سنة ثمان توفي ثاني عشر ذي الحجة مفتي مكة عبد الله افندي عتاقي وولادته سنة تسع وأربعين وألف وأقيم بعده في الفتوى الشيخ عبد القادر ابن أبي بكر الصديقي ولم يزل مولانا الشريف سعد متفقا مع السادة الاشراف متألفا لهم الى سنة اثنتي عشرة ومائة وألف فحصل بينه وبين الاشراف ذوي عبد الله منافرة لعدم الوفاء بمعاليمهم فثار عليه ذوو عبد الله عن آخرهم وكان من جملتهم السيد أحمد بن حازم بن عبد الله وعزموا على الخروج ثم خرجوا من مكة وهم نحو أربعين شريفا فاقتلا في أمرهم ووعدهم ونزل الى جدة ونزل منهم معه جماعة وأخذ لهم من التجار دراهم وأعطاهم ثم ثاروا عليه مرة أخرى سنة ألف ومائة وأربعة عشر فطالبوه في معاليمهم وادعوا عليه بعدم الوفاء بها ولم يتم لهم معه حال فخرجوا مغاضبين له جالين على الشريف وتوجهوا الى جهة الطائف وتعرض بعضهم لقافلة عند خروجهم و بعض الجمارة فاخذوا الجميع فارسل الشريف المشايخ ذوي عبد الله وعرفهم ماوقع من رفقائهم ثم استدنى السيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات بن أبي نمي وكان في ذلك الوقت شيخ ذوي بركات ودركه بدرب جدة وجعله في وجهه فقبل ذلك فارسل السيد عبد الكريم لذوي بركات الذين في الوادي وأكد عليهم في حفظ الدرب وقال لهم متى آنستم أحدا من السادة الاشراف الجلوية حوالكم قريبا منكم فاسرعوا في تعريفنا بذلك ودبرهم على شئ يعرفه فلما كان خامس عشر ربيع الثاني أرسل بعض الاشراف الذين بالوادي قاصدا الى مكة للشريف سعد وللسيد عبد الكريم يعرفهم ان السادة الاشراف الجلوية مروا على البقاع ومعهم غزو قاصدين درب جدة ففزع الشريف سعد عصر يومه وفزعت جميع الاشراف والعسكر

وأقام مقامه بمكة السيد عبد الله بن سعيد بن شنبر وخرج هو ومن معه وباتوا بالوادى وسرح قاصدا للمحل المسمى بالحمام وتقدم قبله بعض السادة الاشراف فواجهوا السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبى نمى متقدما عن رفقائه فلما اختلطوا به سألوه فقال قصدى مواجهة الشريف فأرسلوا الى الشريف سعد وعرفوه بذلك فلما رآه قال للاشراف لا أحد منكم يدخل محسن بن عبد الله ثم لما وصل السيد محسن وأقبل على الشريف ترجل وترجل أيضا الشريف سعد وتراد هو والسيد محسن ثم قال له من أين جئت فقال من عند الربع وقصدى العصبة فقال له الشريف سعد لنا عليك عين فقال أحلف قال له الغزو الذين معكم قد خرجنا لقصدهم اخبرنى عنهم اين يقصدون قال لا علم لى بهم فحلفه على ذلك ثم أراد ان يحلفه ثانيا فدخل على السيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى فأدخله وتكلم مع الشريف سعد فى شأنه فقال له احفظه حتى ننفض من غزونا فأرسله السيد عبد الكريم الى بيته بالوادى ومشى الشريف سعد والاشراف فى طلب القوم الى ان وصل الى الحمام فسأل عن الاشراف الجلوية والغزو الذين معهم فأخبروهم انهم أخذوا على اليفاع وقصدوا درب جدة فرجع الشريف سعد ومن معه على الوادى ثم وصلوا جدة وباتوا فيها لخفاء هم هيتمى وأخبر الشريف بان الاشراف الجلوية غزونا ونهبوا ابلنا وجحنا فقال له الشريف سعد أتعرف محلهم قال نعم قال انت الدال عليهم فسار وا بجيشهم وحثوا فى سيرهم فأدركوهم عند الظهر مقيلين وجميع ما أخذوه من هيتم عندهم فأقبل عليهم الشريف بمن معه من الاشراف والعسكر وكان معه كتخدا الوزير سليمان باشا وبعض أشخاص من اتباع الوزير واقتتلوا معهم فقتلوا من القوم زهاء ثلاثين غير المصابين وكان مع الاشراف الجلوية من شيوخ العرب هنيدس شيخ الروقة وربعه وحسين بن سويدان شيخ مطير وربعه فنهب الشريف ومن معه من الاشراف جميع ما كان معهم من الابل والبندق وغير ذلك وردوا على هيتم جميع ما أخذ منهم وردوا أيضا على الجلوية بعض خيل وركاب بواسطة بعض الاشراف وكانت هذه الواقعة يوم الاحد سابع عشر ربيع الثانى ووصل خبرها الى مكة يوم الاثنين فدق الزير وألبس البشير على معتادهم وركزت علامة النصر فى بيت الشريف على جرى عادتهم وفى هذا اليوم نزل الشريف على السيد مبارك بن يعلى فاضافه وأصبح يوم الاربعاء بمكة وجلس للناس واما السادة الاشراف الجلوية فاستمروا خارج البلد الى أواخر جمادى الثانية وفيه اصطلحوا مع مولانا الشريف وكان الساعى بينهم بالصلح السيد أحمد بن سعيد بن شنبر والسيد حسين بن زين العابدين بن عبد الله وتوجهوا لملاقاة مولانا الشريف واتفقوا معه على ان يعطيهم معلوم شهر ويكونوا اسوة رفقائهم وان

يكون له فرس وخدام وعلى رأسه زنط عليه عمامة بعذبة يديرها من تحت حنكه ودونهم الجلبان وهم مشاة على رؤسهم طواق من جوخ أحمر ضيق من موضع يدخل فيه رأسه واسع من أعلاه لا يلطأ برأسه وملبوس أكثرهم الملوطة البيضاء المصقولة يكون على كتفه طراز من مخمل أو أطلس أو مزركش وفى أوساطهم شدود بيض مصقولة يشدون بها أوساطهم ويسدلون طرفها الى أنصاف سوقهم وكانت التجار تجلب المماليك البيض من بلاد جركس ويتغالون فى أثمانهم الى ان كثروا بمصر وبلغوا نحو عشرين ألف فارس • وكانت لهم اصطلاحات فى تربيتهم وكانت لهم اطباق يوظفون فيها المعلمين من حفظ القرآن وكان الجلب يدخله سيده أولا الى الطبقة فيتعلم الخط والاستخراج والصلاة والقراءة بحسب قابليته فقد يفوق فى الخط ومعرفة القرآن والفقه وأمور دينه ثم يترقى الى معرفة الثقاف والصراع ورمى السهام ثم يترقى الى الفروسية الى أن يتفرس فى كل ذلك ثم يترقى الى الخاصكية ثم الى الدوادارية والمقدمية ثم الى السلطنة فكان خيال السلطنة فى دماغ كل واحد منهم من حين يجلب الى السوق ليباع الى أن يموت حتى ان واحدا من الجلبان جلب وهو حقير فاحش القرعة فاحش العرج فقال للدلال بيعه هل ولى الاقرع الاعرج سلطانا فى مصر وبالجملة فقد كانوا طوائف سوارج لهم سماحة وحماسة وصداقة لمن صادقوه وكانت أرزاق مصر بيدهم وكانت أهل مصر تتلاعب بهم فيما بيدهم من الارزاق وكانوا بيد فقهائهم ومباشريهم وكانوا ينخدعون فيرتب لهم مباشروهم المصريون مصارف فيكون للجندى فقيه يعلمه القرآن وامام يصلى به ومكبر ومباشر يكتب دخله وخرجه وخزندار وركابدار وجامدار ومهتار وسراج ومكاليس وحلاق وغير ذلك وحلوى وتفكها وكانوا فى رفاهية وكان أهل مصر يعيشون فى ظلهم رغدا بحيث ان أسمطتهم كانت تكفى سائر جيرانهم وكانت خدامهم تبيع ما يفضل من طعامهم للناس من الدجاج والاوز وسائر النفائس وكان لهم سوق يباع فيه ما يفضل من أطعمتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والترب وكانت لهم خيرات جارية ومبرات عالية الى ان فشا فيهم الظلم والعدوان وكثرت منهم المصادرات وغلبت سيآتهم على حسناتهم وزادت مظالمهم على خيراتهم ومالوا الى العوانية المفسدين واخلوا بشعائر الشرع والدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ودار

الظالم خراب ولو بعد حين والملك يدوم بالكفر ولا يدوم مع الظلم والله لا يحب الظالمين وان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴿وكانت﴾ مدة سلطنتهم عصر من سنة أربع وثمانين وسبعمائة الى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة * وهذا كلام وقع فى البين فلنرجع الى أحوال الملك الظاهر برقوق فنقول بعد سلطنته استمر على حاله سلطانا الى ان خلع فاحبس فى الكرك ثم تسحب من الحبس وجمع الجيوش وقاتل وغلب على المملكة وأعيد الى السلطنة وصار يتبع أعداءه ومن خرج عليه وخالفه الى ان استصفاهم وماصفاله الزمان وظن أنه آمن وأين الامان من يد الدهر الخوان ومالت شموس سلطنته الى الزوال وانمحق بدر حياته ولابد من المحاق بعد الكمال وبرق برق  الزوال على برقوق وشاهد الانفصال ﴿فعهد بالسلطنة الى ولده السلطان فرج بن برقوق﴾ وطلب الخليفة والقضاة والامراء واشهد على نفسه انه نزل عن السلطنة لولده فرج وسنه عشرة أعوام وعين الاتابك ايتمش البجاسى لتدبير المملكة وتوفى الى رحمة الله فى ليلة الجمعة وقت التسبيح منتصف شوال سنة احدى وثمانمائة وفى ذلك يقول أحمد المعرى الشاعر

مضى الظاهر السلطان أكرم مالك
الى ربه يرقى الى الخلد فى الدرج

وقالوا ستأتى شدة بعد موته
فاكرمهم ربى وما جاسوى فرج

وخلف الظاهر برقوق من الذهب العين ألف ألف دينار ومن القماش والاثاث ماقيمته ألف ألف وأربعمائة ألف ومن الخيل المسومة والبغال الفارهة ستة آلاف ومن الجمال البختية خمسة آلاف جمل وكان عليق دوابه فى كل شهر أحد عشر ألف اردب شعير وفول * وفى أيام الشريف الناصر فرج بن برقوق وقع الحريق فى المسجد الحرام فى ليلة السبت لليلتين بقيتا من شوال سنة اثنتين وثمانمائة * وسبب ذلك ظهور نار من رباط رامشت الملاصق لباب الحزورة من أبواب المسجد فى الجانب الغربى منه ورامشت هو الشيخ أبو القاسم ابراهيم بن الحسين الفارسى وقف هذا الرباط على الرجال الصوفية أصحاب المرقعات فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة فترك بعض سكان الخلاوى سراجا موقدا فى خلوته وبرز عنها فسحبت الفأرة الفويسقة فتيلة السراج منه الى خارجه فأحرقت الخلوة واشتعل اللهب فى سقف الخلوة وخرج من شباكه المشرف على الحرم الشريف واتصل بسقف المسجد الحرام والتهب به وعجز الناس

---

مامضى لا يعاد واستمر معهم على الاتفاق والمحبة وفى سنة ألف ومائة وثلاث عشرة استحسن ان يعرض للدولة العلية اقامة ولده الشريف سعيد مقامه فى شرافة مكة وينزل عنها له فكتب عرضا وأرسله الى الابواب العالية فاجيب الى ذلك وجاءه الجواب فى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة وجاءت المراسيم بولاية الشريف سعيد مع أغاة مخصوص وأدخلوه مكة بالاى أعظم وجلس فى الحطيم مولانا الشريف وصاحب جدة والقاضى والمفتى وأعيان الناس فورد الاغاة الى الحطيم بالامر السلطانى والتشريف للبس مولانا الشريف سعيد وألبس أرباب المناصب على جرى العادة وباب الكعبة مفتوح الى ان انقضت قراءة الاوامر وكانت ثلاثة وفيها الوصية على الحاج والرعايا والمجاورين كما هو العادة ودعا الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطى الشيبى واقتضى رأى مولانا الشريف سعيد الجلوس للتهنئة فى المدرسة للقرب من المسجد فدخل مولانا الشريف سعيد فقبل يديه وركبتيه وهو يدعو له وعينا كل منهما تذرفان بالبكاء من شدة الفرح ثم خرج من عند والده وركب الى داره التى بسوق الليل للمباركة ومدحه الشعراء بقصائد

*(الولاية الثالثة للشريف سعيد بن سعد سنة ١١١٣)*

ولما كان يوم السبت طلع الاغاة الوارد بالقفطان بخلعة سمور وكتاب آخر خاص لمولانا الشريف سعيد وألبسه الفرو الوارد عليه من الابواب زيادة فى الاكرام والعناية وخوطب فى كتابه بغاية اللطافة وهذه الولاية الثالثة للشريف سعيد لكن ماقبلها كان بغير أمر سلطانى ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف سعيد للبس الخلعة وخرج معه والده فلبس الشريف سعيد الخلعة ورجع وحج بالناس ومن الوقائع فى هذه السنة ان أمير الحاج الشامى ذهب لبلك باشا عسكره غلام وذهب لابن أخت الباشا صاحب جدة غلام فصار كل واحد يسأل عن غلامه فجاء خبر لابن أخت الباشا ان غلامه عند بلك باشا العسكر الشامى معزوزا فركب ليأخذه فلما وصل الى الباشا أمير الحاج الشامى أمر بأخذه فى الحديد فأخذ وجعل فى الحديد وخرج الباشا بالمحمل يوم عشرين وهو معه فى الحديد وكان الباشا صاحب جدة قد نزل الى جدة لاستلام المراكب الهندية فأرسل مولانا الشريف سعد الى الباشا يشفع فى اطلاقه فلم يقبل شفاعته ثم أرسل قاضى مكة فلم يقبل وسار به معه ولم يلتفت الى أحد فلما وصلوا الى عسفان وجدوا غلام بلك باشا العسكر الشامى فاخذ الغلام ولم يطلق المعتقل وسار به الى المدينة فتكلم فيه شيخ حرم المدينة وفكه بنحو عشرين كيسا ورجع من المدينة الى جدة ولم يزل مولانا الشريف سعيد ووالده متفقين مع الاشراف الى سنة خمس عشرة ومائة وألف فتنافر مولانا السيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات مع مولانا

عن طفئه لعلوه وعدم وصول اليد اليه فعم الحريق الجانب الغربى من المسجد الحرام واستمرت النار تأكل من السقف وتسير ولا يمكن الناس اطفاؤها لعدم الوصول اليها بوجه من الوجوه الى ان وصل الحريق الى الجانب الشامى واستمر يأكل من سقف الجانب الشمالى الى ان انتهى الى باب العجلة وكان هناك اسطوانتان هدمهما السيل العظيم المهول الذى دخل المسجد الحرام فى اليوم الثامن من جمادى الاولى من هذا العام يعنى عام حريق المسجد الحرام وأخرب عمودين من أساطين الحرم الشريف عند باب العجلة بما عليهما من العقود والسقوف فكان ذلك سببا لوقوف الحريق وعدم تجاوزه عن ذلك المكان والا لعم المسجد الحرام جميعه من الجوانب الاربعة فاقتصر الحريق الى باب العجلة وسلم الله تعالى (١٣٩) باقى المسجد الحرام وكم لله من لطف خفى * يدق خفاه عن فهم الذكى فصار ما احترق من المسجد الحرام أكواما عظاما تمنع من رؤية الكعبة الشريفة ومن الصلاة فى ذلك الجانب من المسجد * قال النجم بن فهد وتحدث أهل المعرفة بأن هذا منذر بحادث جليل يقع فى الناس وكان ذلك مقدم وقعة المحن العظيمة بقدوم تيمرلنك الى بلاد الشام وبلاد الروم وسفك دماء المسلمين وسبى ذراريهم ونهب أموالهم واحراق مساكنهم ودورهم كما هو مذكور فى التواريخ المفصلة * قال الحافظ السخاوى * فى ذيله على دول الاسلام للذهبى رحمه الله تعالى وفى آخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة وقع بالحرم المكى حريق عظيم أتى على نحو ثلث المسجد الحرام ولولا العمودان اللذان وقعا من السيل قبل ذلك لاحترق المسجد الحرام جميعه واحترق من العمد الرخام مائة وثلاثون عمودا صارت كلها كلسا ولم يتفق فيما مضى مثله وكان وقوع السيل فى جمادى الاولى من هذه السنة بعد مطر عظيم الانسكاب كافواه القرب ثم هجم السيل فامتلأ المسجد حتى بلغ القناديل ودخل الكعبة من شق الباب فهدم من الرواق الذى يلى باب العجلة عدة أساطين وخرب منازل كثيرة ومات فى السيل جماعة رحمهم الله قال الفاسى رحمه الله تعالى ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك فى مدة يسيرة على يد الامير بيسق الظاهرى وكان قدومه الى مكة لذلك فى موسم سنة ثلاث وثمانمائة وكان هو أمير الحاج المصرى وتخلف بمكة بعد الحج لتعمير المسجد فلما رحل الحجاج من مكة شرع فى تنظيف الحرم الشريف من تلك الاكوام التراب وحفر الارض وكشف عن أساس المسجد الشريف

الشريف سعيد لامر اقتضاه فخرج مغاضبا وخرج لخروجه جماعة من بنى عمه آل بركات ثم اتسع الخرق فخرج جماعة من كبار الاشراف ومشايخ من آل حسن وآل قتادة وأعظم الاسباب للجميع المطالبة فى المعاليم وأخذ كل لنفسه أجله وتوافق الخارجون وتحالفوا وتعاهدوا على اتحاد الكلمة فقام مولانا الشريف سعد ساعيا فى الصلح بينهم وبين ولده وقام معه فى الصلح جماعة من الاشراف واجتهدوا غاية الاجتهاد فما أمكن وتقطعت بسبب ذلك السبل ونهبت الاموال من طريق جدة وسائر الجهات فكم من مال أخذوه وقتيل نبذوه ثم ان الشريف سعدا ذهب اليهم بنفسه بوادى مر وضمن لهم وفاء جميع ما اجتمع لهم من المعلوم وقال لهم ان ألزمت ولدى بتسليمه الآن يعتذر بالعجز وحسن لهم أخذ البعض وعينه لهم وما بقى فانا الكفيل لخلاصه فرضوا بذلك وشرطوا عليه شروطا منها الدفان عما وقع فى الطريق من النهب والقتل ومنها انهم يكونون على ما تعاهدوا عليه من غير نقض ابرام منه ومنها انه اذا لم يتم ما التزمته لنا تكون يدك معيدنا ونكون نحن وأنت عليه فضمن لهم كل ذلك وقبله واختار أن يدخل مكة معه جماعة منهم لملاقاة ابنه الشريف سعيد فدخل مكة ومعه جماعة من الاشراف منهم ابن أخيه السيد عبد المحسن بن أحمد ابن زيد والسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى وحسن بن غالب ومسرور بن يعلى فدخلوا وقابلوا الشريف سعيدا وبدؤا عليه فى دار السعادة وخرجوا من عنده ولم يفاتحهم بشئ وعرض الشريف سعد على ولده ما صار بينه وبين بنى عمه فامتنع وأبى وقال بل أحاسبهم على جميع ما أخذوه من الناس من الاموال وأحسبه من معاليمهم ولا بد أن ينفكوا عن هذا الحلف الذى بينهم ويعاملنى كل واحد وحده فلما بلغهم ذلك رجعوا الى مر الظهران ونفوسهم غير طيبة بعد ان ألزموا الشريف سعدا أن يعطيهم اليد وفاء بالشرط ولما قرب شهر الحج واحتاج الناس الى قضاء شعار الحج وضاق الوقت تصدى الوزير سليمان باشا صاحب جدة لتسكين هذه الحركة والفتنة الطامة وبذل فى ذلك الهمة فكاتب السادة الاشراف ووعدهم وضمن لهم خلاص ما هو لهم فى الذمة من المال وبذل لهم ما وسعته قدرته فى الحال وشرط عليهم حفظ طريق جدة رعاية لمن بها من الغرباء الواصلين كى لا يفوتهم الحج ففعلوا ما شرط عليهم وأمنوا الطريق وسارت القوافل بل صاروا يمشون مع القوافل بانفسهم الى أن تدخل مكة ذهابا وايابا ثم ان سليمان باشا أخبر مولانا الشريف سعيدا بما وقع وقال له انى التزمت لهم فى ذمتى بخلاصهم فاجابه بان ما فعلته هو الصواب ثم ان الشريف سعيدا بعث الى الاشراف وكانوا نحوا من ثلثمائة شريف يسألهم أن يعرضوا معه فى خروجه الى أمراء الحج على جرى العادة فامتنعوا ولم يعرض منهم أحد الا بعض أشراف كانوا فى عمالته لم يجاوزوا الثلاثين فلما

وعن أساس الاسطوانات فى الجانب الغربى من الحرم الشريف المحترم وبعض الجانب الشامى منه الى باب العجلة فظهر أساس الاسطوانات مثل تقطيع الصليب تحت كل اسطوانة فبناها وأحكم تلك الاساسات على هيئة بيوت الشطرنج تحت الارض وبناها حتى رفعها الى وجه الارض على اشكال زوايا قاعدة وقطع من جبل بالشبيكة على يمين الداخل الى مكة أحجار صوان صلبة منحوتة على شكل نصف دائرة يصير على آخر منحوت مثله دائرة تامة فى سمك ثلثى ذراع وصففت على قاعدة مربعة منحوتة على محل التقاطع الصليبى على وجه الاساس المرتفع على الارض ووضع عليها دائرة أخرى مثل الاولى ووضع بينهما بالطول عمود حديد منحوت له بين الحجرين المدورين وسبك على جميع ذلك بالرصاص الى أن انتهى طوله الى طول أساطين المسجد فيوضع عليه حجر منحوت من المرمر هو قاعدة ذينك العمودين من فوق طاق يعقد الى العامود الآخر وبنى ما بين ذلك بالآجر والجص الى أن يصل الى السقف الى ان تم الجانب الغربى من المسجد الحرام على هذا الحكم وبقيت القطعة التى من الجانب الشامى الى باب العجلة فاكملوها بالنقط من عمد الرخام الابيض موصلة بالصفائح من الحديد الى ان لا قوا به العمد التى بنوها من الحجر الصوان المنحوت لعدم القدرة على العمد الرخام فصارت الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام ثلاثة أروقة والجانب الغربى وحده بالحجر الصوان المنحوت المدور على شكل عمد الرخام وكملت عمارة هذه العمد فى أواخر شعبان سنة أربع وثمانين وثمانمائة ولم يبق غير عمل السقف وأخر عمله بعدم وجود خشب يصلح لذلك بمكة اذ لا يوجد غير خشب الدوم وخشب العرعر وليس لذلك طول ولا قوة ويحتاج الى خشب الساج ولا يجلب الا من الهند أو خشب الصنوبر ولا يجلب الا من الروم فلزم تأخيرا كماله الى احضار القدر الذى يحتاج اليه من ذلك الخشب وشكر الناس الامير يسق على سرعة تمام هذا المقدار من العمل فى هذه المدة اليسيرة ومبادرته الى تنظيف المسجد الى ان صلح للصلاة فيه وكان ذا همة عالية وحسن توجه وكان كثير الصدقة والاحسان وحج الامير يسق فى ذلك العام وعاد الى مصر لتجهيز ما يحتاج اليه من خشب سقف الجانب الغربى من المسجد الحرام ووصل الى مصر فى أوائل سنة خمس وثمانين وثمانمائة وكان صاحب مكة يومئذ جد سادتنا أشراف مكة الآن السيد الشريف حسن بن عجلان سقى الله

أقبل الحج والامر ا اتنقلت الاشراف الى الحسينية بوادى مر لخبح الناس وهم فى غاية الخوف ولم يحج من أهل مكة الا اليسير وظنوا ان الاشراف يدخلون مكة والناس بعرفة فلم يكن ذلك بل التزموا الوفاء بما أخذه عليهم الوزير سليمان باشا صاحب جدة فلما ان سافر الحج وأقفر الفج أخذ الاشراف فى الارتحال من الحسينية ونزلوا بالزاهر فى السابع والعشرين من ذى الحجة فشعر بهم الشريف سعيد وأرسل يطلبهم الى الشرع الشريف فوكلوا من جانبهم السيد عبد الله بن سعيد بن شنبر فجاء الى المحكمة ومعه السيد عبيد الله بن حسن بن جود الله وزين العابدين بن ابراهيم بن محمد شهودا على الوكالة وكان الشريف سعيد قد نزل قبلهم الى المحكمة وكان قاضى مكة ذلك العام القاضى أحمد البكرى أحد السادة البكرية المقيمين بالشام لا المصريين فادعى السيد عبد الله بموجب وكالته عن جماعته على مولانا الشريف سعيد بانه منعهم من حقوقهم من مداخيل البلد ومخاليفها لم يعطهم ما يستحقونه واختص بكل ذلك دونهم وهم شركاؤه فيه وقد مضت قواعدهم من زمن الشريف قتادة بذلك وانهم لا يعاملونه الا على ذلك فان بذلك قوام معاشهم فانكر ذلك مولانا الشريف سعيد وقال ليس لكم حق وانما تأخذون من صاحب مكة ما يعطيكم من قبيل صلة الرحم ومدخول مكة خاص به واتسع بينهم المجال بحضرة القاضى والعلماء بما لا يليق بمقامهم فتأثرت نفوسهم بزيادة ثم انقضى المجلس على غير خاتمة ورجع الاشراف الى جماعتهم بالزاهر بعد ان اجتمعوا بالشريف سعد وعاتبوه على دعواهم الى القاضى فاعتذر وحلف انه لا علم له بهذا القدر فقبلوا عذره ثم ان الشريف سعد اركب بنفسه وخرج اليهم فى الزاهر وخطأ ابنه فى فعله واستعطفهم وقال هبوها لاجلى وستترون فى حقكم معه وأنا المطالب بجميع ما هو لكم فقبلوا ذلك وطلب جماعة منهم يدخلون معه مكة فدخل معه السيد أحمد بن زين العابدين لاستلام ما قام به اهم فلما دخل بهم البلد رأوا زنده قد صلد وكان ذلك آخر يوم من شهر ذى الحجة سنة خمس عشرة ومائة وألف ودخل عقب ذلك المحرم من سنة ست عشرة فرفعت الفتنة رأسها ووطأت أساسها يوم الثالث فانتشر عبيد الاشراف باعالى تلك الجبال وشنوا الغارة وملكوا تلك الجبال الى الجبل الطال على تربة العيدروس بالشبيكة وانتهوا الى أسفل جبل عمر من المسفلة ومن جبل قعيقعان الى الجبل الطال على سويقة وأخذ باطنة الشبيكة جماعة من الاشراف حتى انتهوا الى مقبرة الشبيكة ووصل جماعة من العبيد الى جهة المعلى فملكوا الجبل المطل على الوادى بحيث لا يفوتهم الصاعد من هنالك وبات الاشراف فى مضاربهم فلما رأوا شدة الحركة انتقلوا من الزاهر الى طوى ووقفوا هنالك وتقدم بعض العبيد فدخلوا بيت عتاقى أفندى فى الشبيكة وكان يعرف ببيت عبد الباقى الشامى نحو السبعة فانحازوا فيه وجعلوا يضربون

عهده صوب الرحمة والرضوان وكان ممن يحب الخير ويرغب فيه ويسابق الى فعل الجميل ويبادر اليه وهو الذي يقول فيه شمس الدين بن المقري الشافعي صاحب الارشاد والرضوان وعنوان الشرف وغيرها من قصيدة له يمدحه ويعرض بصاحب اليمن يومئذ

أحسنت في تدبير ملكك يا حسن * وأجدت في تمكين اخلاص الفتن
الى أن قال
موسى هزبر لا يطاق نزاله * في الحرب لكن أين موسى من حسن
هذاك في يمن وما سلمت له * يمن وذا في الشام لم يدع اليمن

ومن جملة خيراته وآثاره انه لما رآى رباط رامشت وما آل اليه أمره بعد الحريق الى ان صار سباطة بذلك المحل أمر باعادته رباطا للفقراء كما كان وصرف من ماله عليه الى ان عاد أحسن من الاول وزالت السباطات من ذلك المكان  وانصان الحرم الشريف وتضاعفت أدعية الناس له بسبب ذلك والله يجزي المتصدقين ويسمى الآن رباط الخاص لانه رممه وعمره بعد شهرته في أوائل القرن العاشر وهو من طائفة المباشرين في ديوان السلطنة بمصر في خدمة السلطان جقمق العلائي ومن بعده وكان من أهل الخير رحمه الله * وفي سنة سبع وثمانمائة قدم الى مكة الامير بيسق لعمارة سقف الجانب الغربي من المسجد الحرام وغيره مما تشعب من سقف المسجد الشريف من كل جانب فنهض الى هذه الخدمة وأحضر الاخشاب المناسبة لذلك وجلبها من بلاد الروم وهيأ منها عمد السقف ونقشها بألوان وزوقها واستعان بكثير من خشب العرعر الذي يؤتى به من جبال الحجاز من جهة الطائف لعدم وجود خشب الساج يومئذ في مكة وبذل همته واجتهاده الى ان أسقف جميع الجانب الغربي من المسجد الحرام وأكمله بخشب العرعر المذكور وعمر معه بعض الجانب الشامي أيضا الى باب العجلة فتم عمارة المسجد الشريف على ثلاث لاسطوانات المنحوتة من الحجر الصوان وعلق في ثلاث الاسقف سلاسل من نحاس وحديد لتعليق القناديل في الرواق الوسطاني من الاروقة الثلاثة على حكم سائر المسجد الحرام غير الجانب الشرقي واليماني وأكثر الشامي الى باب العجلة كان في كل عقد من العقود التي تلي صحن المسجد الشريف ثلاث سلاسل احداها في وسط كل عقد والثانية عن يمينه والثالثة عن شماله لتعليق القناديل وأما هذا الجانب الغربي فكانت فيه السلاسل على هذا الحكم فلما احترق هذا الجانب واعيدت عقوده لم تركب فيها هذه السلاسل ولا أدري كانت هذه السلاسل التي هي خارج عن

يضربون من أقبل عليهم فتهيأ الشريف سعيد للخروج عليهم وجمع الجند وترس المنافذ وجمع جماعة في دار السنجاري وجماعة في دار الشيخ عبد الله البصري في الشبيكة وجماعة في منائر المسجد عسكر المصري ومن عسكر اليمنية ثم أحضر بقية عسكر مصر من متفرقة وأسباهية وعرب وانقشارية فركب وركب معه خاصته من الغلمان والوصفان وصارجية وسقمان وأراد الخروج فلم يتمكن من ذلك ووقف بسوق الصغير ووصل الرمي من جبل عمر الى محل وقوفه بل أصاب بعض الخيل بعض ذلك الرمي واستمر الى ضحوة عالية وكان من التقدير انه حضر عند القاضي المفتي وبعض العلماء وأخذوا من القاضي حكما حكم به أنه لا يجوز عزل من ولاه السلطان ويجب على العامة ان يقاتلوا معه هؤلاء الجماعة وأمروا مناديا ينادي في شوارع مكة فاضطربت الناس وهو ينادي بالنفير العام حسبما رسم شيخ الاسلام فلما بلغ ذلك سليمان باشا صاحب جدة وهو اذ ذاك بمكة وجاءه الحكم وتأمله امتثل الامر وأطاع وخادع خداعا وبعث نحو ثلاثين مدرعا من اتراك مع كيخيته فلحقوا بالشريف سعيد وأخذ محمد بن جهور العدواني الحكم وطلع به الى أمير العراق فاعانه بنحو مائتي عسكري فخرج بهم من ربع اذاخر وعطف على الاشراف بالزاهر وفرغ بارود الاشراف لطول رميهم فهمدت الفتنة ساعة فانتهزها الشريف سعيد من سوق الصغير وسار بمن معه من عسكر الباشا الى ان وصل بيت عتاقي افندي الذي فيه العبيد المعروف ببيت عبد الباقي الشامي فلما وصل الى البيوت المسامتة لذلك البيت صده من كان فيه من العبيد السابق ذكرهم فتوقف وقتل هناك بيرق دار الانقشارية وعبد من عبيد الشريف وجرح آخرون من جماعته وطال وقوفه ثم عطف على سويقة على بيت الباشا وأمر بجر مدفع وانتهى به الى قريب من بيت عبد الباقي الشامي ورمى به على البيت ففر من كان فيه من الاسطحة وهربوا فكر عند ذلك وحصل من خيالته اختلاط بمن كان هناك من الاشراف حول بيوت الشبيكة وقتل عبد لعبد المحسن بن أحمد بن زيد وصوب فرس السيد مبارك بن زامل فحول عنها وتركها وأصيب السيد محسن بن حسين بن عبد الله ابن حسن برصاصة في رجله فتمنعوا بعد ذلك من الاختلاط وافترقوا عن البلد هذا كله والشريف سعد واقف تحت دار السعادة يتحزر كالغلام ثم أحضر له طعام ومعه ثلاثة أو أربعة من الاشراف ثم لحق بولده وسار واحتى وصلوا جبال أبي لهب فكانوا من الاشراف بعيان وهم وقوف حول مضاربهم فامتنع الفتيان من القدوم فاقام الاشراف ثمة ثلاثة أيام ثم انتقلوا الى الحميما فلحق بهم الشريف سعد ونزل عليهم وشيع المشايخ منهم فاستعطى منهم ذلك القدر الذي يطلبونه بعد التنزل لهم فسمحوا به كرامة لمجيئه اليهم والتزم لهم العوض وأصلح الامر على ان يأخذوا الآن من

الاروقة تحت العقود البرانية منها يعلق فيها القناديل أحيانا أم كانت لمجرد الزينة ولم أطلع على ذكر قناديلها ولا كيف كانت
ومتى بطلت وأكمل عمارة سقف الجانب الغربي وما احترق من الجانب الشامي الى باب العجلة في سنة سبع وثمانمائة وعمر مع ذلك
في الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام مواضع كثيرة من سقفها كان قد انكسر أعوادها ومال بعضها وكان يسيل منها الماء الى
المسجد الشريف فأصلح الامير بيسق جميع ذلك بالطبطاب والنورة في سطح الاسقف بدلكها وسواها وأتقن عملها وعمر ما في صحن
المسجد من المقامات الاربعة على الهيئة القديمة و بذل في صرف ذلك الاموال العظيمة وشكره الناس على ذلك وكان ذلك في أيام
الناصر زين الدين أبي السعادات (١٣٢) فرج بن برقوق بن قانصوه الجركسي ثاني ملوك الجراكسة وكانت سلطنته بعهد
من أبيه عند وفاته كما تقدم
صبيحة يوم الجمعة منتصف
شوال سنة احدى
وثمانمائة وكان الامير
الاتابك ايتمش مدبر
المملكة وكان الامير شيبك
خزنداره فوقع بينهما
منافرة أدت الى مشاجرة
ثم الى مقاتلة فانكسر
ايتمش فهرب الى نائب
الشام الامير تنم الظاهري
فجيشا جيوشا الى مصر
لقتال الناصر وشيبك
فخرج الناصر لقتالهم
فانهزموا منه واضطربت
أحوال مصر لاختلاف
الكلمة ثم وصل تيمرلنك
الى بلاد الشام وأخذها
من سدون الظاهري
وأسره وقتله ونهب بلاد
الشام وأخرب ديار الدوادار
وخرج الناصر فرج
بجيوشه من مصر لقتال
تيمرلنك فوجده قد نزل
البلاد وتوجه الى بلاد
الروم فأعطى الشام
لتغري بردي وعاد الى
مصر وذلك في سنة ثلاث وثمانمائة ثم كثرت الفتن بمصر من الامراء الظاهرية مماليك الظاهر برقوق واختلفت للشريف
الاحوال بسبب هذه الفتن والاختلافات الى ان ضجر فرج من ذلك وهرب من القلعة بعد العشاء ليلة الاثنين سادس ربيع الاول
سنة ثمان وثمانمائة واختفى عند سعد الدين ابراهيم بن غراب أحد رؤساء المباشرين فلما أصبح الامراء وفقدوا السلطان أقاموا في
السلطنة أخاه ﴿الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق بن قانصوه الجركسي﴾ ثالث ملوك الجراكسة فتلاشت أمور المملكة في أيامه
لصغر سنه واختلاف أمراء دولته وكيف يستقيم الملك مع الخلاف والحال انه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وكان مدة ملك
المنصور شهرين وعشرة أيام ثم ظهر الناصر فرج بعد هروبه واختفائه وركب معه أمراء من مماليك أبيه وأخذ القلعة بالحراب

الشريف سعيد مشاهرة شهر واحد وطلب منهم الدخول معه الى مكة وملاقاة الشريف سعيد
فدخل معه كبارهم ضحوة النهار بعد أخذهم مهلة وكفالتهم من تركوه من جماعتهم فاضافهم
الشريف سعد ذلك اليوم وجعل لهم أنواع الاطعمة فاقاموا بمكة أياما فقط وقعوا على طائل فعند ذلك
رجعوا الى الحمياء الاان السيد أحمد بن زين العابدين ومن في عملته والسيد أحمد بن حازم ومن في
عملته والسيد محمد بن أحمد بن حسين ومن في عملته نقضوا ما أبرموه مع القوم وعزموا على الجلاء
بعد ان ودعوا اطوارفهم على عادتهم واما السيد عبد المحسن بن أحمد بن زيد والسيد عبد الكريم
ابن يعلى فاراد المقام بمكة رجاء ان يكون الصلح فبينما هم في المشاورة اذ جاء الخبر ان الاشراف أخذت
قافلة عظيمة خرجت من جدة وقتلوا الرجال ونهبوا الاموال فاشتد غضب الشريف سعيد و والده
الشريف سعد وقالا لمن كفلهم من بني عمهم أعطوا الحق من أنفسكم فانكم كفلتم هؤلاء الجماعة
أياما معدودة واستردوا منهم ما كانوا أعطوهم مما هو لهم فعسر استيفاؤه ثم ان السيد عبد
المحسن بن أحمد بن زيد خرج اليهم حيث لم يتم ما أراده معهم من الصلح مع حدوث أخذهم لهذه القافلة
مع ان معها السيد مبارك بن حمود خرج معها من جدة وأودعه اياها الشريف سعيد في كتاب
كتبه اليه ومعه من العسكر الصارجية والسقمان نحو الاربعين فارسا وكان سليمان باشا صاحب
جدة قد نزل الى جدة قبل خروج تلك القافلة وكان خروج الشريف عبد المحسن بن أحمد الى
الاشراف في التاسع والعشرين من محرم فوجدهم قد احتالوا الى الحمياء وكانوا عند بئر شميس
فاحتالوا على السيد مبارك بن حمود ونحوه ممن كان مع القافلة وقبضوا عليهم واستاقوا القافلة جميعها
فلما رأى السيد مبارك منهم ما رأى وكان مباركا كاسمه نزل عن فرسه ودخل مكة راجلا ونزل على
السيد مساعد بن سعد وكانت قافلة عظيمة موفورة وفيها من كل الانواع وقتل من الصارجية نحو
خمسة عشر وأخذت خيولهم و بلغت القتلى من أصحاب القافلة وغيرهم نيفا وثلاثين ولم يسلم الا من
هرب واستجار بعضهم بالاشراف فسلم من كتبت له السلامة بروحه دون ماله فأخذوا القافلة
بالرماح ونادوا بحي على الفلاح وأغلبهم كانوا شبابا نافلما ان وصل اليهم الشريف عبد المحسن جعلوا
كلمتهم اليه واعتمدوا في تصريف الامر اليه وبايعوه على شرافة مكة وعزل ابن عمه الشريف
سعيد فرضي بعد تأب شديد ثم ارتحلوا من الحمياء ونزلوا ماء قريبا من جدة يقال له غليل مصغرا
وأرسلوا الى الوزير سليمان باشا يعرفونه بما اتفقوا عليه فأمرهم بدخول جدة فدخلها مولانا
الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد والسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى والسيد أحمد بن هزاع
والسيد عبد الله بن سعيد بن شنبر وآخرون من الاشراف وأقام الباقي بغليل فارسل الباشا كتابا

من أخيه الملك المنصور عبد العزيز وتسلطن ثانيا يوم الجمعة لاربع مضين من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة ونفى أخاه الملك المنصور عبد العزيز وأخاه اسمه ابراهيم الى الاسكندرية فتوفيا بها في ليلة الاثنين سابع ربيع الآخر سنة تسع وثمانمائة واتهم الناصر بقتلهما والله أعلم . ثم صار الملك الناصر فرج يتبع أعداءه من الامراء فصار يقتلهم واحدا بعد واحد فتجمعوا عليه وخرجوا عن طاعته وقاتلوه فهزمهم فخرجوا عنه الى الشام فتبعهم فصاروا يمكرون به ويهربون عنه ويتبعونه في طلبهم مع غاية الاحتراز منه والهرب خداع ومخالفة الجم الغفير والجمع الكثير لا تستطاع الى أن مل منه الخدم والاتباع وتفرقوا عنه وسئموا عن الاتباع وهو يتبعهم بالجد في الطلب الى أن صادفوه في طلبهم بعد (١٣٣) التعب والدأب وهو ومن معه اتعبوا خيولهم في طلب العدو من العشاء الى الصباح وأشرفوا في الصبح على الامراء العصاة عليه وهم بطول الليل في الراحة والارتياح فحمل السلطان الناصر فرج ومن معه وهم نفر قليلون حقيرون على أمرائه العاصين له وهم متوفرون كثيرون فنعه أصحابه من هذه الحملة وعلموا انه هو ومن معه في غاية التعب والقلة فلم يطعهم وأطاع غروره وجهله واغتر بشجاعته وخوله وظن أنه لا يقابله أحد لعزته وطوله ولا يقاتله أحد لهيبته وزوله فدلاه خياله الفاسد بغرور وخاب ظنه كما يخيب ظن كل مغرور وخانه الزمان الجائر ودارت عليه الدوائر وخذله الدهر فما كان للناصر من قوة ولا ناصر وانقلب اليه بصره وهو حسير وظفر به عدوه الحقير وقيده وهو أسير كسير وقتل وما للناصر نصير وما جاء لفرج فرج الا بشرى الشهادة والى الله المصير وطعنته المشاعلية بالسكاكين الى أن انقطع منه الوتين وسكن منه الانين فصار عبرة للناظرين وهو مقيد محبوس بأيدي القاتلين في ليلة السبت منتصف شهر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة وألقي بعد هذه القتلة على سباطة مزبلة وهو عريان من اللباس يمر به الناس و ينظرون الى ذلك البدن الممتهن والجسد العاري الممتحن وذلك من أعظم العبر وأكبر المحن الى ان من الله عليه بعض الانام بعد عدة أيام فحمله وغسله وأدرجه في كفن وواراه في التراب في مقبرة باب الفراديس والمل الله سامحه واسكنه الفراديس والرجاء من الله الكريم ان يكون الله غفر له فان السيف محاء الذنوب وان الله علام الغيوب ومن العمائر الحرمية في أيامه تجديد عقد المروة بعد

---

للشريف سعيد والى والده الشريف سعد وملخصه ان السادة الاشراف نزلوا غاليلا وقصدهم محاصرة جدة ومنعهم أهلها من الماء ور بما يحصل منهم خلاف على البندر وليس لنا قدرة على دفعهم فالقصد ان تخرجوا اليهم ونحن ومن عندنا معكم أوتدفعوا اليهم ما هو لهم ليرجعوا عما هم فيه من الضرر عليكم وعلينا ويدخلون تحت الطاعة وان كنتم تعجزون عن ذلك فاخرجوا من البلاد فقد تعين لها من يقوم بحفظها فردوا له الجواب ليس لهم عندنا الا السيف أو يرضون بالحيف فلما جاء هذا الجواب استدعى الباشا مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد هو وجماعة من الاشراف وحضر قاضي جدة وجماعة من أعيان الناس فألبسه الوزير فروا عظيما وولاه شرافة مكة ودومت له الاشراف بالعز على قواعدهم السالفة فخرج من عنده في آلاي عظيم والخلق بين يديه من عساكر وغيرها ومعه الاشراف الى ان وصل سبيل محمد جاووش خارج جدة ثم نادى المنادي في شوارع جدة وغيرها له بالامان والاطمئنان ووضع الشريف عبد المحسن يده على البندر ورفع يد وزير الشريف سعيد وجميع المباشرين الذين من جهة الشريف سعيد وأجلس آخرين غيرهم ثم ان الوزير سليمان باشا هيأ لمولانا الشريف عبد المحسن كل ما يحتاج اليه الملك من نوبة وصنجق وسعاة وعساكر دباية وخيالة وقام بما يكفيهم من الملبس والمطعم وغيره وأخرج لهم الذخيرة الوافرة من كل شئ وأرسل كيخيته حفيظا على العساكر فصرف مولانا الشريف على الاشراف معلوم شهر وأرسل الى المدينة لينادى له فيها فنودي له بها وخطب باسمه على المنبر النبوي وكتب الى قبائل حرب وغيرهم فأجابوا بالطاعة فأطاعه حرب وجميع الجهات الشامية وأرسل الى الحجاز واليمن وسائر النواحي فأجابوا بالطاعة ثم ان الشريف عبد المحسن أرسل أخاه عبد المطلب بن أحمد بن زيد ومعه السيد عبد الله بن حسن بن جود الله والسيد عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم مع آخرين فنادوا له بالطائف وأقام السيد عبد المطلب بالطائف ثلاثة أيام فوصل اليه السيد عبد الله بن سعيد بن سعد ابن زيد ومعه من الجبالية ويافع نحو الخمسين ومن الاشراف محمد جيزان وجماعة من ثقيف فتهيأ السيد عبد المطلب بن أحمد لقتالهم وجمع الجموع فأتاه أحمد بن زين العابدين فثبطه اكتب جاءته من الشريف سعد وسعيد وحسن له الخروج فأبى ثم خرج من الطائف ليلا فدخلها السيد عبد الله ابن سعيد ومن معه ونادى فيها لابيه وأما السيد عبد المطلب فانه نزل الاخيضر فجمع بعض البادية وكر بهم على الطائف فتأهب السيد عبد الله بن سعيد لقتاله فأتاه السيد زين العابدين وقال له ان الشريف عبد المحسن ولي مكة وعزلوا أباك وهذا أخوه عبد المطلب يريد الدبرة لاخيه فأبى وقال هذا كلام لا أسمعه ثم اتفق رأيهم على دخول عبد المطلب مع بقاء عبد الله بن سعيد

سقوطه فى سنة احدى عشرة وثمانمائة ، ومنها ان تاجرا يسمى الخواجا حسين بن أحمد التبروانى أوصى فى مرض موته أن يصرف على عمارة عين مكة من ماله عشرة آلاف درهم وأن يعمر الميضأة الصرغتمشية بخمسة آلاف درهم فنفذت وصيته بعد ذلك فى العام المذكور ، ووقع فى أيام الناصر فرج أيضا ان سلطان بنكالة من سلاطين أقصى الهند السلطان غياث الدين أعظم شاه بن اسكندر شاه أرسل الى الحرمين الشريفين صدقة كبيرة مع خادمه ياقوت الغياثى ليتصدق بها على أهل الحرمين ويعمر له بمكة مدرسة ورباطا ويوقف على ذلك جهات يصرف ريعها على أفعال الخير كالتدريس ونحوه وكان ذلك باشارة وزيره خان جهان فوصل ياقوت المذكور باوراق سلطانية الى مولانا السيد (١٣٤) حسن بن عجلان شريف مكة يومئذ جد سادا تنا الاشراف الآن جمل الله بوجودهم الزمان وكان وصول ياقوت الغياثى الى مولانا السيد الشريف حسن بن عجلان رحمه الله مع هدايا جليلة اليه فقبلها وأمره أن يفعل ما أمر به السلطان غياث الدين لكنه أخذ ثلث الصدقة على معتاده ومعتاد آبائه ووزع الباقى على الفقهاء والفقراء بالحرمين الشريفين فعمهم وتضاعف الدعاء له على الخير والدال عليه كفاعله واشترى ياقوت الغياثى لعمارة المدرسة والرباط دارين متلاصقتين على باب أم هانئ هدمهما وبناهما فى عامه رباطا ومدرسة واشترى أصيلتين وأربع وجبات بماء عين الركانى وجعل لها أربعة مدرسين من اهل المذاهب الاربعة وستين طالبا ووقف عليهم ماذكرناه واشترى دارا مقابلة للمدرسة المذكورة بخمسمائة مثقال ذهبا وقفها على مصالح الرباط وأخذ منه مولانا السيد حسن بن عجلان فى الدارين اللتين بناهما رباطا ومدرسة والاصيلتين والاربع الوجبات من قرار عين الركانى اثنى عشر ألف مثقال ذهبا وأخذ منه مبلغا لا يعلم قدره كان جهزه معه سلطانه لتعمير عين عرفة فذكر مولانا السيد حسن انه يصرفه على عمارته ويقال ان قدره ثلاثون ألف مثقال ذهبا وكان السيد حسن عين أحد قواده ، وهو الشهاب بركات المكين لتفقد عين بازان واصلاحها واصلاح البركتين بالمعلاة وكانتا معطلتين فأصلحهما الى أن جرت عين بازان فيهما • وكان خان جهان وزير السلطان غياث الدين ارسل مع ياقوت الغياثى خادما يسمى حاجى اقبال أرسله بصدقة اخرى من عنده لاهل المدينة المنورة وجهز معه مالا ليبنى له به مدرسة ورباطا وهدية الى امير المدينة يومئذ جماز

من غير قتال ثم يكشفون الخبر ويرسلون الى مكة فان كان الامر غير صحيح فلك منا ان نخرج عبد المطلب ونحن الكفلاء بهذا فوافقهم على ذلك ثم انه خرج ليلا بمن معه من العسكر والعبيد ووصل الى أبيه وتخلف عنه محمد بن جازان بالطائف فدخل السيد عبد المطلب الطائف ونادى لاخيه ثانيا واستمر هنالك الى ان دخل أخوه مكة هذا كله والشريف عبد المحسن بجدة فجمع الشريف سعد والشريف سعيد جماعة من العلماء ومعهم القاضى والمفتى وقوم آخرون وتفرق المجلس على انهم يكتبون الى الوزير سليمان باشا صاحب جدة كتابا فكتبوه وأغلظوا فيه الى ان قالوا ان بيدنا فتوى المفتى وحكم بموجبها قاضى الشرع بكفر من تجرى على عزل من ولاه السلطان على بلد اذا كان بيده أوامر سلطانية وانه لا يعزل الا بعزل السلطان وانه قد جاءنا الخبر بعزلك ومحاسبتك فكيف لك بالعزل والتولية مع انك معزول عن منصبك ثم أرسلوا هذا الكتاب مع السيد خيل الله بن حمود ومعه جوخدار القاضى فلما ان وقف الباشا المذكور على ذلك قال أنا بيدى من السلطان مصطفى بن السلطان أحمد ومن أخيه المتولى بعده أوامر سلطانية ان أعزل وأولى من أرى فيه الصلاح لمكة المشرفة فلما علم السيد خيل الله حقيقة الحال لم يطلع من جدة وعامل الشريف عبد المحسن من جملة من عامله وجاء بالجواب جوخدار القاضى بما قاله الوزير المذكور فاغتاظ الشريف سعد وابنه الشريف سعيد وأرسلا يطلبان من الباشا الاشراف على ما بيده من الاوامر السلطانية فأرسل اليهم ان كنتما تريدان ذلك فأرسلا رجلا من جهة القاضى ومن كل بلك من العساكر رجلا يشرفون على ما بيدى من الاوامر ثم انقطعت بينهم الوسائط الى ان رحل مولانا الشريف عبد المحسن من جدة متوجها الى مكة وذلك يوم السبت ثانى عشر ربيع الاول ومعه الجموع والاشراف الى ان وصل وادى الجموم فخرج اليهم الشريف سعيد بمن معه من العساكر المكية والمصرية ونزل بذى طوى وأخذ الشريف سعيد ما يلى الحجون ومعه عبيده وجماعة من النفعة ومعهم محمد بن جهور العدوانى شيخا عليهم وفرق على الجبال المطلة على المحصب بعض العبيد وجماعة من يافع والجبالية ولما كان يوم الاربعاء سادس عشر ربيع الاول سار الشريف عبد المحسن من الجموم ونزل صبيحة يوم الخميس بالزاهر وأمر بحفر آباره وكان قد طمها الشريف سعيد فلما التقى الجمعان حمل بعض جماعة الشريف عبد المحسن على جبل كان به بعض جماعة من عسكر الشريف سعيد فأزالوهم عنه وملكوه وقتل فيه بيرقدار العسكر وعسكرى آخر أراد أن يأخذ البيرق عند قتل الاول وحصل صوب لآخرين وأما النفعة مما يلى جانب الشريف سعيد فجاءتهم بادية من جماعة الشريف عبد المحسن فأثخنوهم قتلا وجرحا وضربا وطرحا ولم يزالوا على ذلك الى الليل وربما رمت بعض

عسكر

الحسينى فانكسرت السفينة التى فيها هذه الاموال وغيرها بقرب جدة فاخذ مولانا السيد حسن بن عجلان ربع ماخرج من البحر على عادتهم اذا انكسرت سفينة عندهم وأخذ ما يتعلق بالسيد جمان الحسينى لانه عصى وظهرت منه شنائع بالمدينة الشريفة من أخذه مفتاح خزانة النبى صلى الله عليه وسلم من قاضى المدينة جبرا بعد ان أهانه وهو القاضى زين الدين أبو بكر بن الحسين المراغى وضرب شيخ الخدام وأخذ من خزانة النبى صلى الله عليه وسلم احدى عشرة خرشخانة وصندوقين كبيرين وصندوقا صغيرا كلها مهورة فيها ذهب مودع لملوك العراق وخمسة آلاف كفن وصادر الخدام وأراد أخذ قناديل الذهب من الحجرة فمنعه الله تعالى ونهب العربان ماجمعه ومات لا رحمه الله تعالى فارسل مولانا السيد حسن بن عجلان الى المدينة الشريفة عسكرا وصلوا اليها بعد خراب البصرة وولى عليها عجلان ابن عير الحسينى وكل ذلك سنة احدى عشرة وثمانمائة ❁ وفى سنة أربع عشرة وثمانمائة وقع فى أواسط رمضان اصلاح مواضع فى سطح الكعبة الشريفة كان يكثر وكف المطر منها الى أسفلها ومنها مواضع عند الطابق التى على الدرجة التى يصعد منها الى سطحها ومنها مواضع عند الميزاب وكان الفتح الذى فى هذا الموضع متسعا مضرا يصل الماء منه فى وسط الجدار وذلك بعد قطع اللوح الذى بين مجرى الماء وأعيد اللوح كما كان ووضع بقرب الروازن التى للقبور وكان اصلاح المواضع المذكورة بالجبس وكانت الاخشاب المطيفة بأعلى الروازن التى عليها البناء المرتفع فى وسط البيت وقد تخربت فعوضت بخشب سوى ذلك وأعيد البناء الذى كان عليها كما كان الا الروزن الذى يلى الكعبة فان خشبه لم يغير وكان الروزن الذى يلى الركن الغربى قد تخرب بعض الخشب الذى فى جوفه مما يلى السقف والكسوة التى فى جوف الكعبة وكانت الكسوة التى عليه قد زال أسبلها فشمرت وكان الروزن الذى يلى الركن اليمانى منكسرا فقلع وعوض بروزن جديد وجد فى أسفل الكعبة ❁ قلت وهذه الروازن لا وجود لها الآن فانها سدت جميعها وأصلح فى الدرجة أخشاب منكسرة وكان اصلاح ذلك عقب مطر عظيم حصل بمكة فى أوائل شهر رمضان ❁ ولما قتل الناصر فرج بن برقوق على الوجه الذى تقدم شرحه ماقدم أحد من أمراء الجراكسة على التلبس بالسلطنة خوفا من مخاصمة العسكر وجبنا أن يقدموا على قتله فاتوا الخليفة العباسى وأبرموا عليه وسلطنوه بالجبر وهو (المستعين

عسكر الشريف عبد المحسن بمدافع معهم على جماعة الشريف سعيد فارسل الشريف سعيد الى مشايخ الحارات وأخذ منهم الزرابطين التى يطلقونها ليلة العيد فرمى بها على الجبال فأصاب مضر بافيه عسكر من عسكر سليمان باشا ثم أمر باستخراج مدفع كبير كان مدفونا بدار السعادة فأخرجوه وساروا به الى طوى فطلعوا به الى قلعه وحشوه وأطلقوه فما أفاد الا الصوت وغارت بعض شبان من جهة أشراف الشريف عبد المحسن الى بطن الوادى تطلب البراز من الشريف سعيد فصوب منهم السيد عبد المعين بن محمد بن حمود برصاصة فى كفه ولم يقدم عليهم أحد ولم يكن مع الشريف سعيد من الاشراف الا السيد عبد الله بن حسين بن عبد الله ومبارك بن حمود وعلى بن أحمد بن باز وبشير بن مبارك بن فضل وقد حصر وامعه بالحجون ولما كان ليلة الاحد وهو اليوم الرابع ظهرت الغلبة للشريف عبد المحسن وضاق الامر على الشريف سعيد فنزل ضحوة يوم الاحد المذكور الشيخ سعيد المنوفى والسيد على ميرماه وأنهوا الى القاضى مالاق الشريف سعيدا وأمروه بكتابة حجة بالنفير العام فكتب لهم حجة بذلك وأمر مناديا ينادى فى الشوارع كل من لم يأت الى محكمة القاضى الآن فهو منهوب الدار مصلوب بلا اعتبار فاجتمع العالم تحت المدرسة السليمانية بالمسجد الحرام فقرأ عليهم المنوفى الحجة وهو مطل من طاقة المحكمة ومضمونها ان الشريف سعيدا قد ولاه السلطان مصطفى شرافة مكة وأيده السلطان أحمد وقد رأيتم ماصار عليه من هذا الباشا فيجب عليكم بذل الطاعة والخروج معه للقتال ودفع هؤلاء البغاة قطاع الطريق فبينما هو كذلك اذ صاح بعض الناس الحاضرين هذا باطل باطل وانطلقت العالم بلسان واحد وكاد أن يرجم المنوفى والقاضى ومن معه وفرت العالم من المسجد فلما رأى القاضى قيام العامة أمر بالخروج الى الزاهر للشريف سعيد واخباره بما وقع فخرج ومعه المنوفى والسيد على ميرماه وجماعة من العلماء والمفتى وأعيان الناس فلما وصلوا اليه وأخبروه أنكر الامر بذلك وزجر من سعى فى هذا الامر وقال من أمركم أن تنادوا فى العامة واتفق الرأى هنالك ان يكتبوا كتابا الكيخية الوزير سليمان باشا خطابا من الشريف سعيد وأبيه بان لهم عليه دعوى الى القاضى فان لم تجب وتمتثل كفرت وأرسلوه مع درويش كان حاضر المجلس قال لهم أنا أصل بهذا الكتاب اليه بعد ان لم يوافق أحد على ايصاله فأوصله ذلك الدرويش الى الكيخيا المشار اليه فلما قرأه أشرفه على الشريف عبد المحسن فكتب الجواب الشريف عبد المحسن الى الشريف سعيد نحن ان شاء الله غدا لابد لنا من دخول مكة والكيخيا معنا وتكون الدعوى عليه بحضور نار النصيحة لله ولرسوله ولك ان تأخذ الحذر لنفسك والخروج من البلاد وتترك مالا طائل تحته فان أصبح عليك الصباح وأنت فى البلاد فقد برئت منك

بالله أبو العباس بن محمد بن أبي بكر العباسي المصري) بعد التمنع الشديد منه فولي السلطنة في المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان القائم بتدبير المملكة الامير شيخ المحمودي ثم خلع المستعين بالله وتسلطن مكانه وتلقب بالملك المؤيد شيخ في مستهل شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة وهو الرابع من ملوك الجراكسة وكان أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق اشتراه من تاجر يسمى محمودا اليزدي وأعتقه وجعله أمير عشرة ثم صار صاحب طبلخانه ثم مقدم ألف ثم ولي نيابة طرابلس ثم أمره تيمورلنك لما أسر نواب البلاد الشامية ثم هرب منه ووقعت له أمور مع الناصر فرج من الخروج عليه وعصيانه الى أن آل أمره الى أن صار سلطانا وعصى عليه نواب البلاد الشامية وتوجه الى قتالهم مرارا كثيرة وافتتح الشام وغيرها وعاد الى مصر وكان يعتريه ألم المفاصل فصار يحمل على الاكتاف ويركب المحفة وكان شجاعا مقداما مهيبا • وكانت أسواق ذوي الفنون نافقة عنده لجودة فهمه وذوقه وكان يحب العلماء والفضلاء ويجل قدرهم • وفي أيامه وقع الغلاء العظيم بمكة بحيث بيعت الغرارة الحنطة وهي حمل جمل معتدل بعشرين دينارا ذهبا وكان عاما في جميع المأكولات بحيث بيعت البطيخة بدينار ذهب الى أن رفع الله عن المسلمين تلك الشدة وكان في سنة خمس عشرة وثمانمائة • ومن أعجب ما وقع في ذلك أن جملا كان لجمال يقال له الفاروقي حمله فوق طاقته في جمادى الآخرة من تلك السنة فر من صاحبه ودخل المسجد الحرام ولم يزل يطوف بالبيت والناس حوله يريدون امساكه فيعضهم ولا يمكن أحدا من نفسه الى أن أتم ثلاثة أسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود فقبله ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هنالك تجاه الميزاب فبرك عنده وبكى وألقى نفسه على الارض ومات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة ودفنوه هنالك • وفي هذه السنة عمرت أماكن من سقف المسجد الحرام وعقدان من جانب الركن اليماني المتصل بصحن المسجد • وفي سنة ست عشرة وثمانمائة عمر شريف مكة يومئذ وهو الشريف حسن بن عجلان بن رميثة جد سيدنا ومولانا شريف مكة الآن حسن بن أبي نمي بن بركات ابن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان أدام الله تعالى دولته وسعادته بالجانب الشمالي من المسجد الحرام البيمارستان الذي كان وقفا للمستعصم العباسي فخرب ودثر فاستأجره من قاضي مكة يومئذ القاضي جمال الدين الشافعي اجارة طويلة مائة عام بأربعين

---

الذمة وهذا غاية ما لكم علينا والسلام فلما جاءهم الكتاب رجعوا الى الصواب فأودعوا طوارفهم للسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى

﴿خروج الشريف سعيد من مكة الى الهميجة بعد عزل سليمان باشا له عن امارة مكة﴾

وخرج الشريف سعيد بعد المغرب من أعلى مكة ليلة الحادي والعشرين من ربيع الاول ونزل الهميجة من جهة جعرانة ومعه السيد عبد الله بن حسين ومبارك بن حمود وشبير بن مبارك بن فضل وأما أبوه الشريف سعد فدخل مكة وبات في دار السعادة قال الشيخ أبو السعود السنجاري ابن عم صاحب التاريخ بعث الينا الشريف عبد المحسن ان نفرش له دار السعادة فطلعت للشريف سعد وأخبرته بذلك فقال لا بأس قال وكان واقفا معنا الى أن فرشناه وهو يأمرنا بمحاسن المجانسة في الفرش ولما ان فرش المحل خرج في الساعة الثانية من يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الاول وطلع الى بستان الوزير عثمان حميدان بالمعابدة بعد ان أودع طارفته للسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى

﴿دخول الشريف عبد المحسن مكة متوليا امارتها﴾

ثم لما كانت الساعة الرابعة من النهار من ذلك اليوم دخل مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد من أعالي مكة ومعه بنو عمه وهم في الدروع الضافية واللامات اللامعة الصافية في الاي أعظم من سائر العساكر المصرية وجميع العساكر الذين كانوا مع الشريف سعيد وما انضم اليهم من عسكر الباشا وأنواع العرب الذين أجابوا داعيه ولم يزل سائرا الى أن دخل المسجد الحرام وقد بسط له بساط في الحطيم وفتح باب الكعبة المشرفة وحضر القاضي والمفتي والعلماء والخلق كافة ومن دخل معه من الاشراف وقرئ عليهم الاوامر السلطانية وهما أمران أحدهما من السلطان مصطفى والآخر من السلطان أحمد مضمونهما ان سليمان باشا مفوض من قبلنا على الحرمين الشريفين قائم مقامنا فقد نصبناه بصدد من رأى فيه صلاحا للعباد والبلاد فمن رأى فيه غير ذلك عزله ونفاه وأقام من يرى فيه الصلاح وهذا الخطاب شامل لمن كان تحت طاعتنا محميا بحمايتنا ثم بعد تمام القراءة للامرين دعا على باب الكعبة المعظمة الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي الشيبي والرئيس دعا من أعلى زمزم على العادة المعروفة ثم دخل مولانا الشريف عبد المحسن الكعبة وخرج منها الى دار السعادة وقد هيئت له وجلس للتهنئة وقابل الناس ببشر وطلاقة وامتدحته الشعراء بقصائد وأجازهم وألبس الاغاوات وأرباب المناصب على العادة ونادى المنادي في شوارع مكة بالزينة فزينت له مكة ثلاثة أيام واستمر والياً اليوم الاربعاء فكانت مدة ولايته تسعة أيام عدد

حروف

ألف درهم بوزن مصر وأذن القاضي جمال الدين للسيد حسن بن عجلان أن يصرف الاجرة المذكورة في عمارة ما تخرب منه البيمارستان المذكور ويهدم ما يحتاج الى الهدم ويرمم ما يحتاج الى ترميمه وأن ينتفع به مدة اجارته فشرع السيد حسن في عمارة البيمارستان المذكور عمارة حسنة وجدد فيه ما يحصل به النفع للفقراء وجدد به ابوابا وصهريجا ووقف جميع ذلك مما عمره ومما يستحق الانتفاع به على الفقراء والمساكين والمرضى المنقطعين يأوون فيه علوا وسفلا وينتفعون بالاقامة به والسكنى فيه لا يزعجهم أحد ولا يخرجهم بل يستمرون الى أن يحصل لهم الشفاء والعافية فيخرجون باختيارهم فاذا خلا البيمارستان عن المرضى عاد الانتفاع لهم وكتب بذلك كتاب وقف على الصورة المشروحة



وجعل النظر على ذلك لولديه بركات وأحمد ثم من بعدهما للارشد فالارشد من ذريته الذكور دون الاناث من ولد الظهر لا البطن وثبت ذلك وحكم بصحته القاضي السيد رضاء الدين أبو حامد محمد ابن عبد الرحمن الفاسي الحسني المالكي في يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة ست عشرة وثمانمائة وانما استحكم فيه المالكي لان متأخريهم أجازوا وقف المنافع وهو خلاف رأي أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما واستمر الى أن خرب ودثر فاستبدل مرارا آخر ذلك في أواخر دولة المرحوم المقدس السلطان سليمان خان بن سليم خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان واستبدل الى جانبه رباط سلطان الهند أحمد شاه الكجراتي ورباط الخواجا الظاهر واشتريت دور أخر وعمر في مكانها المدارس الاربع ويسد مؤلفه مدرسة الحنفية منها جزى الله خيرا من كان سببا في انشائها وسيأتي بيان عمارتها ان شاء الله تعالى * وفي مستهل ذي الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة قدم الى الحج أحد خواص مماليك السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي في يوم الاثنين لتسع خلون من المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة وقد أناف على خمسين وكانت مدة ملكه ثمان سنين وخمسة أشهر وتسلطن بعده ولده الملك المظفر أبو السعادات أحمد بن المؤيد شيخ بعهد منه في يوم الاثنين تاسع المحرم يوم وفاة والده وعمره اذ ذاك سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام وهو الخامس من ملوك الجراكسة وصار يدبر مملكته الامير ططر ومعه الملك المظفر أحمد طفلا وقاتلهم وقتل كثيرا منهم الى أن صفا له الوقت فخلع الملك المظفر وتسلطن عوضه في يوم الجمعة لليلة بقيت من شعبان سنة أربع



---

حروف اسمه فنزل عن الولاية وقلدها ابن عمه مولانا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة ابن موسى بن بركات بن أبي نمي فنزل الى المسجد الحرام بالحطيم وحضر لحضوره وجوه السادة الاشراف والوزير المعظم سليمان باشا والقاضي والمفتي والعلماء والخطباء وكبار العساكر وأهل الادراك وعامة الناس

*(ذكر نزول مولانا الشريف عبد المحسن للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى عن شرافة مكة)*

ولما انعقد المجلس قال مولانا الشريف عبد المحسن أيها الناس اشهدوا اني نزلت عن شرافة مكة الى سيدنا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بطيب نفس وسماحة فانه أهل لذلك فأمر حينئذ القاضي عبد زاده المكي أن يخاطب السادة الاشراف هل رضيتم بما رضي به مولانا الشريف عبد المحسن من ولاية مولانا الشريف عبد الكريم فقال الجميع نعم رضينا بما رضيه لنا وفيه الكفاية والكفاءة وكل من حضر ذلك المجلس سمع قولهم رضينا به واليا علينا ثم أمر القاضي أن يسئلوا ثانيا هذا الاذعان منكم عن غير كراهة ولا اجبار على شرط أن لا تكلفوه ما لا يستطيع فقالوا نعم لا نكلفه ما لا يستطيع وليس مرادنا الا الصلاح لبلدنا ونحن معه في اصلاح البلد وما وقع فيها من فساد فعلينا ازالته فسجل عليهم القاضي ذلك في المجلس المذكور فعند ذلك أشار الوزير المعظم سليمان باشا لبعض أتباعه فأتى بفرو فالبسه مولانا الشريف عبد الكريم ثم أمر الوزير بقراءة الامرين السابق ذكرهما من السلطان مصطفى والسلطان أحمد ثم لما فرغ من قراءتهما دعا الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي الشيبي على باب الكعبة لمولانا السلطان وكذلك الرئيس بأعلى زمزم على جري العادة ثم دخل الكعبة مولانا الشريف عبد المحسن ومولانا الشريف عبد الكريم ومعهم الوزير سليمان باشا ومكثوا بها ساعة وتعاهدوا واتفقوا على الصدق فيما بينهم وخرجوا جميعا فسار الشريف عبد الكريم الى بيت الشريف بركات بن محمد وجلس للتهنئة وخلع على أرباب المناصب والعساكر والحشم ونادى المنادي أيضا بالزينة ثلاثة أيام وبعث الى الطائف فنودي له فيه وخطب له على منبره وأطاعته جميع العرب وبعث الى المدينة ومدحته الشعراء بقصائد وأجازهم هذا وأما ما كان من الشريف سعيد فانه توجه الى جهة المدينة فنزل على مبارك بن رحمة شيخ حرب وشكا اليه ما فعله به بنو عمه واستنجد به فأبى وقال أنا خادم السلطنة ولا أعصي أمر السلطان فارتحل عنهم ونزل ببني ابراهيم واستمر بديارهم أياما حتى اجتمع اليه بعض عرب منهم ومن جهينة وآخرون من لفق هنالك فأخذ بندر ينبع وأنزل فيه ابنه السيد عبد الله بن سعيد وأقام هو بالجابرية وصار يعطي كل بدوي عشرين أحمر وارد بين حبا من حب لاهالي مكة وجدة كان هنالك من بقية

وعشرين وثمانمائة ورجع بالمظفر أحمد الى مصر واستمر بالقلعة الى أن نقل الى الاسكندرية مطعونا في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ونقلت جنازته من اسكندرية الى مصر ودفن بالجامع المؤيد داخل زويلة * وتسلطن الملك الظاهر أبو الفتح سيف الدين ططر الظاهري في يوم الجمعة لليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة وهو السادس من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر وكان من مماليك الظاهر برقوق أعتقه وقدمه ولازال يتقدم الى أن صار عند المؤيد رأس نوبة النوب ثم أمير مجلس ثم تسلطن كما ذكر وتلقب بالظاهر لقب أستاذه ومهد مملكة الشام وقتل نائبها وقبض على الامراء المخالفين له وقدم المخالفين وله آثار جميلة ومقاصد حسنة جليلة * من أعظمها



أنه قرر لصاحب مكة الشريف حسن بن عجلان ألف دينار ذهب تحمل له من خزينة مصر في كل عام وجعل ذلك له في مقابلة ترك المكس على الخضر والفواكه والحبوب وغيرها بمكة وأمر أن يكتب عهده واعترافه بذلك على سواري المسجد الحرام من ناحية باب السلام ومن ناحية باب الصفا باسقاط المكس الذي كان يؤخذ على الخضر والفواكه من المأكولات وان لا يكلف شريف مكة على أخذ القرض منهم والسواري المكتوبة بهذا العهد موجودة في المسجد الحرام الى الآن * ثم لما سخر الله للملك الظاهر ططر مملكة الشام وحلب عاد الى مصر فمرض في أثناء الطريق وصار يتململ في مصر ولزم الفراش ولم يتهن بالسلطنة ولا كمل فرحه بالملك وما أمهله الدهر بل سلبه الملك وأسلمه الى الهلاك وتوفي يوم الاحد لاربع مضين من ذي الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة وكانت مدة ملكه أربعة وتسعين يوما

﴿وولي بعده في يوم موته ولده الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر﴾ وعمره نحو العشر سنوات وهو السابع من ملوك الجراكسة وصار أتابكه ومدبر مملكته الاتابك جاني بك الصوفي الى أن تغلب على الاتابك برسباي الدقماقي فقبض عليه وأرسله الى سجن اسكندرية وصار أتابكا في مكانه واستبد بأمور المملكة من غير مشارك فخلع الملك الصالح وتسلطن عوضه في يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وكانت مدة سلطنة الملك الصالح ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما واستمر بعد الخلع عند والدته في القلعة الى أن توفي بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وعمره نحو العشرين عاما ﴿وولي

---

الجرابة وأخذ بعض أموال أهل مصر المرسلة للوكلاء بجدة واستمر ابنه بينبع الى أن جهز عليه مولانا الشريف عبد الكريم السيد عبد الله بن محمد بن بركات بن محمد ومعه بعض الاشراف وعسكر فنزل بالصفراء على مبارك بن رحمة فكساه وكسا بقية المشايخ وأقام هنالك يستجلب العرب ثم لحقه السيد زين العابدين بن ابراهيم بن محمد ومعه بعض أشراف من ذوي بركات وذوي شنبر وآخرون من بني حسن وعساكر من سليمان باشا ركبوا في الزعائم من بندر جدة ثم ان السيد عبد الله بن محمد بن بركات ومن معه أرسلوا للشريف سعيد وقالوا له اخرج من بلاد الشريف فرد لهم جوابا غير لائق فأيقنوا منه الخلاف فسارت الاشراف بمن معهم من العساكر ومعهم ابن زياد شيخ أهل الفرع بجماعة من قومه ومبارك بن رحمة بمن معه من قومه الى أن وصلوا الى ينبع البحر فمانعهم السيد عبد الله بن سعيد فحاصروه أياما ثم عجز وطلب الامان فأمنوه وخرج ليلا الى أن لحق بأبيه وأقام معه بالجابرية وتفرقت عنهم العرب ولم يبق معهم الا عبيدهم ومن يلوذ بهم وكانت هذه الواقعة رابع عشر جمادى الاولى وورد الخبر بنصرة جماعة مولانا الشريف عبد الكريم الى مكة فألبس المبشر ودار على دور الاشراف كما هو العادة في خبر النصرة فألبسوه الملابس الحسنة وركزت الاعلام على بيوت السادة الاشراف هذا ما كان من أمر الشريف سعيد وأما أبوه الشريف سعد فبعد ان خرج الى المعابدة أرسل الى ابن أخيه الشريف عبد المحسن وطلب الاقامة بجدة مكفولا مكفوفا معاملا له ثم بعد خلع الشرافة على الشريف عبد الكريم بعث اليه فيما طلبه من ابن أخيه الشريف عبد المحسن فأجابه الى ذلك وذلك بعد خروجه من مكة الى نواحي الشرق ثم بعد برهة جمع جماعة من الروقة ومخلد والنفعة وقبائل من الاعراب وأطمعهم بالمال وأراد أن يدخل بهم الطائف فصده وكيل الدرة السيد عبد الله بن حسين بن جود الله وكان معه من الاشراف السيد مبارك بن أحمد بن زيد وعبد الله بن أحمد بن أبي القاسم وجماعة آخرون كانوا بالطائف في عملة الشريف عبد الكريم وكانوا ينيفون على السبعمائة مع جملة عبيدهم وحواشيهم من ثقيف وبني سعد وغيرهم وتجهزوا للقائه فهموا بملاقاتهم فثبطه السيد أحمد بن زين العابدين بكتاب منه عرفه فيه ما أوجب اعراضه عن الطائف وتوجه الى مكة فتبعه السيد مبارك بن أحمد بجماعة من نحو كرى وغيره من الطرق فدخل مكة فعرض بهم على مولانا الشريف عبد الكريم سادس جمادى الاولى بالمعابدة وكان الشريف عبد الكريم لما سمع بقدوم الشريف سعد خرج الى المعابدة واستمر هنالك متهيأ للقائه فلما كان ليلة الثلاثاء سادس جمادى الاولى وصل الشريف سعد الى الهجاء ونزل بها وهي محل على ميل من مكة مما يلي الجعرانة وسار في آخر الليل بمن معه فما

شعروا

برسباي السلطنة وتلقب الملك الاشرف سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي ﴾ وهو الثامن من ملوك الجراكسة بمصر أخذ من بلاد جركس وبيع في بلاد قرم فاشتراه تاجر وجلبه الى الشام وباعه فاشتراه الامير دقماق الظاهري نائب ملطية وقدمه الى الظاهر برقوق فقربه وأعتقه فصار يترقى الى أن ولاه الملك المؤيد مقدم ألف وجرت عليه نكبات وحبوس الى أن ولي الظاهر ططر فقربه وأنعم عليه بتقدمة ألف ثم جعله دوادارا واستمر على ذلك الى أن تسلطن على الوجه الذي قدمناه واستمر في السلطنة مدة طالت وحسنت أيامه ❁ ومن جملة مناقبه انه أخذ بلاد قبرس وأسر ملكها في سنة تسع وعشرين وثمانمائة وهو في تخت ملكه بمصر لم يتحرك وكان عاقلا مدبرا سياسيا ذا وقار وسكينة متجملا في ملبسه



ومركبه محبا لجمع المال واشترى من ماله ثلاثة آلاف مملوك جركسي وعمر بالقاهرة المدرسة الاشرفية وهي من محاسن مدارس مصر ووقف عليها أوقافا كثيرة وعمر أيضا جامعا عظيما في سرياقوس ووقف عليه أيضا أوقافا كثيرة وفي أول سني سلطنته أرسل الامير مقبل القديدي وأمره بعمارة أماكن متعددة من المسجد الحرام كان قد استولى عليها الخراب فأحسن بناءها وجدد كثيرا من أسقف المسجد الحرام كان قد تآكلت أخشابها وكذلك جدد سطح الكعبة الشريفة وكانت الاخشاب التي تربط فيها كسوة الكعبة قد تآكلت وذابت فقلعها ووضع عوضها أخشابا جديدة محكمة بمسامير كبار من الحديد وأحكم كل ذلك غاية الاحكام وأتقنه غاية الاتقان ❁ وفي سنة ست وعشرين وثمانمائة أمر الاشرف برسباي أميره بمكة يقال له مقبل القديدي الاشرفي بقلع الرخام المفروش في باب الكعبة وجدرانها من داخل لتخربه وتقلعه وأن يجدده برخام جديد وأن يعيد ما كان صحيحا غير منكسر وكذلك يصلح الاساطين التي في جوف الكعبة الشريفة ويحكمها وذكر شيخ الكعبة أنه سمع صريرا في سقف الكعبة الشريفة فتتبعوا ذلك فوجدوا احدى الاسطوانات التي تقابل باب البيت قد مال رأسها عن محله فأعادها الى محلها وأحكمها وعمر ذلك عمارة حسنة وكتب اسم سلطانه الاشرف برسباي في لوح رخام نقره ونقشه بالذهب وركبه في جدار البيت الشريف وهو باق الى الآن وكان مسند العمارة وهو الامير مقبل القديدي الاشرفي والناظر عليها الخواجا علي الكيلاني تاجر السلطان وحضر في العمارة شيخ الكعبة والقضاة الاربعة وناظر الحرم

شعروا به الا وهو قد وصل بيوت المعابدة مما يلي اذاخر فنهب من معه من البدو وأهل المعابدة فركب الشريف عبد الكريم بمن عنده وطلع له عسكر الباشا من ترك ومغاربة ومعهم كيخية سليمان باشا وبعض أشراف من آل أبي نمي فكر الشريف سعد راجعا الى أن نزل الحرمانية محل قريب من الهيجاء ووقعت العسكر في البدو وعمل السيف فيهم ولحق بالشريف عبد الكريم السيد بشير بن جازان ومعه نحو سبعين مقاتلا من هذيل يقال لهم الصلمان ولحق به أيضا سليمان بن أحمد بن سعيد ابن شنبر وكان قد ورد هذا اليوم من جدة وكان قد تفرق عن الشريف عبد الكريم كثير من الاشراف مغاضبين له ولم يحضر هذه الواقعة منهم أحد واستمر في المقاتلة الى الساعة الثالثة من النهار فصوبت فرس الشريف سعد برصاصة وصوب السيد أبو نمي بن باز بن هاشم بن عبد الله برصاصة فسقط من على فرسه وقتل نحو خمسة عشر فرسا من خيل الاشراف وقتل من قوم الشريف سعد ما ينيف على الثلاثين وعقر من ابلهم ما ينيف على العشرين وقتل من جماعة الشريف عبد الكريم نحو سبعة أو ثمانية وامتزجت الدماء من الحرمانية الى رأس الشعبة من ريع اذاخر دماء الناس والخيل والابل وفي الساعة الرابعة ظهر عجز جماعة الشريف سعد فولوا هاربين فحمل عليهم الشريف عبد الكريم بمن معه جملة واحدة وصاروا يقتلون فيهم وصاروا هاربين وخرج من عامة الرعية أكثر من عامة المحاربين وهم يصيحون برفع الاصوات ويكبرون عليهم وكانت مقتلة عظيمة ومصيبة مهولة ولم يزالوا يقتلون فيهم الى أن أوصلوهم الهيجاء فكمن الشريف سعد ببستان هنالك فيه ابنة الشريف سعدية بنت سعد بن زيد فوقف اليه السيد عبد الكريم من جانب والسيد عبد المحسن من جانب ووقف لوقوفهما من معهما من الاشراف والعرب الا أنهم رموا الرصاص على نفس البستان وكادوا يصيبون الشريف سعدا فخرج من الجانب الآخر وتبعه من سلم من القتل ورجع الشريف عبد المحسن من الهيجاء وأما الشريف عبد الكريم فلحق بالشريف سعد ومن معه من الاتراك والعسكر وجدوا الى أن وصلوا بستان سلمى وهم يثخنون القتل وينهبون ما قدروا على نهبه من الابل والخيل وقتل بين سلمى والهيجاء أكثر مما بين الهيجاء واذاخر فصاح الشريف سعد وطلب الامان ودخل على السيد محمد بن عبد الله بن حسين بن عبد الله فأدخله وطلب أن يأخذ له مهلة عشرة أيام ويقيم ببستان سلمى فكلم فيه الشريف عبد الكريم في ذلك فامتنع وأبى الا أن يسير من وقته من حيث جاء والا فلا أدعه ابدا فرجع السيد محمد بن عبد الله وأخبره بما قاله الشريف عبد الكريم فبينما هو يحدثه اذ غدره ابن جهور العدواني وهنيدس شيخ الروقة فطعنه ابن جهور في يده وخدشه هنيدس بالرمح في رأسه وهرب فأخذ في طلبهما فاقتفاه ابن هنيدس

الشريف والمعمار جمال الدين يوسف المهندس وكان الفراغ من هذه العمارة فى شهر صفر * وفى أول هذا العام عمر الرخام الذى فى أرض الحجر فى باطنه وظاهره وأعلاه وأسفله على يد الامير مقبل المذكور * وفيها عمر باب الجنائز أحد أبواب المسجد الحرام الواقع أمام رباط سيدنا العباس رضى الله عنه أمام هذا الباب وانما سمى باب الجنائز لانه كان مخصوصا بدخول الجنائز منه الى المسجد للصلاة عليها فيه وجرت عادة أهل الحرمين الشريفين بادخال جنائزهم المسجد الحرام والصلاة عليها عند باب الكعبة الشريفة وكذلك أهل المدينة يدخلون جنائزهم المسجد النبوى ويقفون بها أمام وجه النبى صلى الله عليه وسلم ويصلون عليها فى الروضة الشريفة وهذا مذهب الامام الشافعى والامام مالك والامام أحمد بن حنبل رضى الله عنهم وأما الحنفية فى الحرمين الشريفين فيقلدون أولئك الأئمة ليحوزوا هذا الفضل العظيم لان مذهب الامام الاعظم أبى حنيفة رضى الله عنه عدم جواز ادخال الميت المسجد وطال ما تصفحت كتب الفتاوى وتفحصت عن رواية أئمتنا بالجواز الى أن ظفرت بعون الله تعالى بجواز ذلك وهى رواية عن أبى حنيفة رضى الله عنه ففرحت بها كثيرا كأنى ظفرت بكنز عظيم فلا تغفل عنها فانها من مهمات المسائل لاسيما لاهل الحرمين الشريفين فعض عليها بالنواجذ واعتمد على ما أفتيت فى هذه المسئلة فقد ذكر علماؤنا رضى الله عنهم ان كل قول قال به الامام أبو يوسف والامام محمد والامام زفر فهو رواية عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه وحيث ثبتت هذه الرواية عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فهى قول له وان كانت غير ظاهر الرواية فأخذنا بها تصحيحا لعمل جيران الله وجيران نبيه صلى الله عليه وسلم فى الحرمين الشريفين من صدر الاسلام الى هذا العصر ولا نقول بتأثيم من سلف مع وجود المساغ الصحيح وهو رواية عن المجتهد الذى نقلده رضى الله عنه ﴿وقد رفع الى سؤال فى ذلك صورته﴾ ما قولكم فى مسئلة الصلاة على الميت فى المسجد الحرام المكى ومسجد النبى صلى الله عليه وسلم فى الروضة الشريفة هل يجوز للحنفى ادخال الميت اليهما والصلاة عليه فيهما كما هو عمل الحرمين قديما وحديثا وهو شأن السلف الصالح الى الآن أم لا يجوز ذلك لان الصحيح من مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه كراهة الصلاة على الميت فى المسجد وعلى هذا فهل يأثم فاعل ذلك وهل تؤثمون السلف الصالح على ادخال موتاهم

---

وطعن فرسه فى فخذها وفازا بأنفسهما ثم ان الشريف سعدا سار مارا ببستان سلمى وبات بالزعماء وتفرق من بقى معه من العربان فرجع الشريف عبد الكريم عند ذلك الى مضاربه بالمحصب وبات هنالك ودخل صبيحة يوم الاربعاء ثامن الشهر فى الآى أعظم بجميع عساكر مصر وعساكر الباشا الى أن وصل منزله ومعه السادة الاشراف وقبائل العرب وكان يوما مشهودا وجلس للتهنئة وامتدحه الادباء ثم ان الشريف سعدا لما وصل الى كلاخ تيامن عن طريق عفار الى الليث ثم الى القوس ونادى فى بنى على وبنى عمرو بقية قبائل زهران وغامد واطمعهم فى أخذ القنفذة وما فيها من الاموال فأجابوه فأخذوا القنفذة فلما بلغ الخبر الشريف عبد الكريم أرسل اليهم عسكرا من عسكر وزير سليمان باشا من طريق البحر وأمر عليهم مملوكا للشريف أحمد بن زيد فوصلوا القنفذة وحاصروا أولئك القوم فخرجوا منها ونزلوا بعداسة علو دوقة واجتمع اليهم كثير من العربان حتى بلغوا ثلاثة آلاف ومعه نحو خمسة أشراف فخرج الشريف عبد الكريم من مكة لملاقاتهم وحربهم ومعه الشريف عبد المحسن وكثير من الاشراف والعساكر وكان قد أرسل قبله جماعة من الاشراف وغيرهم مددا لمن كان هنالك وأمرهم بالتؤدة الى أن يصلهم فكان من قدر الله ان وقعت الملاقاة بين الفريقين قبل وصوله واشتد القتال وكادوا ان يهربوا الكثرة من مع الشريف سعد من العرب ثم هبت عليهم ريح النصر فانكسرت قبائل الشريف سعد وطلب الشريف سعد منهم الذمة ثلاثة أيام فسمحوا له بذلك بشرط ان يرحل ويدخل الحجاز فلم يرد لهم جوابا وكان ذلك بعداسة فلما كان اليوم الثالث من أيام الذمة لم يشعروا الا وقد دهمهم بعد ان أفسدت قبائله قبائلهم فلما ظهر للاشراف ذلك انحاز بعضهم الى قوم الشريف سعد وأما جماعة الشريف عبد الكريم فترفعوا وعادوا الى دوقة فلما بلغوا دوقة وجدوا بها الشريف عبد الكريم فتقووا به ورجعوا الى قتال الشريف سعد فلما علم بذلك القبائل الذين معه تفرقوا عنه ولم يبق معه أحد فقصد الشريف سعد أرض غامد وليس معه الا ثلاثة أو أربعة من الخيل ومثلها من الركاب فأقام الشريف عبد الكريم بالقنفذة وجهز أخاه الشريف حامدا الى الطائف ومعه مائتان خوفا من ان الشريف سعدا يقصد الطائف فلما دنا من الطائف بلغه ان الشريف سعدا سبقه اليه ودخل الطائف ومعه نحو ألف وثلاثمائة من غامد وزهران وذلك لست وعشرين خلت من رمضان ونادى فيه لنفسه وخرج متوجها الى مكة والتف على من معه كثير من العربان وغيرهم حتى صاروا أمما كثيرة واما السيد حامد فدخل الطائف ونادى فيه لاخيه الشريف عبد الكريم ولما بلغ ذلك الوزير سليمان باشا جمع محضرا احضره القاضى والمفتى والعلماء والسادة الاشراف وأكابر العساكر وكان ذلك المحضر بالمسجد عند مقام الحنفى فى الثامن والعشرين

الى مقابلة وجه النبي صلى الله عليه وسلم طلبا لبركته ومرحمته ثم ادخاله الى الروضة الشريفة التي هي بنص الحديث الشريف روضة من رياض الجنة فيحرم الميت من دخولها ولا يدخل الى المسجد الحرام ولا يوضع على باب الكعبة منطرحا في باب مولاه الكريم تعالى ويحرم من هذه البركات كلها ويأثم من أدخله مواطن هذه الرحمة والخير (فكتبت ماصورته اللهم وفقنا للصواب) اعلم رحمنا الله واياك ان شرف المسجد الحرام وروضة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ونزول الرحمة فيهما على من دخل فيهما أمر واضح لاشك فيه ولامرية تعتريه ومارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وقد تواطأ أهل الحرمين الشريفين وتطابقت آراؤهم الى الآن على ادخال موتاهم الى المسجد طلبا لمزيد التبرك والاسترحام ولم يعهد من علمائنا بالحرمين الشريفين التأبي من ذلك أو الانكار على فاعله مع انه سائغ في مذهب غير الامام أبي حنيفة رضي الله عنه من الائمة المجتهدين رضي الله عنهم فلا نقدم على تأثيم السلف الصالح فيما فعلوه طلبا لمزيد الرحمة والبركة واختلاف الائمة رضوان الله تعالى عليهم رحمة ويجوز للمقلد الاخذ بكلام مجتهد من المجتهدين في بعض المسائل وان خالف امامه رضي الله عنهم أجمعين ومع ذلك فقد وجدت نقلا صريحا للمحيط البرهاني عن الامام الثاني ان في رواية عنه قوله مثل قول الامام الشافعي رضي الله عنهما وصورة مانقل وانما تكره الصلاة على الجنازة في المسجد الجامع ومسجد الحي عندنا وقال الشافعي لا يكره وعن أبي يوسف روايتان في رواية كما قال الشافعي وفي رواية اذا كانت الجنازة خارج المسجد والامام والقوم في المسجد لا يكره انتهى فترجح عندي ان أفتي بالجواز من غير كراهة واعتمدت على هذه الرواية وحسنت الظن بالسلف الصالح وكفى بالامام أبي يوسف رضي الله عنه قدوة في هذه المسئلة فاعلم ذلك واحفظه فانه نفيس ولا تجمد مع الجامدين على أن الكراهة كراهة تنزيه نص عليه شرف الائمة العقيلي كما نقله عنه الامام الزاهدي رحمهما الله تعالى قاله الفقير قطب الدين الحنفي غفر الله تعالى ذنوبه قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى في كتابه اتحاف الورى باخبار أم القرى في حوادث سنة ست وعشرين وثمانمائة وفيها عمر الامير مقبل القديدي باب الجنائز على صفته الآن لانه كان قد سقط مافوق أحد البابين الى منتهى المسجد الحرام المقابل لرباط المراغي وتخرب مابين هذا الباب والباب

والعشرين من رمضان وقال لهم الباشا ان الشريف سعدا جمع جموعا وقصده مكة وأخذها بالغلبة والحال انه نزل عنها لولده الشريف سعيد سابقا لادعائه العجز عن القيام بها وانا عزلنا ابنه الشريف سعيد العدم رضا بني عمه به بحيث قطع معاشهم ووقع بذلك فساد الطرق وقتل العالم ونهب الاموال وتولد من ذلك ماشاهده العالم من القحط والغلاء ونصبنا محل الشريف سعيد ابن عمه الشريف عبد المحسن ثم انه نزل عن طيب نفس وانشراح صدر للشريف عبد الكريم لما رأى فيه من الصلاح وقد صلحت معه العباد والبلاد وأمنت الطرق وعاش الناس فقال كل من في المجلس نعم لا يصلح لها الا هو ثم قال اعرضنا على الابواب بعد رضاء أهل الحل والعقد ثم نسأل الحاضرين عن الحكم في هذا المتغلب فقالوا على عسكر السلطان وعونة الاسلام دفعه وقتاله فحكم القاضي بذلك وكتب بموجب ذلك حجة فأجاب جميع العساكر بالسمع والطاعة والخروج لدفع هذا المتغلب فلما كان يوم التاسع والعشرين من رمضان حملوا سلاحهم وباتوا ليلة الثلاثين مظهرين الاستعداد للمقاتلة ونزلوا في المتارس فلما أقبل الشريف سعد بقومه نزلوا عن متارسهم من غير قتال والله أعلم بحقيقة الحال وبلغنا ان الشريف سعدا لما رجع الى غامد وزهران راجع نفسه وقطع أمله وعاد الى الله وبسط عذره لمن معه فبينما هو كذلك اذ جاءه بعض الرمالين فقال له اني أرى لك انك تلي أمر مكة ولا بد لك من دخولها ولكن ان مضيت مجدا في السير هذا فانك تملكها مادام الشريف عبد الكريم بأرض اليمن فعند ذلك جدد العزم وسار مجدا في ليله ونهاره قاطعا للجبال والرمال برجله لعدم سلوك الخيل مركوبة في تلك الاماكن فماراع الناس صبح الثلاثين من رمضان الا وهو بالابطح وكان مولانا الشريف عبد الكريم بارض اليمن ولم يكن بمكة من الاشراف الا شرذمة قليلة وكان قائم مقام الشريف عبد الكريم بمكة السيد محمد بن عمرو بن محمد بن بركات فتهيأ بمن معه من الاشراف واستعان بعسكر الوزير سليمان باشا ومن تلفق معهم فأطاعوهم على جبال المعلى المتصلة بالمعابدة وجعلوا عسكر مصر الانقشارية على جبل أبي قبيس وركب هو ومن معه من الاشراف وتبطنوا وادي ابراهيم المعروف بالحريق ومعه بعض العسكر ورموا بالرصاص الى ان تكاثر عليهم العربان وانتشروا في الجبال كالجراد ونزلت العساكر من مراكزهم فملكها حينئذ جماعة الشريف سعد وصار رميهم بالرصاص يصل الى محل وقوف الاشراف بالحريق فلما وصل الشريف سعد بستان الازمرلي علمت الاشراف ان لا قدرة لهم عليه فخرجوا من مكة ودخلها الشريف سعد ضحوة النهار من أعلى مكة من غير مقاومة ولا مقاتلة غير ان السيد عبد المطلب بن أحمد بن زيد كان واقفا على باب داره موادعا لاهله فجاءته رصاصة فسقط من على فرسه وذلك بعد دخول عمه الشريف سعد ثم

الآخر وأزيل الحاجز الذي كان بينهما وأزيلت الاسطوانتان الرخام اللتان تليان هذا الحاجز وعمر بحجارة منحوتة حتى ارتفع وعمر أماكن بهذا الموضع بين باب علي وباب العباس وموضع آخر يتصل بباب الافضلية انتهى * قلت رباط المراغي هو الآن محل رباط السلطان قايتباي الذي هو منزل أمير الحاج المصري في هذا الزمان والمدرسة الافضلية هي أوقاف الخواجا محمد بن عباد الله وبينهما بابان للمسجد أصلهما باب واحد يقال له باب النبي صلى الله عليه وسلم وكان يدخل الى المسجد من هذا الباب لان دار السيدة خديجة رضي الله عنها في هذا الباب يقال له باب الحريريين لان الحرير يباع في هذا الباب قلت وعادة الناس في زماننا ادخال الجنائز من أبواب العباس وتخرج من (١٤٢) باب السلام وأنا أرى ان تدخل الجنائز وتخرج من باب الحريريين ما بين مدرسة قايتباي ودار الخواجا ابن عباد الله لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل من هذا الباب الى المسجد ويخرج منه ولا شك انه أكثر بركة وخيرا من سائر أبواب المسجد الحرام وانما يقال له باب القفص لان الصياغ يصوغون الحلي في أقفاص للبيع بقرب هذا الباب * قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى وفيها عمر الامير مقبل المذكور عدة عقود بالمسجد الحرام في الجانب الشامي من الدكة المنسوبة الى القاضي أبي السعود ابن ظهيرة الى باب العجلة خلف مقام الحنفية وزاد في عرض العقود التي تلي الصحن من هذا الجانب ثلاثة عقود في الصف الثالث وأحكم الاساطين التي عليها هذه العقود وهي سبعة أساطين في الرواق الاول وثمانية في الذي يليه وثلاثة في الذي يليه وسبعة متصلة بجوار المسجد وجدد من أبواب المسجد الحرام باب العباس وهو ثلاثة أبواب وحرب وباب علي وهو ثلاثة أبواب أيضا والباب الاوسط من أبواب الصفا وهي خمسة وباب العجلة وهو باب واحد وأحد بابي الزيادة وهو الواقع في الركن الغربي من الزيادة ورمم باقي أبواب المسجد وبيض غالبه وأصلح سقفه وكل ذلك على يد الامير مقبل المذكور ومعماره المعلم جمال الدين يوسف المهندس رحمهم الله تعالى * وفي هذه السنة جدد الاشرف برسباي الكسوة الحمراء داخل الكعبة الشريفة وكساها من داخل وأزال الكسوة القديمة وكانت للناصر حسن بن قلاوون وجاءت الكسوة الجديدة على يد الزيني عبد الباسط ناظر الجيش صاحب الباسطية التي على باب العجلة عن يسار الداخل الى المسجد الحرام وهي مدرسة وخلاو

توفي ثالث عيد الفطر ونزل في جنازته عمه الشريف سعد وصلى عليه ورجع الى داره وحزن عليه أخوه الشريف عبد المحسن حزنا كثيرا كان سببا الشدة قيامه في دفع الشريف سعد كما ستراه وتغلبت البادية التي مع الشريف سعد على النهب من كل جهة فنهبت البيوت وأخذوا ما وجدوا من نقود وقوت وما عز وهان من متاع وأثاث وأراعوا الذكور والاناث فكم من رجل نزعت من فوقه ثيابه وكم من حرة وشريفة هتكت وكاسية سلبت وحامل أسقطت فما زالوا ينهبون الرفيع والوضيع ويسومونهم الضرب والتقطيع حتى دخل الليل فمن الناس من مات فجأة ومنهم من مرض ومنهم من اختبل فلما حل الشريف سعد دار السعادة أرسل الى سليمان باشا بالامان ليسكن الشان غير انه لم يأمنه فجمع الباشا جميع جنده عند بابه وملأ المدافع وفرق بعض العسكر في البيوت حوله أياما عديدة والشريف سعد يأمره بترك ذلك ويقول له انت آمن على نفسك ومالك فقال ليس الى ترك هذا سبيل والله حسبنا ونعم الوكيل ثم أرسل اليه يقول له انت من الوزراء وأرباب الدولة فلا بأس ان تلبسني خلعة التشريف لتأمن العباد والبلاد ويطيع الحاضر والباد فلم يجبه الى مطلوبه معتمدا على استعداده فلما أيس من ذلك أمر الشريف سعد بمجلس في الحرم الشريف حضره القاضي والمفتي وجماعة من العلماء وبني عمه فلما تكامل المجلس نزل لهم بنفسه وقال اعلموا أيها الناس اني كنت نزلت عن شرافة مكة لولدي سعيد فلما لم يصلح لها عزله بنو عمه وولوا ابن عمه عبد المحسن ثم انه نزل عنها للشريف عبد الكريم فالتمست منه اقامة أودي فأبى بعد الرضا بذلك فوثبت عليها الآن فهل ترون اني أحق بها وأهل لها فقال الجميع نعم فقال اذهبوا الى سليمان باشا وألزموه ان يلبسني خلعة التشريف لتقر العباد والبلاد فذهبوا اليه فقال أمر سهل لكن على شرط ان يكتب حجة شرعية تتضمن ان الشريف سعيدا قد أفسد البلاد وأضر بالعباد وان ذلك سبب قيام بني عمه عليه وعزلهم له وانهم ولوا عبد المحسن برضاهم وانه نزل عنها بطيب نفسه للشريف عبد الكريم برضاه ورضا بني عمه الاشراف لكونه أحق بهذه الشرافة وأصلح لها وانه خرج لاصلاح بعض الطرقات فتغلب عليها الشريف سعد بسبب غيبته ودخل مكة فانهى ذلك الى الشريف سعد فجعل باذنه بكتابة ذلك فكتب بذلك حجة وأرسل له الباشا قفطانا ألبسه اياه بعد أخذ الحجة فنادى مناديه في شوارع مكة سادس شوال بالامان والاطمئنان وان البلاد بلاد السلطان وبلاد الشريف سعد ابن زيد

*(الولاية الرابعة للشريف سعد)*

وهذه الولاية الرابعة ومدتها عدة (حي) ثمانية عشر يوما كما ستراه وثاني يوم النداء سابع عشر شوال جاء الخبر ان الشريف عبد الكريم في الحسينية قافلا من اليمن ومعه بنو عمه وقبائل من عتيبة

وحرب واستمر هنالك الى الظهر وانتقل منها الى المفجر فقاومته هذيل وقوم واشرار الحرب وكانوا مع الشريف سعد جمعهم له السيد أحمد بن جازان معونة له فحمل عليهم جماعة من عتيبة وحرب الذين كانوا مع الشريف عبد الكريم فاثخنوا فيهم الجراح وطردوهم عن مواقفهم وأما الشريف سعد فانه لما بلغه انتقال الشريف عبد الكريم ومسيره بمن معه الى المفجر خرج ظهر الاثنين السابع عشر من شوال بمن معه من الاشراف مكملون اللبسة بالدروع وهم خمسة وأربعون ومعه من بقى ممن كان معه من العرب وصعد بمن معه الى أعلى مكة ونزل المنحنى وأما الشريف عبد الكريم ومن معه من الاشراف والعرب فانهم بعد هزيمة هذيل شمروا عن ساعد الجد ودخلوا جميعا سائرين الى ان وصلوا المحصب فانصب عليهم الرصاص من الجبال المحدقة بالمحصب فلم يبالوا بذلك الى ان شارفوا الشريف سعدا ومن معه فوقع القتال ووقعت مطاعنة من الاشراف فى بعضهم البعض فضربت فرس الشريف سعد برصاصة فوقعت به على الارض ونودى عليه فدخل على السيد عبد المعين بن محمد بن حمود فاكب عليه ومنعه من الطعن ويقال انه طعن ثلاث طعنات فاركبه على فرسه وحضنه ومضى به الى العابدية ووقع انكسار شنيع لقبائله وذلك عند غروب الشمس من ذلك اليوم وحصل قتل فى جماعته وهرب من هرب منهم ابن جهور العدوانى ودخل الشريف عبد الكريم والشريف عبد المحسن مكة بين المغرب والعشاء ونزل على سليمان باشا وتلاهم من معهم من الاشراف وسيوفهم شاهرة فى أيديهم ورماحهم مشرعة على أكتافهم الى ان دخلوا بيوتهم ثم نودى فى تلك الليلة بالامان وان البلاد بلاد الشريف عبد الكريم

*(الولاية الثانية للشريف عبد الكريم)*

وهذه الولاية الثانية للشريف عبد الكريم وان كان الشريف سعد أخذها بالغلبة وحال نزوله بيت الباشا أرسل للرئيس وأمره بأذان العشاء واقامة الصلاة فامتثل الرئيس ذلك فأقيمت الصلاة وأمن الناس بعد ان كادت أرواحهم تزهق ثم بعد صلاة العشاء رجع الى المحصب ومعه جميع تلك البادية وبات تلك الليلة هنالك ودخل فى الصبح ثامن عشر شوال فى آلاى عظيم وكان جماعة ممن كانوا مع الشريف سعد لما فر واهار بين دخلوا دار السعادة وجماعة دخلوا دار جوهر آغا وغيره من البيوت وجماعة فى جبل أبى قبيس بزاوية الشيخ بابقى والبيوت التى حوله فأقاموا يومهم وليلتهم محاصرين الى الضحوة الكبرى ثم أرسل الباشا مدافع وعسكرا ورموا بالمدافع الى الاماكن التى فيها أولئك المحاصرون فكسرت الابواب فدخل العسكر وقتلوا كل من هنالك وربطوا جماعة وذهبوا بهم الى بيت الباشا فقتلوا هنالك واستمر القتل بقية ذلك النهار حتى لم يبق

للفقراء فى غاية الاحكام والانقان وللمدرسة شبابيك مشرفة على المسجد الحرام وسبيل الى جانب المدرسة باقية الآن بيد النجار بين أئمة مقام الحنفى يسكنها الاعيان الواردون الى الحج وكانت عليها أوقاف بمصر دثرت الآن وأبقى أيضا عبد الباسط سبيلا وحفر بئرا فى طريق العمرة على يسار الذاهب الى العمرة موجودة الى الآن بقرب الموضع الذى يقال له فخ بالفاء والخاء المعجمة فيه مدفن أبى عبد الله الحسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين وكان أحد الاجواد فى الاسلام وكان يقول ما أظن لى أجرا فيما أعطيه فقيل له وكيف ذلك قال لان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ووالله ما هذا عندى وهذا الحصى الا بمنزلة واحدة وكان خرج على الهادى العباسى بمكة وقاتل خالدا اليزيدى ومن معه من جنوده العباسيين وهزمهم ثم وصل محمد بن سليمان بجنود أخر من قبل الهادى ونزل الحسين ابن على بفخ وقاتل قتالا شديدا الى ان قتل هو وجماعة من شيعة أشراف بنى حسن رحمهم الله تعالى وحملت رؤسهم وهى مائة رأس يقدمها رأس الحسين بن على الى الهادى ويقال له الحسين بن على الفخى الينبعى * وروى أبو الفرج الاصفهانى فى مقاتل الطالبيين باسناده الى النبى صلى الله عليه وسلم قال انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فخ فصلى بأصحابه صلاة الجنائز ثم قال يقتل هنا رجل من أهل بيتى فى عصابة من المسلمين ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة تسبق أرواحهم الى الجنة أجسادهم وعبد الباسط هذا هو ابن خليل ابن ابراهيم الدمشقى ثم القاهرى ناظر الجيش فى أيام الظاهر ططر فمن بعده كان عزيزا رئيسا كريما نافذ الكلمة على الجاه واسع العطاء كبير الهمة له فى كل واحد من هذه المساجد الثلاثة مدرسة وكذلك بالقاهرة مدرسة عظيمة وبالشام وبغزة وله على جميع هذه المدارس أوقاف كثيرة بمصر كانت تغل مغلا كبيرا استولى عليها الخراب الآن وكانت له سحابة للفقراء تنصب لهم فى الطريق ليستظلوا تحتها وكانوا يحملون على جمال فى شقادف أعدها لهم وكانوا يسقون الماء العذب كلما احتاجوا اليه ويطعمون الخبز الطرى والبقسماط وكان يطبخ لهم فى المناهل ويذبح لهم الغنم فى الذهاب من مصر الى مكة وفى مدة الاقامة بها والعود منها الى مصر مع الاحسان اليهم والى غيرهم وأصلح كثيرا من درب الحجاز وكان متكلما على أوقاف كسوة الكعبة بمصر فعمرها ونماها الى ان فاضت وكثرت فى

زمانه * وقد ذكر شيخ الاسلام قاضي القضاة بمصر الشهاب أحمد بن حجر العسقلاني رحمه الله في كتابه فتح الباري ان الصالح بن الناصر بن قلاوون اشترى ثلثي قرية يقال لها بيسوس من وكيل بيت المال ثم وقفها في كسوة الكعبة الشريفة ولم تزل تكسى من ريع ثلث القرية الى ان فوض أمرها المؤيد شيخ الى الزيني عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش فنمت وكثر ريعها وبالغ في تحسينها بحيث يعجز الواصف عن وصف حسنها جزاه الله على ذلك خير الجزاء اه وكفاه فخرا ذكر هذا الامام الجليل في مثل هذا التأليف العظيم * ورأيت أيضا في شرح ايضاح المناسك للسيد نور الدين علي السمهودي الحسني عالم المدينة رحمه الله تعالى ما لفظه وكسوة الكعبة الشريفة وكسوة الحجرة الشريفة النبوية في هذه الاعصر من وقف قرية يقال لها سندبيس في طرف القليوبية مما يلي القاهرة اشتراها السلطان الصالح اسمعيل بن السلطان محمد ابن قلاوون من وكيل بيت المال ووقفها لان تكسى منها الكعبة الشريفة كل سنة وتكسى الحجرة الشريفة النبوية في كل خمس سنين مرة على ماقاله الزيني المراغي وذلك في عشر الستين وسبعمائة • أقول هذه القرى موجودة الآن بمصر لكن ذكر لي من كتبة ديوان مصر الفاضل الكامل مولانا مصطفى جلبي بن مسيح زاده لما كان مقيما بمكة المشرفة ناظرا على الحرم الشريف المكي ذكره الله تعالى بالصالحات ان هذه الاوقاف ضعفت جدا وقل محصولها وصارت لاتفي بكسوة الكعبة الشريفة فعرض ذلك على أبواب المرحوم المغفور له السلطان سليمان خان أسكنه الله فسيح الجنان فأمر بالحاق قرى أخر اشتريت من بيت المال وأوقفها وألحقها بأوقاف كسوة الكعبة الشريفة وهي باقية الى الآن ومنها كسوة الكعبة الشريفة في كل عام ﴿ولنعد الى تكميل ترجمة القاضي عبد الباسط﴾ كانت وفاته رحمه الله يوم الثلاثاء لاربع ليال مضين من شوال سنة أربع وخمسين وثمانمائة وتوفي السلطان الملك الاشرف برسباي يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة * وفي يوم وفاته تولى بعده العزيز الملك جمال الدين يوسف وعمره يومئذ أربعة عشر عاما وهو التاسع من ملوك الجراكسة بمصر وصار مدبر مملكته الاتابك جقمق العلائي ولازال يقوى أمره والاقدار تساعده الى ان خلع الملك العزيز يوسف بن برسباي بعد ان تسلطن نحوا من خمسة أشهر لم يكن له فيها الا مجرد

ابن

الا من توارى ثم تتبعوا من كانوا في جبل أبي قبيس فقتلوهم حتى وصلوا بالقتلى الى الصفا وكانوا نحو السبعمائة وكان يوم سخط نعوذ بالله من مكره وكل محل من مكة تجد فيه القتلى قيل ان عدة القتلى في ذلك اليوم ألف وما ثار رجل حتى عجز الناس عن مواراتهم وصاروا يحملونهم على العجلات ويرمونهم من رواشن دار السعادة واسطحتها الى الارض فيجرونهم جرالرمم ويلقونهم في العجلات ويحفرون لهم حفرا ويلقونهم فيها وجمعت الرؤس في حوش الشريف وجعلت في الخيش وبني منها رضم على خارجة سبيل السلطان مراد في المعلى ليعتبر المار بهم فلا حول ولا قوة الا بالله واستمر الشريف سعد بالعابدية مريضا حتى انتقل الى رحمة الله تعالى يوم الاحد خامس ذي القعدة سنة ست عشرة ومائة وألف وغسل وصلى عليه الشيخ عبد القادر المفتي الصديقي بوصاية وعهد منه اليه وطلع في جنازته الشريف عبد الكريم وجميع الاشراف والناس ودفن في قبة الشريف أبي طالب عند والده الشريف زيد وقد تبين لك ان ولايات الشريف سعد على مكة أربع مرات فالمرة الاولى مدته فيها ست سنوات الاحدى وعشرين يوما والثانية سنتان والثالثة سبع سنين وسبعة أشهر واثنا عشر يوما والرابعة ثمانية عشر يوما فمدة الولايات الاربع خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وتسعة أيام متفرقة وولادته سنة اثنتين وخمسين وألف فيكون عمره أربعا وستين سنة رحمه الله تعالى وفي هذه الفتنة قبل وصول الشريف عبد الكريم من اليمن تعطلت جميع الطرقات والجهات وصارت الناس تؤخذ من المعلاة والشبيكة والمسفلة وقل ان تجد أحدا يمشي منفردا وحده فيها لكثرة العربان وانتشارهم وكثر القتل والنهب سيما جهة المعابدة ومما اتفق ان عتيبة ليلة التاسع من شوال قتلت أربعة من هذيل واثنين من قريش قريبا من السد فخرجت هذيل في صبيحتها في نحو مائتي مقاتل الى ان وصلت المعابدة فوجدوا هنالك حيا من عتيبة وفيهم هنيدس شيخ الروقة فقتلوه وقتلوا معه نحو سبعة أنفار من عرب عتيبة وطرحوهم في الطريق ورقوا جبل الخندمة وصرخ صارخهم فارتجت لهم الارض فركب السيد أحمد بن جازان في جماعة من الاشراف فاعطوهم الامان فلم يأمنوا الا ان عتيبة اجتمعت فرقة منهم بالمعابدة فلم تزل بهم الاشراف حتى رضوا عند العصر فاخذوا اهدنة عشرة أيام ونادى السيد أحمد بن جازان لهذيل انهم في ضمانه وأمانه ووجهه ثم ان عتيبة رحلوا غضابا ونزلوا بالحبت على غير رضى واستمر الحال والخوف الى أن دخل الشريف عبد الكريم وكان ما كان ثم ان الشريف عبد المحسن نادى بان هذيلا وعتيبة الكل منهم في وجهه لا يعد أحد منهم يده على رفيقه فسكن الاضطراب وأمنت الناس وفي اليوم الحادي والعشرين من شوال ورد الى الشريف عبد المحسن مكاتيب من ينبع من قبل السيد عبد الله

الاسم * وتسلطن مكانه فى يوم الاربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة اثنتين واربعين وثمانمائة ولقبوه الملك الظاهر سيف الدين أبا سعيد جقمق العلائى الظاهرى وجلس على سرير الملك وتم أمره وهو العاشر من ملوك الجراكسة وكان جلب من بلاد جركس الى مصر فاشتراه علاء الدين على بن الاتابك اينال اليوسفى فنسب اليه فقيل له جقمق العلائى * ثم انتقل الى الظاهر برقوق فقيل له الظاهرى وكان عنده خاصكيا * ثم صار فى دولة الناصر ساقيا عنده * ثم صار أمير عشرة * ثم صار فى دولة المؤيد خزندارا * ثم صار من مقدمين الالوف * ثم فى دولة الاشرفية صار حاجب أحجاب * ثم أمير أخور كبير * ثم أمير سلاح * ثم صار أتابكا الى ان تسلطن فخرج عن طاعته الامير قرقماس فقاتله ثم ظفر به وسجنه بالاسكندرية ثم (١٤٥) قتله * ثم خرج عن طاعته نائب حلب تغرى برمش * ثم أينال الحكمى نائب الشام فجهز عليهما العساكر فقاتلوهما واحدا بعد واحد وظفر بهما وقتلهما وبعد حول صفا له الوقت فأخذ وأعطى وأقدم وسطا وكان متواضعا محبا للفقهاء والعلماء والصالحين يميل الى تربية الايتام ويحسن اليهم عفيفا عن المنكرات طاهر الفم والذيل لا يعلم من ملوك الجراكسة قبله ولا بعده أعف منه وكان على قاعدة الاتراك الدعوى عنده لمن سبق يذاكر مسائل فقهية ويتعصب لمذهب أبي حنيفة رضى الله عنه وملك مصر نحوا من خمسة عشر عاما الى أن أورى الدهر له من زنده نارا واتخذ بدل عيشه الاخضر بالموت الاحمر ولم يجد له أنصارا واتخذ تحت الارض بعد تحت الملك قرارا واصفرت



الارض منه فى سابع صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة * وكان الظاهر جقمق أول ما ولى التفت الى مكة المشرفة وأرسل خلعا وفرمانا باسم السيد بركات بن حسن عجلان بولاية مكة وأرسل اليه سودون المحمدى ليكون أميرا على خمسين فارسا من الترك مقيما بمكة وشيد العمائر بها * وكان من عمارة الامير سودون بالمسجد الحرام فى سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة انه قلع الرخام الذى على سطح الكعبة الشريفة وكان الخشب الموضوع فى السطح الشريف لان يربط فيه حبال الكسوة الشريفة قد تأكل وتأكل خشب الروازن الاربعة التى كانت فى سقف الكعبة التى كانت للضوء فغير ذلك جميعه وجرد الكعبة الشريفة واستمرت مجردة يومين وليلتين يشاهد الناس أحجارها الى ان أكمل ترميمها واصلاحها وأعيدت الكسوة عليها فى ضحى يوم الاثنين

ابن بركات يخبران الشريف سعيدا قدم من الجابرية الى ينبع ومعه من لفائف العرب جماعة يريد أخذ البندر لما بلغه ان أباه دخل مكة فخرجنا له ورددناه فرجع الى الجابرية وأقام بها وبعد استقرار الشريف عبد الكريم بمكة كتبت عروض منه ومن سليمان باشا عليها خطوط العلماء والاشراف بشرح ما قد صار فلما وصلت الى مصر أخروها بمصر لتواطئ بين أيوب بيك أمير الحج المصرى وبين الشريف سعيد لما كان فى نفس أيوب بيك من صاحب جدة وكتبوا من مصر عروضا غيرها وأرسلوها الى الابواب السلطانية مضمونها ان صاحب جدة عزل الشريف سعيدا وولى الشريف عبد الكريم من غير جناية فلما وصلت الى الابواب السلطانية أمر الوزير الاعظم صاحب مصر ان يجهز عسكرا لتجريدة ليرجعوا الشريف سعيدا الى مكانته ويكون باشا التجريدة أيوب بيك فلما جاءتهم الاوامر السلطانية توافق صاحب مصر مع أيوب بيك أمير الحج المصرى وايواز بيك على ارسال التجريدة الى مكة اعانة للشريف سعيد فكان الامر كذلك ثم بعد ذلك أطلقوا الوارد بعروض الشريف عبد الكريم وعروض سليمان باشا صاحب جدة فوصل بها الى الابواب فاراد الوزير كتمها فما أخبرها الى السلطان أحمد فامر باحضارها فقرئت بين يديه فاستدرك الامر وكتب الى سليمان باشا صاحب جدة بان ينظر فيما هو الاصلح للحرمين وفوض اليه الامر أن يولى من فيه الاصلاح فجهز صاحب مصر التجريدة وجعل ايواز بيك باشا التجريدة وأيوب بيك أمير الحج المصرى وعجلوا بخروجهم وباعوا حب السلطان المعين لاهالى مكة واستعانوا بثمنه على ما أرادوه فورد ايواز بيك بالتجريدة الى ينبع فى ذى القعدة وسألوا عن الشريف سعيد فاخبروهم أنه بالجابرية فبعثوا اليه واستدعوه وقد تخلى عن كل أحد الا السيف وأيس حتى من طروق الطيف فاعاد عليهم الجواب بالاعتذار لعدم وجود لوازم الهمة العلية مما يحتاج اليه فى هذه القضية فبعثوا اليه بما يليق بمقامه من جهازه وخدمه وطعامه فاقبل الى ايواز بيك فى أردية الاقبال محفوفا بالعز والرجال فخلع عليه قفطان الشرافة الوارد صحبته مع محمود آغا أحد أغاوات السلطان أحمد ونادى له بينبع ولما كان يوم الثالث والعشرين من ذى القعدة ورد مكة سبعة أنفار من غز مصر من كل بلك رجل ودخلوا الى قاضى مكة وبيدهم كتب من ايواز بيك أمير التجريدة ومن الشريف سعيد وفيها خطاب لقاضى مكة وللسرادير ومضمونها ان السلطنة أنعمت على الشريف سعيد شرافة مكة فانتم أطيعوا الله والرسول والسلطان واياكم والمخالفة وقد ألبسناه قفطان الشرافة الذى ورد به محمود آغا صحبتنا وهو أحد أغاوات السلطان أحمد وهو وارد صحبتنا ووقع هذا حال ورودنا بينبع ثالث شهر ذى القعدة فوقع بمكة لموجب هذا الشان رجة عظيمة فلما بلغ ذلك الشريف

لثمان بقين من شهر صفر سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة وأصلح أيضا رخام داخل الكعبة من الجدار المقابل للباب الشريف وأصلح أيضا رخام الحجر وبيض مأذنة باب السلام وأصلح مأذنة باب العمرة وبيض مأذنة باب الحزورة ورم أسافل مأذنة باب على وأصلح سقف المسجد الحرام من تلك الجهة لخرابه وأصلح الرفرف الدائر بالمسجد الحرام وبيض علو مقام ابراهيم وعلو مقام الحنفية وقبة باب ابراهيم والاميال التى تلصق بدار العباس فى المسعى والميل الذى فى ركن المسجد بقرب باب بازان والذى يقابله التى هى علامة للسعى بينهما وعين فى كل ميل قنديلا بالليل من قناديل الحرم الشريف فى شهر رجب وشعبان وشهر رمضان تضىء للمعتمرين وفى بعض ذى الحجة للاضاءة على الحجاج اذا أرادوا السعى وجعل على الصفا قنديلا وعلى المروة ❊ ثم عمر الامير سودون المذكور مابقى من المواضع المأثورة فى منى وفى المشعر الحرام بمزدلفة ومسجد نمرة بعرفة وقطع جميع أشجار السلم والشوك الذى كان بين المازمين فى طريق عرفة وكانت تمزق كسوة الشقادف والمحائر عند مزاحمة جمال الحاج فى ذلك المحل وكانت السراق تكمن تحت الاشجار وتنهب جميع ماتظفر به من الحجاج وتخطف منهم جميع ماتقدر عليه فقطع الامير سودون جميع تلك الاشجار وأزال الصخور الكبار ونظف الطريق ووسعها وشكره الحجاج على ذلك ودعوا له حيث كانت تضر فى طريق المسلمين والا فشجر الحرم لايعضد ولا يقطع فرحمه الله تعالى وأثابه الحسنى وكذلك الامير خوش كلدى نائب جدة فى عصرنا فى حدود سنة خمسين وتسعمائة قطع أشجار السلم مابين المازمين وكسر الاحجار ٢ فى سفح الجبلين ومهد ووسع الطريق للحجاج ودفع بذلك الحل عنهم شر السراق الذين كانوا يكمنون خلف تلك الاشجار والاحجار وشكره الناس أثابه الله تعالى وسيأتى شئ من عماراته فيما بعد ان شاء الله تعالى ❊ وفى موسم سنة ثمان وأربعين وثمانمائة وصل مع الركب المصرى رسول سلطان العجم شاه رخ ميرزا بكسوة للكعبة الشريفة وصدقة لاهل مكة فكسيت الكعبة من داخلها بتلك الكسوة من يوم عيد الاضحى وفرقت الصدقة على أهل الحرم ❊ وفى سنة خمسين وثمانمائة وصل بيرام خواجا ناظرا على المسجد الحرام وبنى بالمعلاة سبيلا وحوضا ينتفع بهما الناس والبهائم على عين الصاعد الى المعلاة صار الآن فى عصرنا بستانا عمره خوجاقينى مولانا محمد بن محمود أفندى

٢ بياض بالاصل

عبد الكريم أرسل اليهم وسامهم القتل وحبسهم الى الظهر ثم أطلقهم ثم شاع ماينافى ذلك وان القفاطين انما أرسلت باسم الشريف عبد الكريم وان هذا الامر مزيف وسببه قيام أيوب بيك أمير الحج المصرى مع الشريف سعيد لغرض فى نفسه ثم جعل الشريف عبد الكريم محضرا فى المسجد جمع فيه القاضى والمفتى والعلماء والاشراف وكبار العسكر واجتمع معهم كثير من الناس فقال الشريف عبد الكريم اعلموا انى دخلت مكة وقد حل بها ماحل من الغلاء وانقطاع الطريق وهذا كله سببه الشريف سعيد وحكامه فقال الناس صدقت ثم قال هل تشهدون انى ظللت البلاد وأرحت العباد وأمنت الناس بعد أن وليت قالوا نعم ثم قال هل حدث منى من المظالم مايوجب رفعى عنها قالوا حاشا لله قال هل ترضون بولايتى عليكم أو ترضون بولاية الشريف سعيد قالوا لانرضى الا بك قال هؤلاء الاتراك يريدون تولية سعيد وعزلى فقالت العامة باطل باطل عن لسان واحد ثم ان الاشراف الحاضرين وقع منهم تهديد للقاضى ولمن حضر من العساكر المصرية وقالوا لانسلم لما جاء به ايواز بيك ولو كان معه أمر سلطانى بولاية الشريف سعيد فنحن لانعصى أمر السلطان غير ان السلطان لايرضى علينا الخلاف ولا يولى علينا الامن نرضاه فسجل القاضى صورة ماوقع فى هذا المجلس وكتب به حجة ووضعت خطوط الاشراف والعلماء والسراد ير عليها وبعثوا بها الى ايواز بيك فاجاب ان صحبتنا أغاة من أغاوات السلطان معه أمر سلطانى ناص بان شريف مكة لايكون الا سعيدا وليس لنا قصد الا الاصلاح ولم نؤمر الا به فاذا وصلنا نحن والشريف سعيد اليكم أشرفناكم على ماأمرنا به ويحصل هناك الاتفاق ان شاء الله تعالى فاعاد اليه الشريف عبد الكريم والسادة الاشراف ان دخول الشريف سعيد غير صلاح وانما يجلس فى موضعه الى ان ينزل الناس من الحج ثم ندعوه الى مكة وننظر فى الامر فقال ايواز بيك لابد من دخوله صحبتنا فارسل اليه الشريف عبد الكريم والاشراف يقولون ان دخلتم به فما عندنا الا السيف فاجهدوا ونجهد فعند ذلك تخلف ايواز بيك بمن معه من العسكر التجريدة وجلسوا ينتظرون قدوم الحاج المصرى بالجموم من وادى مر وصمم الشريف عبد الكريم على منعهم من الدخول بالشريف سعيد أو يقاتلهم فخرج رابع ذى الحجة الى بئر طوى فى عبيده وتلاحقته بنو عمه الاشراف فماغربت الشمس الا وقد اجتمع عنده نحو ألف مقاتل من حرب وعتيبة وغيرهم وأصبح ذلك الوادى وهو بحر غاص بالبوادى واستمر الى سادس ذى الحجة ومن الغريب انه ورد ثانى ذى الحجة على سلمان باشا وهو بجدة أمر سلطانى من البحر مضمونه ابقاؤه على جدة وزيادة سواكن وانا أبقيناك على مافى يدك من تفويض أمر الحرب والامر اليك فى ولاية من ترى فيه الصلاح للبلاد والرعية ولمن يرضاه أهل

قاضى مكة المشرفة فى سنة سبع وستين وتسعمائة وقدمه لخانم سلطان بنت الوزير الاعظم رستم باشا وأمها والدة السلاطين خاصكى سلطان رحمهما الله وهو الآن فى تصرف ناظر عمارتها بمكة المشرفة * وفى موسم سنة خمسين وثمانمائة أيضا حج وزير من وزراء السلطان مراد الثانى طيب الله ثراه جاء بصدقات جليلة وخيرات وافرة جميلة لاهل الحرمين الشريفين ورمى فى بركة قبة العباس بالحرم الشريف ثلثمائة وستين رأس سكر وعدة قناطير من العسل وسقى الناس وملأ القرب وخرج بها السقاؤن الى المسعى يسقون الناس وصرف على الحجاج وأهل الحرمين أموالا جزيلة تقبل الله منه صالح أعماله * وفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة عمر ناظر الحرم بيرم خواجا فى الجانب الشرقى قطعة من جدار المسجد الحرام يلى رباط السدرة الذى هو الآن رباط الاشرف قايتباى وعمر شباك خلوة منسوبة للشيخ عفيف الدين بن عبد الله بن أسعد اليافعى وشباك خلوة منسوبة للشيخ جمال الدين محمد بن ابراهيم المرشدى وجدد فى الرواق القبلى من الجانب الشامى سبعة عقود وعمر أيضا عين حنين وأصلح مجاريها ورممها ترميما محكما ووصل فى ذلك العام كسوة لحجر اسمعيل مع كسوة البيت الشريف لانه لم تجر بذلك عادة قبل هذا او وضعت فى البيت الشريف ثم كسى بها الحجر الشريف من داخله فى العشر الاخير من ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة بعد ان حفظت فى جوف البيت الشريف سنة كاملة * وعمر ناظر الحرم الشريف بيرم خوجا عدة برك فى عرفة كانت داثرة مملوة بالتراب فأخرج ترابها وأصلحها وساق اليها الماء من الآبار التى بقربها ليشرب الحجاج منها وعمر مسجد نمرة بعرفة وعمر مسجد الخيف بمنى وصرف مالا عظيما فى جهات الخيرات رحمه الله تعالى * ثم عزل ناظر الحرم المذكور بالتاجى الامير بردبك ووصل الى مكة المشرفة ليلة الاحد السادس والعشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وثمانمائة وطاف وسعى وعاد الى الزاهر ودخل صبح تلك الليلة من أعلى مكة ولاقاه أكابر مكة وأعيانها ولبس الخلعة السلطانية وقرأ مرسومه بالحطيم وهو مؤرخ بثانى عشر جمادى الآخرة يتضمن انه ولى نظر الحرم الشريف والربط والاوقاف والصدقات وان يحاسب من كان قبله وان يكون محتسبا بمكة فاستمر بهذه الوظائف وهو قائم الجاه نافذ الكلمة وباشرها مع التمكين وعمر فى أواخر السنة بعض سقوف المسجد الحرام * وفى هذه السنة آجر قاضى القضاة أبو

الحل والعقد ويرون فيه الصلاح وعزل من ثبت فساده فبعث سليمان باشا للشريف عبد الكريم يخبره بذلك فارتاضت نفسه عند ذلك وعلم ان الله ناظر اليه فالبس القاصد ودق الزير وأظهر السرور واستفاض الخبر عند القاصى والدانى ففرح الناس بهذا الامر ثم ان سليمان باشا خرج من جدة ونزل طوى مع مولانا الشريف عبد الكريم ثالث ذى الحجة ثم لما كان خامس الشهر دعا سليمان باشا القاضى والمفتى وبعض العلماء وأكابر العساكر المصرية الذين بمكة ما عدا عسكر الانقشارية فانهم لم يحضروا واجتمع الجميع بطوى عند الشريف عبد الكريم والوزير سليمان باشا وتشاوروا فى هذا الامر واتفقوا على انهم يرسلون لايواز بيك ومن معهم ويعذلونهم عما فى نفوسهم ويحذرونهم فتنة بنى حسن الاشراف ويعرفونهم بما جمعوا من العرب وان هذا أمر يترتب عليه ابطال الوقوف بعرفة وأداء المناسك والسلطان لا يرضى بذلك فان كان معكم أمر فابعثوا به الينا ونحن مطيعون لامر السلطان فكتبوا ذلك كله وبعث القاضى بالكتاب مع جوخداره وبعض البلكات فلما قرؤه اضطربوا وشارفوا الانقياد اليه الا انه كان من قضاء الله وقدره ان سليمان باشا نزل الى القاضى بالمحكمة سادس ذى الحجة قبل ورود الجواب اليه من ايواز بيك وأراد ان يجمع وجوه الناس عند القاضى ويظهر أمره الذى بيده ليشهد عليه الناس وليشهد الناس باستحقاق الشريف عبد الكريم وان عزله للشريف سعيد وقع فى محله فلما اجتمع الناس بالمحكمة ثارت الانقشارية على الباشا والقاضى والعلماء وربما شهرت السيوف فى المسجد فهرب الناس ولم يبق الا الباشا وحده عند القاضى فاخرج القاضى صورة أمر قرئ بحضرة الباشا والعسكر الانقشارية مضمونه انا قد ولينا الشريف سعيدا مكة ورددناه اليها بعد عزلكم فانتم أطيعوا الله والرسول وأولى الامر منكم فبرد سليمان باشا عما أراد فقال له الاتراك اذهب أنت والقاضى وجماعة من العلماء الى الشريف عبد الكريم بطوى وأمره بالخروج من بلد السلطان والا فانتم الخصماء فذهب سليمان باشا والقاضى وجماعة من العلماء الى الشريف عبد الكريم بطوى فسألوه ان يحقن الدماء ويقيم شعار الحج بخروجه من البلد لله ورسوله فجمع البوادى والاشراف وأخبرهم بما جاء فيه القاضى والوزير والعلماء فأطاعوه بعد تأب من الاشراف فرحل بمن معه يوم السادس من ذى الحجة الى الركانى وبعث الى الشريف سعيد والى ايواز بيك والى أيوب بيك أمير الحج المصرى ان ادخلوا فانى أخرت اللقاء الى بعد الحج فنودى للشريف سعيد بالوادى وتعاطى وكالته على مكة السيد ناصر بن أحمد الحرث وبمجرد خروج الشريف عبد الكريم نقطعت الطرق وحصل النهب فى طريق جدة وذهبت جملة أموال للناس وكذلك طريق اليمن

السعادات بن ظهيرة الشافعى رباط رامشت لوكيل القاضى ناظر الخاص ثم وصلت فتاوى بعدم صحة اجارة الوقف اجارة طويلة فاستبدل له وحكم بصحة الاستبدال حاكم حنفى ثم أمر بعمارته رباطا فعمره له ناظر الحرم الشريف التاجى بردبك وفتح فيه عدة شبابيك على الحرم الشريف على الوضع الذى هو باق عليه الى الآن * وفى سنة ست وخمسين وثمانمائة وصلت أحكام من الظاهر جقمق تتضمن الامر باخراج ما على الكعبة الشريفة من داخلها من الكسوة المنسوبة الى الاشرف برسباى وان تبقى كسوة الملك الاشرف الظاهر جقمق وحده افعلوا ذلك وفيها سافر أمير الترك الراكز بمكة الامير جانبك النوروزى وولى عوضه فى منصبه ناظر الحرم التاجى بردبك * وفى سنة سبع وخمسين وثمانمائة وردت القصاد من مصر تخبر بأن الملك الظاهر

جقمق زاد به مرضه فخلع نفسه من السلطنة فى يوم الخميس لتسع بقين من محرم من السنة المذكورة لولده أبى السعادات فخر الدين عثمان * ولقبه الملك المنصور وعقد له البيعة ورضى الناس به واطمأنوا وهو الحادى عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وسنه دون العشرين وركب بشعار السلطنة وحمل الاتابك أينال العلائى أمير كبير القبة والطير على رأسه وجلس على تخت الملك فى قلعة الجبل وباشر الامور الى ان توفى والده بعد سلطنة ولده باثنى عشر يوما فوقعت فتنة بين الامراء فخلع الملك العزيز عثمان * وتسلطن الملك الاشرف سيف الدين أبو النصر أينال العلائى فى صبيحة يوم الاثنين لثمان مضين من شهر ربيع الاول سنة سبع وخمسين

وثمانمائة وهو الثانى عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وهو جركسى جلبه الخواجا علاء الدين عن الى مصر فاشتراه الظاهر برقوق وأعتقه الناصر فرج بن برقوق وتنقل فى الدولة الى ان صار فى أيام الاشرف برسباى أمير مائة مقدم ألف وولاه الظاهر جقمق الدوادارية الكبرى الى ان جعله أتابكا واستمر الى أن تسلطن وتم أمره فى الملك وطالت مدته وأيامه نحو ثمان سنين وشهرين وأياما وكان طويلا خفيف اللحية بحيث اشتهر باينال الاجرد وكان قليل الظلم قليل سفك الدماء متجاوزا عن الخطا والتقصير الا ان مماليكه ساءت سيرتهم فى الناس وفى ابتداء سلطنته سافر اليه أمير الترك الراكز بمكة وناظر الحرم ومحتسب مكة الامير بردبك التاجى وولى عوضه أمير الترك الراكز بمكة شيبك الصوفى وطوغان شيخ الحرم ومحتسب وولى مشدا على

وحصر عن الحج خلق كثير ثم ان الشريف عبد الكريم ركب من الركانى وواجه بيرام باشا أمير الحج الشامى ومعه جماعة من الاشراف فاجتمع به فى وادى الجموم ثامن شهر ذى الحجة وصار منهم من التدابير ما تولد منه النافع الكثير كما ستراه ان شاء الله وأما الشريف سعيد فانه دخل مكة يوم السابع من ذى الحجة ودخل معه أمير الحاج المصرى أيوب بيك وأمير التجريدة ايواز بيك مع التجريدة وسائر عساكر الحج المصرى ومعه نحو أربعين من الاشراف لم يكونوا مع الشريف عبد الكريم فى عملته وكان دخوله من الشبيكة الى المسجد هو ومن معه وقد فرش له بساط فى الحطيم وفتحت الكعبة الشريفة وقرئت له الاوامر على من حضر من الاعيان ثم خرج الى منزله الذى بسويقة

*(الولاية الرابعة للشريف سعيد ٦ ذى الحجة سنة ١١١٦)*

وهذه الولاية الرابعة للشريف سعيد وفى ليلة التاسع من ذى الحجة دخل أمير الحج الشامى بيرام باشا وأراد أن يؤخر القفطان الى منى فامتنع الشريف سعيد من تأخيره فبعث به اليه وألبسه فى منزله ثم خرج الى عرفات من أعمال نصف الليل بعد بيرام باشا ومر بمنى ولم يبت بها ووقف الناس وكانت الجمعة بالجمعة وحصل للناس الامان ولم يحج أحد من أهل مكة الا القليل ولم يرد فى هذه السنة من العراق الا أربعون من العجم ولم يحج أحد من النواحى غير الاتراك ومن ورد مع الحج المصرى والشامى غير جماعة من أهل الحسامع العجم السابق ذكرهم وارتفعت الاسعار بعرفة حتى ان بعضهم اشترى كبشا بعشرة أحمر وبعث الشريف سعيد الى ناظر السوق الذى كان فى زمن الشريف عبد الكريم وهو مصطفى الخاشجى وألبسه فى زمن الحج قفطان النظر فى السوق والعادة الجارية ان يبطل حكم الناظر فى زمن الحج وفى الخامس عشر من ذى الحجة نزل الشريف عبد الكريم ومن معه من الاشراف بوادى التنعيم وبعثوا الى الامير بيرم باشا أمير الحج الشامى فبعث اليهم الخيام والصواوين وجعلوا بينهم سفيرا السيد عبد الله بن عمرو بن بركات فنقم عليه مولانا الشريف سعيد فبعث اليه ينهاه عن الدخول الى مكة فسمع بذلك بيرم باشا فقال للسيد عبد الله البلد للسلطان وأنا باشا السلطان فاعليك منهم واتبعه بيرم باشا عسكرا يمشون معه أينما أراد فكان يمشى بهم فى شوارع مكة كرها واستمر الشريف عبد الكريم بالتنعيم أياما حتى ركب اليه بيرم باشا فى بعض ليالى الحج فاستمر عنده الى نصف الليل أو قرب الفجر ورجع عنه وفى مدة اقامة الشريف عبد الكريم بالتنعيم هو ومن معه لم يحصل منهم أذى للناس بطرقهم الطارق آمنا ويسير الى مكة آمنا ولم تزل الرسل بينه وبين ايواز بيك وبيرم باشا أمير الحج الشامى ثم ارتحلت الاشراف الى البقاع من أعلى الجموم وشاع فى العامة انهم يريدون أخذ الحج المصرى وقتل أيوب بيك فدخله من الخوف ما أخره

جدة جانى بك وهو الذى بنى البستان الذى على يسار الذاهب من منى المعروف به الآن وحفر فيه عدة آبار وغرس فيه ماقدر عليه من الاشجار حتى شجر التمر هندى وأدركناه فيه ووقف عليه مسقفات بمكة ولم يقع فى أيام الاشرف عمارة للحرم الشريف واستمر سلطانا الى ان خلع نفسه من السلطنة وعقدها لولده * (الملك المؤيد شهاب الدين أبى الفتح أحمد بن أينال) * فى يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة وتوفى والده بعد ذلك بيوم واحد ثم خلعه أتابك حين قدم بعد خمسة أشهر وخمسة أيام أو ولى السلطنة عوضه * (الملك الناصر سيف الدين بن سعيد خوشقدم الناصرى) * يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة وهو  رومى جلبه الخواجا ناصر الدين وبه عرف واشتراه المؤيد شيخ وأعتقه وصار خاصكيا عنده ثم تغلب فى الدولة الى ان جعله الاشرف أينال أتابكا لولده فخلعه وتسلطن مكانه وكان محبا للخير وكسى الكعبة الشريفة فى أول ولايته على العادة ولكن كانت كسوة الشرقى والجانب الشامى بيضاء بجامات سود وفى الجامات التى بالجانب الشرقى بعض ذهب وأرسل فى سنة ست وثمانين وثمانمائة منبرا وكان من خشب فركب فى يوم الاربعاء والخميس وخطب عليه الخطيب فى يوم الجمعة ثانى الحجة الحرام وكانت مدة سلطنته ست سنين ونصفا تقريبا ومرض وطال مرضه وتوفى فى يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة * وتسلطن فى ذلك اليوم خشتاشه الاتابك بلباى * (وهو الملك الظاهر الناصر بلباى المؤيدى) * فخلع على الامير تمربغا الظاهرى بالاتابكية عوضا عن نفسه وهو الرابع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وكان ضعيفا عن تدبير الملك فخلعه الامراء من السلطنة فى يوم السبت لسبع مضين من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فكانت مدة سلطنته شهرين الا أربعة أيام وتسلطن بعد خلعه عوضا عنه * (الملك الظاهر أبو سعيد تمربغا الظاهرى) * وهو الخامس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر ولكن كان يقال انه رومى الاصل من مماليك الظاهر جقمق أعتقه ورباه صغيرا الى ان جعله خاصكيا ثم سلحدارا ثم خزندارا كبيرا ثم دوادارا ثانى ثم صار فى دولة الملك المنصور دوادارا كبيرا ثم أخرج الى مكة ثم عاد الى القاهرة فى دولة الظاهر خوشقدم فصار مقدم ألف ثم صار فى دولة الظاهر بلباى أتابك العساكر ثم

عن السفر فى معتاده عقب النزول من منى بيومين أو ثلاثة فقامت عليه الحجاج لشدة مالحقهم من الغلاء وعدم الوجدان لما يريدونه فخرج تاسع عشر ذى الحجة وكان سبب اقدامه على السفر بعد ماحصل له من الخوف ان السيد ناصر الحرث وجماعة من كبار الاشراف خرجوا الى الشريف عبد الكريم ومن معه من الاشراف وسايسوهم وضمنوا لهم الصلح وتواطؤا معهم على حالة وتكافلوا على مايصلح الفريقين وأخذوا منهم عهدا على عدم تعرضهم للحج فخرج الامير مسافرا وخرج سالما الا أنه وقع نهب فى أطراف الحج المصرى وهل محرم الحرام افتتاح سنة ألف ومائة وسبعة عشر وفى سادسه دخل مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد مكة ومعه جماعة من الاشراف طمعا فيما جرى بينهم وبين السيد ناصر الحرث من العهد المتقدم فنزلوا على مولانا الشريف سعيد بداره التى بسوق الليل ولم يتخلف الا ذوو بركات فان الشريف عبد الكريم أفهمه أنه يريد التوجه الى الشام بمن معه من ذوى بركات ثم عن له أن ينزل الحمياء ثم ارتحل عنها الى محل يقال له دغيم ومعه من البدو مالا يحصى ولم يزل الى أن نزلت عليه قبائل حرب بجملتهم وقالوا لا نفارقك حتى تموت أو نموت فبلغ ذلك الشريف سعيدا واشتد عليه الامر فجمع كبار الاشراف وأطلعهم على مابلغه من قوة الشريف عبد الكريم ووصول حرب اليه وطلب منهم أن يسعفوه بالمسير معه اليهم فما أجابه منهم أحد الى ذلك هذا فعل من معه فى عملته وأما بقية الاشراف الذين يريدون مكة من جماعة الشريف عبد الكريم فطلبوا منه ماهو لهم فأخذ فى جمع دراهم لهم وأعطاهم مما لهم شيأ يساوى الثلث ثم تجهز وخرج الى طوى فأقام بها أياما الى أن لحقه الاشراف الذين فى عملته ثم سار مريدا الشريف عبد الكريم وأودع البلاد السيد احمد بن حازم وبعث الى هذيل فاقبلوا عليه فلما وصلوا منى نهبوا ماوجدوه من أموال الناس فلما دخلوا مكة عاثوا فيها بالسرقة والنهب فلما شارف الشريف سعيد حدة زحف اليه الشريف عبد الكريم بمن معه فركب اليه جماعة من الاشراف يصدونهم عن الملاقاة وطلبوا منه مهلة ثلاثة أيام حتى ننظر فى أمرنا معه ومعك فاجابهم الى ذلك فرجعوا للشريف سعيد وأخبروه بان الشريف عبد الكريم مقالك بعد ان خرجت اليه فان لم تصلحه والا فلا بعد هذا الا الملاقاة وقد أخذنا لك مهلة ثلاثة أيام فجلسوا معه مجلسا وتشاوروا بينهم فرأوا أن يجعلوا له كل شهر ألف شريفى أحمر وأن يقيم حيث شاء غير مكة الى أن تأتيه أجوبة كتبه من الابواب فرضى الشريف سعيد بذلك فرجعوا الى الشريف عبد الكريم وأخبروه فقال انه ينقض هذا القول ولا شك فأعطوه العهود انه ان نقض هذا نقضوا عملته وعاملوا الشريف عبد الكريم ويكونون واياه يدا واحدة فأخذ عليهم العهود ثم رجعوا الى الشريف سعيد

تسلطن وكان له فضل وصلاح وتودد للناس وحذق ببعض الصنائع بحيث يعمل القسي الفائقة بيده ويعمل السهام عملا فائقا فيها ويرمى أحسن رمى يفوق غيره فيها مع الفروسية التامة ومع ذلك ما صفا له الدهر يوما ورماه عن كبد قوسه أبعد رمى وما زال به الامر الى ان خلعوه ونفوه الى الاسكندرية وولى السلطنة أتابك العساكر يومئذ * (السلطان الملك الاشرف قايتباى المحمودى الظاهرى) * فى ظهر يوم الاثنين وهو السادس من شهر رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر مولده ببلاد جركس تقريبا فى بضع وعشرين وثمانمائة جلبه الخواجا محمود الى مصر فنسب اليه واشتراه الاشرف برسباى وأعتقه الظاهر جقمق واليه انتسب وتنقل فى المراتب الى ان صار فى دولة الظاهر خوشقدم أمير مائة مقدم ألف ثم صار فى دولة الظاهر تمربغا أتابكا ثم صار بعد خلعه سلطانا بعد تعزز منه وتمنع وحصلت له البشارة بالسلطنة من عدة أولياء الله الصالحين قبل أن يليها وكان محبا للخير معتقدا فى الصلحاء * ويحكى عنه أنه كان يحكى عن نفسه أنه لما جلب الى مصر للبيع وهو اما مراهق أو بالغ كان معه رفيقه أحد المماليك الجلب فتعادتوا امع الجمال فى ليلة من ليالى شهر رمضان فقالوا لعل هذه ليلة القدر والدعاء فيها مستجاب فليدع كل واحد منا بدعاء يحبه فقال قايتباى اما أنا فاطلب سلطنة مصر من الله تعالى فقال الثانى وأنا أطلب من الله ان أكون أميرا كبيرا والتفتا الى الجمال وقالا له أى شئ تطلبه فقال أنا أطلب من الله خاتمة الخير فصار قايتباى سلطانا وصار صاحبه أميرا كبيرا فكان اذا اجتمعا يقولان فاز الجمال من بيننا رحمهم الله وكان ملكا جليلا وسلطانا نبيلا له اليد الطولى فى الخيرات والطول الطائل فى اسداء المبرات بنى بالمساجد الثلاثة عدة ربط ومدارس وجوامع عظيمة الآثار باهرة الانوار وله بمصر والشام وغزة آثار جليلة وخيرات جميلة أكثرها باق الى الآن وجميع عمائره يلوح عليها الواضح النورانية والانس * وفى أول ولايته أرسل الى مكة بالمراسيم والخلع للسيد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بولاية الحرمين الشريفين والى قاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة الشافعى بقضاء مكة ومراسيم تتضمن الامر بابطال جميع المكوسات والمظالم وان ينقر ذلك على اسطوانة من أساطين الحرم الشريف فى باب السلام

---

وأخبروه بذلك فقال له ذلك ثم قال مروه فليرتحل من محله لتعلم الناس من البادية والاتراك انا اصطلحنا فضمنوا له ذلك وكفل جماعة هذا وجماعة هذا وبعثوا الى الشريف عبد الكريم بذلك فارتحل من محله الى محل يقال له شعثاء قريبا من جدة فبقى بها مدة والشريف سعيد ساقة جدة لتسليك طريق جدة فتارة تؤمن الطرق وتارة تخاف واستمر الحال نحو أربعين يوما ثم ان الشريف سعيدا حدثته نفسه بالنزول الى جدة ومقابلة سليمان باشا فمنعه من دخولها ومنع جماعة من الاشراف بعثهم الشريف سعيد الى جدة فدخل منهم السيد محمد بن عبد الكريم بعد جهد جهيد وحاول الباشا ان يأخذ له من التجار شيأ للشريف سعيد يستعين به فما وافقه لا قرضا ولا على الزالة وأمرهم بالرجوع وأن لا يدخلوا جدة لخوف ان يؤذوا أهلها فتقرر عند الشريف سعيد أن سليمان باشا يده مع يد الشريف عبد الكريم وجماعته فأرسل الى ابن عمه الشريف عبد المحسن وكان بالحسينية وأخبره وطلب منه أن يأتيه بجدة فأتاه فتوسل به ان ينزل الى الباشا ويأخذ له شيأ من المال يستعين به أو يحيله على الزالة فأبى ثم التمس منه ان يركب معه لملاقاة سليمان باشا فقال له وكيف نقاتل أحد وزراء السلطان ولم يوافقه ثم انه بعث الى ايوازبيك صارى العسكر المصرى والى الانقشارية وسائر البلكات يشكو من سليمان باشا ويستدعيهم الى قتاله فلم يوافقوه وبقى فى حيرة عظيمة مقلا من المال والرجال ففارقه من معه من الاشراف لذلك ولما تقدم لهم مع الشريف عبد الكريم من العهود والوفاء والمفارقة له فذهبوا الى الشريف عبد الكريم فلما تكاملت الاشراف عند الشريف عبد الكريم انتقل من شعثاء ناويا ان يصبح الشريف سعيدا ويأخذه فلما استحس بذلك أشار على الشريف سعيد ابن عمه الشريف عبد المحسن ان يرجع الى مكة فأودعه عزبته وسرى من ليلته فاصبح بمكة وذلك تاسع شهر ربيع الثانى ولما وصل الى مكة أطلق المنادى فى شوارعها وطرقاتها على أرحام كل من كان من الاشراف مع الشريف عبد الكريم مثل ذوى شنبر وذوى جازان وذوى بركات وذوى نقبة وغيرهم ورجالهم ان لا يبيت أحد منهم بمكة هذه الليلة ومن بات منهم فهو مصلوب وبيته منهوب فحصل عند طوارف السادة الاشراف من الخوف ما أوجب انهم يأوون بيوت ساداتهم داخلين عليهم مما يخاف فركب اليه السيد حسن بن غالب والسيد أحمد بن حازم ولاموه على هذا النداء وقالوا له هذا لا يكون فانه يتأتى منه سالفة بيننا ان كل من خرج من البلد تنهب طوارفه وتقتل وهذا أمر لا يمكن الوفاق عليه لكونه مضرا بالعالم فرجع المنادى عند العصر ينادى بخلاف النداء الاول وان النداء الاول مرجوع عنه وعليهم الامان ثم انه ثانى عشر الشهر بعث الشريف سعيد المفتى وجماعة من السبع بلكات الى الشريف

عبد

وفى آخر سنة أربع وسبعين وثمانمائة والتى قبلها بنى مسجد الخيف بناء عظيما محكما وجعل فى وسط المسجد قبة عظيمة هى حد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيف منى وبنيت جدرانه المحيطة به وبنى أربع بوائك من جهة القبلة فصارت قبة عالية فيها محراب النبى صلى الله عليه وسلم وبلصق القبة مأذنة التى على عقد باب المسجد بثلاثة أدوار صنعة الاستاذين وبنى دارا بلصق الباب وكانت مسكن أمراء الحاج وعلى الباب فى الدار المذكورة سبيل علاء من صهريج كبير جعل فى صحن المسجد علاء من المطر وجعل للمسجد بابا آخر الى جهة عرفة وخوخة صغيرة الى الجبل الذى فى سفحه غار المرسلات وهو الموضع الذى أنزلت فيه سورة المرسلات على النبى صلى الله عليه وسلم وبالجملة فهذا المسجد أثر عظيم باق  الى الآن من آثار المرحوم السلطان قايتباى وقد غلب عليه الدثور عمره الله من عمره أو تسبب فى تعميره * وعمر السلطان المذكور مسجد نمرة فى عرفة وهو المسجد الذى يجمع فيه الامام بين الظهر والعصر جمع تقديم فى يوم عرفة للحجاج المحرمين فى ذلك الآن ولا يجمع عند أبى حنيفة فى غير ذلك الحال جمع تقديم الا فى ذلك المسجد ولا جمع تأخير الا فى المزدلفة بين المغرب والعشاء للحجاج وجعل فى صدر ذلك المسجد رواقين عظيمين يتظلل بهما الحجاج وقت الصلاة من الشمس وجدد العلمين الموضوعين لحد عرفة والعلمين الموضوعين لحد الحرم وبيض المسجد الذى بمزدلفة على جبل قزح وهو المشعر الحرام على رأى وجدد عين عرفات وابتدأ العمار العمل فيها من سفح جبل الرحمة الى وادى نعمان فوجد الماء بكثرة فاقتصر على ذلك ولم يصل الى أم العين وكانت قد انقطعت منذ مائة وخمسين سنة وكان الحجاج يقاسون فى يوم عرفة من قلة الماء ما لا يصبر عليه ثم أصلح البركة وملأها بالماء ثم أصلح عين خليص وأجراها وأصلح بركتها وبنى قبتها وامتلأت البرك وعم النفع بها وبعين عرفات وكان ذلك من أعظم الخيرات بالنسبة الى الحجاج والزوار * وفى سنة تسع وسبعين وثمانمائة وصل منبر خشب للمسجد الحرام فى الخامس والعشرين من ذى القعدة الى مكة المشرفة فى البر فركب فى جهة باب السلام وجر الى المطاف وخطب عليه الخطيب فى أول ذى الحجة * وفى سنة احدى وثمانين أصلح خشب سقف المسجد بالرواق الشرقى وغير رخام الحجر الشريف من داخله وخارجه ورصصت الشقوق التى بين أحجار المطاف داخل البيت الشريف * وفى سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة أمر السلطان قايتباى

عبد الكريم ومن معه يطلبهم الى الشرع فركب الجماعة المذكورون الى الشريف عبد الكريم والتمسوا منه ذلك فقال سمعا وطاعة وبعث جماعة من كبار الاشراف منهم الشريف عبد المحسن ابن أحمد بن زيد وسليمان بن أحمد بن سعيد بن شنبر وأحمد بن هزاع وزين العابدين بن ابراهيم بن محمد ابن بركات وعبد الله بن حسن وغيرهم فدخلوا مكة ونزلوا على ايواز بيك فأخذوا ايواز بيك معهم ووصلوا الى القاضى واستدعوا الشريف سعيد افندى ومعه السيد أحمد بن حازم فصارت بينهم وبين الشريف سعيد مقاولة أنتجت زيادة الشقاق وأبعدت الاتفاق ثم انصرفوا والقلوب مشحونة والنفوس مغبونة غير مأمونة ثم ان السيد أحمد بن حازم والسيد سليمان بن أحمد حضرا فى اليوم الثانى مع جماعة من الاشراف فى بيت ايواز بيك لفصل الخصومة فتزايد الكلام حتى قرب وقوع الكلام وحصلت المباينة فانصرفوا على غير صفا والاشراف يطالبونه بالوفاء ثم ان الشريف سعيد اجتمع بالشريف عبد المحسن واتفق معه على انه يعطيهم ثلث المنكسر وعلى ان يسعوا له فى الثلث ويصبروا عليه فى الثلث الباقى فوافقت الاشراف على ذلك ورأوا أن هذا عين الصلاح فعقدوا المجلس لذلك الامر فى منزل السيد على بن أحمد بن باز باجياد ليلة التاسع عشر من ربيع الثانى فبينماهم كذلك عند السحر جاءهم الخبر ان الشريف عبد الكريم وصل طوى هو ومن معه من الاشراف فلما بلغ ذلك الشريف سعيد أرسل اليهم رسولا لبيت السيد على بن أحمد يقول لهم ما هذا بينى وبينكم وهذا عين الغدر فاعتذروا له بعدم علمهم بذلك ونحن نخرج اليه ونرده فانصرف الكل وخرجوا من طريق المسفلة وعرجوا على الطنبداوى مما يلى الشبيكة وأرادوا ان ينفذوا على طوى وأما الشريف عبد الكريم فانه لما وصل طوى وجد على جبالها جماعة من هذيل ووجد بعض مضارب وبها عسكر وعبيد للشريف سعيد فلما أقبل عليهم هربوا وتركوا منازلهم فنهبها العبيد وما فيها فبينماهم بطوى اذ خرج عليهم الشريف سعيد من الشيخ محمود فتلاقيا فانهزم الشريف عبد الكريم وامتنع الى جبال أبى لهب ثم كر بمن معه من الاشراف وغيرهم من جماعته على الشريف سعيد فانهزمت قومه ووقع فيهم القتل فقتل نحو الستين من جماعته ولما وصل الشريف عبد الكريم الطنبداوى وجد الشريف عبد المحسن بن أحمد ومعه الاشراف السابق ذكرهم فلم يعرج عليهم وسار خلف الشريف سعيد بمن معه من الاشراف حتى أوصله الى دار السعادة من السوق الصغير وكان معه نحو أربعين شريفا فأشاروا على الشريف سعيد بالخروج من المعلى وترك البلد فانها أخذت فلم يلتفت اليهم وعطف على سويقة وجاء بيت سرداد الانكشارية واستغاث بهم فأجابوه وخرجوا معه ودخلوا معه من المسجد على بيت ايواز بيك وعنده عسكر

وكيله وتاجره الخواجا شمس الدين محمد بن عمر الشهير بابن الزمن أن يشيد عمائر الامير سنقر الجمالى وان يحصل له موضعا مشرفا على الحرم الشريف ويبنى له مدرسة يدرس فيها علما المذاهب الاربعة ورباطا يسكنه الفقراء ويعمر له ربوعا ومسقفات يحصل منها ريع كثير يصرف منه على المدرسين وعلى الفقراء وأن يقرأ له ربعة فى كل يوم يحضرها القضاة الاربعة والمتصوفون ويقرر لهم وظائف ويعمل مكتبا للايتام وغير ذلك من جهات الخير فاستبدل رباط السدرة ورباط المراغى وكانا متصلين وكان الى جانب رباط المراغى دار للشريفة شمسية من شرائف بنى حسن اشتراها منها وهدم ذلك جميعه وجعل فيها اثنتين وسبعين خلوة ومجمعا كبيرا ومشرفا على الحرم الشريف وعلى المسعى الشريف ومكتبا ومأذنة وصير المجمع المذكور مدرسة بناها بالرخام الملون والسقف المذهب وقرر فيه أربعة مدرسين على المذاهب الاربعة وأربعين طالبا وأرسل خزانة كتب وقفها على طلبة العلم وجعل مقرها المدرسة المذكورة وجعل لها خازنا عين له مبلغا وقد استولت عليها أيدى المستعيرين وضيعوا منها جانبا كبيرا وبقى منها ثلثمائة مجلد وهو تحت تكلم مؤلف هذا الكتاب صنتها وكملت بعض مافات منها وجلدت منها مايحتاج الى التجليد واستخلصت بعض ماوجدته وأعدته الى الوقف صانه الله وجعل الواقف فى ذلك المجمع للقضاة الأربعة حضورا بعد العصر مع جماعة من الفقهاء يقرؤن له ثلاثين جزأ من القرآن وجعل فقيها يعلم أربعين صبيا من الايتام ورتب لكل واحد من الايتام وأهل الخلاوى مايكفيهم من القمح فى كل سنة وللمدرسين والمؤذنين وقراء الأجزاء مبالغ من الذهب تصرف لهم كل سنة وبنى عدة ربوع في ودور تغل فى كل عام نحو ألفى ذهب ووقف عليهم بمصر قرى وضياعا كثيرة تغل حبوبا كثيرة تحمل فى كل عام الى مكة وعمل من الخيرات العظيمة مالا يعلم ذلك السلطان قبله وذلك باق الى الآن الا أن الاكلة قد استولت على تلك الاوقاف فضعفت جدا وهى آئلة الى الخراب وصارت المدرسة سكنا لامراء الحاج أيام موسم الحاج وسكنا لغيرهم من الامراء اذا وصلوا الى مكة فى وسط السنة وصارت أوقافها مأكلة للنظار عمر الله من عمرها وأحيا من أحياها وكان الفراغ من بناء هذه المدرسة والرباط والبيتين أحدهما من ناحية باب السلام والثانى من ناحية باب الحريريين فى سنة أربع وثمانين وثمانمائة على يد الامير سنقر الجمالى رحمه الله تعالى

العرب وبقية البلكات فطلب منهم الخروج معه فامتنعوا فصاحوا على ايواز بيك وقالوا له انك موالس ثم خرجوا من باب ابراهيم على سوق الصغير فرموا الشريف عبد الكريم بالرصاص فظن ان جميع الاتراك خرجوا فترفع عنهم حتى خرج من الشبيكة وقد فرق قومه على الجبال فأشار اليهم بالنزول فنزلوا هاربين من طريق الزاهر ولحق به الشريف سعيد الى الزاهر فتناظروا هنالك وأخذ كل من صاحبه مهلة على قواعدهم ثم رجع الشريف سعيد الى داره وصوب ممن معه من الاشراف جماعة منهم السيد أحمد بن على بن أبى القاسم برصاصة ثم مات منها وأصيب السيد أحمد بن حازم برصاصة مات منها بعد أيام وأصيب من الاشراف الذين مع الشريف عبد الكريم أخوه السيد حامد بن محمد بن يعلى وأخوه بركات بن محمد بن يعلى والسيد شنبر بن جازان وشريف آخر من ذوى حراز الا ان اصابتهم غير مضرة بهم ورجع الشريف عبد الكريم الى دغيم وأقام هنالك الى ان وردت الى سليمان باشا الاخبار السارة بجدة ضمن كتب من صاحب مصر ومن بعض الصناجق ومضمونها انه ورد الى مصر المحروسة فى السابع والعشرين من جمادى الاولى محمد باش جاووش ومعه أربعة أوامر سلطانية أحدها بعزل أيوب بيك عن امارة الحج لما تحققنا ما حصل منه من الفساد وتولية غيطاس بيك امارة الحج والثانى بعزل الشريف سعيد وأنعمنا على الشريف عبد الكريم بشرافة مكة وان أمره برز سنة ألف ومائة وسبعة عشر والثالث انا ولينا ايواز باشا جدة ومرادنا وصول سليمان باشا الى حضرتنا والرابع انا أنعمنا على الشريف سعيد بسكنى مصر وأقطعناه بعض قدادين ورتبنا له كفايته من المصرف كل يوم ولم تزل الاخبار تقوى مع الواردين فى المراكب المصرية وتنتشر فى الناس وعند الاتراك والشريف سعيد غير معترف بذلك وكثر القيل والقال واستمر الشريف عبد الكريم ومن معه بالوادى الى ان بلغهم ان الشريف سعيدا أغرى أغاوات الانقشارية على ايواز بيك لاتهامه له ان له يدا مع الشريف عبد الكريم فصالوا عليه غفلة وحصروه فى بيته وأفهموا الشريف سعيدا ان ايواز بيك ورد اليه غرة جمادى الثانية ركائب من بدو عنزة بعثهم اليه بيرم باشا من طريق الشام يخبره ان السلطنة وصلت الينا منهم أخبار بأنهم أنعموا على الشريف عبد الكريم بشرافة مكة فلما وردت هذه الاخبار وعلم بها الشريف عبد الكريم حمى الطرق وأمر بكف الاشراف الذين معه عن النهب ولما تحقق سليمان باشا أمسك على ما بيده من مال البندر حتى يتعين صاحب الشرافة فكان هذا سبب تغير الشريف سعيد على ايواز بيك مع كونه فى الاصل هو السبب فى تأييد شرافته ودخوله مكة فحصره فى منزله ونهب أثاثا كان له فى دار السعادة واضطرب الامر بمكة وأبطلت خمس صلوات بالمسجد الحرام بموجب القتال

• وفي هذه السنة وردت أحكام السلطان قايتباي الى صاحب مكة يومئذ مولانا السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات بن حسن ابن عجلان رحمه الله تعالى يتضمن انه رأى مناما وان بعض المعبرين عبر له ذلك المنام بغسل البيت الشريف من داخله وخارجه وغسل المطاف وانه أمره ان يفعل ذلك فحضر مولانا السيد الشريف محمد بن بركات رحمه الله تعالى بنفسه وقاضي القضاة برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة وباشا الترك المراكز بمكة الامير قايتباي اليوسفي والامير سنقر الجمالي والدوادار الكبير الامير جاني بك نائب جدة المعمورة وبقية القضاة والاعيان بمكة وفاتح بيت الله الحرام عمر بن أبي راجح الشيبي والشيبيون والخدام وغسلوا الكعبة الشريفة من داخلها قدر قامة ومن خارجها قدر قامة وغسلوا أرض (١٥٣) الكعبة وسائر المطاف الشريف وطيبوها بالطيب وكان ذلك في يوم الخميس لثمان بقين من ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة

﴿فصل﴾ ومن أعظم ما وقع في أيام السلطان قايتباي من الامور الهائلة حرق المسجد الشريف النبوي ذكرناه استطرادا لانه أمر هائل عظيم

• وتفصيل ذلك ان في ثلث الليل الاخير من ليلة الاثنين ثالث عشر شهر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة طلع رئيس المؤذنين الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الى المأذنة الشرقية اليمانية في ركن المسجد الشريف المعروف بالرئيسية وهو يذكر ويمجد وكانت السماء متراكمة الغيوم متواترة النجوم اذ سمع رعدا هائلا وسقطت صاعقة لها لهب كالنار أصاب بعضها هلال المأذنة فانشق رأسها ومات الرئيس الى رحمة الله تعالى وسقط باقيها على سقف المسجد الشريف عند المأذنة فعلقت النار فيه ففتحت أبواب المسجد ونودي بالحريق في المسجد فحضر أمير المؤمنين يومئذ السيد قسطل بن زهير الجمالي وشيخ الحرم والقضاة وسائر الناس وصعدت أهل النجدة والقوة الى سطح المسجد بالمياه في القرب يسكبونها على النار لتطفأ فالتهبت وأخذت في جهة الشمال والمغرب وعجزوا عن اطفائها فهربوا واستولت النار عليهم فمات منهم فوق عشرة أنفس وعظمت النار جدا وأحاطت بجميع سقف المسجد الشريف وأحرقت ما في المسجد من المصاحف وخزائن الكتب والربعات وكانت كتبا نفيسة ومصاحف عظيمة وصار المسجد كبحر لجي من نار يرمي بشرر كالقصر الى ان استوعب الحريق جميع المسجد والقبة العليا التي فوق

في جوف المسجد وانحازت الستة بلكات الى ابواز بيك ولم يخرج عن طاعته الا الانقشارية ثم أجمع الانقشارية على الهجوم عليه في بيته وقتله ونهبه فحملوا أسلحتهم ونزلوا المسجد وأرسلوا الى الشريف سعيد وأخبروه فنزل بنفسه الى القاضي بجميع عسكره وعبيده وأرسل الى العرب من هذيل وغيرهم وأمرهم ان يقفوا على أبواب الحرم فلما خرج القاضي قالوا له ان لنا دعوى على ابواز بيك فاحضره لنا نتداعى على يدك فبعث اليه القاضي فأعاد الرسول وهو يقول أنا بعيني أشاهد الفتنة من منزلي وأعاين اجتماع العسكر وأمر الشرع مطاع غاية الامر امهلونا هذا اليوم لئلا تكبر الفتنة اذا جئت في ذلك المكان فاذا تفرقت العساكر حضرت أنا وخصمي عند القاضي ويحكم بما أراده الله تعالى فعرض القاضي مقاله على الشريف سعيد والحاضرين من العسكر الانقشارية فلم يقبلوا ذلك الا أن الشريف سعيدا صرف جنده وبقيت الانقشارية على حالهم فارسلوا اليه رسولا آخر الى ابواز بيك فقال لهم مادامت الانقشارية موجودة عندكم فالعذر واضح وليس لي قصد الا حقن الدماء بيننا وبينهم ولي قدرة على مكافأتهم ولكن ما في المهلة بأس فان الامر ما يحمل قتل المسلمين فحصل للشريف سعيد أنفة من هذا القول لعدم نفاذ مراده فاظهر للقاضي غلاظة وقامت الغوغاء من الانقشارية في المحكمة وارتفعت الاصوات وقالوا هذا عاصي الشرع فاكتب لنا حجة بعصيانه فامتنع القاضي فهجموا عليه يريدون قتله فهرب من كان هنالك من العلماء ولاقوا القاضي ولزوه بالايادي ورمى بعض الناس في جوف المحكمة بالبندق ارهابا له فلما رأى ذلك كتب لهم حجة بما في نفوسهم فعند ذلك خرج الشريف سعيد من المحكمة وأمر الانقشارية بالهجوم على ابواز بيك في بيته فسار بيرقهم من ممشى باب السلام على يسار المنبر قاصدين بيت ابواز بيك فلما وصلوا الى مقام المالكية بادر غلمانه الى البنادق وكمنوا خلف عواميد المسجد مما يلي بيت مولاهم فلما أقبلوا اطلعوا في وجوههم الرصاص فولوا هاربين الى أن دخلوا باب الزيادة واجتمعوا في زيادته وما حولها من البيوت والمدارس ولم يزل الحصار بينهم وأما الشريف سعيد فسلط على ابواز بيك عسكره وعبيده وبدوه من جهة عقد بشير فلما شعر بذلك أرسل جماعة من البلكات الى تلك الدور فترسوا هنالك ومنعوا ما حولهم من العبيد والعرب بالرصاص واستمر الرمي من البيوت والمدارس في جوف المسجد من الفريقين وابواز بيك ومن معه من البلكات محصورون في البيت ولم يزل الامر يتزايد حتى كثرت القتلى والجرحى في البيوت وخارجها وفي المسجد وسطح المسجد ومابين الاروقة وعزل السوق وأظلم الجو من دخان البارود وبقي الامر على هذا الى اليوم الثاني فالتمس الشريف سعيد من ابواز بيك الصلح وبعث الى القاضي بأمره بارسال جماعة من

قبة النبي صلى الله عليه وسلم وذاب الرصاص ولم يصل أثر النار الى جوف الحجرة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام
لسلامة القبة السفلى وعدم التأثير فيها مع ما سقط عليها مما هو أمثال الجبال وأحرقت حتى الحجارة الاساطين وسقط منها نحو مائة
وعشرين أسطوانة واحترق المنبر الشريف النبوي والصندوق الذي في المصلى الشريف والمقصورة التي حول الحجرة الشريفة
وقد سلمت الاساطين الملاصقة للحجرة الشريفة وسلم ما حول المسجد من البيوت وشوهد أشكال طيور بيض يحومون حول النار
كأنها تكفها عن بيوت جيران النبي صلى الله عليه وسلم مع وقوع بعض شرر النار فيها وعدم تأثيره فيها * قال مؤرخ المدينة وعالمها
ومفتيها مولانا السيد نور علي بن عبد الله  السمهودي رحمه الله بعد سوق هذه الحكاية بأبسط من هذا في كتابه خلاصة
الوفا بأخبار دار المصطفى
صلى الله عليه وسلم وفي
ذلك عبرة تامة وموعظة
عامة أبرزها الله تعالى
للانذار فخص بها حضرة
النذير الاعظم صلى الله
عليه وسلم وقد ثبت ان
أعمال أمته تعرض عليه
فلما ساءت الاعمال المعروضة
ناسب ذلك الانذار باظهار
المجازاة بها يوم العرض قال
الله تعالى وما نرسل بالآيات
الا تخويفا وقال تعالى ذلك
الذي يخوف الله به عباده
يا عباد فاتقون قال وشرعوا
في تنظيف المسجد ونقلوا
نقضه من مقدم المسجد
الى مؤخره للصلاة فيه
وعمل في ذلك أمير المدينة
وقضاتها وعامة أهلها حتى
النساء والصبيان تقربا
الى الله تعالى وبادروا
بارسال قاصد الى مصر
وعرضوا ذلك على السلطان
قايتباي رحمه الله تعالى
فتهول من هذا الحادث
العظيم وتوجه الى عمارة
المسجد الشريف وعرف نعمة الله عليه لتأهيله لهذا الشرف العظيم ورسم بابطال جميع العمائر
المكية وغيرها وان يتوجه شادها السيفي سنقر الجمالي مبادرا الى المدينة الشريفة وأرسل اليه نحوا من ثلثمائة من أرباب
الصنائع وكثيرا من الحمير والجمال والبغال وسائر مؤنهم ومبلغا من الخزانة نحو مائة ألف دينار وأكثر وجهز المؤن الكثيرة الى ان
امتلأت البنادر بها كالطور والينبع ونقلت الى المدينة الشريفة واستقبلوا العمارة بجد واجتهاد الى أن كملت عمارة المسجد
الشريف والقبة الشريفة والمآذن وفرغوا منها على هذا الوجه الذي هو عليه الآن في هذا الزمان وذكر السيد السمهودي رحمه
الله تعالى في تفصيل كتابه خلاصة الوفا فراجعه ان أردت احاطة العلم به وذكره بأبسط من ذلك في تاريخه الكبير الذي سماه وفاء

العلماء الى ايواز بيك يلتمس منه الكف فبعث اليه ان ذلك لا يكون الا ان كف هو جماعته واتفق
الامر على ارسال جماعة من رؤس البلكات حضروا عند القاضي فأمرهم القاضي بالسعي في الصلح
فسعوا في ذلك بعد التأبي الاعظم وهمدت الفتنة بعد ان نهب لايواز بيك ما يساوي مائة كيس من
القروش من الامتعة وغير ذلك وفي اليوم الثاني جمع القاضي بين ايواز بيك والشريف سعيد
عنده وأبان ايواز بيك حجته وذكر ما أخذ عليه فقال الشريف سعيد أرد كل ما قدرت عليه مما هو لك
وما لم أجده أعطيك ثمنه وقاما من عند القاضي وذهب كل الى بيته والله أعلم بما في نفوسهم

*(ورود أغاة القفطان بولاية الشريف عبد الكريم شرافة مكة)*

ثم لما كان يوم الاثنين ثامن عشر رجب ورد مكة خبر أغاة القفطان وصحبته الامر السلطاني بشرافة
مكة للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى وانه وصل الى جدة وان الوزير سليمان باشا أرسل
القفطان للشريف عبد الكريم وألبسه اياه ونادى له بجدة يوم السابع عشر من الشهر فلما وصل
هذا الخبر للشريف سعيد أجاب بان البلاد للسلطان ونحن خدم له فان كان الامر صحيحا فأنا مطيع
الامر وان كان بالزور والبهتان فما عندي غير السيف وكتب كتابا لسليمان باشا عليه خطوط من
معه من الاشراف وخطوط العلماء وأعيان الناس مضمونه ان الشريف سعيدا متول بامر
سلطاني ولا يعزل الا بمثله وأرسلوا الكتاب مع السيد مبارك بن حمود بن عبد الله بن حسن فتوجه الى
الباشا ورجع بالجواب الى الشريف سعيد يوم الجمعة ثاني شعبان وذكر له ان الشريف عبد الكريم
وجميع من معه من السادة الاشراف وأغاة القفطان وجماعة الباشا وصلوا جدة ثم أعقبه الخبر
انهم نزلوا وادي مر فارسل اليهم الشريف سعيد ليلة الاحد رابع شعبان سليمان جاووش
الانقشارية ومعه جاووش المتفرقة وجاووش الجاوشية ومعهم السيد جار الله بن صامل الى الوادي
بخطاب الى الشريف عبد الكريم وأغاة القفطان مضمونه ان يشرفوهم على الامر السلطاني
ليحيطوا به علما فخين وصلوا وسمع أغاة القفطان أحمد أغا كلام سليمان جاووش زجره بالسب واللعن
ومن جملة ما قاله له لولا أنك رسول لقطعت رأسك فرجعوا الى الشريف سعيد وكانوا وهم ذاهبون
الى الوادي واجههم خمسة من الاشراف متوجهون الى مكة ومعهم واحد من خدم أحمد أغا حامل
القفطان ومعهم صورة الامر السلطاني وهم لا يعرفون حقيقة حالهم فأتى الجميع ونزلوا على
ايواز بيك فأخذهم وتوجه بهم الى قاضي الشرع وسجلوا صورة الامر في المحكمة فلما بلغ الشريف
سعيد ذلك أرسل الى ايواز بيك يلومه على هذا الفعل ويخطئه في نزول هؤلاء الاشراف عنده
فاجابه ايواز بيك ان الامر السلطاني قد تحققناه وان البلاد صارت للشريف عبد الكريم وأما

هؤلاء

هؤلاء الاشراف فانهم يعرفون قواعدهم وهم يردون عن أنفسهم الجواب فارسل اليهم الشريف سعيد يأمرهم بالخروج من البلد وكرر عليهم الرسل بذلك فجلسوا عند الصنجق ايواز بيك ذلك اليوم وجعل لهم الغداء ثم بعد ذلك توجه منهم اثنان الى الشريف عبد الكريم يعرفانه بالواقع والثلاثة ذهبوا الى بيت السيد عبد المعين بن محمد بن جود وقالوا له يقول لك الشريف عبد الكريم تكون أنت القائم مقامه في البلد الى ان يصل فلما تحقق الشريف سعيد حقيقة الحال جمع عساكره وعربه وأفهمهم ان نيته الحرب وأرسل عربان هذيل وعتيبة الى جهة أبي لهب وبساتين العمرة وأمر صاحب الزيراب يدق وأظهر حركة المقاومة فلما كان قرب المغرب وصل المراسيل الذين أرسلهم ومن جملتهم سليمان أغا جاووش الانقشارية وكان يعتمد عليه في الصدق والخدمة فأخبره بجميع ما صار عليهم في الوادي وما وقع من أغاة القفطان وان الامر سلطاني صحيح ليس فيه شك ولا يختلف فيه أحد ففي ذلك الوقت أخرج نساءه ودبشهم من البيت وأرسل الجميع عند كريمته الشريفة سعدية فلما كان قرب التذكير ركب هو ومن معه من السادة الاشراف وأتباعه وتوجهوا الى العابدية فجاء السيد ظافر بن محمد ومعه شريف آخر الى الامير ايواز بك وأرسل معهما بعض مماليكه وعسكره ونادوا في ذلك الوقت في شوارع مكة البلاد بلاد الله وبلاد مولانا السلطان أحمد خان وبلاد مولانا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى وعسوا البلد بقية تلك الليلة وأصبح الناس يوم الاثنين والبلاد خالية

•(دخول الشريف عبد الكريم مكة متوليا امارتها وهى الولاية الثالثة له سنة ١١١٧)•

ولما كان يوم الثلاثاء سادس شهر شعبان المكرم دخل مولانا الشريف عبد الكريم متوليا مكة المشرفة بكرة النهار بالالاى الاعظم ومعه السادة الاشراف وسائر عساكر مصر وعسكر الوزير سليمان باشا عسكر الامير ايواز بيك وأغاة القفطان أحمد أغا باش جاووش الى ان وصلوا باب السلام ودخلوا المسجد الحرام وفتحت الكعبة فجاؤا الى الحطيم فوجدوا القاضي والمفتي والعلماء وأعيان الناس وسائر أرباب المناصب والوظائف كلا في محله على جاري عادته فألبس مولانا الشريف عبد الكريم القفطان السلطاني بالفرو السمور وألبس هو أغاة القفطان فروا سمورا وألبس كيخية سليمان باشا فروا سمورا وهكذا بقية أهل المناصب ألبس كلا ما هو المعتاد وقرئ الامر السلطاني وكان القارئ له الشيخ عباس المنوفي ومضمونه بعد المدح والثناء الوصية على السادة الاشراف وبقية الرعايا والحجاج والتجار والمجاورين والوافدين وانا قد عزلنا الشريف سعيدا عن شرافة مكة لموجب

---

الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمر السلطان قايتباي أن يبنى له رباطا ومدرسة ومأذنة حول المسجد الشريف فبنوا له مدرسة عظيمة ورباطا مشرفا على المسجد الشريف ما بين باب السلام وباب الرحمة وأرسل الى المدرسة خزانة كتب جليلة جعل مقرها المدرسة موقوفة على طلبة العلم الشريف وأرسل مصاحف كثيرة وكتبا لخزانة المسجد الشريف عوض ما احترق منها ووقف قرى كثيرة بمصر تحمل غلاتها الى جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفرق عليهم لكل شخص ما يكفيه من الحب بطول السنة فكان حصة كل نفر سبعة أرادب في العام مسوى في ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد وذلك الخير جار الى الآن وزاد عليه الآن سلاطين آل عثمان أكثر مما أوقفه السلطان قايتباي لمكة والمدينة جزى الله المحسنين خيرا وضاعف لهم ثوابا وأجرا

•(فصل)• في حج السلطان قايتباي • اعلم ان ملوك الجراكسة ما حج منهم أحد غير السلطان قايتباي لكثرة تمكنه في الملك وكثرة ما فعله من الآثار الجليلة في الحرمين الشريفين فاقام الامير الكبير يشبك الدوادار نائبا عنه بمصر وخرج الى الحج في سنة أربع وثمانين وثمانمائة قبل وقوع حريق المسجد الشريف النبوي بنحو عامين وكان أمير الحاج خوشقدم خرج بالمحمل الشريف وبركب الحاج المصري فخرج السلطان قايتباي بقصد الحج والزيارة بعد خروج ركب الحاج بثلاثة أيام ووصلت القصاد الى شريف مكة يومئذ سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي جمال الدين السيد محمد بن بركات بن حسن بن عجلان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان وكان من أخص المخصوصين به وصاحب الحل والعقد عنده قاضي القضاة شيخ الاسلام مولانا القاضي برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة القاضي الشافعي يومئذ بمكة طيب الله ثراه فتهيأ هو والسيد الشريف محمد بن بركات لملاقاة السلطان فان القصاد أخبروا انهم فارقوه من عقبة أيلة وهي نهاية الربع الاول من طريق الحج وأرسل مولانا السيد الشريف أحد قواده ليسبقه الى ملاقاة السلطان بسماط حلوى فوصل الى الحوراء ولاقى السلطان ومد له السماط الحلوى هنالك فجلس عليه السلطان بنفسه وأظهر غاية اللطف والمجابرة وأكل وقسم على أمرائه وعسكره وكان سماطا كبيرا جليلا •(ويحكى)• من لطافة السلطان قايتباي انه لما جلس على السماط تناول شيأ من الحلوى يقال له كل واشكر وأكل منه وسأل من الذي جاء بالسماط ايش اسم هذا عندكم

فقال له القائد هذا اسمه كل واشكر فقال له سلم على سيدك وقل له أكلنا وشكرنا ● ثم لما وصل السلطان الى الينبع عدل منه الى المدينة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه اليها وكان قد خرج الى ملاقاته سيدنا ومولانا السيد الشريف محمد بن بركات وولده السيد بن هيزع بن محمد ومولانا القاضي ابراهيم بن ظهيرة قاضي جدة فبلغهم في اثناء الطريق ان السلطان عدل الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فتوجهوا الى منزلة بدر وأقاموا به منتظرين عود السلطان من المدينة الشريفة * قال السيد السمهودي في تاريخه الكبير حج السلطان قايتباي في سنة أربع وثمانين وثمانمائة وبدأ بالمدينة النبوية لزيارة التربة المصطفوية على الحال بها أفضل الصلاة والسلام وقدمها طلوع الفجر من



يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة الحرام فلبس حولها حلل التواضع والخشوع وتحلى بما يجب لتلك الحضرة النبوية من الهيبة والخضوع فترجل عن فرسه عند باب سورها ومشى على أقدامه بين ربوعها ودورها حتى وقف بين يدي الجناب الرفيع الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم وناجاه بالتسليم وفاز من ذلك بالحظ الجسيم ثم ثنى بضجيعيه رضي الله عنهما بعد ان صلى بالروضة الشريفة التحية وعفر جبهته في ساحتها السنية وعرض عليه الدخول الى الحجرة الشريفة فتعاظم ذلك وقال لو أمكنني ان أقف أبعد من هذا الموقف وقفت فالجناب عظيم ومن ذا الذي يقوم بما يجب له من التعظيم ● ثم صلى الجمعة في الروضة الشريفة في الصف الاول بين فقراء الزوار والى جانبه امامه الشيخ الامام العالم العلامة برهان الدين بن الكركي ● ثم توجه لزيارة السيد حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ومن حوله من الصحابة وان الذين استشهدوا يوم أحد رضوان الله عليهم أجمعين فمشى مترجلا حتى خرج من باب المدينة ولم يزل ذلك دأبه ولم يركب بالمدينة تأدبا مع النبي صلى الله عليه وسلم وعاد من الزيارة وحضر صلاة الجمعة قال السيد السمهودي رحمه الله تعالى فبدأني السلطان بالملاطفة وسألني عن بعض المباحث فرأيت من تواضعه وحلمه وثقوب فهمه ما يفوق وصف الواصف فأنشدته بيتي التلخيص

كانت مساءلة الركبان تخبرني * عن أحمد بن سعيد طيب الخبر حتى التقينا فلا والله ما سمعت * أذني بأطيب مما قد رأى بصري

فطرب لهما جدا واجتمعت به قرب المغرب في الروضة ففاتحني بالكلام ورأى في المحراب النبوي مكتوبا قد نرى تقلب وجهك في

---

ما رفع الينا من عبد اعتابنا سليمان باشا بجميع ما صار في الحرمين الشريفين من الشريف سعيد من الشقاق وعدم الوفاق بينه وبين بني عمه السادة الاشراف وانا قد ولينا وأنعمنا على الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بشرافة مكة المشرفة على ما هو مسطور في مرسومنا العالي لموجب ما تحققنا ان الرعايا والسادة الاشراف راضون عنه والحذر من مخالفته والخروج عن طاعته وان يعمل كل بما هو مذكور في مرسومنا البادشاه المطاع في سائر البقاع على الوجه الشرعي من غير مخالفة ولا نزاع ثم طلع مصطفى أفندي ديوان كاتب وقرأ نفس الامر الوارد ثم بعد ذلك قرئت أوامر الصنجق ابواز بيك المتضمنة انا قد أنعمنا على ابواز بيك بولاية بندر جدة ومشيخة الحرم الشريف وألبس الصنجق القفطان السلطاني الوارد صحبة الاغاة وألبس هو أغاة القفطان فروا سمورا ثم ان مولانا الشريف توجه الى داره السعيدة وجلس للتهنئة فطلع اليه الناس وهنؤه وباركوا له بالشرافة ومدحه الادباء وهنؤه بالقصائد الفائقة ونودي له في البلد وبالزينة سبعة أيام وحصل بذلك السرور التام للخاص والعام وهذه الولاية الثالثة للشريف عبد الكريم وفي يوم الخميس ثامن شعبان أرسلوا الامر الوارد للشريف سعيد صحبة السيد خليل الله بن حمود وأبي نمي بن باز ومعهم كتخدا أغاة القفطان واثنان من صراتجة مصر فقصدوا الشريف سعيدا جهة الشرقية وقرؤه عليه ومضمونه انا قد عزلناك وولينا الشريف عبد الكريم وهيأنا لك ما يكفيك لعمرك كل يوم ألف ديواني وجميع ما تنفقه من مكة الى مصر المحروسة وما تحتاج اليه تعطاه من خزينتنا فلما فهم مضمون الامر ما استحسن ذلك وتوجه الى جهة اليمن هو ومن معه ورجع المراسيل من عنده وعرفوا الشريف عبد الكريم والصنجق وأغاة القفطان بالواقع ثم نزل الى جدة كتخدا ابواز بيك وتسلم البندر وطلع الى مكة سليمان باشا بحريه وفي ثاني عشر شعبان عقد مجلسا مولانا الشريف عبد الكريم جمع فيه السادة الاشراف وسليمان باشا وشيخ الحرم ابواز بيك وقاضي الشرع والمفتين والعلماء وأغاة القفطان وأغاوات العسكر وكثيرا من الناس فلما اجتمعوا تكلم مولانا الشريف مع السادة الاشراف وشرط عليهم شروطا فقال يا رفاق قد شاهدتم ما وقع من التعب والشقاق وعدم الوفاق حتى آل الامر الى الحرب والقتال وتعبنا نحن والرعايا وعمت الفتن وأصيب فيها الغني والفقير وذهب بسببها الاموال والرجال ومضى على هذا الحال زمن والكل منكم تحقق ما صار وشاهده بالعيان والموجب لهذا الشقاق كله زيادة المعاليم الخارجة عن المعتاد التي عجز عن تحصيلها العباد والبلاد فكل ملك يتولى يحصل بينكم وبينه التعب والمشقة بسبب المعلوم فالقصد منكم ان تنظروا في مدخول البلاد وتوزعوه أرباعا فثلاثة أرباعه تكون بينكم والربع لي ولجماعتي وعسكري ومهمات البلد

السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام فسألنى عن هذه الآية هل نزلت قبل المعراج أم بعده وكيف كان الاستقبال قبل نزولها فشرعت له فى الجواب فأقيمت الصلاة فى أثناء ذلك فصلينا فلما فرغ من الصلاة صلى ست ركعات بسكون وتأدب فلما انقضت الصلاة أقبل على طالبا للجواب فذكرت له ان نزولها بالمدينة وان فرض الصلاة كان بمكة ليلة المعراج وذكرت ما حكى فى تعدد نسخ القبلة وصلاته صلى الله عليه وسلم بين الركنين اليمانيين جاعلا الكعبة بينه و بين بيت المقدس الى غير ذلك من الفوائد وهو مصغ اليها متلذذا بسماعها واستمر بنا على ذلك حتى أقيمت صلاة العشاء فصلينا ثم عرضت عليه رفع بعض البدع من المدينة فأمر برفعها وطلبت منه رفع المكوس من المدينة فأمر بازالتها وجعل لامير المدينة فى مقابلة ذلك ألف اردب قررها له فى كل عام وفرق بالمدينة على فقرائها وفقهائها وعلمائها نحو ستة آلاف ذهب وحصل لى منه خير كثير واحسان جزيل ثم برز فى اليوم الثالث من المدينة الشريفة قاصدا حج بيت الله الحرام انتهى كلام السمهودى ملخصا قال العز ابن فهد فلما وصل الخبر الى بدر بعود السلطان و بروزه من المدينة الشريفة الى السيد الشريف محمد بن بركات ومن معه ركبوا من بدر لملاقاة السلطان فاجتمعوا به فى منزلة الصفراء وتلاقيا على ظهر الخيل وتصافحا ومشى السيد الشريف عن يمين السلطان والقاضى برهان الدين بن ظهيرة عن يساره وباقى من معهما سلموا على السلطان على بعد ومشوا أمامه وصار السلطان يلاطفهم و يسأل عن أحوالهم و يشكر مسعاهم و يطمن خواطرهم و يجابرهم بالمكالمة و ينصت لهم اذا تكلموا واستمروا كذلك الى أن وصل السلطان الى أوطاقه فرجعوا عنه الى مخيمهم ثم صاروا يسايرونه فى الطريق و يظهر كمال النشاط و يبدى لهم وافر الانبساط وألبسهم السلطان خلعا فاخرة مرارا عديدة وفارقوه من بدر وتقدموا على السلطان الى وادى مر الظهران ورتبوا هنالك سماطا حافلا جليلا للسلطان ولمن معه فلما كان صبح يوم الاحد مستهل ذى الحجة وصل السلطان مخيمه بالوادى ووجد السماط ممدودا فجلس السلطان ومن معه على السماط وأكل منه وأطعم وفرق على من معه من عسكره الخاص به وخلع على الخدام والانفار الذين مدوا السماط خلعا فاخرة متعددة جليلة ووصل بقية القضاة والخطباء والاعيان من مكة للسلام على السلطان فسلموا عليه وانصرفوا أمامه وركب السلطان ومعه شيخ

وان كان فيكم من يقدر على القيام والوفاء بالمعلوم الذى كان فى زمن الشريف سعيد والقيام به فليتقدم وأنا أنزل له عن الشرافة وأكون كواحد منكم وطلب منهم الجواب فانتدب السيد محمد ابن أحمد شيخ ذوى عبد الله وقال قد سمعتم ما قاله الشريف لكم فأجيبوه بما فى نفوسكم فأجابوا جميعا بقولهم رضينا بذلك فسجل القاضى ما سمعه من رضاهم فى المجلس وكتب عليهم بوجبه حجة شرعية ثم التفت اليهم الوزير سليمان باشا وقال لهم أنا متوجه الى الاعتاب العلية فاذا وصلت ان شاء الله بالسلامة اجتهدت لكم فيما يعود به النفع عليكم وانفض المجلس وفى غرة شهر رجب توجه الامير ايواز بيك الى حضرة الشريف وطلب انعقاد مجلس فاحضر له الشريف معظم من تقدم ذكرهم ثم ادعى ايواز بيك على الانقشارية بجميع ما وقع عليه من الحصار والنهب فى زمن الشريف سعيد وأثبت ذلك عليهم وكتب حجة بعصيانهم ثم انهم خافوا العقاب من السلطنة فدخلوا على حضرة الشريف والقاضى وطلبوا العفو من الصنجق فعفا عنهم وفى رابع عشر رمضان أمر الشريف بشنق أحد عشر رجلا من هذيل من بنى مسعود فعلقوا خمسة فى سوق الصغير واثنين فى المسعى عند البزابيز واثنين فى المدعى واثنين فى سوق المعلى والسبب فى شنقهم انهم تعرضوا المورق لولا نا الشريف فى طريق جدة بالمحل المعروف بأبى الدود فأخذوه وصوبوه فرجع المورق وأخبر بما صار عليه فارسل الشريف خيلا وأرسل معهم السيد عبد الله بن بركات فأخذوا أثرهم وقصوا جرتهم الى ان وصلوا الى مراح هؤلاء المشنوقين فادركوهم هنالك وتراموا معهم بالبندق ثم ظفروا بهم وامسكوا منهم هؤلاء الاحد عشر ومابقى منهم فر الى الجبال وفى ثامن شوال نزل ايواز بيك الى جدة وفى النصف من شوال وردت أخبار من اليمن بان الشريف سعيدا وصل القنفذة وتعرض لبعض الجلاب الواصلة من اليمن وأخذ ما فيها وانه اجتمع معه من العربان نحو خمسة آلاف مقاتل وقصده يدخل بهم مكة فلما بلغ الشريف عبد الكريم ذلك شرع فى جمع القبائل وأرسل اليهم بعض الاشراف يأتيه بهم فاجتمع عنده من كل قبيلة خلق كثير ثم ذهب بنفسه عند القاضى وجمع المفتين و بعض العلماء وأغاوات العسكر وقال لهم تحيطون علما ان الشريف سعيدا جمع أشقياء العرب المفسدين البغاة وقصده أن يدخل بهم مكة بلاد السلطان و يحاربنا فما تقولون فاجابوا جميعهم نحن تحت الطاعة للسلطان وتحت أمرك وقد كنا عند الوزير سليمان باشا وأخبرنا بمثل هذا فأجبنا بالسمع والطاعة وليس فينا من يخرج عن الامر فقال لهم الشريف ان قصدى اقامة أحد اخوانى بمكة فتكونوا جميعا تحت طاعته فتحفظوا أنفسكم ومن يلوذ بكم من الفساد وتجتهدوا فى محافظة العباد والبلاد وأنا خارج لمقابلته خارج البلد فأجابوا جميعا نحن فى خدمتك وتحت أمرك

ولم يختل عليه شئ من أمر المملكة مع غيبته عن تخت مصر مدة سفره الى الحج وعوده اليها وهى نحو ثلاثة أشهر وذلك لاتقانه أمر الملك وتدربه فيه وضبطه رحمه الله تعالى * وكان واسطة عقد ملوك الجراكسة وأقربهم الى قلوب الرعية فى اللطف والمؤانسة وأجلهم جمالا واجلالا وأحسنهم احسانا وأفضلهم افضالا وأكملهم عقلا ونبلا واعتدالا وأكثرهم فى جهات الخير آثارا وأوفرهم عمائر وأوقافا وأدوارا وأطولهم طولا وزمانا وأكملهم ملكا وقوة وامكانا وكانت أيامه كالطراز المذهب ودولته تجلى كالعروس فى حلل الجوهر والذهب وعاشت الرعية فى أيامه عيشا رغدا وظهرت العلماء فى أيامه وغدوا أقمارا ونجوم الهدى الى ان انتبه له الزمان الجائر واستيقظت له صروف الليالى والجدود العواثر ودارت عليه كما دارت على من قبله الدوائر وهذا شأن الدنيا الدنية فى أبنائها الاصاغر والاكابر ودأبها فى السلاطين والملوك الغوابر والبقاء والدوام لله عز وجل القدير القاهر فقدم على قايتباى بريد أجله وما أغنى عنه ما جمعه من خيله وخوله فأقدم على ما قدم من صالح عمله وترك ما خوله من متاع الدنيا وراء ظهره وأدرج فى أكفان أعماله بعد ما غسل بدموع فقره وأنزل من سرير الملك الى التابوت الى قبره وقدم على رب كريم ووقف بين يدى ملك الملوك الحكيم الحليم

اذا أمسى فراشى من تراب
وصرت مجاور الرمس الرميم
فهنونى أصحابى وقولوا
لك البشرى قدمت على كريم

فكان انتقاله رحمه الله تعالى فى أواخر يوم الأحد لثلاث بقين من ذى القعدة الحرام سنة احدى وتسعمائة وصلى عليه يوم الاثنين ودفن بتربته بالصحراء التى بناها فى حياته فى غاية الحسن والزينة وبها مساكن للقراء وأوقاف دارة عليهم الى الآن ليس بمصر أحسن تربة منها وصلى عليه بعد ذلك صلاة الغائب بالمساجد الثلاثة وكان له مشهد عظيم لم يعهد لملك قبله وكانت مدة سلطنته ثلاثين سنة الا ثمانية أشهر ولم يملك أحد من ملوك الجراكسة قدر مدة ملكه رحمه الله تعالى ﴿وولى بعده الملك ولده الملك الناصر أبو السعادات محمد﴾ وكان شابا يغلب عليه الجنون والسفه وما كان له التفات الى الملك والى السلطنة بل غلب عليه اللهو واللعب والحركات المستبشعة * يحكى عنه أمور قبيحة * منها انه كان اذا سمع بامرأة حسناء هجم عليها وقطع دائر فرجها ونظمه

وأميره سليمان باشا الذى كان متوليا جدة فخرج مولانا الشريف للقائه على المعتاد ولبس الخلعة وحج بالناس ولما كان يوم عرفة حصل بين المحملين مشاجرة فى التقدم عند النفر أوجبت المراماة بالرصاص مع ان القانون القديم ان التقدم لمحمل الحاج المصرى ثم لما رأى حضرة الشريف ما وقع أرسل بعض الاشراف الى الامراء لتسكين الفتنة لحفظ الحجاج وتخلف هو عن وقت نفره المعتاد الى العشاء الى أن سكنت الفتنة وشد الحاج كله ولم يبق أحد من أهل مكة وغيرهم فجزاه الله عن المسلمين خيرا وأرسل مولانا الشريف هذه السنة هدية سنية للسلطنة العلية صحبة يوسف آغا شيخ القراء وتوجه مع الحج المصرى ودخلت سنة ألف ومائة وتسع عشرة وفى ثامن عشر جمادى الآخرة دخل الشريف سعيد الطائف ضحوة النهار وطلب الضيفة من أهلها فجمعوا له شيأ وقدموه له وقبض على جماعة من أهل الطائف وأهل مكة وأخذ منهم جانبا من المال فبلغ الشريف عبد الكريم ذلك فجهز الشريف عبد الكريم للتوجه اليه واخراجه من الطائف وتأخر خروجه من مكة الى شعبان لامور عرضت له أوجبت التأخير فلما وصل فى شعبان الى الطائف وجد الشريف سعيدا قد خرج منها وفى هذه السنة عرض مولانا الشريف عبد الكريم للسلطنة العلية فى شأن السيد يحيى بن بركات واستأذنهم فى أنه يسكن مكة بدلا عن الشام فاجيب الى ذلك فوصل الشريف يحيى بن بركات مكة فى رمضان ومعه يوسف أغا الذى توجه بالهدية من مولانا الشريف عبد الكريم ومعهم اغاة القفطان الوارد هذه السنة أيضا بخلعة ومرسوم سلطانى وسيف مرصع فدخل مكة مع الشريف يحيى فى الاى أعظم ودخل السيد يحيى بن بركات فى زى الاروام بالقاووق على رأسه فذهب للسلام عليه الخاص والعام وقابلهم بالمقابلة الحسنة اللائقة بمثله وأنزل كلا منزله فشكروه على ذلك وكان مولانا الشريف عبد الكريم حين وصولهم بالطائف وصل فى شوال وبعد وصوله قرأ المرسوم الذى جاء به الاغاة ولبس القفطان وتقلد السيف المرصع وفى يوم السبت رابع ذى القعدة اجتمع السيد يحيى بن بركات وشيخ الحرم ايوازبيك وقاضى الشرع وأصحاب الادراك من السبع بلكات وبرزوا الى الاسواق والازقة وشرعوا فى هدم الدكك التى قدام الدكاكين والبيوت وأزالوا الزوائد من الاشرعة والظلل والمباسط التى فى الطرق والاسواق واستمروا على ذلك ثلاثة أيام فحصل بذلك غاية السعة فى جميع الاماكن ولما وردت الحجوج خرج الشريف لملاقاتها على المعتاد ولبس الخلعة وحج بالناس فى أمن وأمان ثم سافرت الحجوج على المعتاد وفى هذه السنة أيضا أرسل مولانا الشريف هدية سنية للسلطنة العلية ودخلت سنة ألف ومائة وعشرين وفى شهر صفر جاء خبر لمولانا الشريف أن الشريف سعيدا وصل الى الحسينية ونزل على الشريف مبارك بن أحمد بن زيد فاراد

الشريف

الشريف عبد الكريم أن يركب عليه بعسكره فارسل الشريف سعيد يطلب مهلة خمسة عشر يوما فاعطاه المهلة وبعد تمامها توجه الى اليمن وكان جماعة من الاشراف تنافروا مع الشريف عبد الكريم فخرجوا مغاضبين وانضموا الى الشريف سعيد وصادفوا حمولا من البن واصلة من اليمن فاخذوها فارسل خلفهم جماعة من الاشراف والعسكر ثم لحقهم بنفسه فلما قربوا منهم دفنوا بعض البن وأطلقوا في بعضه النار وأخذوا البعض وأودعوا البعض وتركوا البعض الذي عجزوا عنه وفر بعضهم الى الخواة وبعضهم الى ديرة بني سليم فلما جاء جماعة الشريف أخرجوا ما دفنوه وأخذوا ما وجدوه ورجعوا وفي أواخر شهر جمادى الآخرة جاءت الاخبار بان الشريف سعيدا جمع جموعا وقصده مكة ثم في رجب جاء الخبر بانه دخل بجموعه دوقة فأخذ الشريف عبد الكريم يتجهز للقائه وأرسل في طلب القبائل فجاء كثير منهم فتوجه بهم الشريف عبد الكريم مع العساكر الى الحسينية في شعبان فلما بلغ قوم الشريف سعيد أن الشريف عبد الكريم خرج لهم في قوة عظيمة تفرقوا عنه بعد ان وصلوا الى العابدية ثم سعت الاشراف بينهم وأخذوا له مهلة وجعلوا له في كل شهر ثلاثمائة أحمر وشرطوا عليه أن يسكن بيشة فوافق على ذلك وبعد أيام أرسل له الشريف عبد الكريم يقول له ارحل على الشرط الواقع فاعتذر وتوقف فانقضى ذلك المعين ولم يتم واستمر الشريف سعيد في العابدية الى دخول رمضان فصام هنالك وأرسل الى مكة وطلب بعض أهله فصاموا عنده وعيد في العابدية وجاء في هذه السنة أيضا أغاة القفطان سلخ رمضان ومعه مرسوم وسيف مرصع فقرئ وفعل كل ما جرت به العادة وفي المرسوم كلام كثير مع غاية التلطف في الخطاب للشريف عبد الكريم والاجلال والتعظيم ومما ذكر في المرسوم الحث على ابعاد الشريف سعيد عن سائر أطراف الحجاز الى أن قيل فيه خطابا للشريف عبد الكريم ولتكن كراكب الكميت المتمكن من صرعه يديره حيث شاء وتستجلبوا التأخير الدعاء فارسل للشريف سعيد بانك ترحل من العابدية ومن هذه الجهات وأطراف الحجاز فان حضرة السلطان آمر بذلك فرحل الشريف سعيد هو وأتباعه وتوجه الى اليمن ثاني شهر ذي القعدة وتعرض لقافلة جهة الليث فأخذها وفي هذه السنة عزل ايواز بيك من جدة وتولى محمد باشا وتولى امارة الحج الشامي نصوح باشا ولما جاء الحج خرج الشريف لملاقاته على العادة ولبس الخلعة وحج بالناس وتوجهت الحجوج بالسلامة

•(دخول سنة ١١٢١)•

ودخلت سنة ألف ومائة واحدى وعشرين وفي شهر ربيع الاول توجه الشريف عبد الكريم الى المبعوث ومكث فيه الى أن دخل شهر جمادى الآخرة وفي خامسه دخل الطائف بالنوبة والعساكر

في خيط أعده لنظم فروج النساء • ومنها ان والدته كانت من أعقل النساء وأجلهن هيأت له جارية جميلة جدا وجمعتها به في بيت مزين أعدته لهما فدخل بها وغلق الباب على نفسه وعليها وربطها وشرع يسلخ جلدها عنها كالجلادين وهي حية فلما سمعوا صوتها وبكاءها أرادوا الهجوم عليه فما أمكنهم لانه غلق الباب من داخل فاستمر كذلك الى أن سلخها وحشى جلدها بالثياب وخرج يظهر لهم استاذيته في السلخ وان الجلادين يعجزون عن كماله في صنعته • ومنها انه مر وهو في موكبه بدكان حلواني يبيع الحلاوة وبسطته قدامه فأقامه من دكانه وجلس مكانه يبيع الحلاوة ودار حوله امراؤه يشترون منه وأخذ بيده الميزان وصار يزن لهم الحلاوة الى أن جبرت وكان له حركات من هذه الخرافات منها ما يضحك ومنها ما يبكي الى أن سقط من أعين العسكر وسطوا عليه كما سطا بالحسام الابتر وسلخوه كما سلخ تلك الضعيفة بالخنجر ومزقوه كل ممزق ولعذاب الآخرة أكبر فمن غروره انه خرج مستخفيا منفردا عن عبيده وخدمه متباعدا عن خوله وحشمه فتوجه يمشي وحده الى بر الجيزة فأكمن له عشرة أنفس من مماليك أبيه في خيمة على ممره فلما وصل اليهم وكان وحده منفردا خرجوا عليه من الخيمة ومسكوا لجام فرسه وضربوه بالسيوف الى أن قطعوه وجاؤا به مقتولا الى القاهرة ودفنوه في تربة أبيه في سنة أربع وتسعمائة ﴿ثم ولوا بعده خاله الظاهر قانصوه﴾ وهو خال الناصر محمد بن قايتباي كان سازجا أميا لا يعرف الا بلسان الجركس قريب العهد ببلده لان السلطان قايتباي جلبه من بلاده وهو كبير وخطه



الشيب وصار برقيه بواسطة زوجته خوند ادم الناصر فبذلت له الأموال والخزائن وأرادت اقامته مقام ولدها الناصر وأرادت تقويته واقامته واصلاحه • ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر • فما استكمله الجند للايالة وما أهلوه للسلطنة وكيف له بها وأنى له فخلعوه بعد أن ساسهم سنة وسبعة أشهر وأخرجوه من الملك في أواخر سنة خمس وتسعمائة ﴿وولى بعده أمير كبير يسمى جان بلاط وتلقب الملك الاشرف جان بلاط﴾ في أوائل سنة ست وتسعمائة وما تهنأ بالسلطنة ولا وافقه أحد عليها وخلع بعد ستة أشهر ﴿وولى مكانه الملك العادل طومان باي﴾ وما استكمل يوما واحدا بل هجم عليه العسكر وقتلوه فما قدم أحد على السلطنة وكانت الامراء متوفرة وكلهم يشير بعضهم الى بعض في الجلوس على تخت الملك فاتفقوا على أن يولوا

قانصوه الغوري لانهم رأوه لين العريكة سهل الازالة أي وقت أرادوا ازالته أزالوه لانه كان أقلهم مالا وأضعفهم جاها وأوهنهم قوة فأشاروا عليه أن يتقدم فأبى فألزموه بذلك فقال أقبل ذلك منكم بشرط أن لا تقتلوني واذا أردتم خلعي من السلطنة أخبروني بما تريدون وأنا أوافقكم على ذلك وأترك لكم الملك وأمضي حيث أريد فعاهدوه على ذلك فقبل منهم وولوه السلطنة ولقبوه ﴿السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري﴾ في سنة ست وتسعمائة وفرح العسكر بولايته لانهم سئموا تعدد السلاطين وسرعة تقضي ملكهم بل فرح العامة وأمنوا على أنفسهم وأموالهم في الجملة وكان قانصوه الغوري كثير الدهاء ذا رأي وفطنة وتيقظ الا أنه كان شديد الطمع كثير الظلم والعسف بخيلا محبا للعمارة ﴿ومن جملة عماراته الجامع والتربة﴾ بين القصرين بمصر وكان في نيته أن يدفن بها ووقف عليها أوقافا كثيرة وماقدر له دفنه فيها بل ذهب تحت سنابك الخيل وما عرف وماتدري نفس بأي أرض تموت * وله آثار جميلة في طريق الحج في عقبة أيلة ومآثر بمكة المشرفة وغيرها وكان يحفظ حرمته على الامراء بالدربة والتنزل من غير تشديد عليهم ولا اظهار عظمة أونهي وذلك في ابتداء أمره الى أن تمكن من قوته وبأسه * حكى شيخنا شهاب الدين أحمد بن موسى بن عبد الغفار المغربي الاصل ثم المصري نزيل الحرمين الشريفين وهو ممن أخذنا عنه رحمه الله تعالى عن والده وكان من المباشرين أرباب الاقلام من ديوان السلطان قانصوه الغوري رحمهما الله تعالى قال اشتم الغوري مبادي فتنة أراد الامراء احداثها وأرادوا أن يجعلوها مقدمة لخلعه من السلطنة فلما استشعر الغوري ذلك منهم عمل ديوانا جمع فيه الامراء والمقدمين وأمرهم بالجلوس وجلس بينهم كأحدهم وكانت عادة الامراء والمقدمين الوقوف بين يدي السلطان ولا يجلسون معه الا على السماط في الاكل فقط فلما أجلسهم وجلس بينهم استنكروا ذلك منه وصاروا يتفقدون عن سبب ذلك وكل مصغ الى مايقول متوجه للسلطان غاية التوجه فقال يا أغوات جمعتكم لاسألكم سؤالا خطر لي وأطلب جوابه على الوجه الذي ترونه صوابا فقالوا نعم فقال أسألكم عن جماعة جاؤا الى رجل وناولوه صرة من الدراهم مربوطة مختومة وأودعوها عنده فقال انما استودع منكم هذه الوديعة بشرط ان تأتوني وتطلبوا وديعتكم مني بلا نزاع ولا خصومة فأرد وديعتكم اليكم فقالوا له نعم قبلنا منك هذا وقالوا

ثم بعد أيام رجع الى المبعوث واستمر الى شعبان ثم رحل الى صلبة وغزا قبيلة مطير وأخذهم أخذة عظيمة ورجع الى مكة تاسع عشر رمضان وفي الخامس والعشرين من رمضان توفي محمد باشا صاحب جدة الذي جاء بدلا عن ايواز بيك وأقام مولانا الشريف مقامه خزندار الباشا وصهره الى أن يجيء بدله ثم جاء في شهر جمادى الآخرة من السنة الآتية ابراهيم باشا متوليا على جدة وفي شوال من سنة احدى وعشرين جاء الى الشريف مكتوب من الصدر الاعظم مضمونه ان نصوحا باشا أرسل الينا مكتوبا يشكو منكم نوع تقصير وعدم ملاطفة فاستغربنا ذلك منه لعلمنا بحسن سيرتكم وصفاء طويتكم فالمأمول أن تزيلوا ماهنالك على فرض وقوعه وتبدلوه بحسن الملاطفة والمؤانسة كما هو المعروف في صدق محبتكم وخلوص مودتكم وشاع بين الناس أن نصوحا باشا عرض في الشريف عبد الكريم يشكو منه وانه برز اليه أمر بالتفويض فحزم الشريف أمره وجمع العربان واعتد لمدافعته فلما جاء الحج خرج لملاقاته على المعتاد ولبس الخلعة ولم يحصل شئ وحج بالناس على المعتاد ولم يحصل شئ لله الحمد ورجعت الحجوج

•(دخول سنة ١١٢٢)•

ودخلت سنة ألف ومائة واثنتين وعشرين وفي آخر شعبان تفرق جماعة من السادة الاشراف من ذوي مسعود وذوي عمرو وذوي عبد الله وذوي جازان والتموا على الشريف سعيد وتعرضوا الثلاثة من الجلاب الواصلة من اليمن ثم جمعوا جموعا وقصدوا مكة مع الشريف سعيد فتجهز الشريف عبد الكريم لملاقاتهم والتقوا في شهر ذي القعدة عند المفجر ووقع بينهم قتال عظيم ثم انهزموا ورجع الشريف عبد الكريم الى مكة وتوسط بعض الاشراف فأصلح بعض المغاضبين وأدخلهم في الطاعة ووصل الحج فخرج لملاقاته ولبس الخلعة على المعتاد وحج بالناس في أمن وأمان الا أنه حصل بين الشريف عبد الكريم ونصوح باشا منافرة سببها ان حمزة أمير جج الحسا عليه لبعض السادة الاشراف دراهم بحسب العوائد القديمة فنوى في هذه السنة عدم اعطائها فوصل الى نصوح باشا ودخل عليه وأراد المشي في صحبته فأرسل الباشا خيلا وعسكرا من جماعته الى بيت الامير حمزة لاخذ كراره وحمله فبلغ الاشراف ذلك فتوجهوا الى الشريف وأخبروه بالواقع فاستغرب من الباشا هذا الفعل وأرسل اليه يعرفه بالعوائد والقوانين وان هذا الرجل جاء بصحبة حج الحسا ماهو من حجاجك الذين جاؤا بصحبتك وعليه دراهم عوائد لبعض الاشراف فما التفت الباشا الى هذا الكلام وأعاد الجواب الى الشريف بكلام أنفت نفسه منه فاوقف الشريف القاضي والباشا صاحب جدة وأمير الحاج المصري وأغاوات السبع بلكات على كلام نصوح باشا فكلهم صار يلوم نصوح باشا

الشرط وأودعوه ومضوا ثم عادوا اليه بعد مدة وقالوا نطلب الوديعة بنزاع شديد ومخاصمة ومضاربة فقال لهم هذه وديعتكم حاضرة خذوها بلا نزاع وضراب معي كما اشترطت عليكم فقالوا لا بد لنا معك من الخصام والنزاع فأيهم على الباطل وأنهم على الحق ففهموا مراده واستعفوا منه فقال لهم أنا ما جلست معكم الا لتعلموا انى كأحدكم لا أمتاز عنكم بشئ وهذه السلطنة أسلمها الى من أراد ولا أنازعكم فيها ولا أخاصمكم عليها وانما أنا واحد من الجند فقبل كل واحد منهم يده وأذعنوا له بالسلطنة وسألوه في استمراره سلطانا عليهم وسكنت الفتنة بهذا التدبير وغفلوا عنه مدة واشتغلوا عنه بضرورات أخرى وطال معه الحبل الى أن صار يأخذهم واحدا بعد واحد ويتغافل ثم يجعل حيلة أخرى وعلة أخرى لاحدهم فيأخذهم بها ويوقع بين الاثنين ويأخذ هذا بذاك ويأخذ ذاك بهذا ويدسس لهم الدسائس من السم في الطعام ونحوه حتى أفنى قوانصهم ودهاتهم وأعد عددا وعددا فصاروا يظلمون الناس ظلما ويعاملون الخلق عسفا وغشما وصار يغضي عنهم ويتغاضى لهم فأظهروا الفساد وأهلكوا العباد وأكثروا العناد وطغوا في البلاد وصار هو يصادر الناس ويأخذ أموالهم بالقهر والبأس وكثرت العوانية في أيامه لكثرة ما يصغي اليهم وصاروا اذا شاهدوا أحدا توسع في دنياه وأظهر التجمل في ملبسه أو مثواه وشوا به الى السلطان فيرسل اليه الاعوان ويطالبه بالقرض ويستصفي أمواله ويسلمه الى المسو باشى ليأخذ ماله ويهلك أهله وعياله ويعذبه بانواع السجون الى أن يصير فقيرا بعد غناه ومعدما بعد ثروته واستغناه وجمع من هذا الباب أموالا عظيمة وخزائن واسعة جسيمة ذهبت في آخر الامر سدى وتفرقت بيد العدا وتمزقت بددا وهكذا كل مال يؤخذ على هذا الاسلوب ويجمع بهذا الطريق المنكوب لا ينفع من جمعه بل يضر صاحبه ويهلك ما معه وهيهات ان ينفع مال حصل بانين كل حزين وسلب بالقهر والعسر من كل محتاج مسكين وكيف ينفع سالبه وما نفع صاحبه وكيف يتهنأ به من اكتسبه على هذا الوجه وأبكى كاسبه • سيخرب يوما أهله وأقاربه • الا ان مالا كان من غير حله • وأما الميراث فبطل في أيامه وصار اذا مات أحد يؤخذ ماله جميعه للسلطنة ويترك أولاده فقراء الا ان اعتنى به اعتناء كبيرا جعل له نزرا يسيرا من مال أبيه وأخذ لنفسه باقيه واشتد طمعه وكثر ظلمه في آخر أيامه فاستجاب الله فيه دعاء المظلومين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله

وقالوا له لا سبيل لك الى هذا فمنع الشريف من نفاذ أحكامه في بلده واعتد الشريف لمدافعته فلما رأى عزم الشريف وشدة بأسه بادر بالارتحال فتركه الشريف وأعرض عنه واستحسن كتابة محضر في نصوح باشا على لسان السادة الاشراف ومحضر من أهالي مكة ومحضر من صاحب جدة فكتبت المحاضر ومضمون الجميع شكوى نصوح باشا ورفع أفعاله الى الدولة بجميع ما سلكه في الحرمين وأرسل المحاضر مع هدية سنية صحبة رجل من الاروام وجاءت أخبار بان عربان حرب جمعوا جموعا كثيرة وقعد والنصوح باشا في جبال الخيف فأرسل جماعة من عسكره يكشفون له خبرهم فالتقوا بالقوم ووقع بينهم قتال وقتل غالب العسكر الذين أرسلهم فاشتد عليه الكرب ثم دفع لمبارك بن مضيان شيخ حرب خمسة وعشرين كيسا فأرسل مبارك بن مضيان الى العرب وفرق عليهم الدراهم وتعاهد معهم على الكف عن القتال وأرسل للباشا حال يصل اليك رسولي ارحل بالحج لان العرب جمعتهم عندي وفرقت عليهم الدراهم فعند ذلك رحل الباشا بخزنته وصحبته أكابر الحج وأتباع الدولة وتأخر كثير من الحجاج وكان بعض العرب وهم عوف استقلوا ما أعطاهم الشيخ مبارك من الدراهم لكثرتهم فحصل بينه وبينهم موافقة ثم نكثوا عليه ولحقوا الحجاج الذين تخلفوا وأخذوهم عن آخرهم وحصل بذلك غاية المصيبة على المسلمين فانا لله وانا اليه راجعون وحصل للشريف عبد الكريم والمسلمين غاية الغم لما بلغهم الخبر وأرسل لمبارك بن مضيان يقبح فعله ويتهدده ويعرفه ان سيف السلطان طويل وأما نصوح باشا فانه لما وصل المدينة طلب من أهل المدينة محضرا مضمونه ان جميع ما صار على الحجاج من نهب وتعب فكله بأمر من الشريف عبد الكريم فما وافقوه على ذلك وقالوا ما عندنا علم بذلك فكيف نكتب شيأ ما شهدناه فلما أيس من ذلك تكلم في شيخ الحرم وزربه ونسبه الى الواس مع الشريف عبد الكريم وحرب وجمع أكابر الحجاج وقاضي المدينة المتوجه صحبته وأمين الصرة وكتب حجة مضمونها ان الشريف عبد الكريم أرسل اخوانه الى عرب حرب وأمرهم بقتل الباشا ونهب الحجاج وانا رأينا اخوان الشريف بأعيننا يقاتلون مع عرب حرب وكتب فيها جميع ما أراد ومن توقف عن الشهادة أرضاه وكتب من عنده ما أراد وأرسل الجميع صحبة الحجة الى الدولة من اثناء الطريق وأرسل صحبتهم كخيته

•(دخول سنة ١١٢٣)•

وكان ذلك كله في شهر محرم الحرام افتتاح سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف وفي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة جاءت أخبار من المدينة المنورة بأن السلطنة العلية أمرت بتوجيه شرافة مكة للشريف سعيد وورد اليهم صورة الامر الصادر من الدولة العلية ومعه

فى بحر الهند وكان مبادى ظهورهم وأمره بدفع الفتن الواقعة اذ ذاك فى جدة وجعلها له اقطاعا فلما وصل الامير حسين الكردى الى جدة بنى عليها سورا فى سنة سبع عشرة وتسعمائة وهو الباقى الى الآن وكان ظلوما غشوما يسفك الدماء ولا يرحم من فى الأرض ليرحمه من فى السماء فاذا خيم أوطاقه فى سفر أو حضر رتب حوله أعوانه وجنوده ترتيبا خاصا للارهاب من حضر ونصب أعوادا للصلب والشق والشنكلة وأقام جلادين للقتل والتوسيط والضرب والبهدلة فأى مسكين وقع فى يده قتله بأدنى سبب أو عذبه بالمقارع أو صلب اظهارا للناموس الفرعونى المهيب واخافة للخلق بالسياسة والترهيب كما يحكى ان الحجاج دخل بلدة فصادف انسانا عند دخوله فأمسكه وأمر بضربه فقال له بأى ذنب تضربنى بسببه فقال أريد ارهاب أهل البلاد فحملنى بنفسك ساعة فضربه خمسمائة سوط ثم أطلقه • وكانت للامير حسين المذكور اسمطة ممدودة فى سائر الايام وكان أكولا بذولا للطعام سمحا فى المؤاكلة والاطعام يستوفى الخروف وحده مع أرغفة عدة ونفائس له معدة وكان كرديا دخيلا فى وظائف الجراكسة لا علاقة بينهم ولا يعتبرونه فيما بينهم فأراد السلطان الغورى ابعاده عنهم حماية منهم وكان معتنيا به فأعطاه بندر جدة على وجه التيمار وجهز معه عمارة ليقاتل الفرنج الذين ظهروا فى بنادر أرض الهند واستطرقوا اليها من بحر الظلمات من وراء جبل القمر التى هى منبع ماء النيل وعاثوا فى أرض الهند ووصل أذاهم وافسادهم الى بلاد العرب وبلاد اليمن وقصد السلطان الغورى دفع أذاهم عن المسلمين بارسال الأمير حسين الكردى الى جدة فلما أتى جدة سورها وبنى ابراجها وأحكمها وهدم كثيرا من بيوت الناس فيما يقارب موضع السور لوضع الاساس واستخدم عامة الناس فى حمل الحجر والطين حتى التجار المعتبرين وسائر المتسببين وضيق على البنائين بحيث يحكى ان أحدهم تأخر قليلا عن المجىء فلما جاء أمر ان يبنى عليه فبنى عليه واستمر قبره جوف البناء الى يوم الجزاء الى غير ذلك من الظلم الشديد والجور العتيد وبنى السور جميعه فى دون عام من شدته وغشمه واقدامه وظلمه واستمر حاكما بجدة الى ان تقوى بالمال وتأثل فتوجه الى الهند فى حدود سنة احدى وعشرين وتسعمائة ودخل واجتمع بسلطان كجرات يومئذ وهو المرحوم المغفور له السلطان خليل شاه مظفر ابن السلطان محمود شاه الكجراتى فأكرمه وعظمه وأنعم

سعيد لملاقاته وأخرج العساكر والمدافع الى طوى وطلب قبائل هذيل وثقيف وبنى سعد وناصرة ثم رحل من طوى الى النوارية ثم منها الى الوادى ثم تلاقى هو والشريف عبد الكريم بثنية عسفان ولم يحصل بينهما شئ بل تبين أن الشريف عبد الكريم لم يصل بقصد المقاومة وانما قصده النزول فى الحمى بلاده فظن مولانا الشريف سعيد أنه جاء بقصد القتال فاعتد لمقاومته ومدافعته ولم يحصل شئ غير أن السيد يحيى بن بركات واخوان الشريف عبد الكريم طلبوا الدخول فى البلد فوافق الشريف على ذلك ونزل الشريف عبد الكريم بالحمى ثم سافر الى جهة حرب ومكث مدة طويلة ثم سافر الى مصر واستمر بها الى ان توفى الى رحمة الله بالطاعون سنة احدى وثلاثين ومائة وألف وولايته كانت على مكة ثلاث مرات

﴿عدد ولايات الشريف عبد الكريم ومدتها ست سنين وعشرة أشهر﴾

المرة الاولى حين نزل له عن الولاية الشريف عبد المحسن سنة ألف ومائة وست عشرة سلخ ربيع الاول واستمر فيها الى سلخ رمضان من السنة المذكورة فدخل مكة الشريف سعد حين كان الشريف عبد الكريم باليمن كما تقدم فكانت مدة هذه الولاية ستة أشهر والولاية الثانية بعد اخراج الشريف سعد من مكة فى التاسع عشر من شوال من السنة المذكورة واستمر فيها الى سادس ذى الحجة ختام سنة ست عشرة المذكورة والولاية الثالثة كانت بامر سلطانى ووصل الى مكة المشرفة رابع شهر شعبان من سنة ألف ومائة وسبع عشرة واستمر فيها الى عشرين من شهر ذى القعدة الحرام سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف فاخرجه منها الشريف سعيد بالامر السلطانى كما تقدم وبعدها لم يعد الشريف عبد الكريم الى شرافة مكة المعظمة فجملة مدة الولايات الثلاث ست سنوات وعشرة أشهر الا أنه فى الولاية الاخيرة انسجمت أحواله وكثرت أمواله وتوفرت أجناده وتعددت أعضاؤه فلما انقضت المدة لم تنفع العدة رحمه الله رحمة واسعة وفى أواخر سنى دولته الاخيرة ورد من الهند صدقة لاهالى الحرمين قدرها خمسة لكوك روبية فحصل بذلك للشريف وللناس سرور كثير وعمم بتلك الصدقة الخاص والعام وانتفع منها خلق كثير وكان ورودها فى شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف

﴿وفاة الوزير عثمان حميدان سنة ١١٢٣﴾

وفى هذا الشهر انتقل الى رحمة الله الخواجا الوزير عثمان حميدان رحمه الله وكان قد استوزره عدة من ملوك مكة المشرفة وارتفع صيته وعلا ذكره واجتمع عنده من الاموال ما لا يحصى ومشى فى جنازته مخدومه مولانا الشريف عبد الكريم لان موته كان فى مدة شرافته وأما مولانا الشريف سعيد

فولايته

عليه بنعم طائلة عظيمة جليلة ولما سمع الفرنج به ارتفعوا عن بنادر بكرات الى بنادر الركن وتحصنوا بقلعة متقنة محكمة لهم هنالك هي تحت ملكهم الى الآن يقال لها كوة بالكاف العجمية المضمومة والواو الشديدة المفتوحة بعدها هاء ساكنة يسر الله تعالى لسلطان الاسلام وقطع بسيفه دابر الفرنج اللئام وكافة عباد الصليب والاصنام وقد أحسن من قال

أعباد المسيح يخاف صحبي * ونحن عبيد من خلق المسيحا

ولم يستقر الامير حسين في بكرات بل عاد الى اليمن وافتتح في طريقه على عوده تملكه عن بني طاهر ملوك اليمن ظلما وعدوانا في سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة بعد أمور يطول شرحها وترك بها نائباله في زبيد اسمه برسباي جركسي وترك السلطان عامر بن عبد الوهاب وكانوا ملوكا (١٦٧) من أهل السنة والجماعة طاهرين في الاعتقاد طاهرين على أهل البدع والالحاد رحمهم الله تعالى وانقرضت به دولة بني طاهر من اليمن وعاد الامير حسين لمنيته وحتفه كالباحث عنها بظلفه وقدم الى مكة وكانت دولة الجراكسة قد انقرضت بعمرومالكها السلطان سليم خان بن بايزيد خان بن محمد خان رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنان وسقى عهده صوب الرضا والغفران * وتوجه سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي سيد السادات الاشراف وتاج رؤس الشرفاء من بني عبد مناف مولانا السيد الشريف جمال الدنيا والدين محمد أبو نمي بن بركات خلد الله سعادته وأبد دولته وسيادته أرسله والده الشريف بركات ليدوس البساط السلطاني بمصر وعمره يومئذ اثنا عشر عاما فحصل له بذلك غاية التعظيم والاكرام وبلغ بذلك جميع ماطلبه ورام وعاد الى والده الشريف معززا مكرما ومعه أحكام شريفة بكل ماطلبه وأراده وأرسل حكما الى السيد عزاز بن عجلان ابن السيد الشريف بركات رحمه الله بقتل الامير حسين الكردي المذكور وهو الذي استخرج هذا الحكم لعداوة سابقة بينه وبين الامير حسين المذكور فأخذ مقيدا الى جدة وربط في رجله حجر كبير وغرق في بحر جدة في موضع يقال له أم السمك فأكلته الاسماك بعد أن كان يعد في الاملاك وكان طعاما للحيتان بعد اطعامه الضيفان وغرق مقيدا في الاصفاد بعد أن قتل ماشاء الله من العباد وتفرق في البلاد جنوده وأعوانه بددا ووجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا

فولايته شرافة مكة كانت خمس مرات

عد ولايات الشريف سعيد ومدتها عشر سنين وسبعة أشهر

الاولى سنة تسع وتسعين وألف بعد وفاة عمه الشريف أحمد بن زيد فاستمر خمسة أشهر وانتزعها منه الشريف أحمد بن غالب وولي مكة ودخلها ثاني شوال سنة تسع وتسعين وألف ومكث فيها سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما فانتزعها منه الشريف محسن بن حسين بن زيد ثم بعد كثرة الاختلاف بين الاشراف نزل عنها للشريف مساعد بن سعد بن زيد بعد سنة وخمسة أشهر الاثمانية أيام فهي مدة ولاية الشريف محسن وكان الشريف سعيد محاصرا مكة بجنوده فنزل الشريف مساعد عن الولاية للشريف سعيد في ذلك اليوم فدخل مكة الشريف سعيد في سابع محرم سنة ثلاث ومائة وألف فهذه الولاية الثانية للشريف سعيد واستمر فيها الى سابع ذي الحجة من ذلك العام فجاء والده الشريف سعد من الروم متوليا من الدولة العلية فكانت الولاية الثانية للشريف سعيد سنة كاملة الاأياما الى وصول والده وان نظرنا الى وقت ولاية والده تكون مدتها نحو ثمانية أشهر الولاية الثالثة للشريف سعيد سنة ألف ومائة وثلاث عشرة حين نزل له والده عن ولاية مكة وجاءه التأييد من الدولة العلية في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة واستمر فيها الى ان حصل الاختلاف بينه وبين الاشراف فانتزعها منه الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد في الحادي والعشرين من ربيع الاول سنة ست عشرة ومائة وألف وبعد تسعة أيام نزل عنها للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى فكانت مدة الولاية الثالثة للشريف سعيد سنتين وأربعة أشهر الولاية الرابعة للشريف سعيد في ذي الحجة ختام سنة ألف ومائة وست عشرة حين جاءته المراسيم السلطانية مع التجريدة التي كان عليها ايواز بيك واستمر فيها من سابع ذي الحجة الى أن انتزعها منه الشريف عبد الكريم بالمراسيم التي جاءته بواسطة بيرم باشا في سادس شعبان سنة ألف ومائة وسبع عشرة فكانت مدة هذه الولاية الرابعة للشريف سعيد تسعة أشهر الولاية الخامسة للشريف سعيد حين جاءته المراسيم السلطانية صحبة نصوح باشا فولي مكة سابع عشر ذي القعدة سنة ألف ومائة وثلاث وعشرين واستمر فيها الى وفاته في المحرم سنة ألف ومائة وتسع وعشرين وعمره أربع وأربعون سنة لان ولادته كما تقدم كانت سنة خمس وثمانين وألف وكانت مدة هذه الولاية الخامسة للشريف سعيد ست سنين وشهرا واحدا فمدة ولاياته كلها عشر سنين وسبعة أشهر

*(وفاة الشريف سعيد سنة ١١٢٩)*

ولما توفي الشريف سعيد في الحادي والعشرين من شهر الله المحرم سنة تسع وعشرين ومائة وألف

## الباب السابع في ظهور آل عثمان خلد الله سلطنتهم القائم الى آخر الزمان

منهم سيد ولاية

مناقب أسلافهم السلاطين العظام وذكر ماعمروه في بلد الله الحرام وفعلوا فيه من الخيرات الجسام وذكر بناء المسجد الحرام على الوضع الذي هو عليه الآن وفيه فصول ﴿ (الفصل الاول) في ذكر الفتح الخاقاني ودخول ممالك العرب والعجم في سلك العثماني ونبذة من ذكر أسلافهم الكبار بطريق الاختصار خلد الله ملكهم العثماني مدا الزمان وأبقى ملك الارض فيهم وفي عقبهم الى انتهاء الدوران ● لما أراد الله تعالى باهل الارض احسانا وافضالا وقدر ظهور العدل والفضل فيهما كراما لهم واجلالا وقضى باطفاء نيران الظلم والفتن ورفع مواد الفساد والمحن وتأييد دين الاسلام وتقوية أهل السنة المستمسكين بسنن سنن محمد عليه أفضل الصلاة والسلام واقامة الشرع (١٦٨) الشريف على رغم الملاحدة اللئام اطلع في أفق الخلافة العظمى شموس الايادي العثمانية وأسطع من أوج سماء السلطنة الكبرى بدور ل المعدلة الخاقانية وأجلس على سرير الملك من ملكه الله أعظم ممالك الاسلام وفتح على يديه أكثر الامصار والبلاد بالسيف الصارم الصمصام والحسام الحاسم مواد ظلم الظلم من كل ظالم اوظلام ونشر به جناح الامن والامان على أهل الايمان من الانام فأخذ محاسن محاسن هذا الربع المسكون وكان مظهر القول من يقول للشئ كن فيكون ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون واستولى بتأييد الله ونصره على شام البلاد ومصره وملأ قطع الدنيا بدماء سيف قهره كما ملأها بافاضة سيف عدله وبسبب الطفه وبره وتشرفت بذكره في الحرمين الشريفين صدور المنابر ورؤس المنائر وعمر مساجدها وانما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الملة الحنيفية وأحيى مالها من مآثر الملك الهمام والليث الباسل الضرغام السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الافخم خير خلق خلفاء الرحمن شرف سلاطين آل عثمان السلطان سليم خان ابن السلطان محمد خان ابن السلطان يلدرم بايزيد خان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان أورخان ابن السلطان عثمان الغازي تغمدهم الله بالرحمة والرضوان وحفهم بروائح الروح والريحان وابدلهم عما انتقلوا عنه من الملك الفاني بالملك الباقي في غرف الجنان وأبقى السلطنة فيهم خالدة تالدة الى يوم الحشر والميزان

هم معشر كلهم غاز وكلهمو ● خير الملوك صناديد الصناديد

كان له كثير من الاولاد وكان أكبرهم الشريف عبد الله بن سعيد وكان غائبا في نواحي الجبت فطلبه والده لما اشتد مرضه فجاء وحضر وفاة والده ثم جمع الاجناد والعساكر وفرق جانبا منها في البيوت وجانبا في المنائر حفظا للبلاد ودرأ للفساد فأراد الاشراف كافة ان تكون شرافة مكة للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد لانه في ذلك الوقت كان كبير الاشراف ورئيسهم فامتنع الشريف عبد المحسن من قبول الولاية واستحسن ان تكون للشريف عبد الله بن سعيد المتوفى ولم تخرج بقية الاشراف عن رأيه فنزل بنفسه الى المسجد الحرام ملاطفة الباشا والعساكر والاروام وقبض الخلعة من أيديهم وربما وضعوا الخلعة على مناكبه يريدون توليته فطرحها عن أكتافه فأخذها وزفها الى الشريف عبد الله بن سعيد والبسه اياها في داره ونودي له في البلاد

●(تولية الشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٢٩)●

وكانت ولاية الشريف عبد الله بن سعيد يوم الحادي والعشرين من المحرم سنة ألف ومائة وتسع وعشرين وسلك في أول ولايته سبيل العدل والاستقامة واتفق مع الاشراف ثم تغير حاله وحصل بينه وبين الاشراف اختلاف كثير حتى خرج كثير منهم من مكة مغاضبا له والتجأوا الى اليمن وعجز الشريف عبد المحسن عن الاصلاح بينهم وبين الشريف عبد الله بن سعيد وضاق ذرعه وخرج الشريف عبد الله بن سعيد عن طوعه ولم يزل أمر الشريف عبد الله بن سعيد في انحلال الى غرة شهر جمادي الاولى سنة ألف ومائة وثلاثين فكان عزله في هذا التاريخ فكانت مدة ولايته سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام وهذه ولايته الاولى وستأتي الثانية ان شاء الله تعالى ولما تحقق الشريف عبد الله عزله باتفاق الاشراف سار الى جهة اليمن ثم ان الاشراف أجمعوا على ان الولاية لا تكون الا للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد وهو ممتنع من قبولها فطلبوا منه أن يولي أخاه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد فامتنع الشريف عبد المحسن أيضا من توليه أخيه فأراد جماعة من الاشراف ولاية الشريف يحيى بن بركات وامتنع من ذلك جماعة آخرون ثم اجتمع الاشراف عند الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد وقالوا له رضينا من توليه علينا وتختاره فاستحسن حسم المادة وايضاح الجادة بولاية الشريف علي بن سعيد أخي الشريف عبد الله بن سعيد وقد كان الشريف علي المذكور يريد الارتحال واللحوق بأخيه الشريف عبد الله لما رأى كثيرا من الاشراف يريدون ولاية الشريف يحيى بن بركات ولم يخطر بباله ان الولاية تكون له ولا تحدث بذلك وانما استحسن ذلك الشريف عبد المحسن بن أحمد قطعا للنزاع لانه رأى ان ولاية الشريف يحيى بن بركات تؤول الى المخاصمات والمنازعات بين الاشراف فطلب الشريف علي بن سعيد وأفاض عليه خلعة الولاية

الولاية وقال الحسين بن مطير فى ذلك

وكم طامع فى حاجة لا ينالها * ومن آيس منها أتاه بشيرها

*(ولاية الشريف على بن سعيد سنة ١١٣٠)*

وكانت ولاية الشريف على بن سعيد لثلاث بقين من جمادى الاولى سنة ألف ومائة وثلاثين وكتب الاشراف والعلماء وأعيان الناس محضرا للدولة العليه باستحسان ولاية الشريف على بن سعيد وجاءته المراسيم السلطانية بالتأييد فى شوال من السنة المذكورة من طريق البحر وفى هذه المدة حصل بينه و بين الاشراف اختلاف كثير واضطربت البلاد وكثر الفساد وصار النهب فى أطراف مكة و بالليل فى مكة أيضا وعظمت صولة العربان بنواحى مكة واستمر ذلك الى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة وفى هذا الشهر خرج السادة الاشراف برمتهم الى الوادى ونواحيه لقطع معاليمهم وعوائدهم المقررة زمن أبيه وجده ولم يبق بمكة أحد منهم واستمروا بالوادى الى قدوم الحج الشامى ولم يقع منهم خلاف فى تلك الاطراف فلما وصل الحاج الشامى رفعوا أمرهم الى أميره الوزير رجب باشا وأخبروه بانهم يريدون عزل الشريف على بن سعيد وولاية الشريف يحيى بن بركات أو الشريف مبارك بن أحمد بن زيد فسألهم الوزير رجب باشا عن كبير الاشراف الذى يرجع اليه أمرهم فأخبروه بانه الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد الا أنه لم يحضر معهم لتوعك مزاجه وهو مقيم بالحسينيه والشريف يحيى بن بركات كان مقيما بمكة لم يحضر مع الاشراف بالوادى فكتب الوزير رجب باشا كتابا للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد يستشيره فيمن يختاره لولاية مكة وأرسل الكتاب مع جماعة من الاشراف ومعهم أخوه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد والامر لم يكن محزوما الا عليه فحين حلوا رحاب الشريف عبد المحسن وأسلموه كتاب الوزير صارت بينهم مراجعات طويلة ملخصها انه نكب عن توليه أخيه واعتذر بأمور عظام منها انه سيؤل تعب هذا الامر اليه

*(خطاب الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد لاخيه الشريف مبارك وعزله عن ولاية مكة وما يترتب على ذلك من العزل والطرد عن مكة)*

ثم خاطب أخاه مشافهة وقال له هل بعد الولاية الا انتظار العزل واذا صار العزل غدوت مطرودا فى جميع الطرق والمسالك وأجمع السادة الاشراف على ابعادك عن عشيرتك و بلادك فهل أحرزت من شر افتك غير عداوتك لرفاقك وأخيب فيما أؤمله فيك وأرجوه وفيما أحكمته من جميع الوجوه من انك ستكون الجامع لاهلى وعيالى اذا كسفت شمسى وغاب هلالى وهل بعد اجتهادى فى حلب الدر بفيك تضيع أملى فيك فل عن ذلك واقتدى بى وسر على نهجى وتهذيبى ثم شرع يجول مع

أولئك الناس ان عدوا وان ذكروا * ومن سواهم فلغو غير معدود لو خالد الدهر ذو عز لعزته * كانوا أحق بتعمير وتخليد وجده الاعلى السلطان عثمان الغازى رحمه الله تعالى أصله من التراكمة الرحالة النزالة من طائفة التتار والسلطان عثمان أول من ولى منهم السلطنة فى بلاد الروم فى سنة تسع وتسعين وستمائة وهو ابن ارطغول بن سليمان و يتصل نسبه الى يافث بن نوح عليه السلام وهو الجد الاربعون لحضرة السلطان سليم خان بن بايزيد خان رحمهم الله تعالى كانت أسماؤهم بلغة الترك القديمة لم نذكرها لعسر ضبطها وهى مذكورة فى التواريخ المذكورة وكان سليمان شاه سلطانا فى الشرق فى بلاد ماهان قرب بلخ وأخرج منها السلطان علاء الدين خوارزم شاه وتفرقت تلك الممالك وخرج سليمان شاه من بلاد ماهان بخمسين ألف بيت من التركمان الى أرض الروم ومر بحلب وعبر بحر الفرات فغرق بفرسه فى الفرات وأخرج منه الى بحر الرحمة فى أعلى الجنان ودفن امام قلعة جعبر وتفرق من معه من التركمان فى أطراف تلك البلدان وذراريهم موجودون رحالون نزالون الى الآن * وكان لسليمان شاه أربعة أولاد اثنان منهم توجها الى بلاد العجم وهما سنقدر ودبندار وتوجه الى بلاد الروم اثنان وهما ارطغول ولوند وعدى وقدما على السلطان علاء الدين السلجوقى وكان سلطان بلاد قرامان وتخت ملكه قونية فاكرمهما وأذن لهما فى الاقامة فى أرضه واستأذناه فى جهاد الكفار واجتمع عليهما طائفة من الغزاة وصار دأبهم الجهاد فى سبيل الله وكان مقرهم ما بين قره حصار و بلجك فى محل يقال له سكوتجك صيروه قشلاقهم وجبل بيلابيج جعلوه بيلاقهم فسكنوهما مع مواصلة الغزاة والجهاد وقمع الكفرة حول تلك البلاد الى ان توفى ارطغول فى سنة تسع وثمانين وستمائة وخلف أولادا أنجادا أمجادا أشدهم بأسا وأقواهم جاشا وأعلاهم غراسا السلطان عثمان وكان مولده فى سنة ست وخمسين وستمائة دأب فى خدمة والده فى الجهاد وتغرس فى الغزاة فى سبيل الله منذ نشأ مع الاولاد واستمر مع والده مع الكفار فى القتال والجهاد فرأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده فى الجلاد وعلم قابليته ونجابته فى فتح أطراف تلك البلاد فاكرمه وأعزه وأمده بأنواع الاعانة والامداد وأرسل اليه الراية السلطانية والطبل والزمر وسمه باسم السلطنة تقوية ليده وشد العضد فلما وصل الطبل والزمر عملوا نوبة

بين يديه فعند أول سماعه أول صوت الطبل والزمر قام على قدميه تعظيما لذلك فصار ذلك قانونا لآل عثمان باقيا مستمرا الى الآن فانهم يقومون على أقدامهم عند ضرب النوبة على أبوابهم وكان جلوس السلطان عثمان على تخت السلطنة فى سنة تسع وتسعين وستمائة وافتتح فيها قره حصار من الكفار وأمر بصلاة الجمعة وخطب باسمه فقيه كان من أهل العلم اسمه طورسن فقيه * ثم افتتح قلعة حصار * ثم كويرى حصار * ثم قلعة بلجك * ثم قلعة ابن ادكى * ثم قلعة يوند حصار * ثم قلعة اينه كول * ثم قلعة يكى شهر * ثم زوج ولده أورخان على نيلوفر خاتون بنت تكور صاحب يارحصار فعمل أبوها سماطا عظيما فلما حضرت الغزاة انتهزوا فرصة وقتلوا تكور وافتتحوا قلعة يارحصار فدخلها السلطان عثمان وصارت من جملة مملكته واستمر فى الغزو والجهاد وافتتاح البلاد وقتل الكفار وأهل العناد الى ان دعاه الله الى جنته وأبدله سلطنة خيرا من سلطنته فأجاب داعى الحق لما دعاه وبادر الى اجابته ولبى نداه فعاش سعيدا ومات شهيدا الى رحمة الله تعالى عن ست وستين عاما فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وكانت مدة سلطنته سبعا وعشرين سنة وكان للسيف والضيف كثير الاطعام فاتك الحسام كثير البذل واسع العطاء شجاعا مقداما على الاعداء ما خلف نقدا ولا متاعا الا درعا وسيفا يجاهد بهما الكفار وبعض خيل وقطيعا من الغنم اتخذها للضيفان وانسالها الى الآن ترعى حول بلاد بورسا أبقوها تيمنا وتبركا بها ثم ولد بعده السلطان أورخان الغازى مولده سنة ثمان وسبعين وستمائة وجلوسه على تخت السلطنة بعد والده المرحوم فى سنة ست وعشرين وستمائة ومدة سلطنته خمس وثلاثون سنة وعمره ثلاث وثمانين سنة وهو الذى افتتح بلاد بورسا وجعلها مقر سلطنته وفتح قلاعا كثيرة وله حروب مع الكفار يسمى نيلوفر صولى * وكان السلطان اورخان فاق والده فى الجهاد وفتح البلاد ففتح بورسا فى أيام والده * ثم قبون حصار وقلعة ازنيق فى سنة احدى وثلاثين وستمائة ثم قلعة كونيك وقلعة بالى كسرى ولاية قره وقلعة كوماستى وقلعة الوباد فى سنة خمس وثلاثين وستمائة وقلعة قرلجه طوزله فى سنة ست وثلاثين وستمائة وفتح عدة قلاع وحصون واتسعت مملكته ونفذت كلمته * واجتمعت ملوك النصارى وجميع الكفرة على قتال العساكر الاسلامية ودفع ضرر المسلمين عن بلادهم فاتفق قرال انكروس

---

السادة الاشراف فيمن يصلح لهم ويبلغهم من السعادة أملهم فاتفقوا على الشريف يحيى بن بركات فكتب الشريف عبد المحسن كتابا للوزير رجب باشا يعرفه بذلك وكتب كتابا للشريف يحيى بن بركات بمكة يعرفه بان الاتفاق قد صار عليك وأمره بالمسير الى الوادى لمقابلة الوزير رجب باشا والشريف يحيى بن بركات كان أبوه الشريف بركات تولى شرافة مكة ثم أخوه الشريف سعيد بن بركات ثم عزل وأعيد الشريف أحمد بن زيد كما تقدم فرحل الشريف سعيد الى مصر وأخوه الشريف يحيى الى الشام فأنعمت عليه الدولة بحكومة بعض القرى بالشام ثم بامارة الحج الشامى وصيرته باشا فجاء بصحبة الحج الشامى سنة ألف ومائة واثنتين كما تقدم ثم رجع الى الشام وتقلبت به الاحوال الى سنة ألف ومائة وثمانى عشرة فاستأذن الدولة ان يرجع الى مكة ويجاور فيها او عرض له فى ذلك أيضا الشريف عبد الكريم كما تقدم فجاء الاذن له فرجع الى مكة ولم يزل معاضدا للشريف عبد الكريم الى أن عزل بالشريف سعيد فلزم الشريف يحيى داره واشتغل بالعبادة وحضور صلاة الجماعة ولم يزل على ذلك الى وقوع هذه الحادثة فاتفق الاشراف على ولايته شرافة مكة

•(ولاية الشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٠)•

فلما جاء كتاب الشريف عبد المحسن بن أحمد للشريف يحيى بن بركات يأمره بالمسير الى الوادى لمقابلة الوزير رجب باشا ليوليه شرافة مكة امتثل الامر وكان مجىء الرسول له بعد صلاة الصبح وهو يطوف بالبيت فسار ووصل الوادى قبل ارتفاع الشمس فى رابعة النهار فوجد الاشراف فى انتظاره فافاض عليه الوزير رجب باشا خلعة الشرافة وكان ذلك فى اليوم السادس من ذى الحجة سنة ألف ومائة وثلاثين ودخل مكة بعد العشاء ليلة السابع وخرج الشريف على بن سعيد من البلاد وسار من غير حرب ولا حصار فكانت مدة دولته سبعة أشهر وأربعة أيام ولم تعد له ولاية مكة الى أن توفى سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف واستمر الشريف يحيى بن بركات فى ولايته الى يوم الاربعاء لسبع خلون من شهر رجب المعظم سنة ألف ومائة واثنتين وثلاثين

•(عزل الشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٢)•

فعزل عنها بالشريف مبارك بن أحمد بن زيد فكانت مدة ولاية الشريف يحيى بن بركات سنة وسبعة أشهر ويوما واحدا وهذه ولايته الاولى وستأتى الثانية ان شاء الله تعالى

•(ذكر وفاة الشريف عبد المحسن سنة ١١٣١)•

وسبب عزله ان الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد توفى فى المحرم سنة احدى وثلاثين ومائة وألف فحصل بعد وفاته اختلال كثير واختلاف بين الاشراف لان الشريف عبد المحسن بعد نزوله عن الشرافة

يعنى سلطانها وسلطان لان والسرب وأجمعوا أن يتعدوا من بلاد روملى الى بلاد اناطولى ويقاتلوا السلطان أورخان فى محله وكان له ولد نجيب اسمه سليمان بك استأذن من والده ان يعدى الى روملى ويقاتل الكفار الذين اجتمعوا القتاله قبل ان يصلوا الى اناطولى فأجازه والده لما رأى نجابته وشجاعته فتوجه مع خدامه فسمع به الغزاة فتبعه من الشجعان فوارس مخبورون وابطال مشهورون فعدوا الى روملى فصادفوا الكفار فى غفلة وهم يريدون العبور الى جهة أناطولى فوقع بينهم حرب عظيم قتل فيه من الكفار ما لا يعد ولا يحصى وانهزم الباقون الى القلاع والحصون وتبعهم المسلمون يأسرون منهم ويقتلون ونصر الله الاسلام وخذل النصارى اللئام وافتتح المسلمون عدة قلاع وحصون وآل الكفار الى الدمار والبوار ثم الى عذاب النار ورجع سليمان بك الى والده مظفرا منصورا مؤيدا مسرورا وكان السلطان أورخان كوالده كثير الجهاد ظاهر الاعتقاد سليم الفؤاد عدو الاهل الكفر والالحاد عاش سعيدا ومات حميدا فى سنة احدى وستين وسبعمائة ﴿ثم ولى بعده ولده السلطان مراد الغازى﴾ مولده سنة سبع وعشرين وسبعمائة وجلوسه على التخت فى بورسا سنة احدى وستين وسبعمائة ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وعمر خمسا وستين سنة وولى السلطنة وعمره أربع وثلاثون سنة وافتتح كثير البلاد منها ادرنه فى سنة احدى وستين وسبعمائة وهو أول من اتخذ المماليك وسماهم ينكجرية يعنى العسكر الجديد وألبسهم اللباد المثنى الى خلف وسماهم بركا بضم الموحدة وسكون الراء آخره كاف وكانت له صولة عظيمة على الكفار واجتمعت النصارى على سلطانهم اسبوت فقاتلهم السلطان مراد قتالا عظيما فقتل سلطان الكفرة وانهزم الكفار فأظهر واحد من ملوكهم الاطاعة اسمه بلواش وتقدم ليقبل يد السلطان مراد خان فلما قرب منه أخرج خنجرا كان أعده فى كمه فضرب به السلطان مراد فاستشهد الى رحمة الله تعالى فى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة فصار القانون ان لا يدخل على السلطان ايلجى أو غيره بسلاح وان يفتش ثيابه وان يدخل على السلطان بين رجلين يكتنفانه ﴿وولى السلطنة بعده ولده يلدرم بايزيد خان﴾ مولده سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وولى السلطنة وعمره اثنان وأربعون عاما ومدة سلطنته ستة عشر عاما ولما تولى استولى على كثير من قلاع النصارى وبلادهم وأراضيهم وصارت النصارى تنتمى الى بعض ملوك الطوائف فى بلاد الروم

الشرافة للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى الى حين وفاته كان مرجعا لجميع الاشراف لا يتولى ملك ولا يعزل آخر الا برأيه ولا يستمر الا اذا كان تحت أمره ونهيه وناهيك بهذه السيادة التى لم تصر لاحد من عهد قتادة وكان تاريخ وفاته شطر بيت من قصيدة قبله شطر موطئ فيه ذكر لفظ التاريخ وهو هذا

نوحوا على قبر الشريف وأرخوا * طود الشرافة والطراسة قد هفا

فلما توفى الشريف عبد المحسن تفرقت كلمة السادة الاشراف واختلفت آراؤهم وكان الشريف مبارك بن أحمد بن زيد مع الشريف يحيى بن بركات فى أول الامر بالالفة والمحبة واتحاد الكلمة الى ان رمى بينهما بسهم التفريق وصار كل واحد منهما عن صاحبه فى فريق ولذلك أسباب يطول الكلام بذكرها فخرج الشريف مبارك مغاضبا الى داره بالحسينية فتوسط بينهما بعض الاشراف فلم يلتئم الحال ثم أرسل له الشريف يحيى يأمره بالتنحى عن بلاده جريا على قاعدة آبائه وأجداده فأخذ منه مهلة سبعة أيام ثم سار الى الطائف ونواحى الحجاز فلحق به ابن أخيه وهو السيد أحمد بن عبد المحسن ابن أحمد بن زيد فى جملة من الاموال والخيل والرجال ومعه جماعة من أعاظم السادة الاشراف بعد المعاهدة بينهم على ايقاع الخلاف وجمع السيد أحمد بن عبد المحسن وعمه الشريف مبارك بن أحمد جموعا من القبائل وعزموا على مقاومة من بالطائف من الاشراف والاجناد واتباع الشريف يحيى بن بركات فوقعت بينهم حروب ثم دخلوا الطائف وكثرت اتباعهم من عتيبة وثقيف وقصدوا مكة فخرج لهم الشريف يحيى بن بركات بمن معه من الجند والتقى الجيشان بعرفة يوم الاربعاء لسبع خلون من رجب سنة ثنتين وثلاثين ومائة وألف واقتتلوا قتالا شديدا قتل فيه خلق كثير من الفريقين ثم انهزم الشريف يحيى بن بركات وتوجه الى الوادى ثم منه الى الروم قاصدا الاعتاب السلطانية

•(دخول الشريف مبارك بن أحمد بن زيد مكة أميرا عليها سنة ١١٣٢)•

فدخل الشريف مبارك البلد الحرام ونادى فى الناس بالامان وبسط العدل والامان ومما اتفق له مما لم يصر لاحد من ولاة هذه الممالك الحرمية انه دخل تحت طاعته ملكان شريفا المقدار قد وليا شرافة مكة قبله وهما الشريف عبد الله بن سعيد وأخوه الشريف على بن سعيد فسبحان المبدئ المعيد وكانا فى اليمن فى أيام دولة الشريف يحيى بن بركات وكان قد أرسل لهما من يبعدهما عن تلك الاقطار فصار بينهم حرب حديد وقتال شديد فلما صار بين الشريف يحيى والشريف مبارك بن أحمد ذلك الفراق بعث الشريف مبارك يستدعيهما اليه لكونهما ابنى عمه فما ارتحلا من الموضع الذى كانا فيه الا بعد تمكن الشريف مبارك وخروج الشريف يحيى عن مملكته فلما وصلا الى

فلزم ان يستولي السلطان يلدرم بايزيد خان على ملوك الطوائف فضيق على جماعة منهم مثل ابن كريان أخذه وحبسه مع بعض وزرائه فهرب مع وزيره من الحبس ومضى الى تيمورلنك وهرب أيضا ابن مقتشامنه وحلق لحيته وحواجبه وصار في صورة قلندري وذهب الى تيمور وكذلك ابن ايدين هرب في صورة سقطي بياع الخرزات وكذلك ابن اسفنديار وغيرهم من أمراء تلك الديار وملوكها وصلوا الى تيمورلنك وشكوا من السلطان بايزيد خان وحسنوا له ان يصل الى بلاد الروم فوصل الى البلاد الشامية والحلبية وقتل فيها وفتك وسفك الدماء وعاث فيها وأخذ تلك البلاد وأسر أهلها ونهب المسلمين وشرح مافعله في بلاد الاسلام يطول جدا وذلك مذكور في تاريخ الاسلام للذهبي وغيره واستمر تيمور يفسد في الارض ويقتل ويسفك الدماء الى ان وصل الى أذربيجان وخرج السلطان بايزيد لقتاله وجمع عسكر الروم ولما التقى الفئتان هرب من عساكره طائفة التتار وعسكر منتشا وعسكر كرمان وتركوا السلطان بايزيد خان وذهبوا الى تيمور ووقع الحرب الشديد وقتل من أولاد السلطان بايزيد السلطان مصطفى فشرع عسكره في الانهزام وثبت هو وقليل من معه واستمر يقاتل الى ان وصل الى تيمور بسيفه المشهور يقاتل بنفسه الى ان وصل الى تيمور وقد عجز واعنه فرموا عليه بساطا وأمسكوه وحبسوه فحصل له حمى غضبية فتوفي الى رحمة الله تعالى في سنة خمس وثمانمائة وتسلطن بعده أولاده وهم عيسى وموسى وسليمان وقاسم وصار بينهم النزاع والقتال نحو اثنتي عشرة سنة الى ان استقل بالسلطنة

الشريف مبارك تلقاهما بالقبول والاكرام وطلب منهما المعاهدة ففعلا له ذلك وسلكا معه أحسن المسالك واستمرا على ذلك الى المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف فحدثت بينه وبين الشريف عبد الله مقتضيات الفساد ولمعت بينهما بروق النوى والبعاد وتواترت النقول لدى الشريف مبارك بفساده وثبت عنده انه يحوم حول منصبه وبلاده فعزم على ارجاعه الى اليمن فامضى عزمه وأخرجه الى الليث واستعمل عقبه من يسيره السير الحثيث ومافعل ذلك الا لانه تحقق ان الشريف عبد الله يريد اتمام مطالبه بملاقاة أمراء الحجوج وأعيان الدولة العثمانية فصار الشريف عبد الله ينتقل تارة عند ذوي جازان بالجيدي وتارة بوادي مر وتارة بنواحي الطائف وأما أخوه الشريف علي فبقي على حاله بمكة لم يقع منه خلاف ثم ثارت فتنة بمكة بين الاشراف وبين شريف مكة الشريف مبارك بن أحمد بسبب قطع مشاهراتهم ورفع غالب مقرراتهم فخرجوا عن طوعه لذلك جميع تفرقوا في الطرق والمسالك وكان ابتداء ذلك في رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف ثم اجتمعوا بأسرهم في الوادي واستقر رأيهم على ان تكون الشرافة للسيد أحمد بن عبد المحسن بن أحمد بن زيد وان يعزلوا عمه الشريف مباركا وجاءهم الشريف عبد الله بن سعيد المتقدم ذكره وانضم اليهم وكذلك لحقهم أخوه الشريف علي بن سعيد الا انهما لم يتعرضا لامر الشرافة بل كانا لذي الخلافة وأقاموا مدة من الايام وآراؤهم تنقضي وتارة تكون بغاية الابرام ولم يزل هذا حالهم الى ان نفدت أموالهم وقلت لديهم الاقوات وانحصرت عليهم جميع الطرقات وهم ينتظرون خروج الشريف مبارك اليهم وصولته عليهم فيأخذونه في طرفة عين ويرمونه بالبعد والبين وهو مقيم في مكة بلاده متحصن بعساكره وأجناده وأصاب الناس في مكة شدة وبلاء يفطر الاكباد وكذا الشريف مبارك اصابته شدة حتى آل الامر الى بيع آلات ملكه ثم عزم الاشراف الذين في الوادي على حربه وقتاله واجتمع معهم كثير من القبائل فجاؤا وضربوا اقبابهم بالزاهر فخرج لهم الشريف مبارك بمن معه ووقع القتال بينهم في اليوم الرابع والعشرين من شوال وصارت بينهم معركة خطبها عظيم وهولها جسيم أصيب فيها أشخاص من الاشراف وغيرهم وكانت الغلبة للشريف مبارك عليهم فطلبوا منه الامان على ان يمكثوا ثلاثة أيام في ذلك المكان ثم يرحلون ويبعدون فأبى وقال لابد من الرحيل والابعاد فرجعوا من يومهم الى واديهم ثم توسط بينهم بعض كبار الاشراف بالصلح فكان أول من وفى للمسالمة والاصلاح الشريف عبد الله بن سعيد ثم اجتهد هو وبقية الاشراف ورفع ما كان بينهم من الخلاف وضمن لهم جميع حقوقهم وأدى اليهم ماترتب عليه الحال في مشاهراتهم فدخل مكة زعيمهم السيد أحمد بن عبد المحسن صحبة الشريف

عبد

● (السلطان محمد خان بن السلطان يلدرم بايزيد خان) ● في سنة ست عشرة وثمانمائة ومولده في سنة سبع وسبعين وسبعمائة واستقل بالسلطنة وعمره تسع وثلاثون سنة ومدة سلطنته تسع سنين وعاش ثمانيه وخمسين عاما وكان شجاعا مقداما مجاهدا في سبيل الله افتتح عدة قلاع وبلاد وبذل نفسه في الغزو والجهاد ومهدها أعظم مهاد ومما افتتحه قلعة قسطمونية وقلعة اسكب وقلعة صامسون وقلعة آق شهر وغيرها وظهر في أيامه بدر الدين بن سماونه وادعى السلطنة وجمع جمعا من مريديه فأرسل السلطان محمد خان عسكرا لقتاله فقتل من مريديه نحو ثلاثة آلاف نفر ومسك بدر الدين بن سماونه وكان يرمى بسوء الاعتقاد وله رسائل في شئ من ذلك وقد جمع بين الاصول الاشتروشية والفصول العمادية جمعا ضيق فيه العبارة وأخفى

الاشارة وهو متداول بين العلماء لا يؤخذ الا باصله وأما هو فلا يوثق بنقله لما يحكى عنه من انحلال العقيدة ان صح ذلك عنه وله فى الفقه متن سماه لطائف الاشارات وشرحه سماه التسهيل وله فى التصوف رسالة الواردات ورسالة مسرة القلوب ولما سلك قتل بافتاء مولانا حيدر العجمى فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة وصلب وسكنت الفتنة * ثم خرج عليه محمد بن قرمان وأحرق بورسا تجاه السلطان محمد خان من بلاد روملى ووصل قونية ووقع بينه وبين محمد بك بن قرمان حرب عظيم مشهور وانهزم فيه عسكر ابن قرمان ومسك محمد بن قرمان وولده مصطفى وأتى بهما أسيرين الى السلطان محمد خان فعاتبهما وعفا عنهما وتصدق عليهما بممالكهما وللسلطان محمد مدارس وعمائر وأفعال خير وهو أول



من عمل الصر لاهل الحرمين الشريفين من آل عثمان رحمهم الله تعالى فلما تم أجله فى أم الكتاب أراد الله تعالى نقله الى جنة المآب ودعاه من ملك الفناء الى البقاء المستطاب فعاش سعيدا ومضى حميدا وتحول من دار الفناء الى دار البقاء وان الى ربك الرجعى وكانت وفاته بمرض الاسهال فتكون له مرتبة الشهادة أيضا وذلك فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة رحمه الله تعالى * وولى بعده السلطان مراد خان بن محمد خان بن يلدرم بايزيد خان * مولده فى سنة ست وثمانمائة وجلس على تخت السلطنة وعمره ثمانية عشر عاما ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وعمره تسع وخمسون سنة وكان ملكا مطاعا مقداما فاتكا شجاعا باذلا واسع العطاء عين للحرمين الشريفين من خاصة صدقاته فى كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهب للشرفاء السادات من خزينته فى كل عام مثل فتح الفتوحات ولين الجوحات ومهد الممالك وأمن المسالك وأقام الشرع والدين وأذل الكفار والملحدين وأعز الاسلام والمسلمين * ومن جملة ما افتتحه بلاد سمندره وقلعة موره وقاتل قرال انكروس وكسرهم وأسر منهم خلقا كثيرا واستمر يجاهد الكفار ويفتح الديار الى أن انتشأ له ولده السلطان محمد فرأى نجابته ولمح فى غرته سعادته وعرف اقباله وشهامته وأجلسه على سرير السلطنة واختار لنفسه التقاعد والفراغ فى مغنيسا بحسن رضاه * فتولى السلطان محمد بن مراد خان فى سنة ست وخمسين وثمانمائة * مولده فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة وجلس على التخت وقد استكمل عشرين سنة وكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة وكان من أعاظم سلاطين آل عثمان وهو الملك

عبد الله المذكور ورتبوا الاحوال لجماعتهم وجاؤا ممتثلين وهذه المرة الثانية لدخول الشريف عبد الله بن سعيد وأخيه تحت أوامر الشريف مبارك بن أحمد

* (ذكر الفتنة التى وقعت بالمدينة بين الاغاوات وأهل المدينة سنة ١١٣٤) *

وفى مدة ولاية الشريف مبارك بن أحمد بن زيد سنة أربع وثلاثين ومائة وألف وقع بالمدينة فتنة عظيمة شهيرة بين الاغاوات وأهل المدينة ونشأ عنها قتل السيد عبد الكريم البرزنجى المدفون بجدة المشهور بالمظلوم وتلك الفتنة الكلام على تفصيلها طويل وملخصها ان رجلا من توابع الاغاوات يسمى على قنا أراد ان يستفرغ وظيفة من وظائف العسكر ويدخل فى العسكرية فامتنع من ادخاله كبار العسكر حيث انه كان فى العسكرية ووقعت منه خيانة وأخرج منها فلا يعاد وقال أغاوات الحرم لابد من ادخاله وطال النزاع بينهم ووافق أهل المدينة كبار العسكر فى عدم ادخاله ووقع فى المدينة ضجة واتسع الامر حتى آل الى القتال وابتدأ ذلك على قنا ومن كان معضدا له من الاغاوات وكان معهم بعض من قبائل حرب فصعدوا منائر الحرم الشريف وترسوها وأغلقوا أبواب المسجد وترسوا بعض البيوت التى بجانب الحرم النبوى وعزموا على محاربة العسكر ومن يعضدهم من أهل المدينة فرفع كبار العسكر وأهل المدينة أمرهم الى قاضى الشرع خوفا من وقوع الفتنة عند القبر المعظم وذهاب ما فى الحجرة من الاموال وما يحدث من القتل وغضب الدولة العلية عليهم فأرسل قاضى الشرع للاغاوات يمنعهم من الفتنة ويطلبهم للحضور الى مجلس الشرع فامتنعوا من الكف ومن الحضور عند القاضى فحكم عليهم القاضى انهم عصاة بغاة يجب قتالهم فشرعت العساكر وأهل المدينة فى قتالهم وضيقوا عليهم من كل جانب وقتل فى تلك الفتنة أشخاص من الفريقين وعطلت صلاة الجماعة فى المسجد النبوى فجنحوا للسلم فامتنع العساكر وأهل المدينة الا بعد احضار الاغاوات القائمين مع على قنا وحبسهم فى قلعة السلطان بالوجه الشرعى ثم يرفع أمرهم الى نائب السلطان بالحرمين الشريفين وهو الشريف مبارك بن أحمد بن زيد شريف مكة اذ ذاك فحضر خمسة أو ستة من كبار الاغاوات كانوا رأس تلك الفتنة فحبسوا فى القلعة ورفع الامر الى شريف مكة المذكور فطلبهم الى مكة لاقامة الدعوى فوصلوا الى مكة وحضر معهم مفتى المدينة السيد محمد أسعد وجماعة من أعيان أهل المدينة فعقد الشريف مبارك لهم مجلسا حضره من جاء من المدينة المنورة وقاضى مكة وابراهيم باشا والى جدة ومفاتى مكة وجماعة من علمائهم وأعيانهم وأقيمت الدعوى وثبت الخطأ على الاغاوات فأمر الشريف مبارك بحبسهم فى داره الى ان يرفع الامر الى الدولة العلية ويأتى الجواب فجاء الجواب من

الضليل الفاضل النبيل العظيم الجليل أعظم الملوك جهادا وأقواهم اقداما واجتهادا وأثبتهم جاشا وأقواهم فؤادا وأكثرهم توكلا على الله واعتمادا وهو الذى أسس ملك بنى عثمان وقنن لهم قوانين صارت كالاطواق فى أجياد الزمان وله مناقب جميلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار لايمحوها تعاقب السنين والاعوام وغزوات كسر بها أصلاب الصلبان والاصنام • ومن أعظمها أنه افتتح القسطنطينية الكبرى وساق لها السفن تجرى رخاء برا وبحرا وهجم عليها بجنوده وأبطاله وأقدم عليها بخيوله ورجاله وحاصرها خمسين يوما أشد الحصار وضيق على من فيها من الكفار والفجار وسل على من فيها سيف الله المسلول وتدرع بدرع الله الحصين المسبول ودق باب النصر والتأييد ولج ومن قرع بابا ولج ولج وثبت على متن الصبر الى أن أتاه الله بالفرج ونزلت عليه ملائكة الله القريب الرقيب بالنصر العزيز من الله تعالى والفتح القريب ففتح اصطنبول فى اليوم الحادى والخمسين من أيام محاصرته وهو يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى فى أكبر كنائس النصارى صلاة الجمعة وهى أيا صوفيه وهى قبة تسامى قبة السماء وتحاكى فى الاستحكام قباب الاهرام وما وهت ولا وهنت كبرا ولا هرما كأن أبراجها أبراج الافلاك ومسامير أبوابها نجوم السماك مزق منها جلابيب الصلبان والاصنام وخلع عليها خلع مساجد الاسلام وأبدلها الله تعالى عن الظلمات نورا وكساها بنور الاسلام شرفا وعزا وحبورا لازالت محلا للصلاة والعبادة والاعتكاف مقر الاستقرار قلوب العلماء والاصفياء والزهاد فيها والعراف مستقر السلاطين آل عثمان أهل المعدلة والانصاف أبد الآبدين ودهر الداهرين الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين • وقد أسس المرحوم المقدس فى اصطنبول للعلم أساسا راسخا لايخشى على شمسه الافول وبنى بها مدارس كالجنان لها ثمانية أبواب سهلة الدخول وقنن بها قوانين تطابق المعقول والمنقول وترغب فى طلب العلم الشريف وتكسو الطالبين حلل القبول بعد الحول فجزاه الله خيرا عن الطلاب ومنحه بها أجرا وأكثر ثواب فانه جعل لهم فى أيام الطلب مايسد به فاقتهم وجعل لهم بعد ذلك مراتب يترقون اليها ويصعدون بالتمكن والاعتماد عليها الى أن يصلوا الى سعادة الدنيا ويتوصلوا بها أيضا الى سعادة العقبى وانه رحمه الله

الدولة العلية بتنفيذ الحكم الذى حكم به قاضى المدينة على الاغاوات وأجروا عليهم العقوبات المحكوم بها من العزل لبعضهم والنفى لبعضهم ثم مازال الاغاوات يسعون فى الانتقام من أهل المدينة بسبب هذه الحادثة ووسطوا لذلك الوسائط ورحل بعضهم الى أبواب السلطنة بنفسه حتى انتقموا من كثير منهم وكان من جملة من اتهم بدخوله مع أهل المدينة فى هذه القضية العالم الفاضل السيد عبد الكريم بن محمد البرزنجى وابنه الفاضل السيد حسن وكان الاغاوات عرضوا الى الدولة جميع أسماء أولئك الجماعة الذين اتهموهم فى الدخول فى تلك الفتنة فجاء الامر من الدولة بقتل بعض أشخاص ونفى آخرين فكان السيد عبد الكريم وابنه السيد حسن من جملة المأمور بقتلهم ففر ولده قبل مجىء الامر الى مصر وبقى والده السيد عبد الكريم بالمدينة فصعب عليهم قبضه بالمدينة فحسن له بعض أعدائه الخروج من المدينة الى مكة المشرفة والاقامة بها فلما وصل الى مكة قبض عليه وزير جدة أبو بكر باشا وأنفذه الى جدة وحبس بالقلعة

• (ذكر قتل المظلوم بجدة وهو السيد عبد الكريم البرزنجى سنة ١١٣٦) •

ثم أمر بقتله فقتل خنقا ورمى فى سوق جدة يوما كاملا ثم رفعه بعض أهل الخير بشفاعة والتماس وغسل وكفن ودفن بجدة وهرعت الناس الى جنازته للتبرك به رحمه الله رحمة واسعة وقبره مشهور يزار ويعرف عند أهل جدة بالمظلوم وكان قتله فى ثامن ربيع سنة ست وثلاثين ومائة وألف وفى مدة الشريف مبارك المذكور كانت وفاة خاتمة المحدثين العلامة الشيخ عبد الله بن سالم البصرى وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائة وألف رابع رجب وكان تاريخ وفاته قد حل عبد الله دار قرار ولم يزل الشريف مبارك فى شرافة مكة الى ست من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين ومائة وألف فانتزعها منه الشريف يحيى بن بركات بولاية من السلطنة السنية فكانت مدة ولاية الشريف مبارك نحو سنتين ونصف وهذه الولاية الاولى وستأتى الثانية ان شاء الله تعالى وسبب انتزاع الشريف يحيى الولاية من الشريف مبارك ان الشريف يحيى لما هزم فى رجب سنة ثنتين وثلاثين ومائة وألف توجه كما تقدم للديار الرومية ولم يزل يجتهد حتى اجتمع بالسلطان أحمد بن محمد بن ابراهيم يوما كاملا الا قليلا وصار بينهما حديث طويل فانعم عليه بشرافة مكة سنة أربع وثلاثين وصدر الامر بتوجهه مع الحج الشامى ومعه الوزير على باشا كاهيلى متوليا بندر جدة وأمرته الدولة بأن يكون تحت أمر الشريف يحيى ومعهم أيضا أمير الحاج الشامى على باشا المشهور بابن المقتول فجاء الجميع فى عسكر جرار ودخلوا مكة لست خلون من ذى الحجة وخرج منها الشريف مبارك وجماعته وأقاموا بأطراف الطائف بموضع يسمى جرجة بعد وادى ليه قريبا من بلاد غامد

استجلب العلماء الكبار من أقاصي الديار وأنعم عليهم وعطف باحسانه العام اليهم كمولانا علي القوشجي والفاضل الطوسي والعالم الكوراني وغيرهم من علماء الاسلام وفضلاء الانام فصارت اصطنبول بهم أم الدنيا ومعدن الفخار والعليا واجتمع فيها أهل الكمال من كل فن فعلماؤها الى الآن أعظم علماء الاسلام وأهل حرفها أدق الفطناء في الانام وأرباب دولتها هم أهل السعادة العظام لاسيما العلماء الاكرمين قلدها في أجيادهم هي باقية الى يوم الدين ولو ذكرت مناقبه وعددت مآثره لشحنت بها مجلدات أسكنه الله فسيح الجنات وأنزل على قبره شآبيب الرحمة والبركات وكانت وفاته سنة ست وثمانين وثمانمائة ﴿ثم ولي الملك السعيد السلطان بايزيد خان الغازي﴾ ومولده سنة ست وخمسين وثمانمائة (١٧٥) وجلس على تخت الملك في ثامن عشر ربيع الاول سنة ست وثمانين وثمان مائة وعمره اذ ذاك ثلاثون عاما وعمر اثنين وستين عاما وهو من أعيان السلاطين العظماء تفرع من شجرة زكية طيبة أصلها ثابت وفروعها في السماء وتحدر من سلالة الملوك الاكابر وورث سرير السلطنة كابرا عن كابر وتزينت باسمه رؤس المنابر وترشحت بذكره صدور المنابر وامتلأت بمدائح أوصافه بطون الصحف والدفاتر وافتتح الفتوحات وغزا في سبيل الله أعظم الغزوات • فمما افتتحه قلعة ملوان وقلعة كوكلك وقلعة آق كرمان في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وقاتله أخوه السلطان جم فبرز السلطان بايزيد لقتاله وتقاتلا فانهزم السلطان جم وفر الى مصر وحج في زمن السلطان قايتباي وعاد وأكرمه السلطان قايتباي اكراما زائدا فذهب الى ورسق وجمع طائفة من الغواة ونازع أخاه على الملك فقاتله السلطان بايزيد فانكسر السلطان جم ثانيا وفر الى بلاد النصارى في سنة سبع وثمانين وثمانمائة فارسل اليه السلطان بايزيد أحد عبيده في صورة حلاق مجهول فلما رآه السلطان جم تأنس به وسأله عن صنعته فقال حلاق فاستخدمه وأمره أن يحلق رأسه فحلق رأسه بموسى مسموم وهرب في الحال وأثر السم في رأسه وسرى الى بدنه فمات الى رحمة الله تعالى وله أشعار لطيفة بلسان التركي • ومما افتتحه السلطان بايزيد من القلاع العظيمة والحصون المحكمة القديمة قلعة منون وقلعة قرون وغير ذلك من القلاع والحصون وظهر في أيامه في بلاد العجم شاه اسمعيل بن الشيخ حيدر ابن الشيخ جنيد الصوفي في سنة خمس وتسعمائة • وكان الشيخ حيدر ابن الشيخ جنيد الصوفي له ظهور عجيب

•(الولاية الثانية للشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٤)•

ولما ورد الشريف يحيى في هذه الولاية الثانية لم يكن في رقته ورأفته بالاشراف كما كان في الولاية الاولى بل تولى الامور بشدة وغلاظة وقابل السادة الاشراف بزعامة وفظاعة رجوعا عن سيرته الاولى واستحسانا بان الكيفية أصوب وأولى مع اعتماده على من جاء معه من الاروام والوزراء العظام فلم يزل حال الاشراف معه في نهاية الاضطراب مع نفور الاعراب والحال أن الشريف مباركا وذويه آل زيد بن محسن مقيمون باطراف الطائف ونواحيه فقضى الشريف يحيى الحج وكذا صاحبه الوزير قاضي جدة على باشا كاهيلي ثم وجها همتهما لتمهيد الامور واخلاء بعض الدور وكان معهما أوامر كثيرة متضمنة لاشياء عديدة منها ابعاد السادة آل زيد بن محسن ومنها هدم دارهم المعروفة بهم المسماة بدار السعادة وغير ذلك ولم يتم لهم شيء من ذلك أما السادة آل زيد فذكرنا أنهم نزلوا باطراف الطائف فوق قرية تسمى ليه في موضع عزيز يسمى جرجة قرب بلاد غلة وكان في جرجة حصن شاهق لبعض قبائل ثقيف فنزلوا به والذين نزلوا به من آل زيد هم الشريف مبارك بن أحمد بن زيد والشريف عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد ومعه أخوه الشريف علي ومعهم اخوتهم ومن يلوذ بهم من الاتباع فلما كان أواخر محرم من سنة خمس وثلاثين ومائة وألف توجه الشريف يحيى بن بركات وعلي باشا كاهيلي الى الطائف على طريق نخلة بالخيول والعساكر وسارا سيرا عنيفا حتى وصلا الطائف وأقاما به يوما واحدا ثم توجها ليلا بدلالة بعض شيوخ ثقيف وصبحاهم تحت الحصن المذكور واستولت العساكر على أدباشهم ولم يسلم منهم الا أشخاص وكادوا يذهبون قتلا لولا حفظ الله تعالى وعنايته بهم وهذه الغارة انما كانت على الشريف مبارك وأتباعه وأما الشريف عبد الله وأخوه الشريف علي فقد رحلا قبل وصولهم اليهم بقليل وقتل من جماعة الشريف مبارك أشخاص وذهب جميع ما معهم ورجع الشريف يحيى وعلي باشا الى الطائف وأقاما أياما يمهدان أقطار الطائف ثم سارا الى مكة ودخلاها وفي رجوعهم الى مكة وقع اضطراب لاهل مكة وسبب ذلك أنهم وجدوا فيما أخذوه من الادباش كتبا بخط بعض أهالي مكة ممن ينسب اليهم بأشياء كوجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن سليم فان عليا باشا وقع له على مكاتبات بينه وبين الشريف مبارك ووجد أيضا مكاتبات لآخرين غيره فنهب بيت عبد الرحمن المذكور وأراد القبض عليه وقتله فهرب بمساعدة بعض الخدم ثم ذهب الى اليمن وأراد الآخرين أيضا لكنهم هربوا ثم بعد مدة جمع الشريف مبارك المذكور جموعا من بادية بجيلة وناصرة وبني سعد وثقيف فاجتمع معه نحو الالف وأقبل بهم على الشريف يحيى وصاحبه فخرجا لملاقاته الى عرفة ووقع بينهم قتال شديد في أول الامر حملت

واستيلاء على ملوك العجم بعد من الأعاجيب فتك في البلاد وسفك دماء العباد وأظهر مذهب الرفض والإلحاد وغير اعتقاد أهل العجم إلى الانحلال والفساد بعد الصلاح والسداد وأخرب بلاد العجم وأزال من أهلها حسن الاعتقاد والله يفعل في ملكه ما أراد وتلك الفتنة باقية في تلك البلاد وشرح ذلك يحتاج إلى تاريخ مستقل ولا أعلم أحدا تعرض له من العلماء الأمجاد * وظهر من اتباع شاه اسماعيل المذكور في بلاد الروم شخص ملحد زنديق يقال له شيطان قولي أهلك الحرث والنسل وعم بالفساد والقتل وتبعه غواة لا تحصى وقويت شوكته وعظمت به في ذلك القطر الفتنة فارسل السلطان بايزيد وزيره الأعظم علي باشا بعسكر كثير لقتال هذا الباغي وأيده بجيش عظيم لقطع جادرة هذا الطاغي فاستشهد علي باشا في ذلك القتال وانكسر شيطان قولي المفسد التعيس وعسكره من جنود ابليس وقتل مع طائفة من أعوان الأبالسة وأسكن الله تلك الفتنة بعدما طمت وكفى الله شر أولئك الأشرار بعد ما عظمت فتنتهم وعمت وذلك في سنة خمس عشرة وتسعمائة * وكان السلطان بايزيد رحمه الله وجعل الجنة مثواه من المجاهدين في سبيل الله الذين لا يزالون على الحق ظاهرين على من ناواهم منصورين على من شق عليهم العصا وعاداهم يجاهدون لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فما زال غازيا في سبيل الله مظفرا منصورا على أعداء الله إلى أن صارت بيضة الإسلام بسيوفه محمية محفوظة وحركاته وسكناته بعين عناية الله ورعايته منظورة ملحوظة فكانت أيامه من أحسن الأيام وأكثرها أمنا وراحة وجمع قلب للأنام وكانت به كلمة الإسلام مجموعة وكلمة أهل الضلال خاسئة مقموعة وتولى وحدث الله على يديه اعزاز دينه واذلال طواغيت الشرك وشياطينه وكان مع ذلك محبا لفعل الخيرات مثابرا على بذل الإطعام والصدقات دخل الخلوة بمجلس أربعين وارتاض مثل الصلحاء السالكين ودخل معه الخلوة مولانا والد أبي السعود أفندي المفتي المفسر رحمه الله تعالى وبنى الجوامع والمدارس والعمارات ودار الضيافات والتكايا والزوايا والخانقاهات ودار الشفاء للمرضى والحمامات والجسور ورتب للمفتي الأعظم ومن في رتبته من العلماء العظام في زمنه كل عام عشرة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرسي الثمانية من مدارس والده المرحوم السلطان محمد خان في كل عام سبعة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرسي شرح

الخيل على الشريف مبارك ومن معه فكسرته والبادية الذين معه انحصروا في الجبل المسمى بالحطة ووقع منه قتال أهال الأتراك وكان الشريف يحيى لما خرج أخرج معه البلكات السبعة بعساكرهم بل ومن ينتمي إليهم من سكان مكة من أبناء الروم ومصر والمغاربة وعساكر بندر جدة فقاومت هؤلاء البادية جميع تلك الطوائف بحرب طار شرره وقتل جم غفير من الأتراك وغيرهم ولم يمكنهم الاستيلاء عليهم أبدا فأعطوهم الأمان وبذلك سلم بقية الأتراك من القتل ونزل البادية من الجبل وتوجهوا إلى الطائف آمنين مطمئنين ويقال ان عليا باشا أصابه صواب في نفسه في تلك الواقعة فكانت الهزيمة في هذه الواقعة على الشريف مبارك ورجع إلى الطائف ثم خرج من الطائف بسبب عسكر وجهه إليه الشريف يحيى وبقي في أطراف الطائف إلى شهر رمضان من السنة المذكورة ثم دخل الطائف وأخرج منه وكيل الشريف يحيى وهو السيد محمد بن الشريف عبد الكريم بن يعلي واستمر الشريف مبارك بالطائف ومعه جمع من البادية وكان بالطائف حين دخول الشريف عبد الكريم زعيم الأشراف ورئيسهم وهو السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي وهو جد سيدنا الشريف محمد بن عبد المعين بن محسن فتولى الأمر وذب عن الرعية وأرسل كتابا مع ولده السيد عون للشريف يحيى بن بركات ولعلي باشا يعرفهما بذلك فارسلا يطلبانه فوصل إلى مكة واجتمع بهما معا ثم بعلي باشا بمفرده وتواطئا على أن يكتبا للشريف مبارك كتابا بالملاطفة ويعدانه بشرافة مكة بعد الحج وأن يرسلا له مبلغا من الدراهم يستعين به ويفرق من كان عنده من البوادي ويستقر بالطائف آمنا لا يتعرض لشيء من الأحكام وتعهد السيد محسن للباشا بأنه ما يخالف ما تأمره به وأنا أمشي إليه بنفسي لأجل ذلك وفي ضمن ذلك تنطفئ الفتنة ان شاء الله تعالى وتنطفئ ثائرة الأشراف القائمين على الشريف يحيى لكن لابد من تسليم شيء لهم ففاوضوا في ذلك واستقر الأمر على تسليم علوفة شهر للأشراف نقدا ثم سلم ذلك إليهم علي باشا من خزانته ثم توجه السيد محسن إلى الطائف ووفد على الشريف مبارك ومن معه من السادة الأشراف وأعطى الشريف مبارك كتابة من الباشا والمبلغ الذي له وأزاله عما كان عليه وأعطى الأشراف الذين معه علوفة شهر نقدا وتفرقت البوادي واستقرت الأحوال وأمنت البلاد ومشت فيها أحكام الشريف يحيى بن بركات ثم عاد السيد محسن إلى مكة ومعه جماعة من الأشراف وجماعة من عيون خدم الشريف مبارك لقضاء بعض أغراضهم فوجدوا عليا باشا قد توجه إلى جدة فلحقوه بجدة فأكرم السيد محسنا ومن معه بما لم يعهد مثله وأعطاه السيد محسن جواب الشريف مبارك بامتثال الأمر في كل ما أمر به فسر بذلك وتشكر من السيد محسن فيما فعله فرجع السيد محسن إلى مكة

التحرير ألبي عثماني وكذلك رتب لمشايخ أهل الطريق الى الله ومريديهم وأهل الزوايا الكل واحد على قدر مرتبته وصار قانونا جاريا بعده مستمرا وكان يحب أهل الحرمين الشريفين ويحسن اليهم احسانا كبيرا ورتب لهم الصرفي كل عام وكان يجهز لفقراء الحرمين الشريفين في كل سنة أربعة عشر ألف دينار ذهبا يصرف نصفها على فقهاء مكة ونصفها على فقهاء المدينة وكانوا يستعينون بها ويرتفقون بها ويدعون له واذا ورد عليه من أهل الحرمين الشريفين أحد ينعم عليه ويحسن اليه ويرجع من عنده بصلات عظيمة ومواهب جليلة وممن ورد عليه في شبابه خطيب مكة المرحوم الشيخ محيي الدين بن عبد القادر بن عبد الرحمن العراقي والشيخ شهاب الدين بن الحسين العليف شاعر البطحاء فانعم عليهما ونالا منه خيرا كثيرا وصنف العليف تاريخا سماه الدر المنظوم في مناقب السلطان بايزيد خان ملك الروم لا يخلو من فوائد لطيفة * ومما نظمه الشهاب العليف في مدحه رحمهما الله تعالى من قصيدة رائية طنانة مطلعها

خذوا من ثنائي موجب الحمد والشكر
ومن درلفظي طيب النظم والنثر

*(ومنها)*

فيا راكبا يسري على ظهر ضامر
الى الروم يهدي نحوها طيب النشر
لك الخير ان وافيت برصى فسر بها
رويدا الاصطنبول سامية الذكر
له ملك لا يبلغ الوصف كنهه
شريف المساعي نافذ النهي والامر
الى بايزيد الخير والملك الذي
حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمر
وجرد للدين الحنيفي صارما * أباد به جمع الطواغيت والكفر
وجاهدهم في الله حق جهاده * رجاء لما يبغي من الفوز بالاجر
له هيبة تملأ الصدور وصولة * مقسمة بين المخافة والذعر
أطاع له ما بين روم وفارس * ودان له ما بين برصى الى مصر
هو البحر الا انه دائم العطا * وذلك لا يخلو من المد والجزر
هو البدر الا انه كامل الضيا * وذو البدر حليف النقص في معظم الشهر
هو الغيث الا أن للغيث مسكة * وذا لا يزال الدهر ينهل بالقطر
هو السيف الا أن للسيف نبوة * وفلا وذا ماضي العزيمة في الامر
سليل بني عثمان والسادة الالى * علا مجدهم فوق السماكين والنسر
ملوك كرام الاصل طابت فروعهم * وهل ينسب الدينار الا الى التبر
محوا أثر الكفار بالسيف فاعتدت * بهم حوزة الاسلام سامية القدر

وحدث لعلي باشا مرض طال به الى ذي القعدة ثم توفي بجدة ودفن بقرب أمنا حواء وبنوا عليه قبة واستقر في منصبه بعده كيخيته اسمعيل باشا وأقام علائف العسكر على عادتهم مع علي باشا وكانت هذه التولية برأي الشريف يحيى وقاضي الشرع وأعيان الدولة فاستمر متوليا الى شهر ذي الحجة الا انه صار في العسكر تعديات كثيرة على الرعية لعدم ضبطه لهم كاستاذه والاشراف في نهاية الاضطراب أيضا مع شيخهم الشريف يحيى لقطعه مقرراتهم المعروفة والشريف مبارك بن أحمد قد تحرك بالطائف لجمع البادية والمسير الى مكة بعد وفاة علي باشا المذكور ولم تزل الحال كذلك الى أن وصل الوزير عثمان باشا المكي بابي طوق أمير الحاج الشامي

*(ذكر نزول الشريف يحيى بن بركات عن شرافة مكة لولده بركات سنة ١١٣٥)*

وكان في مكة أعيان الدولة كحسن أغا دار السعادة وأيوب أغا شيخ الحرم النبوي سابقا وغيرهما فتواطؤا على أن الشريف يحيى ينزل عن الشرافة لولده الشريف بركات ويصير هو شيخ الحرم المكي فاذا فعل ذلك ذهبت حقوق الاشراف القديمة ويقوم لهم الشريف بركات بما ينفعهم حالا وفي هذه السنة قبل وفاة علي باشا صارت قضية بين عبيد السادة الاشراف وبين عساكر علي باشا أفضت الى قتال صار بين الفريقين وكان الشريف يحيى ومن يتبعه من العبيد والعساكر في طرف علي باشا على الآخرين فحصل من ذلك انه هرب جميع عبيد السادة الاشراف وتفرقوا في جبال مكة فاوقعت في خواطر الاشراف على صاحبهم الشريف يحيى ولم يحصل هذا الامر وقتل في هذه الوقائع بعض شيوخ العبيد وصار على العبيد ذل لم يعهد مثله غير انهم تقاضوه من العسكر في الحرب الواقع بين الشريف مبارك وبين الشريف بركات كما سيأتي ذكره والحاصل أن هذه السنة صار فيها حوادث جمة ومخاصمات وغارات بين الشريف يحيى والسادة الاشراف وبين عبيدهم وعساكر الوزير المذكور وعساكر الشريف يحيى وكانت سنة مرتجة ولم يزل الحال كذلك الى شهر ذي الحجة وفيها كان نزوله عن الشرافة لولده الشريف بركات بسبب الاختلاف والاضطراب الحاصل آخر السنة المذكورة أعني سنة خمس وثلاثين بعد المائة والالف حتى ظهر الخلاف في جميع الاطراف لاسباب اقتضت ذلك أحدها موت عضيده الوزير علي باشا وثانيها تحرك الشريف مبارك بالطائف وأطرافه لموت الوزير المذكور وانخرام ما كان بينه وبينه من الوعد وثالثها عجز الشريف يحيى عن ايفاء السادة الاشراف حقوقهم فلما وصلت الحجوج الشامية والمصرية وغيرهما صعد بهم الشريف يحيى الى عرفات فكانت الاشراف برمتهم في ناحية عنه لم يخالطوه وأوصلوا شكاياتهم الى أعيان الدولة الواصلين في ذلك العام ومن جملتهم أمير الحاج الشامي الوزير عثمان باشا أبو طوق لكنه

فياملكا فاق الملوك مكارما * فكل الى أدنى مكارمه يجرى لئن فقتهم فى رتبة الملك والعلا * فان الليالى بعضها ليلة القدر
فدتك ملوك الارض طرا لانها * سرار وأنت البدر فى غرة الشهر تعاليت عنهم رفعة ومكانة * وذاتا وأوصافا تجلى عن الحصر
لك الغرة القعساء والرتبة التى * قواعدها تسمو على منكب النسر سموت علوا اذ دنوت تواضعا * وقمت بحق الله فى السر والجهر
غدت بك أهل الروم تزهو ملاحة * وترفل فى ثوب الجلالة والفخر ألست ابن عثمان الذى سار ذكره * مسير ضياء الشمس فى البر والبحر
يمينك تروى عن يسار ونائل * ووجهك يروى فى البشاشة عن بشر وانى لصوان لدر قلائدى * عن المدح الا فيك يا ملك العصر
فقابل رعاك الله شكرى بمثله * فانك للمعروف من أكرم الذخر (١٧٨) فلازلت محروس الجناب مؤيدا *
من الله بالتوفيق والعز والنصر
ويحكى ان القصيدة لما وصلت اليه فرح بها كثيرا وأمر لصاحبها أحمد العليف بألف دينار ذهبا جائزة ورتب له فى دفتر المصر فى كل عام مائة دينار ذهبا تصل اليه فى كل عام وصارت بعده الى أولاده
* وكان للمرحوم السلطان عدة أولاد صاروا ملوكا وصار لاولادهم أولاد فمنهم السلطان جهان شاه السلطان أحمد والسلطان قورقند والسلطان سليم والسلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان علم شاه وكان أنجبهم وأمجدهم وأعزهم وأسعدهم وأكملهم وأرشدهم السلطان سليم شاه وكلهم أعلام الهدى ومصابيح الدجا ونجوم لرجوم شياطين العدا نشؤا فى مهد السلطنة وبحرها وغوا ما بين سحرها ونحرها من شجرة طاب عودها واعتدل عمودها ولا غرو ان يجود الجواد كأصله وتلوح لاحقا
مخايل الليث على شبله والولد سر ابيه فى فضله ونبله وكل شئ فى الحقيقة يرجع الى أصله ملوك بنى عثمان من طاب أصلهم
* كرام لهم فى المكرمات مفاخر اذا ولد المولود منهم تهللت * له الأرض واهتزت اليه المنابر ولما ترعرعوا وبرعوا أخرجهم
والدهم الى السناجق العالية فى بلاد الروم وأنعم عليهم بالولايات العظام وحفظ بهم ملك الاسلام وقلدهم الأمور الجسام
فجعل لأكبر أولاده السلطان أحمد مملكة أماسية وما والاها وكان يتوقع منه أن يكون ولى عهده ويأبى الله الا ما أراد وأنعم
على السلطان جهان شاه بمملكة قرمان وأعمالها وولى السلطان قورقند مملكة منتشا وتوابعها وجعل للسلطان سليم مملكة

ما التفت اليهم ولا أخذ بأيديهم وانما مال مع الشريف يحيى فاستقر الرأى بينه وبين الشريف يحيى وأعيان الدولة ان ينزل الشريف يحيى عن الشرافة لولده الشريف بركات فبهذا النزول تنهدم حقوق الاشراف المنكسرة عنده وتصلح الاحوال ويداخلهم الشريف بركات بحسب جهده ففعل ذلك الشريف يحيى ونزل لابنه الشريف بركات فى مجلس الوزير عثمان باشا أمير الحاج الشامى وبحضور قاضى الشرع وأعيان الدولة على أن الشريف يحيى يلبس خلعة مشيخة الحرم استقلالا عن صاحب جدة وكان النزول المذكور فى اليوم الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ومائة وألف فكانت مدة ولاية الشريف يحيى الثانية سنة كاملة الا ثلاثة أيام والاولى سنة وسبعة أشهر ويوما الجميع سنتان وسبعة أشهر الا يومين فزاد الاضطراب لما عرف السادة الاشراف أنها حيلة على اذهاب حقوقهم واستولى على الشريف بركات المذكور أبوه وعمه السيد عبد الله بن بركات فلا يرد ولا يصدر الا عن رأيهما وحصل بينهم وبين السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن حسن بن أبى نمى منابذات ومخاصمات عند بعض الامور فأراد الشريف بركات بن الشريف يحيى ازالتها فلم يمكنه ذلك لاطاعته لهما فبنى السيد محسن بن عبد الله على الفراق وكذا جملة من السادة الاشراف وأجمعوا على الارسال للشريف مبارك بن أحمد ليصل بمن معه من الاشراف والبادية وعزموا على مقاتلة الشريف بركات واخراجه من البلاد فلما أزمع رأيهم على ذلك فارقوه على مقتضى قواعدهم وبرزوا الى خارج البلاد ورحلوا يوم السادس من محرم سنة ست وثلاثين ومائة وألف وتلاقوا هم والشريف مبارك فى عرفات يوم عاشر الشهر المذكور وفى اثناء هذه المدة لم تزل المكاتبة بين السيد محسن المذكور وبين الشريف عبد الله بن سعيد المتقدم ذكره وكان فى أطراف اليمن ولم يزل يتقرب الى أطراف مكة الى أن اجتمع بالسادة الاشراف والشريف مبارك ثم وصلوا جميعا الى أعالى مكة

*(ذكر الحرب بين الشريف بركات وبين الشريف مبارك بن أحمد بن زيد سنة ١١٣٦)*

وخرج لمقاتلتهم الشريف بركات بن الشريف يحيى ومعه والده بعساكرهم واسمعيل باشا صاحب جدة بعساكره بحيث انهم بلغوا ثلاثة أمثال الشريف مبارك ومن معه وثارت الحرب بينهم بأعلى مكة عند المعنا يوم الاربعاء الثانى عشر من محرم سنة ست وثلاثين ومائة وألف وحمى الوطيس واشتد الحال فى القتال الى خامس ساعة من النهار فحملت السادة الاشراف حملة واحدة على الشريف بركات ومن معه وهزموهم هزيمة شنيعة وقتلوا فيهم قتلا عظيما لم يسمع مثله حتى امتلأت أعالى مكة من القتلى وولوا مدبرين ثم جاء السيد محسن بن عبد الله وأمن العساكر اليمنية ونزل بهم الى مكة

طوابزون وهو الذي جرى في حلبة السعادة فسبق وسبقت في علم الله تعالى سلطنته فكان أولى من الجميع وأحق وأعطى السلطان محمد المملكة الكفار وما يليه من بلاد التتار وكلهم ملوك أبرار وسلاطين كبار من تلق منهم فقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التي يهدي بها السارى وأسعد الله جهان شاه ومحمدا وأحمد بالوفاة في حياة والدهم وكفاهم الله تعالى القتل والقتال وصار حال ماعدا السلطان سليم الى ما حال رحمهم الله تعالى جميع أولئك الابطال وعوضهم عن سلطنة هذه الدار جنات تجرى من تحتها الانهار * وكان والده السلطان بايزيدخان استولى عليه مرض النقرس وهو أكثر مرض آل عثمان رحمهم الله تعالى فضعف عن الحركة وترك السفر سنين متعددة فصار العسكر لبطرهم وكثرة راحتهم وسكونهم يطلبون سلطانا ناشئا قوى



لاستقبالهم الشريف مبارك حتى أوصلهم اليه في داره العامرة وتوجه الشريف بركات ووالده الى وادى مر بأجلة وكفلاء على قانونهم المعتاد ثم توجه الشريف يحيى الى الشام وتوفي بها وكذا ابنه بركات

*(الولاية الثانية للشريف مبارك سنة ١١٣٦)*

فكانت ولاية الشريف بركات بن الشريف يحيى مدة ثمانية عشر يوما ونادى المنادى بمكة للشريف مبارك وبالامن والامان وهذه الولاية الثانية للشريف مبارك وأمنت العباد ودخل صحبته السيد الشريف عبد الله بن سعيد واستمر الحال على أحسن ما يكون ثم بعد شهرين أو ثلاثة اضطرب الحال بين الشريف مبارك والسيد محسن بن عبد الله ولذلك أسباب الاول ان السيد محسنا كان قد تعهد للشريف مبارك باخراج الشريف عبد الله بن سعيد بعد الدخول فلم يفعل بل حصل بينهما مزيد المصادقة وثانيهما ان السيد محسنا أراد عزل وزير الشريف مبارك وهو عبد القادر بن سليم ويهيئ له وزيرا آخر فلم يفعل وعضد الوزير المذكور جماعة من كبار الاشراف فتوقف عنه السيد محسن المذكور وشرع يتألف خواطر السادة الاشراف مع انقطاع الطرق ووقوع غلاء أضر بالناس وكثر السراق بمكة المشرفة بالليل ولم يلتفت الشريف مبارك لشئ من ذلك ثم خرج في أثناء ذلك الشريف مبارك الى طريق جدة لتأمين الطريق فلم يحصل أمن بل أخذ القطاع ناسا قريبا من الموضع الذى كان نازلا به ولم يفزع ثم رجع الى مكة صائلا على الشريف عبد الله بن سعيد والسيد محسن فلم يجدهما في مكة وقد كان الشريف عبد الله بن سعيد حين دخوله مكة مع الشريف مبارك عند انهزام الشريف بركات بعث عرضا الى الدولة العلية بمساعدة بعض أغاوات العساكر المقيمين بمكة مضمون العرض شكايات من الشريف مبارك بن أحمد وانه قتل جميع الاتراك وأرهب عساكر الدولة حين دخوله مكة لقتال الشريف بركات بن يحيى بن بركات ولاذب عنهم وسلمهم من القتل الا الشريف عبد الله بن سعيد فوصل هذا العرض الى الدولة فكان جوابه الاعزل الشريف مبارك وتوجيه امارة مكة للشريف عبد الله بن سعيد فلما كان اليوم الثاني عشر من جمادى الاولى سنة ست وثلاثين ومائة وألف وصلت البشائر من المدينة المنورة بتوجيه الامر للشريف عبد الله بن سعيد وصادف ذلك ماهم فيه من الاختلال فلما جاءت الاخبار الى مكة بذلك رجع الشريف عبد الله بن سعيد والسيد محسن الى مكة وصار يحادعان الشريف مباركا فلما كان يوم السبت خامس عشر جمادى الثانية نزل الشريف عبد الله بن سعيد الى محكمة الشرع عند قاضي مكة المشرفة وحضر أيضا السيد محسن بن عبد الله بن حسين وجميع أغاوات العساكر المصرية وأشرفوا القاضي على الكتب التي جاءت من المدينة وطلبوا من القاضي عزل

الحركة كثير الاسفار ليجاهدهم في سبيل الله تعالى ويغنموا من الكفار غنائم ورأوا أن السلطان سليم خان أجلد من سائر اخوانه وأقوى على ذلك لقوة جنانه وعلو شانه فمالوا اليه ومال اليهم وتوجه بالعطف والحنو عليهم وخرج على والده محاربا وركب عليه مقاتلا ومغاضبا فقاتله أبوه فهزمه وولى هاربا ثم عطف على والده ثانيا لما رأى ميل العسكر اليه واختيارهم له على والده واجتماعهم عليه ورأى السلطان بايزيد توجه أركان الدولة والعسكر الى السلطان سليم وأشار عليه وزراؤه أن يفرغ عن السلطنة للسلطان سليم بقلب سليم ويختار التقاعد في أدرنة في عز وتعظيم وأبرموا عليه في ذلك فما رأى بدا في اجابتهم الى ما سألوا وموافقتهم الى ما طلبوا وأملوا فطلبوه الى حضوره وعهد اليه السلطان بالسلطنة وسلم اليه التخت وتوجه مع خدامه الخواص الى أدرنة فلما وصل الى قرية جورلو انكسر زجاج مزاجه وعجز الاطباء في علاجه وسقاه ساقي الحمام كأس أجله المحتوم فسلم الى قابض الأرواح روحه المرحوم وقدم على الله تعالى الحي القيوم ورزق مرتبة الشهاده ونال بها أعلى درجات السعادة وانتقل من الملك الزائل الفاني الى الملك الدائم الباقي وكان ذلك في سنة ثمان عشرة وتسعمائة *وولى موضعه السلطان الاعظم السلطان سليم خان* كاسر سلطان العجم وفاتح اقليم مصر وسائر ممالك العرب طيب الله ثراه وجعل الفردوس الاعلى محله ومأواه * مولده في أماسية سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وجلس على تخت السلطنة وعمره ست وأربعون سنة وكانت مدة

الشريف مبارك وتولية الشريف عبد الله بن سعيد فتوقف القاضي في عزل الشريف مبارك اذ ليس له مسوغ شرعي يستند اليه فتغاب عليه الاتراك مع الزام السيد محسن للقاضي بان البلاد قد خربت والطرقات تقطعت والناس قد هلكوا وقالوا له أنت وكيل حضرة مولانا السلطان مع تحقق توجيه الامر للشريف عبد الله بن سعيد لهذه المكاتيب الواردة من المدينة من شيخ الاسلام بالمدينة وغيره فهذه الاشيا توجب العزل فحث السيد محسن حضرة القاضي على العزل وقال القاضي نخشى وقوع فتنة وقتال بمكة المشرفة فتعهد السيد محسن بعدم وقوع ذلك وانه لم يقع ان شاء الله مايكدر على المسلمين غيرانكم أحضروا الملبوس ولا تفيضوه على الشريف عبد الله بن سعيد الا اذا دخلت بيت الشريف مبارك ففعلوا حسب ماأمرهم فذهب السيد محسن وحذر العساكر العثمانية من الحركة وأخبرهم ان الشريف عبد الله قد لبس خلعة الشرافة عند القاضي وها هو قد أقبل ثم دخل بيت الشريف مبارك

*(الولاية الثانية للشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٣٦ وخروج الشريف مبارك من مكة)*

فعلى مقدار ذلك ألبس القاضي الشريف عبد الله وخرج من المحكمة على جهة سويقة ولما صعد السيد محسن للشريف مبارك وجده قد أحس بالخبر وتحرك للقتال فثبطه وأرخى كفله عن ذلك وأخبره ان الامر قد تم وان الحركة ليست بنافعة فلما تحقق ذلك دخل عليه على عادتهم الجارية وخرج من بيته وتوجه الى بركة ماجن بريد الحسينية وأقام بها مدة ثم توجه الى اليمن ومدة ولايته هذه خمسة أشهر والاولى سنتان ونصف الجميع ثلاث سنين الا شهرا واحدا تقريبا ولم يقدر الله له عوده الى شرافة مكة واستمر باليمن الى ان توفي سنة ألف ومائة وأربعين رحمه الله فتولى الشريف عبد الله بن سعيد وتم الامر له وهذه الولاية الثانية للشريف عبد الله بن سعيد وكان جلوسه هذا خامس عشر جمادى الثانية سنة ألف ومائة وست وثلاثين ثم جاءت المراسيم السلطانية بعد أيام قليلة واستمر ضابطا لمكة المشرفة وماحولها من الاطراف متفقا مع السادة الاشراف الى ان انكسر لهم عنده في ذلك العام مبلغ عظيم من معاليمهم ولم يكن عنده مايفي لهم بذلك فثاروا عليه ولم تزل الدعاوى بينهم وبينه عند القاضي ترفع وعظم القيل والقال ثم آل الامر الى القتال في شهر ذي القعدة فاقتتلوا بمكة صبح الخامس والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة واستمر الى مضي خمس ساعات وتحصن الشريف عبد الله المذكور في بيته دار السعادة بعد ان فرق عساكره فيما حوله من البيوت والمنائر وكر على المقاتلين له الرمي بالمدافع والسادة الاشراف متحصنون بدار

سلطنته تسع سنين وكان عمره جميعا أربعا وخمسين سنة لم يعمر أكثر من ذلك ولم تطل مدة سلطنته لانه كان كثير القتل وهذه عادة الله في السلاطين والامراء والحكام اذا أكثروا سفك الدماء وكان سلطانا قهارا ملكا جبارا كثير السفك قوي البطش عظيم الفتك كثير الفحص عن أخبار الناس شديد التوجه الى أهل النجدة والباس عظيم التجسس عن أخبار الممالك عارفا بمسارب الطرق والمسالك وكان يغير زيه ولباسه ويتجسس بالليل والنهار ويطلع على الاخبار ويستكشف الاسرار وله عدة مصاحبين يدورون حول القلعة وفي الاسواق وفي الجمعيات والمحافل ومهما سمعوا به ذكروه له في مجلس المصاحبة فيعمل بمقتضى ماسمع بعد الوثوق منهم وقد أدركت جماعة من مصاحبيه المذكورين وسمعت منهم حسن مصاحبة السلطان سليم المرحوم معهم ولطف معاشرته لهم وشدة تيقظه ودقة فهمه وتحفظه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتفرسه في اللغة الفارسية وحسن نظمه بالفارسية والرومية بحيث فاق فيه فصحاء الطائفتين ورأيت بيتين بالعربي بخطه الشريف كتبهما في علو المقياس في الكوشك الذي أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة قد انمحى لطول الزمان مداده ومال الى لون البياض سواده وكان هذا الكوشك محترما مقفلا لا يصل اليه أحد لعظمة بانيه ولا يتبذل بالدخول اليه لعظمة راعيه فدخلت الى مصر في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكوشك لبكاربكي مصر يومئذ خسرو باشا وكنت مصاحبا لمعلم مولانا عبد الكريم العجمي فطلع وأطلعني معه في صحبته خسرو باشا المذكور فرأيت على الرخام الابيض كتابة خفية لا تكاد تظهر الا بتأمل هذين البيتين الرحمة

الملك لله من يظفر بنيل منى * يردده قسرا ويضمن بعده الدركا
لو كان لي أو لغيري قدر أنملة * فوق التراب لكان الامر مشتركا

وكتبه سليم بذلك الخط والقلم ولعمري ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية في البراعة ونهاية في التمكن من الصناعة فيدل على تمكنه رحمه الله في اللسان العربي أيضا لانهما من أعلى طبقات الشعر العربي البليغ المنسجم وان كان قد تمثل بهما وهما لغيره فهذا أيضا مرتبة علية في حسن التمثيل وحسن الاستحضار وفهم الاشعار العربية وذوقه لها وهذا القدر يستكثر على علماء الروم وعلماء العجم المكبين على علوم

العربية فضلاء من سلاطينهم المشغوفين بضبط الممالك وفتحها والفائقون فى ذوق الشعر العربى وحسن آدابه من العلماء والموالى فى غاية القلة معدودين منهم ولا يعد هذا نقصا فيهم لان فهم الشعر العربى على وجهه كما ينبغى قليل أيضا فى علماء العرب الا من توغل منهم فى علم الادب وتعب فى تحصيله ودأب وقد كانوا اذ ذاك عددا قليلا * وقد صاروا أقل من القليل

﴿ثم لما استولى﴾ السلطان سليم خان على سرير السلطنة وفرغ من دفن والده توجه الى قتال أخيه السلطان أحمد فظفر له بهيبة السلطان سليم عسكر أحمد وبقى فى عدد قليل فاخذ أسيرا وأتى به أسيرا الى السلطان سليم فامر بخنقه فخنق وتوفى تاسع صفر سنة تسع عشرة وتسعمائة * ثم فر السلطان قورقند الى كهف جبل وأراد التحصن (١٨١) منه الى مكان حصين فعرف مكانه فسلك وجئ به اليه فخنق وكذلك بالسلطان محمد ابن السلطان شهنشاه والسلطان عثمان ابن السلطان علم شاه والسلطان مصطفى والسلطان أورخان والسلطان سليمان أولاد السلطان محمود وسبعة أولاد كلهم رضع فى المهد خنقهم فى ليلة واحدة فى بورسا فكانت ليلة ملأت البلاد بكاء وعويلا وصراخا أعظم من صراخ الثكالى ومأتما طويلا بكت فيها حتى الحجارة تتفجر منها مدامع الانهار وتشقق ثيابها حتى كمائم الازهار ولطم الخدود حتى انشقت ألوان أحمر ثم أسود والبس حتى الليل ثياب الحداد وتعمم بالاسود وكان أمر الله قدرا مقدورا وسيف الفناء بيد القضاء ماضيا مشهورا

فلا المعزى بباق بعد ميته
ولا المعزى ولو عاشا الى حين

﴿فلما استقر﴾ للسلطان سليم الملك وهيهات أين الاستقرار وثبت على تخت السلطنة وأنى له بالثبات والقرار شرع فى قهر الملوك وأخذ الممالك والاستيلاء على الاقاليم والبلدان والمسالك فبدأ بقتال شاه اسمعيل ابن الشيخ حيدر الصوفى كما سنذكره مجملا من ذلك فى هذا الفصل الثانى فانى ما ظفرت بكتاب فيه تفصيل ذلك وانما تلقيته من أفواه الرجال وأخبرنى ثقة من أعيان كتبة الديوان الشريف على ان السلطان بايزيد رحمه الله تعالى حذره منجم حاذق من أهل عصره ان هلاكه يكون على يد ولد يولد له بعد ما ولد له عدة أولاد وكان تحذيره له قبل أن يولد السلطان سليم فطلب امرأة معتمدة عنده بيدها جواريه الموطوآت وهى قابلة لمن تضع حملها منهن وكانت من الصالحات الخيرات الدينات فقال لها اذا وضعت احدى الجوارى بعد الآن صبيا فاقتليه ولا تبقيه حيا

الرحمة المعروفة ببناء الشريف يحيى بن بركات وبعض محلات أخر من تلك الجهات وأما طرد الجبل وعرائك الفوارس فهو عاطل بسبب الرمى من المتاريس وأما الاتراك فهم فى بيوتهم حافظون أيديهم عن الفريقين الا انهم فى آخر الامر جنحوا الى اعانة الشريف عبد الله بن سعيد بعد ان كان بينهم وبين السادة الاشراف عهود ومواثيق بعدم المعاونة فرفضوا تلك العهود السابقة فلما أعانوه حصل له النصر فأخرج الذين قاوموه من القصور مكسورين بعد ان قتل من الفريقين بعض أشخاص فتوجهوا جميعا الى طوى فاقاموا ثلاثة أيام لقضاء مآربهم ونجاح أغراضهم ووصل اليهم الشريف عبد الله بن سعيد فى أثناء ذلك لاصلاحهم وأخذ خواطرهم جريا على سنن آبائهم فلم ينقادوا له وما أجدى ذلك نفعا وساروا الى وادى مر قاصدين ملاقاة الوزير عثمان باشا أبى طوق أمير الحاج الشامى ليعرضوا عليه حقائق أحوالهم لانه كان أميرا على الحج سنتين هذه والتى قبلها فلما جاء الحج اجتمعوا به وشكوا ما حل بهم اليه فقابلهم بالاجلال والاكرام ووعدهم بقضاء مطالبهم فلما وصل الى مكة واجتمع بالشريف عبد الله أخبره باجتماع السادة الاشراف به وشكايتهم اليه وأفهمه بما وعدهم به فاخبره الشريف عبد الله بمقدار ما يطالبون به من الدراهم ومقدار ما يصل اليه من المحصولات التى لا تفى بما يطالبون به واستمال الوزير المذكور حتى صار فى جانبه ثم اتفق الشريف مع الوزير المذكور على تنقيص معاليمهم وعلى توزيعها على قدر المحصولات وكتبوا بذلك دفترا ينطوى على العشر من مشاهراتهم المعروفة ومقرراتهم المألوفة وأمرهم الباشا بالختم عليه ليرجع عند الاختلاف اليه وتلطف بهم ودفع اليهم شيأ من مقرراتهم حتى تفرق أولئك السادة الاشراف فى سائر الاطراف وعاقب الشريف عبد الله بعض أهالى مكة ممن كانت له يد مع أولئك السادة الاشراف

﴿عزل الشيخ محمد الشيبى عن سدانة البيت الحرام سنة ١١٣٦﴾

فمن جملة ذلك أنه اعتقل فاتح بيت الله الحرام الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطى الشيبى وطوقه الادهم وأثبت عليه الذنب المقتضى ذلك وألزمه بدفع مبلغ خطير من المال فسلمه ودفعه اليه وحقن بذلك دمه وفى أثناء الاعتقال عزله عن المنصب ونقله الى ابن عمه وبعد الفكاك من الاعتقال أمره بملازمة بيته ومن جملة ذلك أيضا انه أغار على شيخ الحديث فى عصره العلامة الشيخ سالم ابن الشيخ عبد الله البصرى وألزمه بمبلغ جسيم من المال بمسوغ سقيم وأفهمه بان الآمر به حضرة الوزير ومنعه من الوصول اليه وبث الشكوى اليه ولم يزل يكرر عليه الرسل فى دفع المبلغ الذى طلبه منه حتى باع عز بزته وكتبه وسلم جميع ذلك وعدا على رجل من علماء الاروام يدعى

واذا وضعت أنثى اتركيها تعيش مع بناتي وأكد عليها في ذلك غاية التأكيد فاستمرت على ذلك الى أن ولدت السلطان سليما والدته فرأته صبيا فحزنت عليه وتناولته القابلة لتخنقه فرأت صورة جميلة فرقت وقالت بأي وجه ألقى الله تعالى في قتل هذا الطفل المعصوم والله لا أقدم على قتله وقالت بايزيد قد حصل له بنت جميلة حسنة الصورة فلما أخبر بذلك سماها سلمة واستمر على ذلك والحال مكتوم لا يعلمه غير الله تعالى والقابلة والام وصار كلما ظهر وانتشأ ظهر عليه سيما الغلبة والقهر واذا اجتمعت البنات وجلس بينهن لطم من الى جانبه وضرب ونهب ما وجد بايديهن من ملعوبات الاطفال وكانوا يحذرون منه فدخل السلطان بايزيد في يوم عيد الى داخل السرايا وأمر بالمكان فزين واستدعى (١٨٣) كل واحدة منهن أنواع الحلوى والفواكه وأحضر بينهن السلطان سليم واسمه سلمة فشرع في مداعبته على عادته وخطف ما بين أيديهن من الحلوى والفواكه ووضع الكل بين يدي نفسه والكل خائفات منه هائبات له فتعجب بايزيد لذلك وصار يتامله جدا وفي أثناء ذلك دار حولهم يعسوب كبير أرادوا مسكه فعجزوا عنه وهو يلسع من يريد مسكه فيهربون منه فمد السلطان سليم يده اليه وهو طائر حوله فصاده بكفه ومرسه وخبصه ورماه من يده فتعجب السلطان بايزيد منه وقال للنساء الواقفات هذا لا يكون بنتا اكشفوا لي عنه فبادرت القابلة وقالت نعم هذا صبي وليس ببنت فقال لها وكيف خالفتي أمري وما قتلتيه فقالت خفت من الله رب العالمين وخلصت ذمتك وذمتي من قتل معصوم لا ذنب له فتفكر طويلا ثم قال ما قدر الله فهو كائن لا مفر عنه وأمر بالكف عنه وتربيته الى أن كان ما كان بتقدير الله تعالى

* (الفصل الثاني في قتال شاه اسمعيل وانهزامه) *

البلده وشاه اسمعيل ابن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد ابن الشيخ ابراهيم خواجا علي ابن الشيخ صدر الدين موسى ابن الشيخ صفي الدين بن اسحق الاردبيلي واليه تنسب الاولاد فيقال لهم الصوفيون وكان الشيخ صفي الدين صاحب زاوية في أردبيل وله سلسلة في المشايخ أخذ عن الشيخ زاهد الكيلاني وتنتهي بوسائط الى الامام أحمد الغزالي وتوفي الشيخ صفي الدين في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وهو أول من ظهر منهم بطريق المشيخة والتصوف وأول من اختار مسكن أردبيل وبعد موته جلس في مكانه الشيخ صدر الدين موسى وكانت السلاطين تعتقد فيه وتزوره وممن زاره والتمس بركته تيمور لما عاد من الروم وسأله أن يطلب منه شيأ فقال أطلب منك

بصالح أفندي كان له عند الوزراء مكانة وصيت فتلطف به الى أن اقتنصه ووجهه الى ناحية القنفذة خشية من افساده عليه عند دخوله على هؤلاء العظماء لانه كان له لسان يفحم به المصاقع ويعيي البلغاء البواقع تارة بلغة أبناء جنسه الصريحة وتارة بالعربية الفصيحة وصرح له بانه ورد أمر بنفيه من الدولة العلية وقد كان سابقا من جملة أعضاده ومن أعاظم أنصاره وأنجاده وهكذا كانت صفة الرجلين الاولين معه فرجع عليهم في جميع أفعالهم وأذاقهم مرارة نكاله ومن جملة ذلك أنه أبرز دفترا ينطوي على أسماء التجار سكان مكة وجدة والواردين من جميع الاقطار بتوزيع مال خطير وجعل المتولي لجمعه حضرة الوزير فكانت هذه السنة من أقسى الاعوام على سكان بلد الله الحرام ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة وألف والحال مستمر في الشدة الى دخول شهر ذي القعدة فوصل واليا على جدة الوزير أبو بكر باشا ثم وصل الى مكة ومنع الشريف عبد الله عن بعض تلك الاشيا وقد كان في شهر رمضان من العام المذكور خرج السيد محسن بن عبد الله بن حسين الى ناحية الشرق ومعه جماعة من أبناء عمه مغاضبين للشريف عبد الله المذكور لما حصل بينهم من التنافر مع ان السيد محسنا بهمته تسنم ذروة الملك وسريره وما كان تمام الامر له الا بتدبيره ولما خرج السيد محسن الى نواحي الشرق استقبلته بالاكرام البوادي وأولته الايادي ثم أرسل اليه الشريف عبد الله بن سعيد سرية فوقع بينهم وبينه نوع من القتال ثم صار منهم له مسالمة وافترق الحال فمكث في تلك النواحي الى أن بلغه وصول أبي بكر باشا فكاتبه ثم كتب السادة الاشراف محضرا لابي بكر باشا فيه خطوطهم وأختامهم وشرحوا له شكايتهم وجميع أحوالهم وأرسلوا ذلك صحبة السيد عون بن محسن والسيد زين العابدين بن ابراهيم فلم ينتج ذلك الا حفظ خاطر أبي بكر باشا وانه يمنع عساكره عن معاونة الشريف عبد الله بن سعيد ان حصل بينهم وبينه قتال ورجع السيد عون والسيد زين العابدين الى الطائف في اليوم السابع والعشرين من محرم الحرام افتتاح سنة ثمانية وثلاثين ومائة وألف ثم ترددت الرسل بينهم وبين الشريف عبد الله بن سعيد وعرض عليهم الصلح وأن يبذل لهم مقدارا عظيما من المال لينصرم ذلك الانفصال فاجتمع رأيهم على قبول المدفوع فقدم عليهم الطائف وكانوا قد خرجوا من الطائف فقدموا عليه وتم صلحهم معه وفرح بذلك المسلمون ثم ساروا معه الى أن دخلوا مكة كلهم أجمعون وكان ذلك في ثمانية عشر من شهر ربيع الاول من العام المذكور وكانت هذه الواقعة من أكبر الوقائع على الشريف عبد الله بن سعيد وأعظمها مشقة وتعبا وما ظن أحد من أرباب العقول أن تكون خاتمتها على هذا المنوال الا انه استبدل شكر هذه النعمة بالعقاب العنيف لبعض سكان هذا

أن تطلق كل من أخذته من بلاد الروم سركنا فأجابه الى سؤاله وأطلق السركن جميعهم فصار أهل الروم يعتقدون الشيخ صدر الدين وجميع المشايخ الاردبيليين من ذريته الى الآن ورجع والده السلطان خواجا علي وزار النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه الى زيارة بيت المقدس وتوفي هنالك وقبره معروف في بيت المقدس • وكان ممن يعتقده ميرزا شاه رخ بن تيمور ويعظمه فلما جلس الشيخ جنيد مكان والده في الزاوية بأردبيل كثر مريدوه وأتباعه في اردبيل فتوهم منه صاحب اذربيجان يومئذ وهو السلطان جهان شاه قرا يوسف التركماني من طائفة قراقوينلو فأخرجهم من أردبيل فتوجه الشيخ جنيد مع بعض مريديه الى ديار بكر وتفرق عنه الباقون وكان من أمراء ديار بكر يومئذ عثمان بك بن علي بك من طائفة آق قوينلو جد (١٨٣) أوزن حسن بك البايندري وهو أول من تسلطن من طائفة آق قوينلو جد أوزن حسن بك وولي سنة وأخذوا ملك فارس من طائفة قراقوينلو وأول سلاطينهم قراقوينلو وآخر سلاطينهم قرا يوسف بن قرا محمد التركماني ومدة سلطنتهم ثلاث وستون سنة وانقرض ملكهم على يد أوزن حسن بك المذكور في شوال سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة • وكان أوزن حسن بك ملكا شجاعا مقداما مطاعا مظفرا في حروبه ميمونا في نزوله وركوبه الا انه وقع بينه وبين السلطان محمد ابن السلطان مراد خان حرب عظيم في بايبرت فانكسر أوزن حسن بك وقتل ولده زينل بك وهرب هو وسلم من القتل وعاد الى أذربيجان وملك فارس والعراقين ولما التجأ الشيخ جنيد الى طائفة آق قوينلو صاهره أوزن حسن بك وزوجه بنته خديجة بيكم فولدت له الشيخ حيدر ولما استولى أوزن حسن على البلاد وطرد عنها ملوك قراقوينلو وأضعفهم عاد الشيخ جنيد مع ولده الشيخ حيدر الى أردبيل وكثر مريدوه وأتباعه وتقوى بأوزن حسن بك لانه صهره فلما توفي حسن بك تولى موضعه السلطان خليل ستة أشهر ثم ولده الثاني السلطان يعقوب فزوج بنته حليمة بيكم من الشيخ حيدر فولدت له شاه اسمعيل في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من رجب سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وكان على يديه هلاك ملوك العجم طائفة آق قوينلو وقراقوينلو وغيرهم من سلاطين العجم كما هو معروف مشهور • وكان الشيخ جنيد جمع طائفة من مريديه وقصد قتال كرجستان ليكون من المجاهدين في سبيل الله فتوهم منه سلطان سرنيوان فخرج الى قتاله فانكسر الشيخ جنيد وقتل وتفرق مريدوه

البلاد المنيف واستمر الحال بين الشريف عبد الله بن سعيد والسادة الاشراف على مثل الحال المتقدم تارة يصالحونه وتارة يقاطعونه الى انقضاء سنة تسع وثلاثين ومائة وألف وفي أوائل سنة أربعين ومائة وألف خرج الى الشرق بخيله وعساكره وبني عمه المطيعين له في مصادره وموارده الى ان وصل الى محل يقال له القوسية فاستمر هنالك الى جمادى الاولى من السنة المذكورة ثم رجع الى مكة بعد ان مهد تلك المهامه والوهاد

•(ذكر الرخاء الواقع سنة ١١٤٠ وتعريف قيمة المشخص والاحمر والريال)•

وكانت هذه السنة من أرخى السنين لكثرة الامطار قال العلامة الرضي في تاريخه اشترينا البر الهميس بالطائف الكيلة بأربعة ديوانية ونصف وخمسة ديوانية والنقرة الصافية بسبعة ديوانية والشعير بديوانيين ونصف والعسل الرطل بأربعة ديوانية والتمر بديواني ونصف والزبيب النعماني بأربعة ديوانية والفواكه كثيرة جدا رخيصة الى الغاية وصرف القرش بأربعين ديوانيا والاحمر بقرشين والمشخص بأربعة قروش والريال بقرشين وثمن وكان السيد محسن بن عبد الله بن حسين في هذه السنة خرج الى نجد ووصلت البشائر في أواخر جمادى الثانية بأنه اقتتل مع قبيلة يقال لها الظفير على وزن أمير وجمعوا لقتاله جموعا كثيرة فنصره الله عليهم واستمرت ولاية الشريف عبد الله الى خامس عشر ذي القعدة الحرام ختام سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين فكانت مدة هذه الولاية الثانية سبع سنوات وخمسة أشهر وعشرة أيام والاولى كانت مدتها سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام فمجموع مدة الولايتين ثمان سنين وثمانية أشهر وعشرون يوما

•(وفاة الشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٣)•

فانتقل الى رحمة الله بعد ان مرض أياما وكان انتقاله في التاريخ المذكور ودفن باسفل مكة بوصية منه في موضع مقابل لقبر الشيخ محمود بن ابراهيم بن أدهم وبني عليه بناء وتابوت وكان ابنه محمد غائبا في أطراف اليمن أرسله والده لحفظ تلك الاطراف مع جمع من العساكر والاشراف فاستمر هنالك الى ان دعي بعد وفاة والده لشرافة مكة وكانت وفاة والده في آخر النهار عند منزل كان له بطوى خارج البلاد فأخفي موته الى آخر الليل وتولى الامر والتدبير اخوة المتوفى وهم السيد مسعود بن سعيد والسيد مضر بن سعيد والسيد مساعد بن سعيد وغيرهم من بقية الاخوة لكن كان المتقدم على الجميع السيد مسعود بن سعيد لانه كان أكبرهم فضبطوا البلاد وتداخلوا مع القاضي والعساكر المصرية وبعض السادة الاشراف بدفع جانب من المال على ان يكون المتولي بعد وفاة الشريف عبد الله بن سعيد ابنه الشريف محمد لكونه أكبر من أخيه السيد ثقبة

ثم اجتمعوا بعد مدة على الشيخ حيدر وحسنوا له الجهاد والغزاة في حدود كرجستان وجعلوا لهم رماحا من أعواد الشجر وركبوا في كل عود سنانا من حديد وتسلحوا بذلك وألبسهم الشيخ حيدر تاجا أحمر من الجوخ فسماهم الناس قزلباش وهو أول من ألبس الناس التاج الاحمر لاتباعه واجتمع عليه خلق كثير فأرسل شروان شاه الى السلطان يعقوب بن أوزن حسن يخوفه من خروج حيدر على هذه الصفة فأرسل أميرا من أمرائه اسمه سليمان بأربعة آلاف نفر من العسكر وأمره ان يمنعهم من هذه الجمعية فما أطاعه فاتفق مع شروان شاه فقاتلاه ومن معه فقتل الشيخ حيدر وأسر اولاده شاه اسمعيل وهو طفل وأسر معه اخوته وجماعته وجاء بهم سليمان بك الى السلطان يعقوب فأرسل (١٨٤) بهم الى قاسم بك انغرناك وكان حاكم شيراز من قبل السلطان يعقوب وأمره أن

*(ولاية الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٣)*

فاجتمعوا عند القاضي ليلا وسجلوا ذلك ونادوا باسم الشريف محمد استقلالا وباسم أخيه السيد ثقبة وكالة وحفظا فما أصبح الصبح الا وقد استتبت أحوالهم واستقرت البلاد وأمنت العباد وذهب الرسول لاستدعاء الشريف محمد من اليمن فوصل في التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة المذكورة ولبس الملبوس بحضرة الاعيان والعساكر ودعي له على المنابر وكان عمره نحو العشرين سنة ثم أقبلت الجوخ السلطانية ولبس الشريف محمد الخلع العثمانية

*(ذكر قيام العامة على العجم سنة ١١٤٣)*

وفي سنة أربع وأربعين ومائة وألف ثارت العوام بالمسجد الحرام على طائفة من العجم كانوا مجاورين بمكة لان الحج فاتهم سنة ثلاث وأربعين فأقاموا بمكة ليحجوا سنة أربع وأربعين وكانوا جما غفيرا وصاروا يترددون على المسجد الحرام للعبادة والطواف فزعم بعض العامة انهم وضعوا نجاسة بالكعبة المعظمة فثارت فتنة بسبب ذلك لمساعدة العساكر المصرية للعامة ومشت العامة الى قاضي الشرع فهرب من المحكمة والتجأ بحسين أغا كبير العساكر الانقشارية وسار معه الى أبي بكر باشا صاحب جدة وكان قد جاء الى مكة في تلك الايام ثم ذهبت العامة الى مفتي بلد الله الحرام وأخرجوه من بيته وأخرجوا أيضا غيره من العلماء ذوي الهيآت واجتمعوا عند الوزير أبي بكر باشا القصد نصب الدعوى والحال ان الخصم غير موجود بل غير معلوم فراجعهم حضرة المفتي في ذلك فأجابوه بكلام غليظ وأفعال غير مستحسنة وتغلبوا على الوزير حتى أخذوا منه أمرا باخراج العجم من مكة ونهب بيوتهم وأخذوا من القاضي مثله ومشوا في أزقة مكة بالمنادي بان من جلس بمكة المعظمة من العجم فهو منهوب مقتول ونهبوا أشياء من بيوتهم ومنعهم عنه وعن غيره بعض السادة الاشراف هذا كله والشريف محمد جالس في بيته لم يعترضهم وفي اليوم الثاني اجتمعوا عند حضرة القاضي وطلبوا منه أن يرسل الى الشريف محمد ويأمره بالكتابة على ما بأيديهم من الصكوك فامتنع الشريف محمد من ذلك فأخافوه بأشياء اقتضاها الحال والوقت فوافقهم على ذلك فاطلقوا مناديا آخر بخروج العجم فخرجوا الى الطائف وجدة وغيرهما ومكثوا أياما قلائل حتى همدت القضية ثم ساس الامر مولانا الشريف محمد وتنبه لمن كان السبب لهذه الفتنة وأخافه ثم أرسل الى من كان منهم بالطائف وغيره وأمرهم بالرجوع الى مكة فرجعوا واضمحلت الفتنة قال الرضي وانما كان هذا التعصب من أراذل الناس والاتراك والا فأهل مكة الحقيقيون لم يكونوا راضين بذلك ثم لم يزل الاتفاق جاريا بين الشريف محمد وعمه الشريف مسعود على أحسن المسالك الى ان

يحبسهم في قلعة اصطخر فحبسهم بها واستمروا الى أن توفي السلطان يعقوب في سنة ست وسبعين وثمانمائة (وولي بعده السلطان رستم) ونازعه في السلطنة اخوته وتفرقت المملكة واستقل في كل قطر واحد من أولاد السلطان يعقوب ثم توفي السلطان رستم (وولي مكانه السلطان مراد بن يعقوب) والوند بك ابن عمه وكان شاه اسمعيل في لاهجان في بيت صائغ في بيت يقال له نجم زركر وبلاد لاهجان فيها كثير من الفرق الضالة كالرافضة والحرورية والزيدية وغيرهم فتعلم منهم شاه اسمعيل في صغره مذهب الرفض فان آباءه كان شعارهم مذهب السنة السنية وكانوا مطيعين منقادين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يظهر الرفض غير شاه اسمعيل وتطلبه من أمراء الوند بيك جماعة وطلبوه من سلطان لاهجان فأبى ان يسلمه لهم وأنكر وحلف لهم انه ما هو عندي وورّى في رمى يمينه وكان مختفيا في بيت نجم زركر وكان يأتيه مريدو والده خفية ويعتقدون فيه ويطوفون بالبيت الذي هو ساكن فيه الى ان أراد الله بما أراد وكثرت داعية الفساد واختلت أحوال البلاد باختلاف السلاطين وكثرة المضادة بين العباد لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وحينئذ كثر اتباع شاه اسمعيل فخرج هو ومن معه من لاهجان وأظهر الخروج لثار والده وجده في أواخر سنة خمس وتسعمائة وعمره يومئذ ثلاث عشرة سنة وقصد مملكة شروان لقتال شروان شاه قاتل أبيه وجده وكلما سار منزلا كثر عليه داعية الفساد واجتمع عليه عسكر كثير الى ان وصل الى بلاد شروان فخرج لمقاتلته فانكسر عسكره وأتوا به شاه اسمعيل أسيرا فأمر ان يضعوه في قدر

كبيرو يطبخوه ويأكلوه ففعلوا كما أمر وأكلوه * وكان ذلك أول فتوحاته ثم توجه الى قتال الوند بيك فقاتله وانهزم منه واستولى على خزائنه وقسمها في عسكره وصار يقتل من ظفر به قتلا ذريعا ولا يمسك شيأ من الخزائن بل يفرقها في الحال ثم قاتل مراد بك ابن السلطان يعقوب فهزمه وأخذ خزائنه وفرقها على عسكره ثم صار لا يتوجه الى بلاد الا يفتحها ويقتل جميع من فيها وينهب جميع أموالهم ويفرقها الى ان ملك تبريز واذربيجان وبغداد وعراق العرب وعراق العجم وخراسان وكاد أن يدعى الربوبية وكان له عسكر يأمرون بأمره وقتل خلقا لا يحصون ينوف على ألف ألف نفس بحيث لا يعهد في الاسلام ولا في الجاهلية ولا في الامم السابقة من قتل من النفوس ما قتله اسمعيل شاه وقتل عدة من أعاظم العلماء بحيث لم يبق أحدا من أهل العلم في بلاد العجم وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم لانها مصاحف أهل السنة وكلما مر بقبور المشايخ نبشها وأخرج عظامهم وأحرقها واذا قتل أميرا من الامراء اباح زوجته وأمواله لشخص آخر

﴿ومن جملة مضحكاته﴾ انه جعل كلبا من كلاب الصيد أميرا ورتب له ترتيب الامراء من الخدم والكواخي والسماط والكيلار والاوطاق والفرش الحرير ونحو ذلك وجعل له سلاسل الذهب ومرتبة ومسندا يجلس عليه كالامراء وسقط منديل من يده الى البحر وكان في جبل شاهق مشرف على البحر المذكور فرمى نفسه خلف المنديل من عسكره فوق ألف نفس تحطموا وتكسروا وتفرقوا وكانوا يعتقدون فيه الالوهية وانه لا ينكسر ولا ينهزم الى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة * فلما وصلت أخباره الى السلطان سليم خان تحركت فيه قوة العصبية الغضبية واقدم على نصر السنة الشريفة السنية وعد هذا القتال من أعظم الجهاد وقصد ان يمحو من العالم هذه الفتنة وهذا الفساد وينصر مذهب أهل السنة الحنيفية على مذهب أهل البدع والالحاد ويأبى الله الا ما أراد فتهيأ السلطان بخيله ورجله وعساكره المنصورة ورحله وتهيأ لقتاله واقدم على جلاده وجداله وهو بحر بخميس العرمرم ويصول بسيف عزمه ويقدم ويتقدم الى أن تلاقى العسكران في قرب تبريز ورتب السلطان عسكره ونزل من عند الله النصر القريب والفتح العزيز فتجالد الفريقان وتطارد الفرسان وتعانق الشجعان يهدرون كالجمال الفوالج فوق البحور

---

رمى الله بينه وبين عمه بسهم التفريق وتوحش قلب كل منهما من الآخر ثم جرت بينهما منافرات ومنابذات نشأ منها دعاوى ومرافعات وصدر في اثناء المدة حادثتان عظيمتان لم يؤلف مثلهما في قديم الازمان احداهما ان أحد السادة الاشراف آل بركات كان مغاضبا للشريف محمد فأمره الشريف محمد بالخروج من البلاد فلم يفعل وكان نازلا في بيت السيد عبد العزيز بن زين العابدين بن ابراهيم بن بركات فكرر عليه الامر بالخروج من البلاد فطلبوا المهلة الى الليل فأبى أن يعطيه المهلة الى الليل مع كونه انما دخل مكة بأجلة ووجه على القانون الجاري بينهم فلم يكن من مولانا الشريف محمد الا انه ركب بخيله ورجله وأجناده وأحاط بالبيت الذي كان فيه السيد المذكور وكان بالبيت أيضا طائفة من السادة الاشراف وحين وصل اليهم أمر برمي الرصاص الى مجلسهم المعتاد فوثبوا مقاتلين عن أنفسهم ودورهم فاصيب منهم بعض أشخاص ثم انجلت القضية بوصول كبار السادة الاشراف فلاطفوا الشريف محمدا الى ان رجع الى داره بعد ان أفهموه ان فعله هذا خطأ ثم اجتمعوا في بيت زعيم منهم للمفاوضة في ذلك وتعيين من ينبغي ان يصدر منهم ثم أجمع الاكثرون على الفراق واقامة الحرب على ساق وجنح البعض الآخر منهم الى قبول ما يرد عليهم من حضرة الشريف محمد من الاعتذار الناهضة وسوق ما يكون به تطييب نفوسهم بحيث يحصل به تخويف لكل ملك عنيف ومنعه من الاقدام على مثل ذلك ويكون ذلك بعد المفاوضة منهم في تعيينه وتجسيمه الى الغاية ثم يذهب جماعة منهم اليه ويعرضونه عليه فان فعل ذلك وانقاد له كان لهم ذلك رفعة وعلو مقام وكان له مانعا عن الاقدام على مثله مرة أخرى ومانعا لمن يأتي بعده من ولاة هذه الممالك وان توقف عنه وأباه فهمنا من ذلك مطمحه ومرماه وقابلناه بالمباينة والفراق واحكام تدابير الحرب بعد الاتفاق وكان هذا الرأى نتيجة فكر السيد محسن بن عبد الله بن حسين ثم لما أجمع رأيهم على ذلك خاضوا في بيان ما ينبغي ان يساق ففرضوا خمسة وعشرين من الخيل الجياد وخمسة وعشرين من العبيد وستين من الابل مع ركوب مولانا الشريف الى دارهم لاخذ خواطرهم والاعتراف بالخطا عليهم مع ارسال هذه المعدودات اليهم ففعلوا ذلك وعرضوه عليه فقبله ورضي به وفعل جميع ما قالوه فقرت الحال وزال الاشكال * والامر الثاني انه بعد ذلك بمدة قليلة فعل مثل ذلك أو ما يقاربه في بيت السيد عبد المعين بن محمد بن حمود وكان فيه جملة من الاشراف وسبب ذلك ان عبدا للسيد عبد المعين قتل أحد أولاد الشيخ أبي بكر الحنبلي واختفى العبد في بيت سيده السيد عبد المعين فركب مولانا الشريف محمد ليلة على بيت السيد عبد المعين فرأى جملة من العبيد مجتمعين على الباب والعبد القاتل معهم فامر بالقبض عليه فهرب هو وجماعته الذين كانوا معه ولاذوا بالبيت

الموانع وتصادمت فرسان الزحف والصيال وتصادم أطواد الجبال وصارت نجوم الابطال رجوم البطش والقتال فزلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وخيلت المعركة سماء غمامها القسطل وصواعقها بروق البيض من بريق الصيقل ورعودها صليل السيوف فى أعناق الجحفل وغيوثها صيب الدم من أوداج رؤس تحز وتفصل وأحجار المدافع كجلمود صخر حطه السيل من عل الى ان طارت قلوب الاعداء هواء وذهبت قواهم هباء وولوا على أدبارهم ادبارا وانهزم شاه اسمعيل وولى فرارا ولم يجد من دون الله أنصارا وضاقت الارض حتى ان هاربهم اذا رأى غير شئ ظنه رجلا وقتل غالب جنوده وأمرائه وساقت العساكر المنصورة العثمانية من ورائه وكادوا ان يقبضوا عليه ففر من بين أيديهم وهم ينظرون اليه وترك ما تخوله فى مخيمه من أثاث تجملاته وكان لا نظير له فاغتنمه عسكر السلطان سليم ووطئت حوافر خيله أرض تبريز فنهى فيها وأمر وقتل من أراد وأسر وأعطى الرعية تمام الامن والامان ونشر فيها أعلام أهل الايمان وأخذ من أراد منها من الافاضل المتميزين فى الصنائع والفضائل والشعراء الاماثل وساقهم مسركا الى اصطنبول على القانون وأراد ان يقيم فى تبريز للاستيلاء على اقليم العجم والتمكن من تلك البلاد على الوجه الاتم فما أمكنه ذلك لكثرة القحط واستيلاء الغلاء بحيث بيعت العليقة بمائتى درهم وسبب ذلك ان القوافل التى كان أعدها السلطان سليم لان تتبعه بالميرة والعليق والمؤن تخلفت عنه فى محل الاحتياج اليها وماوجدوا فى تبريز شيأ من المأكولات والحبوب لان شاه اسمعيل أمر باحراق أجران الحب والشعير وسبقوه وغير ذلك واضطر السلطان سليم الى العود من تبريز الى بلاد الروم وتركها خالية خاوية على عروشها ثم تفحص عن سبب انقطاع القوافل عنه فاخبر ان سبب ذلك سلطان مصر قانصوه الغورى فانه كان بينه وبين شاه اسمعيل محبة ومودة ومراسلات بحيث انه كان السلطان الغورى يتهم بالرفض فى عقيدته بسبب ذلك فلما ظهر للسلطان سليم خان ان الغورى هو الذى أمر بقطع القوافل عنه صمم على قتال السلطان الغورى أولا وبعد الاستيلاء عليه وعلى بلاده يتوجه الى قتال شاه اسمعيل ثانيا * فلما استقر عليه ركاب السلطنة الشريفة العثمانية فى تخت ملكها الشريف تهيأ لاخذ مصر وازالة دولة الجراكسة وتوجه بعسكره الجرار الى

---

المذكور فلما أحس ساداتهم بذلك نزلوا منجدين عبيدهم فوقع القتال بينهم وبين عبيد مولانا الشريف وأوقعوا السلاح فى عبيده فرجع الى داره وطلب العساكر ووصل بهم الى قريب من البيت المذكور واجتمع جماعة من الاشراف عند بيت السيد عبد المعين لانجاد رفاقهم وكاد ان يقع بينهم وبين مولانا الشريف القتال لكن لما أراد الله اطفاء هذه الفتنة حضر مولانا السيد محسن بن عبد الله بن حسين وجمع جماعة من كبار الاشراف وحلوا الامر بسهولة وتلطفوا بمولانا الشريف الى ان رجع بعسكره وعبيده الى بيته وسكنت الفتنة فى أسرع وقت لكن نفرت قلوب السادة الاشراف منه وانصرفت وجوههم عنه وأقبلوا بكليتهم على عمه السيد مسعود اقبال الوالد الودود على الولد المفقود وشرعوا يبرمون حبال العزل وينقضون ما أبرمه من الغزل ويتسللون من مكة الى الطائف حتى استتم به عددهم وحصل مقصدهم ثم خرج عمه السيد مسعود لاحقا بهم مدركا للمأمول بسببهم وأخرجوا من كان بالطائف من عساكر مولانا الشريف محمد بمجرد الترهيب والتخويف واستقلوا بالطائف ونواحيه وطلبوا من حوله من عربانه وبواديه وصرح منادى عمه الشريف مسعود باسمه ودخلت العربان تحت حكمه وكان ذلك فى شهر ربيع الثانى سنة خمس وأربعين ومائة وألف وقد تقدم ان عمه الشريف مسعودا هو الذى أجلسه فى منصب الشرافة بعد موت أبيه ثم أكد أساسها ورتب أحكامها وحراسها وصار هو المدبر لجميع الامور فحسده بعض ذويه وشرع يرمى الفتن بينه وبين ابن أخيه فصارت بينهما مهاجرة ومباينة ومباعدة فمن حين وقوع تلك المهاجرة والمباعدة صار عمه يستميل كبار السادة الاشراف فمال اليه من كل فخذ جانب ثم حدثت القضيتان السابقتان فمال اليه أكثر السادة الاشراف وصاروا معه بغاية الائتلاف الى ان اجتمعوا بالطائف كما تقدم واستمالوا قبائل ثقيف وغيرهم واستمروا بالطائف الى رابع شهر جمادى الاولى ثم نزلوا الى مكة المشرفة على طريق الثنية وأرسلوا قومهم من عقبة كرا وسبب ذلك انهم لما أطالوا الاقامة بالطائف وكان الشريف محمد يسمع باجتماعهم استبطأ قدومهم عليه بمن معهم وكان مستعد الهم بعساكره فنهض اليهم بعساكره وخيوله وصعد على طريق يعرج فلما وصل الى قرن المنازل أقام به ذلك اليوم للاستراحة وهم اذ ذاك بالطائف لم ينتقلوا منه فبلغهم وصوله الى قرن فتأهبوا الملاقاته يومهم ذلك فلما جاس وتأخر فى قرن ولم يصلهم استحسنوا ان يعقبوه ويتوجهوا الى مكة وجعلوا له أشياء تفهمه انهم مازالوا ماكثين فى الطائف مستعدين له وذلك انهم أبقوا اشعال النيران وضرب الطبول بالطائف وحواليه وسروا ليلتهم على طريق الثنية فما جاءه الخبر بانحدارهم الا ضحى اليوم الثانى وهم فى اليوم الثانى قد وصلوا تهامة

ناحية حلب في سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وخرج الى قتال قانصوه الغوري بجميع عساكره من الجراكسة وغيرهم والتقى العسكران بقرب حلب في مرج دابق * وكان الغوري يتوهم ويخاف على نفسه من ملك الامراء خير بك ومن جان بردي بك الغزالي وكانا يكرهانه في الباطن ويكرههما كذلك فأمرهما ان يتقدما لقتال السلطان سليم وجعلهما وعسكرهما حجابا أمامه ووقف الغوري بخواص عسكره الذي يعتمد عليه من الجلبان الذين أراد أن يقدمهم خلف خير بك والغزالي وقصد بذلك ان يقتلا بالبنادق والضربزن في أول مرة ثم يسلم هو ومن معه وتفطن خير بك والغزالي لذلك وكانا ارسلا الى السلطان سليم وطلبا منه الامان وتوثقا منه ان لا يقتلهما بل يكرمهما وينعم عليهما فارسل



السلطان سليم لهما بالامان وعهد لهما بما يطيب من خاطرهما وأن يوليهما مملكة مصر والشام فقبلا ووافقاه على ذلك قبل القتال فلما التقى العسكران واضطرمت نيران البنادق في مرج دابق فر خير بك بمن معه من الميمنة وفر الغزالي بمن معه من الميسرة وبقي السلطان الغوري بمن معه من خواصه وجلبانه في القلب فاطلقت البنادق والضربزانات فهلك من هلك وهرب من هرب لا يدري أية سلك وانقلب النهار ليلا مظلما بالدخان وامتلأ وجه الارض لشعب النفط والنيران وعاد الغوري تحت سنابك الخيل ومحا نور العدل ظلام الظلم كما محا النهار الليل وذهبت ظلمات الجراكسة كأنهم كانوا هباء منثورا وأكلت أشلاء قتلاهم الوحوش والطيور كأن لم يكونوا شيأ مذكورا وأقبلت رايات اقبال السلطان سليم على قلعة حلب الشهباء وقد احترمت من اسالة الدماء فطلب أهلها منه الامان والتسليم فاجابهم الى القبول لطفا وكرما فخرجوا الى لقائه بالمصاحف والاعلام وهم يجهرون بالتسبيح والتكبير ويقرؤن وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فقابلهم بالاجلال والاكرام وأفرغ على كواهلهم خلع اللطف والانعام وتصدق بأنواع الصدقات الجزيلة على الخاص والعام وحضر صلاة الجمعة وخطب الخطيب باسمه الشريف ودعا له ولآبائه وأسلافه وبالغ في المدح والتعريف وما زاده الالقاب فخرا وسوددا * باطناب ذي مدح واكثار مادح وعندما سمع السلطان سليم الخطيب يقول في تعريفه خادم الحرمين الشريفين سجد لله شكرا وقال الحمد لله الذي يسر لي أن صرت خادم الحرمين الشريفين وأضمر خيرا جميلا واحسانا جليلا لاهل الحرمين

---

وسبقوه الى عرفة فرجع القهقرى بنهاية التعب ومزيد النصب الا انه حال بينهم وبين قومهم النازلين على عقبة كرا ثم لما وصل قصدهم الى موضعهم الذي وقفوا فيه للمقاتلة وهو جبل الحطم الكائن على يسار الصاعد الى عرفات وعنده صارت الوقعة بين الفريقين ثم انجلت في مدة طرفة عين وكانت تلك الوقعة من أشد الوقعات وأعظمها فتكا لانه لم يباشر القتال فيها الا الاشراف بأنفسهم وأما القبائل فقد حال بينهم وبينهم فوجه الاشراف وجوه الخيل الى العساكر ولم يعملوا الا بالرماح والسيوف البواتر والرصاص عليهم من اجناد الشريف محمد كالمطر المتواتر والاشراف لا يتجاوزون المائة الا انهم نعم العصابة والفئة ولم يزالوا كذلك حتى هزموا الشريف محمدا ومن معه ودفعوه عن تلك المسالك وتوجه مهزوما الى ناحية الحسينية وانحازت عساكره وطبوله الى الشريف مسعود وكانت هذه الوقعة سابع جمادى الاولى سنة خمس وأربعين ومائة وألف

**•(ولاية الشريف مسعود بن سعيد سنة ١١٤٥ وهي الولاية الاولى في ٧ جمادى الاولى)•**

فكانت مدة ولاية الشريف محمد سنة وخمسة أشهر واثني عشر يوما وقتل في هذه الوقعة أشراف كرام وأصيب آخرون منهم بجروح عظام فممن قتل من الاشراف السيد سليم بن عبد الله بن حسين ابن عبد الله بن حسن بن أبي نمي أخو السيد محسن بن عبد الله بن حسين وكان السيد سليم هذا قد فعل في هذا اليوم ما أذهل به عقول القوم لانه حمل على العساكر والجنود حملات تنفطر لهن الكبود حتى قال بعض الاشراف كنا نسمع بشجاعة علي بن أبي طالب حتى رأيناها بالعيان من السيد سليم بن عبد الله ولما أحضروه للغسل وجدوا فيه ثمانية عشر ضربة وقتل تحته فرسه المسماة بالجوهرة وهي من الصافنات الجياد المشهورة وبسبب وقوعها استولوا عليه والا فلا قدرة للوصول اليه وحزن عليه أخوه السيد محسن حزنا كثيرا ورثاه الشعراء بقصائد جعلوها تعزية للسيد محسن فمنها قصيدة للفاضل الاديب الشيخ زين العابدين ابن الشيخ محمد سعيد المنوفي يقول في مطلعها مخاطبا للسيد محسن

صبرا أباعون تفز بثوابه * من فقد من نزل النعيم ثوى به
صبرا على فقد الكريم أخي الكريـ * ـم ابن الكريم الى علي أنسابه

وهي طويلة بليغة ذكرها الرضي في تاريخه وممن قتل في هذه الواقعة السيد سعيد بن سليمان بن أحمد بن سعيد بن شنبر والسيد بشير بن مبارك بن شنبر وغير هؤلاء الثلاثة والذين أصيبوا بالجراحات الهائلة كثيرون ثم ان الشريف محمدا أقام بالحسينية أياما داخلا على بعض الاشراف على قوانينهم

الشريفين وأظهر الفرح والسرور بتلقبه بخادم الحرمين المنيفين وخلع على الخطيب خلعا متعددة وهو على المنبر وأحسن اليه احسانا كثيرا بعد ذلك وأقام بحلب أياما يسيرة وهو يمهد الملك ويجرى أحكام المعدلة والسياسة ويحسن الى العرب ثم ارتحل بالجيش المنصور الى الشام فخرج أهل الشام الى لقائه وطلبوا منه الأمن والامان واللطف والرأفة والاطمئنان فأجابهم الى ماسألوه وبسط لهم ماطلبوه وأملوه فقبلوا الارض بين يديه وبالغوا في الدعاء بدوام دولته والثناء عليه فخلع على كل من يستحق التشريف خلع الرضا والاكرام وألبسهم التشاريف الفاخرة كلا بحسب حاله واستحقاقه للانعام ودخل الى الشام بموكبه الشريف الكريم وأقام به لتمهيد المملكة برأيه القويم وخطب له الخطباء فخلع عليهم وأكرمهم وأحسن اليهم وقابل الناس بسن ضاحك ووجه يتهلل سرورا وجبين أغر عـلا الارجاء ضياء ونورا وأمر بعمارة تربة الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه ورتب عليه أوقافا كثيرة وعمل له مطبخا يطبخ الطعام فيه لفقراء الشيخ المرحوم وجعل عليها متوليا وناظرا يجمع الريع ويصرفه في جهات الخير ونظره أعظم الانظار في بلاد الشام الى الآن وما أجرى الله تعالى مثل هذا الخير العظيم على يد أحد من الجراكسة ولا من كان قبلهم ولا شك أن روحانية الشيخ رضي الله عنه هي التي جلبت السلطان سليما طيب الله ثراه الى سلطنة بلاد العرب وحصل له الامداد العظيم بالبركة والنصر والتأييد في حصول ما أمله وطلب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوا الفضل العظيم ويؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير

* واستمر السلطان سليم خان بأرض الشام الى أن مهد أمورها وضبط حصونها وقصورها ثم توجه الى افتتاح اقليم مصر ورفع البؤس عنها والاصر ولما وصل الى خان يونس قتل فيه الوزير المعظم حسام باشا وكان من أهل الخير وله عمارة في آق شهر يخرج منها الطعام للمسافرين دائما رحمه الله تعالى واستمر السلطان سليم متوجها الى مصر فوصل الى بلاد غزة ثم عدل منها بمفرده الى زيارة القدس والخليل في نفر قليل بقصد الزيارة فأحسن الى أهل القدس والى أهل خليل الرحمن وعاد الى معسكره وصار كلما مر ببلد أو قرية أو قصبة في طريقه أحسن الى الرعايا ونظر بعين المعدلة والاحسان الى البرايا وأزال عن الضعفاء ظلم الظالمين ونشر

ق

---

المعتادة ثم توجه لملقاء اليمن ولم يزل في مسيره الى ان اتصل بالمخواة ثم تنكب ذروة سراة بجيلة ثم رجع الى الطائف فتلقته قبائل ثقيف وقابلوه بالتعظيم والتشريف وعرضوا أنفسهم عليه فاستخدم بهم ونال مقصده الاسنى بسببهم فبلغ حضرة الشريف مسعود صاحب مكة وصول الشريف محمد الى الطائف وان قبائل ثقيف قائمون لنصرته فنهض وأقبل عليه بمن معه من الجنود وتلاقيا بوادي المثناة بالقرب من الطائف في اليوم الثاني عشر من شعبان سنة ألف ومائة وخمس وأربعين فانحاز الشريف محمد وثقيف الى جبال هناك شاهقة بحيث لم يكن للخيل بها مجال لوعارة تلك الجبال فتواتر على الشريف مسعود ومن معه الرصاص حتى لم يكن لهم غير التسليم مناص فانهزم

*(الولاية الثانية للشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٥)*

واستقل الشريف محمد بالشرافة وتوجه الشريف مسعود بعد ان أخذ الاجلة على المعتاد وتوجه الشريف محمد الى مكة فكانت مدة غيبته ثلاثة أشهر وأياما وهي مدة شرافة الشريف مسعود في هذه الولاية ثم استمر الشريف محمد على ولايته الى ان وقعت حادثة غريبة تولد منها مفاسد وأمور عجيبة فكانت سببا لرجوع الشرافة للشريف مسعود وذلك انه في عشرين من ربيع الاول سنة ست وأربعين ومائة وألف طلع سردار الانقشارية المقيمين بمكة حسين أغا الى بستان بأعلى مكة متنزها بأهله وأولاده وخدمه وبعض أجناده فحصل من بعض جماعته فتكة في بعض العساكر اليمنية خدام مولانا الشريف محمد فلما سمعت العساكر اليمنية بما أصاب صاحبهم جاؤا وأحاطوا بالموضع الذي فيه حسين أغا المذكور وبادروه برمي الرصاص وأذاقوا جماعته حر السلاح وأغاروا على جميع ما في أسفل الدار من النحاس والفراش وغير ذلك وقتلوا له عبدا وخادما وحصانين جيدين فبلغ مولانا الشريف محمدا ما صار فركب فورا لمنع العساكر ويحرز ما بقي من الاثاث فلما وصل الى الموضع قام السردار من محله فرحا بمجيء مولانا الشريف وفتح الطاقة ليخاطبه منها فلما وقف بها أصابته رصاصة من بعض العساكر فعاش بعدها ساعة ثم مات ودفن هو وخادماه في يوم واحد فتولد من قتله فتن عظيمة ومتاعب على الخلق جسيمة وذلك ان العساكر المصرية تعصبت وتحزبت واستدعوا من كان منهم ببندر جدة فصاروا جمعا عظيما وتفرقوا في بيوت سويقة وغيرها مما قاربها وسدوا منافذ الازقة واخترعوا متارس في تلك الدور فأرسل اليهم مولانا الشريف محمد من يكفهم عن ذلك فاجابوا باجوبة سقيمة وأصدروا ارقاما الى مصر فيها الاخبار بقضيتهم وان ذلك انما كان عن أمر من الشريف محمد قاصدا به اذهابهم وتدميرهم واستمروا أكثر من شهر على الحال المذكور وليس لهم قدرة على الاقدام على الشريف وقتاله وهو مستقر في داره لم يزل يعاملهم باللطف وأرسلوا

فى اثناء تحزبهم الى الشريف مسعود وكان مقيما بخليص وأرسلوا له شيأ من المال ليستعين به على جمع الرجال فقبض المال ثم رحل الى وادى مر وشرع يتألف الاشراف ويجمع البادية من الاطراف فوصل الى مكة الوزير أبو بكر باشا صاحب جدة بعد مكاتبات كثيرة صدرت منهم اليه وكان يعاطاهم باللطف مراعاة لخاطر الشريف لعلمه أن ماصدر من عسكره ليس هو مراده ولا هواه ومع هذا لما وصل قويت شوكة الاتراك وأرادوا القتال فأخذ منهم مهلة ثلاثة أيام ففهمهم وامنهم انه يريد الاصلاح فهبطت نفوسهم فهيأ مجلسا فيه القاضى ومشايخ الاسلام وأهل الحل والابرام من أكابر الاروام بعد ان حصل الاتفاق بينه وبين الشريف على اصلاح الامر ثم خاض مع الحاضرين فى تلك القضية واتفقوا على ان كلا من العساكر يكف يده الى أن يصل الجواب من السلطنة العلية وانه هو يكفل عليهم عدم الاعتراض ويكفل على مولانا الشريف وعساكره بعض كبار السادة الاشراف وكتب بذلك صكا حافظا للطرفين وأمر حضرة الوزير بالنداء بذلك فى المسجد والبلد الحرام ثم فى اليوم الثانى أمر العساكر المصرية بالنزول الى جدة ونزل هو بعدهم فلما وصلت العساكر الى جدة ارسلوا شيأ من الذخيرة والدراهم للشريف مسعود بوادى مر واظهروا التغلب على حكام مولانا الشريف الذين بجدة بالترهيب والتخويف واستقلوا بالبندر وأحكامه وشرعوا يشدون الذخائر الى الشريف مسعود المرة بعد المرة ويرسلون اليه الدراهم الصرة بعد الصرة الى ان استقامت أحواله وقويت آماله فرحل من موضعه ونزل على الحديبية وبرز شريف مكة الى طوى وجعل فيها حصونا ومتارس وأكثر السادة الاشراف مال الى الشريف مسعود لكثرة ماعنده من النقود وعزم العساكر المصرية على الرجوع الى مكة بناء على أنهم عساكر السلطان لحفظ البلد الحرام وأخبروا انهم اذا ثارت الحرب بين الشريف محمد والشريف مسعود يشبون أيضا نار الحرب من داخل البلاد اذا أقبل الشريف مسعود بمن معه من الاجناد ففطن الشريف محمد لما أضمروه فبعث من البادية والعساكر من يحفظ لهم السبل والمسالك فلما بلغهم ذلك وهم فى اثناء الطريق نزلوا على الشريف مسعود بالحديبية ثم رحلوا ونزلوا قريبا من مكة ولما كان اليوم الرابع من جمادى الآخرة ثارت الحرب بين الفريقين واستمرت الى الزوال من ذلك النهار ثم انهزم الشريف مسعود ومن معه من العساكر المصرية وغيرهم فرجع العساكر الى بندر جدة ونزل هو ومن معه من الاشراف خارج جدة ثم شرعوا فى تدبير أمر آخر وطلبوا من الوزير أبى بكر باشا أن يلبس الشريف مسعودا ويوليه امارة مكة فامتنع وقال كيف أفعل ذلك وأنتم ذهبتم لقتال الشريف محمد فظفر بكم بعد انقطاع السبل هذه المدة بسببكم وانما يكون هذا فى المستقبل

العدل فى العالمين وفر بقية السيوف من الجراكسة الى مصر وولوا عليهم الدوادار وجند الجنود وعقد الالوية والبنود وخرجوا الى الريدانية بظاهر مصر ونصبوا المدافع الكبار وملؤها بالبارود والاحجار وهيؤها ليطلقوها اذا أقبلت العساكر العثمانية فلما أخبرهم الجواسيس بذلك عدلوا الى غير ناحية وجاؤا من خلف جبل المقطم من معسكر الجراكسة ورموا بالمدافع والمكاحل والضربزانات على العجل واستمرت مدافع الجراكسة مركوزة لمن يأتى من أمام الريدانية لا نفع ولا دفع وقاتل السلطان طومان باى ومن ثبت معه من أمراء الجراكسة قتالا قويا وأظهر طومان باى شجاعة قوية عرف بها وشهد له المصاف وهو يغوص فى العسكر ويحمل ويعود ويكر ويفر وقتل من وزراء السلطان سليم فى ذلك اليوم سنان باشا وأسف السلطان سليم على شهادته ومن جملة نكتة انه قال عند ما أخبر بهروب عساكر الاعداء وقتل سنان باشا أى فائدة فى مصر بلا يوسف ووجه النكتة أن يوسف يلقب بسنان فى عرفهم وبعد ان ثبتوا ساعة انكسروا فهربوا وتمزقوا وتشتتوا وتفرقوا وهرب طومان باى الى البحيرة ونزل على شيخ عربان بنى حرام عبد الدائم بن بقر ودخل السلطان سليم الى مصر ونزل فى ساحلها فى الجزيرة الوسطانية وطاف عسكره بالبلاد وأمنوا الناس وازالوا عنهم الخوف والبأس ماعدا الجراكسة فانهم اذا ظفروا بهم أتوا بهم الى السلطان سليم خان فيأمر بضرب رقابهم وترمى جثثهم فى بحر النيل وتجمع رؤسهم اكواما بعد اكوام الى ان عفنت الجزيرة بروائح القتلى وعفونة رؤسهم فانتقل السلطان سليم الى المقياس وأمر ان يبنى له فى علوه كوشكا عاليا سكنه مدة مقامه بمصر هربا من عفونات اشلاء القتلى * ثم ان شيخ العرب عبد الدائم تقرب الى خاطر السلطان سليم خان وسلم اليه السلطان طومان باى أسيرا وأنعم السلطان سليم على شيخ العرب بالخلع والتشاريف والانعامات السلطانية وحبس طومان باى عنده وأراد ان يكرمه ويجعله نائبا عنه بمصر اذا برز عنها الى الروم وصار يحضره فى مجلس الصحبة ويستخبره عن الامور والاحوال فارجف أهل مصر عن طومان بأى انه لم يقع فى الاسر وانه اختفى وانه يجمع عسكرا وينتهز الفرصة وانه شجاع لا يطاق ولا يقدر على مسكه أحد فبلغ السلطان سليم خان أراجيف الناس ورأى ان الفتنة لا تسكن مادام طومان باى محبوسا فأمر ان يركب على بغلة ويحف بعسكر الينكجرية ويمضى

الى باب زويلة و يصلب فيه ليراه الناس و يصدقوا بأنه مسك فصلب على باب زويلة لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ثم ولى القضاة الاربعة على المذاهب الاربعة بمصر وهم قاضي القضاة كمال الدين الطويل ولاه قضاء الشافعية وقاضي القضاة نور الدين على بن يس الطرابلسي الحنفي قاضي الحنفية وقاضي القضاة الدميري المالكي قاضي المالكية وقاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن النجار الحنبلي قاضي الحنابلة وولى ملك الامراء خير بك بمصر وولى جان بردى الغزالي الشام كما وعدهما بذلك ومهد الامور وسار الى الاسكندرية وعاد الى مصر ثم الى تخت مملكته القسطنطينية العظمى في يوم الخميس لخمس بقين من شعبان سنة ثلاث وعشرين (١٩٠) وتسعمائة وأخذ معه كثيرا من أعيان مصر مركنا الى الروم كما هو قانونهم ووصل الى تخت ملكه ومقر سلطنته مظفرا منصورا وشكر الله وحمده على نصرته وتأييده وكان عبدا شكورا وافتقد خزائنه فوجدها قد انصرف غالبها فانه كان قد صرف في هذين السفرين وهما السفر الى بلاد قزلباش والسفر الى اقليم مصر خزائن عظيمة مما جمعها آباؤه واسلافه فلما أراد سفرا ثالثا الى بلاد العجم لقطع جادرة طائفة القزلباش رأى ان ما بقي من خزائنه لا يفي بتلك المصارف فتأخر ليجتمع في خزائنه ما يجمع له من خراج البلاد قدر يفي بالمراد ويأبى الله الا ما أراد

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فظهر في اثناء ظهره جراحه منعته الراحه وحرمت عليه الاستراحه وعجزت في علاجه حذاق الاطباء وتحيرت في دوائه العقول الالباء وعظم الجرح وكبر القرح واتسع الخرق والتهب الحرق وكانت والرمل توضع الدجاجة في جرحه فتذوب بحرة وشوهدت معاليق أكباده في جوفه من خلف ظهره وأنشبت المنية أظفارها فيه فما نفعه التمائم والرقا وفدى بالاموال والارواح فما قبل الفدا وقال ولو قبل الفداء لكان يفدا * وان جل المصاب عن التفادي

ولكن المنون لها عيون * تكثر لحظها في الانتقاد
فقل للدهر أنت أصبت فالبس * برغم بنيك أثواب الحداد

فقضى نحبه ولقي ربه ومضى سليم بقلب سليم قادما على الله الكريم الغفور الرحيم وتبوأ مقعده من سرير الملك نجله الوارث السعيد كذلك يؤتي الله الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وهو الفعال لما يريد * وكانت وفاته رحمه الله تعالى وأسكنه غرف الجنان وأنزل

---

ان شاء الله تعالى لاني قد أرسلت الى الدولة العلية ما حصل في هذه القضية فارجو ان يصل الامر السلطاني ناطقا باسم الشريف مسعود فامتنع الشريف مسعود من قبول هذا الكلام وخرج مصمما تجديد القتال وأما الشريف محمد فانه لما بلغه نزولهم الى جدة أرسل بعض الاشراف الذين كانوا عنده بمكاتبات لصاحب جدة ومكاتبات لبعض الاشراف الذين كانوا مع الشريف مسعود ويعرض عليهم مقرراتهم وعلائفهم على المعتاد ثم نزل الشريف محمد بنفسه الى جدة بعد خروج الشريف مسعود منها فقابله الباشا بالاكرام والاجلال وسلم للاشراف جميع ما قرر عليه الحال ووسط بعض الاشراف أن يصلح الحال مع الشريف مسعود وتسليم ألف أحمر علوفة شهر فقبل ذلك منهم في الظاهر وهو مصر على ما عزم عليه وكان نازلا بقرب جدة ثم سرى بليل على خيل وركاب ليلة الرابع والعشرين من جمادي الآخرة وقصد الطائف وأخرج من فيه من اجناد الشريف محمد ونهب بيت اغاة العسكر فلما بلغ الشريف محمد دخوله الطائف توجه من جدة الى مكة ثم عين من عساكره جماعة وجعل عليهم أميرا من السادة الاشراف وأرسلهم الى الطائف فلما صعدوا عقبة يعرج بلغهم أن الشريف مسعودا في غاية القوة فتحصنوا في حصن العبدة برأس عقبة يعرج واستمروا هنالك مدة طويلة لا يقدرون عليه لانحياز ثقيف وغيرهم من العرب اليه ولم يزل هو وهم على هذا الحال لم يقع بينهم قتال والشريف محمد مقيم بمكة ثم أقبل الشريف مسعود بشرذمة من الخيل وقبائل ثقيف ونزل باعالى مكة المشرفة فخرج اليه الشريف محمد بعساكره العثمانية وتقاتلا صبح اليوم السابع من رمضان من السنة المذكورة واستمر القتال بينهم ساعة من النهار ثم حمل الشريف مسعود ومن معه حملة واحدة على الشريف محمد وأجناده فهزموهم ودخل الشريف مسعود مكة وتوجه الشريف محمد الى الحسينية

﴿ الولاية الثانية للشريف مسعود سنة ١١٤٦ ﴾

فكانت مدة ولايته الثانية سنة وثمانية عشر يوما وهذه الولاية الثانية للشريف مسعود وكان دخوله مكة يوم الخميس السابع من شهر رمضان سنة ألف ومائة وست وأربعين فأمن البلاد والعباد وانتظمت دولته وبعد دخوله بيومين قتل بعض اخوانه رجلا مغربيا ينتسب للعلم الا أنه كان مسلوب الاختيار يجانس النساء في اللبس والمشية وكان له بالشريف محمد محبة واتصال لما توهم فيه من العلوم الغريبة كالسحريات والطلسمات وما أشبه ذلك مما يستعين به على دفع الشريف مسعود واتفق في الواقعة التي صارت بأسفل مكة وانهزم فيها الشريف مسعود انه حضر هذا الرجل وكان يقابل الشريف مسعودا وقومه ويقرأ بعض الاشياء ويرمي نحوهم بالحجارة

عليه شآبيب المغفرة والرضوان في سنة ست وعشرين وتسعمائة ﴿الفصل الثالث فيما عمره المرحوم السلطان سليم خان في الحرم الشريف وبعض احسانه الى أهل الحرمين الشريفين في أيام سلطنته﴾ كان رحمه الله تعالى كوالده المرحوم كثير المحبة لاهل الحرمين الشريفين حسن الالتفات اليهم كثير الاحسان والعطف عليهم وضاعف الصدقة الرومية التي كان يجهزها لهم والده المرحوم ويكرم من قدم عليه منهم أتم اكرام ويحسن اليه أجل احسان وانعام فوصلت صدقاته الرومية ووصل معها دفتر الصرة على حكم ماقرره والده المرحوم لأهل الحرمين في أول سلطنته عام تسعة عشر وتسعمائة وتضاعف له الدعا بالحرمين الشريفين وسافر له جماعة من أهل مكة منهم الخطيب محيي الدين العراقي فحصل له منه انعام (١٩١) جزيل وخير جميل ورتب له في دفتر الصر مائة دينار ذهبا وفرح بمن قدم عليه من الحجازيين وأنعم على كل بحسبه وكان يرسل الصدقات الرومية في كل سنة فلما افتتح مصر وجد بها من قضاة مكة قاضي القضاة صلاح الدين محمد بن أبي السعود بن ابراهيم بن ظهيرة وكان السلطان الغوري حبسه بمصر من غير ذنب بل للطمع ولما خرج بعساكره من مصر الى مرج دابق أخرج كل من في حبسه من أرباب الجرائم الا القاضي صلاح الدين فانه أبقاه في الحبس فلما انكسر وقتل في مرج دابق أخرجه السلطان طومان باي من الحبس فلما دخل السلطان سليم الى مصر جاء اليه القاضي صلاح الدين فأكرمه وعظمه وخلع عليه وأحسن اليه وجهزه الى مكة معززا مكرما وكان بمصر جماعة من الحجازيين أحسن اليهم كلهم وأكرمهم * وولى أمانة جدة لتاجر اسمه الخواجا قاسم الشرواني وكان مقيما بمكة ثم سافر الى مصر فصادف دخول السلطان سليم الى مصر فخدمه وتقرب الى خاطره الشريف فأرسله الى مكة أمينا في بندر جدة أميرا عليها فوصل اليها وتمكن من البندر وأرسل السلطان سليم من امرائه الى مكة الامير مصلح الدين بك بالصدقات الرومية وبكسوة الكعبة الشريفة وبالمحمل الشريف الرومي فوصل في صحبته أمير الحاج المصري المقر العلائي بالمحمل الشريف المصري على المعتاد وبرز شريف مكة يومئذ السيد بركات لملاقاة المحملين الى سبيل الجوخي هو وولده سيدنا ومولانا السيد الشريف جمال الدين محمد أبو نمي أطال الله تعالى عمره الشريف ولبس الخلعة الشريفة السلطانية وسار أمام المحملين المصري والرومي بأعلامهما وطبولهما واستمرا في هذا الموكب الى أن فارقا المحملين وأمير الحاج والامير مصلح

والرمل الى ان انهزم وافصار له محلة عند الشريف محمد ثم لم يزل يتظاهر بذلك ويتمدح به حتى قتل بسببه ولما دخل الشريف مسعود الطائف واستمر تلك المدة الطويلة من غير سبب مع توافر الجنود من البادية عنده نسبوا ذلك التعطيل الى هذا المغربي وكل هذه الامور كانت ترفع للشريف مسعود في مراسلات خواصه ثم لما كان قضاء الله لا مفر عنه مشى ذلك المغربي بنفسه الى الطائف ليكون عمله بمرأى من الشريف مسعود فلما وصل الى الطائف ذهب الى الشريف مسعود بنفسه ولم يكن الشريف مسعود يعرفه فعرفوه به فقبض عليه وحبسه واهانه وأمر جميع الخدم ان يبولوا عليه ليبطل سحره الذي معه ثم بعد ذلك مع قضاء الله توفرت دواعي المسير معه على صاحبه بمكة المشرفة فكانما نشط من عقال ولما توجه الى مكة كان ذلك المغربي معه في السلاسل والاغلال وافهمه بانه ان صار لنا انتصار عفونا عنك وان لم يصر لنا انتصار أهلكناك فقال هكذا يكون فحصل له النصر بحمد الله فلما وصل الى مكة وضعه بعض الخدم في الحبس الى أن يطلبه مولانا الشريف مسعود وينعم عليه ويطلقه كما وعده فحدثت منه حادثة أوجبت الفتك به بدون اطلاع مولانا الشريف مسعود وهو انه هرب من الحبس ولجأ الى بعض بيوت السادة الاشراف آل زيد فلحقه أخ لمولانا الشريف مسعود ففتك به فكانت هي القاضية ودفن بالمعلى في مقبرة الشيخ محمد ابن سليمان ثم بعد استقرار الامر للشريف مسعود حصل تنافر بينه وبين السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي زعيم الاشراف في ذلك الوقت ورئيسهم فتوجه السيد محسن الى الابواب السلطانية صحبة الوزير سليمان باشا ابن العظم أمير الحاج الشامي ووعده بان يتم له أمر شرافة مكة فلما حط رحله بالشام عرض لمزاجه بعض الآلام ولم يزل يتزايد به ذلك الالم الى ان دعاه الحق الى بحبوحة جنانه فتوفي بالشام سنة سبع وأربعين ومائة وألف في السادس والعشرين من صفر من السنة المذكورة ودفن بجانب قبر الشريف يحيى بن بركات رحمهما الله تعالى

﴿عدد أولاد السيد محسن بن عبد الله جد ساداتنا آل عون ووفاته بالشام سنة ١١٤٧﴾

واعقب من الاولاد السيد عونا والسيد أحمد والسيد حسنا والسيد عبد الله ورثاه بعض الشعراء بقصائد منهم الشيخ تاج الدين المنوفي ومطلع قصيدته

رحمة الله لم تزل تتوالى * وبلها دائما بأوفى الزياده
فوق رمس به لقد حل مولى * أشرف كان عقد جيد السياده
محسن الاسم وهو في الوصف بر * حسن صير المكارم عاده

الى ان قال في البيت الاخير وفيه التاريخ

الدين من عند باب السلام وأدخل المحملان الى الحرم الشريف ووضعا عن يمين مدرسة الاشرف قايتباي ونزل أمير الحاج المصري في
مجمع البرقية على يمين الخارج من باب الصفا وهو رباط صاحب بلدة كلبركه من ملوك الركن وقد هدمت الآن في ذلك الجانب من
البيوت والمدارس الملاصقة لجدار الحرم الشريف توسيعا لطريق السيل ودفعا لضرر دخوله الى المسجد الحرام من ذلك الجانب
اذا تراكم السيل وكان هدمها بالامر الشريف السلطاني في سنة أربع وثمانين وتسعمائة وفرقت الصدقة الرومية في يوم الجمعة
لاربع مضين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة في الحرم الشريف على الفقهاء وقرر لجماعة من المجاورين لكل واحد
مائة ذهب منهم مولانا نور الدين حمزة  بن القاضي مصطفى القرماني ومولانا زين الدين علي القرماني وقرر باسم
مولانا السيد الشريف أبي نمي أطال الله تعالى عمره الشريف خمسمائة دينارا ذهبا في أول دفتر الصدقات باقية الى الآن باسم الشريف تقبض له في كل عام وفرقت بعد هذا الذخيرة وهي صدقة كانت تجهز من خزينة مصر من قبل ملوك الجراكسة أبقاها السلطان سليم على حالها وأجراها في كل عام من خزينة مصر تفرق على فقراء الحرمين الشريفين وعلى مشايخ العرب أرباب الدرك في طريق الحج وهي باقية الى الآن وفرقت الصدقات المصرية التي تجمع من أوقاف الحرمين بمصر وتجهز الى الحرمين الشريفين ويقال لها الصر الحكمي وهو باق الى الآن وان تقهقر وضعف وصار يصرف على حكم الربع والخمس لضعف الاوقاف المصرية واستيلاء
الاكلة عليها ودخول الظلمة فيها أحياها الله من أحياها وأنمى حياة من عمرها ونماها وبعد الفراغ من توزيع سلطان
الصدقات قرئت ختمة شريفة في الحطيم الشريف حضرها الامراء والقضاة والفقهاء والاعيان باسم السلطان سليم وأهدى
الى صحائفه الشريفة ثوابها وقرر الامير مصلح الدين ثلاثين نفرا يقرأ كل واحد منهم جزءا شريفا فقرآنيا في كل يوم فتكمل لهم ختمة
كاملة في كل يوم يهدى ثواب ذلك الى السلطان سليم خان وقرر لهم مفرقا للاجزاء وداعيا وحافظا للاجزاء وجعل لكل واحد منهم اثنى
عشر دينارا ذهبا في دفتر الصدقات الرومية تصل اليهم في كل عام ثم جمع طائفة من الفقراء أعطى لكل نفر ثلاثة دنانير ذهبا سماها
المتفرقة وكتب أسماءهم في الدفتر ثم كتب بيوت فقهاء مكة المشرفة وكتب أسامي من في ذلك البيت وعين لكل نفر منهم ثلاثة

واروتاريخه بفوزندى * نال بالشام محسن للشهاده

وأما الشريف محمد بعد انهزامه فانه صار يتنقل في أماكن كثيرة الى أن صار مستقره بخليص سنة ألف ومائة وإحدى وخمسين وحصل له تعب شديد ووعده قبائل حرب بالقيام معه والنصرة له ولم يقع منهم شيء من ذلك ثم اجتمع بامير الحج الشامي الوزير سليمان باشا ابن العظم وحاوله هو وكار حرب أن يوليه الشرافة فامتنع الوزير المذكور ثم لما وصل الى مكة توسط بينه وبين عمه الشريف مسعود بالصلح حتى أصلح بينهما على شروط وأخذ من كل منهما مواثيق وعهودا وجاء الشريف محمد الى مكة فقابله عمه مسعود بالاعزاز والاكرام وتقرر بكل ماله ولجميع الخدم واستمرا على الاخوة والصفاء وفي سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف حصل بمكة سيل عظيم ملأ المسجد الحرام الى باب الكعبة واتفق انه كان حصوله يوم الجمعة فلم يحصل للخطيب طريق الى المنبر فخطب في دكة شيخ الحرم التي في باب الزيادة وصلى الجمعة ومعه خمسة أنفار وفي سنة خمس وخمسين ومائة وألف بعث مولانا الشريف مسعود عساكر وفرسانا من السادة الاشراف لقتال الاشراف ذوي حسن المقيمين بالشاقتين بطريق اليمن وهم ينسبون الى الحسن بن عجلان بن رميثة فيجتمع نسبهم مع الاشراف آل أبي نمي في الحسن بن عجلان المذكور فهؤلاء الاشراف ذوو حسن سكنوا في أطراف اليمن بالشاقتين وأقاموا هنالك حتى صاروا عددا كثيرا وملكوا أملاكا وزرعوا مزارع وتصرفوا في الاعراب المجاورين لهم ونفذ أمرهم فيهم وانقادوا لهم وصار لهم هنالك شأن عظيم وهم بطون كثيرة فحدثت منهم أمور هائلة من القتل والنهب وقطع الطريق فشمر مولانا الشريف مسعود ذيل الهمة وجهز عليهم جيشا من العسكر والاشراف وقبائل آخرين وجعل أمير هذا الجيش ومدبر أمرهم ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد المتقدم ذكر صلحه مع عمه الشريف مسعود بعدما كان بينه وبينه من الحرب الشديد فسار عليهم بذلك الجيش الى منازلهم على مسافة خمسة أيام عن مكة فلما قرب منهم ارتحلوا من منازلهم وقصدوا مواضع حصينة فحصرهم في تلك المواضع التي تحصنوا فيها وأخذ ما أمكن من نعمهم وأتباعهم وظفر بمن دله على دفائنهم من الحبوب والادباش والذخائر والاموال فأمر العساكر بأخذها والانتفاع بها ولم يزل محاصرا لهم فلما اشتد عليهم الحال فروا في ليلة من الليالي الى جبال بني سليم فلحقهم الشريف محمد ومن معه بتلك الجبال وحصرهم ثم كان نتيجة هذا الحصار ان قبض على شيخهم عساف وابنه وجماعة من كبارهم وبعث بهم الى الشريف مسعود وأقامهم بالسجن حتى ماتوا بالجدري ودخل بقية جماعتهم تحت الطاعة فامنهم فرجعوا الى منازلهم واستقامت أحوالهم وفي سنة سبع وخمسين ومائة وألف كما في تاريخ الرضي حصل بغي من نادر شاه طهمان

دنانير ذهبا والحق ذلك في دفتر الرومية وسماها البيوت وهي باقية الى الآن ثم كثر عليه الفقهاء فجمعهم في حوش كبير وأعطى لكل واحد دينارين ذهبا وسماهم العامة وكتب أساميهم وألحقهم بالدفتر وهذا الترتيب كله باق الى الآن وثوابه لمن أسس فعل الخيرات جار في صحائف حسناته الى يوم القيامة * ثم خطب الخطيب شرف الدين يحيى النويري خطبة التروية في سابع ذي الحجة وفي ظهر اليوم الثامن توجه الناس الى عرفات وتوجه الامير مصلح الدين بالمحمل الرومي وتوجه المقر بالمحمل المصري الى عرفات وصلوا في يوم التاسع صلاة الظهر والعصر جمعا بينهما بعد الزوال بعد أن خطب الخطيب في مسجد نمرة * ثم شرعوا في الوقوف في ذيل جبل الرحمة وخطب قاضي القضاة صلاح الدين بن ظهيرة امام الموقف الشريف خطبة عرفة ووقف بين يديه (١٩٣) الامير مصلح الدين بالمحمل الرومي وأمير الحاج المصري بالمحمل المصري ولم يصل في ذلك العام المحمل الشامي ودعا الخطيب للسلطان سليم خان وكذلك سائر الحجاج وأفاض الناس حين أفاض الامام وكانت الوقفة الشريفة يوم الاربعاء المبارك وباتوا بالمزدلفة ثم أفاضوا بعد فجر يوم النحر الى منى ونزل شيخ الكعبة من منى في يوم النحر ونزل معه الامير مصلح الدين لاتمام بعض الاوامر السلطانية وانفاذها ولايصال الخير والاحسان الى الفقراء واستجلاب الدعاء من الصلحاء بنصرة السلطان سليم خان ودوام سلطنته وفي ليلة الجمعة في أواخر شهر ذي الحجة الحرام طلب بعض الاولياء الصالحين والعلماء العاملين منهم مولانا الشيخ عبد الكبير ابن الشيخ يس الحضرمي والشيخ عبد الله بن ناكبير الحضرمي وشيخنا الشيخ محمد



ابن عبد الرحمن الحطاب المالكي وولده شيخنا الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المالكي والشيخ أيوب الازهري وجماعة من العلماء وأحضر لهم دواب يركبونها الى التنعيم عند مساجد السيدة عائشة رضي الله عنها وركب معهم وأشار عليهم ان يعتمروا عن والدة السلطان سليم خان فأحرم كل واحد منهم بالعمرة عن المرحومة ولبى عنها وعادوا الى الكعبة الشريفة فطافوا ثم سعوا وحلقوا وأهدوا ثواب تلك العمرة الى صحائفها ثم أحسن اليهم ورتب لهم الصر في دفتر الصدقات فدعوا له وللمرحومة ولولدها السلطان سليم خان رحمهم الله تعالى * ثم وصل من بندر السويس الى بندر جدة بحر اسفائن مسمارية فيها حبوب الصدقات السلطانية لاهل الحرمين الشريفين جهزها ملك الامراء خير بك نائب السلطنة الشريفة بمصر بأمر السلطان

سلطان العجم وخرج على كثير من ممالك الدولة العلية بالعراق واستولى عليها وأرسل كتابا لمولانا الشريف مسعود صاحب مكة يقول فيه انه حصل الوفاق والاتفاق بيننا وبين الدولة العثمانية على اظهار المذهب الجعفري وان يصلي امام خامس في جميع الاوقات في كل الجهات يصلي الصلوات الخمس بلا معارضة وأن يدعى لنا على المنابر والمقام كما يدعى للدولة العلية في جميع ممالك الاسلام فواصلكم امام مذهبنا السيد نصر الله فدعوه يصلي بالناس صلاة خامسة بالمسجد الحرام وجعل في كتابه شيأ من التهديد والترعيب فحصل لمولانا الشريف كرب عظيم من هذا الامر وكذا أهالي مكة حتى أزعج سكان أم القرى ما طلبه من اظهار مذهب الرافضة مع ان جميع ماذكره من الاتفاق زور وبهتان على دولة آل عثمان أدامها الله تعالى فاستحسن مولانا الشريف أن يرسل صورة الكتاب للدولة العلية ويستمهل الرسول مدة الذهاب والاياب وأن يعامل الرسول بالملاطفة والاكرام ولم يرض الوزير أبو بكر باشا صاحب جدة بهذا الرأي بل قال لابد من قتل هذا الرسول فأبى مولانا الشريف أن يسلم الرسول للقتل وقال لابد أولا من انهاء الامر الى الباب العالي فأغلظ عليه بكير باشا وتعصب واتهم الشريف انه اعتقد هذا المذهب فخشي الشريف أن يرميه عند الدولة بهذا الاعتقاد

*(سبب لعن الرافضة في المنبر والمقام سنة ١١٥٥)*

فأمر لدفع التهمة ان يجهروا على المنبر والمقام بلعن الرافضة وأهل البدع اللئام فزال من خواطرهم ذلك الاتهام فجاء الامر من الدولة العلية بتكذيب ما افتراه شاه العجم وطلبوا ذلك الرسول وهو السيد نصر الله ليحضر الى الباب العالي فتوجه صحبة أمير الحاج الشامي أسعد باشا في ذلك العام فهذه القضية هي أصل التصريح باللعن في المنبر والمقام ثم جهزت الدولة العلية جيوشا لقتال شاه العجم وهزموه هزيمة شنيعة واسترجعوا ما استولى عليه من الممالك والقصة مشهورة مذكورة بالبسط في التواريخ ومما كان في دولة مولانا الشريف مسعود انه منع الناس من التظاهر بشرب الدخان فرفع من القهاوي والاسواق وصار حاكمه يقبض على من يراه عنده من الاطواق فقيل انه كان يعتقد فيه التحريم وقيل ان فعله هذا لا ينشأ عن تحريم ولا تحليل وانما لما تظاهر الناس بشربه في الشوارع وتعاطاه الاراذل والاسافل ولا يرفعونه اذا مر عليهم شريف أو عالم أو فاضل فأمر بعدم التظاهر بشربه لذلك وللعلماء في الدخان أقاويل بين تحريم واباحة وتحليل ويلزم القائلين بالتحريم تفسيق المسلمين بالتعميم حيث كانوا اما شاربا أو في بيته من يشرب أو مشاهدا فما خرج أحد من الثلاث عن واحد فحينئذ لا يوجد في المسلمين عدل خصوصا والعدالة شرط في شهود النكاح ويترتب على هذا ان الانكحة على بعض المذاهب سفاح وهذا حرج عظيم وخطب جسيم مع أن القائلين

سليم وهي سبعة آلاف اردب جاء منها ألفا اردب لاهل المدينة وخمسة آلاف اردب لاهل مكة ووصل الامر الشريف السلطاني أن يوزع ذلك الامير مصلح الدين فجلس في الحرم وطلب قاضي القضاة شيخ الاسلام مولانا القاضي صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي والقضاة الثلاثة الحنفي والمالكي والحنبلي ونائب جدة الامير قاسم الشرواني وبقية الفقراء والاعيان وقرأ عليهم المرسوم السلطاني واستشارهم في توزيع ذلك فذكروا له أنه لابد من عرض ذلك على شريف مكة سيدنا ومولانا الشريف بركات وأخذ رأيه في ذلك فارسل اليه ساعيا وكتب واله صورة الامر الشريف السلطاني واستدعوا رأيه العالي في ذلك فكتب اليهم الجواب بالمبادرة الى امتثال الامر الشريف وتوزيع ما وصل من حب (١٩٤) الصدقة الشريفة على المستحقين بحسب اتفاق الامراء من أعيان أهل المجلس فاجتمعوا ثانيا بعد وصول الجواب واتفق رأيهم على بيع بعض ذلك الحب ليصرف في نقله من جدة الى مكة وأن يكتب أسامي الناس على العموم ويصرف الى كل واحد ما يخصه من الحب وما يخصه من ثمن ما باعوه بعد استيفاء المصارف وأمر شيخ الاسلام الصلاحي أن يباشر كتابة دفتر ذلك ورقم أسامي الناس الشيخ رضي الدين الحناوي الشاهد العدل كبير الشهود العدول في باب السلام المكي فكتب بيوت كل محلة وكتب ما في كل بيت من أعداد الانفار رجالا ونساء وأطفالا وخداما ما عدا التجار والسوقة والعسكر فكانوا اثني عشر ألف نفر فخص كل نفر رباعي بكيل الربع الكبير الذي هو أربع كيل عن أربعة وعشرين قدحا بالكيل المصري المستقر الآن وأن يدفع مع ذلك لكل نفر دينار ذهب فوزع ذلك جميعه على هذا الوجه ثم جعل لكل واحد من القضاة الاربع ثلاثة أرادب وزيد في اسماء للناس بعض البيوت بحسب الاعتناء بشأن كبير البيت وهذا أول صدقات الحب الشريف السلطاني واستمر الى الآن وزيد على ما كان بحيث صار فقهاء مكة والمجاورون يتعيشون بوصول هذا الحب اليهم اما في جميع السنة أو أكثرها فلو فقدوا ذلك والعياذ بالله هلكوا وكذلك يرتفقون بالصدقات الرومية وغيرها مما كان سبب الانعام بها عليهم سلاطين آل عثمان نصرهم الله تعالى وخلد ملكهم السعيد وطوق بقلائد احسانهم خدام الدعاء لهم من الاحرار والعبيد أقامت في الرقاب لهم أياد * هم الاطواق والناس الحمام * فيجب على كافة المسلمين عموما وعلى أهل الحرمين الشريفين خصوصا الدعاء بدوام سلطنة آل عثمان خلد الله سلطنتهم مدا الزمان

بالتحريم لا مستند لهم صريح من الكتاب والسنة وانما ذلك بعض الاقيسة المحتملة مع أن البلوى به عامة بين الاشراف والعلماء والعامة وبعض العلماء توقف عن الافتاء فيه بتحريم أو تحليل وكتب في جواب سؤال سئل فيه عنه بقول الله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون وكان أول ظهور شجرة الدخان سنة تسعمائة وتسع وتسعين وقد أرخ ذلك بعض الفضلاء بقوله

يا خليلي عن الدخان أجبني * هل له في كتابنا ايماء
قلت ما فرط الكتاب بشيء * ثم أرخت يوم تأتي السماء

٩٩٩ ١٣٣ ٨١١ ٥٦

ومما كان من الحوادث أيضا في دولة الشريف مسعود أنه نادى على جميع الغرباء من جميع الاجناس بالتوجه الى بلدانهم وأمر بتكرر ذلك النداء وأغلظ في العقوبة على من أهمل ذلك وسبب ذلك كثرة الغرباء بمكة حتى اتخذوها دار سكنى فقطعوا بذلك عن أهلها الحسنى وصاروا يتعاطون بيع الاقوات واستولوا على أغلب ما في الدفاتر السلطانية من المرتبات فتوجه بعد ندائه هذا خلق كثير وكان الامر بذلك سنة تسع وأربعين ومائة وألف وكذلك المنع من شرب التنباك وفي سنة سبع وخمسين ومائة وألف أرسل مولانا الشريف ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد بجيش يغزو به بني مخالد فصبحهم وأخذ ما وجده عندهم من المواشي والنعم وقتل جماعة منهم وما سلم الا من تحصن برؤس الجبال ثم دخلوا في الطاعة ورجع الشريف محمد ومن معه سالمين وفي سنة ثمان وخمسين ومائة وألف غزا مولانا الشريف مسعود بنفسه قبائل عضل حوالي الليث لقطعهم الطريق وكثرة افسادهم فأغار عليهم وأخذهم أخذا وبيلا وكان ذلك في شهر صفر وفي شهر رمضان من السنة المذكورة جهز جيشا عظيما على قبائل البقوم وجعل الامير على ذلك الجيش أخاه الشريف مساعد بن سعيد فغزاهم في سفح جبل حضن وأنزل عليهم البلاء والمحن ونهب أموالهم وقتل كثيرا منهم وربط آخرين ورجع سالما هو ومن معه وفي سنة تسع وخمسين ومائة وألف حصل مطر عظيم بمنى أيام منى والناس بها وحصل من ذلك المطر سيل عظيم ذهب بجانب من الحجاج وأموال كثيرة وكان ذلك آخر الليل وأظلمت الدنيا حتى لم ير الانسان من بجانبه فاصبح الناس نافرين الى مكة وهم في غاية التعب والمشقة يعدون أشخاص ذكور واناث وأطفال قد طمهم السيل وفي سنة ستين ومائة وألف حصل اشتباه في هلال عيد رمضان ثم أثبت بالطريق الشرعي صح ذلك اليوم فتأهب الخطيب للصلاة وصلى بالناس العيد وانقطع بذلك ما كان معتادا من جلوس مولانا الشريف

فان دولتهم الشريفة هى عماد الاسلام واحسانهم متواصل الى كافة الانام سيما جيران بلد الله الحرام وجيران نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام فانهم فازوا بالانعامات الوافرة فى أيام هذه الدولة الزاهرة وحازوا من الصدقات المتكاثرة فى نوبة هذه السلطنة القاهرة مالم يتصور ومن الدول الماضية الغابرة فالله تعالى يديم علينا سلطانهم كما دام علينا برهم واحسانهم

﴿ومما جدده الامير مصلح الدين﴾ المذكور بناء مقام الحنفية فانه كان مسقفا على أربعة أعمدة فى صدره محراب عمل سنة احدى وثمانمائة فأراد أن يوسعه ويجعله قبة فأمر بعقد مجلس حضر فيه القضاة الاربعة والائمة والعلماء والاعيان وقال لهم ان الامام الاعظم أبا حنيفة روح الله تعالى روحه الشريف بروائح الروح والريحان والرحمة والرأفة والرضوان جدير بأن يكون له فى هذا المسجد الحرام مقام يجتمع فيه أهل مذهبه ومقلدوه يكون أوسع من هذا المقام فذكر بعض العلماء أنه لاشك فى عظم كل واحد من الائمة رضوان الله عليهم أجمعين غير أن تعدد المقامات فى مسجد واحد لاستقلال كل مذهب بامام ما أجازه كثير من العلماء وان تعدد هذه المقامات فى وقت حدوثه أنكره العلماء غاية الانكار فى ذلك العهد ولهم فى ذلك العصر رسالات متعددة باقية بأيدى الناس الى الآن وان علماء مصر أفتوا بعدم جواز ذلك وخطؤا من قال بجوازه ثم انفض المجلس على غير اتفاق * ثم ذكر القاضى بديع الزمان بن الضياء الحنفى ان جده القاضى أبا البقاء ابن الضياء أفتى بجواز ذلك فشرع الامير مصلح الدين فى اتمام ما قصده وهدم تلك السقيفة ووسع المكان وعمل فيه قبة عالية من الحجر الاصفر والاحمر الشميسى وصرف على ذلك ذهبا كثيرا واستمر مقاما يصلى فيه امام الحنفية بالحنفيين الى أن غيره الامير حوش كلدى أمير بندر جدة وهدم القبة وبنى المقام مرتفعا طبقتين جعل الطبقة العليا للمكبرين لتصل أصواتهم الى سائر المسجد الحرام لارتفاع مكانهم وهو باق الى الآن على هذا الحكم * ثم بعد فراغ الامير مصلح الدين من بناء القبة توجه الى المدينة الشريفة بما معه من الصدقات الرومية وتصدق بها على جيران النبى صلى الله عليه وسلم وكتب دفتر الاسامى وأحسن اليهم احسانا وافرا واستجلب الدعاء منهم للمرحوم السلطان سليم خان ثم توجه الى ينبع وركب البحر الى مصر ثم الى الروم وأبقى له ذكرا جميلا وحصل ثوابا جزيلا رحمه

---

للناس ليلة العيد ومن الالبسة والحلواء والاسمطة النفيسة بعد الرجوع من صلاة العيد فحصلت المفاوضة فى ذلك فى مجلس مولانا الشريف مسعود بينه وبين بعض الاشخاص من أهل المقام العالى باظهار الاسف على انخرام مجلسه المعتاد وذهاب رونق العيد وما يصير ليلته من طلوع أهل الحارات على الجبال ومن البيع والشراء فصدر الامر منه بالقضاء لمافات وأن يعمل فى الليلة الآتية ما كان يعمل فى الليلة الماضية الا التكبير والخطبة والصلاة للتوقيت المستفاد من الشرع الشريف ولان الصلاة والخطبة قد حصلا فصار فى الليلة الآتية طبق ما أمر فبسطت الاسواق وطلع أهل الحارات على جبالهم وصنع ما هو معتاد ليلة العيد ويومه من الحلواء والملابس والاسمطة وهذا أمر لم يعهد قط وفى سنة احدى وستين ومائة وألف وقعت فتنة بين مولانا الشريف مسعود والوزير على باشا صاحب جدة وسببه انه نازع مولانا الشريف فى كثير مما هو مقرر له من المحصولات ببندر جدة فابرز له مولانا الشريف ما بيده من الاوامر السلطانية وما كان بيد آبائه وأجداده فلم يمتثل الوزير المذكور لشئ من ذلك فتوسط بينهما كثير من التجار وغيرهم فلم ينتج ذلك نتيجة بل ازداد الباشا تجبرا وترس البلد وحمى السور وتعدى على كثير من خدم مولانا الشريف واتباعه فعند ذلك جهز عليه مولانا الشريف جيشا وجعل الامير على ذلك الجيش اخاه السيد جعفر بن سعيد فتوجه بذلك الجيش وأحاط بمن معه على دائرة السور وحاصر الباشا المذكور ووقع بينهم النضال ثم أرسل بعض أهل البلد للسيد جعفر ان يحمل من جهة اليمن بمن معه من الجنود فهجم الجند على سور البلد من تلك الجهة ودخل الجيش جميعه فركب الباشا البحر بخواصه وتمكن الشريف جعفر من البندر ولم يحصل على أهل البلد خلاف من البادية وغيرهم فلم يمكن الباشا الرجوع الى البلد فسافر وأرسلت الدولة الى جدة غيره وجاء الامر من الدولة باجراء ما هو مقرر لمولانا الشريف على حسب ما ادعاه وأراده واستمر مولانا الشريف فى ولايته والناس آمنون مطمئنون الى سنة خمس وستين ومائة وألف

﴿ذكر وفاة الشريف مسعود سنة ١١٦٥ وولاية أخيه الشريف مساعد بن سعيد﴾

مرض فى أواخر ربيع الاول من السنة المذكورة أياما قلائل ثم توفى فى يوم الجمعة ثانى ربيع الثانى من العام المذكور فولى شرافة مكة بعده أخوه مولانا الشريف مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد وألبسه والى جدة وقاضى الشرع الشريف ونودى باسمه فى البلاد وأقبلت لمبايعته السادة الاشراف والعرب من سائر الاطراف ولم يتأخر عن بيعته الا السادة الاشراف من آل بركات فانهم عاملوا خفية ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد وتجمعوا بوادى مر ولم يكن معهم الشريف

الله تعالى ﴿الباب الثامن في دولة السلطان المحفوف بالرحمة والرضوان سليمان خان وبعض مافعله من المآثر الحسان
والصدقات الجارية والخيرات الباقية على صفحات الزمان سقى الله عهده سحائب الرضا والغفران﴾ كان سلطانا سعيدا
ملكا أيده الله لنصرة الاسلام تأبيدا (وولي السلطنة) بعد وفاة والده المرحوم السلطان سليم خان في سنة ست وعشرين وتسعمائة
وجلس على تخت السلطنة ومادمي أنف واحد ولا أريق في ذلك محجمة دم • ومولده الشريف سنة تسعمائة كذا ذكره مولانا
محمد بن خطيب قاسم الرومي في حاشية كتاب له مختصر من ربيع الابرار للزمخشري سماه الروضة ورأيت ذلك بخط طائفة من
الفضلاء المعتمدين فيكون سنه الشريف حين ولي السلطنة ستا وعشرين  سنة واستمر في السلطنة تسعا وأربعين
سنة وكان عمره أربعا وسبعين سنة وشهرين وهو سلطان غاز في سبيل الله مجاهد لنصرة دين الله مرغم أنوف عداه بلسان سيفه وسنان قناه كان مؤيدا في حروبه ومغازيه مسددا في آرائه ومعازيه مسعودا في معانيه ومغانيه مشهودا في وقائعه ومراميه أيان ملك ملك وأنى توجه فتح وفتك وأين سافر سفر وسفك وصلت سراياه الى أقصى الشرق والغرب وافتتح البلاد الواسعة الشاسعة بالقهر والحرب وأخذ الكفار والملاحدة بقوة الطعن والضرب وأيد الدين الحنيفي بحدود سيفه الباتر وأقام الملة الحنيفية وأحيا مالها من مآثر ونصر مذهب أهل السنة السنية وأظهر شعائر الشرائع وردع أهل الالحاد وقمعهم فما لهم من ناصر وكان مجدد دين هذه الامة
المحمدية في هذا القرن العاشر مع الفضل الباهر والعلم الزاهر والادب الغض الذي يقصر
عن شأوه كل أديب وشاعر ان نظم نضد عقود الجواهر أو نثر نثر منثور الازاهر أو نطق قلد الاعناق الدر الفاخر له ديوان
فائق بالتركي وآخر عديم النظير بالفارسي يتداولهما بلغاء الزمان وتعجز أن تنسج على منواله فضلاء الدوران تتناقله الركبان
بكل لسان وتستلذ بمعانيه العقول والاذهان وكان رؤفا شفوقا صادقا صدوقا اذا قال صدق واذا قيل له صدق لا يعرف
الغل والخداع ويتحاشى عن سوء الطباع ولا يعرف المكر والنفاق ولا يألف مساوي الاخلاق بل هو صافي الفؤاد صادق
الاعتقاد منور الباطن كامل الايمان سليم القلب خالص الجنان لا يرتاب في كمال ديانته ولا يشك في ولايته

محمد المذكور ولم يظن مولانا الشريف مساعد ان لهم يدا مع الشريف محمد لانه أول من حضر
المبايعة ولم تكن منه منازعة فما زال يوسط لهم الوسائط ويعاملهم بالرفق ويعدهم بكثرة المعاش وهم
لا يجيبونه الى سؤاله ثم بعد ذلك أرسل اليهم جماعة من الاشراف بطلب الصلح ومعهم ابن أخيه
الشريف محمد المذكور فلما وصلوا الى الوادي أظهروا أمرهم في معاملتهم الشريف محمدا وأظهر
هو نفسه أيضا في ذلك فرجع بقية المراسيل وأخبروا مولانا الشريف بما شاهدوه فحصل بمكة
اضطراب كثير وأرسل الشريف مساعد أخاه السيد عبد الله بن سعيد الى الطائف يجمع له القبائل
فتوجه فوجد الشريف محمدا قد نزل بالسيل ومعه قبائل عتيبة فتوجه بها الى الطائف فملكه بعد حرب
يسير وكان ذلك يوم الثامن عشر من جمادى الآخرة من العام المذكور فلما ملك الشريف
محمد الطائف نادى باسمه في البلاد وأقبل عليه كثير من العربان وبعد عشرة أيام توجه بمن
معه الى مكة وترس بهم في موضع يقال له دقم الوبر فخرج له عمه مولانا الشريف مساعد واقتتلا قتالا
شديدا ثم انهزم الشريف محمد ونهبت خزانته ورجع الى الطائف وذلك خامس رجب سنة خمس وستين
ومائة وألف ثم جمع كثيرا من العربان وجاء بهم الى مكة في ثاني شعبان وخرج له عمه والتقيا ليلا في تلك
المواضع الشريف مساعد مقابلا للموضع الذي فيه الشريف محمد بحيث انه يرى كل منهما نار الآخر
ونار الشريف محمد تشتعل على رؤس الجبال فبات الشريف مساعد ينتظر الصباح فرحل الشريف
محمد بمن معه في نصف الليل وقصد مكة والشريف مساعد ليس له بذلك اطلاع فلما أصبح بلغه ان ابن
أخيه قد انثنى وتحصن بجبال المحصب والمنحنى فوجه خلفه طلائع خيله السوابق وارتحل ومازال
ينقل ويخب حتى التقى الجمعان بوادي المنحنى فوقع الحرب بينهما واستمر ساعتين ثم انهزم الشريف
محمد ومن معه وتفرقت عنه تلك البوادي وتوسط السيد عبد الله الفعر بينهما بالصلح وأصلح بينهما
على شروط وترتيب معاش له ولمن كان معه من الاشراف وحصل الوفاء بذلك فدخل مكة في النصف
من شعبان وهمدت تلك الفتنة وفي موسم هذه السنة توجه السيد عبد الله الفعر بعروض من
مولانا الشريف للدولة العلية ورجع في سنة ست وستين بقضاء كل مطلوب لمولانا الشريف مساعد
ثم ان الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد في سنة سبع وستين خرج الى المبعوث فأقام به برهة يسيرة
وعينه بغير الملك لم تكن قريرة ثم توجه لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وكذا في سنة تسع وستين توجه
للزيارة ثم قصد الرجوع الى مكة

﴿ذكر وفاة الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٦٩﴾

فتوفي وهو راجع عند ثنية عسفان فنقلوه الى مكة وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه على ضريح والده

ومابناهيت في بني كاسه * الاوا ابرماقله ادع وقداهلني الله لان قبلت يده الشريفة وتشرفت برؤية طلعته المنورة اللطيفة وشاهدت ذاته العلية المنيفة فرأيت نورا يتلالا وهيبة ألبسها الله مهابة واجلالا وجبينا يتضوع ضياء وجمالا وألبسني تشريفه التشريف الشريف وشملني باحسانه الوافر الوريف فها أنا الى الآن أتقلب في جزيل انعامه وأعيش الى الآن في فائض تفضلاته واكرامه وأترحم على ذاته الطاهرة الجميله كلما تذكرت احسانه وجميله وأخلد ذكره الحسن في أوراق الليل والنهار وأرقمه في صفحات دفاتر الايام حيث لا تمحوه كرور الدهور والاعصار ولا تزيده الايام الا جدة ونضاره ولا يزال غضا طريا بجديد البراعة والعبارة ﴿فصل في ذكر أولاده الكرام وأحفاده النجباء العظام﴾ كان أكرمهم وأنجبهم وأمجدهم وأسعدهم وأرشدهم وخلاصة عنصره ولبيب حجره ومهده مشيد أركان الملك العثماني السلطان سليم الثاني أجلسه الله على سرير القرب والتداني وعوضه ملك الفردوس الباقي عن الملك الفاني مولده سنة تسع وعشرين وتسعمائة كما يأتي في محله * ومنهم السلطان الشهيد السلطان مصطفى وهو أكبر أولاده ومولده سنة احدى وعشرين وتسعمائة استدعاه والده من المحل الذي ولاه وهو مغتيا الى اركلى وهو متوجه الى تبريز لاخذ بلاد العجم فوصل اليه ممتثلا أمره باذلا نفسه وكان والده يتوهم منه خروجه عليه فلما حضر بين يديه أمر طائفة من البكان بخنقه فخنق صبرا وقتل قهرا في آخر شوال سنة ستين وتسعمائة وألطف ماقيل في تاريخه ظلم بي حدود آخر شوال * ثم أرسل ابراهيم باشا الخادم الى بورسا لقتل ولد طفل له اسمه مراد فمضى اليه وخنقه وبوالده ألحقه رحمهما الله تعالى ولم يرتكب السلطان سليمان هذا الامر الفظيع الذي قطع القلوب أي تقطيع الا لتسكين الفتن واطفاء ثائرة المحن ماظهر منها ومابطن صونا لدماء المسلمين وحفظا لنظام التأمين والتطمين * ومن أولاده السعداء السلطان محمد مولده سنة ثمان وعشرين وتوفي على فراشه باجله في سنة خمسين وتسعمائة * ومنهم السلطان السعيد الشهيد الغريب الشريد بايزيد مولده سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة اجتمعت به مجلسا واحدا في رحلتي الثانية الى الروم في سنة خمس وستين وتسعمائة وقد استدعاني وأنا مار عليه بقرب كوتاهيه يقال لها اقرا بولك وكان الامر منصرما بعد بينه وبين والده المرحوم فعدلت اليه

والده قبالة الشيخ محمود وعمره اثنان وأربعون سنة رحمه الله تعالى ثم بعد وفاته صفا الوقت لمولانا الشريف مساعد وانقادت له الامور الى سنة احدى وسبعين ومائة وألف فحصل تنافر بينه وبين السيد عبد الله الفعر فلما جاء الحج الشامي وكان أميرا عليه عبد الله باشا شتجي وأمير الحج المصري كشكش حسين بيك فدخل عليه السيد عبد الله الفعر وحسن له ان يلبس السيد مباركا بن محمد بن عبد الله بن سعيد وبذل له شيأ جزيلا من عروض ومال فوافقه على ذلك ولم يفكر في العواقب ووافق على ذلك جماعة من السادة الاشراف والسرادرة المصرية فاتموا الامر بالخفية والشريف مساعد لا علم له بشيء من ذلك الى ان حج الناس فلما كان الحادي والعشرون من ذي الحجة البسوا الشريف مباركا المذكور عند القاضي بغير فرمان سلطاني ولا أمر باشوي وفرق العساكر على أسطحة الحرم والمنائر واتخذوا جميع المنائر حصونا ومتارس وترسوا البيوت المطلة على دار السعادة منزل مولانا الشريف مساعد فبينما هو نائم في داره لم يشعر الا ورمي الرصاص كالمطر فسأل أرباب دولته عن ذلك فأخبروه بما صار فعند ذلك استدعى العساكر والرجال وبذل لهم الكثير من المال فقامت الحرب بينهم على ساق واستمر الحرب ذلك اليوم بما طال ووافى الموت لقصيري الآجال ومازال الحرب بين الفريقين في الليل الى الصبح فاخذ الشريف أحمد بن سعيد أخو مولانا الشريف مساعد جانبا من العسكر ونزل بهم من أسفل مكة وطلع الحاكم عبد النبي باهل الحارات من كل ناحية وسكة حتى ظهرت الصولة والغلبة لمولانا الشريف مساعد عليهم فعند ذلك طلب السيد مبارك الذمة وأخذ الامان له وللصنجق كشكش وكان قد أخذت ذخيرته ونفائس أمواله ثم بعد اعطائهم الامان توجه السيد مبارك الى وادي مر الظهران والتمس الصنجق من مولانا الشريف مساعد ان يرجع له ماذهب ليرتحل بالحج فأمر ان يرجع له مايلقونه بأيدي الناس فجمع ماوجدوه شاهرا ظاهرا كالخيام والقرب والخف والحافر فأخذ ماتحصل له وارتحل * ونادى خلفه لسان شؤمه الى حيث آل * ثم ان السيد مباركا أقام بالوادي أياما فدخل بينهما بالصلح السيد عبد الله بن سعيد والسيد سليمان بن يحيى وتمم له كل ماطلب من مولانا الشريف في غرة المحرم سنة ثنتين وسبعين ومائة وألف وفي ليلة النصف طلع عند حضرة الشريف السيد مبارك فقبض عليه وسجنه الى تمام السنة وتوفي ثامن ذي الحجة من السنة المذكورة ولما تحقق مولانا الشريف ان الذي كان من تولية الصنجق للسيد مبارك انما هو بواسطة السيد عبد الله الفعر اشتد غضبه عليه فأمره بالتوجه من أقطاره فارتحل وتوجه الى اليمن ولم يزل سائرا حتى قدم صنعاء فأكرمه الامام وعرض عليه أن يمده بالرجال والاموال فامتنع السيد عبد الله الفعر من ذلك وقال الاولى ان تطلب لي الاستسماح من مولانا الشريف

وحضرت بين يديه فأقبل على بكليته وأقبلت عليه وعظمني وعظم أمري وأكرمني فوق قدري وباسطني وخاطبني بدون واسطة وقربني وأخلى مجلسه لي وحدي ولم يترك فرعا من الفروع الذي أراد كشفها وتحقيقها الا سألني عنها بلطف وتؤدة وأجبته عنها بأدب وسكون وملاحظه وأدرجت مع ذلك نصائح تصلح للملوك وهو يصغي اليها ويحسن في الاصغاء الى استماعها ويتفكه ويتلذذ بسماعها وسألني في الاقامة عنده لمصاحبته فاعتذرت اليه وكرر ذلك فأبيت عليه وكان الخير في ذلك وكلما طال المجلس استأذنت للقيام فيأبى ويقول ما أسرع ما مللت حديثنا ونحن نستطيب حديثك وكان أول المجلس من صلاة الظهر واستمر الى بعد صلاة العصر فألبسني تشريفه وأحسن  الى بأثواب صوف ودراهم لها صورة وفارقته ودخلت اصطنبول وتوفيت والدته المالكة أم السلاطين الخاصكية بعد دخولي وحضرت جنازتها وما أجرى من الصدقات عليها وكانت هي كالطلسم للسلطان بايزيد فلما توفيت حصل الشنآن بينه وبين أخيه السلطان سليم خان أدى الى فتن عظيمة ومحاربات قتل فيها نحو خمسين ألف نفس فصاعدا ثم لما عجز عن مقاومة والده وأخيه هرب الى شاه طهماسب ففرح به وأقام ناموسه وعجز عن حفظه فشرع طهماسب في المكر والخداع وتفريق عسكره والاعتذار بضعف بلاده عن أن تسعهم ففرقهم ثم استولى عليه وحده هو وأولاده وقتل عسكره واحدا بعد واحد واغتنم منهم مالا كثيرا وترددت الرسل بينه وبين السلطان سليمان في تسليمه لوالده فلما تأكد طلبه من طهماسب ذكر أنه صرف عليه خزينة مال وأنه لا يسلمه الا بأن تعطى له فسئل عن قدر ذلك فذكر مقدارا عظيما يكون مثل خراج مصر سنة فأمر السلطان سليمان بدفع ذلك القدر اليه فلما أسلمه أحضر السلطان بايزيد وأولاده الاربعة وكل واحد كالبدر الطالع والنجم الساطع فخنقوا مع الدهم بادارة الوهق حتى لم يبق فيهم رمق وأخمدوا أنفاسهم بالاوطار واطفأوا اتقاد الانوار ورزقوا سعادة الشهادة بالاضطرار وهم السلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان أورخان والسلطان عثمان وحملت توابيتهم أجسادهم في توابيت من قزوين الى سيواس ودفنوا في سيواس وأسكن الله الفتنة والوسواس وذلك في سنة سبعين وتسعمائة وكان للسلطان بايزيد طفل في بورسا فأمر بخنقه أيضا فخنق والله تعالى يبل مضاجعهم بأمطار الرحمة والرضوان

---

لا عود الى الوطن فأرسل الامام لمولانا الشريف يستسمحه ويستأذن له في الرجوع فأذن له فعاد الى الوطن في جمادى الاولى ولما أقبل الحج الشامي في العام المذكور وكان الامير عليه الوزير عبد الله باشا الآتي في العام الذي قبله عزم على عزل مولانا الشريف بحيلة دبرها وذلك انه بعد تمام الحج نزل بالمحصب وعقد مجلسا للنظر في أحوال عين زبيدة وطلب مولانا الشريف للحضور في ذلك المجلس وحضر فيه القاضي وأمراء الحجوج فلما فاض الحديث بينهم في أمر العين أغلظ الباشا المذكور في المقال على مولانا الشريف قائلا أنت أعطشت أهل هذه البلدة المجيدة وأجريت العين لسقيا العابدية مع ان هذه المقالة افكة أفاك وعين زبيدة لا تركب هناك وقد كذب عليه من قال له ذلك فأجابه مولانا الشريف بان ذلك غير صحيح فلم يقبل منه ذلك

﴿ذكر القبض على الشريف مساعد وتولية أخيه الشريف جعفر بن سعيد سنة ١١٧٢﴾

فأمر بالقبض على مولانا الشريف والبس أخاه السيد جعفر بن سعيد ولاية شرافة مكة فلما جاء الخبر للناس حصل اضطراب في مكة ووقع الجري في الاسواق فلما بلغ الباشا ذلك الاضطراب ركب من فوره هو وجميع امراء الحج والقاضي ووالي جدة ونزل المسجد وأبرز فرمانا مضمونه ان الدولة فوضت له الامر والنظر في شأن الحرمين وتولية من يرى فيه الصلاح ثم نادى باسم الشريف جعفر في شوارع البلاد وأمر بالدعاء له في المنبر والمقام وأطلق الشريف مساعد بوجاهة أخيه الشريف جعفر فتوجه الشريف مساعد الى العابدية

﴿ذكر نزول الشريف جعفر عن الشرافة لاخيه الشريف مساعد بن سعيد سنة ١١٧٣﴾

فلما توجهت الحجوج حصل الاتفاق بينه وبين أخيه الشريف جعفر ان يتقلد الشرافة الشريف مساعد ويعود كما كان ويبذل لاخيه الشريف جعفر شيأ من الدراهم والنقود فرضي بذلك وكان ذلك في الرابع عشر من محرم سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف فرجع الى شرافته وتوجه الشريف جعفر الى الطائف فاشترى بساتين

(وفاة الشريف جعفر بن سعيد سنة ١١٧٨)

ولم يزل يتنزه فيها مع الاتفاق بينه وبين أخيه الى ان توفي الشريف جعفر سنة ثمان وسبعين وفي سنة أربع وسبعين وقع اختلاف وتنافر بين مولانا الشريف مساعد وأخيه السيد أحمد بن سعيد وسببه أن وزير مولانا الشريف وهو محمد الشامي أذنب عبد من عبيده فذهب لمولانا السيد أحمد بن سعيد متوجها عليه ان يستسمح له سيده فأخذه مولانا السيد أحمد بن سعيد وقاده لبيت سيده وطلب منه السماح لذلك العبد فقبل توجهه في ظاهر الامر وسمح وبعد خروج مولانا السيد أحمد

ابن

ويعوضهم عن شبابهم الجنة ويروح أرواحهم في غرف الجنان بالروح والريحان والحور والولدان والخيرات الحسان * ومنهم الشهزاده جهانكيرخان مولده سنة سبع وثلاثين وتسعمائة وكان أحدب ظريفا ضعيف الروح لطيفا يحبه والده ولم يفارقه الى أن توفي بأجله في حلب بمرض الخناق في سنة ستين وتسعمائة ونقل الى اصطنبول ودفن في تربة أخيه محمد الشهزاده * ومنهم الشهزاده السلطان مراد توفي بأجله في سنة سبع وعشرين وتسعمائة * ومنهم الشهزاده السلطان محمود توفي بأجله سنة ثمان وعشرين وهذا والذي قبله مدفونان في تربة السلطان سليم جدهما رحمهم الله تعالى * ومنهم الشهزاده السلطان عبد الله توفي بأجله في سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وتوفيت والده السلطان سليمان خان في سنة أربعين وكانت صالحة زاهدة محبة لفعل الخيرات كثيرة الصدقات أسكنها الله أعلى غرف الجنات

﴿فصل في وزرائه العظام﴾

كان أول وزرائه آصف زمانه بزرجمهر أوانه معدن الرأي والدها موضع العقل والنهى محمد الجاني الصديق المعروف ﴿بيري باشا صلاقه﴾ وزيرا لوالده فأبقاه على وزارته مدة وكان السلطان سليم تتبع في أول سلطنته طوائف العلماء المتميزين بكمال العقل والرأي فلم يجد أكمل عقلا منه وكان قاضيا في بعض القصبات فقربه وولاه وزارته العظمى واستمر في مدة سلطنته وزيرا عنده لم يغير وسلم من قتله لكمال دربته مع كثرة من قتل من الوزراء وكان فاضلا كاملا متين الرأي عاقلا يضرب المثل بفراسته وعلمه وعقله وحلمه فلما وزر للسلطان سليمان رأى في خدمته من شباب مماليكه من هو على الوزارة طائرا إليها بجناحيه ورأى سلطانا ناشئا يميل الى أقرانه وذوي اسنانه وهو بينهم لشيخوخته وكبر سنه لا يناسبهم فاستعفى عن الوزارة فأجيب الى سؤاله فانجمع للنظر في حاله وماله ورأى لعين كماله عدم ثبات الدهر في أحواله وأخذ في زاد ترحاله وقدم من الخيرات ما يكون ذخيرة لآخرته من الباقيات الصالحات * فمن آثار عمارته في ادرنة في دربند وكان محل قطاع الطريق ينهب فيه قوافل المسلمين فعمل هناك تكية عظيمة ومحلا لنزول المسافرين فيه طعام يطبخ لهم ويقدم اليهم ومسجدا جامعا ورتب لذلك كل ما يحتاج اليه ووقف أوقافا عظيمة عليه فصار أثرا باقيا على صفحات الزمان وجميلا يذكر به ويدعى له الى انقضاء الدوران وله خيرات أخر غير ذلك يلوح عليها علامات القبول عند الله تعالى * وكان عزله في سنة تسع

ابن سعيد فتك بالعبد وضربه بالسياط وقيده فهرب العبد مقيدا الى بيت مولانا السيد أحمد بن سعيد وأخبره بما جرى بعد خروجه فانهى الامر لاخيه مولانا الشريف مساعد فلم يلتفت لمقاله ولم يتكلم مع وزيره بشئ لانه كان مقربا لديه * وقد قيل في المثل * ان عدم النصفة بين الخدم تفضي الى الندم والمنافسة بين الخدم سم في دسم وتعدي الخادم عن طوره دليل على ظلم المخدوم وجوره فغضب السيد أحمد بن سعيد من عدم التفات أخيه الى شكايته من وزيره فتوجه الى وادي نعمان وجمع شيأ من العربان فجاء الخبر لمولانا الشريف مساعد فجمع هو أيضا وخرج بهم مع عساكره لمقاتلة أخيه وكان السيد أحمد بن سعيد جاء بمن معه ونزل في التنعيم فالتقى الجمعان واقتتلوا عند الجبال التي حول أبي لهب ووقعت بينهما ملحمة مات فيها من دنا أجله من الفريقين وأسفر الامر عن انكسار السيد أحمد بن سعيد فانهزم ونهبت خزانته ثم طلب ذمة من أخيه وارتحل لوادي مر ومكث هنالك أياما حتى دخل جماعة من كبار الاشراف بينهما بالصلح فرجع واصطلح مع أخيه وأنزله المنزل الذي يرضيه وأمر الوزير أن ينقاد لاخيه ويسترضيه فيما جناه فذهب اليه واسترضاه عما هفا فسمح له عن الذنب وعفا وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف حصل بين مولانا الشريف مساعد وبين السيد أحمد بن الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى منافرة تولد منها خراب كبير فرحل السيد أحمد بن عبد الكريم الى الوادي واجتمع عليه آل بركات وأجمع رأيهم على تولية السيد عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات شرافة مكة فوافقهم على ذلك وجمع ما أمكنه من الرجال وبذل ما قدر عليه من المال وبنوا أمرهم على انهم يأخذون قبل ذلك بندر جدة ويستولون على ما فيها من الاموال فتوجهوا بمن معهم من الجموع وأحاطوا بسور جدة من كل جهة فتحصن أهلها ورموهم بالمدافع والقلال فلم يجدوا لهم خلاصا فقيلوا في العشش التي هي خارج البلد بعد ان تفرق كثير من جمعهم فرموهم من جدة بنشاشيب جعلوا الكبريت الموقد في رؤسها كالرياش فاحترقت تلك العشش فلم يقر لهم قرار وقيل ان مولانا الشريف مساعدا أرسل من أحرقها فرجع الشريف عبد الله بن حسين الى الوادي ثم توجه الى مصر وطلب من صاحب مصر الاعانة له على بلوغ المأمول وكان صاحب مصر اذ ذاك علي بيك كبير صناجق الغز قد تغلب على الدولة العلية وخرج عن طاعتها وأخرج الوزير المتولي أمرها من الدولة وصار الحل والعقد بيده حتى انه بعد هذه المدة أرسل جيوشا ملك بها الشام كما هو مذكور في تاريخ مصر للعلامة الجبرتي فلما جاء السيد عبد الله بن حسين لعلي بيك مستنجدا به أجابه لمرامه وأوصى أمير الحاج المصري وكان الامير المذكور مملوكا لعلي بيك يسمى محمدا أبا الذهب وأكد عليه ان يسعفه بمراده ويجتهد في تمكينه

وعشرين وتسعمائة وولى مكانه فى وزارته العظمى من المماليك الذين عنده داخل السرايا أوده باشا حرمه الخاص ابراهيم باشا وكان شابا قد امتلأ غصن نضارته بماء الشباب ولازمته السعادة والعزة والعظمة والدولة من جملة خدام الركاب وكان أقدم منه فى الخدمة أحمد باشا وظن أن الوزارة لا تعدوه الى غيره لانه من خواص مماليك والده وابراهيم باشا من مماليك السلطان سليمان نفسه فزاحمه فى صدر دست الوزارة وجلس بقوة ادلاله بخدم السلطنة الشريفة فى محل الصدارة فشكاه ابراهيم باشا الى السلطان فدبر فى ازالته من ذلك المكان فطلبه السلطان سليمان وجعل له ايالة مصر وأعطاها تيماراله واقطاعا يستجلب به خاطره فمضى الى مصر واليا عليها وصار يتقصد ابراهيم باشا للعداوة السابقة ويرميه بما يوجب قتله فبرز الامر لجماعة من الامراء المستحفظين بمصر أن يجتمعوا عنده ويقتلوه فى محله بالامر الشريف السلطانى ويولى أحدهم مكانه الى أن يرد الامر الشريف باقامة بكاربكى بمصر وأرسلت هذه الاحكام الى الامراء المذكورين فوقعت تلك الاحكام فى يد أحمد باشا قبل أن يصل الى الامراء المذكورين فجمعهم فى ديوانه وذكر لهم ان الامر الشريف السلطانى ورد اليه بقتلهم فأذعنوا للامر الشريف فقتلهم ثم سولت له نفسه العصيان وظن أنه يأوى الى جبل يعصمه من السلطان وانه يقابل ويقاتل بجيش يلفقه من مصر فابدى الطغيان وادعى السلطنة لنفسه على المنابر وأمر أن يدعى لنفسه على المنابر فى أيام الجمع ورتب عسكرا من العوانية وجمع وضرب السكة باسمه على الدراهم والدنانير وصادر الناس وجمع المال الكثير وعصى عليه أهل قلعة الجبل ولايته فجمع عليها الشطار وأخذها بالحيل وقتل من فيها من عسكر السلطان وأوقد نيران الفتنة والعصيان وكان ممن حبسه للمصادرة جانم الحمزاوى ومحمد بك وأراد قتلهما وقد أخر الله أجلهما فسمعا أنه دخل الحمام فكسرا الحبس وخرجا ونصبا سنجقا سلطانيا ونادبا من أطاع السلطان فليقف تحت لوائه فاجتمع تحت السنجق خلق كثير وجم غفير وصار سردارهم محمد بك وجانم الحمزاوى بمثابة الوزير وتوجها بالعسكر الى الحمام فكبسا أحمد باشا وقد حلق نصف رأسه وأعجله النصف الثانى هجوم العسكر السلطانى فهرب الى السطوح وتسلق من مكان الى مكان وخلص الى البر والتجأ الى شيخ عرب الشرقية عبد الدائم بن بقر وقوى العسكر السلطانى

بغاية اجتهاده حتى يجلسه على كرسى الشرافة فجاءت الاخبار لمولانا الشريف مساعد فاخذ فى أسباب الاحتراس غايتها فلما وصل الحج المصرى الى الوادى توجه الى مكة وترك الشريف عبد الله ابن حسين يجمع له كثيرا من البوادى فوصل الحج الى مكة وخرج الشريف مساعد للبس الخلعة الواردة مع الحج المصرى فالبسه اياها على العادة الجارية ولم يظهر أمير الحج المصرى شيأ مما فى نفسه فلما أتم الناس حجهم بالامن والاطمئنان اتفق مولانا الشريف مع أمير الحاج الشامى وهو عثمان باشا الصادق وكان محبا لمولانا الشريف على تقديم سفر الحج المصرى واخراجه من مكة قبل أوانه لما علموا مقصده مع الشريف عبد الله بن حسين فامروه بالخروج والسفر يوم الثامن عشر من ذى الحجة قبل ان يتم مراده وحيث لم يعهد ذلك حصل اضطراب وضجة فامتثل الامر وارتحل قبل ان يتم مراده وارتحل بعده بثمانية أيام الحج الشامى فلما بلغ الشريف عبد الله بن حسين خروج الحج المصرى حصل له غيظ وحنق فبذل المال واجتهد فى جمع الرجال ودق زير الحرب واجتمع عليه كثير من القبائل والاشراف ماعدا آل حسن وكذلك الشريف مساعد جمع من الرجال اضعاف ماجمعه الشريف عبد الله بن حسين مع ماعنده من العساكر والرجال فاقبل الشريف عبد الله بن حسين بمن معه من البوادى وخيم بالجبال التى حول الزاهر فخرج الشريف مساعد بمن معه لقتاله ومكن كثيرا من جنوده بجبال المعابدة والمعلى ووقع القتال بين الفريقين فى اليوم السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف واشتد الامر وسالت الدماء وكانت ملحمة عظيمة ظهر فيها من الشجاعة للقائد مثقال سلحدار مولانا الشريف مساعد مالا يخطر بالبال حتى انه رفع السيد رضا من ظهر فرسه وهو مدرع ورفعه على قائم زنده ورماه بين يديه ثم طعنه بالقنا فخرجت روحه ثم اسفرت هذه المعركة والواقعة المرتبكة عن انهزام السيد عبد الله ابن حسين فتوجه الى الوادى وطلب ذمة فاعطيها على المعتاد ثم توجه الى مصر قاصدا عزيزها على بيك فشكى اليه ماقاساه من الاهوال فأمده بالرجال والاموال وجهز معه مملوكه محمد بيك أبا الذهب ومعه جردة عظيمة فيها صنجقان وثلاثة آلاف من العسكر وثلاثون مدفعا وحمل الذخائر والاثقال تباريهم فى ثلاثة مراكب فى البحر وأكد عليهم ان يمكنوا الشريف عبد الله بن حسين من سيادته ويخرجوا الشريف مساعد من دار سعادته فقدر الله انه حصل للشريف مساعد توعك ومرض من يوم خروجهم من مصر قبل أن يصل اليه الخبر وتوفاه الله تعالى قبل وصوله

## ﴿ذكر وفاة الشريف مساعد سنة ١١٨٤﴾

وكانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث بقين من شهر المحرم سنة أربع وثمانين ومائة وألف وكانت مدة

ولايته تسع عشرة سنة الا ثلاثة أشهر وأعقب أولادا كراما منهم مولانا الشريف سرور والسيد مسعود والسيد عبد العزيز والسيد عبد المعين والشريف غالب والسيد محمد والسيد لؤي وكان قبل وفاته عقد البيعة من بعده لاخيه مولانا الشريف عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن ابن حسين بن حسن بن أبي نمي

﴿ذكر ولاية الشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٨٤﴾

فبعد وفاة مولانا الشريف مساعد ولي شرافة مكة أخوه الشريف عبد الله المذكور وألبسه قاضي الشرع الشريف ونودي له في البلاد فنازعه في الامر أخوه مولانا الشريف أحمد بن سعيد وقال أنا لها أنا لها فتنزل له عن الشرافة وقلده اياها وعاش بعد ذلك ست سنوات وتوفي وأعقب أولادا كراما منهم السيد فهيد والد السيد عبد الله بن فهيد المشهور ومنهم السيد مساعد والسيد عامر والسيد علي والسيد عبد العزيز والسيد دخيل الله المشهور بالعواجي

﴿ذكر نزول الشريف عبد الله بن سعيد عن شرافة مكة
لاخيه الشريف أحمد بن سعيد سنة ١١٨٤﴾

فولي شرافة مكة الشريف أحمد بن سعيد بعد نزول أخيه له عنها وظهر عقب ولايته في شهر صفر نجم في السماء ذو شعاع وله ذنب ما رأته العرب قبل ذلك وطوله يزيد على رمح يطلع بعد المغرب ولا يغرب الا عند الصبح فتشاءم الناس من طلوع ذلك النجم وكثرت فيه الاقاويل والقيل والقال ثم اطلع كثير من الناس على قصيدة للعلامة الفاسي تؤذن ان بعد ظهوره تبدو أمور غير حميدة والقصيدة بائية وهي تدل على ظهور طائفة الوهابية ولنذكرها تتميما للفائدة ثم نتمم الكلام على الجردة التي جاءت مع الشريف عبد الله بن حسين قال

اذا لاح نجم من المشرقين * كثير الشعاع طويل الذنب
اذا ما بدا فاحسبوا بعده * ثلاثين عاما ترون العجب
خوارج تخرج من مشرق * تدوس البلاد بكثر العطب
يكون القوم حروب كثير * وتلقى العشائر أقصى التعب
وتبدو شرور تعم البلاد * الى أن تولى الثلاث الحقب
ويقمع صنعا وأربابها * ومن حل في حولها واقترب
برابعة بعد تلك الثلاث * بأكل زبيب وعمر وحب
وفي الخمس ينبعث المشرقي * يبيد البلاد بكثر العطب

ونهبوا ما جمعه من الاموال بالظلم والمصادرة وخرجوا اليه يطلبونه وخوفوا عبد الدائم وحذروه من عصيان السلطنة فأتاهم به ممسكا فقطعوا رأسه وطافوا به في مصر وعلقوه في باب زويلة ثم جهزوه الى الاعتاب السلطانية وذلك في سنة ثلاثين وتسعمائة وضبط محمد بك وجانم الحمزاوي مصر الى ان ورد مصطفى باشا وضبط مصر بكلربكا واستمر ابراهيم باشا في وزارته العظمى معظما عند السلطان نافذ الامر واسع العطاء كريما باذلا منفردا بالامر والنهي الى أن أفرط بالدلال وزاد في الاذلال واستبد بالامور واستقل بمصالح الجمهور فأنفت الغيرة السلطانية من ازدياد دلاله وما تحملت زيادة عجبه وادلاله فطلبه السلطان في ليلة من أواخر رمضان عنده وأنعم عليه على جاري عادته بنفائس الانعام ووهب له جميع ما في



مجلسه من أواني الذهب المرصعة بالجواهر الغالية وطيب خاطره وطيبه بالعنبر والمسك والغالية وأمره أن يبيت عنده في مجلس خاص به كان عادته أن يبيت فيه وصبر عليه الى أن غاب سلطان الكرى على مقلته وأماقيه وأمر بذبحه وأخطأ الذابح نحره فصاح مستجيرا والسلطان قريب منه وقد صمم فيه أمره فأمر أن يكمل ذبحه فقطع رأسه وأطفأ نبراسه وأخمدت أنفاسه وما كانت نار الغضب على ابراهيم بردا وسلاما بل زادته حرا واضطراما ولعل كثرة احسانه الى الناس ونشر مكارمه التي زادت على الحد والقياس نفعته عند الله في الدار الاخرى ولعله صدقت نيته في بعضها فصادفت قبولا وكان عند الله الكريم ذخرا فكم من عمل صالح يكون سببا للنجاة من النار ويدخل به صاحبه



الجنة مع الشهداء والأبرار وما ربك بظلام للعبيد وكان قتله في الليلة السادسة والعشرين من رمضان سنة احدى وثلاثين وتسعمائة ثم ولي الوزارة الوزير الثاني وكان من الارنؤط من مماليك المرحوم السلطان سليم خان وكان محبا للصلحاء معتقدا في طائفة العلماء معتدلا في أحواله صادقا في أقواله قطوفا في آرائه وأفعاله اجتمعت به في أول رحلة الى اصطنبول سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يكاتب والدي ويلتمس دعاءه فأكرمني وأقبل علي وأحسن الي ورباني عند السلطان وأخبره عن والدي وكبر سنه وانفراده بعلم الحديث وعلو السند في عصره فحصل لي احسان كثير وانعام كبير جزاه الله عني أحسن الجزاء ورحمه وأسكنه جنات العلى واستمر وزيرا الى أن توفي مطعونا في سنة (١) وأربعين وتسعمائة ثم ولي

(١) بياض بالاصل

بعده الوزارة العظمى لطفي باشا ﴿وجنسه من الارنؤط وهو من مماليك المرحوم السلطان سليم وكان له فضل واحتفال ومشاركة في بعض الفضائل وله رسالة بالتركية شرح فيها الفقه الاكبر لامامنا الاعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه وله آثار حسنة في وزارته منها ابطال الاولاق فانه كثر في تلك الايام وعم أذاهم للمسافرين وكانت الطرقات لا تخلو منهم فيأتي أحد الاولاقية الى المسافر ويرميه عن دابته ويركبها الى أن تنقطع فيرميها او يأخذ دابة مسافر آخر وهلم جرا ولا يسلم منهم أحد فلما ولي الوزارة ابطل كثرتهم وعين ان لا يرسل الاولاق الا في المهمات العظيمة السلطانية المتعلقة بظهور عدو على المملكة يخشى عليها منه وامثال ذلك من الامور العظيمة جدا فقل ضررهم بعد ذلك على المسافرين وصارت الناس تدعو له بسبب ازالة هذه المظلمة وكانت الخلفاء تعد خيلا تربط لهم في كل بلد وقرية تحت حكومتهم وكانت تسمى خيل البريد فيركبها الى أن يصل الى قرية أخرى فيجد فيها أيضا خيل البريد فيركبها ويترك الاولى وهكذا الى أن يصل الى بغداد ويرجع عنها بالامر الذي يؤمر به وكان لهم خدام لمثل هذه الخيول بعلوفات ومرتبات رحمهم الله تعالى ورحم من أزال بقية ظلم الاولاق ورفعه عن المسلمين بالكلية وعين لهذه المهمات خيل البريد كما كان يفعله الخلفاء رحمهم الله تعالى واستمر لطفي باشا الى أن وقع بينه وبين زوجته مشاحنة وهي أخت حضرة السلطان سليمان *وسببها كثرة ميله الى الجواري فشكته الى أخيها فطلبه عنده وضربه بالقوس على رأسه وأمره بمفارقتها ففارقها مكرها وطلب الاذن في الحج فاذن له فحج في سنة تسع وأربعين وتسعمائة فاجتمعت به وأراني تأليفه وأمرني بتعريبه فعربته ثم أمرني ان أترجمه بالفارسية فترجمته له حسب ما أراد وأحسن الى بسبب ذلك ثم عاد من الحج الى الباب واستأذن ان يكون في قرية له من اقطاعه فاذن له واستمر فيها الى ان توفي رحمه الله في سنة ست وخمسين وتسعمائة وكان عزله في سنة سبع وأربعين وتسعمائة ﴿وولي مكانه الوزارة العظمى سليمان باشا الخادم﴾ هو من الارنؤط من مماليك السلطان سليمان وكان قد ولي ايالة مصر قريبا من عشرة أعوام ثم عزل عنها ثم أعيد اليها وجعل سردارا للعسكر المجهز الى الهند لدفع ضرر الغز تقال اللعين عن المسلمين واستيلائهم على بنادر الهند ثم كثر اذاهم لبنادر اليمن ووصولهم الى بندر جدة والى بنادر السويس على مرحلتين

اذا ما تقاربت الزهرتان * لاول شوال رأيت العجب
وزاد عطارد في سيره * على المشتري طالعا والتهب
فذاك دليل يكون الكسوف * لآخر جمادي وأول رجب
اذا انكسف الشمس عند الغروب * صحيح رواية أهل الادب
بعسر وخوف وعيش قليل * يقول المجرب فيها احسب
يقيمون في الذل دهرا قليلا * وتفنى الذخائر والمكتسب
وفي الست يظهر سبط الرسول * كريم المناقب عز العرب
يبيد الفساد وأربابه * ويذهب في الخير مع من ذهب
وتنقلب الناس نحو السماء * ويجيشوا اليها جميع العرب
ويأتيك عام به عوصة * لمن عاش من بعد ما قد ذهب
وفي السبع يظهر داعي الهدى * أعز البرية أما واب
فتصفو البلاد ويحيي العباد * ويحكم فيها بما قد وجب
فطوبى لمن شاب في وقته * وطوبى لمن هو طفل يرب
فخذها برسم امرئ عالم * نبيه بصير بما قد كتب
فان قيل ما قاله كاذب * الا لعنة الله على من كذب

قال الشيخ عبد الله عبد الشكور في تاريخه وأراد بذلك ان الطائفة الوهابية تدخل مكة بعد ثلاثين عاما بهذه العصبية قال وذكر هذا النجم العلامة البغدادي في لاميته وانه متحقق انه عنوان ظهور أهل الشرق حيث قال

ويبدو في السما نجم طويل * له ذنب وذو شعر طوال
فتلك دلائل التمري يبدو * بانواع الغواية والضلال

قال واللامية طويلة ذكر فيها أغلب ما سيقع في البلدان وعدد التمري والشرقي يتفقان في الحساب بغير شك ولا ارتياب

﴿ذكر وصول الجردة﴾

ومن الحوادث في أيام مولانا الشريف أحمد بن سعيد انه وصل الى ينبع الجردة بالعسكر المصرية لقتال المرحوم الشريف مساعد وكان أميرها أبو الذهب محمد بيك ليجلس الشريف عبد الله بن حسين على كرسي الشرافة فلما وصل ينبع قاتله وزير الشريف الذي كان بها وهو درويش آغا ثم عجز فاخذوها

وعاثوا فى البحر وأخذوا سفائن الحاج والتجار غصبا ونهبوا أموال المسلمين وأنفسهم قتلا وأسرا وفتكوا بسلطان كجرات السعيد السلطان بهادر شاه وقتلوه غدرا فتحركت الحمية السلطانية واضطرمت نار العصبة الاسلامية السليمانية فأمر سليمان باشا ان يعود الى مصر وان يعمر سفائن يركبها مع عسكر جرار الى أرض الهند ويقطع دابر الكفار وينظف تلك الاقطار من الكفرة الفجار فعمل نحو سبعين غرابا وسفائن معمارية كبار لحمل الاثقال ورتب العسكر وقتل عند سفره جماعة لاذنب لهم غير صدق خدمتهم وحسن الوفاء بعهدهم حسدا لهم على ما آتاهم الله من فضله منهم الامير جانم الحمزاوى وولده الامير يوسف وكانا من الصناجق العظمة السلطانية ختم الله لهما بالشهادة وقتل أيضا



الامير داود بن عمر أمير الصعيد وكان كريما

فاخذوها وقتلوا الوزير المذكور ونهبوا البلد وكان الشريف عبد الله بن حسين قد تقدم قبل الجردة الى الوادى وجمع جموعا من العربان ومن أطاعه من الاشراف وشاع أمر الجردة بمكة فارسل الشريف أحمد بن سعيد حريم آل زيد الى الطائف وأقام بمكة بمن عنده من العسكر والناس بين مصدق ومكذب ومهون ومصعب والمظهر الامر وتحقق أرسل الشريف أحمد للعربان يطلبهم وهو خلى من الدرهم والدينار فاجتمع عنده نزر يسير ثم تفرق أكثرهم وفى اليوم الرابع عشر من ربيع الاول وصلت الجردة الى الوادى فأرسل الشريف أحمد المفتى على بن عبد القادر الصديقى والسيد عبد الله الفعر الى الوادى لكشف هذا الامر فاناخوا على أبى الذهب بوادى مر وخاطبوه فى هذا الامر فرأوه لايرضى الا بجلوس الشريف عبد الله بن حسين على كرسى الشرافة فأرسلوا خادما يخبر الشريف بما شاهدوه ثم رجعوا وفى اليوم السادس عشر من ربيع الاول ارتحل أبو الذهب بالجردة وأناخ بالزاهر وصف المدافع تجاه بئر طوى فخرج الشريف أحمد بمن معه من العسكر والرجال ولم يتجاوز المصانع التى فى الريع وهو للقضاء والقدر مسلم ومطيع وظهر له انه لافائدة فى اللقاء والحرب فاودع السيد حامد بن حسين أخا الشريف عبد الله بن حسين اشرافه واطرافه تابعا فى ذلك اسلافه وطلب منه الامان وأخلى لهم الديار وبان فدخل مكة ثم توجه الى المعابدة ثم الى الطائف

*(ذكر ولاية الشريف عبد الله بن حسين البركاتى سنة ١١٨٤)*

وفى يوم الجمعة ثمانية عشر من ربيع الاول دخل أبو الذهب الى مكة وملأت جنوده كل ناحية وسكة ونزل بدار الملك والسيادة المسماة بدار السعادة وكانت مدة الشريف أحمد بن سعيد خمسين يوما وجلس فى هذا اليوم على كرسى الشرافة مولانا الشريف عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن أبى نمى وحسين والد عبد الله بن حسين ينسب اليه السادة الاشراف من ذوى بركات المشهورون الآن بذوى حسين وقد بارك الله فى أولاده حتى صار منهم العدد الكثير فانهم يفوقون على بقية افخاذ ذوى بركات مع أن المدة الآن بيننا وبين جدهم حسين المذكور نحو مائة سنة ولما تولى سيدنا الشريف عبد الله بن حسين سكن بدار آبائه الكرام المسماة بدار الهناء ونودى فى البلاد باسمه والبس أرباب المناصب وأجرى كل ما كان معتادا وامتدحه الشعراء ومات فى أيامه السيد أحمد بن السيد على طيبة أحد أعيان تجار جدة وكان صاحب أموال وعقار ومراكب عدة فجاء بيت المال عثمان البوشى بنقد جزيل وقال له قد مات أحد أعيان التجار وأخذنا من ماله هذا المقدار فزجره عن أخذ شئ من أمواله وقال كيف تأخذها مع وجود أهله وأطفاله أما سمعت قول رب العزة ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا

بذولا حافظا لبلاد الصعيد بغير ذنب أتاه * ثم توجه الى الهند وصلب صاحب عدن فى طريقه مع أنه فتح له باب عدن وزين الاسواق لوصول العسكر المنصور السلطانى فبمجرد وصوله اليه صلبه على صارى السفينة وجعل صنجقا فى عدن وتوجه الى الهند وعاد منها الى اليمن من غير أن ينال كفار الفرنج منه ضرر * وكان الامير أحمد صاحب زبيد اذ ذاك من جملة اللوند الذين استولوا على تلك الديار فأعطاه الامان وطلبه عنده وقتله وولى بعده أميرا ممن كان معه وعاد الى مصر ثم الى الباب العالى وأسفرت سفرته على أخذ زبيد وعدن وكان ظالما غاشما كثير سفك الدماء لايعتمد له على عهد ولا يوثق له بأمان لم يعهد منه شجاعة ولا اقدام وانما يفتك بمن يقع فى يده

مأسورا مغلولا ودعاه المرحوم السلطان سليمان لخدمة والده السلطان سليم لصدقه فى الخدمة فولاه الوزارة العظمى عوضا عن لطفى باشا لما عزله واستمر وزيرا أعظم مدة يسيرة الى أن عزله {وولى مكانه الوزارة العظمى رستم باشا} فى سنة احدى وخمسين وتسعمائة وكان السلطان قد زوجه كريمته صاحبة الخيرات خانم سلطان بنت السلطان سليم خان فلاء عين الوزارة وزين صدر الصدارة وهو من جنس الارنؤط من مماليك السلطان سليم خان رحمه الله تعالى وكان ذكيا لمعيا حاذقا فطنا ذكيا ذا بال وسيع وفكر دقيق بديع جيد الحافظة حسن القريحة ثاقب الرأى حليما صبورا رزينا وقورا كامل العقل كثير الادب اجتمع فيه من صفات الكمال مالم يجتمع فى غيره من الرجال ولم تكن فيه خصلة تشينه غير افراط حب الدنيا والميل الشديد الى

جمعها بكرة وعشيا وتلك خصلة عمت أكثر الطباع والشيم وغلبت على أكثر أعالي الهمم ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب واستمر في الوزارة العظمى الى أن قتل المرحوم السلطان مصطفى وكان ذلك مما يقال بتأسيسه وتحيله وتدسيسه حتى ان بعض الظرفاء جعل تاريخ ذلك مازعم انه ألهم به وهو (مكر رستم) وتوهم من العسكر الاقدام عليه بالقتل فعزله السلطان صونا له وخوفا عليه من العسكر ﴿وولي مكانه الوزارة العظمى أحمد باشا﴾ الذي كان وزيرا ثانيا وكانت وزارته تحلة القسم ونقلة لما أضمره السلطان في خاطره الاشم الى أن قدر الله ماقدره في الازل ودنا منه وقت حلول الاجل فعند بروزه من عرض الامور عليه وانصرافه من بين يديه (٣٠٤) أمر بقتله عند الباب الداخل من السرايا فقتل هنالك وأخرج ملفوفا في بساط وتفرقت عنه الاتباع والاسباط ومضى الى الله الكريم وقدم على الغفور الرحيم ﴿وأعيد عوضه رستم باشا﴾ واستمر وزيرا كبيرا معتبرا اعتبارا كثيرا يعمل بآرائه وينفرد بانفاذ الامر وامضائه لا يعارضه أحد من الاركان بل يطيعونه ويذعنون له غاية الاذعان وصار لا يتصرف قضاة العسكر والدفتردارية والبكلاربكية وسائر الحكام والنظار في منصب جليل أو حقير صغير أو كبير الا بأمره واشارته وارادته بحيث لم يعهد لوزير قبله أحاط بالامور كاحاطته وحفظ جزئيات المناصب وكلياتها وتيقظ كحفظه ويقظته وكان لا يخلو من الصدقات والاحسان والميل الى العلماء والصلحاء واستمر على عظمته وجلالته لم يختل منها شيء الا في فتنة السلطان بايزيد ولكل شيء حد محدود وأمد من المقدور ممدود فان السلطان فارسل اتهمه بالميل مع بايزيد ونزلت بسبب ذلك مرتبته عنده بالبون البعيد ولكنها كانت تهمة واهية لا أصل لها وكان خائفا من ذلك أشد الخوف ولم يشاوره السلطان في شيء من أحوال بايزيد وكان يشاور علي باشا فأدى الحال الى ما أدى ولو استشار رستم باشا وأطاعه في رأيه لم يتفاقم أمره الى ما آل اليه لحسن سياسته ودقة تدبيره والامر الى الله من قبل ومن بعد وما قدره الله فهو كائن والاقدار تدور وتحول أولي الاخطار وكم أريق في هذه الفتنة دم لا ذنب لصاحبه وكم قتلت بالتوهم نفوس مظلومة لا جرم لهم في هذه البلاد ونوائبه

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم

واستمر رستم خائفا يترقب الى أن

ثم أمره ان يعيد المال الى أهله بعد ان وبخه ولامه على فعله ومما اتفق له انه كان راكبا ذات يوم فطعنه رجل من الدراويش المساكين في فخذه الايمن بسكين وكان هذا الدرويش مجذوبا غائبا عن الوجود يعتقد الناس فيه خيرا فاراد قتله جميع الخدم فلما تحقق الشريف حاله سمح عنه عفة وكرما وعلى كل حال فقد كان مولانا الشريف عبد الله بن حسين حسن الخلق عربي الطباع وله فضل في البرية شاع لكن أبو الذهب الذي جاء بالجردة صدر منه ومن اتباعه أنواع الجور والاجحاف

*(ذكر سجن مفتي مكة وتغريمه عشرين ألف ريال)*

فمن ذلك انه سجن مفتي مكة الشيخ علي ابن المفتي عبد القادر الصديقي ولم يخلصه حتى أخذ منه عشرين ألف ريال وأخذ من التجار أموالا كثيرة بالظلم والاعتساف ونهب دار المرحوم الشريف مساعد التي كانت في سفح جياد ثم أخرج من بقي من آل زيد من مكة ووقع حريق في دار السعادة فظن بعض الناس انه بامره لكن تبين ان الامر ليس كذلك لانه كان ساكنا في تلك الدار واحترق في النار بعض مماليكه وذهب كثير من ماله حتى صاروا يخرجون ادباشه باعظم مشقة ومن الظلم الذي حصل من اتباعه انهم في مدة اقامتهم بمكة لم يسلم من أذيتهم أحد ولم يزالوا يجورون على الناس في الاسواق هذا ما كان من أمر الجردة وأما الشريف أحمد بن سعيد فانه لما طلع الطائف قصد وادي لية وجمع بعض العربان وقصد الطائف فهرب منه وكيل الشريف عبد الله بن حسين وهو أخوه السيد عبد الكريم بن حسين فدخل الشريف أحمد الطائف بلا حرب ولا قتال لست بقين من شهر ربيع الاول ونودي باسمه في البلاد فارسل الشريف عبد الله بن حسين الى الطائف السيد أحمد بن عبد الكريم ابن يعلي فأفسد على الشريف أحمد كثيرا من الرجال وأرسل للشريف عبد الله بن حسين يطلب منه جانبا من عساكر الاتراك فاتفق مع أبي الذهب على ارسال حسن بيك شبكة ومعه جملة من الغز على الخيل السوابق ومعهم نحو الثمانين من السادة الاشراف ونحو المائتين من العسكر وأمر عليهم أخاه السيد حامد بن حسين فلما بلغ الشريف أحمد هذا الخبر ولى مسرعا وفر وفي اليوم الثاني والعشرين من ربيع الثاني قصد الشريف أحمد مكة من طريق كرى وقد جمع جماعة من بني سعد وثقيف وأناخ بعرفة فخرج لقتاله الشريف عبد الله بن حسين وأبو الذهب ومن معهم من العسكر واقتتلوا معه يوما كاملا وكانت جنودهم تزيد على جنوده باضعاف مضاعفة ومع ذلك فقد ظهر عزمهم مرارا ثم صنعوا له دسيسة ومكيدة وذلك انه جاء جماعة من عسكر ينبع ونكسوا اعلامهم وقالوا نحن معك ومنك واليك فاطلعهم معه على الجبل الذي كان فيه فلما ان تمكنوا قاتلوه وأقبلت عليه جنود أبي الذهب من كل محل فطلب الامان وقد أجهده ومن معه الجوع وتحقق عند أبي الذهب ذلك

أمرضه الوهم وأنحله فصار في فراشه يتقلب الى أن وافى أجله المحتوم فمات وقدم على الله الحي القيوم وهو عليم بما تخفى الصدور وهو الرحيم الرؤف الغفور وكانت وفاته في سنة ثمان وستين وتسعمائة ودفن في تربة بقرب تربة الشيزاده السلطان محمد رحمهما الله تعالى ﴿وولي بعده الوزارة العظمى علي باشا﴾ وكان من جنس البوسنة وكان جسيما طويلا فهما فطنا نبيلا على خلاف ما يتراءى من عظيم هيكله وسمن بدنه فانها مظنة البلادة في الاكثر فاذا أخطأ فيه مقتضاه زادت الفطانة غاية كما ينقل هذه الهيئة عن الامام محمد صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه فانه كان في غاية الفطنة والذكاء يضرب به المثل في ذلك وكان علي باشا له فضيلة في الانشاء ونظر في التاريخ اجتمعت به في رحلتي الى اصطنبول في سنة  خمس وستين وتسعمائة فرأيته لطيف المحاورة حسن المفاكهة لذيذ المصاحبة ذكر لي بعض غزواته الدالة على قوة شجاعته وانه باشر قتال الكفار بنفسه وانه افتتح قلعة عظيمة اقتلعها منهم فقلت له ان لم يقيد ماذكرته بالتدوين يذهب من الخواطر ولا يعلم تفصيله بعد سنوات قليلة واذا فني من كان حاضرا في هذه الغزاة فني خبره أيضا ولم يذكره أحد بعد ذلك مطلقا وينمحي علمه من صفحات الوجود بعد قليل وذكرت له اعتناء علماء العرب بعلم التاريخ وانه من جملة كتب التاريخ اللطيفة الروضتين في أخبار الدولتين لابن أبي شامة ذكر فيها دولة السلطان نور الدين الشهيد والسلطان صلاح الدين ابن أيوب وغزواتهما مع الفرنج وافتتاح البلاد ومداومتهما على الجهاد وهو كتاب في غاية اللطف وحسن الوضع باق على صفحات الزمان معلوم عند القاصي والدان مخلد فيه ذكرهما مؤبد في اطباق أوراق الدهر أثرهما وهما في الحقيقة أميران من أمرائكم أحدهما بكاربكي مصر والثاني بكاربكي الشام فلأي معنى لا تكون أخباركم وآثاركم مداولة في الكتب مخلدة في صفحات الاعصار والحقب فأعجبه كلامي كثيرا وأمر فاضل ذلك الوقت في الانشاء العربي صاحبنا المرحوم المقدس مولانا علي جلبي الحميدي المعروف بقنالوزاده أفندي أحد أفراد الدهر علما وفضلا وواحد علماء العصر كمالا ونبلا طيب الله ثراه وجعل الفردوس الاعلى مثواه أن يكتب شيأ في ذلك فشرع وأتى بعد هنالك في شيء من هذا المعنى فائق في بابه لطافة وحسنا ثم تقلبت الليالي والايام ومنعت المواضع من حصول ذلك المرام

فارسل اليهم شيأ جزيلا من الطعام فقبله منه الشريف أحمد وأهدى اليه كحيلة من خيله الجياد فقبلها أبو الذهب ثم توجه الشريف أحمد الى الليث ورجع الشريف عبد الله بن حسين وأبو الذهب ومن معهم من الجنود والعساكر الى مكة ثم ارتحل الى مصر في عشرين من جمادى الاولى وأبقى حسن أغا شبكة وجعله واليا على جدة وأبقى عنده شيأ من العسكر فلما سمع الشريف أحمد بن سعيد بخروج أبي الذهب من مكة شمر عن ساعد الجد لاخذ الثار وجمع العربان من كل مكان وجمع له السيد ثقبة بن عبد المحسن الشنبري عربانا من ثقيف وأقبلوا على مكة ونزلوا بعرفة في الحادي عشر من جمادى الثانية وأجمع رأيهم ان يجعلوا القوم شطرين شطرا من طريق المسفلة وشطرا من أعلى مكة فخرج لقتالهم الشريف عبد الله بن حسين ومعه حسن شبكة فالتقوا مع القوم عند المنحنا فاقتتلوا أربع ساعات واقبل العربان الذين من أسفل مكة وشنوا الغارات فاسفرت هذه الملحمة عن انهزام الشريف عبد الله بن حسين وقتل من جماعته جم غفير وقتل من البادية الذين مع الشريف أحمد جانب خفيف ومنهم رابع شيخ بني ثقيف وبسبب قتل رابع المذكور انتصر الشريف أحمد لانه لما قتل رابع شق قتله على قومه فحملوا حملة رجل واحد حتى هزموا جماعة الشريف عبد الله بن حسين ثم انه طلب ذمة وتوجه الى الوادي ومعه الصنجق حسن شبكة

﴿ذكر رجوع الشريف أحمد بن سعيد لولاية مكة وخروج الشريف عبد الله بن حسين البركاتي سنة ١١٨٤﴾

ودخل مكة الشريف أحمد بن سعيد فكانت مدة الشريف عبد الله بن حسين شهرين وثلاثة وعشرين يوما ومنذ دخل الشريف أحمد أمر بحرق دار آل بركات لاعتقاده انهم الآمرون بحرق دار السعادة فنهب الناس جميع ما في دار آل بركات ونهبوا الدور التي للرجال المقربين عندهم من أرحام وأتباع ونادى المنادي في شوارع مكة باسم الشريف أحمد بن سعيد ولما توجه حسن شبكة الى الوادي توجه منه الى جدة ودخلها فارسل له الشريف أحمد يأمره بالخروج فأبى وامتنع فوجه اليه من الاشراف والبوادي والعساكر ما ينوف على أربعة آلاف ثم وصل الى مكة السيد عبد الله بن مسعود ومعه من قبائل اليمن جرود لم يلحق بهم الحرب السابق فتوجه بهم الى جدة ولحق الاولين وتحقق عندهم ان الصنجق مصمم على القتال فأغلق أبواب البلاد وترسها وأخرج المدافع الكبار على الكدوة وصارت خيله تخرج كل ليلة من البلد وتعس الى الرغامة ثم تعود صبحا الى جدة بالسلامة فوصلت السرية الى جدة بليل وأقاموا على موضع يقال له غليل وأرسلوا كتابا من الشريف أحمد الى كتخدا العسكر ليفسد من معه من العسكر في البندر وجعلوا له شيأ من المال

ثم انقضت تلك السنون وأهلها • فكأنها وكأنهم أحلام واستمر على باشا على وزارته العظمى في صدر صدارته الاجل الاسمى نافذ الامر عالي القدر صاحب الصدر الى أن نقله الدهر عن صدارته ورماه الزمان عن قوس وزارته ودعاه داعي الفناء الى حفرته فعاش سعيدا ومضى الى لحده وحيدا فريدا وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء حميدا وما صحبه مما تخوله غير ما تقدم من أعماله وقدم على الله الكريم بما كسب من أفعاله وهو أرحم الراحمين بعباده في كرمه وافضاله ﴿ثم ولي مكانه الوزارة العظمى﴾ في ذلك المقام الارفع الاسمى آصف الوزراء العظام أسعد السعداء الكرام ﴿حضرة محمد باشا﴾ أبقاه الله تعالى في صدر الصدارة على الثبات والدوام (٢٠٦) وصانه عن آفات الدهر وحرسه عن نوائب الايام وناهيك به عقلا وحزما وصرامة وعزما وأقداما وحزما ودقة وفهما وفكرا ثاقبا ورأيا صائبا وحذقا وفطانة وصدقا وأمانة وكمالا وجمالا ومهابة وإجلالا وسعادة واقبالا ونظرا في عواقب الامور واعانة لمصالح الجمهور ومحبة للعلم والعلماء واعتقادا في الصلحاء والاولياء واحسانا الى الفقراء والضعفاء وقال فيه

وما بلغت كف امرئ متناولا
من المجد الا والذي نال أطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة
وان أطنبوا الا الذي فيه أكمل

وكان على وزارته وعظمته وصدارته الى أن أظهر اليه البيضاء وكمال التدبير والمضاء بحيث تحير العقلاء في ثبات جاشه وعدم نفرته واستجاشه وضبط الجيش الاعظم وحفظ الجيش العرمرم وهم في أرض العدو في حومة القتال وقرة الحرب والصيال وشدة الجلاد عدم والجدال وقد توفي السلطان سليمان في ذلك الحال فلم يقع شيء من الاختلال وانتظمت الاحوال وأخذت قلعة سكتوار من الفزال وهي محشوة بالعدد والعدد من الفرنج الابطال والسلطان في السكرات والغمرات وكتم ذلك عن جميع خدامه ومن حوله من الاغوات وأرسل الى ولده السلطان سليم من مسافة ستين يوما وأجلسه على التخت وما وضعت الحرب أوزارها بل أضرمت المجاهدون نارها وغنمت المسلمون وخذلت النصارى بأنصارها ثم عاد العسكر وقد انتصر الاسلام وانهدم ركن الاصنام وخذل الله في هذا الحال طوائف الكفار اللئام وكان ذلك الاحتيال والترتيب بتدبير هذا الوزير الحاذق اللبيب ورأيه المنير الثاقب

---

فسعى في نقض تلك المباني وتواطأ معهم ان يهجموا من الباب اليماني فهجم جيش الشريف ومعهم وكيل السرية وملكوا جدة في غاية جمادى الآخرة بعد ان قتلوا جملة من الاتراك وأخرجوهم من البلدة ولم يبق في أيديهم غير القلعة فترسوها بناء على أنها تصونهم فاجتمعت عساكر الشريف حولها فتحقق الصنجق أن القلعة لا تصونه ولا تنفعه فخرج من الباب الصغير الذي في مؤخر القلعة وخاض بخيله في الماء وتوجه بمن معه الى رابغ وتبعه الشريف عبد الله بن حسين وشاع عند الناس أنهم يريدون تملك المدينة وبلغ الخبر أهل المدينة فتحصنوا واستعدوا واصممين على القتال ثم تبين أنهم لم يريدوا المدينة بل توجهوا الى مصر ولم يزل الشريف عبد الله بن حسين مقيما بمصر القاهرة متعجبا في حكمة الله الباهرة وكيف مضى عليه هذا كله في أقل أيام تولى الملك ثم زال عنه كأنه أضغاث أحلام ثم توجه الى أرض الروم ومكث فيها الى أن توفي رحمه الله تعالى لكن عسكر الشريف وجنوده لما دخلوا الى جدة وملكوها في هذه الواقعة نهبوا غالب دور أعيانها الكبار والحواصل التي فيها أموال التجار وتركوا البندر خرابا بعد العمار وكان في جدة من الاقوات شيء كثير فانتج هذا حصول غلاء بمكة وجدة وبقية الاطراف واشتد الكرب على المسلمين حتى ان البادية كانوا في مدة هذا الغلاء يأكلون الهرات ويشربون الدم المسفوح واستمر الامر هكذا الى آخر السنة ثم انحلت العقدة في سنة خمس وثمانين ولما وردت الحبوب ازدحم الناس على شرائها لما نالهم من الجوع في مدة الغلاء حتى انه اتفق انه أخرج الى السوق خمسمائة اردب في يوم واحد فلم يأت عليها الضحى الاول ولم يبق منها شيء حتى قال بعض الملأ ان الجن عندهم مثل ما عندنا من الغلاء وفي هذا العام كثر قطاع الطريق وتمرد كل جبار وزنديق وفي سنة خمس وثمانين منع امام اليمن جميع التجار من ارسال شيء من البن لهذه الاقطار بسبب ما أحدث من زيادة العشور فقل على الشريف المدخول فارسل السيد عبد الله بن أحمد الفعر الى اليمن لاستعطاف الامام لست بقين من شهر الصيام ورجع في شهر الحجة مخبرا ومبشرا بان الامام أطلق للتجار ارسال البن ولما وصل وجد الشريف سرورا قد جلس على كرسي الشرافة فبارك له وهنأه وكان السبب في تملك الشريف سرور كرسي الشرافة وانتزاعها من عمه الشريف أحمد بن سعيد ان الشريف أحمد في شهر شوال من سنة خمس وثمانين ومائة وألف أراد عزل الوزير يوسف قابل من وزارة جدة وتوجيهها للوزير حسين ابن ابراهيم الشامي فوجهه الى البندر المذكور ومعه السيد سليمان بن يحيى وجانبا من العسكر وأمرهم بالقبض على الوزير يوسف قابل ووضعه في الاغلال والسلاسل وكان الشريف سرور حين صدور هذا الامر من عمه حاضرا في مجلسه ولم يجعل الشريف أحمد هذا الامر مكتوما فتولد من

عدم كتمان هذه الامور كثير من الشرور فخرج الشريف سرور من المجلس وركب ناقته وتوجه الى جدة فوصل اليها قبل أن يصلوا اليها ونزل عند الوزير يوسف قابل وأخبره بالامور التي قصدوها وعولوا عليها فلما جاء المرسلون من الشريف أحمد لقبض الوزير يوسف قابل منعهم الشريف سرور وقال أنا له مجير وطال بينهم وبينه النزاع ثم حصل الاتفاق ان يتوجهوا جميعا الى مكة لملاقاة الشريف أحمد ويكون النظر اليه في أنه يبين يوسف قابل أو يكرمه فخرجوا جميعا من البلد فلما كانوا في أثناء الطريق مال الشريف سرور والوزير يوسف قابل عنهم شمالا وصمم على قتال عمه وانتزاع الامارة منه مستعينا على ذلك بأموال يوسف قابل كما وعده بذلك

والليالي من الزمان حبالى * مثقلات يلدن كل عجيب

فلما أصبح الصباح عليهما الا وهما على وادي مر فطنب الشريف سرور به خيامه وقنب وأرسل لعمه كتاب النب فأرسل اليه عمه يراوده على الصلح فلم يرض الا بالقتال فلما علم عمه عدم الرضا استهون أمره ولم يدر ما يجري به القضاء وانما استهون أمره لان الشريف سرورا كان صغير السن في ذلك الوقت كان عمره ثماني عشرة سنة ورحم الله القائل

لا تحقرن صغيرا في تقلبه * ان الذبابة تدمي مقلة الاسد

ثم ان الشريف سرورا أرسل لقبيلة عتيبة وواعدها على موضع يقال له السيل وسار من الوادي جنح ليل واجتمع عليه بعض الاشراف وجماعة من عبيد أبيه وغيرهم من الرجال فتوجه بهم الى العابدية وجاءه بعض عتيبة الذين وعدهم بالسيل فلم يزد جميع ما اجتمع عنده على الثلثمائة فتوجه بهم الى المنحنى فخرج له عمه بمن عنده من العسكر ومعه الخيل الجياد وسمر القنا فوقعت ملحمة بين الفريقين وأسفر الامر عن انهزام عمه الشريف أحمد بن سعيد بعد قتال ساعتين ثم نهبت البادية خزانة الشريف أحمد وانفرط عقد ملكه وتبدد وزالت عنه الدنيا وولت وهذا حالها أينما حلت فنعوذ بالله من اقبالها وادبارها فطلب الشريف أحمد من ابن أخيه ذمة على حسب القواعد بين السادة الكرام وتوجه نحو نعمان واتفق انه عند انهزام الشريف أحمد ونهب البادية الخزانة ثارت نار في شيء من بارود الجبخانة فهلك من ذلك نحو خمسين من العرب

*(ذكر ولاية الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد سنة ١١٨٦)*

فدخل مكة مولانا الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن ابن أبي نمي وكان دخوله يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة ست وثمانين ومائة وألف ونودي باسمه في شوارع مكة وأمنت البلاد والعباد

المصيب وتداركه لما يجب تداركه بالقلب الرحيب وكل ذلك بالالهام والامداد من الله القريب الرقيب مع كثرة احسانه وتواتر انعامه وتأنس ألطافه واسعافه واكرامه سيما أهل الحرمين الشريفين من اجراء عيون وحفر آبار وابنية للفقراء وغير ذلك من المآثر الجليلة والخيرات الوافرة الجزيلة التي يحتمل أن تفرد بالتأليف وتورد في تصنيف جليل لطيف وله مآثر في أكثر بلاد الاسلام وقد أجرى عين الزرقاء بالمدينة الشريفة بعد ضعفها وأضاف اليها آبارا منها بئر أريس وهي بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون الياء المثناة التحتية واهمال آخره معروفة بقباء من أعذب آبار المدينة ذكر المجد الفيروزابادي ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها ووقع فيها خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يد سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو جالس على حافة البئر فأنزل فيها رجالا ليخرجوه فلم يظفروا به وركب عليها اثني عشر ناضحا ينزحونها فغلبهم الماء ولم يوجد الخاتم وكان أول الفتن الى أن أدت الى شهادته واختلاف الناس على سيدنا علي رضي الله عنه وتسند هذه الفتن الى ذهاب خاتم النبي صلى الله عليه وسلم * ثم ان في عصرنا جعل حضرة الوزير الاعظم دبلا من مائها الى مصب عين الزرقاء وصرف على ذلك أموالا عظيمة فقويت العين وأضاف اليها مياه آبار أخر حلوة قوي بها جريان عين الزرقاء الى أن أجرى دبلا منها الى باب الرحمة وجعل فيه موضعا يتوضأ فيه الناس لدخول المسجد الشريف وأجرى دبلا منها الى حمام عظيم مكلف بناه في المدينة الشريفة انتفع به أهل المدينة والوراد ودعوا له بالخير وصار ثوابا جاريا * ومن خيراته أنه أوسع بئر ذي الحليفة ويقال لها بئر علي رضي الله عنه وهو ميقات أهل المدينة وأهل الشام للاحرام لدخول مكة فحفرها ونزل في الارض الى أن جعل وجه الماء عشرا في عشر لئلا ينجس بوقوع النجاسة فيها وجعل أحد جوانبها الاربع درجا ينزل من أعلاه الى أسفله حيث كان محل الماء فصار كل أحد يرد اليه بسهولة بلا تكليف ولا احتياج الى دلو وحبل ونحو ذلك وهذا خير عظيم جزيل * ومنها أنه أمر أن يبنى له بمكة المشرفة بقرب الحرم الشريف موضع يكون مأوى للفقراء صونا للمسجد الحرام عنهم وأن يبنى فيه مساطب ومباسط تصلح للمرضى فتكون دار الشفاء لهم وأن يبنى من خارجه دكاكين وبيوت تكرى وتصرف في مصالح هذا المكان وأمر ببناء حمام في وسط البلد عظيم البنيان طيب الماء والهواء وله رباط أيضا

وخيرات أخر كلها مثوبات عظمى * ووزدت صدقاته فى سنة أربع وثمانين وتسعمائة مضاعفة ففرقت فى الحرم الشريف على الفقراء والضعفاء وتضاعف الدعاء منهم لحضرته الشريفة ولنجله السعيد بلغه الله تعالى مراتب الكمال ورزقه السعادة والاقبال والله تعالى يطيل بقاه ويديم عزه وعلاه ويثبت وزارته العليا ويبقيه فى صدر الصدارة الكبرى مادامت الدنيا محفوظا بالملائكة الكرام محروسا بعين الله الحى الذى لا ينام مصونا من نوائب الليالى والايام بجاه سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام وهذا دعاء شامل النفع للورى * فيارب قابل بالقبول دعائى

﴿فصل فى ذكر غزوات السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان﴾

(٢٠٨)

كان السلطان المرحوم المغفور له محبا للجهاد فى سبيل الله باذلا نفسه وخزائنه لاعلاء كلمة الله يؤثر التعب فى ذلك على الراحه ويحب الغزو ويرغب اليه عن الاستراحه بحيث لم ترتفع راية الاسلام على رأس أحد من السلاطين العظام أكثر جهادا ونصرة للدين وأكمل عدة وآلة لقطع دابر المشركين وأكبر ملكا وسلطانا وأكثر جيوشا وأعوانا وأقطع سيفا وسنانا وأحمى للاسلام وذويه وانكى للشرك ومنتحليه وأعدى للافرنج الملاعين وأقمع للكفرة والملحدين وأقوى نصرا للاسلام والمسلمين وأشد عضدا لاهل الايمان وأنصر لاهل السنة فى هذا الزمان من السلطان سليمان خان فكم دوخ بلاد الكفر واستباحها ودمر أرض أعداء الله بحافر فرسه واجتاحها وجاس خلال مغانيها ورباعها وافتتح صياصيها وقلاعها وأخرب معاهد الاصنام وبنى مساجد الاسلام فلو نشرت صحائف الدول لكانت دولته عن غرة تلك الدول ولو عددت فتوحات السلاطين لكانت مساعيه طراز تلك الحلل وان غزواته يجب افرادها بالتأليف لتبقى فى صفحات الدهر ذكره الشريف وأما هذا التصنيف اللطيف فلا يسع منها الا الطفيف فنذكرها اجمالا فى هذه العجاله ونعدد أسماءها فى غصون هذه الرساله فان فسح الله فى الاجل وساعد العمر على ذلك الأمل حررنا لآل عثمان تأليفا جليلا وكتابا حافلا طويلا ليستفيد منه علماء العرب والعجم مالا يجدونه فى كتب تواريخ الامم ان شاء الله تعالى ﴿فنقول أول غزواته﴾ عند ماولى السلطنة غزوة انكروس برز اليها من القسطنطينية العظمى لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع

*(الواقعة الثانية بين الشريف سرور وعمه الشريف أحمد بن سعيد)*

ولما تم له عشرون يوما من ولايته أقبل عليه عمه فى غاية من القوة فخرج لقتاله بما لديه من خيل وعسكر وخدم ووقع القتال بينهما عند بركة السلم فانهزم الشريف أحمد وتفرق جيشه وتبدد فأخذ ذمة عشرة أيام ورجع الى موضعه الاول وأقام وهذه الواقعة الثانية من الوقائع التى كانت بينهما وكانت فى رابع ذى الحجة سنة ست وثمانين ومائة وألف ولما كان اليوم الثامن من ذى الحجة أراد الشريف سرور الصعود الى عرفة فامتنع جميع العسكر من الصعود معه يزعمون ان لهم عند عمه سبع جوامك ويقولون له ان أسلمتنا اياها توجهنا معك فالتزم لهم بها على أن يعطيهم نصفها والنصف الآخر عندما ترجع الحجوج وتعودوا أعطاهم رهونا ثمينة فامتنعوا من ذلك تعصبا وعنادا فتركهم وصعد بعبيده وعبيد أبيه ونزر من عشيرته وذويه ومعه ركب أهل المدينة وحج بالناس وكانت حجة أمن وسرور ولما نزل الناس من الحج اجتمع كثير من السادة الاشراف وقصدوا مصطفى باشا أمير الحاج الشامى وطلبوا منه ان يعزل الشريف سرورا ويعيد عمه كما كان فامتنع وقال لا يمكن هذا الا بفرمان من السلطان ثم بعد سفر الحج أرسلت العساكر التى امتنعت من الصعود الى الحج مع الشريف سرور الى الشريف أحمد وطلبت منه ان يصل اليهم ويقومون بحمايته وارجاعه الى كرسى الشرافة فدخل البلد متخفيا وتوارى فى بيته ولم يشعر به أحد فلما كان يوم الجمعة الخامس والعشرون من ذى الحجة قبل الصلاة والشريف سرور غافل لم يعلم بشئ مما صنعوه لم يفطن الا والرصاص من بيوت العسكر ومن جبل أبى قبيس ينصب كالمطر فسأل عن ذلك فاخبروه بأن عمه قد وصل الى داره والعسكر قائمون معه لاخذ ثاره فاستلحق من بقى عنده من القبائل الذين عرضوا عليه فى أيام الثمان وشمر عن ساعد الجد ثم خرج عبد والده مثقال أغا وطلب من ابراهيم بيك أمير الحج المصرى ان يمده بالعساكر فأرسل معه جريدة من الخيل والرجال لكن ليس للخيل فى ميدان الرصاص من خلف الجدار مجال واستمر الحرب بقية اليوم والليلة

*(الواقعة الثالثة)*

وفى صبيحة يوم السبت دق بابه زير الحرب واشتد القتال والضرب وعاد ثانيا مثقال أغا الى الصنجق لطلب الرصاص والبارود فأعطاه ست صناديق من الفشك وجانبا من الرجال فحملت القوم على القوم فما ظفر جماعة الشريف أحمد بشئ مما يريدون فلما ظهرت الغلبة عليهم واشتد الحصار طلبوا الامان وأخذ الشريف أحمد ذمة وبات ليلة فى المعابدة ثم خرج وأما العسكر فأمر مولانا الشريف سرور باخراجهم من البلد وان لا يبيت فيها منهم أحد الا عسكر اليمن فانهم كفوا أيديهم

عن دفع ضررهم وعم اذاهم المسلمين فجهز السلطان سليمان خان بعسكره المنصور الى أخذ هذه الجزيرة وكان مسيره اليها ونزول مخيمه الشريف في أسكودره متوجها الى هذا الغزو لعشر بقين من رجب المرجب سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وكان وصوله الى رودس ونزوله عليها في شهر رمضان من السنة المذكورة فأحاط بها برا وبحرا وما أمكن من في البران يتقدم من حصار رودس للخندق العظيم الذي حولها مع صونه بالمدافع العظيمة من أعلى الحصار ولا أمكن من في البحر القرب منها للسلسلة الممدودة من الحديد في البحر والرمي على من يقرب بها بالمدافع الكبار فصاروا يصيبون المسلمين بالمدافع ولا تصيبهم مدافع المسلمين لمتانة عرض الحصار وعدم تأثير المدافع فيه فتأخرت عساكر البر قليلا وأمروا بسوق الرمال والتراب أمثال الجبال وتترسوا بها وصاروا يقدمونها قليلا قليلا الى أن وصل التراب الى الخندق وامتلأ به وقرب منه جدار الحصار وارتفع عليه وصار انفجار الكفار تحت المسلمين يصابون ولا يصيبون ورموا عليهم النار وأحرقوهم بنار الدنيا قبل الآخرة الى ان عجزوا ووهنوا وتحققوا أنهم مأخوذون فطلبوا من السلطان سليمان خان الامان وشرطوا ان يحملوا نساءهم وأطفالهم وأولادهم ونقودهم ويغربوا ان أرادوا فأجابهم السلطان الى ذلك بعد ان نهاه الوزراء عن أمانهم فانهم لم يبق لهم منعة ولا قوة وان الاموال التي أرادوا حملها خزينة كبيرة وان هؤلاء الكفار اذا نجوا بهذه الخزينة أمكنهم التقوي بها وجمع العسكر من النصارى والعود الى أذى المسلمين فلم يطع السلطان الى عزاهم ومنعهم وأعطاهم الامان وخرجوا بجميع أموالهم وما يعز عليهم ثم وأخذوا أولادهم ونساءهم وخرجوا الى بلاد الغرب وعمروا قلعة في مملكة اسبانيا من جزيرة الاندلس في غاية الحصار والمتانة ويقال لها مالطة وصاروا يؤذون المسلمين ويقطعون الطريق على الحجاج والسفار وهم الآن وان بعدوا عن المسلمين الان أذاهم كثير وافسادهم عظيم وقد ندم السلطان سليمان خان على اعطاء الامان لهم وأرسل اليهم عمارة عظيمة بعسكر عظيم لاخذهم آخر عمره وجعل عليهم مصطفى باشا الوزير الاسفنديارى سردارا فوقع بينه وبين القابودان فتنة أدت الى انكسار المسلمين وكان في ضمير المرحوم تدارك هذا الامر وارسال عسكر آخر لاخذ مالطة وقهرها فما أمهله العمر رحمه الله تعالى. وكان فتح رودس لست

الاموال وتوجه قاصدا مكة بمن معه من البادية فخرج لقتاله الشريف سرور وحصل بينهما قتال ساعتين ثم انهزم الشريف أحمد وسار خلفه الشريف سرور من المعابدة الى الحسينية وذلك في سابع شوال فأدركه وسلب عبيده وخيله وعساكره وتركه فمكث بالحسينية ستة أيام وأراد التوجه الى اليمن فبلغ ذلك الشريف سرور فبادره وأخذ جميع ما عنده من العبيد وما أبقى له شيئا فتوجه الشريف أحمد الى وادي مر ثم الى خليص ثم الى المدينة وهذه الوقعة السابعة وأقام بالمدينة الى ان وصل الحج فأرسل للباشا يطلب مواجهته فامتنع فمكث بالمدينة الى المحرم ثم توجه الى خليص وأقام بها وفي السابع والعشرين من ربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائة وألف نزل مولانا الشريف سرور الى جدة ومكث بها مدة وأهدت له التجار وبعد رجوعه الى مكة اجتمع كثير من السادة الاشراف وطلبوا منه معاليمهم وشددوا في الطلب فقال لهم أعطيكم ان قبلتم على دفتر الشريف مسعود فقبلوا منه ذلك وهو بالنسبة الى ما كان يعطيهم قدر الربع فأعطاهم على ذلك ولما قدم الحج أراد السيد عبد الله الفعر ملاقاة أمير الحج الشامي والاجتماع به فامتنع الباشا من ملاقاته لما علم انه مغاضب لمولانا الشريف سرور فواجه أمير الحج المصري فوعده بأنه يأتيه يوم عرفة ويصلح بينه وبين مولانا الشريف سرور فأتاه يوم عرفة فركب الصنجق وترجى عند الشريف فلم يقبل ذلك الرجا وأبى من الصلح مع المذكور وقال ان لم يرتحل لاركبن عليه وأقبضه فارتحل قبل تمام المناسك وتوجه الى لية فلما بلغ الشريف أحمد ما صار على السيد عبد الله الفعر ارتحل من خليص واستقر في المعدن وفي أواخر جمادى الآخرة من سنة تسع وثمانين جمع الشريف سرور قبائل هذيل ومن معه من الرجال وتوجه الى الطائف بقصد اخراج السيد عبد الله الفعر أو يقاتله ان لم يرتحل ودخل السيد عبد الله الفعر في حصن حصين له بالطائف ثم توسط بينهما جماعة من الاشراف وأتموا الصلح وعاد الشريف الى مكة في رجب وفي شهر شعبان غزا قبيلة من هذيل يقال لهم الضيبان فأخذ مواشيهم وحقن دماءهم حتى صاروا له كالعبيد

(الوقعة الثامنة)

وفي شهر رمضان بلغ الشريف سرورا ان السيد عبد الله الفعر نقض الصلح واجتمع بالشريف أحمد بن سعيد وجمعا قبائل وأقبلا على الطائف فاستعد لقتالهم وكيل الشريف بالطائف وجمع لهم جندا فانتكصا على أعقابهما وهذه ينبغي ان تجعل ثامنة للوقعات وان لم يحصل فيها قتال

(الوقعة التاسعة)

مضين من شهر صفر الخير سنة تسع وعشرين وتسعمائة وحصل لاهل الاسلام غاية الفرح والسرور بهذا الفتح العظيم وعمل الناس لذلك تواريخ لطيفة ألطفها ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ وفتحت أيضا عدة قلاع فى ذلك العام منها استانكوس وقلعة بودرم وقلعة أيدوس وغير ذلك من القلاع أخذت من الكفار الفجار وصارت فى ضبط العساكر السلطانية وأرسل السلطان سليمان من وزرائه فرهاد باشا مع عسكر الى على بك بن شاه وار أمير أمراء دلغادر فانه كان يظهر الطاعة ويبطن العصيان فاستدعاه الوزير عنده وأظهر أنه وصلت اليه خلع شريفة سلطانية وتشاريف فاخرة خاقانية له ولاولاده فوصل اليه على بك بن شاه وار مع أولاده الخمسة فأدخلهم فرهاد باشا الى محل خلوته وأمر بقتلهم فقطعت رؤسهم وجهزت  الى الديوان الشريف وضبطت بلاده وكفى الله تعالى شره وذهب فساده ثم عاد السلطان من سفره الى تخت ملكه الشريف اصطنبول دار الاسلام لازالت معمورة الى يوم القيام ووصل اليها فى آخر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وتسعمائة . وفى هذا العام خرج معه كاشف الشرقية الامير جانم الجركسى عن الطاعة وخرج معه كاشف البحيرة اينال بك واجتمع عليهما طائفة من الجراكسة المناحسة وجماعة من عصاة العربان الابالسة وأظهروا الطغيان فارسل اليهما بكلاربكى مصر يومئذ مصطفى باشا عسكرا فقاتلوا فقتلا وقطع رؤسهما وعلقا بباب زويلة ثم أرسلا الى الباب العالى وكانت فتنة درأ الله شرها وكفى المسلمين أمرها وذلك فى محرم سنة تسع وعشرين وتسعمائة ﴿الغزوة الثالثة عود السلطان سليمان خان الى كفار انكروس ثانيا﴾ فان ملك انكروس المسمى قرال ظهر منه الخلاف والجدال فتوجه اليه لقطع جادرته ومحو أثره وعادته السلطان المرحوم بالجيش الاعظم والخميس العرمرم وضرب أوطاقه للظفر فى حلقة لو بكار لاحدى عشرة ليلة خلت من رجب المرجب سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة . ثم رحل بالعساكر المنصورة الى أن وصل نهر طراوة وبنى عليه جسرا من السفائن وعدى بعسكره المنصور على الجسر واستمر الى أن وصل بودون وقاتل القرال الملعون لعشر بقين من ذى القعدة الحرام سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وفى ذلك الحرب الشديد انكسر قرال الكافر العنيد وانتصرت جيوش الاسلام وتمزقت عباد الصليب والاصنام وافتتحت فى هذه الغزوة عدة من القلاع المشهورة والحصون الشديدة المعمورة وصارت من

---

ثم رجعا وهجما على الطائف فى الثالث عشر من شوال وقت الفجر وكان معهما السيد عبد الله بن مسعود وكان وكيل الشريف بالمثناة فنزل وحصل بينهم وبينه قتال شديد ووجد عشرون من بنى سعد الذين كانوا مع الشريف سعد مزودا من البارود فى بيت الوكيل فأرادوا قسمته فثارت فيه نار فقتلتهم فصال الوكيل على الشريف أحمد وحمل عليه بمن معه من القوم وأخرجه ومن معه من الطائف فولوا هاربين واستقر الشريف سعد بالمعدن والسيد عبد الله الفعر فى ليا وهذه الوقعة التاسعة ثم توجه السيد عبد الله الفعر الى خليص لملاقاة أمير الحج الشامى فوجده قد زلف عنه وما أمكن مقابلته فارتفع الى الحرة فبلغ خبره الشريف سرورا فأرسل سرية من الخيل والركاب ووكل عليها السيد ناصر بن مستور ومن آل بركات وأمره بقبض السيد عبد الله الفعر أينما حل فأدركته الخيل فى طرف الحرة فقبضوا عليه ومعه السيد بركات بن جود الله فأمر الشريف سرور بحبسهما فى القنفذة ثم أمر باطلاق السيد بركات بن جود الله وبقى السيد عبد الله الفعر مسجونا هناك ستة أشهر ثم أرسل الشريف سرور بطلبه فلما كان فى أثناء الطريق أرسل الامير فرحان من اللحية سفينة وعسكرا فأطلقوا السيد عبد الله الفعر وأتوا به الى اللحية فأكرمه الامير فرحان فلما بلغ الشريف سرورا هذا الخبر أزعجه ثم أرسل لامام اليمن يقول له ان هذا الفعل يورث بيننا حقدا وضغنا فأرسل الامام للامير فرحان يأمره ان يرسل السيد عبد الله الفعر لصاحب مكة وأرسل للشريف سرور يخبره بأنه أمر باطلاقه وانه يرسل من يقبضه من الامير فرحان فأرسل عبد أبيه الوزير بشير فأخذه منه وسجنه فى القنفذة حتى مضى عليه حول ثم أمر بنقله الى ينبع فسجن فى ينبع مضيقا عليه الى ان مات وقيل انه قتل فى السجن خنقا والله أعلم

(الوقعة العاشرة)

وفى أواخر سنة تسع وثمانين أرسل مولانا الشريف سرور سرية من الركب والخيل وصبحوا بعض قبائل هذيل وفى سنة تسعين غزا بنفسه على الشيابين وصبحهم فأتوه صاغرين وفى أوائل سنة تسعين أيضا جاء الخبر لمولانا الشريف أن الشريف أحمد نزل على قبائل هذيل وجمع كثيرا منهم ونزل بهم وادى نعمان فأرسل الشريف سرور سرية أمر عليها السيد مبارك بن عجلان فلما أحس بهم الشريف أحمد ولى هاربا فتبعوه ووقع القتال بينهم وبين هذيل ثم قتل من هذيل ثلاثة وصوب خمسة فرجعت السرية وبقى الشريف أحمد عند هذيل مدة وهذه الوقعة العاشرة

(الوقعة الحادية عشرة)

ثم نزل الشريف أحمد بهم ثانيا الى نعمان فركب الشريف سرور بنفسه الى العابدية وجمع معه

مضين من شهر صفر الخير سنة تسع وعشرين وتسعمائة وحصل لاهل الاسلام غاية الفرح والسرور بهذا الفتح العظيم وعمل الناس لذلك تواريخ لطيفة ألطفها ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ وفتحت أيضا عدة قلاع فى ذلك العام منها استانكوس وقلعة بودرم وقلعة أبدوس وغير ذلك من القلاع أخذت من الكفار الفجار وصارت فى ضبط العساكر السلطانية وأرسل السلطان سليمان من وزرائه فرهاد باشا مع عسكر الى على بك بن شاه وار أميرأمراء دلغار فانه كان يظهر الطاعة و يبطن العصيان فاستدعاه الوزير عنده وأظهر أنه وصلت اليه خلع شريفة سلطانية وتشاريف فاخرة خاقانية له ولاولاده فوصل اليه على بك بن شاه وار مع أولاده الخمسة فأدخلهم فرهاد باشا الى محل خلوته وأمر بقتلهم فقطعت رؤسهم وجهزت  الى الديوان الشريف وضبطت بلاده وكفى الله تعالى شره وذهب فساده ثم عاد السلطان من سفره الى تخت ملكه الشريف اصطنبول دار الاسلام لازالت معمورة الى يوم القيام ووصل اليها فى آخر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وتسعمائة • وفى هذا العام خرج معه كاشف الشرقية الامير جانم الجركسى عن الطاعة وخرج معه كاشف البحيرة اينال بك واجتمع عليهما طائفة من الجراكسة المناحسة وجماعة من عصاة العربان الابالسة وأظهروا الطغيان فارسل اليهما بكاربكى مصر يومئذ مصطفى باشا عسكرا فقاتلوا فقتلا وقطع رؤسهما وعلقا بباب زويلة ثم أرسلا الى الباب العالى وكانت فتنة درأ الله شرها وكفى المسلمين أمرها وذلك فى محرم سنة تسع وعشرين وتسعمائة ﴿الغزوة الثالثة عود السلطان سليمان خان الى كفار انكروس ثانيا﴾ فان ملك انكروس المسمى قرال ظهر منه الخلاف والجدال فتوجه اليه لقطع جادرته ومحو أثره وعادته السلطان المرحوم بالجيش الاعظم والخميس العرمرم وضرب أوطاقه للظفر فى حلقة لو بكار لاحدى عشرة ليلة خلت من رجب المرجب سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة • ثم رحل بالعساكر المنصورة الى أن وصل نهر طراوة وبنى عليه جسرا من السفائن وعدى بعسكره المنصور على الجسر واستمر الى أن وصل بودون وقاتل القرال الملعون لعشر بقين من ذى القعدة الحرام سنة اثنتين وتسعمائة وفى ذلك الحرب الشديد انكسر قرال الكافر العنيد وانتصرت جيوش الاسلام وغرقت عباد الصليب والاصنام وافتتحت فى هذه الغزوة عدة من القلاع المشهوره والحصون الشديدة المعموره وصارت من

ثم رجعا وهجما على الطائف فى الثالث عشر من شوال وقت الفجر وكان معهما السيد عبد الله بن مسعود وكان وكيل الشريف بالمثناة فنزل وحصل بينهم و بينه قتال شديد ووجد عشرون من بنى سعد الذين كانوا مع الشريف سعد مزودا من البارود فى بيت الوكيل فأراد واقتسمته فثارت فيه نار فقتلتهم فصال الوكيل على الشريف أحمد وحمل عليه بمن معه من القوم وأخرجه ومن معه من الطائف فولوا هاربين واستقر الشريف سعيد بالمعدن والسيد عبد الله الفعر فى لياوهذه الوقعة التاسعة ثم توجه السيد عبد الله الفعر الى خليص لملاقاة أمير الحج الشامى فوجده قد زاف عنه وما أمكن مقابلته فارتفع الى الحرة فبلغ خبره الشريف سرورا فأرسل سرية من الخيل والركاب ووكل عليها السيد ناصر بن مستور ومن آل بركات وأمره بقبض السيد عبد الله الفعر أينما حل فأدركته الخيل فى طرف الحرة فقبضوا عليه ومعه السيد بركات بن جود الله فأمر الشريف سرور بحبسهما فى القنفذة ثم أمر باطلاق السيد بركات بن جود الله و بقى السيد عبد الله الفعر مسجونا هناك ستة أشهر ثم أرسل الشريف سرور يطلبه فلما كان فى أثناء الطريق أرسل الامير فرحان من اللحية سفينة وعسكرا فأطلقوا السيد عبد الله الفعر وأتوا به الى اللحية فأكرمه الامير فرحان فلما بلغ الشريف سرورا هذا الخبر أزعجه ثم أرسل لامام اليمن يقول له ان هذا الفعل يورث بيننا حقدا وضغنا فأرسل الامام للامير فرحان يأمره ان يرسل السيد عبد الله الفعر لصاحب مكة وأرسل للشريف سرور يخبره بأنه أمر باطلاقه وانه يرسل من يقبضه من الامير فرحان فأرسل عبد أبيه الوزير بشير فأخذه منه وسجنه فى القنفذة حتى مضى عليه حول ثم أمر بنقله الى ينبع فسجن فى ينبع مضيقا عليه الى ان مات وقيل انه قتل فى السجن خنقا والله أعلم

•(الوقعة العاشرة)•

وفى أواخر سنة تسع وثمانين أرسل مولانا الشريف سرور سرية من الركب والخيل وصحبوا بعض قبائل هذيل وفى سنة تسعين غزا بنفسه على الشيابين وصبحهم فأتوه صاغرين وفى أوائل سنة تسعين أيضا جاء الخبر لمولانا الشريف أن الشريف أحمد نزل على قبائل هذيل وجمع كثيرا منهم ونزل بهم وادى نعمان فأرسل الشريف سرور سرية أمر عليها السيد مبارك بن عجلان فلما أحس بهم الشريف أحمد ولى هاربا فتبعوه ووقع القتال بينهم و بين هذيل ثم قتل من هذيل ثلاثة وصوب خمسة فرجعت السرية و بقى الشريف أحمد عند هذيل مدة وهذه الوقعة العاشرة

•(الوقعة الحادية عشرة)•

ثم نزل الشريف أحمد بهم ثانيا الى نعمان فركب الشريف سرور بنفسه الى العابدية وجمع معه

جملتها القلعة أونيك وقلعة تبروان وقلعة أبلوق وقلعة راجة وقلعة برقاص وقلعة بوكاى وقلعة ولثوار وغيرها من قلاع الكفار وحصون أولئك الفجار وأعظمها قلاعة بودون محل تخت انكروس الملعون فانها قلعة راسخة البناء عالية الفضاء سامية الى عنان السماء تناطح الثريا وتسامى السها وتطاول الجوزاء فى غاية الثبات والاتقان واستحكام الوضع والبنيان وهو تخت سلاطين انكروس ومقر سلطنة ملكهم المنحوس وعندما أحاط بها حضرة السلطان وجنود أهل الايمان علم من كان فيها من جنود الشيطان فخرجوا منها وهربوا وطلبت الرعايا الامان فأمنهم حضرة السلطان وضبط البلاد وجعل فيها عساكر تحفظها من أهل العدوان وغنم كثيرا (٢١٣) من الاموال والانفس والارواح وقتل أعداء الاسلام وسفك دمهم المطلول المباح وعاد الى مقر سلطنته ودار مملكته سعيدا مظفرا منصورا حميدا فوصل الى سرير السعادة وتخت الملك والسيادة فى أواخر شهر ذى القعدة الحرام سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة

(الغزوة الرابعة غزوة بيج)

اجتمعت كفار المان وعمة قرال وقردنوس وأغاروا على قلعة بدوس وأخذوها من المسلمين على غرة فتوجه السلطان الى دفعهم وقلعهم وقمعهم وبرز من اصطنبول الى حلقة لو بكار لليلتين مضتا من رمضان سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر راحلا الى أن وصلت الى المخيم العالى امرأة من ملوك أنكروس اسمها أردل مانوا وداست البساط الشريف السلطانى والتزمت باداء خراج بلاد انكروس كل عام فقوبلت من الحضرة السلطانية بالقبول وخلع عليها الخلع الفاخرة وكتب لها الاحكام الشريفة بالامان وعادت الى بلادها فى أواسط ذى القعدة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر الوطاق الشريف السلطانى الى أن وصل العسكر المنصور الخاقانى الى قلعة بودون وأحاطوا بها احاطة الاطوق بالاعناق وبياض العين بسواد الاحداق فى أواسط ذى الحجة من السنة المذكورة الى أن فتح الله بدون وسائر البلاد وخذل أهل الكفر والعناد وولوا هاربين بين مأسورين ومقتولين بعد الحرب الشديد لاربع مضين من محرم الحرام سنة ست وثلاثين وتسعمائة * ثم فتحت قلعة بتاق حصارى ثم توجه العسكر المنصور الى قلعة بيج وهى محل تخت عمه القرال الخائب الآمال وأحاط بها مخيم سرادقات الفتح والنصر القريب بالعسكر المنصور المظفر من عند الله القريب

كثيرا من الاشراف والقبائل وأقام بها أياما وتفرقت قبائل الشريف أحمد ورجع الى جبال هذيل وهذه الحادية عشرة من الوقائع وان لم يقع فيها قتال

*(الوقعة الثانية عشرة)*

وفى أول ربيع الثانى من سنة احدى وتسعين ومائة وألف خرج السيد لباس بن عبد المعين الجودى أخو السيد عبد الكريم ومعه جماعة من ذوى حمود وهذيل فاخذوا قافلة من طريق الطائف وفى شهر جمادى أخذوا أخرى من طريق كرى وكان الشريف سرور بالعابدية فجاءه الخبر فركب خلفهم فسار قليلا فلما راوه طرحوا ما أخذوه وصعدوا رؤس الجبال فحمله وأرجعه لاصحابه ثم لم يزل الشريف سرور يترصد السيد لباس بن عبد المعين المذكور حتى أرسل له سرية وقبضوه فى الشرفيه وحبسه فتوجه فى اطلاقه ذوو حمود فلم يقبل رجاءهم وأرسله الى ينبع ليحبس فيها فضاق من ذلك أخوه الشريف عبد الكريم فخرج مغاضبا ومعه السيد بركات ابن الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد وتوجها الى جبال هذيل فوجدوا الشريف أحمد بن سعيد قد اجتمع عنده كثير من العربان فنزلوا جميعا الى وادى نعمان وخرج الشريف سرور الى المعابدة بما لديه من العساكر والرجال وأقام بها أياما حتى تفرق قوم الشريف أحمد وهذه الوقعة الثانية عشرة وان لم يقع فيها قتال وفى ثالث شعبان من هذه السنة أعنى سنة احدى وتسعين عدا جماعة من ذوى حمود فى طريق الطائف وهم الذين كانوا مع السيد لباس فركب خلفهم مولانا الشريف بنفسه فلحقهم وقتل ثلاثة منهم ورابعهم قطعت يده برصاصة وفى ثالث رمضان بلغ مولانا الشريف سرورا ان جماعة من الاشراف الذين كانوا مع الشريف أحمد فارقوه من المعدن واقبلوا على جبال هذيل يريدون الهجوم على مكة بمن يجتمع معهم وكان معهم السيد بركات بن محمد بن عبد الله بن سعيد والسيد عبد الكريم بن عبد المعين الجودى والسيد عبد الله بن مسعود بن سعيد والسيد مسعود العواجى وابنه فلما نزلوا بوادى نعمان أرسل لهم سرية من الخيل فلما أدركتهم هربوا الى الجبال الا السيد مسعودا العواجى وابنه والسيد عبد الله بن مسعود فقبضوا عليهم فحبسهم مدة ثم أطلقهم فسافر العواجى الى مصر وأما السيد بركات والسيد عبد الكريم فتوجها الى اليمن ثم بعد مدة اصطلحوا مع الشريف ورجعوا الى مكة وممن كان مغاضبا الشريف سرورا السيد مبارك بن مزيبن من آل بركات وكان يقطع الطريق ويفرق ما يأخذه على من يكون معه من البوادى وتعب الشريف سرور فى أمره وكان يعطى النذور على القبض عليه وكان لا يستقر فى مكان فوضع الشريف سرور عليه الجواسيس ولم يزالوا يترصدونه حتى جاءه الخبر فى رمضان بأنه مقيم فى اطراف

الحرة

الحبيب وهرب منها غجه قزال وهو مدبر مكسور وطلب أهل القلعة الأمان وأتوا بمفاتيحها الى حضرة السلطان فأعطاهم الامان وأخذ قلعة بيج وهي من أعظم قلاع الكفار المحكمة الراسخة القرار الرفيعة المنار وذلك لليلتين بقيتا من محرم سنة ست وثلاثين وتسعمائة ولما كانت القلعة المزبورة بعيدة عن حدود ممالك الاسلام غير مأمونة من هجوم الكفار اللئام أمرت الحضرة السلطانية بهدمها فهدمت وأخربت ونهب أطراف تلك القلعة وسبيت أولاد النصارى ونساؤهم وتركت خرابا وعادت الحضرة السلطانية الى تخت الملك بالنصر والتأييد والعز المشيد والفرج الجديد فوصل الى اصطنبول في شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وتسعمائة ﴿الغزوة الخامسة غزوة المان﴾ لما وصلت الاخبار الى  الابواب السلطانية ان غجه قزال جمع طائفة من كفار المان وأراد الفساد والطغيان وتوجه السلطان سليمان خان الغازي في سبيل الله الى قتال هذا الكافر اللعين وبرز من دار الاسلام اصطنبول الى حلقة لوبكا لعشر بقين من شهر رمضان المبارك عام ثمان وثلاثين وتسعمائة وأرسل في البحر لحفظ وجه البحر من النصارى وضبط الاسافل والسواحل أمير الامراء الكرام أحمد باشا القبودان بثمانين غرابا مشحونة بالابطال أهل الصفاح والكفاح وتطير اليهم بأجنحة الرياح من غير جناح الى أوائل شعبان المكرم من السنة المذكورة وافتتح عدة قلاع من بلاد الافرنج الفجار وأرعبوا الكفار واستعجلوا بهم الى عذاب النار ووصل الخيم الشريف السلطاني مع الجيش المنصور الخاقاني الى مملكة المان وحزوا وسبوا من ذراري الكفار أولادا كالنجوم الدراري ومن البنات والنساء خرائد كالكنس الجواري ونهبوا الاموال وقتلوا الابطال وهلكوا الرجال وهرب ملوكهم وتركوا رعاياهم وصعلوكهم وبذلوا ما بقي معهم من الاموال والذخائر على بذل الامان لهم ثلاثة أعوام فأجيبوا من جانب السلطنة الشريفة الى سؤالهم وكتب لهم بذلك توقيع الامان لترفيه حالهم وعادت الحضرة الشريفة السليمانية الى دار ملكها المسعود مظفر الجنود سعيد الجدود في أواخر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وتسعمائة ﴿الغزوة السادسة سفر العجم﴾ أرسل قبل سفره الميمون الوزير الاعظم ابراهيم باشا بعسكر معظم وجيش كالبحر الغطمطم وفئة كبيرة كالخيس العرمرم لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول سنة احدى وأربعين وتسعمائة ووصل

الحرة فركب الشريف بنفسه في معقوده من خيله وركابه حتى أصبح عليه وأدركه فقتله فخشمت له المقطة وكان نزيلهم فعدوا على الشريف سرور وقاتلوه وقتلوا أربعة من عبيده وفرسين من جياد خيله ثم كر عليهم فاسترجع الفرسين وأخذ جميع مواشيهم ورجع الى مكة لثلاث بقين من رمضان وفي آخر شوال غزا الشريف على الحيلة من هذيل ويقال لهم القرح وأخذ ما وجده عندهم من المواشي والمال وتحصنوا هم برؤس الجبال وفي عشرين من ذي الحجة اجتمع صنجق الحج المصري وبدوي بن عبيد شيخ طوائف حرب في مجلس الشريف فأراد التوفيق بينهما في المعلوم المقرر فأبى بدوي بن عبيد وتهدد الصنجق وتوعده ثم علم انه أخطأ في ذلك فذهب الى أمير الحاج الشامي يطلب منه الترجي عند الشريف في العفو عما صدر منه في حق الصنجق في مجلس الشريف فأظهر الشريف انه قبل الرجاء ثم أمر بالقبض عليه وسجنه حتى مات بالجدري في السجن فتعصبت قبائل حرب عند موت شيخهم وخرجت عن طاعة الشريف فشيخ عليهم أخاه فرضوا به ظاهرا وسكتوا وفي آخر جمادى الآخرة من سنة اثنتين وتسعين جاء الخبر ان الشريف أحمد بن سعيد انتقل من المعدن الى جبال هذيل واجتمع معه خلق كثير

● (الواقعة الثالثة عشرة) ●

فخرج الشريف سرور بعسكره ورجاله الى الزاهر ثم دخل الى مكة ليفرق على العبيد البارود فلما فرقه أخذ واحد منهم جمرة ليختبر البارود فاحرقه وثار شئ كثير أحرق نحو الاربعين فاغتم الشريف لذلك ثم ان هذيلا تفرقت عن الشريف أحمد فمكث باطراف نعمان ثم انتقل الى الثنية ثم توجه الى جهة الشام فتبعه الشريف رجاء ان يدركه ففات عليه وتوجه الى المدينة فاكرمه أهلها كما هي عادتهم في اكرام من وفد عليهم تصديقا لقوله تعالى يحبون من هاجر اليهم وهذه الواقعة الثالثة عشرة وان لم يقع فيها قتال وفي هذه السنة في شعبان غزا مولانا الشريف على المقطة الذين حاربوه مع ابن مزيبن فأخذ مواشيهم ووقع بينه وبينهم قتال وبقيت رجاله وقتل له عبد وفرس وصوب خيال ثم رجع عنهم وأرسل اليهم سرية في شوال وحصل بينهم قتال ثم طلبوا الامان ودخلوا في الطاعة وفي نصف شوال نزل بالحبت جماعة من هذيل بقصد قطع الطريق فأرسل اليهم سرية فقتلوا منهم رجلين وأخذوا أبلهم فتفرقوا وفي ثامن ذي القعدة ركب عليهم بنفسه فوقع غالطا على آل خالد وقتل منهم أربعة وصوب ثلاثة وأخذ أغنامهم وقتلوا هم أغاة من أغاوات العسكر ومعه عبد فغضب لذلك جميع هذيل فبايتوه جهارا وصمموا على قطع الطرق فنهبوا قفلا فيه قاضي الطائف في نخريق الرأس وأخذوا قفلا آخر في وادي نعمان وقتلوا أربعة وصوبوا ثمانية

الى جانب وشتى بها هو ومن معه من العساكر المنصورة السليمانية والجيوش المؤيدة الخاقانية وبرز عقبه الوطاق الشريف السلطاني والخيم المكرم الخاقاني العثماني الى اسكودر آخر شهر ذي القعدة الحرام سنة احدى وأربعين وتسعمائة واستمر متوجها لنصرة السنة الشريفة السنية وقمع طوائف الرفضة البدعية الى ان وصل مخيمه الشريف العالي الى ميلاق أوجان قريب تبريز وجاء الى استقباله المعظم ابراهيم باشا بمن معه من العسكر المنصور وتوجها بجميع العساكر المنصورة الى أخذ سلطانه من مملكة العجم فلما وصل الركاب الشريف السلطاني الى قصبة أبهر هرب من طائفة القزلباش محمد خان ذو القادر ووصل الى لثم البساط الشريف العثماني فحصل له التشريف الشريف والانعام وقوبل بالتكريم والاحترام وصار من جملة عبيد الباب واستولى البرد الشديد على العسكر المنصور ونزل الثلج كأنه الجبال وهرب العدو ولم يقابل وصار يخادع ويقاتل فلزم التوجه الى بغداد لصون الرجال والابطال فلما سمع بوصول العسكر السلطاني حافظ بغداد من جانب قزلباش محمد خان هرب وترك بغداد ومن بها من الرعية فجاؤا عفاتيحها الى الوطاق السلطاني فنزل بعسكره المنصور في بغداد وأعطى الامان لاهلها واستكنوا في كنها وصارت من مضافات الممالك الشريفة العثمانية وكذلك ما حواليها من جميع البلاد والبقاع وسائر الحصون والقلاع وكذلك المشعشع والجزائر وواسط وأمرت الحضرة السلطانية بتحصين قلعة بغداد وحفظها وصونها من أهل الالحاد وزار مشهد سيدنا الامام الحسين وسيدنا الامام موسى الكاظم رضي الله عنهما ونور مرقدهما ونفع ببركتهما وبركات أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بتعميرهما وتكريم مزارهما الشريف وزار الامام الاعظم أبا حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه وبنى على قبره الشريف قبة وعمارة ومدرسة وصلب في بغداد دفترداره المرحوم المغفور له الشهيد السعيد اسكندر جلبي بتهمة الخيانة في المال السلطاني برمي أعدائه وحساده وبراءته من ذلك عند الله وعند الناس وكان كريما بذولا حسن الخلق محسنا ما خاب من قصده ولا حرم من أمله مع الفضل التام والتكريم العام رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس الاعلى وبوأه من الجنات الدرجات العلى ويتهم الوزير ابراهيم باشا برميه بما رمي به وما حال عليه الحول حتى ألحق به واجتمعا في دار الحق بين يدي الحكم العدل

## (الوقعة الرابعة عشرة)

ولما جاء وقت اقبال الحجوج جاء الخبر بأن الشريف أحمد أراد مواجهة الباشا أمير الحج الشامي فأبى فخرج من المدينة في اثره وانه يريد خلاص فجهز الشريف سرور سرية وأمر عليها السيد ناصر بن مستور وأكد عليه ان يتربص الشريف أحمد ويقبض عليه فادركته السرية على حين غفلة فحملت عليه الخيل فلما أحس بهم ركب فرسه وفر وقتل من السرية فرس وعبد فرجعت السرية وغضب الشريف على السيد ناصر بن مستور واتهمه انه قصر في القبض على الشريف أحمد وهذه الوقعة الرابعة عشر وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة أغارت هذيل على شريف من ذوي صامل ونهبوا امتاعه وضربوه ضربا أصاب منه المقاتل فمات بعد ذلك وفي السادس والعشرين أغاروا أيضا على جماعة من أهل الطائف وفيهم شريف من ذوي جازان فنهبوهم وضربوا الشريف ثم قتلوه وقتلوا معه رجلا من وقدان فانقطع بعدها الطريق وقويت شوكة هذيل

## (الوقعة الخامسة عشر)

الوقعة الخامسة عشر من الوقائع التي جرت بين الشريف سرور والشريف أحمد بن سعيد وهي آخرها انه في سنة ثلاث وتسعين في شهر جمادى الاولى بلغ الشريف سرورا ان الشريف أحمد مقيم برهاط وهو موضع بينه وبين مكة ثلاثة أيام فركب الشريف سرور بنفسه في قوة عظيمة فلم يفطن الشريف أحمد الا وقد أحاطت به الرجال من كل جانب فلم يتمكن من الفرار وقد جرت عليه الاقدار فاستسلم للقضاء فقبض عليه وعلى ولديه وتشتت عبيده وأصدقاؤه فاركبه خلف واحد وأمر بحفظه وأسرع السير ونزل به الى بندر جدة ثم أركبه في سفينة في البحر وأمر بحبسه في ينبع وحبس معه ولديه السيد راجحا والسيد الحسن وقاسوا في الحبس أنواع البلاء والمحن فانظر أيها المتأمل لهذه الدنيا وغدرها وما تفعل بالملوك مع حقارة قدرها كيف أسقته كأس الهوان وقد كان بالامس في ملك مصان وانجب لفعلها بملك مطاع كانت تعد للسماك منه يد وباع ملك ملك اقليم الحجاز وصار تحت قبضته بالحقيقة لا المجاز طال ما أمر ونهى وامتطى باخمصه هام السها فصيرته في السلاسل والاغلال وأذلته غاية الاذلال ان في ذلك عبرة لمن اعتبر وتبصرة لمن استبصر وهي الدنيا الدنية وأمورها كالاحلام المقضية لقد صدق الحريري فيما قال في قصيدته التي هذا أولها

يا طالب الدنيا الدنية انها ● شرك الردى وقرارة الاكدار
دار اذا ما أضحكت في يومها ● أبكت غدا تبا لها من دار

وهي

اللطيف الخبير • ثم توجه الركاب الشريف السلطاني بعد مضي شدة الشتاء لليلتين مضتا من شهر رمضان المبارك الى ناحية تبريز لانه بلغه ان الشاه شتى فى تبريز وانه مقيم بها قاصده للقتال ومحو آثره من صحائف الايام والليال فلما وصل الى منزل صاروقامش وصل من الشاه ومن باج لوخان ايلجيا يطلب الصلح فلم يقابل بالقبول وتوجه الى تبريز فخرج الشاه وطائفة القزلباش من تبريز الى الاطراف والجهات وتركوا شهر تبريز خالية خاوية على عروشها وتبعهم العسكر المنصور فما ظفروا بهم وصار الشاه ينتقل من مكان الى مكان وتكررت رسله الى الابواب العالية يطرق باب الصلح وتحقق حضرة السلطان الاعظم ان الصلح خير فقبل الصلح وكتبت الاجوبة بقبول ماطلبه وانطوى بساط الحرب وتوجه  المخيم الشريف السلطاني الى العود من بلاد العجم وغنم السلطان فى تلك السفرة أخذ البلاد وفتح عراق العرب والطف تاريخ قيل فيه ﴿فتحنا العراق﴾ وكان وصول الركاب الشريف السلطاني مع العسكر المظفر العثماني الى محل التخت الشريف السلطاني مع النصر والتأييد الرباني والفتح العظيم السبحاني لاربع عشرة ليلة مضت من شهر رجب سنة احدى وأربعين وتسعمائة ﴿الغزوة السابعة غزوة ألونية المعروفة بكورفس﴾ وهى بلاد الكفار الفجار من أتباع اسبانيا الغدار توجه اليها فى البر ركابه الشريف العالى وأرسل فى البحر لطفى باشا والقابودان خير الدين باشا بنحو خمسمائة غراب مشحونة بعساكر البحر الى ان نزل بجيشه المنصور على أولونية فى سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة فاستباحها قتلا وأسرا ونهبا وافتتحت فى جزائر ذلك البحر أربعة وثلاثون حصنا حصينا هدمت الى الاساس وقتل من فيها من الناس وغنمت جيوش المسلمين من طائفة الكفار المشركين مالا يحصى من الاموال والسبايا وعاد السلطان مع سائر عساكره المجهزة برا وبحرا الى تخت الملك الشريف سالمين غانمين والحمد لله رب العالمين ﴿الغزوة الثامنة غزوة قرا بغدان﴾ توجه بنفسه النفيسة لافتتاح تلك البلدان وبرز بعسكره الجرار لقتل الكفار الفجار بالسيف والنار ووصل ركابه الشريف الى تلك البلاد وقتل فيها وفتك وأسال الدماء وسفك وافتتح القلاع وأخذ الرقاع والبقاع وغنم أموالا ومغانم كثيرة وأسر نفوسا عديدة غير محصورة وعاد الى تخت ملكه الشريف مؤيدا من عند الله تعالى بالنصر والتأييد والفتح

وهى طويلة ذكرها فى المقامات فسبحان المعز المذل الذى لا يزول ولا يحول يفعل مايشاء ولا يسئل عما يفعل

•(ذكر وفاة الشريف أحمد بن سعيد سنة ١١٩٥)•

فمكث الشريف أحمد محبوسا فى ينبع مدة ثم نقله الى حبس جدة ومازال محبوسا الى ان توفى فى عشرين من شهر ربيع الثانى سنة خمس وتسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى وكان أحد ولديه مات فى السجن وأطلق الآخر وبعد ان قبض الشريف سرور على الشريف أحمد بن سعيد تتبع كثيرا من العتاة وقطاع الطريق وعاقبهم بأشد العقوبات وصار يتجسس بالليل والنهار على السراق والمفسدين وكان يعس فى الليل بنفسه ومعه بعض العبيد من بعد صلاة العشاء الى الصبح يفعل هذا كل ليلة فحصل منه ارهاب لكل جبار عنيد وأنف من أفعاله الذين كانوا يعتدون واشمأزت نفوسهم من منعهم مما يألفون

•(ذكر الجماعة الذين أرادوا قتل الشريف سرور)•

فاتفق جماعة على انهم يترقبون الفرصة لقتله واعتقدوا أنهم يتمكنون من ذلك فى الليل حين يخرج يعس وليس معه الا قليل من الخدم بان يحلوا له فى بعض الازقة والطرق وكان مع هؤلاء الذين اتفقوا على قتله السيد عبد المجيد بن سعيد بن على فنم عليهم وجاء للشريف سرور وأخبره وقال له انه اتفق على قتلك سبعة من ذوى زيد ومعهم ماينوف على الخمسين من ناس ملفقين وزعموا أنهم يقتلونك فى ليلة حالكة الجلباب ويلى مكانك السيد باب وان سالم بن على ابن عبد الله هو الوزير وقد فرقوا المناصب على الكبير والصغير وان السيد مسعود العواجى هو الذى يتقدمهم بالقتل ويناجيك قبل فلم يصدقه فى الحديث الذى رواه فأعاقه عن الخروج فى ذلك اليوم ولم يزل عنده حتى أزهرت النجوم فأرسل من يكشف له الخبر فعاد الرسول وأخبر بانه وجد المذكورين فى الازقة والاسواق حاملين السلاح فثبت عنده صحة الخبر وبادر فى امساكهم من غير امهال فامسكوا بعضا منهم وهرب البعض فممن امسكوا السيد مسعود العواجى وابنه السيد مساعد والسيد محمد عمار ابن الشريف عبد الله بن سعيد وسالم بن على ومحمد بن جابر المخرج ونحو العشرين من العبيد فحبسهم نحو شهر ثم أخرجهم وقررهم فاعترفوا بما اتفقوا عليه فأمر بقطع أربعة من العبيد وقطع يد السيد مسعود وأمر على سالم بن على أن يصاب على عود وأرسل الباقين الى جدة ثم سفرهم الى الهند مع المراكب الهندية وأما البعض الذى هرب ففيهم السيد باب وأولاد عبد الله بن مسعود فأقاموا ببدر ثم سافروا مع الحج فمنهم من مات بمصر ومنهم من مات بالروم

الجديد فوصل الى دار الاسلام القسطنطينية الكبرى لست ليال بقين من ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وتسعمائة ﴿الغزوة التاسعة غزوة أسطوبور من بلاد انكروس﴾ وذلك ان السلطان رحمه الله كان أنعم على ازدلبالو بتلك البلاد و بلغه انها توفيت وان نجمه قزال ومن معه من الكفار والفجار أرادوا الاستيلاء على بلادها بعد موتها فتوجه السلطان رحمه الله الى دفع أولئك الفجار سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وصمم على قتال نجمه قزال لانه أراد أخذ بودون وسوست له نفسه ما يتخيله المفسدون فلما أحس بوصول العسكر المنصور السلطاني فرهاربا الى الجبال وتقهقر عن القتال فتبعه الابطال ففر منهم فى أطراف تلك الجبال فجالت العساكر المنصورة (٢١٦) السلطانية فى تلك البلاد وقتلوا أهل البغي والعدوان والفساد وفتكوا بجيوش الكفر والطغيان وسبوا الاولاد والاطفال والنسوان وتركوا ديار الكفر قاعا صفصفا وغنموا مغانم كثيرة وذخائر تختار وتصطفى وفتحت قلعة اسطوبور بقرب بودون بعد الحرب الشديد وأضيفت الى الممالك السلطانية وضبطت وحفظت • وفتحت أيضا قلعة وشرة وقتل من الكفار مالا يعد ولا يحصى وعادت الحضرة السلطانية بمن فى ركابها الشريف من العساكر المنصورة العثمانية الى مقر تختها الشريف منصورين مؤيدين لتأييدهم الدين الحنيف ﴿الغزوة العاشرة غزوة بيچ واسترغون﴾ توجه الركاب الشريف السلطاني والخيم المنصور السليماني الى افتتاح عدة قلاع فى بلاد بيچ لتنظيف أطراف البلاد من طوائف الكفار أهل العناد من قطع دابر أولئك الفجار بالغزو والجهاد فى سنة خمسين وتسعمائة و برز من دار الملك اصطبول بالجيش المتواتر الموصول والجند الاعظم المهول الى ان أحاط بقلعة ويوه وقلعة شقلاوش وهما من أحكم القلاع السامية وأعظم الحصون المرتفعة العالية تناطح النطح وتسامك السماك وتوازن الميزان فافتتحتا فى غرة ربيع الاول من ذلك العام وصارت من مضافات ممالك الاسلام • ثم فتحت قلعة استرغون وهى قلعة فى غاية الاتقان والاستحكام أشد فى احكام البنيان من الاهرام كان قنديل رأسها نجوم الثريا وحارس بابها الكوكب العواء ونطاق منطقها وشاح الجوزاء مشحونة بالاموال والذخائر مملوءة بالعدد والعدد الوافر ألقى الله تعالى فى قلوب أهلها رعب عساكر الاسلام وخذلهم الله تعالى

وفى شوال سنة ثلاث وتسعين غزا الشريف الشيابين وأخذ ابلهم ومواشيهم ثم ركب على هذيل فحذرتهم العيون والجواسيس فأخذوا حذرهم وكمنوا له فى الشعاب والهضاب فلما أقبل عليهم بادروه بالقتال ومكث الحرب ساعتين فرجع ولم يبلغ منهم المأمول ثم ركب على الشيابين مرة أخرى فانذروا وولوا مدبرين فعاد ومكث سبعة أيام ثم ركب على الشلاوي باطراف الفرق فأخذ خيله وركابه وصبحهم فى اليوم الثالث واستدام الحرب بينهم نهاره بما طال ثم ولوا مدبرين وتركوا الحلال والمال فأخذه فمن ذلك سبعة آلاف من الغنم ومائة وثمانون من حمر النعم سوى الادباش والسلاح وفى موسم ثلاث وتسعين أرسل مولاى محمد سلطان الغرب ابنته ليزوجها للشريف سرور وأرسل معها أخويها وأموالا عظيمة أهداها للشريف وصدقة للاشراف والسادة وأهل مكة فتزوج بنت سلطان الغرب بعد ان دعا للعقد جملة من السادة الاشراف والمفاتى والعلماء وباشر العقد له مولانا الشيخ المفتى عبد الملك القلعي وفى هذه السنة حصلت منافرة بين مولانا الشريف ومراد بيك صنجق الحج المصري بعد تمام الحج فاراد مراد بيك عزل الشريف وتولية السيد سليمان ابن يحيى وجعل كل ليلة يتردد على الصنجق وبلغ الخبر سيدنا الشريف سرورا فطرح العيون على السيد سليمان وأمر بالقبض عليه فخرج ذات ليلة متنكرا فى زى سائس فقبضوا عليه فى طريق الجون وحبسه بمكة ثم أرسله الى ينبع وحبسه هناك ولما بلغ الصنجق القبض عليه اشتد غضبه وأراد القتال فاستعد لذلك مولانا الشريف ثم ان الصنجق ثنى عزمه عن القتال وارتحل وتعرضه فى الطريق جماعة من حرب وكان معه جملة من شيوخهم رهائن فجوزهم بعد ما مر من تلك الجهات ولم يعطهم فى ذلك العام شيأ من المعاليم التى لهم

•(ذكر زيارة الشريف سرور سنة ١١٩٤)•

وفى سنة أربع وتسعين عزم مولانا الشريف على زيارة النبى صلى الله عليه وسلم بأهله فتجهز وخرج من مكة فى أحسن نظام كان معه من الجمال ثلاثة آلاف وخمسمائة ومن العربان خمسة آلاف ومن مراجله ألفان وخمسمائة من السادة الاشراف ومن الخيل مائتان وخمسون وصرف على هذا الجند مبالغ جزيلة من المال وتوجه من مكة ليلة الاربعاء فى اليوم الحادى عشر من جمادى الاولى من العام المذكور ولما وصل الى بدر تلقاه أهله برحب الصدر وعرضوا عليه وقدموا له الهدايا ثم وسوس لهم الشيطان فادعوا ان لهم عوائد على الملوك اذا مرت بهم وقوانين وادعوا أنه أخذ عليهم من الصنجق معلوم ثلاث سنين فمكث يعالجهم على الصلح ثلاثة أيام فلم يقبلوا فثار الحرب بينهم من كل الجهات واستمر ثلاث ساعات فانتصر عليهم وقتل منهم أربعة عشر نفرا وفر من بقي فدخل بعض

شيوخهم

فيما منعهم ذلك المنيع وما وجدوا الاعتصام فأخذوا أخذا وبيلا وأسروا وقتلوا تقتيلا ونهبت الاموال وسبيت النساء والاولاد والاطفال وأخذوا ما حولها من البلاد والبقاع وافتتح ما يقربها من الحصون والقلاع وكذلك فتحت قلعة استوا بن بلغراد وهي قلعة سامية العماد راسخة الاوتاد لم يخلق مثلها في البلاد كأنها من بناء شداد أخذت وضبطت وعين لها ولغيرها من القلاع الحفاظ النبلاء الايقاظ ونصب لكل منها دزدارا وحصارية وقاضيا يجري الاحكام الشرعية وسنجقا للاستحفاظ وصارت من مضافات الممالك المحروسة السلطانية وصارت الكنائس مساجد للصلاة والعبادات والبيع مشاهد للخيرات والطاعات وعاد الركاب الشريف السلطاني الى سرير ملكه وتخته  الخاقاني مظفرا منصورا سالما غانما مسرورا

* الغزوة الحادية عشرة سفر القاس * وهي تحتمل تفسيرا طويلا لا تحتمله هذه العجالة فنعدل عن الاسهاب والاطالة * ومجملها ان القاس أخو الشاه لابيه وكان واليا على شروان فوقعت بينهما مشاحنة في الباطن أدت الى توجه القاس الى الابواب الشريفة السلطانية وقبل اليد الكريمة الخاقانية السليمانية فحصل له من الحضرة السلطانية اقبال عظيم ومرتبة علية وأنعم عليه بالانعامات الجليلة السنية ووعده بان ينصره على أخيه ويؤيده ويعلي كلمته ويواليه وأمر الوزراء العظام وأركان دولة الاسلام أن يقدموا له الهدايا الجزيلة والتحف الوافرة الجميلة ففعلوا ذلك وجاروه وعظموه وناصروه وكان ذلك في سنة أربع وأربعين



وتسعمائة واستمر ملتجئا الى الظل الشريف الوريف الممدود على القوي والضعيف وصار السلطان سليمان خان يصاحبه ويلاطفه ويقربه ويستدنيه ويوالفه الى أن صمم العزم الجزم وشد نطاق الصرامة والحزم وبرز بعسكره المظفر ونصب أوطاقه في اسكودار لثمان ليال مضين من شهر صفر الخير سنة خمس وخمسين وتسعمائة ومعه القاس ميرزا مكرما تكريما ومعززا تعزيزا وتوجهت الحضرة الشريفة السلطانية الى أخذ تبريز وأمر القاس ميرزا أن يشتي في بغداد الى أن يمضي زمان الشتاء فيهجم بالعسكر المنصورة في بلاد العجم فاستمر الركاب الشريف السلطاني سائرا بالعون السبحاني والنصر والفتح الرباني الى ان أخذ قلعة وان بعساكر أهل الايمان وجعل فيها بكلربكيا وعسكرا قويا فانها قفل ديار العجم وحصنها

شيوخهم بين الفريقين بالصلح وأعطاهم مولانا الشريف سرور أربعة عشر ألف قرش وأعطوه رباط فأخذ منهم أربعين رجلا رهائن ولما وصل الى الحمراء بلغه ان ولد نصار بن عطية صعد الجبل وتوارى عنه فأرسل خلفه من أتى به فوضعه هو والرهائن كلهم في الحديد وتأكدت العداوة بينهم غاية التأكيد ودخل المدينة في اليوم التاسع من رجب فخرج أهلها وقابلوه ودخل بموكب وأناخ بالمناخة وسكن هو وأهله بها ثم توجه لزيارة القبر الشريف ونثر يومها من الذهب والفضة الكثير حتى التقط من ذلك الكبير والصغير وأما رهائن حرب فشدد عليهم غاية التشديد فلما بلغ قومهم ذلك قطعوا الطريق ولما جاء الزوار من مكة على عادة زيارتهم في رجب منعوهم من الوصول فرجعوا الى مكة من غير زيارة ثم بلغ الشريف أن حربا قصدهم الوصول الى المدينة لمحاربته فاستعد لهم وطرح عليهم العيون وصارت خيله كل ليلة تخرج خارج المدينة ليقبضوا على من يجدونه منهم فوجدوا ليلة نجابا خارجا من المدينة ومعه كتب من الكواخي لقبائل حرب يحثونهم على الاقدام عليهم بصدد الحرب على انا نقاتله من داخل البلد وأنتم من الخارج فلما قرأها مولانا الشريف طلب شيخ الحرم والكواخي وقرأها عليهم فأنكروها وقالوا انها مزورة عليهم فقال لهم ان كنتم صادقين فأعطوني القلعة حتى يتضح لي الحال فامتنعوا فأعاقهم عنده وأرسل شيخ الحرم لاهل القلعة يطلبها منهم لتكون تحت يده يحصنها بمن يختاره فوجدهم قد ترسوها بالرجال وتعذروا من اعطائها لشيخ الحرم وتعذروا بانا رمينا عند سيدنا بالزور والبهتان ولا نسلمها مالم تأتنا منه بالامان

* ذكر القتال الواقع بين الشريف سرور وأهل المدينة *

فلما رجع وأخبر بالخبر أعطاهم الامان وأرسل مع شيخ الحرم من يحفظها فلم يفطنوا الا والرصاص عليهم كالمطر ففر هو ومن معه عنهم وأصابوا واحدا من العسكر فقبض مولانا الشريف على الثلاثة الكواخي وشيخ القلعة وجعلهم في الحديد فابتدروا بالرمي على بيته وقتلوا رجالا وجمالين فنقل أهله الى بيت بعيد عن القلعة ووقع القتال بينهم وبينه من ليلة المعراج الى مضي ثلاثة أيام وما تم لاحد من الفريقين مرام فصنع سلالم من الخشب الطوال وأطلع عليها عبيده في ليلة من تلك الثلاث الليالي فتنبهوا لهم فلم يملكوها ورجعوا ثم أرسل لهم باني قد سمحت عنكم فاخرجوا ولكم الامان فرضوا خديعة منهم وأخذوا مهلة ثلاثة أيام وأرادوا أن يدخلوا القلعة من لم يكن دخل منهم فكثف الرمي من الطرفين وأرسل عسكرا تترس البيوت التي حول القلعة من كل جانب وأمرهم أن يمنعوا من أراد الدخول ومن أراد الخروج يتركوه فلما علموا انه ترس البيوت التي حولهم عرفوا انه تنبه لخديعتهم فاحرقوا السلالم التي صنعها في الحال وشرعوا يرمونه بالرصاص فأمر

بآلات الحصار والهدم واستمر القاس ميرزا متوجها الى بغداد ثم توجه ببعض العساكر السلطانية الى دركزين ووصل الى همذان وتعدى الى اذربيجان ونهب تلك البلدان واستلب أوطاق أخيه ميرزا وعاد الى المخيم الشريف السلطاني والوطاق المحفوظ الخاقاني بما نهبه من الاموال وحصل له غاية الاعتبار والاقبال وغلب برد الشتاء فشتى حضرة السلطان بالمخيم الشريف السلطاني فى حلب وجهز جيشا كثيفا مع أحمد باشا لحفظ حدود البلاد وغزا طائفة الكرج واغتنم منهم غنائم وعاد الى الاوطاق الشريف السلطاني بغنائمه * وأما القاس ميرزا فنابذ بعض الوزراء وخرج من بغداد مغاضبا وأظهر النفور من جانب السلطنة الشريفة ولم يراع الايادى الجميلة السابقة واللاحقة وعزم الى أمير من أمراء الاكراد فعلم أخوه به فأرسل اليه وخادعه واستدعاه عنده ودلاه فى بئر وطم أثره ومحا ذكره فرزق الشهادة ولحق بالشهداء والى الله المصير * ولما وصل علم ذلك الى الحضرة الشريفة السلطانية تأسف على ذهابه وعزل ذلك الوزير عزلا مؤبدا وعادت العساكر المنصورة السلطانية فى ركاب الحضرة السليمانية الى دار ملكها السعيد بالنصر والتأييد والسعد الجديد والعز المشيد فى أواخر سنة خمس وخمسين وتسعمائة ﴿الغزوة الثانية عشرة سفره الى الشرق﴾ لما بلغ الحضرة الشريفة السلطانية تحرك طائفة القزلباش على بعض الحدود السلطانية من جانب الشرق بادرت الحضرة السليمانية بجيوشها المنصورة العثمانية الى أن تشتى فى مدينة حلب وبعد انقضاء الشتاء يتوجه الى أخذ قزلباش فبرز الوطاق الشريف السلطاني من دار الاسلام القسطنطينية العظمى الى اسكودار فى أوائل شهر رمضان عام ستين وتسعمائة واستمر الى أن وصل الى اركلى يقطع المراحل والمنازل فاستقر أوطاقه الشريف العالى خارج اركلى واستدعى ولده السلطان مصطفى فامتثل أمره الشريف ووصل اليه ودخل الى جركاه العالى فبارزالا فى تابوت حمل على الاعناق الى بورسا واتبع به ولده ودفن معه فى بورسا أيضا عليهما الرحمة والرضوان وروائح الروح والريحان وقع ذلك فى أواخر شوال سنة ستين وتسعمائة وقد قدمنا شرح ذلك وتوجهت الركائب الشريفة السلطانية الى بلاد حلب واستمر بها أيام الشتاء وتوفى بها السلطان جهانكير قرة عين السلطنة الشريفة وثمرة فؤادها

عسكره بقتالهم واستمر الحال يومين ثم ظهر عجزهم فربطوا حبلا وصاروا يتمسكون به ويخرجون من القلعة خفية فجاء الخبر فأمر برمى مدفع على بيت أغاة القلعة فانخرق وانهدم وأرسل خيلا تطلب الذين خرجوا من القلعة هاربين فطلب الباقون الامان فاعطاهم الامان ودخل العربان الذين كانوا معه القلعة ونهبوا ما فيها من الاثاث والنقود وكان غالب أهل المدينة وضعوا أدباشهم الثمينة فى القلعة فذهبت شذر مذر وقبض على جملة ممن كانوا سبب هذه الفتنة ووضعهم فى السلاسل والحديد ووضع وزيره فى القلعة وهو رجل من عدوان ومعه عسكر وكان جملة من قبض عليهم من أهل المدينة نحو الخمسين صحبهم معه الى مكة لما توجه وأبرز فرمانا بعزل شيخ الحرم وأمره أن يسير معه الى مكة ثم أطلق رهائن حرب وأمرهم بالانصراف وقطع علائقه

﴿ذكر رجوع الشريف سرور من طريق الشرق﴾

وتوجه من المدينة فى الحادى والعشرين من شعبان وأظهر انه يريد التوجه على طريق حرب الى ساعة السفر ثم توجه على طريق الشرق قصر الشر ولما وصل الجريه قل عليه وعلى من معه الماء وحصلت لهم شدة من العطش ثم فرج الله وجاءهم من أتاهم بالماء ولما وصل البركة توجه باهله الى الطائف ودخله سابع رمضان ومكث أياما ثم توجه الى مكة ودخلها فى السادس والعشرين من رمضان ثم ورد له خبر بأن أهل المدينة محاصرون للوزير الذى فى القلعة ومن معه من العسكر فارسل اليهم سرية نجدة لهم نحو ثمانمائة من الخيل والركاب فاتفق ان الوزير ومن معه لما اشتد عليهم الحصار طلبوا الامان وخرجوا بعد قصة طويلة فبلغ السرية عند وصولهم المدينة ان الوزير ومن معه قد خرجوا من القلعة بالامان فنزلت السرية خلف جبل أحد وأرسلوا للوزير يطلبونه للرجوع فلما بلغ أهل المدينة وصول السرية خرجوا لقتالهم ومعهم أربعمائة من حرب كانوا يقاتلون معهم الوزير فالتقى الصفان فى البساتين التى خلف البقيع فى غرة ذى القعدة ووقع بينهم حرب فظيع وقتل وصوب جماعة من كل من الفريقين ورجعت السرية من طريق الشرق كما ذهبت منه ووصلوا الى مكة فى الثانى عشر من ذى القعدة هذا حاصل ما كان فى زيارة مولانا الشريف سرور بغاية الاختصار والا فتفصيل ذلك وبسطه طويل وفى هذه السنة وقع بين جهينة والحاج المصرى قتال فانتصر عليهم وقتل منهم نحو الثمانين ولما رجع من الطريق الشرقى قعد واله فى طريق القراز فاقتتل معهم وقتل منهم أربعة وفازوا وأما الحج الشامى فانه لما وصل الى المدينة اجتمع باميره أهل المدينة وأخبروه بما صاروا اعترفوا بالذنب وسألوه أن يستعطف لهم مولانا الشريف ويطلب منه السماح وأن يطلق المرابيط الذين عنده من أهل المدينة وكان أمير الحاج الشامى فى

ذلك

لعشر ليال بقين من ذى الحجة الحرام سنة ستين وتسعمائة وجهزنا بوته الى اصطنبول فى ذى الحجة سنة ستين وتسعمائة * ولما انقضى الشتاء توجه الركاب الشريف السلطانى الى نخجوان من بلاد العجم فأخلاها الشاه وتركها خالية ومضى الى الاطراف والجوانب ولم يقاتل ولم يحارب ولم يقابل فعادت الحضرة السلطانية الى أماسية وأقام ليكر على بلاد العجم ثانيا فجاءت رسل الشاه وطرق باب الصلح فرأت الآراء الشريفة السلطانية اجابة الشاه الى سؤاله ترويحا للعسكر السلطانية وصونا للدماء الرعية فانعمت على الشاه بقبول ما يتمناه وأمرت بارسال أجوبة حسب مراده ومناه وعادت حضرتها الشريفة الى تخت ملكها الشريف ممدودا ظل سلطانها الوريف واستقرت ذاتها العالية قريرة العين بالسعادة الباهرة السنية على تخت الخلافة البهية بدار الاسلام قسطنطينية لا زالت بسيوف السلطنة العثمانية محروسة محمية آمين وذلك فى سنة احدى وستين وتسعمائة

﴿الغزوة الثالثة عشرة غزوة سكتوار وهى آخر غزواته الكبار﴾ لما كان دأب هذا السلطان الاعظم المجاهد فى سبيل الله ونصرة دين الاسلام كدأب آبائه وأسلافه العظام ولكل امرئ من دهره ما تعود وعادة الجهاد فى سبيل الله أعظم ذخرا عند الله وأعود تاقت نفسه النفيسة الى الجهاد واشتاقت الى قتال الكفار الفجار وصممت على السفر الى بج ودمشوار وكان مزاجه الشريف متوعكا باستيلاء مرض النقرس عليه ويتألم ألما شديدا ويتصبر صبر الرجال ويظهر غاية التجلد والاحتمال فنعه عن السفر رئيس الاطباء صاحبنا المرحوم الشيخ بدر الدين محمد بن محمد القوصونى المصرى وكان من أحذق الحذاق وأفضل الفضلاء فى سائر العلوم على الاطلاق أديبا أريبا كاملا لبيبا طبيبا حبيبا بينى وبينه ملاطفات ومراسلات أدبية ومطارحات تجتنى ثمار الادب الغض من رياضها وتقتطف ازهار المفاكهة من أكمام أغصان حياضها برد الله مضجعه وأنزل عليه من زلال رحمته سلسبيلا وسقاه من الجنة كأسا كان مزاجها زنجبيلا فلم يمتنع السلطان المرحوم عن السفر ولم يطع الطبيب فيما ذكر وقال له أريد أن أموت غازيا وأبذل روحى فى سبيل الله مجتهدا ساعيا فبرز بجيوشه المنصورة وجنوده وراياته المقرونة بالنصر وبنوده والظفر يقدمه والسعد يخدمه وانقض كالشهاب الثاقب والحسام القاطع

ذلك العام محمد باشا ابن العظم فلما بلغ الشريف ذلك أرسل المرابيط الى العابدية فلما وصل الباشا ترجى فى اطلاقهم فلم يقبل رجاءه فلما وصل الباشا المدينة راجعا أخبرهم بما صار فقبلوا عذره وشاع عندهم أن مولانا الشريف مقبل عليهم بجنود لا قبل لهم بها فترسوا القلعة وغلقوا الابواب واستعدوا لقتاله فلما وصل الحج المصرى أخبرهم بان ذلك غير صحيح فاطمأنوا وفى سنة خمس وتسعين فى غرة جمادى الآخرة ورد نجاب لمولانا الشريف من الدولة العلية جاء على مصر وأخبره أنه استضاف نصار بن عطية ووعده انه اذا رجع ومر عليه يصحبه معه الى مصر فارسل الشريف لوزيره فى ينبع بانه يترصد نصار بن عطية اذا رجع النجاب ويقبض عليه فترصده وأرسل له عشرين على خيل وركاب فاحاطوا بنصار ووقع بينهم وبينه قتال فانتصروا عليه وقتلوه وجاؤا برأسه لوزير ينبع وهرب ابنه وذهب الى قبائل حرب واستصرخهم فاجتمع نحو خمسة آلاف وجاؤا الى ينبع وأحاطوا بالوزير فقاتلهم ثلاثة عشر يوما وقتل من القوم نحو الخمسين ثم ركب البحر وترك لهم ينبع فملكوها فلما وصل الوزير الى جدة كان مولانا الشريف بجدة فاخبره الخبر

﴿ذكر عزم الشريف سرور على قتال حرب وكثرة تجهيزاته سنة ١١٩٥﴾

فاشتد غضب الشريف على حرب وعزم على التجهيز عليهم ومحاربتهم وأمر وزيره بجدة أن يمسك جملة من أغربة اليمن ويشحنها بالذخائر وتوجه الى مكة فى غاية رجب وكتب الى جميع القبائل يطلبهم من كل مكان وواعدهم ان يصلوا اليه فى رمضان ثم توجه الى الطائف لجمع القبائل أيضا فحضر عنده كثير من الشيوخ فاعطاهم الدراهم وألبسهم الجوخ ثم رجع الى مكة وأراد التوجه فى رمضان وتأخر بعض القبائل فأخر السفر الى شوال وأطلق خمسة وعشرين من أهل المدينة المسجونين وأبقى الباقين وصرف للقبائل شيأ كثيرا من المال أعطى كل رجل اثنى عشر محبوبا وللخيال عشرين محبوبا واستعد بشئ كثير من الذخائر والرصاص والبارود وأمر وزيره بجدة ان يشحن الاغربة والسواعى والداوات بانواع الذخائر ويرسلها الى ينبع مع شئ من العسكر ليخرجوا من فيها ويملكوها فلما وصلوا قريبا من ينبع خرج لهم جهينة فى داواتهم مستعدين للقتال فانهزمت الاغربة وعادت الى جدة وفى الرابع والعشرين من شوال توجه مولانا الشريف سرور من مكة بمن معه من الجنود وكان معه من عتيبة ستة آلاف وسبعمائة من السادة الاشراف ومن ثقيف وهذيل ثلاثة آلاف ومن مراحلة نحو الالفين فكان جيشه كله يبلغ اثنى عشر ألفا ومعه من الخيول الطوالع خمسمائة ومائة وخمسون من أرباب الصنائع من المعلمين والنجارين وعبيد العين وغيرهم ومعه من الجمال التى تحمل الذخائر نحو سبعة آلاف فلما وصل الى خليص وأراد التوجه منه

القاضب حتى طرق الكفار كالاحلام الطوارق وخفقت أعلامه كالرياح الخوافق واختطف أبصارهم بوارق الاسياف والصواعق * وكان بروزه من القسطنطينية المحمية في يوم الاثنين المبارك لتسع مضين من شوال المقرون بالظفر والسعادة والاقبال سنة أربع وسبعين وتسعمائة واستمر يموج بجيوشه كالبحر المواج ويفيض احسانه على فقير محتاج كالغيث الثجاج وهو يقطع المراحل والمنازل ويسلك فجاج المسالك والمناهل الى قطع الانهار الغزار والمياه العظيمة الكبار بجسور محكمة بنيت عليها وسفائن كالاطواد غرقت فيها لتدغم الجسور اليها الى أن أمكن تعديه ذلك بالخميس العرمرم ومرور ذلك الجيش الاكبر والسواد الاعظم ونزلوا بعد  الحط والترحال ومعاناة الاهوال على قلعة سكتوار من أعظم قلاع الكفار وهي أعظم قلاع دمشوار فاحاطوا بها كاحاطة الطوق بالعنق وداروا حولها وعليها دوران الافلاك على الافق وهي مدينة حصينة واسعة شاسعة مكينة راسخة البناء في حضيض الماء شامخة الهواء الى عنان السماء في غاية العلو والتحصين واعلاء درجات الاستحكام والتمكين وأقوى ما بيد الكفار من المكان الحصين كأنها في الارتفاع والشهوق تناطح الناطح وتعاوق العيوق وكان بريق نيرانها المعان البروق عند الخفوق مشحونة بآلات الحرب والمدافع مملوءة بالمكاحل الكبيرة والمقامع موسوقة بجيوش النصارى وابطالهم موسومة بفتيانهم الشجعان من رجالهم فغفرهم عسكر الاسلام وحاصروهم وضيقوا عليهم مسالكهم وصابروهم وناوبوهم وصالوا عليهم ومنعوهم فتحصن الكفار في قلعة سكتوار ورموا على المسلمين بمقامع النار فتترس المسلمون بالمتاريس وهجموا على الكفرة المناحيس وحمي الوطيس وتحمس الخميس وأقدم من الابطال المشهورين والفرسان والشجعان المخبورين من أظهر بشجاعته يده البيضاء آية للناظرين وطلب من الله النصر وهو خير الناصرين وعند اشتداد الحرب والقتال وتصادم الابطال تصادم أطواد الجبال اذ غلب على السلطان توعكه وسقمه واشتد عليه مرضه وألمه وغمرته غمرات الموت ولاحت أمارات الفوت وهو يلهج الى الله المجيب ويتضرع الى جنابه الرحيب بطلب الفتح القريب فاستجاب الله الكريم دعاه وحقق بحصول المراد رجاه واضطرمت النار في خزينة بارود

امتنعت هذيل من التوجه فراجعهم وكرر عليهم المراجعة في المسير فامتنعوا وأغلظوا في الجواب فضرب واحدا منهم بشعاب ضربة غير مؤلمة فعمد الى بندقة ورماه برصاصة تعمد بها قتله فسلمه الله ثم كروا الى مكة راجعين ولم يبالوا فأرسل خلفهم السيد منصور بن عبد الله الجودي وأمره أن يلاطفهم ويقول لهم قولا لينا لعله يفيد فلما خاطبهم قالوا له ان ترد ملك مكة فامش معنا ونحن نحارب به الحرب الشديد فلما أخبره الخبر تحير في أمره وتكدر وأمر برد الخزانة الى خليص وأبقى عندها بعض المراحل

﴿ذكر القتال الواقع بين الشريف سرور وقبائل هذيل﴾

وتوجه خلف هذيل بالعساكر والمراحل على خيل وركاب فأدركهم على موقدات صبيحة يوم الجمعة وحصل بينه وبينهم ملحمة من الاشراق الى الغروب وقتل كثيرا منهم وأخذ ما معهم من جمال وبنادق وسلاح ثم طلبوا منه الامان فأعطاهم وقتل في ذلك الحرب من عتيبة الذين معه أحد عشر رجلا وواحد من الاشراف ثم عاد الشريف الى الوادي وأقام به حتى لحقته الخزانة التي أبقاها في خليص ثم رحل الى مكة وأمر القبائل والعربان الذين معه بالانصراف وأخر الغزو على حرب الى سنة أخرى وفي عشرين من ذي القعدة أرسل من بقي من محابيس أهل المدينة الى القنفذة ليكون حبسهم هنالك وجاءت الحجوج وكان أمير الشامي محمد باشا ابن المعظم الذي كان في السنة التي قبلها وجاء في قوة عظيمة وتوهم الناس منه حصول فتنة لما صار بينه وبين الشريف في العام السابق من كونه لم يقبل شفاعته في فكاك أهل المدينة ولم يحج أكثر أهل مكة خوفا من حصول الفتنة لكن لله الحمد لم يحصل شيء مما توهمه الناس فحج الناس في أمن وسرور وجاءت الامور على خلاف القياس وسافر الحج الشامي على الطريق الشرقي والحج المصري على طريق الفرع ولم يعط ما هو مرتب لحرب وجهينة وفي سنة ست وتسعين عصى على مولانا الشريف آل علي بن سالم وهم بطن من هذيل وقطعوا طريق الطائف وتحصنوا في جبال شامخة لا يمكن الوصول اليهم فيها

﴿ذكر ابتداء عمارة القلعة التي في جياد سنة ١١٩٦﴾

وفي هذه السنة شرع مولانا الشريف في عمارة القلعة التي في جياد بعد ان اشترى ما حولها من البيوت وأنفق في عمارتها مالا كثيرا ثم نقض بعد سنتين كثيرا من بنائها وأعاده على أحسن اتقان وفي ذي القعدة طلب المحبوسين من أهل المدينة من القنفذة وحبسهم في جدة ثم جاءت الحجوج وحجت بالامن والسلامة الا ان الحج المصري في رجوعه حصل عليه امطار وسيول أذهبت ثلث الحج وفي سنة سبع وتسعين جاءت صدقة من سلطان الغرب للسادة الاشراف والعلماء وخدمة البيت الحرام وكذا لاهل المدينة وكانت هذه الصدقة ذهبا مطبوعا مقدار كل واحد وزن الريال الفضة

الكفار وهي مخزونة بقلعة سكتوار وكانوا أعدوها لقتال المسلمين وأكثروا منها لكونه موفرة عندهم فأصابها شرر من النار بتقدير القدير القهار فأخذت جانبا كبيرا من القلعة رفعته الى عنان السماء وزلزلت الارض زلزلة هائلة الى تخوم الماء وتطايرت جلاميد الصخور الى الهواء ورمت شررا ولهبا ودخانا الى أن امتلأ الفضاء فضعفت بذلك طائفة الكفار وعذبهم الله بالنار قبل عذاب النار وتزاحم المجاهدون في سبيل الله معتمدين على نصر الله بآلات الحرب والجهاد وصدق النية والاعتقاد واشتد القتال والجلاد ورمي الكفار بمدافع أقوى من الصواعق وأخطف للاسماع والابصار من الرعود والبوارق وثبت المسلمون وأقدموا على النيران وهم كالاطواد الراسخة بقوة



الجنان لم يتأوه أحدهم والنار تحطمه وتدفعه ولم يبال على أي جنب في الله مصرعه وتقدم الجيش المنصور وطبول الحرب ومزاميرها كنفخ الصور يوم النشور والمدافع تتهادى كما تتهادى الشهب وتترامى بالاحجار كما تترامى بوارق السحب وتوجهت المسلمون توجها خالصا لوجه الله وحملت على الكفار حملة واحدة بعناية التيقظ والانتباه غير مبالين بموت ولا حياة موقنين بأن لا مفر مما قدره الله وتعلقوا بأطراف القلعة واقتلعوها من أيدي الكفار وهجموا عليها ودخلوها من فوق الاسوار وقتل منهم من قتل ونجا من نجا بمساعدة الاقدار وافتتحت قلعة سكتوار ورفعت الرايات السلطانية على أعلى منار ووضعت السيوف السليمانية في جميع الفجار وقتلوهم وساقوهم الى جهنم وبئس القرار وعند وصول خبر الفتح الى السلطان سليمان فرح وحمد الله تعالى على هذه النعمة والاحسان واستسلم لربه وقال طاب الموت الآن وانتقل من سرير الدنيا الى سرر مرفوعة في أعلى الجنان وأخفى حضرة الوزير الأعظم محمد باشا وفاة السلطان وخرج من عنده وفرق الجوائز السنية والانعامات وأعطى الامراء والبكلربكي الترقيات وأمر بارسال البشائر الى سائر الاطراف والجهات وأرسل سرا يستدعي السلطان سليم خان الثاني ويستعجله في سرعة الوصول الى التخت الشريف العثماني وكتم ذلك عن جميع الخواص والخدام وعن جميع العسكر والامراء والوزراء وسائر الانام وأحسن التدبير في هذا الكتم وهو من اللازم الحتم في الامور العظام واستمرت أمور المملكة في غاية الانتظام وأحوال العسكر المنصور السلطاني في أعلى درجات النظام وهم

---

الفضة مكتوبا عليها والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم

﴿ذكر سجن أهل المدينة أمين الصرة﴾

وفي هذه السنة تمرد أمير الحج المصري عن تسليم معاليم أهل مكة وفعل مثل ذلك مع أهل المدينة فاحتالوا عليه وأدخلوه بيت العشرة وقالوا له ان لم تعط فانت مسجون فلما تيقن عدم الخلاص أعطاهم ما يملكه من النقود وأبقى رهونا في الباقي

﴿ذكر عزل وتولية﴾

وفي سنة ثمانية وتسعين عزل حسن النابتة من شبندارية التجار وتولى أحمد القاري بأربعة آلاف ريال وعزل حسن الرشيدي عن نظارة السوق وتولاها محمد غزاوي بثمانية عشر ألف قرش وعزله بعد ثلاثة أشهر وأعيد حسن الرشيدي بمبلغ من المال وتولى درويش بن صالح صبغة بيت المال بشئ من المال ومعه عشرة وجاب من عين سولة وفي سنة تسع وتسعين اتفق ان أمير الحج المصري ترك الزيارة ولما وصل الى رابغ مال الى خفوش ثم الى ينبع ولم يعط أهل المدينة ما هو لهم من الصر ولم يتفق ان الحج المصري ترك الزيارة الا ذلك العام وفي هذا العام قبض مولانا الشريف على الشريف المسمى بالوبير وكان من قطاع الطريق وطال ما ركب عليه المرة بعد المرة فلم يظفر به وفي هذه المرة ركب عليه وقبضه في المضيق وأخذ مراحه ومواشيه وأودعه السجن

*(ذكر موت الوزير ريحان وماله من خيرات بين مكة والطائف وجدة سنة ١٢٠٠)*

وفي سنة ألف ومائتين توفي الوزير ريحان في الثامن والعشرين من رمضان وله كثير من الخيرات منها انه بنى مسجدا ببندر جدة ووقف عليه أوقافا تجري منها مصالحه وعمر بالطائف مسجدا ووقف عليه بستانا في وادي لية يقال له ليلاء ووقف عليه دارا بمكة في خط سويقة على قارعة الطريق مركا على الظلة التي تجاه دكة الرقيق نص على ذلك الشيخ عبد الله عبد الشكور في تاريخه ثم قال وبنى بمكة زاوية بأول سفح أجياد وسماها زاوية الحداد وهي في الحقيقة مسجد بمصلاة وبيت من بيوت الله ووقف عليها جملة من الكتب النافعة

*(ذكر ابتداء بناء بيت عرفة سنة ١٢٠٠)*

وفي شهر ذي القعدة أرسل مولانا الشريف ستين من المعلمين غير اتباعهم الى عرفة فبنوا له بيتا ولم يسبق لغيره بناء بيت في عرفة وفي هذه السنة كان أمير الحاج الشامي أحمد باشا الجزار وكان ظالما غشوما وكان تارة يدعي انه شريف من الجانبين وتارة يدعي انه المهدي المنتظر ولم يحصل في الحج في هذه السنة لله الحمد خلاف الان أمير الحج المصري وهو راجع وقع منه أمر عجيب نشأ منه

فى ديار الكفر بعيدون عن ديار الاسلام وذلك من كمال العقد التام والرأى الثاقب الصائب التمام الى أن وصل حضرة السلطان سليم الى مقر تخته الكريم وأذن للعساكر المنصورة بالرجوع الى أوطانها وعاد مع أركان دولته ووزراء سلطنته وبقية عساكر بابه الى القسطنطينية العظمى كما سيأتى تفصيله ان شاء الله تعالى وغسل المرحوم السلطان سليمان وحنط وكفن وأنشد لسان الاعتبار يقول فيه انظر ان ملك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن ووضع فى تابوت وحمل على الاعناق وقد قلدها فى حياته قلائد نعم حات محل الاطواق وهو ممن يليق ان ينشد فيه
كم قات الرجل المولى غسله (٢٢٣) * هلا أطاع وكنت فى نصائحه وأزل أفاويه الحنوط ونحها * عنه وحنطه بطيب ثنائه

ومر الملائكة الكرام بحمله فلطالما حملن من نعمائه واستمر محمولا الى ان أتى به الى اسطنبول وخرج لاستقباله جميع العلماء والموالى العظام والمشايخ الاتقياء الكرام وسائر أصناف الانام وبكوا عليه بكاء طويلا وأكثروا نحيبا وعويلا وصلوا عليه وأمهم فى صلاة الجنازة المفتى الاعظم مولانا أبو السعود أفندى عالم بلاد الاسلام ودفن فى تربة اعدها لنفسه رحمه الله تعالى ورثاه الشعراء بكل لسان بقصائد طنانة سارت بها الركبان أعظمها وأحسنها قصيدة المفتى المذكور وهى طويلة حسنة حذفت بعضها روما للاختصار وذلك قوله رحمه الله تعالى
أصوت صاعقة أم نفخة الصور * فالارض قد ملئت من نقر ناقور
أصاب منها الورى دهياء داهية * وذاق منها البرايا صعقة الطور تهدمت بقعة الدنيا لوقعتها * فتتابعوا وانهد ما كان من دور ومن سور أمسى معالمها قاعا مقفرة * مافى المنازل من دار ودبور تصعدت قلل الاطواد وارتعدت * كأنها قاب مرعوب ومذعور واغبر ناصية الخضراء وانكدرت * وكاد تمتلئ الغبراء بالمور فمن كئيب وملهوف ومن دنف * عان بسلسلة الاحزان مأسور فياله من حديث موحش نكر * يعافه السمع مكروه ومنفور تاهت عقول الورى من هول وحشته * فأصبحوا مثل مجنون ومسحور تقطعت قطعا منه القلوب فلا * يكاد يوجد قلب غير مكسور أجفانهم سفن مشحونة بدم * تجرى ببحر من العبرات مسجور أتى بوجه نهار لا ضياء له * كأنها غارة شنت بديجور أم ذاك نعى سليمان الزمان ومن

مصيبة أى مصيبة وذلك أنه لما وصل الى خليص قبض على بعض اللصوص من حرب فشفع فيهم شيوخ حرب فأبى ان يطلقهم حتى يسمهم بالنار ليعرفوا من بين الناس فأحمى المحاور وكواهم على الخدود وأطلقهم فصرخ صارخهم وتلاحقوا بعد اجتماعهم وأدركوه بموضع يقال له قورة وأرسلوا له يقولون ان أردت السلامة فاجعل مقررات لمن جعلت فى خدودهم العلامة فامتنع فصاحت الاعراب واجتمعت وحملت على الحج حملة واحدة فظهر عليه الذل والانكسار ففر ومعه تجريدة من الخيل وجعل يطردها بالنهار والليل حتى دخل المدينة وترك الحاج فى تلك الفجاج واستولى عليهم العربان قتلا ونهبا واستأصلوهم عن آخرهم وما سمع ولا رؤى ان حجا استؤصل الا هذا العام

*(ذكر التجهيز الثانى لقتال حرب سنة ١٢٠١)*

وفى سنة ألف ومائتين وواحد عزم مولانا الشريف على التجهيز لقتال قبائل حرب الا انه كتم الامر وأرسل فى شهر جمادى الاولى لطلب القبائل من كل جهة فاقبلوا عليه فوجا بعد فوج وهو يبسط عليهم النفقات ويبذل لهم المال الكثير فلما حضروا أخبرهم انه يريد قبائل حرب ووقع ايام اجتماعهم قتال بين عتيبة وهذيل ولم يمسكوا عن القتال حتى ركب على هذيل بنفسه وقرعهم وأمرهم بالنزول على الجبال فأطاعوه وقتل من كل الطائفتين أناس لم يعلم عددهم ولما تكاملت الجنود خرج الى الزاهر مولانا الشريف يوم الثالث عشر من رجب وأخرج العساكر والجنود والمدافع وجميع المهمات وكانت القبائل عددا كثيرا من جملتهم قبائل الشرق بلغ عددهم تسعة آلاف ومعهم مائتان من الخيل وتوجه منه يوم الحادى والعشرين من الشهر المذكور ولم يزل سائرا الى ان وصل الى مستورة فارسل غزية على جبل صبح فغنموا مواشى أهل تلك الديرة ورجعوا وأما طائفة عتيبة فانهم كلما وصلوا بندرا ينهبونه قبل وصول العسكر فاقام أياما على مستورة وأمر على عتيبة أن يقيموا بعيدا عن الجيش بسويعات فى محل مرتفع يقال له الحديبة وأما حرب فقد تجمعوا من كل جهة كانوا نازلين بها مصممين على قتاله حتى وصلهم فاستبطؤه وطالت اقامتهم وانتظارهم اياه فظنوا انه اغتاظ أو تأخر حتى طالت المدة خوفا منهم وخطر ببالهم ان يدهموه فى محله فيظفروا به وبخزائنه فحركهم داعى الغى والهوى فاقبلوا من مواضعهم على عتيبة أولا لكونهم بعيدا عن بقية الجيش وأرادوا استئصالهم فاحاطوا بهم من كل مكان فاقتتلوا معهم ومات من كل الفريقين من دنا أجله فعند ذلك صاح مستنجدهم بالشريف فنهض كما ينهض الاسد واستنجد الكماة من بنى عمه السادة الاشراف وكل من معه فى ذلك النادى من العسكر والبوادى وفرغ لهم الذهب الاصفر فرموا أنفسهم فى الموت الاحمر فلما رأوا عيون القوم قال كل من قطع رأسا فله خمسة من المشاخصة

مدار سلطنة الدنيا ومركزها   ومصرت كل جبار وتيهور * ومن ومن ملأ الدنيا مهابته   مضت أوامره في كل مأمور
وحسن رأى الى الخيرات منصرف   في العالمين بسعي منه مشكور * معلي معالم دين الله مظهرها   خليفة الله في الآفاق مذكور
مجاهد في سبيل الله مجتهد   بغاية القسط والانصاف موفور * بآية العدل والاحسان ممتثل   وصدق عزم على الالطاف مقصور
وراية رفعت للمجد خافقة   ومشرفي على الكفار مشهور * بلهذمي الى الاعداء منعطف   مؤيد من جناب القدس منصور
له وقائع في الآفاق شائعة   من كل قطر من الاقطار محشور * وعسكر ملأ الآفاق محتشد   تحوي على علم بالنصر منشور
وكيف تمشين فوق الارض غافلة   من بعد رحلته (٢٣٣) من هذه الدور * يا نفس مالك في الدنيا مخلفة   أخبارها زبرت في كل طامور

فتتابعوا القتال كأنهم نشطوا من عقال فلم يكن الا كلمح البصر الا والرؤس بين يديه كالتلول وقتلوا فيهم القتل الشنيع فلما رأى كثرة القتل فيهم أخذته الشفقة فقال الربط منهم أولى ونادى المربوط دون المقتول عما وقع عليه القول فأخذوا الحبال وصاروا يربطون فيهم ويأتون بهم كالغنم فربطوا ماينوف عن الخمسمائة وهرب منهم من بقي أجله وكتب الله له السلامة من الربط وبعد فراغ القتال جعل يستعرض المرابيط ويسألهم عن أسمائهم ومن أي القبائل هم ويأمر بوضعهم في الاغلال والسلاسل وجاءت البشائر الى مكة فزينت البلاد ونصبت أعلام النصر ودق الزير وبعد أيام جاءت المرابيط الى جدة في الزعائم مصفدين وكبكبوا في الحبس أجمعين ثم توجه مولانا الشريف الى الفرع وملكه بغير قتال وهرب أهله فحرق بعض الدور وقطع بعض النخل ثم جاؤه يرجعون اليه طالبين العفو والسماح فعفا عنهم ثم رجع الى مستورة ثم توجه الى بدر فلقيه أهلها ذليلين طائعين فاعطاهم الامان ثم ارتحل الى ينبع النخل ثم الى السويق وطلب أهله الامان فاعطاهم ووقع هنالك من بعض أتباعه مع بعض أهل السويق خصومة آلت الى القتال فلما علم بذلك كف أتباعه حتى جعل يضربهم بالسيف فسكن الامر بعد أن قتل من الطرفين وقبض على سبعين ظهر له عصيانهم وأرسلهم في الحديد مصفدين ثم ارتحل الى بدر ومنه الى الخيف فوجد أهله مترسين على رؤس الجبال وقد جعلوا وادما بين جبلين صيروه كالسد لمنعه من العبور فأمر بهدمه وحرق بعض الدور وقبض على عشرين منهم وجعلهم في الحديد ثم أرسل بشيرا آخر الى مكة بهذا الفتح الجديد وطلب مفتي مكة الشيخ عبد الملك القلعي ليفوز بزيارة القبر النبي صلى الله عليه وسلم فامتثل أمره وتوجه وكان دخول مولانا الشريف سرور المدينة في السابع عشر من شوال فتلقاه أهل المدينة بالتعظيم والاجلال وأقام هنالك الى وصول الحج الشامي ولا تعرض أهل المدينة بنقض ولا حل ولا توليه ولا عزل ثم توجه من المدينة بعد خروج الحج منها بيوم ودخل مكة في أوائل شهر ذي الحجة بمن معه من القوم ودخلت الحجوج سادس ذي الحجة وحج الناس في أمن وسرور وورد في هذه السنة صدقة لاهل مكة من الهند وقدرها أربعة وعشرون ألف مشخص وصدقة أخرى من سلطان الغرب وصدقة ثالثة من محمد علي خان من الهند أيضا وفرقت جميع الصدقات وانتفع منها الكبير والصغير والغني والفقير

﴿ذكر ختان أولاد الشريف سرور سنة ١٢٠٢﴾

ثم دخلت سنة ألف ومائتين واثنتين فعزم مولانا الشريف على ختان أولاده وأولاد أخيه باقامة فرح عظيم فأمر بالتهيؤ والاستعداد لذلك فكان ابتداء ذلك الختان والفرح في اليوم العاشر من ربيع

أليس جثمانه فيها بمقبور
حق على كل نفس أن تموت أسى
لكن ذلك أمر غير مقدور
فللمنايا مواقيت مقدرة
تأتي على قدر في اللوح مسطور
وليس في شأنها للناس من أثر
ومدخل ما بتقديم وتأخير
يا نفس فاتئدي لا تهلكي أسفا
فانت منظومة في سلك مقدور
اذ انت مأمورة بالمستقبل ولا
عما سوى بذل مجهود وميسور
ولا تظنينه قد مات بل هو ذا
حي بنص من القرآن مزبور
له نعيم وأرزاق مقدرة
تجري عليه بوجه غير مشعور
ان المنايا وان عمت محرمة
على شهيد جميل الحال مبرور
مرابط في سبيل الله مقتحم
معارك الحتف بالرضوان مأجور

ما مات بل نال عيشا باقيا أبدا * عن عيش فان بكل الشر مغمور   ابتاع سلطنة العقبى بسلطنة الدنيا فأعظم بربح غير محصور
بل حاز كلتيهما اذ حل منزلة * من لم يغايره في أمر ومأمور   أماري ملكه المحمي آل الى * سر سرى له في الدهر مشهور
ولي سلطنة الآفاق مالكها * براو بحرا بعين اللطف منظور   ظل الاله ملاذ الخلق قاطبة * وملتجي كل مشهور ومذهور
فانه عينه في كل مأثرة * وكل أمر عظيم الشأن مأثور   ولا امتياز ولا فرقان بينهما * وهل يميز بين الشمس والنور
سميدع ماجد زادت مهابته * تخت الخلافة في عز ومنصور   جد الجديدان في أيام دولته * صارا كأنهما مسك وكافور
أضحى بقبضته الدنيا برمتها * ما كان من مجهل منها ومعمور   بدا بطاعته والناس في كرب * وسوء حال من الاحوال منكور

فأصبحت صفحات الارض مشرقة * وعاد أكنافها نوراً على نور سبحان من ملك جلت مفاخره * عن البيان بمنظوم ومنثور
كأنها وبراع الواصفين لها * بحر خميس الى منقار عصفور لا زالت احكامه بالعدل جارية * بين البرية حتى نفخة الصور

﴿فصل في بعض مآثر المرحوم السلطان سليمان خان وخيراته وصدقاته الجارية الحسان في جميع البلدان سيما في بلد الله الحرام وبلد خاتم الانبياء والرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام﴾ (اعلم) ان الخيرات والمبرات والمساجد والعمارات والمدارس والخانقات واجراء العيون وبناء القلاع والخانات وغير ذلك من أنواع الخيرات في كل الجهات التي أنشأها المرحوم السلطان سليمان خان (٢٣٤) رحمه الله تعالى كثيرة جداً لا يمكن حصرها ولا يدخل تحت احاطة البيان ذكرها ولا يسعه هذا الكتاب لكنا نذكرها جملا من ذلك فما لا يدرك كله لا يترك كله ونذكر خيراته في الحرمين الشريفين ونحيل ما عداها الى السماع والمشاهدة برأى العين فمن ذلك الصدقة الرومية التي هي الى الآن مادة حياة أهل الحرمين الشريفين وبها معاشهم وقيام أودهم وسبب بقائهم ومددهم فانها وان كانت قديمة متواصلة من زمن آبائه السلاطين العظام وأجداده الملوك الفخام الا أن المرحوم السلطان سليمان خان هو الذي زادها وضاعفها وأنماها وكثرها وقررها وأضاف اليها من خزائنه الخاصة مبلغا كبيرا فهي ترد ولله الحمد في كل عام بدفتر محفوظ مضبوط وأمين وكانت تقسم في الحرمين الشريفين تجاه بيت الله المطهر المنيف وتقرأ الفواتح بالاخلاص ويكثر الضجيج من الفقراء والفقهاء والعلماء والصلحاء والدعاء بدوام سلطنة سلطان الزمان والرحمة والرضوان على آبائه وأجداده من آل عثمان وتفرق عليهم حسب الدفتر الشريف السلطاني المرسوم بالشان الشريف العثماني فيصرفون ذلك في قضاء ديونهم فان فضل فضلة صرفوها في حجهم وكساويهم وأنفقوها على عيالهم وأولادهم ولم يقع الاحسان على هذه الصورة لاحد من السلاطين والخلفاء والملوك وغيرهم ولكن ليست بهذا الضبط والاستمرار والوصول في محلها وتعميم الناس بها وكانت للخلفاء العباسيين وغيرهم صدقات كثيرة واسعة الا انها كانت ترد مرة في العمر أو عند وصول خليفة منهم الى الحج ما تحققنا مواظبة وصولها على هذا الوجه الذي شرحناه لاحد غير ملوك آل عثمان خلد الله سلطنتهم وهذه بركة جليلة ونعمة كبيرة جزيلة يمتازون بها على غيرهم فالله تعالى

الاول من العام المذكور وتم في ذلك الفرح مالم يسبق مثله فالبس الملابس الفاخرة لكل من حضر الختان ونثر من الذهب والفضة أعظم النثار وعرض عليه أهل الحارات أنعم عليهم بالملابس والعطايا الجزيلة ومن بعد صلاة المغرب ينتصب الديوان بالعساكر والنوبة تضرب وعرض عليه السادة الاشراف فألبسهم الملابس الفاخرة وأعطاهم من العطايا ما تقر به العين وكذا احضر كثيرا من أهل البادية وعرضوا عليه وأنعم عليهم بالملابس والعطايا وأولم للسادة الاشراف وللعلماء وأعيان الناس وليمة منظمة وضع فيها أنفس المآكل وخيار الاطعمة ثم أولم لبقية الناس ولائم متعددة وأولم أيضا للعساكر وأشياعه وعبيده وأتباعه ثم أطلق في الولائم ولم يخص أحدا فما بقي أحد الا وحضر تلك الولائم واستمر هذا الفرح من عشرة من ربيع الى السابع والعشرين منه وفي السابع والعشرين أمر جميع عساكره وخيالته أن يحضروا بباب دولته وامارته وأمرهم أن يطوفوا بأكناف البلاد في موكب عظيم وآلاى منظم فخرجوا بأفخر الملابس ركابا على الخيول المسومة مصطفين كل أربعة خلف أربعة مقدما امام الجيش سبعة من المدافع تسير معه ولم يبق أحد من أهل البلد الا خرج يوم الزينة ولما رجعوا الى داره العامرة ألبسهم الملابس الفاخرة ونثر يومها من الدراهم ما أغنى به كل صعلوك وفي غرة ربيع الثاني جعل فرحا عظيما للنساء وصنع لهن وليمة ودعا فيها المغنيات وكساهن أفخر الكساء فهرع نساء البلد متفرجات وأكل من الوليمة من حضرها من بواديها وحضرها المغنيات يغنين بانواع الالحان كتغريد الطيور على الاغصان واستمر فرح النساء على هذا النسق ثلاثة أيام وتم في هذا الختان مالم يتم لغيره من السرور واذا تم أمر يخشى منه عواقب الامور كما هو مذكور في المثل المشهور

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

فلم يمض مقدار أسبوع بعد تمام هذا الفرح الا وتبدل السرور بالكدر

﴿ذكر مرض الشريف سرور﴾

فمرض سيدنا الشريف سرور وحصل له اغماء غيبه عن الوجود فكتموا أمره عن الناس الى يوم الرابع عشر من ربيع الثاني فاغمي عليه اغماء شديدا ظنوا انه الموت فاعلنوا بالنحيب فاضطربت البلاد لعظم المشقة ووقع الجري في الاسواق والازقة ثم أفاق من ذلك الاغماء فاستبشر الناس واطمأنوا وعاش بعد ذلك أربعة أيام

﴿ذكر وفاة الشريف سرور سنة ١٢٠٢﴾

ثم انتقل من دار الفناء الى دار البقاء في اليوم الثامن عشر من ربيع الثاني سنة ألف ومائتين واثنتين

يديم ذلك على جيران بيته الحرام وجيران نبيه أفضل الانام عليه أفضل الصلاة والسلام بدوام سلطنة آل عثمان الملوك العظام الخالد ذكر جميلهم في صفحات الايام أبقاهم الله تعالى الى يوم القيامة * ومنها صدقة الحب وقد تقدم ان المرحوم سليم خان الاول أول من تصدق بارسال صدقة الحب الى أهل الحرمين الشريفين عند افتتاحه بلاد العرب وأخذه لاقليم مصر والشام وحلب واستمرت متواصلة الى زمن المرحوم السلطان سليمان خان وكانت ترسل من أنبار الخاص بالسلطان وأفرد لها السلطان سليمان قرى بمصر اشتراها من بيت مال المسلمين ووقفها وجعل غلتها وريعها لاهل الحرمين الشريفين وكتب لذلك كتاب وقف حكم بصحته قضاة العسكر بالديوان الشريف العالي وجعل من ريعها ألفا وخمسمائة اردب لاهل المدينة المنورة يجهزها في كل عام الناظر المولى على ذلك ثم ضاعفها وجعل في كل عام لاهل مكة المشرفة ثلاثة آلاف اردب ولاهل المدينة المنورة ألفي اردب واستمرت ترد كل عام وتوزع على أهل الحرمين حسب دفتر مقيد باحكام شريفة سلطانية وتذا كر باشوية وتقريرات من القضاة ونظار الحرم الشريف واستقر الحال على ذلك واستمر الى أواننا هذا والى ما بعد ان شاء الله تعالى وهذا أيضا احسان عظيم وخير جميل عميم صار سبب المعاش أهل الحرمين الشريفين وتقوتهم ومادة لحياتهم ومعيشتهم وأودهم وقوتهم فلو عدموه والعياذ بالله هلكوا والدعاء من صميم قلوبهم مبذول في الحرمين الشريفين بدوام دولة سلطان الزمان والترحم على آبائه الكرام واسلافه العظام وهذا الاحسان



لم يعهد في زمن السلاطين السابقة ولا أيام الخلفاء السالفة بل هو مخصوص بسلاطين آل عثمان الاما فعله السلطان قايتباي رحمه الله تعالى بعد ما حج بيت الله الحرام وزار المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فانه وقف على أهل المدينة ضياعا وقرى يصل ريعها الى الآن الى الحرمين الشريفين وللسلطان جقمق أيضا أوقاف يصل منها شئ دون ذلك الى الحرمين الشريفين وقد آلت أوقافها الى الخراب وضعف ريعها جدا وأما الاوقاف الشريفة العثمانية فعامرة آهلة يفيض منها الزوائد ويحصل منها النمو وعليها مدار معيشة أهل الحرمين الشريفين عمرها الله تعالى وأنماها وعمر من عمرها وزكى من زكاها *ومنها صدقات الجوالي وهي جمع جالية ومعناه ما يؤخذ من أهل الذمة في مقابلة استمرارهم في بلاد الاسلام تحت الذمة وعدم جلائهم

---

واثنتين وحزن عليه الخاص والعام والكبير والصغير وجهز وصلى عليه بعد الاشراق عند الكعبة ودفن بالمعلى بقبة السيدة خديجة رضى الله عنها رحمه الله رحمة واسعة وعمره نحو خمس وثلاثين سنة ومدة ملكه خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام وأعقب من الذكور عبد الله ويحيى وسعيدا وحسنا وأحمد ومحمدا

﴿ذكر ولاية الشريف عبد المعين بن مساعد سنة ١٢٠٢﴾

وتولى شرافة مكة بعده أخوه مولانا الشريف عبد المعين وأقام فيها أياما وقيل نصف يوم

﴿ذكر ولاية سيدنا الشريف غالب بن مساعد سنة ١٢٠٢﴾

ثم نزل عنها بلا حرب ولا قتال لاخيه سيدنا الشريف غالب بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي فاختاره الله لحماية هذا الحرم وجاءته الخلعة السلطانية في التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة من هذا العام وأدخلها مكة في موكب عظيم ولبسها بعد قراءة الفرمان السلطاني بالحطيم وأجرى ما هو معتاد من الملابس لارباب الرتب والمناصب وأمر بالزينة ثلاثة أيام

*(ذكر قتال الشريف غالب مع بعض اخوانه)*

وفي اليوم الحادي عشر من ذي الحجة فارقه بعض اخوانه وخرجوا جنح ليل وتوجهوا باتباعهم الى جبال هذيل فغابوا نحو ثمانية أيام وجاؤه بهذيل اليمن والشام وتترسوا بجبال المفجر وتلك الجهات فخرج لقتالهم بمن عنده من العسكر والاتباع وأمده أمير الحج الشامي بنزر من العسكر فالتقى الفريقان في تاسع عشر الشهر وحصل بينهم وبينه قتال أسفر عن انتصاره عليهم ثم توجهوا الى الطائف وتحاربوا مع وكيله بالطائف فهزمهم وتحصنوا بحصن في العقيق ثم ترفعوا الى بسل وأقاموا أياما ثم رجعوا الى مكة طالبين القتال فلما تحقق الخبر أمر بتجهيز العسكر وبرز بالابطح وجعل هو يخرج كل ليلة ويبيت في المعابدة ويرجع الى داره بمكة في الصباح وفي ثمانية من ربيع الاول سنة ثلاث بعد المائتين والالف جاءه المستفزع الى داره يستصرخه ويخبره انهم وصلوا الى الميدان فركب من فوره فوجدهم قد اقتتلوا مع عسكره وهزمهم العسكر قبل وصوله وبعد انهزامهم قصدوا وادي الزيماء ثم وادي لية ثم الاخيضر وأقاموا شهرا ويوما وفي نصف جمادي الاولى عاملهم عربان ثقيف وحاربوا الطائف وأخرجوا وكيل الشريف ومن معه ثم توجه الوكيل ومن معه الى مكة وأخبروا الشريف بأن اخوانه يجمعون له الجرود فارسل مولانا الشريف للعربان وجمعهم من كل مكان وفي اليوم التاسع عشر برز الى المعابدة بالبيارق والعساكر ولما ثبت عنده انه في غد يكون القتال سلم لكل واحد من العربان سبعة ريالات فوصله الخبر انه في غد يكونون في عرفة ثم مضى يومان وهم

مقيمون في نعمان ثم لما سمعوا ما جمعه مولانا الشريف من الجنود رجعوا الى الطائف

*(ذكر الصلح بين مولانا الشريف واخوانه)*

وفي الرابع والعشرين من الشهر المذكور أرسل مولانا الشريف غالب السيد ناصر بن مستور ونائب قاضي الشرع والمفاتي الاربع يتوسطون في الصلح بينه وبين اخوانه فوصلوا اليهم فقابلوهم بالاكرام والاجلال وعرضوا عليهم الصلح فقبلوه واشترطوا شروطا قبلها مولانا الشريف فتمموا الامر على أحسن منوال ونزلوا جميعا الى مكة فخرج مولانا الشريف لملاقاتهم الى العابدية وقبلوا يديه ودخلوا مكة في الاي أعظم ولله الحمد على ذلك

*(ذكر وفاة السلطان عبد الحميد بن أحمد خان سنة ١٢٠٣)*

وفي هذا العام كانت وفاة مولانا السلطان عبد الحميد بن السلطان أحمد خان بن محمد بن ابراهيم وجلس بعده على تخت السلطنة ابن أخيه مولانا السلطان سليم بن السلطان مصطفى بن أحمد بن محمد بن ابراهيم

*(ذكر قتل الخطيب)*

وفي شهر رجب وقعت حادثة بمكة وهي ان يوم الجمعة كان الخطيب الشيخ عبد السلام الحرشي فتعرض له عند المنبر قبالي قيل مجنون قبل الصلاة وضربه بسكين قطع بها أمعاءه فكانت هي القاضية ووقع في المسجد ضجة عظيمة حتى أشاع بعض العوام ان المهدي المنتظر ظهر بين الركن والمقام وعما قليل زال الالتباس وتقدم خطيب آخر فخطب وصلى بالناس وأمر مولانا الشريف بصلب ذلك القاتل فصلب وفي شهر شعبان حصل اختلاف بين والي جدة عزة محمد باشا ووزير مولانا الشريف الماس رمضان فأغلق الباشا الفرضة والقبان وقلد قاضي الشرع بالمقاليد فجعل القاضي ينزل الفرضة لجمع العشور ويضبط ما يتحصل من المال ويعرف ما يخص الباشا وما يخص مولانا الشريف غالبا ثم عزل مولانا الشريف الوزير الماس رمضان لانه السبب في هذه الفتنة الحاصلة بين مولانا الشريف ووالي جدة وجيء به الى مكة وسجن مقيدا بالحديد

*(ذكر الفتنة بين الشريف غالب والشريف عبد الله بن سرور سنة ١٢٠٤)*

وفي خمس وعشرين من جمادى الاولى من سنة أربع بعد المائتين والالف حبس مولانا الشريف يحيى بن سلوح وكان مقدما لاخيه المرحوم الشريف سرور فاطلع مولانا الشريف غالب على أشياء صدرت منه تكون سببا للفتنة بينه وبين أولاد أخيه الشريف سرور فقبض على يحيى المذكور وحبسه في قبو تحت الارض في بيت ريحان الفروجي فأقام فيه برهة من الزمن ثم هدم بالوعة المطهر وهرب منها وتوارى في بيت أولاد المرحوم الشريف سرور فكان ذلك داعيا للفتنة والشرور ولم

يعلم

عنها وهي من أجل الأموال ان أخذت على وجهها المشروع ولاجل حلها جعلت وظائف العلماء والمتقاعدين من الكبراء وكان يخرج منها شيء قليل في أيام الجراكسة لبعض المشايخ فلما كانت سلطنة المرحوم السلطان سليمان خان نور الله تعالى مرقده وحفه بالرحمة والرضوان أخرجها من خزائنه العامرة بالتدريج الى العلماء والمشايخ من أهل الحرمين الشريفين ومن أهل مصر ومن المتقاعدين بمصر وبالحرمين الشريفين الى ان استوعب صرفها جميعها وزاد عليها قدرا أخرجه من خزائنه الشريفة وذلك من جوالي مصر وحدها غير جوالي الشام وحلب وغيرها من الممالك الشريفة العثمانية وغير ما يصرف على الفقراء والعلماء والمشايخ من محصول الممالك في سائر ممالكهم  المحروسة وغير ما يصرف ملوك بني عثمان من ريع أوقافهم وزوائدها وغير ما يخرجون من خزائنهم العامرة في وجوه الخيرات واستمرار هذه الادرارات لاحد من السلاطين والخلفاء والملوك العظام الكرام الحنفاء في زمن من الازمان في دولة ملك أو دور سلطان فالله تعالى يبقي هذه الدولة الشريفة الباهرة والسلطنة القاهرة الفاخرة الزاهرة الى ان تنقضي الدنيا وتقوم الآخرة * ومن خيراته ادارة اجراء العيون ومن أعظمها اجراء عين عرفات الى مكة المشرفة وسبب ذلك ان العين التي كانت جارية بمكة هي عين حنين وهي من عمل أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور زوجة هرون الرشيد واسمها أمة العزيز وكان جدها المنصور يرقصها وهي طويلة ويقول أنت زبيدة فاشتهرت بها وكانت من أهل الخيرات ولها مآثر عظيمة الى الآن ومنها اجراء عين حنين الى مكة المشرفة وصرفت عليها خزائن أموال الى أن جرت الى مكة المشرفة وهي واد قليل الامطار بين جبال سود عاليات خاليات من المياه والنبات وصفها الله تعالى بأنها واد غير ذي زرع فتفقدت أم جعفر زبيدة الجبال الى أن سلكت الماء من أرض الحل الى أرض الحرم وانفقت على عملها ألف ألف وسبعمائة ألف مثقال من الذهب فلما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها وأخرجوا دفاترهم لاخراج حساب ماصرفوه ليخرجوا من عهدة ماتسلموه من خزائن الاموال وكانت في قصر عال مطل على الدجلة فأخذت الدفاتر ورمتها في بحر الفرات وقالت تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقي عنده شيء من بقية المال فهو له ومن بقي له شيء عندنا أعطيناه وألبستهم الخلع والتشاريف فخرجوا من عندها حامدين شاكرين

و بقي لها هذا الاثر العظيم في العالمين رحمها الله تعالى وأسكنها الفردوس في أعلى عليين * وكانت هذه العين ترد الى مكة و ينتفع بها الناس ومنبع هذه العين في ذيل جبل شامخ يقال له طاد بالطاء المهملة والالف بعدها دال مهملة من جبال النيه (٣) من طريق الطائف وكان يجري الماء الى أرض يقال لها حنين ليسقي به نخيل ومزارع مملوكة للناس واليها ينتهي جريان هذا الماء وكان يسمى حائط حنين يعني بساتين حنين وهو موضع غزا فيه النبي صلى الله عليه وسلم المشركين و يقال لتلك الغزوة غزوة حنين وخبرها مذكور في كتب سير النبي صلى الله عليه وسلم فاشترت زبيدة هذا الحائط وأبطلت تلك المزارع والنخيل وشقت له القناة في الجبال وجعلت له الشحاحيد في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند الامطار وجعلت فيه قناة متصلة الى مجرى هذه العين في محاذاتها يحصل منه المدد لهذه العين فصار كل شحاد عينا يساعد عين حنين منها عين مشاش وعين ميمون وعين الزعفران وعين البرود وعين الطارقي وعين ثقبة والجرنيات وكل مياه هذه العيون ينصب بعضها في ذيل عين حنين ويزيد بعضها و ينقص بحسب الامطار الواقعة على أم احدى هذه العيون أو على جميعها الى أن وصلت على هذه الصورة الى مكة المشرفة * ثم انها أمرت باجراء عين وادي نعمان الى عرفة وهي عين منبعها ذيل جبل كرا وهو جبل شامخ عال جدا أعلاه أرض الطائف مسيرة نصف نهار من أسفله الى أعلاه من صعد فيه أو نزل منه مرة لا يعود اليه لوعورة مرقاه وصعوبته و ينصب من ذيل جبل كرا في قناة الى موضع يقال له الاوجر من وادي نعمان ويجري منه الى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات فيها ولشعراء العرب تشوقات وتغزلات في وادي نعمان وفيه يقول القائل أيا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها (وبعده) فان الصبا ريح اذا ما تنسمت على كبد حرى تجلت همومها فعملت القنوات الى أن جرى ماء عين نعمان الى أرض عرفة ثم أديرت القناة بجبل الرحمة محل الوقوف الشريف الاعظم في الحج وجعل منها الطرق الى البرك التي في أرض عرفات فتمتلئ ماء يشرب منه الحاج في يوم عرفة ثم استمر عمل القناة الى أن خرجت من أرض عرفات الى خلف جبل من وراء المأزمين على يسار العابر من عرفات ويقال له طريق ضباب بالضاد المعجمة المفتوحة فالالف بعدها باء موحدة مشددة وتسمى الآن عند أهل مكة المظلمة بضم الميم ثم ظاء معجمة ساكنة فلام مكسورة

يعلم له مولانا الشريف غالب بمكان وطلبه فلم يجده ثم أغرى يحيى سلتوح الشريف عبد الله بن سرور على طلب شرافة مكة وهو صغير عمره اثنتا عشرة سنة وتكفل له بالاعانة فأرسل زمرة من العبيد نحو الخمسمائة و رموا بالبنادق من المسجد على بيت مولانا الشريف غالب ثم ولوا مدبرين وترسوا بيت الوزير ريحان و بيت القطبي وما حوله من البيوت وثبت الشريف في داره فوقع الحرب من البيوت بين الطرفين واستمر الى أربعة أيام وليال وانقطعت الناس عن السير في طرقات البلاد وانقطعت الصلوات الخمس والطواف فلما لم يظفروا بمرام أخذوا ذمة وخرج أولاد الشريف سرور مع أخيهم الشريف عبد الله وتوجهوا الى العابدية وخرج معهم يحيى سلتوح وعبيد أبيهم وجملة من الاشراف وجملة من البادية كانوا مختفين بناديهم فأخرج اليهم رتبة (٣) حاصروهم في بيت العابدية فخرجوا البلا وتوجهوا الى بلاد هذيل وجمعوا جموعا وأقبلوا على مكة

## •(ذكر القتال بينه و بين الشريف عبد الله بن سرور سنة ١٢٠٤)•

فخرج مولانا الشريف بمن معه من العساكر والجنود الى بركة السلم وحصل بينهم و بينه قتال خمس ساعات ثم انهزموا ورجعوا الى رهجان و رجع مولانا الشريف الى مكة ثم جاء الخبر انهم رجعوا الى العابدية فأرسل مولانا الشريف اليهم سرية أمر عليها أخاه الشريف عبد المعين ومعه مائة من الخيل وكثير من العساكر ثم اتبعه بجند آخر أمر عليه أخاه السيد عبد العزيز ففر القوم الذين بالعابدية حين علموا بخروج الجند اليهم وتوجهوا الى جبال هذيل ثم الى الطائف وعاملهم ثقيف فحاربوا الوكيل وملكوا الطائف ثم توجهوا الى رهاط لجمع بعض القبائل ثم أقبلوا بهم و بقبائل ثقيف فخرج مولانا الشريف لقتالهم بالابطح و وقعت ملحمة عظيمة ثم انهزموا وقبض مولانا الشريف باليد على السيد عبد الله بن سرور وأخيه محمد وتبدد ذلك الجمع فحبسهما أياما ثم أطلقهما وأرسلهما الى أمهاتهم واستقر الامر وهرب يحيى سلتوح الى ديار حرب ثم الى المدينة ثم الى دمشق وزور عروضا للدولة تتضمن طلب الملك للسيد عبد الله بن سرور وذهب بها الابواب السلطنة فلم يصادف قبولا ثم عاد الى مصر و بقي بها الى ان مات وفي شهر المحرم من سنة خمس بعد المائتين والالف غزا مولانا الشريف الاشراف ذوي حسن سكان الشاقة لانهم كانوا يقطعون طريق اليمن فصبحهم وأخذ مواشيهم وقتل منهم

## ﴿ابتداء فتنة الوهابية مع الرد عليهم بما يبطل ما ابتدعوه سنة ١٢٠٥﴾

وفي هذه السنة كان ابتداء الحرب والقتال بين مولانا الشريف غالب وطائفة الوهابية التابعين لمحمد ابن عبد الوهاب في عقيدته التي كفر بها المسلمين وينبغي قبل ذكر المحاربة والقتال ذكر ابتداء أمرهم

ثم ميم مفتوحة ثم هاء التأنيث * ثم تصل منها الى مزدلفة ثم تصل الى جبل خلف منى في قبليها ثم تنصب الى بئر عظيمة مطوية باحجار كبيرة جدا تسمى بئر زبيدة اليها ينتهي عمل هذه القناة وهي من الابنية المهولة مما يتوهم انه من بناء الجن * ثم صارت عين حنين وعين عرفات تنقطع لقلة الامطار وتهدم قنواتها وتخربها السيول بطول الايام وكانت الخلفاء والسلاطين اذا بلغهم ذلك أرسلوا وعمروها عند انتظام سلطنتهم على هذا المنوال فممن عمرها صاحب اربل وهو الملك الجليل مظفر الدين كوكبوري بن علي في سنة أربع وتسعين وخمسمائة وكوكبوري معناه بالتركي الذئب الازرق وكان كثير الخير والاحسان وله ترجمة واسعة في وفيات الاعيان لقاضي القضاة أحمد بن خلكان رحمهما الله تعالى ذكر له أوصافا كريمة ومكارم عظيمة ذكر منها عمارة عين عرفات وغيرها من جزيل الخيرات ثم عمرها صاحب اربل مظفر الدين المذكور في سنة خمس وستمائة * ثم عمرها بعد ذلك أمير المؤمنين المستنصر بالله العباسي في سنة خمس وعشرين وستمائة ثم في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ثم في سنة أربع وثلاثين وستمائة كما وجدت ذلك مكتوبا في نصب حجارة مبنية في قرب الموقف الشريف بعرفات * ثم بعد مائة عام تقريبا عمر عين حنين الامير جوبان نائب السلطنة بالعراقين في أيام السلطان أبي سعيد خدابنده في سنة ست وعشرين وتسعمائة فاجرى عين حنين الى مكة وعم نفعها لاهل مكة فانهم كانوا في جهد عظيم لقلة الماء فرحمهم الله بذلك رحم الله تعالى أهل الخير * ثم عمرها شريف مكة يومئذ السيد الشريف حسن جد ساداتنا أشراف مكة الآن أبقاهم الله تعالى وأدام عزهم وسعادتهم مدا الزمان فعلا وكان من أهل الخير والاحسان أجزل الله ثوابه في الجنان وكان تعميره لها في سنة احدى عشرة وثمانمائة فجرت وانفجرت ونفعت وأبهجت وكثر الدعاء له من أهل البلاد والحجاج والعباد تقبل الله منهم صالح أعمالهم * ثم انقطعت ولقي الناس لذلك شدة شديدة الى ان عمرها صاحب مصر من ملوك الجراكسة الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي في سنة احدى وعشرين وثمانمائة هكذا ذكره الفاسي في الفاسي رحمه الله تعالى * ثم عمرها وعمر عين عرفات أيضا بعد ذلك من ملوك الجراكسة السلطان الملك الاشرف قايتباي رحمه الله تعالى عمر عين عرفات وأجراها الى أرض عرفات وعمر عين حنين الى أن جرت الى مكة وعمر عين خليص وحصل بها

وحقيقة حالهم فان فتنتهم من أعظم الفتن التي ظهرت في الاسلام طاشت من بلاياها العقول وحار فيها أرباب المعقول وكان ابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين واشتهر أمره بعد الخمسين فاظهر العقيدة الزائغة بنجد وقرأها فقام بنصرته واظهار عقيدته محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب فحمل أهلها على متابعة محمد بن عبد الوهاب فيما يقول فتابعه أهلها وسيأتي ذكر شيء من عقيدته التي حمل الناس عليها ومازال يطيعه على هذا الامر كثير من أحياء العرب حي بعد حي حتى قوي أمره فخافته البادية وكان يقول لهم انما أدعوكم الى التوحيد وترك الشرك بالله فكانوا يمشون معه حيثما مشى ويأتمرون له بما شا حتى اتسع له الملك وكانوا في مبدا أمورهم قبل اتساع ملكهم وتطاير شرورهم رام واحج البيت الحرام وكان ذلك في دولة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد فارسلوا يستأذنونه في الحج وأرسلوا قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ظنا منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الكذب والمين وطلبوا الاذن في الحج ولو بقدر يدفعونه كل عام وكان أهل الحرمين يسمعون بظهورهم في الشرق وفساد عقائدهم ولم يعرفوا حقيقة ذلك فامر مولانا الشريف مسعود ان يناظر علماء الحرمين العلماء الذين أرسلوهم فناظروهم فوجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة ونظروا الى عقائدهم فاذا هي مشتملة على كثير من المكفرات فبعد أن أقاموا عليهم البرهان والدليل أمر الشريف مسعود قاضي الشرع ان يكتب حجة بكفرهم الظاهر ليعلم به الاول والآخر وأمر بسجن أولئك الملاحدة الانذال ووضعهم في السلاسل والاغلال فسجن منهم جانبا وفر الباقون ووصلوا الى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا فعتا أمرهم واستكبروا ونأى عن هذا المقصد وتأخر حتى مضت دولة الشريف مسعود وأقيم بعده أخوه الشريف مساعد بن سعيد فارسلوا في مدته يستأذنون في الحج فابى وامتنع من الاذن لهم فضعفت عن الوصول مطامعهم فلما مضت دولة الشريف مساعد وتقلد الامر أخوه الشريف أحمد ابن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائه كما أرسل في المدة السابقة فلما اختبرهم علماء مكة وجدوهم لا يتدينون الا بدين الزنادقة وابى أن يقر لهم في حمى البيت الحرام قرار ولم يأذن لهم في الحج بعد ان ثبت عند العلماء انهم كفار كما ثبت في دولة الشريف مسعود فلما ان ولي الشريف سرور أرسلوا أيضا يستأذنونه في زيارة البيت المعمور فاجابهم بأنكم ان أردتم الوصول آخذ منكم في كل سنة وعام صرمة مثل ما نأخذها من الاعجام وآخذ منكم زيادة على ذلك مائة من الخيل الجياد فعظم عليهم تسليم هذا المقدار وان يكونوا مثل العجم فامتنعوا من الحج في مدته كلها فلما توفي وتولى سيدنا الشريف غالب أرسلوا أيضا يستأذنون في الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم وجعل ذلك القول

الرفق للحجاج وأهل البلاد ودعوا له وأثنوا عليه بذلك وباحساناته وكثرة خيراته ضاعف الله تعالى أجره ومثوباته وذلك بمباشرة الامير يوسف الجمالي وأخيه الامير سنقر الجمالي رحمهما الله تعالى في سنة خمس وسبعين وثمانمائة * ثم عمر عين حنين آخر ملوك الجراكسة السلطان قانصوه الغوري رحمه الله تعالى في عام ست عشرة وتسعمائة على يد الامير خيربك العمار رحمه الله تعالى الى أن جرت وملأت بركة الحجاج والمعلاة ثم جرت الى باران ثم الى بركة ماجن في درب اليمن من أسفل مكة وارتفق الناس بذلك ثم انقطعت في أوائل الدولة العثمانية بهذه الاقطار الحجازية وبطلت العيون وتهدمت قنواتها وانقطعت عين حنين عن مكة المشرفة وصار أهل البلاد يستقون من الآبار حول مكة من أبيار يقال لها العسيلات  في علو مكة قريب من المنحنى ومن آبار في أسفل مكة من مكان يقال له الزاهر ويسمى الآن الجوخي في طريق التنعيم وكان الماء غاليا قليل الوجود وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها وكان الحجاج يحملون الماء الى عرفات من الامكنة البعيدة وصار فقراء الحجاج يوم عرفة لا يطلبون شيأ غير الماء لعزته ولا يطلبون الزاد وربما جلبه بعض الاقوياء من الاماكن البعيدة للبيع فيحصلون أموالا من تلك الاماكن البعيدة أيضا فارتفع سعر الماء جدا في يوم عرفة وكنت يومئذ مراهقا في خدمة والدي رحمه الله تعالى وفرغ الماء الذي كنا حملناه من مكة الى عرفات وعطش أهلنا فطلبت قليلا من الماء للشرب فاشتريت قربة صغيرة جدا يحملها الانسان باصبعه بدينار ذهب والفقراء يصيحون من العطش يطلبون من الماء ما يبل حلوقهم في ذلك اليوم الشريف فشرب أهلنا بعض تلك القربة وتصدقوا بباقيه على بعض من كان مضطرا من الفقراء وعطشنا عقيبه وجاء وقت الوقوف الشريف والناس عطاش يلهثون فامطرت السماء وسالت السيول من فضل الله تعالى ورحمته والناس واقفون تحت جبل الرحمة فصاروا يشربون من السيل من تحت أرجلهم ويسقون دوابهم وحصل البكاء الشديد والضجيج الكثير من الحجاج في وقت الوقوف لما رأوا من رحمة الله تعالى ولطفه بهم واحسانه اليهم وتكرمه عليهم ولا أزال أتذكر تلك الساعة وما حصل بها من اللطف العظيم من كرم الله العميم وأرجو به كرم الكريم وأتيقن انه الغفور الرحيم الذي أنزل على عباده الرحمة من بعد ما قنطوا وبرزت الاوامر الشريفة السلطانية السليمانية باصلاح عين

فعلا فجهز عليهم جيشا في سنة ألف ومائتين وخمسة واتصلت بينهم المحاربات والغزوات الى أن انقضى تنفيذ مراد الله فيما أراد وسيأتي شرح تلك الغزوات والمحاربات بعد توضيح ما كانوا عليه من العقائد الزائغة التي كان تأسيسها من محمد بن عبد الوهاب وقد عاش من العمر سنين حتى كاد أن يعد من المنظرين فان ولادته كانت سنة ألف ومائة واحدى عشرة ووفاته سنة ألف ومائتين وسبعة وأرخ بعضهم وفاته بقوله (بها هلاك الخبيث) فعمره اثنتان وتسعون سنة وخلف أولادا أخبث

٦٤ ١١٤٣ (أعني سنة ١٢٠٧)

منه قاموا بنشر دعوته بعده وأولاده هم عبد الله وحسن وحسين وعلي وكان عبد الله الاكبر فقام بالدعوة بعد أبيه وخلف سليمان وعبد الرحمن وكان سليمان متعصبا تعصبا شديدا في أمرهم قتله ابراهيم باشا سنة ثلاث وثلاثين وعبد الرحمن قبض عليه وأرسله الى مصر فعاش مدة ثم مات بمصر وأما حسن بن محمد بن عبد الوهاب فخلف عبد الرحمن وولي قضاء مكة في بعض السنين التي كانوا يحكمون فيها بمكة وعمر عبد الرحمن هذا حتى قارب المائة ومات قريبا وخلف عبد اللطيف وأما حسين بن محمد ابن عبد الوهاب فخلف أولادا كثيرين وكذا علي بن محمد بن عبد الوهاب خلف أولادا كثيرين ولم يزل نسلهم باقيا الى الآن بالدرعية يسمونهم أولاد الشيخ وكان القائم بنصرة محمد بن عبد الوهاب ونشر عقيدته محمد بن سعود ولما مات قام بعده بالامر ولده عبد العزيز ثم ولده سعود وكان محمد بن عبد الوهاب في ابتداء أمره من طلبة العلم وكان يتردد على مكة والمدينة وأخذ عن كثير من علماء مكة والمدينة وممن أخذ عنه من علماء المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح مختصر بافضل في مذهب الشافعي وأخذ أيضا عن الشيخ محمد حياة السندي من أكابر علماء الحنفية بالمدينة وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من أشياخه الذين أخذ عنهم يتفرسون فيه الالحاد والضلال ويقولون سيضل هذا ويضل الله به من أبعده وأشقاه فكان الامر كذلك وما أخطأت فراستهم فيه وكذا والده عبد الوهاب فانه كان من العلماء الصالحين فكان يتفرس فيه الالحاد ويذمه كثيرا ويحذر الناس منه وكذا أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب فانه أنكر عليه ما أحدثه من البدع والضلال والعقائد الزائغة وألف كتابا في الرد عليه وكان في أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب وسجاح والاسود العنسي وطليحة الاسدي واضرابهم فكان يضمر في نفسه دعوى النبوة ولو أمكنه اظهار هذه الدعوى لاظهرها وكان يسمي جماعته من أهل بلده الانصار ويسمي من اتبعه من الخارج المهاجرين واذا اتبعه أحد وكان قد حج حجة الاسلام يقول له حج ثانيا فان حجتك الاولى فعلتها وأنت مشرك فلا تقبل ولا تسقط عنك الفرض واذا أراد

حنين وانلاح عين عرفات وعين لها ناظرا اسمه مصلح الدين مصطفى من المجاورين بمكة فبذل جهده في عمارتها وأصلح قناتها الى أن
جرت عين مكة ودخلتها وجرت من أسفلها من بركة ماجن وأصلح عين عرفات وأجراها الى أن صارت تملأ البرك بعرفات وذلك في
سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وصار الحجاج يروون من ذلك الماء العذب الفرات بعد ذلك العطش الشديد في يوم عرفات ويدعون
لمن كان سببا لاجراء هذه الخيرات • ثم اشترى ناظر العين عبيدا سودا من مال السلطنة وجعل لهم جرايات وعلوفات من خزائن
السلطنة الشريفة برسم خدمة العين ولاخراج أتربتها من الدبول والقنوات وهذه خدمتهم دائما وصاروا يتوالدون وهم باقون الى
الآن طبقة بعد طبقة لهذه الخدمة ثم توجه  مصطفى ناظر العين الى الابواب السلطانية السليمانية وعرض
في أمر العين أحوالا يجب
عرضها فأجيب في كل
ماسال فيه وعاد مجبورا الى
مصر ثم ركب من بندر
السويس الى مكة فغرق في
بحر القلزم شهيدا وما غرق
الا في رحمة الله تعالى وما
مات بل هو حي عند الله
تعالى • وكانت وفاته الى
رحمة الله تعالى في سنة
سبع وثلاثين وتسعمائة
واستمرت عين حنين جارية
الى مكة لكنها تقل تارة
وتكثر أخرى بحسب قلة
الامطار وكثرتها وعين
عرفات تجري من نعمان
الى عرفات الى أن صارت
عرفات بساتين وغرس بها
الغروس وصارت مرجة
خضراء تتجلى كالعروس
الى أن قلت الامطار ويبست
العيون ونزحت الآبار في
سنين متعددة من سنة
خمس وستين وتسعمائة
وما بعدها وكانت سنوات
تقارب سني يوسف شدادا
عجافا وانقطعت العيون
الا عين عرفات فانها لم تنقطع الا أنه قل جريانها في تلك السنوات ﴿ولما عرضت﴾ أحوال العيون صحيحه
الى الابواب الشريفة السلطانية السليمانية التفت الخاطر السليماني العاطر السلطاني وتوجه العطف الشريف السليماني الى
تدارك ذلك بأي وجه يكون وأمر بالفحص عن أحوال العيون وكيف يمكن جريانها الى بلد الله الأمين المأمون فاجتمع المرحوم
عبد الباقي بن علي المغربي قاضي مكة يومئذ والأمير خير الدين خضر سنجق جدة المعمورة حينئذ وغيرهما من الاعيان وتفحصوا
وداروا وتأملوا واستشاروا فأجمع رأيهم على أن أقوى العيون عين عرفات وطريقها ظاهرة ودبولها من بئر زبيدة الى مكة مبنية
أيضا وانها مخفية تحت الأرض وانما تحتاج الى الكشف عنها والحفر الى أن تظهر لأن زبيدة لما بنيت الدبول من عرفة الى بئرها

أحد أن يدخل في دينه يقول له بعد الاتيان بالشهادتين اشهد على نفسك انك كنت كافرا واشهد
على والديك أنهما ماتا كافرين وأشهد على فلان وفلان ويسمي له جماعة من أكابر العلماء الماضين
انهم كانوا كفارا فان شهدوا قبلهم والا أمر بقتلهم وكان يصرح بتكفير الامة من منذ ستمائة
سنة وكان يكفر كل من لا يتبعه وان كان من أتقى المتقين فيسميهم مشركين ويستحل دماءهم
وأموالهم ويثبت الايمان لمن اتبعه وان كان من أفسق الفاسقين وكان ينتقص النبي صلى الله عليه
وسلم كثيرا بعبارات مختلفة ويزعم ان قصده المحافظة على التوحيد فمنها انه يقول انه طارش وهو في
لغة أهل الشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم الى آخرين يعني انه صلى الله عليه وسلم حامل كتب
مرسلة معه أي غاية أمره انه كالطارش الذي يرسله الامير أو غيره في أمر لاناس ليبلغهم اياه ثم
ينصرف ومنها انه كان يقول نظرت في قصة الحديبية فوجدت بها كذا كذا كذبة الى غير ذلك مما
يشبه هذا حتى ان أتباعه كانوا يفعلون ذلك أيضا ويقولون مثل قوله بل يقولون أقبح مما يقوله
ويخبرونه بذلك فيظهر الرضا وربما انهم تكلموا بذلك بحضرته فيرضى به حتى ان بعض أتباعه
كان يقول عصاي هذه خير من محمد لانها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه
نفع أصلا وانما هو طارش ومضى قال بعض العلماء ان ذلك كفر في المذاهب الاربعة بل هو كفر
عند جميع أهل الاسلام ومن ذلك انه كان يكره الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويتأذى
بسماعها وينهى عن الاتيان بها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنائر ويؤذي من يفعل ذلك
ويعاقبه أشد العقاب حتى انه قتل رجلا أعمى كان مؤذنا صالحا ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم في المنارة بعد الاذان فلم ينته وأتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم فأمر بقتله فقتل ثم قال ان الربابة في بيت الخاطئة يعني الزانية أقل اثما ممن ينادي بالصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم في المنائر ويلبس على أصحابه وأتباعه بان ذلك كله محافظة على التوحيد
فما أفظع قوله وما أشنع فعله وأحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم ويتستر بقوله ان ذلك بدعة وانه يريد المحافظة على التوحيد وكان يمنع أتباعه من مطالعة
كثير من كتب الفقه والتفسير والحديث وأحرق كثيرا منها واذن لكل من تبعه أن يفسر القرآن
بحسب فهمه حتى همج الهمج من أتباعه فكان كل واحد منهم يفعل ذلك ولو كان لا يحفظ شيأ من
القرآن حتى صار الذي لا يقرأ منهم يقول لمن يقرأ اقرأ لي شيأ من القرآن وأنا أفسره لك فاذا قرأ
له شيأ يفسره وأمرهم أن يعملوا بما فهموه ومنه وجعل ذلك مقدما على كتب العلم ونصوص العلماء
وعمل في تكفير الناس بآيات نزلت في المشركين فحملها على الموحدين وقد روى البخاري في

المشهور خلف منى الذى جميعها ظاهر على وجه الارض فالباقى أيضا من ذلك المحل الى مكة مبنى أيضا الا أنه خاف تحت الارض واستغنى عنها بعين حنين وتركت هذه وتبشت وطمت وغفل عنها هكذا ظنوا وخمنوا ثم انهم تتبعوا عين عرفات من أولها من الاوجر الى نعمان ثم الى عرفة ثم الى المزدلفة ثم الى بئر زبيدة وأصلحوا هذه الدبول الظاهرة وكشفوا عن الباقى وبنوا ما وجدوا منها منهدما ورمموا الباقى احتاجوا الى ثلاثين ألف دينار ذهبا وذرعوه وقاسوه فكان من الاوجر الى بطن مكة خمسا وأربعين ألف ذراع بذراع البناء الآن وهو أكبر من الذراع الشرعى بقدر ربعه وهذا الذى تخيلوه من وجود بقية الدبل تحت الارض لم يوجد فى كتب التاريخ وانما أداهم الى ذلك مجرد الظن بحسب القرائن وعرضوا ذلك الى الباب الشريف فى أوائل سنة تسع وستين وتسعمائة فلما وصل علم ذلك الى المسامع الشريفة السلطانية السليمانية التمست صاحبة الخيرات الكاملة المخدرات تاج المحصنات ملكة الملكات قدسية الملكات علية الذات صفية الصفات ذات العلا والسعادات ﴿حضرة خانم سلطان﴾ كريمة حضرة السلطان الأعظم سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان أن يأذن لها فى عمل هذا الخير حيث كانت صاحبة هذا الخير أولا أم جعفر زبيدة العباسية فناسب ان تكون هى صاحبة هذا الخير فأذن لها فى ذلك فاستشارت الحضرة السلطانية وزراء ديوانها الشريف العالى فيمن يصلح لهذه الخدمة فاتفقت آراؤهم الشريفة أن هذه الخدمة لا يقوم بها الا دفتردار ديوان مصر الامير الكبير المعظم فائض الجود والفضل والكرم صاحب السيف والقلم والعلم والعلم ﴿الامير ابراهيم بن تغرى بردى﴾ الهمندار ثم الدفتردار بمصر بوأه الله جنات تجرى من تحتها الانهار وسقاه من حوض الكوثر زلالا باردا يطفئ كل أوام وأوار وكان يومئذ قد عزل من منصب الدفترداريه وأمر بالتفتيش عليه عن أيام دفترداريته فعفى من التفتيش وأعطته السلطانة خمسين ألف دينار ذهب على ما خمنوه ليصرفها فى عمل هذه العين فتوجه من البحر الى مكة المشرفة بتجمل عظيم وبرق كثير وترتيب يعجز عنه كبار البكلاربكية وكان ذا همة عالية واقدام عظيم واهتمام تام وكرم نفس وشهامة وحسن تدبير ومعرفة وحذاقة وفطنة وكان بينى وبينه سابقة اجتماع وما رأيت أحدا من الامراء والوزراء والبكلاربكية مع كثرة من اجتمعت به منهم أجل نظاما ولا أحسن ترتيبا

---

محيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فحملوها فى المؤمنين وفى رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف على أمتى رجل متأول للقرآن يضعه فى غير موضعه فهذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب ومن تبعه ومما يدعيه محمد بن عبد الوهاب انه أتى بدين جديد كما ظهر من أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا لم يقبل من دين نبينا صلى الله عليه وسلم الا القرآن مع أنه انما قبله ظاهرا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فينكشفوا عليه بدليل انه هو وأتباعه انما يؤولونه بحسب ما يوافق أهواءهم لا بحسب ما فسره النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير فانه لا يقول بذلك كما انه لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وأقاويل الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين ولا بما استنبطه الائمة من القرآن والحديث ولا يأخذ بالاجماع ولا القياس الصحيح وكان يدعى الانتساب الى مذهب الامام أحمد رضى الله عنه كذبا وتسترا وزورا والامام أحمد برىء منه ولذلك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين له للرد عليه وألفوا فى الرد عليه رسائل كثيرة حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة فى الرد عليه وأعجب من ذلك أنه كان يكتب الى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين اجتهدوا بحسب فهمكم ونظركم واحكموا بما ترونه مناسبا لهذا الدين ولا تلتفتوا لهذه الكتب فان فيها الحق والباطل وقتل كثيرا من العلماء والصالحين وعوام المسلمين لكونهم لم يوافقوه على ما ابتدعه وكان يقسم الزكاة على ما يأمره به شيطانه وهواه وكان أصحابه لا ينتحلون مذهبا من المذاهب بل يجتهدون كما كان يأمرهم ويتسترون ظاهرا بمذهب الامام أحمد رضى الله عنه ويلبسون بذلك على العامة وكان ينهى عن الدعاء بعد الصلاة ويقول ان ذلك بدعة وانكم تطلبون أجرا على الصلاة وأمر القائم بدينه عبد العزيز بن سعود أن يخاطب المشرق والمغرب برسالة يدعوهم الى التوحيد وانهم عنده مشركون شركا أكبر يستبيح به الدم والمال فكان ضابط الحق عنده ما وافق هواه وان خالف النصوص الشرعية واجماع الائمة وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه وان كان على نص جلى أجمعت عليه الامة وكان يقول فى كثير من أقوال الائمة الاربعة ليست بشئ وتارة يتستر ويقول ان الائمة على حق ويقدح فى أتباعهم من العلماء الذين ألفوا فى المذاهب الاربعة وحرروها ويقول انهم ضلوا وأضلوا وتارة يقول ان الشريعة واحدة فما لهؤلاء جعلوها مذاهب أربعة هذا كتاب الله وسنة رسوله لا نعمل الا بهما ولا نقتدى بقول مصرى وشامى وهندى يعنى بذلك أكابر علماء الحنابلة وغيرهم ممن لهم تأليف فى الرد عليه واحتجوا فى الرد عليه بنصوص الامام أحمد رضى الله عنه

انتظاما ولا أدق فكرا ولا أعلى همة ولا أسد وفاء منه رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة وبوأه الفردوس الاعلى وأرضى عنه خصماءه يوم القيامة وكان وصوله الى بندر جدة في يوم الجمعة لثمان بقين من ذي القعدة الحرام سنة تسع وستين وتسعمائة فتوجهت الى ملاقاته لسابق احسانه الى فرأيته نزل بوطاقه من خارج جدة من الجهة الشامية فقابلني بالاجلال والاكرام وركب من جدة لي سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي نجم الدنيا والدين محمد أبي نمي خلد الله سعادته وأبد دولته وسيادته وكان يومئذ نازلا في مر الظهران فقابله بالاجلال والتعظيم والترحيب والتكريم ومد له سماطا عظيما ولاطفه وواكله وأكرمه وباسطه وجابره (٢٣٢) فعرض على حضرته الشريفة ما جاء بصدده فقوبل بامتثال الامر الشريف السلطاني وبذل الهمة والجهد في اتمام المهم المنيف الخاقاني وانه يقوم بذلك بنفسه وولده واتباعه وخدمه ثم ركب من عند دخوله الى مكة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن أبو نمي صاحب مكة أدام الله عزه وسعادته وضاعف نصره وتأييده وسيادته وأبد له الاجلال والاكرام وقابله بالترحيب والاحترام وجابره ولاطفه وباسطه ووالفه وأقبل كل منهما على الآخر كل الاقبال وتحادثا بغاية الأدب والاجلال واستمر معه الى أن فارقه من باب السلام فدخل المسجد الحرام فطاف طواف القدوم وكان محرما بالحج وسعى بين الصفا والمروة وعاد الى مخيم قايتباي وهو المحل الذي عين لنزوله

ومد له من قبل السيد حسن مد الله تعالى ظلال سعادته سماط عظيم جليل كبير جلس عليه وأكل الله الله منه هو وخواصه وأذن لأهل الرباط والفقراء وأتباعهما وعامة الناس فأكلوا وحملوا وفضل شيء أمر بتفريقه على الفقراء وألبس الذي مد السماط قفطانا من السراسر العال وأعطاه ذهبا كثيرا * ثم جاء للسلام عليه سيدنا ومولانا رئيس الحرمين الشريفين وكبير البلدين المنيفين شيخ الاسلام مرجع العلماء الاعلام سيد السادات ببلد الله الحرام بدر الدنيا والدين مولانا السيد القاضي حسين الحسيني أدام الله عزه واقباله وخلد سعادته ودولته واجلاله ففرح به الامير ابراهيم وقابله بالاجلال والتعظيم فعرض عليه أموره وأحواله واستشاره في سائر ما بدا له من أحواله فأشار عليه بالآراء الصائبة وأعلمه بما ينبغي رعايته ومراعى جانبه وما

وكان يخطب للجمعة في مسجد الدرعية ويقول في كل خطبة ومن توسل بالنبي فقد كفر وكان أخوه الشيخ سليمان ينكر عليه انكارا شديدا في كل ما يفعله أو يأمر به ولم يتبعه في شيء مما ابتدعه وقال له أخوه سليمان يوما كم أركان الاسلام يا محمد بن عبد الوهاب فقال خمسة فقال بل أنت جعلتها ستة السادس من لم يتبعك فليس بمسلم هذا ركن سادس عندك للاسلام وقال رجل آخر يوما لمحمد ابن عبد الوهاب كم يعتق الله كل ليلة في رمضان فقال له يعتق في كل ليلة مائة ألف وفي آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشهر كله فقال له لم يبلغ من تبعك عشر عشر ما ذكرت فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن تبعك فبهت الذي كفر ولما طال النزاع بينه وبين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل الى المدينة وألف رسالة في الرد عليه وأرسلها له فلم ينته وقال له رجل مرة وكان رئيسا على قبيلة لا يقدر أن يسطو به ما تقول اذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة وأنت تعرف صدقه بأن قوما كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلاني فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا للقوم أثرا ولا أحد منهم جاء تلك الارض أصلا تصدق الالف أم الواحد الصادق عندك فقال أصدق الالف فقال له ان جميع المسلمين من العلماء الاحياء والاموات في كتبهم يكذبون ما أتيت به ويزيفونه فنصدقهم ونكذبك فلم يعرف جوابا لذلك وقال له رجل آخر هذا الدين الذي جئت به متصل أم منفصل فقال له حتى مشايخي ومشايخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون فقال له الرجل اذن دينك منفصل لا متصل فممن أخذته فقال وحي الهام كالخضر فقال له اذن ليس ذلك محصورا فيك كل أحد يمكنه ان يدعي وحي الالهام الذي تدعيه ثم قال له ان التوسل مجمع عليه عند أهل السنة حتى ابن تيمية فانه ذكر فيه وجهين ولم يذكر ان فاعله يكفر حتى الرافضة والخوارج والمبتدعة كافة فانهم قائلون بصحة التوسل به صلى الله عليه وسلم فلا وجه لك في التكفير أصلا فقال محمد بن عبد الوهاب ان عمر استسقى بالعباس فلم يستسق بالنبي صلى الله عليه وسلم ومقصد محمد بن عبد الوهاب بذلك ان العباس كان حيا وان النبي صلى الله عليه وسلم ميت فلا يستسقى به فقال له ذلك الرجل هذا حجة عليك فان استسقاء عمر بالعباس انما كان لاعلام الناس صحة التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تحتج باستسقاء عمر بالعباس وعمر هو الذي روى حديث توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يخلق فالتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم كان معلوما عند عمر وغيره وانما أراد عمر أن يبين للناس ويعلمهم صحة التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم فبهت وتحير وبقي على عماوته ومن قبائحه الشنيعة انه منع الناس من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبعد منعه خرج أناس من الاحساء وزاروا النبي صلى

يجب عليه ملاحظته من الامور اللازمة الواجبة ﴿وأول ما بدأ به الامير ابراهيم﴾ تنظيف بعض الآبار التى يستقى الناس منها واخراج ترابها وزيادة حفرها الكثر ماؤها وحصل للناس بذلك رفق كثير وشرع فى جمع ما يحتاج اليه فى عمله وتوجه للكشف عنه الى أعلا عرفات وكثر تردده اليها وتفطنه لمجاريها ومنافذها ومشاربها ومساربها والفحص عن أحوالها الى أن وصل الركب المصرى وكان أمير الحاج يومئذ افتخار الامراء الكرام عثمان بك بن بكار بكى اليمن بكار بكى الحبشة ازدمر باشا وصار بعد ذلك عثمان بكار بكى الحبشة بعد وفاة والده وصار بكار بكى اليمن وأظهر اليد البيضاء فى افتتاح مدينة تغر * ثم صار بكار بكى الحسائم البصرة ثم قره آمد وهو من البكاربكية الكرماء العظماء المتجملين المشهورين بالكرم والشجاعة أبقاه الله تعالى ووصل الى مكة قاضيا فى ذلك الموسم مع الركب الشامى وهو أعلم العلماء الموالى أفضل الفضلاء الاهالى مولانا فضيل أفندى ابن مولانا على جلبى المفتى الجمالى وهو من أجلاء العلماء العظام له التصانيف الحسنة المقبولة وهو الآن أوتراق فى الباب العالى مد الله تعالى ظلال افضاله وأفاض على الطلاب سحائب فضله وكماله وحج الناس حجة هنيئة وحج الامير ابراهيم فرض حجه وعاد الحجاج الى أوطانهم فائزين بالغفران والقبول حائزين لكل مطلب ومأمول * وشرع الامير ابراهيم فى الكشف عن دبول عين عرفات وضرب أوطاقه فى الاوجر من أودية نعمان فى علو عرفات وشرع فى حفر قعرها وتنظيف دبولها بهمة عالية جدا وكانت مماليكه القائمون فى خدمته نحو أربعمائة مملوك فى غاية الجمال والرشاقة والحذاقة واللياقة وأقامهم فى هذا العمل من الاوجر الى مزدلفة وكتب نحو ألف نفس من العمال والبنائين والمهندسين والحفارين وجلب من مصر و بلاد الصعيد ومن الشام وحلب واصطنبول ومن بلاد اليمن طوائف بعد طوائف من المهندسين وخدام العيون والآبار والحدادين والبنائين والحجارين والقطاعين والنجارين وغيرهم ممن يحتاج اليهم وأتى بآلات العمارة وصحبها معه من مصر من مكاتل ومساح ومجاريف وحديد و بولاد ونحاس ورصاص وغير ذلك من الهمة القوية والاقدام التام والاهتمام وعين لكل طائفة قطعة من الارض لحفرها وتنظيف ما فيها عن الدبول ليظهر فيها سعيه واجتهاده وكان يظن انه يفرغ من هذا العمل الذى جاء بصدده فيما دون العام و يرجع الى الابواب

الله عليه وسلم و بلغه خبرهم فلما رجعوا امر واعليه فى الدرعية فأمر بحلق لحاهم ثم أركبهم مقلوبين من الدرعية الى الاحساء و بلغه مرة ان جماعة من الذين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا الزيارة والحج وعبروا على الدرعية فسمعه بعضهم يقول لمن تبعه خلوا المشركين يسيرون طريق المدينة والمسلمين يعنى جماعته يخلفون معنا والحاصل انه لبس على الاغبياء ببعض الاشياء التى توهمهم باقامة الدين وذلك مثل أمره للبوادى باقامة الصلاة والجماعة ومنعهم من النهب ومن بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط وكتأمين الطرق والدعوة الى التوحيد فصار الاغبياء الجاهلون يستحسنون حاله وحال اتباعه و يغفلون ويذهلون عن تكفيرهم الناس من منذ ستمائة سنة وعن استباحتهم أموال الناس ودماءهم وانتهاكهم حرمة النبى صلى الله عليه وسلم بارتكابهم أنواع التحقير له ولمن أحبه وغير ذلك من قبائحهم التى ابتدعوها وكفروا الامة بها وقد اعتنى كثير من العلماء من أهل المذاهب الاربعة بالرد عليهم فى كتب مبسوطة عملا بقول النبى صلى الله عليه وسلم اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين و بقوله صلى الله عليه وسلم ما ظهر أهل بدعة الا أظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه فلذلك انتدب للرد عليه علماء المشرق والمغرب من أهل المذاهب الاربعة وسألوه عن مسائل يعرفها أقل طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها فممن ألف فى الرد عليه العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق فانه ألف كتابا فى الرد عليه سماه تهكم المقلدين بمدعى تجديد الدين ورد عليه فى كل مسئلة من مسائله التى ابتدعها وسأله عن أشياء تتعلق بالعلوم الشرعية والادبية بسؤالات كتبها وأرسلها له فعجز عن الجواب عن أقلها فضلا عن أجلها فمن جملة ما سأله عنه قوله أسألك عن قوله تعالى والعاديات ضبحا الى آخر السورة التى هى من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية وكم فيها من مجاز مرسل ومجاز مركب واستعارة حقيقية واستعارة وفاقية واستعارة تبعية واستعارة مطلقة واستعارة مجردة واستعارة مرشحة وأين موضع الترشيح أو التجريد والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وما فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب وما فيها من المجمل والمفصل وما فيها من الايجاز والاطناب والمساواة والاسناد الحقيقى والاسناد المجازى المسمى بالمجاز الحكمى والعقلى وأى موضع فيها وضع المضمر موضع المظهر و بالعكس وأين موضع ضمير الشان وموضع الالتفات وموضع الفصل والوصل وكمال الاتصال وكمال الانقطاع والجامع بين جملتين متعاطفتين ومحل تناسب الجمل ووجه التناسب ووجه كماله فى الحسن والبلاغة وما فيها من ايجاز قصر وايجاز حذف وما فيها من احتراس وتتميم و بين لنا موضع كل ما ذكر وغير ذلك من

السلطانية لينال المناصب العالية ويظفر بالمراتب السامية ويأبى الله الا ما أراد وما كل ما يتمنى المريد يدركه من المراد وألسنة الاقدار تناديه من وراء الحجاب كيف الخلاص والى أين الذهاب واستمر على هذا الجد والاجتهاد الى ان اتصل عمله بعمل زبيدة الى البئر التي انتهى عملها اليها ولم يوجد بعده دبل ولا آثار عمل وضاق ذرعه بذلك وعلم أن الخطب كبير والعمل كثير وتحقق أن القدر الباقي من هذا العمل اغا تركته زبيدة اضطرارا بغير اختيار وعدلت عنه الى عين حنين وتركت العمل من عند البئر اصالة بالحجر وصعوبة امكان قطعه وطول مسافة ما يجب قطعه فانه يحتاج من بئر زبيدة الى دبل منقور تحت الارض في الحجر الصوان طوله ألفا ذراع بذراع البنائين حتى يتصل بدبل عين حنين وينصب فيه ويصل الى مكة ولا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الحجر فانه يحتاج في النزول الى خمسين ذراعا في العمق وصار لا يمكن ترك ذلك بعد الشروع فيه حفظا لناموس السلطنة الشريفة فما وجد الامير ابراهيم حيلة غير ان يحفر وجه الارض الى أن يصل الى الحجر الصوان ثم يوقد عليه بالنار مقدار مائة حمل من الحطب الجزل ليلة كاملة في مقدار سبعة أذرع في عرض خمسة أذرع من وجه الارض والنار لا تعمل الا في العلو لكونها تعمل عملا يسيرا من جانب السفل مقدار قيراطين من أربعة وعشرين قيراطا من ذراع فيكسر بالحديد الى أن يوصل الى الحجر الصلب الشديد فيوقد عليه بالحطب الجزل ليلة أخرى الى أن ينزل في ذلك الحجر مقدار خمسين في العمق في عرض خمسة أذرع الى أن يستوفي ألفي ذراع على هذا الحكم وذلك يحتاج الى عمر نوح ومال قارون وصبر أيوب وما رأى عن ذلك محيصا فأقدم عليه الى أن فرغ الحطب من جميع جبال مكة فصار يجاب من المسافات البعيدة وغلا سعره وضاق الناس بذلك وتعب الامير ابراهيم لذلك وذهبت أمواله وخدامه وأولاده ومماليكه على ذلك الى أن قطع من المسافة ألف ذراع وخمسمائة ذراع بالعمل وصار كلما فرغ المصروف ارسل وطلب مصروفا آخر الى أن صرف أكثر من خمسمائة ألف دينار ذهبا من الخزائن العامرة السلطانية وغرق له مركب كان فيه باقي تجملاته وخزائنه ونقوده وفيه جملة من عبيده وأسبابه وكان ينوف عن مائة ألف ذهب في ابتداء أمره ثم مات له ولد طفل نجيب كان خلفه بمصر احترق عليه كثيرا

فيهم

وجوه الاعجاز ومن طرق التحدي التي اشتملت عليه هذه السورة مما هو منصوص على جميعه في كتب العلماء فلم يقدر محمد بن عبد الوهاب على الجواب عن شئ مما سأله عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق جزاه الله خيرا وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة فكانت تلك الاحاديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم حيث كانت من الاخبار بالغيب وتلك الاحاديث صحيحة بعضها في الصحيحين وبعضها في غيرهما فمنها قوله صلى الله عليه وسلم الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا وأشار الى المشرق وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه يعني موضع الوتر سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسيؤن الفعل يقرؤن القرآن لا يجاوز ايمانهم تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يعود السهم الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شئ من قتلهم كان أولى بالله منهم سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم سيخرج في آخر الزمان قوم احداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون قول خير البرية يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم أناس من أمتي سيماهم التحليق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق والخليقة وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم رأس الكفر نحو المشرق والفخر والخيلاء في أهل الخيل والابل وقوله صلى الله عليه وسلم من ههنا جاءت الفتن وأشار نحو المشرق وقوله صلى الله عليه وسلم غلظ القلوب والجفاء بالمشرق والايمان في أهل الحجاز وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا يا رسول الله وفي نجدنا قال في الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال وفي قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه لانهم كانوا يأمرون من اتبعهم ان يحلق رأسه لا يتركونه يفارق مجلسهم اذا اتبعهم حتى يحلق رأسه ولم يقع مثل ذلك قط من أحد من الفرق الضالة التي مضت قبلهم ان يلتزموا مثل ذلك فالحديث صريح فيهم

ومات له ولدان مراهقان نجيبان فاضلان أخذا بمجامع قلبه وفتتا كبده ثم مات كتخداه وكان بمنزلة أمراء الصناجق ثم مات أكثر مماليكه وهو يتجلد لتلك المصائب العظيمة ويتصبر عليها ويظهر الجلد فيها الى أن ذهبت قواه وما بقي رمقه ولا دماه وزفه الاسهال ورمته الأهوال وجاءه الأجل الذي لا يتقدم وان أجل الله اذا جاء لا يؤخر فمات غريبا شهيدا ومضى الى ربه وحيدا فريدا في ليلة الاثنين ثاني رجب المرجب سنة أربع وسبعين وتسعمائة وصلي عليه عند باب الكعبة وكانت جنازته حافلة جدا وأسف الناس على فقده لكثرة احسانه ودفن بالمعلاة على يمين الصاعد الى الأبطح في تربة كان أعدها لنفسه ودفن فيها ولديه وخلف طفلا وحلا وبنتا من أهل الخير كثيرة الصلاح والعبادة * كان ذكر لي أن مولده سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة رضي الله تعالى عنه وأرضى عنه خصماءه وأمنه يوم الفزع الأكبر وسقاه من حوض الكوثر * ثم أقيم بعده في هذه الخدمة سنجق جدة الأمير قاسم بك باقامة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن صاحب مكة أدام الله تعالى دولته وسعادته وأمره بمباشرة العمل وعرض ذلك على الابواب الشريفة السلمانية فبرز الامر الشريف السلطاني باستمرار قاسم بك المذكور في خدمة العين أمينا على مصاريفها وأن يكون سيدنا ومولانا شيخ الاسلام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام بدر الدنيا والدين السيد القاضي حسين الحسني خلد الله تعالى ظلال سيادته وأبد قيام سعادته ناظرا على ما بقي من عمل عين عرفات الى أن تصل الى مكة المشرفة فاستمر الأمير قاسم مباشرا التعاطي هذه الخدمة وكان لا يخلو من قصور الفهم وحب الاستقلال وبعض عناد وما أراد مولانا شيخ الاسلام معارضته فتركه على رأيه وما أراد الله أن يتم العمل الشريف على يد قاسم بك فكان ثالث الأميرين السابقين فطرقه الأجل وأدركه الحين وفاز بمرتبة الشهادة وصار من شهداء العين وانتقل من الدار الفانية الى الدار الباقية قرير العين من ليلة خلت من رجب المرجب الفرد الأصب سنة ست وسبعين وتسعمائة وصلي عليه عند باب الكعبة الشريفة ودفن بالمعلاة الى جانب الأمير محمد بك الدفتردار المتوفى قبله أمين العين المزبورة واستوفت العين به ثلاثة من الامراء الصناجق سقاهم الله تعالى شرابا طهورا وكان بهم برا رحيما غفورا * ثم توجه سيدنا ومولانا

فيهم وكان السيد عبد الرحمن الاهدل مفتي زبيد يقول لا يحتاج التأليف في الرد على ابن عبد الوهاب بل يكفي في الرد عليه قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق فانه لم يفعله أحد من المبتدعة وكان محمد بن عبد الوهاب يأمر أيضا بحلق رؤس النساء اللاتي يتبعنه فاقامت عليه الحجة مرة امرأة دخلت في دينه وجددت اسلامها على زعمه فأمر بحلق رأسها فقالت له لم تأمر بحلق الرأس للرجال فلو أمرتهم بحلق اللحى لساغ لك ان تأمر بحلق رؤس النساء لان شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجال فبهت الذي كفر ولم يجد لها جوابا لكنه انما فعل ذلك ليصدق عليه وعلى من اتبعه قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق فان المتبادر منه حلق الرأس فقد صدق صلى الله عليه وسلم فيما قال وقوله صلى الله عليه وسلم حين أشار الى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان جاء في رواية قرنا الشيطان بصيغة التثنية قال بعض العلماء المراد من قرني الشيطان مسيلمة الكذاب ومحمد بن عبد الوهاب وجاء في بعض الروايات وبها يعني نجد الداء العضال قال بعض الشراح وهو الهلاك وفي بعض التواريخ بعد ذكر قتال بني حنيفة قال ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام وجاء في بعض الاحاديث التي فيها ذكر الفتن قوله صلى الله عليه وسلم منها فتنة عظيمة تكون في أمتي لا يبقى بيت من العرب الا دخلته تصل الى جميع العرب قتلاها في النار واللسان فيها اشد من وقع السيف وفي رواية ستكون فتنة صماء بكماء عمياء يعني تعمي بصائر الناس فيها فلا يرون مخرجا ويصمون عن استماع الحق من استشرف لها استشرفت له وفي رواية سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته وذكر العلامة السيد علوي بن أحمد بن حسن ابن القطب سيدي عبد الله بن علوي الحداد في كتابه الذي ألفه في الرد على ابن عبد الوهاب المسمى جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي أضل العوام من جملة الاحاديث التي ذكرها في الكتاب المذكور حديثا مرويا عن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم سيخرج في ثاني عشر قرنا في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور لا يزال يلعق براطمه يكثر في زمانه الهرج والمرج يستحلون أموال المسلمين ويتخذونها بينهم متجرا ويستحلون دماء المسلمين ويتخذونها بينهم مفخرا وهي فتنة يعتز فيها الارذلون والسفل تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ولهذا الحديث شواهد تقوي معناه وان لم يعرف من خرجه ثم قال السيد المذكور وفي الكتاب الذي مر ذكره وأصرح من ذلك ان هذا المغرور محمد بن عبد الوهاب من تميم فيحتمل انه من عقب ذي الخويصرة التميمي الذي جاء فيه حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من ضئضئ هذا أو في عقب هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من

شيخ الاسلام السيد القاضى حسين الحسنى مد الله تعالى ظلال افضاله وأقام خيام عزه وعظمته واجلاله توجها تاما الى تكميل مابقى من عمل عين عرفات باعتبار مابيده من النظر عليها حسب الاحكام الشريفة السلطانية النافذة فى الاقطار والجهات وجدّ فى الاهتمام وعرض على الابواب الشريفة السلطانية السليمية بأن يكمل ذلك العمل سيدنا ومولانا شيخ الاسلام القاضى حسين المشار اليه خدمته آنفا فأقدم بهمته العلية أتم اقدام الى اكمال هذا العمل الشريف بالاهتمام فساعدته السعادة والاقبال على الاتمام والاكمال فكمل العمل المبارك فيما دون خمسة أشهر بعد ان عجز عن اتمامه الامراء المذكورون قريبا من عشرة أعوام وهلكت نفوسهم



وأموالهم وخدامهم وماظفروا بهذا المرام وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ٭ فجرت عين عرفات وانفجرت ينابيعها الجاريات ووصل الماء وهو يجرى فى تلك الدبول والقنوات الى أن دخل مكة لعشر بقين من ذى القعدة الحرام سنة تسع وسبعين وتسعمائة ٭ وكان ذلك اليوم عيدا أكبر عند الناس وزال بوصول ذلك الماء الى البلد كل هم وباس وعمل فى ذلك اليوم سيدنا ومولانا المشار اليه أسمطة عظيمة فى الابطح ببستانه العظيم الأفيح وجمع بين الأكابر والأعيان فى ذلك المكان ونصب لهم السرادقات والصيوان وذبح أكثر من مائة من الغنم ونحر عدة من الابل والنعم وقدم للناس على طبقاتهم أنواع الموائد والنعيم وخلع على أكثر من عشرة أنفس من المعلمين والبنائين والمهندسين خلعا فاخرة وأحسن الى باقيهم بالانعامات الوافرة وتصدق على الفقراء والمساكين وأنعم على الكبراء والاساطين شكرا لهذه النعمة الجزيلة وحمدا على هذه المنة الجليلة حيث أنعم الله بها على عباده وأحيا وأخصب منها خير بلاده وكان يوما مشهودا وساعة سعيدة وزمانا مسعودا ٭ ثم جهز أخبار هذه البشائر العظمى وحصول هذه النعم الجزيلة الكبرى الى الباب الشريف العالى السلطانى الأعظم والخاقان الأكرم الأفخم السلطان سليم خان سقاه الله كؤس الرحمة والرضوان من حوض الكوثر فى أعلى غرفات الجنان والى سرادقات ذات الحجاب الرفيع والستر السابغ المسبول المنيع صاحبة الخيرات ملكة الملكات بلقيس الزمان ﴿حضرة خانم سلطان﴾ أدام الله تعالى ظلال عفتها وعصمتها وأسبغ أستار رفعتها وعظمتها فأنعمت الصدقات الشريفة السلطانية

الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد فكان هذا الخارجى يقتل أهل الاسلام ويدع أهل الاوثان ولما قتل على بن أبى طالب رضى الله عنه الخوارج قال رجل الحمد لله الذى أبادهم وأراحنا منهم فقال على رضى الله عنه كلا والذى نفسى بيده ان منهم لمن هو فى اصلاب الرجال لم تحمله النساء وليكونن آخرهم مع المسيح الدجال وجاء فى حديث عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ذكر فيه بنى حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وقال فيه ان واديهم لايزال وادى فتن الى آخر الدهر ولايزال الدين فى بلية من كذابهم الى يوم القيامة وفى رواية ويل لليمامة ويل لافراق له وفى حديث ذكره فى مشكاة المصابيح سيكون فى آخر الزمان قوم يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لايضلونكم ولا يفتنونكم وأنزل الله فى بنى تميم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون وأنزل الله فيهم أيضا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى قال السيد علوى الحداد المذكور آنفا ان الذى ورد فى بنى حنيفة وفى ذم بنى تميم ووائل شئ كثير ويكفيك ان أغلب الخوارج وأكثرهم منهم وان الطاغية بن عبد الوهاب من تميم وان رئيس الفرقة الباغية عبد العزيز من وائل وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كنت فى مبدأ الرسالة أعرض نفسى على القبائل فى كل موسم ولم يجبنى أحد جوابا اقبح ولا أخبث من رد بنى حنيفة قال السيد علوى الحداد لما وصلت الطائف لزيارة حبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما اجتمعت بالعلامة الشيخ طاهر سنبل الحنفى ابن العلامة الشيخ محمد سنبل الشافعى فاخبرنى أنه ألف كتابا فى الرد على هذه الطائفة سماه الانتصار للاولياء الابرار وقال لعل الله ينفع به من لم تدخل بدعة النجدى فى قلبه وأما من دخلت فى قلبه فلا يرجى فلاحه لحديث البخارى يمرقون من الدين ثم لايعودون فيه قال السيد علوى الحداد وأما مانقل عن العلامة الحفظى ساكن الحجاز انه استصوب بعض أفعال النجدى من جمعه اليد وعلى الصلاة وترك النهب وازالة بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط ومن تأمينه الطرق ودعوته الى التوحيد فهو غلط حيث حسن للناس فعله ولم يطلع على ماذكرناه من منكراته وتكفيره الامة من ستمائة سنة واحراقه الكتب الكثيرة وقتله لكثير من العلماء وخواص الناس وعوامهم واستباحته دماءهم وأموالهم واظهاره التجسيم للبارى سبحانه وتعالى وعقده الدروس لذلك وتنقيصه للرسل عليهم الصلاة والسلام وللاولياء ونبشه قبورهم وأمر فى الاحساء ان تجعل بعض قبور الاولياء محلا لقضاء الحاجة ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات ومن الرواتب والاذكار ومن قراءة مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى المنائر بعد الاذان وقتل من فعل ذلك وكان يعرض لبعض الغوغاء الطغام بدعوات النبوة ويفهمهم

ذلك

بالانعامات الجزيلة والترقيات الكثيرة الجليلة على سائر المباشرين والمتعاطين لهذه الخدمة الشريفة الجليلة وحصل لمولانا شيخ الاسلام المشار اليه حضرته الشريفة ترقيات عظيمة فصارت مدرسة السلطانية السليمانية بمائة عثماني وما عهد ذلك لاحد من الموالي العظام في مدارسهم وجهزت اليه أنواعا من الخلع الشريفة الفاخرة وخوطب من قبل السلطنة الشريفة الخاقانية بالخطابات العالية الوفية السامية المتضمنة للشكر الجميل منه وانه دخل في جملة خواص السلطنة الشريفة المشمولين بنظر عواطفها المنيفة وانعاماتها الجزيلة الوريفة وصارت هذه العين من جملة الآثار الباقية على صفحات الليالي والايام والاعمال الصالحات الباقيات التي لا يفنيها تكرر السنين والاعوام وما عند الله من تضاعيف الاجر والثواب فهو خير وأبقى عند أولى الألباب ﴿ومن آثار المرحوم السلطان سليمان خان بمكة المشرفة المدارس الاربعة السليمانية﴾ وسبب ذلك ان الامير ابراهيم أمير اجراء عين عرفات أسكنه الله من الجنة الغرفات عرض على الأبواب الشريفة السلطانية السليمانية وأنهى الى الاعتاب العلية الخاقانية ان المناسب للشأن الشريف السلطاني وقدره العلي السامي السليماني أن يكون لحضرة السلطان بمكة المشرفة أربع مدارس على المذاهب الأربعة يدرس فيها علماء مكة المشرفة علم الفقه ليكون سببا لاشتغالهم بعلم الشرع والدين ويرتفقون بوظائفها ويكون سببا لاحياء علم الشريعة ويسطر ثواب ذلك في صحائف السلطنة الشريفة فأجابه السلطان سليمان المرحوم الى ذلك وبرزت الاوامر الشريفة السلطانية بعمل ذلك وعين لهذه الخدمة الامير قاسم أمير جدة المذكور آنفا وان يبادر الى عمل ذلك في أحسن الاماكن اللائقة لبناء هذه المدارس الجانب الجنوبي من المسجد الحرام المتصل به من ركن المسجد الشريف الى باب الزيادة وكان به البيمارستان المنصوري ومدرسة لصاحب كنباية السلطان أحمد شاه سلطان كجرات من أقاليم الهند وكان من أصحاب الخير الكثير شديد المحبة للعلماء كثير البر والصدقات وكانت المدرسة بيد مؤلف هذا التاريخ والبيمارستان المنصوري وأوقاف المؤيد للسلطان الملك المؤيد شيخ سلطان مصر من ملوك الجراكسة وعدة دور تتعلق بسيدنا ومولانا المقام الشريف العالي السيد حسن صاحب مكة المشرفة أدام الله عزه واقباله ورباطا يقال له رباط الظاهر فاستبدل

ذلك من نحوى الكلام ومنع الدعاء بعد الصلاة وكان يقسم الزكاة على هواه وكان يعتقد ان الاسلام منحصر فيه وفيمن تبعه وان الخلق كلهم مشركون وكان يصرح في مجالسه وخطبه بكفر المتوسل بالانبياء والملائكة والاولياء بل يزعم ان من قال لاحد مولانا أو سيدنا فهو كافر ولا يلتفت الى قول الله تعالى في سيدنا يحيى عليه السلام وسيدا ولا الى قول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار قوموا لسيدكم يعني سعد بن معاذ رضي الله عنه ويمنع من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ويجعله كغيره من الاموات وينكر علم النحو واللغة والفقه والتدريس لهذه العلوم ويقول ان ذلك كله بدعة ثم قال السيد علوي الحداد والحاصل ان المحقق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الاسلامية لاستحلاله أمورا مجمعا على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ مع تنقيصه الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين وتنقيصهم تعمدا كفر بالاجماع عند الائمة الاربعة اهـ ولما أراد الله أن يضل محمد بن عبد الوهاب ويضل به خلقا كثيرا سلط عليه الشيطان فزين له ما ابتدعه من العقائد الزائغة فصار ينتقل في قرى نجد من قرية الى قرية ويأتي اليهم تلك العقائد شيأ فشيأ مزخرفة الالفاظ مظهرا لهم انه يريد التوحيد الصحيح والتبري من الشرك فيصدقه الجاهلون ويشتبه لتلبيساته العالمون ومازال كذلك يحبه قوم ويكرهه آخرون فآواه أهل الدرعية وظن بعض منهم انه رسول لكافة البرية فصنف لهم رسالة سماها كشف الشبهات عن خالق الارض والسموات كفر فيها جميع المسلمين وزعم ان الناس كفار منذ ستمائة سنة وحمل الآيات التي نزلت في الكفار من قريش على أتقياء الامة وكان ممن تبعه وقبل منه كل ما يقول محمد بن سعود أمير الدرعية واتخذه وسيلة لاتساع الملك وانقياد الاعراب له فصار يدعوهم الى الدين وأثبت في قلوبهم ان جميع من هو تحت السبع الطباق مشرك على الاطلاق ومن قتل مشركا فله الجنة فتابعوه وصارت نفوسهم بهذا الاعتقاد مطمئنة وكان محمد بن سعود يمتثل ما يأمره به فاذا أمره بقتل انسان أو أخذ ماله سارع الى ذلك فكان محمد بن عبد الوهاب معهم كالنبي في أمته لا يتركون شيأ مما يقوله ولا يفعلون شيأ الا بأمره ويعظمونه غاية التعظيم ويجلونه غاية التبجيل ومازال يطيعه حي بعد حي من أحياء العرب وقبائلها فاتسع ملك محمد بن سعود وملك أولاده بعده حتى ملكوا جزيرة العرب واذا أراد ان يغزو بلدة من البلدان كتب كتابا بقدر الخنصر فيجيبه العربان وتلبي دعوته من كل مكان ويحملون على أنفسهم كل ما يحتاجون اليه من مأكل ومشرب وملبس ومركب ولا يكلفونه بشيء واذا نهبوا شيأ من الناس يدفعون له الخمس ويأخذون الاربعة الاخماس ويسيرون معه أينما يسير لا يستطيعون مخالفته في نقير ولا قطمير فاذا ملك قبيلة من العرب سلطها على من دنا منها

البيمارستان واستبدلت المدرسة برباط كان بناه الخواجا محشي القرماني ولم تثبت وقفيته فباعه ورثته فاشترى لجهة السلطنة الشريفة وجعل بدلا عن مدرسة الكيناني واستبدل رباط الظاهر برباط آخر في سويقة أحسن وأمكن فيه ووقف موضعه بدلا عنه ﴿ وأما الدول التي لسيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسين أدام الله تعالى عزه ودولته فقد مهاجميعها للسلطنة الشريفة واستبدلت أوقاف المؤيد بضياع قرى في الشام اختارها ذرية المؤيد الموقوف عليهم وكتب مستنداتها وحجبها وشرع الامير قاسم في هدمها وطلب العلماء والصلحاء والاشراف ووضعوا الاساس فتقدم قاضي مكة المشرفة يومئذ قدوة العلماء الأهالي وصفوة (٢٣٨) العلماء الموالي مولانا شمس الملة والدين أحمد بن أحمد بن محمد بك النشانجي عظم الله تعالى شانه ورفع قدره ومكانه ووضع بيده الشريفة الاساس وتبعه من حضر من العلماء والسادات وأعيان الناس ووضع كل واحد منهم حجرا في ذلك الاساس وكان يوما مشهودا مباركا مسعودا وذلك للبلتين خلتا من رجب المرجب سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة وكان عمق الاساس عشرة أذرع وعرضه أربعة أذرع بذراع العمل ووضع فيه صخارا كبارا جدا وأحكموا الأساس احكاما قويا واستمر قاسم بك في بذل الجد والاجتهاد مشدود الوسط كانه بعض العمال يجري بعصاه من أول العمل الى آخره بقوة وجلادة من غير دقة فهم ولا لطف طبع مع الجلافة والغلظ والاستبداد بالرأي وعدم المشاورة وعدم الاصغاء الى رأي أحد فأتم بناء المدارس الاربع في غاية الاحكام في بعض الجدارات من غير تعميق وعمل بها مأذنة عالية أحسن فيها ووقف اسقوف المدرسة وعمل ولدورابوابها خشبات عتيقات واهيات تكسرت وسقطت بعد وفاته وجددها مولانا شيخ الاسلام على وجه الاتقان والاحكام وكتب قاسم بك بعض طرازها بخط ردي منحط وبعضه بخط رائق فائق لكونه أميا لا يعرف الكتابة ولا يصغي الى كلام أحد وصارت الاحكام تتوارد اليه بالاستعجال والاهتمام وهو يستعجل في الاتمام وعين المرحوم سلمان عليه الرحمة والرضوان وظائف المدرسين والطلبة وغير ذلك من أوقافه بالشام وعين لكل مدرسة خمسين عثمانيا في كل يوم وعين للمعيد أربعة عثامنة في كل يوم ولكل مدرس خمسة عشر طالبا لكل طالب عثمانيين وللفراش كذلك وللبواب نصف ذلك يجهزها في كل عام ناظر الاوقاف السلمانية

واقترب وسائط الاخرى على ما بعدها حتى تبدد شملها فملك أولا الشرق بأكمله ثم اقليم الحساء والبحرين وعمان ومسكت وقرب ملكه من بغداد والبصرة هذا حده من الشمال ثم رجع الى الجنوب فملك الحرار بأسرها ثم الخيوف ذوات النخيل وملك الحربية والفرع وجهينة ثم ملك جميع ما بين مدينة النبي صلى الله عليه وسلم والشام حتى قرب ملكه من الشام وحلب وملك العربان الذين بين الشام وبغداد وملك عربان المشرق والحجاز والقبائل التي حول الطائف ثم ملك الطائف وكذا القبائل التي حول مكة ثم دخل مكة بالصلح وكانت الحروب بينه وبين سيدنا الشريف غالب رحمه الله من سنة خمس الى سنة عشرين بعد المائتين والالف الى ان عجز مولانا الشريف غالب عن حربه ولم يبق أحد الا صار من حزبه فدخل مكة بالصلح سنة عشرين واستمر فيها الى غاية سنة سبع وعشرين حين جهزت الدولة العلية عليه بعساكرها المنصورة ووجهت الامر الى الوزير المفخم محمد علي باشا صاحب مصر فأتاه بجيوش من العساكر المنصورة فطهر الارض منه ومن اتباعه ثم جهز ابنه ابراهيم باشا فوصل بجيوشه الى الدرعية سنة ثلاث وثلاثين بعد المائتين والالف فأفنى وأباد من بقي منهم وكان تاريخ خروجهم من مكة سنة ألف ومائتين وسبع وعشرين وقد أرخ ذلك مفتي مكة المفتي عبد الملك القلعي لما سأله مولانا الشريف غالب هل أرختم خروجهم فقال قطع دابر الخوارج

٨٤١ ٣٠٧ ١٧٩
١٢٢٧

﴿لطيفة﴾ كان رجل صالح من علماء البلدة التي تسمى بالزبير يسمى الشيخ عبد الجبار يصلي اماما في مسجد من مساجد تلك البلدة فاتفق ان اثنين تجاولا في شأن هذه الطائفة بعد ان جاء ابراهيم باشا الى الدرعية ودمرها ودمر من فيها فقال أحد الرجلين لا بد ان يرجع أمر هذا الدين وهذه الدولة كما كانت وقال الآخر لا يرجع أمرهم أبدا كما كان ولا ما كانوا عليه من البدعة ثم اتفقا انهما يذهبان في غد ويصليان صلاة الصبح خلف الشيخ عبد الجبار وينظران ماذا يقرأ في الركعة الاولى بعد الفاتحة ويكون ذلك فألا فيما اختلفا فيه فذهبا وصليا خلفه فقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولى وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون وسيأتي ان شاء الله الكلام على محاربات مولانا الشريف غالب له

﴿ذكر الشبه التي تمسك بها الوهابية﴾

ولكن ينبغي أولا ان نذكر الشبهات التي تمسك بها في اضلال العباد ثم نذكر الرد عليه ببيان ان كل ما تمسك به زور وافتراء وتلبيس على عوام الموحدين فمن شبهاته التي تمسك بها زعمه ان الناس مشركون في توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من الانبياء والاولياء والصالحين وفي زيارتهم قبره صلى الله عليه وسلم وندائهم له بقوله يا رسول الله نسألك الشفاعة وزعم ان ذلك كله اشراك

بالشام مع الركب الشامي الى مكة المشرفة فيوزع على المدرسين ولم تكمل المدارس الاربع الا في دولة السلطان الاعظم مالك الممالك الترك والروم والعرب والعجم السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان عليهما الرحمة والرضوان فأنعم بالمدرسة المالكية السليمانية وهي رأس المدارس الاربع وعلى سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام سيد العلماء والموالي العظام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام مولانا السيد القاضي حسين الحسني أدام الله فوائده على الدوام بخمسين عثمانيا ثم رقاه الى ان صارت مدرسة بمائة عثماني * وأنعم بالمدرسة الحنفية السليمانية على مؤلف هذا الكتاب بخمسين عثمانيا في أواسط جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة فقرأت فيها قطعة من الكشاف والهداية وقطعة من تفسير المفتي  الاعظم مولانا أبي السعود العمادي نور الله
الله غرفات الجنان وأنزل عليه شآبيب المغفرة والرحمة والرضوان وقرأت فيها درسا في الطب ودرسا في الحديث وأصوله واني أدرس الآن تكميل شرح الهداية للعلامة الكمال بن الهمام الذي كمله لان علامة علماء الاعلام فهامة فضلاء الموالي العظام مالك ناصية العلوم وفارس ميدانه وحائز قصبات السبق في حلبة رهانها فريد دهره في التحقيق والاتقان ووحيد عصره في التدقيق والايقان صاحب التصانيف الفائقة التي سارت بها الركبان وتداولتها العلماء في سائر البلدان الكريم المحسن الى محبيه غاية الاحسان مولانا شمس الملة والدين أحمد المعروف بقاضي زاده أفندي قاضي العسكر بولاية أناطولي أظهر الله
على قلمه ماخفي ودق عن الافهام وأفاض من زلال ألفاظه العذبة ماروى أكباد العلماء الاعلام ذكر فيه من التحقيقات مافات ابن الهمام وقلد أعناق مذهب النعمان قلائد درر متسق النظام ومد لطلاب العلم الشريف موائد فوائد وضعها لهم على طرف الثمام وأورد فيه من خاصية طبعه الشريف ثلاثة آلاف تصرف من بنات أفكاره وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولاشك ان ذلك فيض من الله الكريم أفاض به من خزائن جوده العميم فشكر الله صنيعه الجميل وأثابه على ذلك مزيد الاجر والثواب الجزيل ونفع بتأليفه سائر طلبة العلم الشريف وأبقى في صفحات العالم كتابه المفيد اللطيف الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ولقد أحسن الي في أيام صدارته ورباني لدى الحضرة السلطانية فرقاني السلطان الاعظم

وجعل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين كقوله تعالى فلا تدعوا مع الله أحدا وقوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقوله تعالى ولا تدع مع الله الها آخر فتكون مع المعذبين وقوله تعالى ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وقوله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه ومادعاء الكافرين الا في ضلال وقوله تعالى والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وامثال هذه الآيات كثير في القرآن كلها حملها على الموحدين قال محمد بن عبد الوهاب ان من استغاث أو توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فانه يكون مثل هؤلاء المشركين ويكون داخلا في عموم هذه الآيات وجعل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أيضا مثل ذلك وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الاصنام مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فان المشركين مااعتقدوا في الاصنام انها تخلق شيأ بل يعتقدون ان الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وفي قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فما حكم الله عليهم بالكفر والاشراك الا لقولهم ليقربونا الى الله زلفى فهؤلاء مثلهم هكذا احتج محمد بن عبد الوهاب ومن تبعه على المؤمنين وهي حجة باطلة فان المؤمنين مااتخذوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الاولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله بل هم يعتقدون انهم عبيد لله مخلوقون له ولا يعتقدون استحقاقهم العبادة ولا انهم يخلقون شيأ ولا انهم يملكون نفعا أو ضرا وانما قصدوا التبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم وببركتهم يرحم الله عباده ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة سنذكر لك كثيرا منها فاعتقاد المسلمين ان الخالق النافع الضار هو الله وحده ولا يعتقدون استحقاق العبادة الا لله وحده ولا يعتقدون التأثير لاحد سواه وأما المشركون الذين نزلت فيهم الآيات السابق ذكرها فكانوا يتخذون الاصنام آلهة والاله معناه المستحق للعبادة فهم يعتقدون استحقاق الاصنام للعبادة فاعتقادهم استحقاقها العبادة هو الذي

والخاقان الاكرم السلطان مراد خان خلد الله سلطنته مدا الزمان فصارت مدرستى بهمته بستين عثمانيا جزاه الله تعالى عنى أفضل الجزاء وأسبغ عليه من خزائن فضله وكرمه واسع الخير والعطاء • وأنعمت السلطنة الشريفة بالمدرسة السلطانية السليمانية الشافعية لاقراء مذهب الشافعية بمكة المشرفة على بعض علماء الشافعية بخمسين عثمانيا فدرس فيها كتب فقه الامام محمد بن ادريس الشافعي رضى الله عنه وأحيا فقه الشافعية بها كما شرطه السلطان سليمان رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنان وغمره فى بحر الرحمة والاحسان • وأما المدرسة الرابعة السلطانية السليمانية فقد جعلها المرحوم الواقف لاحياء مذهب الامام احمد بن حنبل فعدل عنه الى علم الحديث الشريف (٢٤٠) وجعلت تلك المدرسة دار الحديث بخمسين عثمانيا يقرأ فيها الصحاح الستة فرحم الله السلطان سليمان وأثابه على مقاصده الجميلة من اسداء الخيرات واقتناء المثوبات باحياء العلوم الشريفة المطهرة وسائر الباقيات الصالحات أعلا غرفات الجنات والنظر الى وجه الله الكريم فى اعلا مراتب السعادات الاخروية الباقيات وهذا الذى ذكرناه بعض مافعله من الحسنات ولو أردنا استيفاء مافعله من الخيرات لاحتجنا الى عدة مجلدات فعدلنا الى ما أثبتناه فى هذه الورقات وكلاما عداه الى المشاهدات فليس الخبر كالمعاينات

﴿الباب التاسع فى دولة السلطان الاعظم الخاقان الملك الاكرم الافخم العثمانى صاحب الخيرات الجارية والجوامع والمبانى السلطان سليم خان تغمده الله بالرحمة والرضوان وسقى ضريحه زلال الكرم والعفو والغفران وحفه بروائح الروح والريحان﴾ كان مولده الشريف فى سنة تسع من وعشرين وتسعمائة وجلوسه الكريم على تخت ملكه الشريف بالقسطنطينية العظمى فى يوم الاثنين لتسع مضين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وتسعمائة ومدة سلطنته الشريفة تسع سنين وسنه حين تسلطن ست وأربعون سنة وعمره كله ثلاث وخمسون سنة وبعد ثلاثة أيام من جلوسه على التخت الشريف توجه الى سكتوار لحفظ العساكر الاسلامية المجاهدين فى سبيل الله فى حلق بلاد الكفر مشغولين بفريضة الجهاد بغاية الجد والاجتهاد وسار سيرا حثيثا الى أن وصل ركابه الشريف السلطانى الى سمرد خد يقال له سرم فلاقته عروض الوزير الاعظم آصف الزمان ﴿محمد باشا أنعش الله بوجوده الوجود انعاشا﴾ تتضمن هجوم

---

أوقعهم فى الشرك فلما أقيمت عليهم الحجة بانها لا تملك نفعا ولا ضرا قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكيف يجوز لمحمد بن عبد الوهاب واتباعه ان يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون الوهية الاصنام اذا علمت هذا تعلم ان جميع الآيات المتقدم ذكرها وماماثلها من الآيات خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيها أحد من المؤمنين لانهم لا يعتقدون الوهية غير الله تعالى ولا يعتقدون استحقاق العبادة لغيره وقد تقدم حديث البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما فى وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فحملوها على المؤمنين فهذا الوصف صادق على ابن عبد الوهاب واتباعه فيما صنعوه ولو كان شئ مما صنعه المؤمنون من التوسل اشراكا ما كان يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الامة وخلفها فانهم جميعهم كانوا يتوسلون فقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وهذا توسل صريح لاشك فيه وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه رضى الله عنهم ويأمرهم بالاتيان به

﴿ذكر الدعاء المسنون عند الخروج من البيت الى الصلاة﴾

فقد روى ابن ماجه باسناد صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاى هذا اليك فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك ان تعيذنى من النار وان تغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك وذكره الجلال السيوطى فى الجامع الكبير وذكره أيضا كثير من الائمة فى كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون عند الخروج الى الصلاة بل قال بعضهم مامن أحد من السلف الا وكان يدعو بهذا الدعاء عند خروجه الى الصلاة فانظر قوله أسألك بحق السائلين عليك فان فيه التوسل بكل عبد مؤمن وروى الحديث المذكور أيضا ابن السنى باسناد صحيح عن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنه ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال بسم الله آمنت بالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجى هذا فانى لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك ان تعيذنى من النار وان تدخلنى الجنة رواه الحافظ أبو نعيم فى عمل اليوم والليلة من حديث أبى سعيد بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال اللهم الى آخر ما تقدم فى رواية ابن السنى ورواه البيهقى فى كتاب الدعوات من حديث أبى سعيد أيضا ومحل الاستدلال قوله بحق السائلين عليك فهذا التوسل صدر منه صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه ان يقولوه ولم يزل السلف

الشتاء وتيسر فتح قلعة سكتوار وقمع مردة الكفرة الفجار والتمس الاذن الشريف للعسكر المنصور الخاقاني بالعود الى الاوطان واستمر الركاب الشريف السلطاني بذلك المكان الى ان وصل مع بقية الوزراء وأركان الدولة الى لثم الركاب الشريف السلطاني والاكتحال بتراب الباب الشريف الخاقاني و بعد ذلك يعودون في الخدمة الشريفة الخاقانية الى مقر التخت الشريف السلطاني بالقسطنطينية العظمى فأجيب حضرة الوزير الاعظم الى ما أشار اليه واستقر ركاب السلطنة الشريفة بذلك المحل والقرار عليه الى ان ورد حضرة الوزير الاعظم المشار اليه الى حضرته العليه وباقي الوزراء من أركان الدولة الشريفة السلطانيه وقبلوا الركاب السلطاني وهنؤه بالملك الشريف الخاقاني وعادوا في خدمة السلطنة الشريفة الى اصطنبول بغاية الامن واليمن والبشر والقبول عند الوصول وعند الوصول الى باب السراية السلطانية حصل من رعاع العسكر وغوغائهم سوء مدافعة وممانعة عن الدخول الى السراية الشريفة وطلبوا عادتهم عند تجدد السلطان فأدى الى سوء أدب من بعض جهالهم لجفاء المرحوم المفتي الاعظم رئيس العلماء الاعلام وكبير كبراء الموالي العظام مولانا أبو السعود أفندي العمادي ثبت الله تعالى خطاه في الجنة وأفاض عليه سحائب الاجر والثواب والفضل والمنة فوعظ العسكر وألان لهم الكلام والتزم لهم عوائدهم وترقياتهم وعطاياهم العظام فلانوا بعد القسوة واستغفروا من تلك الهفوة وصحوا من سكر الجهالة واهتدوا بعد الضلالة ودخل حضرة السلطان الاعظم الى سراية الشريف وجلس على تخته العالي المنيف ووفى للعسكر بما التزم لهم به حضرة الفقيه الاعظم وأفاض احسانه عليهم وأنعم وانصرف في ذلك خزائن عظيمة لا تحصى ووزع عليهم من العسجد والورق ما لا يحصى ولا يستقصى وأمر بقتل بعض من كان سببا لهذه الغوغاء من السفهاء وسكنت الفتنة ولله الحمد على جزيل النعماء وله الشكر على جميع الآلاء وله الحمد في الآخرة والاولى ودخل عليه العلماء العظام للتهنئة بالملك والتحية والسلام ثم أركان الدولة على قوانينهم وحصل لهم بحسب مراتبهم الاجلال والاكرام وقرت عيون الانام بكمال الامن والاطمئنان وعام حسن النظام • ثم جهزت البشائر السلطانية الى الممالك الشريفة العثمانية بالخلع الشريفة الخاقانية

من التابعين واتباعهم ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد في الدعاء به ومما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من التوسل قوله صلى الله عليه وسلم اغفر لامي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي وهذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبراني في الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها وكانت ربت النبي صلى الله عليه وسلم وهي أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها وقال رحمك الله يا أمي بعد أمي وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده وأمره بحفر قبرها قال فلما بلغوا اللحد حفره صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لامي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي فانك أرحم الراحمين وروى ابن أبي شيبة عن جابر رضي الله عنه مثل ذلك وكذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه ذكر ذلك كله الحافظ السيوطي في الجامع الكبير ومن الاحاديث الصحيحة التي جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف وهو صحابي مشهور رضي الله عنه ان رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافيني فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير قال فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في فعاد وقد أبصر وفي رواية قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط وخرج هذا الحديث أيضا البخاري في تاريخه وابن ماجه والحاكم في المستدرك باسناد صحيح وذكر الجلال السيوطي في الجامع الكبير والصغير ففي هذا الحديث التوسل والنداء وابن عبد الوهاب يمنع كلا منهما ويحكم بكفر من فعل ذلك وليس لابن عبد الوهاب أن يقول ان هذا انما كان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لان الدعاء استعمله أيضا الصحابة والتابعون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لقضاء حوائجهم فقد روى الطبراني والبيهقي ان رجلا كان يختلف الى عثمان رضي الله عنه في زمن خلافته في حاجة فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته فشكى ذلك لعثمان بن حنيف فقال له ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ثم قل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربك لتقضى حاجتي وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان رضي

فحصل لنواب السلطنة الشريفة كمال الفرح والسرور وتمام البشر والحبور بانتظام الامور ووصلت التهنئة من ملوك الاطراف بالتحف والهدايا اللطيفة الظراف وقرت العيون وزالت الغيون واستقرت الخواطر والظنون وكان سلطانا كريما رؤفا بالرعية رحيما عفوّا عن الجرائم حليما محبا للعلماء والصلحاء محسنا الى المشايخ والفقراء كان احسانه يصل الى فقراء الحرمين وهو شاه زاده وتصل تشاريفه وكساويه فى كل عام الى العلماء والفقهاء وكان يصل الى احسانه وكسوته فى كل سنة وبعد أن ولى السلطنة الشريفة لم يقطع عادة احسانه واستمر يصل اليهم ذلك فى كل عام بحيث أضيف ذلك الى دفتر الصرة الرومية ويقسم كل سنة على حكمه السابق  الى الآن فهو الملك الهمام المحسن المنعام الفائض الاحسان والانعام طالما طافت بكعبته الآمال وصدع بأوامره الليالى والايام فأثمرت وغرس فى رياض السعادة غروس أشجار السيادة فبسقت وأثمرت وعمر بحسن نظره أرجاء البلاد فتحدثت بعد الخراب وعمرت ودمر بسياسته أركان الظلم فخربت ديار الظالمين ودمرت كم أظهرت لسواد الكفر بصارمه البيضاء آية للناظرين وكم جهزت جيوشا للجهاد فى سبيل الله فقطع دابر القوم الكافرين * فمن أكبر غزواته فتح جزيرة قبرس بسيف الجهاد * ومنها فتح تونس الغرب وحلق الواد * ومنها فتح ممالك اليمن واسترجاعها من العصاة البغاة أهل الالحاد * ومن خيراته تضعيف صدقة الحب وارساله مدة سلطنته الى الحرمين الشريفين ومنها الامر ببناء المسجد الحرام زاده الله شرفا وتعظيما وكل ذلك من الآثار العظيمة والمزايا الفاضلة الكريمة فلنذكرها وذكره بطريق الاجمال لضيق المجال ﴿فأما قبرس﴾ فانها بالسين لا بالصاد كما يغلط فيه العوام جزيرة فى البحر قال الفقيه العدل المفتى أبو عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميرى فى كتابه الروض المعطار فى أخبار الاقطار قبرس جزيرة على البحر الشامى كبيرة القطر مقدارها مسيرة ستة عشر يوما وبها قرى ومزارع وأشجار وزروع ومواش وبها معدن الزمع القبرسى ومنها يجلب الى سائر الاقطار وبها ثلاث مدن ومن قبرس الى طرابلس الشام يومان فى البحر وقبرس على ممر الايام رخاؤها شامل وخيرها كامل وكان معاوية غزاها وصالح أهلها على جزية سبعة آلاف دينار فنقضوا العهد عليه فغزاها ثانية فقتل وسبى شيأ كثيرا * وروى انه لما

الله عنه فجاء البواب فاخذ بيده فادخله على عثمان فاجلسه معه وقال اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كان لك من حاجة فاذكرها ثم خرج من عنده فلقى ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر فى حاجتى حتى كلمته لى فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكنى شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره الى آخر الحديث المتقدم فهذا توسل ونداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وروى البيهقى وابن أبى شيبة باسناد صحيح ان الناس أصابهم قحط فى خلافة عمر رضى الله عنه فجاء بلال بن الحرث رضى الله عنه الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وأخبره انهم يسقون وليس الاستدلال بالرؤيا للنبى صلى الله عليه وسلم فان رؤياه وان كانت حقا لكن لا تثبت بها الاحكام لامكان اشتباه الكلام على الرائى لا للشك فى الرؤيا انما الاستدلال بفعل بلال بن الحرث فى اليقظة فانه من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فاتيانه لقبر النبى صلى الله عليه وسلم ونداؤه له وطلبه ان يستسقى لامته دليل على ان ذلك جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وذلك من أعظم القربات وقد توسل به صلى الله عليه وسلم أبوه آدم قبل وجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها قال بعض المفسرين فى قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ان الكلمات هى توسله بالنبى صلى الله عليه وسلم وروى البيهقى باسناد صحيح فى كتابه دلائل النبوة الذى قال فيه الحافظ الذهبى عليك به فانه كله هدى ونور عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد الا ما غفرت لى فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يا رب انك لما خلقتنى رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى واذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك ورواه أيضا الحاكم وصححه والطبرانى وزاد فيه وهو آخر الانبياء من ذريتك والى هذا التوسل أشار الامام مالك رحمه الله تعالى للخليفة الثانى من بنى العباس وهو المنصور جد الخلفاء العباسيين وذلك انه لما حج المنصور المذكور وزار قبر النبى صلى الله عليه وسلم سأل الامام مالكا وهو بالمسجد النبوى وقال له يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ذكره القاضى عياض فى الشفاء وساقه باسناد صحيح

افتتحت قبرس واشتغل المسلمون بتقسيم السبي فيما بينهم بكى أبو الدرداء وتنحى عنهم ثم احتبى بحمائل سيفه ودموعه تجري على خديه فقيل له أتبكي في يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله وأذل الكفر وأهله فضرب على منكبيه وقال ويحك ما أهون الخلق على الله اذا تركوا أمره فبينما هي قوة ظاهرة وقدرة قاهرة على الناس اذ تركوا أمره فصار حالهم على ما ترى من السبي والاهانة وبين جزيرة قبرس وساحل مصر خمسة أيام وبينها وبين جزيرة رودس مسافة يوم واحد وانما سميت جزيرة قبرس بوثن كان هنالك يسمى قابوس كان يعظمه الكفار ويعظمون لاجله جزيرة قبرس وأهل مدينة قبرس موصوفون بالغنى واليسار وبها معادن الصفر ويجمع فيها اللاذن الحسن الرائحة الذي يغلب العود في طيبه وهو الذي يجمع منه على الشعر خاصة وكان يحمل الى ملك القسطنطينية لانه أفضله وما يجمع منه مما يتساقط على وجه الارض يبيعونه للناس وكانت أم حرام بنت ملحان الصحابية رضي الله عنها شهدت غزوة قبرس فتوفيت بها وأهل قبرس يتبركون بقبرها ويقولون هو قبر المرأة الصالحة وكانت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعو لها الله عز وجل أن يجعلها من الذين يركبون ثبج البحر في سبيل الله ففعل وهو حديث معروف وكان الاوزاعي يقول انا نرى هؤلاء يعني أهل قبرس أهل عهد وان صلحهم وقع على شئ فيه شرط لهم وشرط عليهم وانه لا يسعهم نقضه الا بأمر يعرف به غدرهم ورأى عبد الملك بن الصلاح في حدث أحدثوه ان ذلك نقض لعهدهم فكتب الى عدة من الفقهاء يشاورهم في أمره منهم الليث بن سعد وسفيان بن عيينة وأبو اسحق الفزاري ومحمد بن الحسن فاختلفوا عليه وأجاب كل واحد بما ظهر له قالوا وانتهى خراج قبرس الذي يؤدونه الى المسلمين بعد المائتين من الهجرة الى أربعة آلاف ألف وسبعمائة ألف وسبعة وأربعين ألفا انتهى ما ذكره صاحب الروض المعطار * قلت وقد تقدم ما قلناه انها فتحت في أيام دولة الجراكسة في سلطنة الملك الاشرف برسباي الدقماقي وأمر ملكها في سنة تسع وعشرين وثمانمائة فكان أهل قبرس في أيام الدولة الشريفة العثمانية مهادنين يدفعون الى الخزانة العامرة السلطانية ما كان مقررا عليهم غير انهم أخذوا في المكر والخداع واظهار الاطاعة والوفاق واخفاء الغدر والشقاق فصاروا يقطعون الطريق في البحر على المسلمين واذا أخذوا سفينة من سفائن المسلمين

---

وذكره الامام السبكي في شفاء السقام في زيارة خير الانام والسيد السمهودي في خلاصة الوفاء والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية والعلامة ابن حجر في تحفة الزوار والجوهر المنظم وذكره كثير من أرباب المناسك في آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم رواية ذلك عن الامام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ورواها ابن فهد باسناد جيد ورواها القاضي عياض في الشفاء باسناد صحيح رجاله ثقات ليس في اسنادها وضاع ولا كذاب ومراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الامام مالك ونسب له كراهية استقبال القبر فنسبة الكراهة الى الامام مالك مردودة واستسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن خلافته بالعباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنه لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا وذلك مذكور في صحيح البخاري من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه وذلك من التوسل بل في المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني ان عمر رضي الله تعالى عنه لما استسقى بالعباس رضي الله عنه قال يا أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى ففيه التصريح بالتوسل وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقا سواء كان بالاحياء أو بالاموات وقول من منع ذلك بغير النبي صلى الله عليه وسلم لان فعل عمر رضي الله عنه حجة لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه رواه الامام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ورواه الامام أحمد أيضا وأبو داود والحاكم في المستدرك عن أبي ذر رضي الله عنه ورواه أبو يعلى والحاكم في المستدرك أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير عن بلال ومعاوية رضي الله عنهما وروى الطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان وهذا مثل ما صح في حق علي رضي الله عنه حيث قال صلى الله عليه وسلم في حقه وأدر الحق معه حيث دار وهو حديث صحيح رواه كثير من أصحاب السنن فكل من عمر وعلي رضي الله عنهما يكون الحق معه حيث كان وهذان الحديثان من جملة الادلة التي استدل بها أهل السنة على صحة خلافة الخلفاء الاربعة لان عليا رضي الله عنه كان مع الخلفاء الثلاثة قبله لم ينازعهم في الخلافة فلما جاءت الخلافة له ونازعه غيره قاتله ومن الادلة الدالة على أن توسل عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه حجة على جواز قوله صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر رواه الامام أحمد والترمذي والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير عن عصمة بن

فقتلوا جميع من كان راكبا في تلك السفينة لا خفاء ما فعلوه وصاروا يأوون قطاع الطريق من النصارى ويساعدونهم على المسلمين الى ان كثر اذاهم وعم ضررهم فاستفتى المرحوم السلطان سليم خان من المرحوم مفتي الاسلام مولانا أبي السعود أفندي العمادي رحمهما الله تعالى فأفتاه بأنهم غدروا ونقضوا العهد وان قتالهم جائز بسبب ما ارتكبوه من الغدر والخيانة فجهز عليهم حضرة السلطان سليم جيشا كثيفا وعسكرا منصورا منيفا أرسلهم من البر وعمارة عامرة من جانب البحر وجعل سردارا لجميع حضرة الوزير المعظم والمشير المفخم نظام العالم مدبر مصالح جماهير الامم قائد جيوش الموحدين قاهر جيوش الكفار والملحدين اعتضاد الملوك والسلاطين المخصوص بعناية رب العالمين (٢٤٤) ﴿حضرة مصطفى باشا اللالا﴾ زاده الله عزا واجلالا وسعادة وسيادة واقبالا وأيده النصر المبين والفتح القريب اسعادا واجلالا فامتثل الامر الشريف السلطاني وبرز زحفا وفا بالنصر الصمداني والعون الرباني ومعه عسكر جرار من كل بطل مغوار ملؤا وجه الارض برا وبحرا كأنهم قطعة نار مضطرمة أو أشد حرا أيان سلكوا دهكوا وملكوا واينا صدفوا من الاعداء سفكوا وفتكوا وضربت طبول النصر فكانت كنفخ الصور وانتشرت العساكر المنصورة فشوهد يوم الحشر والبعث والنشور وتوجه حضرة الوزير مظفرا مؤيدا منصورا وسعى الى جهاد الكفار وكان سعيه مشكورا وطوى المراحل والمنازل وهو يطوى الارض طيا ويفرى بسيف عزمه أديم المهامه والمناهل فريا الى ان وصل ركابه العالي ومن معه من الجيش المنصور المتوالي الى جزيرة قبرس فاحاط بقلاعها احاطة الخاتم في بالاصبع وفرق الجنود على حصونها فكانت من كل حصن أحكم وأمنع وقد تحصن بها الكفار واعتصموا بقلالها وأحكموا خنادقها وأوعروا مسالكها سهلها وجبالها فارتجت بوصول تلك العساكر المنصورة حصون تلك الجزيرة وقلاعها وتزلزلت جبالها ورمالها وأصقالها وبقاعها • وكان من أحكم الحصون المشيدة ثلاث قلاع في غاية العلو والارتفاع ونهاية القوة والمنعة والامتناع شامخة البنيان راسخة الاركان • وأقواها قلعة ماغوسا لا يحلق عليها من الطيور الا النسران ولا يوازن أبراجها من بروج السماء الا الميزان تلامس في العلو والشهوق نجوم الثريا والعيوق وتوازي بناء الاهرام في الاتقان والاحكام

مالك رضي الله عنه وروى الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وانما استسقى عمر رضي الله عنه بالعباس ولم يستسق بالنبي صلى الله عليه وسلم ليبين للناس ان الاستسقاء بغير النبي صلى الله عليه وسلم جائز ومشروع لا حرج فيه لان الاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم كان معلوما عندهم فلربما يتوهم بعض الناس انه لا يجوز الاستسقاء بغير النبي صلى الله عليه وسلم فبين لهم عمر رضي الله عنه الجواز ولو استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لافهم انه لا يجوز الاستسقاء بغيره صلى الله عليه وسلم ولا يصح أن يقال انما استسقى بالعباس ولم يستسق بالنبي صلى الله عليه وسلم لان العباس حي والنبي صلى الله عليه وسلم قد مات لان الاستسقاء انما يكون بالحي لان هذا القول باطل مردود بادلة كثيرة منها توسل الصحابة به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كما تقدم في القصة التي رواها عثمان بن حنيف وكما في حديث بلال بن الحرث المتقدم وكما في توسل آدم رواه عمر رضي الله عنه كما تقدم فكيف لا يعتقد عدم صحته بعد وفاته وقد روى التوسل به قبل وجوده مع انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره فتلخص من هذا انه يصح التوسل به صلى الله عليه وسلم قبل وجوده وفي حياته وبعد وفاته وانه يصح التوسل أيضا بغيره من الاخيار كما فعله عمر رضي الله عنه حين استسقى بالعباس رضي الله عنه وذلك من أنواع التوسل كما تقدم وانما خص عمر العباس رضي الله عنهما من بين سائر الصحابة لاظهار شرف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبيان انه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فان عليا رضي الله عنه كان موجودا وهو أفضل من العباس رضي الله عنه قال بعض العارفين وفي توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما دون النبي صلى الله عليه وسلم نكتة أخرى أيضا زيادة على ما تقدم وهي شفقة عمر رضي الله عنه على ضعفاء المؤمنين وعوامهم فانه لو استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لربما تأخر الاجابة لانها معلقة بارادة الله ومشيئته فاذا تأخرت الاجابة ربما يقع وسوسة واضطراب لمن كان ضعيف الايمان بسبب تأخر الاجابة بخلاف ما اذا كان التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم فانه اذا تأخرت الاجابة لا تحصل تلك الوسوسة و لاضطراب والحاصل ان مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته وكذا بغيره من الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين كما دلت عليه الاحاديث السابقة لانا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيرا ولا خلقا ولا ايجادا ولا اعداما ولا نفعا ولا ضرا الا لله وحده لا شريك له فلا نعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا للنبي صلى الله عليه وسلم باعتبار الخلق والايجاد والتأثير ولا لغيره من الاحياء أو الاموات فلا فرق

بل تزيد عليها وتفوق لاتبالى بضرب المكاحل والمدافع ولا يوهنها قرع المقارع والمقامع مشحونة بآلات الحرب من جميع الانواع مملوءة بالمقاتلة وأهل القراع محشوة بأجلاف النصارى الابطال أهل الصيال والصراع وفيهم من الرماة من يرمى على الحدق ويحرر فلا يخطى من الدرع الحلق وعندهم المياه والفواكه والاقوات والزرع والبساتين ومن دونهم خنادق عريضة نازلة الى تخوم الارضين محمية بالمدافع الكبار ترمى من أعلى القلاع الى من يقرب منها بالليل والنهار فأحاطت العساكر المنصورة السليمية بتلك البقاع والحصون وناوشوهم القتال وأذاقوهم كؤس ريب المنون وقاتلهم المسلمون بالليل والنهار وقابلهم الموحدون برمى المدافع الكبار بالاصائل والاسحار فكاد النهار أن ينقلب ليلا بدخان البارود البارق والليل ان ينقلب نهارا ببوارق قناديل البنادق الصواعق فحاصرهم المجاهدون فى سبيل الله وضيق عليهم جنود الاسلام الغزاة ورموا بالمدافع الكبار السلطانية عليهم فحطمت دورهم وهدمت قصورهم فصارت بيوتهم قبورهم وكسرت ظهورهم فافتتحت ببركة النبى صلى الله عليه وسلم قلعتان وبقيت القلعة وهى ماغوسا وفيها سلطانهم محصور وكل محصور مأخوذ مأسور فثبت وأظهر الجلد وكابد فى محاصرته أنواع الكمد الى أن وهنت قواه وذابت كبده وحشاه واضطر الى طلب الامان والتذلل لحضرة الوزير الرفيع الشان فشملته عناية حضرة الوزير الرفيع الشان المعظم المكين وأعطاه الامان وشرط عليه أن يفلت من عنده من أسارى المسلمين ويدوس البساط السلطانى ليتم له التأمين ويحصل له التطمين فوافق على ذلك وأطلق الاسرى وحضر ليقابل حضرة الوزير المعظم جبرا وقسرا فاخبر بعض الاسرى أنه خان بعد انعقاد الامان وقتل جماعة من المسلمين وفعل هذه الخيانة سرا فلما علم حضرة الوزير المعظم أن ملكهم قد خان طلبه بين يديه وأهانه غاية الهوان وركب وحمل غاشية السرج وأمره أن يمشى قدامه كسائر الغلمان ثم ضرب عنقه لخيانته ونقض عهده وأخذ أمواله وذخائره وقتل من أراد واستأسر واسترق من أراد وصارت قبرص من دار الاسلام وأضيفت الى سائر الممالك الاسلامية العثمانية باجتهاد هذا الوزير المعظم واصابة أمره وتدبيره الصائب الاتم وما بلغنى تفصيل ما وقع فى هذه الغزوة وما أمكننى تحقيقها وأردت كثيرا افرادها بالتأليف

فى التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا بالاولياء والصالحين لافرق بين كونهم أحياء أو أمواتا لانهم لا يخلقون شيأ وليس لهم تأثير فى شئ وانما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى والخلق والايجاد والتأثير لله وحده لا شريك له وأما الذين يفرقون بين الاحياء والاموات فانهم يعتقدون التأثير للاحياء دون الاموات ونحن نقول الله خالق كل شئ والله خلقكم وما تعملون فهؤلاء المجوزون التوسل بالاحياء دون الاموات هم الذين دخل الشرك فى توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات فهم الذين اعتقدوا تأثير غير الله تعالى فكيف يدعون المحافظة على التوحيد وينسبون غيرهم الى الاشراك سبحانك هذا بهتان عظيم فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد وليس لها فى قلوب المؤمنين معنى الا التبرك بذكر أحباء الله لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى وهؤلاء سبب عادى فى ذلك لا تأثير لهم وذلك مثل السبب العادى فانه لا تأثير له وحياة الانبياء فى قبورهم ثابتة بأدلة كثيرة استدل بها أهل السنة وكذا حياة الشهداء والاولياء وليس هذا محل بسط الكلام عليها وشبهة هؤلاء المانعين للتوسل انهم رأوا بعض العامة يتوسعون فى الكلام ويأتون بألفاظ توهم انهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتا أشياء جرت العادة بانها لا تطلب الا من الله تعالى ويقولون للولى افعل لى كذا وكذا وربما يعتقدون الولاية فى أشخاص لم يتصفوا بها بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة وينسبون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوالا ومقامات ليسوا بأهل لها ولم يوجد فيهم شئ منها فأراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعا للايهام وسدا للذريعة وان كانوا يعلمون ان العامة لا تعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا لغير الله تعالى ولا تقصد بالتوسل الا التبرك ولو أسندوا للاولياء شيأ لا يعتقدون فيهم تأثيرا فنقول لهم اذا كان الامر كذلك وقصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الامة عالمهم وجاهلهم خاصهم وعامهم وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا بل كان ينبغى لكم أن تمنعوا العامة من الالفاظ الموهمة وتأمروهم بسلوك الادب فى التوسل مع أن تلك الالفاظ الموهمة يمكن حملها على الاسناد المجازى مجازا عقليا كما يحمل على ذلك قول القائل هذا الطعام أشبعنى وهذا الماء أروانى وهذا الدواء أو الطبيب نفعنى فان ذلك كله عند أهل السنة محمول على المجاز العقلى فان الطعام لا يشبع والمشبع هو الله تعالى والطعام سبب عادى لا تأثير له وكذا ما بعده فالمسلم الموحد متى صدر منه اسناد الشئ لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلى واسلامه وتوحيده قرينة على ذلك كما نص على ذلك علماء

وذكر ما وقع فيها فلم أظفر بذلك فان أظفرني الله تعالى بالاطلاع على أكثر مما ذكرته ههنا أجعل له تاريخا مستقلا واسع المجال لطيف المفاكهة بليغ المقال ان شاء الله تعالى ﴿ وأما فتح بلاد اليمن ﴾ فان اقليم اليمن من صنعاء الى عدن كانت داخلة في الممالك السلطانية العثمانية في أيام دولة المرحوم السلطان الاعظم سليمان خان أسكنه الله تعالى فردوس الجنان وحفر روضته الطيبة الطاهرة بالروح والريحان وكان أول فتحها الخاقاني على يد الوزير المعظم سليمان باشا الخادم بكلربكي مصر لما توجه الى الهند لغزو الفرنج الغرة قال في سنة خمس وأربعين وتسعمائة وأقام بكلربكيا واستمر كذلك في تصرف البكربكي الذي يولى من الباب الشريف السلطاني يتولاها واحدا بعد واحد الى أن صارت مملكة اليمن واسعة يمكن أن يولى في أعلاها في الجبال من أعلاها الى تغر بكلربكي ويولى في التهائم وهي زبيد وسائر السواحل والبنادر بكلربكي آخر وكان هذا عين الخطا فان ذلك مظنة الاختلاف والجدال كما قال الله الكبير المتعال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فقبل عرضه في الباب العالي قصدا الى تكثير المناصب وتعديد البكلربكية فولي على اليمن وجبالها المرحوم مراد باشا وكان يقال له كور مراد لخلل كان باحدى عينيه وكان خرج من السراية السلطانية وكان من أمراء السناجق وصار أمير الحاج الشامي ثم ولي سنجق غزة ثم أعطى نصف مملكة اليمن • وولي جهة التهائم لحسن باشا وهو أيضا من المماليك السلطانية برز من السراية السلطانية فانقسمت عساكرها وأموالها وحصولها الى نصفين وضعف أمر كل واحد وكان مطهر بن شرف الدين يحيى الزيدي يعقله وسولت له نفسه العصيان وكانت داعية العصيان مضمرة في خاطره فصادف انقسام المملكة وصول وفاة المرحوم السلطان سليمان خان فأظهر العصيان هو وافقه من العربان وجهز أميرا من أمرائه يقال له علي بن شويع وجمع عليه العربان فقطعوا الطريق على مراد باشا في محطة ذمار وهو غافل عن عصيانهم وكان قاصدا من تغر الى صنعاء وهي محصورة بالعربان الزيديين فعدموا عليق الخيل وخلوا من الطعام بالكلية وكلما أرسل من طائفته من يأتيه بالغلال والميرة قطعوا عليه الطريق وقتلوه فلما زاد به هذا الامر وفطن بعصيان العربان رجع مراد باشا الى تغر وسلك وادي خبان وهو محل وعر بين جبلين عاليين في غاية الوعورة والصعوبة

المعاني في كتبهم وأجمعوا عليه وأما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته في الاحاديث الصحيحة ومع صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الامة وخلفها فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه منهم من يجعله حراما ومنهم من يجعله كفرا واشراكا وكل ذلك باطل لانه يؤدي الى اجتماع معظم الامة على الحرام أو الاشراك لان من تتبع كلام الصحابة والعلماء من السلف والخلف يجد التوسل صادرا منهم بل ومن كل مؤمن في أوقات كثيرة واجتماع أكثرهم على الحرام أو الاشراك لا يجوز لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا تجتمع أمتي على ضلالة بل قال بعضهم انه حديث متواتر وقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة وهي خير أمة أخرجت للناس واللائق بهؤلاء المنكرين اذا أرادوا سد الذريعة ومنع الالفاظ الموهمة كما زعموا أن يقولوا ينبغي ان يكون التوسل بالادب وبالالفاظ التي ليس فيها ايهام كأن يقول المتوسل اللهم اني أسألك وأتوسل اليك بنبيك صلى الله عليه وسلم وبالانبياء قبله وبعبادك الصالحين ان تفعل بي كذا وكذا الا أنهم يمنعون التوسل مطلقا ولا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحدين الذين لا يعتقدون التأثير الا لله وحده لا شريك له ومما تمسك به هؤلاء المنكرون للتوسل قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فان الله نهى المؤمنين في هذه الآية أن يخاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما يخاطب بعضهم بعضا كأن ينادوه باسمه وقياسا على ذلك لا ينبغي أن يطلب من غير الله تعالى كالانبياء والصالحين الاشياء التي جرت العادة بانها لا تطلب الا من الله تعالى لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر وان كان الطلب من الله على سبيل التأثير والايجاد ومن غيره على سبيل التسبب والكسب لكنه ربما أوهم تأثير غير الله تعالى فمنع من ذلك الطلب لدفع هذا الايهام والجواب ان هذا لا يقتضي المنع من التوسل مطلقا ولا يقتضي منع الطلب اذا صدر من موحد فانه يحمل على المجاز العقلي بقرينة صدوره من موحد فما وجه كونه حراما أو شركا فلو قالوا انه خلاف الادب وأجازوا التوسل وشرطوا فيه ان يكون بالادب والاحتراز عن الالفاظ الموهمة لكان له وجه فالمنع مطلقا لا وجه له ومن الادلة الدالة على صحة التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ما ذكره العلامة السيد السمهودي في خلاصة الوفاء حيث قال روى الدارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة رضي الله عنها فقالت انظروا الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق قال العلامة المراغي وفتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة يفتحون كوة

في

عسر المسالك كثير المهالك فلما توسطوا بين هذين الجبلين وقد امتلأت قللهما كالجراد المنتشر رموهم بالاحجار والصخور الكبار
والصغار وأطلقوا عليهم المياه فصار مراد باشا وعسكره يخوضون فى ذلك الماء وقد ازدحموا على محل الخروج وهو مكان ضيق
سدته الجمال والاحمال وليس لهم منعة ولا لهم نجدة ولا لخيلهم قوة ولا قدرة على الجولان فاستسلموا للقتل وقتل منهم من دنا
أجله وخرج مراد باشا ومعه عشرون سنجقا سلبتهم العربان وتركوا كل واحد منهم عريانا فى لباس وسائر بدنه مكشوفا والى
مسجد يقال له مضرح وعيون المنايا تسرح اليهم وتطمح فوصل اليهم شيخ مضرح وكان له ثار قديم عند الاروام كان سليمان باشا
صلب أباه لما افتتح عدن فصاح واثاراه وقتل مراد باشا وأرسل رأسه الى مطهر وقيد الامراء وقدمهم الى
مطهر فلم يقتلهم بل حبسهم
فى مطامين تحت الارض
ومات بعضهم من الضيق
والضنك وخلص من له
بقية عمر بعد ذلك واستمر
أمراء مطهر يأخذون
جبال اليمن الى أن أخذوا
صنعاء وتعز وحصن حب
وعدن وعجزوا عن أخذ
زبيد صانها الله بالاولياء
والصلحاء وبها شرذمة
قليلة من الاروام مع حسن
باشا مع ظلمه وغشمه لاهل
زبيد ومصادرته لكل
زبيد ووصل لاخذها
على بن شويع ومعه فوق
خمسين ألف مقاتل وحط
خارج زبيد فخرج اليه
بقية العسكر السلطانى
وهم نحو مائتى فارس
وبرزوا القتال هذا الجم
الغفير وكم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين وحملوا
على على بن شويع وقد
ألقوا أنفسهم الى التهلكة
فزلت أقدامه وفر هاربا
وسقط من فرسه فى هروبه ولحقه جماعة من الاسباهية أرادوا قتله فلحقه عبد من عبيده بفرس فركب وهرب ونجا بنفسه لانجاه
الله وسمع من مقابر زبيد أصوات مدافع ترمى عليهم من غير أن يرى شخص فدمر الله المؤمنين على أولئك الملحدين فى الدين وقتل
منهم ما لا يعلم عدده الا الله تعالى وغنمت العساكر وطاقهم وأحمالهم وأثقالهم وولوا على أدبارهم أجمعين ولم يقدموا بعد ذلك على
زبيد كأنما عليها حصن من حديد من عند الله العزيز الحميد فلما أحاطت العلوم السلطانية بما وقع من هذا الاختلال فى اليمن برزت
الاوامر السلطانية الشريفة الى بكار بكى مصر يومئذ الوزير المفخم نظام العالم صاحب السيف والقلم مدبر مصالح جماهير الامم
فاتح ممالك اليمن الايمن من كوكبان الى عدن وقالع قلاع حلق الوادو آخذ بلاد تونس الغرب ودافع الكفر عنها والمحن ليث

---

فى أسفل الحجرة وان كان السقف حائلا بين القبر الشريف والسماء قال السيد السمهودى وسنتهم
اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف والاجتماع هناك وليس القصد الا التوسل بالنبى صلى الله
عليه وسلم والاستشفاع به الى ربه لرفعة قدره عند الله تعالى وقال أيضا العلامة السيد السمهودى
فى خلاصة الوفاء ان التوسل والتشفع به صلى الله عليه وسلم وبجاهه وبركته من سنن المرسلين وسيرة
السلف الصالحين وذكر كثير من علماء المذاهب الاربعة فى كتب المناسك عند ذكرهم زيارة النبى
صلى الله عليه وسلم انه يسن للزائر أن يستقبل القبر الشريف ويتوسل الى الله تعالى فى غفران ذنوبه
وقضاء حاجاته ويستشفع به صلى الله عليه وسلم قالوا ومن أحسن ما يقول ما جاء عن العتبى وهو مروى
أيضا عن سفيان بن عيينة وكل منهما من مشايخ الشافعى رضى الله عنه قال العتبى كنت جالسا عند
قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابى فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول وفى
رواية يا خير الرسل ان الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا
الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى
وفى رواية وانى جئتك مستغفرا ربك عز وجل من ذنوبى ثم بكى وأنشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ٭ فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ٭ فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم استغفر وانصرف فغلبتنى عيناى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام قال يا عتبى الحق
الاعرابى فبشره ان الله غفر له فخرجت خلفه فلم أجده وليس محل الاستدلال الرؤيا فانها لا تثبت
بها أحكام لاحتمال حصول الاشتباه على الرأى فى الكلام كما تقدم ذلك وانما محل الاستدلال
كون العلماء استحسنوا للزائر الاتيان بما تقدم ذكره قال العلامة ابن حجر فى الجوهر المنظم
وروى بعض الحفاظ عن أبى سعيد السمعانى أنه روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه انهم بعد
دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام جاءهم اعرابى فرمى بنفسه على القبر الشريف على ساكنه
أفضل الصلاة والسلام وحثى ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله
ما وعينا عنك وكان فيما أنزله عليك قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله
واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى الى ربى فنودى من
القبر الشريف انه قد غفر لك وجاء ذلك عن على أيضا من طريق أخرى ويؤيد ذلك ما صح عنه صلى
الله عليه وسلم من قوله حياتى خير لكم تحدثون وأحدث لكم ووفاتى خير لكم تعرض على أعمالكم
ما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت لكم ومما ذكره العلماء فى آداب الزيارة انه

هرين الوطيس افترسا وأشدهم بأساوجاشا الوزير المعظم سنان باشا أنعش الله به الوجود والدين الحنيفى انعاشا وأيد بنصره أهل السنة السنية وفرش الارض بعدلته فراشا فانه أسد ضرغام وليث قمقام وحسام صمصام وكريم محسن فائض الجود والاكرام جواد بذول لم ينحن الهلال الا ليكون هلالا فى حافر جواده ولا مدت الثريا كف الخضيب الا لتتمسك بذيل افضاله وامداده ولا فتحت الروى أفواهها الا لتنطق بمدحه ألسنة الاقلام ولا حبر الحبر بياض الطروس الا ليشير أن الليالى والايام له من جملة الخدام طالما طوق الاعناق أطواقا من الافضال والانعام كأنها أطواق الحمام وكثيرا ما أحسن الى العلماء والصلحاء من جيران بلد الله الحرام وجيران سيد الانبياء والرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وكنت ممن شملني بره وانعامه ووصل الى فى أكثر الايام احسانه واكرامه فخلدت ذكر محاسنه فى صفحات الكتب ورقمت كرائم صفاته فى صفحات الاوراق لا يخلقها الجديدان ولا يبليها الدهر الغابر وكتبت باسم الشريف تاريخا حافلا سميته البرق اليمانى ذكرت فيه أحوال اليمن من سنة تسعمائة واستيلاء حسين الكردى وطائفة الجراكسة ثم اللوند الى زمن الفتح العثمانى على يد أبى زيد سليمان باشا ثم استيلاء الزيديين على جيوش مطهر ابن شرف الدين ثم الفتح العثمانى ثانيا على يد الوزير المعظم سنان باشا أدام الله نصره وجلاله وخلد سعادته واقباله على سبيل التفصيل وكنت صدرت ذلك التاريخ بقصيدة طنانة من نظمى الطنان صارت بها الركبان وتلقتها بالقبول أدباء علماء البلدان أحببت ايرادها ههنا لبلاغتها عند علماء البيان وفصحاء اللسان تسابق ألفاظها ومعانيها الى الآذان والاذهان تسابق أفراس الرهان يعد كل بيت منها بديوان وتسحب كل كلمة منها أذيال البلاغة على سحبان وهى هذه

لك الحمد يا مولاى فى السر والجهر ٭ على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا سعت ٭ به الهمم العليا الى شرف الذكر
جنود رمت فى كوكبان خيامها ٭ وآخرها بالنيل من شاطئ مصر
يجز من الابطال كل غضنفر ٭ بصارمه يسطو على مفرق الدهر
عساكر سلطان الزمان مليكنا ٭ خليفة هذا العصر فى البر والبحر
حمى حوزة الدين الحنيفى بالقنا ٭ وبيض المواضى والمثقفة السمر
له فى سرير الملك أصل مؤثل ٭ تلقاه عن أسلافه السادة الغر

يستحب أن يجدد الزائر التوبة فى ذلك الموقف الشريف ويسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها توبة نصوحا ويستشفع به صلى الله عليه وسلم الى ربه عز وجل فى قبولها ويكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ويقولون نحن وفدك يارسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا فليس لنا يارسول الله شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نصله فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربك واسأله ان يمن علينا بسائر طلباتنا ويحشرنا فى زمرة عباده الصالحين والعلماء العاملين وفى الجوهر المنظم أيضا ان اعرابيا وقف على القبر الشريف وقال اللهم ان هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك فان غفرت لى سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك وان لم تغفر لى غضب حبيبك ورضى عدوك وهلك عبدك وأنت يارب أكرم من أن تغضب حبيبك وترضى عدوك وتهلك عبدك اللهم ان العرب اذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره وان هذا سيد العالمين فاعتقنى على قبره يا أرحم الراحمين فقال له بعض الحاضرين يا أخا العرب ان الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال وذكر علماء المناسك أيضا ان استقبال قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة قال العلامة المحقق الكمال بن الهمام ان استقبال القبر الشريف أفضل من استقبال القبلة وأما ما نقل عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه ان استقبال القبلة أفضل فرد ودعا رواه الامام نفسه فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة وسبقه الى ذلك ابن جماعة فنقل استحباب استقبال القبر الشريف عن الامام أبى حنيفة أيضا ورد قول الكرمانى انه يستقبل القبلة وقال ليس بشئ قال فى الجوهر المنظم ويستدل لاستقبال القبر أيضا بأنا متفقون على أنه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره يعلم بزائره وهو صلى الله عليه وسلم لو كان حيا لم يسع الزائر الا استقباله واستدبار القبلة فكذا يكون الامر حين زيارته فى قبره الشريف صلى الله عليه وسلم واذا اتفقنا فى المدرس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة ان الطلبة يستقبلونه ويستدبرون الكعبة فما بالك به صلى الله عليه وسلم فهذا أولى بذلك قطعا وقد تقدم قول الامام مالك رحمه الله للمنصور ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به قال العلامة الزرقانى فى شرح المواهب ان كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلا له مستدبر القبلة ثم نقل عن مذهب الامام أبى حنيفة والشافعى رحمهما الله تعالى والجمهور مثل ذلك وأما مذهب الامام أحمد ففيه اختلاف بين علماء مذهبه والراجح عند المحققين منهم انه يستقبل القبر

ملوك تساموا للعلا وخلائف * أولوا العزم فى أزمانهم وأولوا الامر شموس تفيض النور محوغياهبا * من الكفر منهم يستمد ضيا البدر
هم ملؤا عين الزمان وقلبه * فقرت عيون العالمين من البشر هم العقد من اغلى اللآلى منظما * وسلطاننا فى الملك واسطة الدر
شهنشاه سلطان الملوك جميعهم * سليم كريم أصله طيب الفخر عماد يلوذ المسلمون بظله * وسد منيع للانام من الكفر
وحين أتاه ان قد اختل جانب * من اليمن الاقصى أصرعلى القهر وساق لها جيشا خميسا عرمرما * يدك جبال الارض فى السهل والوعر
لهم أسد شاكى السلاح عرينه * طوال الرماح السمهرية والبتر وزير عظيم الشان ثاقب رأيه * يجهز فى آن جيوشا من الفكر
يقوم باعباء الوزارة قومه * يسد جيوش الدين بالايد والازر أيادله بالناس كاسرة العدا * ولكنها بالجود جابرة الكسر
به أمن الله البلاد وطمن العباد وأضحى الدين منشرح الصدر
سنان عزيز القدر يوسف عصره ألم تره فى مصر أحكامه تجرى
تدلى الى أقصى البلاد بجيشه ومهد ملكا قد تمزق بالنشر
وشتت شمل الملحدين وردهم مثال قرود فى الجبال من الذعر
وقطع روسا من كبار رؤسهم لهم باطن السرحان والطير كالقبر
وكان عصى موسى تلقف كلما بدا من صنيع الملحدين من السحر
ولازال فيهم عامل الرمح عاملا ولابرحوا فى الذل بالقتل والاسر
وماعن الام سالك تبع بنو طاهر أهل الشهامة والذكر
وناهيك من ملك قديم ومن فخر وقد ملكتها آل عثمان اذ مضت



فهل يطمع الزيدى فى ملك تبع * ويأخذه من آل عثمان بالمكر أبى الله والاسلام والسيف والقنا * وسر أمير المؤمنين أبى بكر
﴿ولما تم الفتح الخاقانى العثمانى فى القطر اليمانى﴾ عاد الوزير المعظم الى بلد الله المكرم وحج حجة الاسلام وزار المزارات العظام وصادف الحج الاكبر وكانت الوقفة الشريفة يوم الجمعة أفضل الايام وأثر ببلد الله الحرام أنواع الخيرات والانعام وأحسن الى أهل الحرمين الشريفين ومن حضر فيهما من حجاج الانام وقابل شرفاء مكة أدام الله عزهم وسعادتهم بالاعزاز والاحترام * فمن آثاره الخاصة به فى المسجد الحرام * تعمير حاشية المطاف وكانت من بعد أساطين المطاف الشريف دائرة حول المطاف مفروشة

القبر الشريف كبقية المذاهب وكذا القول فى التوسل فان المرجح عند المحققين منهم جوازه بل استحبابه لصحة الاحاديث الدالة على ذلك فيكون المرجح عند الحنابلة موافقا لما عليه أهل المذاهب الثلاثة وأما ماذكره الالوسى فى تفسيره من ان بعضهم نقل عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه انه منع التوسل فهو غير صحيح اذلم ينقله عن الامام أحد من أهل مذهبه بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ونقل المخالف غير معتبر فاياك ان تغتر بذلك وقد بسط الامام السبكى نصوص المذاهب الاربعة فى استحباب التوسل فى كتابه المسمى شفاء السقام فى زيارة خير الانام فراجعه ان شئت وفى المواهب اللدنية للامام القسطلانى وقف اعرابى على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انك أمرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وأنا عبدك فأعتقنى من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف ياهذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت العتق لجميع الخلق يعنى من المؤمنين اذهب فقد أعتقتك ثم أنشد القسطلانى أحد البيتين المشهورين وشارحه الزرقانى البيت الآخر وهما

ان الملوك اذا شابت عبيدهم * فى رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت ياسيدى أولى بذا كرما * قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار

ثم قال فى المواهب وعن الحسن البصرى قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال يارب انا زرنا قبر نبيك صلى الله عليه وسلم فلا تردنا خائبين فنودى ياهذا ما أذنا لك فى زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفورا لكم وقال ابن أبى فديك سمعت بعض من أدركت من العلماء والصلحاء يقول بلغنا ان من وقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال صلى الله عليك يامحمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يافلان ولم تسقط له حاجة قال الشيخ زين الدين المراغى وغيره الاولى أن يقول صلى الله عليك يارسول الله بدل قوله يامحمد للنهى عن ندائه باسمه حيا وميتا وابن أبى فديك من أتباع التابعين وكان من الائمة الثقات المشهورين وهو من المروى عنهم فى الصحيحين وغيرهما من كتب السنن قال الزرقانى فى شرح المواهب اسمه محمد ابن اسمعيل بن مسلم الديلمى مات سنة مائتين على الصحيح وهذا الذى نقله فى المواهب عن ابن أبى فديك رواه عنه البيهقى وفى شرح المواهب للزرقانى ان الداعى اذا قال اللهم انى أستشفع اليك بنبيك يانبى الرحمة اشفع لى عند ربك استجيب له فقد اتضح لك من هذه النصوص المروية عن سلف الامة وخلفها ان التوسل به صلى الله عليه وسلم وطلب الشفاعة منه وزيارته ثابتة عنهم وانها من أعظم القربات وان التوسل به واقع قبل خلقه وبعد خلقه فى حياته وبعد وفاته ويكون أيضا بعد

بالحصى بدور بهادور بحجارة منحوتة مبنية حول الحاشية بالحجر الصوان المنحوت ففرشت به في أيام الموسم وصار محلا لطيفا دائرا بالمطاف من بعد أساطين المطاف وصار ما بعد ذلك مفروشا بالحصى الصغار كسائر المسجد خاص به ذكره الله بالصالحات وأدام له العز والسعادات • ومنها تعمير سبيل في التنعيم أنشأها وأمر باجراء الماء اليها من بئر بعيدة عنها يجري الماء منها الى السبيل في ساقية مبنية فيما بينهما بالجص والنورة وعين لها خادما يستقي من البئر ويصب في الساقية فيصل الماء الى السبيل يشرب منه و يتوضأ به المعتمرون والواردون والصادرون ويدعون له بالنصر والتأييد وعين مصارف ذلك من ريع أوقاف له بمصر • ومنها آبار أمر بحفرها بقرب المدينة الشريفة لقوافل



الزوار في وادي مفرح وغيرها كثيرة النفع جدا • ومنها قراءة ختمة شريفة كل يوم يقرؤها ثلاثون نفرا بمكة وأخرى بالمدينة الشريفة وعين لكل قارئ جزاء في كل سنة تسعة دنانير ذهبا وكذلك لمفرق الاجزاء والداعي ولشيخ القراء وعين مصارف ذلك جميعه من أوقافه التي من محروسة مصر عمرها الله تعالى وجعل ناظرها والمتكلم عليها وعلى سائر ما عينه من الخيرات سيدنا ومولانا شيخ الاسلام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام سلالة آل النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بدر الملة والدين السيد القاضي حسين الحسيني أدام الله عزه وإقباله وضاعف سعادته وإجلاله وكل هذه الخيرات باقية جارية الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى • وأما حلق الواد وبلاد تونس الغرب فهي من أجل الغزوات العثمانية وأعظم فتوحاتهم الكبيرة العلية الواقعة في أيام السلطان الاعظم العثماني السلطان سليم خان الجوهر الثاني رحمه الله رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة ومتعه بالنظر الى وجهه الكريم ومنحه لذات جنة النعيم • وبيان ذلك أن سلاطين تونس الغرب من آل حفص لما ضعفوا ووهنوا ووقع بينهم الاختلاف صار بعضهم يلتجئ الى نصارى الافرنج و يأتي بجنود الكفرة يستعين بهم على أخذ تونس وصار الافرنج يقاتلون من في تونس من المسلمين و يقتلونهم و يسبون أولادهم ونساءهم و يبنون القلاع في تلك البقاع و يواصلون بجنود النصارى الى بلاد المسلمين و يولون من تحت أيديهم سلطانا من ذوي حفص سلاطين تونس قد عاثوا في بلاد تونس ومن بها من المسلمين الى أن صار المسلمون تحت حكم النصارى وعم أذاهم على المسلمين وانفردوا عنهم

---

البعث في عرصات القيامة وأحاديث التوسل به يوم القيامة في الصحيحين وغيرهما فلا حاجة الى الاطالة بذكرها فبطل بما ذكرناه من النصوص جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب وما افتراه ولبس به على المؤمنين قال في المواهب ورحم الله ابن جابر حيث قال

به قد أجاب الله آدم اذ دعا * ونجى في بطن السفينة نوح
وما ضرت النار الخليل لنوره * ومن أجله نال الفداء ذبيح

ثم قال في المواهب فالتوسل به صلى الله عليه وسلم في حياته و بعد وفاته أكثر من ان يحصى أو يدرك باستقصا قال وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام للشيخ ابن عبد الله بن النعمان طرف من ذلك ثم ذكر في المواهب كثيرا من البركات التي حصلت له ببركة توسله بالنبي صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي به وأنشد أبياتا أولها

أتيناك والعذراء يدمى لبانها * وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

الى أن قال في تلك الابيات

وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الخلق الا الى الرسل

فلم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم هذا البيت بل قال أنس لما أنشده الاعرابي الابيات قام يجر رداءه حتى رقي المنبر فخطب ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء وهو على المنبر وفي صحيح البخاري انه لما جاء الاعرابي وشكى للنبي صلى الله عليه وسلم القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر فقال صلى الله عليه وسلم لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر انشاد البيت ولا قوله يستسقى الغمام بوجهه ولو كان في ذلك اشراك لانكره ولم يطلب انشاده وكان سبب انشاء البيت من أبي طالب من جملة قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ان قريشا أصابهم قحط فاستسقى بهم أبو طالب وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فاغدق ودق عليهم السحاب بالمطر وكان ذلك قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فانشأ أبو طالب تلك القصيدة وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن قال في

وبنوا قلعة عظيمة محكمة الاتقان مشيدة البنيان بقرب تونس في موضع يقال له حلق الواد كأنه بنا شداد أو وضع العادين من قبائل عاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد بآلات الحرب والقتال وصارت النصارى تكمن فيها للمسلمين ويرسلون منها المراكب والاغربة في البحر على بلدان المؤمنين الموحدين ويقطعون الطريق قتلا وأسرا ونهبا وسلبا الى أن تعدى ضررهم على طوائف أهل الاسلام وزاد فساد أهل الصليب على ضعفاء المسلمين من الانام * وكبير النصارى الآن صاحب اشبيلية من جزيرة الاندلس أعادها الله تعالى دار الاسلام ببركة النبي سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ويسمونها العوام اسبانية تحريفا لكلمة اشبيلية جهز جيشا كثيفا لاخذ تونس ودلس



على ذلك سلطان تونس أحمد بن حسن الحفصي فأبدله الله على سوء فعله بما يستحقه فأخذ النصارى مملكة تونس ووضعوا السيوف في أهلها فقتلوا الرجال وسبوا الاولاد والنساء والاطفال وباء أحمد المذكور بإثمه واسود في صحائف الليالي والايام ديباجة وجهه واسمه وانقلب خاسئا مدحورا وانخلع عن ربقة الدين وازداد خيبة وكفورا ونفرت قلوب المسلمين منه وزادت نفورا وكيف لا يكون كذلك وقد استعان علة الكفر على الاسلام واستدعى عبدة الصليب والاصنام ينتصر بهم على أهل ملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وامتهن دار الاسلام تونس باقدام أولئك الكفرة اللئام والاعتصام بالله الكبير المتعال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانتشرت هذه الاخبار المدهشة والانباء المظلمة الموحشة الى أن وصلت أبواب سلطان سلاطين الاسلام ظل الله الممدود على مفارق الانام مالك صهوة الملك من الذروة الى الغارب ملك الملوك من مشارق الارض والمغارب واسطة عقد ملوك آل عثمان المشمول بشمول المرحمة والمكرمة والغفران من الله الكريم المنان السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان وأبقى السلطنة في عقبه الى انتهاء الزمان فلما طرق سمعه الشريف هذا الحادث الرجيف وعلم ما أصاب أهل الاسلام من هذه المصائب العظام والامتهان الذي قصم الظهور وأوهن العظام استشاط سخطا وغضبا واضطرمت نار حميته وتأججت لهيبا وتحركت العصبية الاسلامية والتهبت نيران الحمية العثمانية وقام وقعد وأرغى وأزبد وأبرق وأرعد

الجوهر المنظم فاذا كان له صلى الله عليه وسلم هذا الفضل والخصوصية أفلا يتوسل به وذكر القسطلاني في شرحه على البخاري عن كعب الاحبار ان بني اسرائيل كانوا اذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم فعلم بذلك أن التوسل مشروع حتى في الامم السابقة وقال السيد السمهودي في خلاصة الوفاء ان العادة جرت ان من توسل عند شخص بمن له قدر عنده يكرمه لاجله ويقضي حاجته وقد يتوجه بمن له جاه الى من هو أعلى منه واذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة كما في صحيح البخاري في حديث الثلاثة الذين أووا الى غار فاطبق عليهم فتوسل كل واحد منهم الى الله تعالى بارجى عمل له فانفرجت الصخرة التي سدت الغار عليهم فالتوسل به صلى الله عليه وسلم أحق وأولى لما فيه من النبوة والفضائل سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته فالمؤمن اذ توسل به انما يريد نبوته التي جمعت الكمالات وهؤلاء المانعون للتوسل يقولون بجواز التوسل بالاعمال الصالحة مع كونها اعراضا فالذوات الفاضلة أولى فان عمر رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه وأيضا الوسلما الهم ذلك فنقول لهم اذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة فما المانع من جوازها بالنبي صلى الله عليه وسلم باعتبار ما قام به من النبوة والرسالة والكمالات التي فاقت كل كمال وعظمت على كل عمل صالح في الحال والمآل مع ما ثبت من الاحاديث الدالة على ذلك وعلى الاذن فيه ومثله سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا الاولياء وعباد الله الصالحون لما فيهم من الطهارة القدسية ومحبة رب البرية وحيازة أعلى مراتب الطاعة واليقين والمعرفة لله رب العالمين وذلك كله سبب لكونهم من عباد الله المقربين فيقضي سبحانه وتعالى بالتوسل بهم حوائج المؤمنين وينبغي أن يكون ذلك التوسل مع الادب الكامل واجتناب الالفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى ومن أدلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضي الله عنه التي رواها الطبراني في الكبير وفيها ان سواد بن قارب انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته التي فيها

فأشهد ان الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل * وان كان فيما فيه شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله أدنى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لي شفيعا وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضي الله عنها عمة النبي صلى الله عليه وسلم فانها رثته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأبيات قالت فيها

وهددوأوعد وخاطب الوزراء العظام والبكلر بكية الكبراء الفخام وقال من يقدم منكم على نصرة الاسلام واذلال عبدة الاصنام ويستنقذ من أسر من المسلمين بيد أولئك النصارى الطغام ويخرج من عهدة الكفار الفجرة اللئام فبادر الوزير المعظم والليث الغشمشم صاحب السيف والقلم فاتح ممالك اليمن الايمن المكرم أبو الفتوحات المفخم لازالت ألويه نصره منشورة الذوائب مشرقة كالشمس يغشى ضوؤها المشارق والمغارب صاعدة الى أفق السماء حتى تزاحم مناكب الكواكب وقال أنا السد الخلة أنا لها أفرج كربتها وأفتح مقفلها وأصلح خللها وأزيل عللها ولم تدخرنا السلطنة الشريفة الخاقانية وما ربتنا العواطف الكريمة العثمانية الا لبذل أرواحنا وأموالنا في مثل هذه الحوادث وندفع عن المسلمين ما يصابون به من المصائب الكوارث فقابله السلطان الاعظم بالشكر منه والثناء عليه وشرفه بالالتفات الشريف السلطاني اليه وجعله سردار العساكر المنصورة وأمره أن يتوجه الى قهر النصارى المقهورة وأمر أن يتوجه معه لمساعدته ومعاونته ودفع ملالته وسآمته وضبط العساكر البحريه وترتيب السفن الحربية قابودان الباب العالى فارس ميدان البحر السابق الى قلة أبراج المعالى الاسد الضرغام والليث القمقام والصارم الصمصام أمير الامراء العظام حضرة قلج على قابودان باشا يسر الله له من الفتوحات ما يشا فشرعا فى أخذ أسباب السفر وأخذا معهما من أمراء السناجق وأمراء العساكر كل أسد غضنفر وكل باسل معقود بناصيته أسباب النصر والظفر ومن له فى حرب البحر اليد البيضاء والمعرفة التى يتصرف بها فى الماء والهواء وشحنوا مائتى وما غراب تطير بأجنحة القلاع وتهدم بما فيها من المدافع محكمات الحصون والقلاع وعدة من المؤنات الكبار لحمل الاثقال ودفع الاحمال الثقال وحمل مكاحل النحاس لحطم الثغور وهدم السور والجسور الى الاساس وكثرة التخويف والترهيب وشدة القوة والباس * وكان بروز العسكر المنصور من القسطنطينية العظمى يوما عظيما مشهودا وساعة مباركة أظهرت يمنا وبركة وسعودا وذلك غرة ربيع الاول سنة احدى وثمانين وتسعمائة وركب الوزير المعظم سردار العسكر حضرة سنان باشا والقبودان والعساكر المنصورة بنصر الله الملك الديان ثبج البحر كأنهم طوفان فوق طوفان وطارت بهم الاغربة على وجه البحر أقوى طيران

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا

ففيها النداء مع قولها وأنت رجاؤنا وسمع تلك المرثية الصحابة رضى الله عنهم ولم ينكر عليها أحد قولها يا رسول الله أنت رجاؤنا قال العلامة ابن حجر فى كتابه المسمى بالخيرات الحسان فى مناقب الامام أبى حنيفة النعمان فى الفصل الخامس والعشرين ان الامام الشافعى أيام هو ببغداد كان يتوسل بالامام أبى حنيفة رضى الله عنه يجىء الى ضريحه يزور فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى به فى قضاء حاجاته وقد ثبت توسل الامام أحمد بالشافعى رضى الله عنهما حتى تعجب ابنه عبد الله بن الامام أحمد من ذلك فقال له الامام أحمد ان الشافعى كالشمس للناس وكالعافية للبدن ولما بلغ الامام الشافعى ان أهل المغرب يتوسلون الى الله تعالى بالامام مالك لم ينكر عليهم وقال الامام أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من كانت له الى الله تعالى حاجة وأراد قضاءها فليتوسل الى الله تعالى بالامام الغزالى وذكر العلامة ابن حجر فى كتابه المسمى بالصواعق المحرقة لاهل الضلال والزندقة ان الامام الشافعى رضى الله عنه توسل بأهل البيت النبوى حيث قال

آل النبى ذريعتى * وهم اليه وسيلتى
ارجو بهم أعطى غدا * بيدى اليمين صحيفتى

*(ذكر دعاء يقال بين سنة الفجر وفرضه)*

وذكر العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوى فى كتابه المسمى مجمع الأحباب فى ترجمة الامام أبى عيسى الترمذى صاحب السنن انه رأى فى المنام رب العزة فسأله عما يحفظ عليه الايمان ويتوفاه عليه قال فقال لى قل بعد صلاة ركعتى الفجر قبل صلاة فرض الصبح الهى بحرمة الحسن وأخيه وجده وبنيه وأمه وأبيه نجنى من الغم الذى أنا فيه يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام أسألك ان تحيى قلبى بنور معرفتك يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين فكان الامام الترمذى يقول ذلك دائما بعد صلاة الصبح ويأمر أصحابه به ويحثهم على المواظبة عليه فلو كان التوسل ممنوعا لما فعله هذا الامام ولا أمر بفعله والمواظبة عليه وهو امام حجة يقتدى به بل هذا الامر أعنى التوسل لم ينكره قط أحد من السلف والخلف حتى جاء هؤلاء المنكرون وفى الاذكار للنووى ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر ان يقول العبد بعد ركعتى الفجر ثلاثا اللهم رب جبريل وميكائل واسرافيل ومحمد صلى الله عليه وسلم أجرنى من النار قال فى شرح الاذكار خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم فى قبول الدعاء والا فهو سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات فأفهم ذلك انه من التوسل المشروع وفى شرح حزب البحر للامام زروق بعد ذكر كثير من الاخيار اللهم انا نتوسل اليك بهم فانهم أحبوك

وتلت ألسنة القراء وقالوا اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها حتى وصلوا الى ماللوكليسا من مملكة البندقية ووصلوا في يوم الخميس لخمس مضين من شهر ربيع الاول كيمان الخير واستقروا بها ليلة الجمعة وأصبحوا متوجهين والسعد يخدمهم والنصر والظفر يرافقهم ويقدمهم وقد عبروا بسفائنهم أبا العمان وما أمكن لغيرهم من العساكر عبور العمان بهذه السفائن الكثيرة خوفا من تصادمها عند شدة تموج البحر ولكن الله يسلم من أراد لا دافع لمراده ولا راد وهو على كل شئ قدير فساروا تارة بالقلوع وتارة بالكورك على وجه ذلك البحر الوسيع الى أن ظهرت لهم في اليوم الثامن جبال قلاوريه واستمروا كذلك الى أن وصلوا وقت الظهر من اليوم التاسع طبرق حصاري وهو حصار منيع للكفار على ساحل البحر فلما  وصلت العساكر المنصورة الاسلامية الى ذلك المكان حاربهم الكفار الملاعين فدهكهم العسكر المنصور دهكا ودكوا من تحت أرجلهم الارض دكا فهربت الكفار الى قلعة حصينة تسمى نجبة ووقع قتال عظيم استشهد فيه من رزق الشهادة وأعطاه الله في جهاده الحسنى وزيادة منهم حضرة كتخداي القابودان صنجق قره جه ايلي محمد بك نزل من سفينته مشتاقا الى الجهاد في سبيل الله فأصابته بندقة في خده نفذت من الجانب الآخر واستمر صاحب فراش خمسة أيام وتلت عليه الملائكة ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فانتقل الى رحمة الله تعالى شهيدا ثم رمى وقت المغرب مدفع لاعلام الغزاة بالعود الى سفائنهم للمسير فحضروا وركبوا ورفعت القلاع وساروا يسيرون تارة برفع القلع وتارة بالكورك الى أن وصلوا في اليوم الرابع عشر الى جزيرة مسينة استقر بها عسكر المسلمين ثم ساروا فلما وصلوا الى محاذاة حصار سراقول حصلت فرتونة في البحر تفرقت بسببها السفائن من الضحى الى آخر النهار ثم اجتمعت وقت العشاء في محل يقال له كيبر ثم مروا بقلابان فحوصرت وهدمت قلعتها وقتل من بها من النصارى ثم ساروا فلاحت قلعة أولا وصل اليها بعض العسكر المنصور ونهبوا ما وجدوا بها من الذخائر وقتلوا من ظفروا به من النصارى وعادوا الى سفائنهم وصاروا ينزلون كل يوم لاجل السقية الى جانب من ساحل صقلية وكلما وصلت يدهم اليه من نهب وغارة وقتل وأسر لطائفة الكفار بادروا اليه وأخربوا قراهم ودورهم وبساتينهم وعادوا الى سفائنهم فاجتمع كل من في ذلك الساحل من النصارى من فارس وراجل

---

وما أحبوك حتى أحببتهم فبحبك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فبك فتمم لنا ذلك مع العافية الكاملة الشاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين

(ذكر دعاء لتنوير البصر)

ولبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله اللهم رب الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها نور بصري وبصيرتي وسري وسريرتي وقد جرب هذا الدعاء لتنوير البصر وان من ذكره عند الاكتحال نور الله بصره وذلك من الاسباب العادية وهي لا تأثير لها والمؤثر هو الله وحده لا شريك له فكما أن الله تعالى جعل الطعام والشراب سببين للشبع والري لا تأثير لهما والمؤثر هو الله تعالى وجعل الطاعة سببا للسعادة ونيل الدرجات جعل أيضا التوسل بالاخيار الذين عظمهم الله وأمر بتعظيمهم سببا لقضاء الحاجات فليس في ذلك كفر ولا اشراك ومن تتبع أذكار السلف والخلف وأدعيتهم وأورادهم وجدها كلها مشتملة على التوسل ولم ينكر ذلك أحد عليهم حتى جاء هؤلاء المنكرون ولو تتبعنا ما وقع من أكابر الامة من التوسل لامتلأت بذلك الصحف وفيما ذكر كفاية وانما أطلت الكلام في ذلك ليتضح الأمر للمتشككات فيه غاية الاتضاح لان كثيرا من أتباع محمد بن عبد الوهاب يلقون الى كثير من الناس شبهات يستميلونهم بها الى اعتقادهم الباطل فعسى أن يقف على هذه النصوص من أراد الله حفظه من قبول شبهاتهم فلا يلتفت اليها ويقيم عليهم الحجة في ابطالها قال في الجوهر المنظم ولا فرق في التوسل بين ان يكون بلفظ التوسل أو التشفع أو الاستغاثة أو التوجه لان التوجه من الجاه وهو علو المنزلة وقد يتوسل بذي الجاه الى من هو أعلى منه جاها والاستغاثة طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره وان كان أعلى منه فالتوجه والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وبغيره ليس لهما معنى في قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد بهما أحد منهم سواه فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه نسأل الله العافية والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى وأما النبي صلى الله عليه وسلم فهو واسطة بينه وبين المستغيث فهو سبحانه وتعالى مستغاث به حقيقة والغوث منه خلقا وايجادا والنبي صلى الله عليه وسلم مستغاث به مجازا والغوث منه تسببا وكسبا فهو على حد قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى أي وما رميت خلقا وايجادا اذ رميت تسببا وكسبا ولكن الله رمى خلقا وايجادا وكذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم وكثيرا ما تجيء السنة لبيان الحقيقة ويجيء القرآن الكريم باضافة الفعل الى مكتسبه ويسند اليه مجازا كقوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله مع قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فالآية بيان للسبب

فصار واعسكرا وأقدموا على قتال من ينزل من المسلمين فخرج اليهم من السفائن بعض البحارين والكروجية وبعض من فى نيته الجهاد فى سبيل الله فقاتلوا الكفار وهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وفر الباقون ولم يعهد للملاعين مثل هذه الهزيمة والخسران وذهاب أرواحهم وأموالهم وأسر أولادهم ونسائهم قبل الآن ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ثم أطلق المسلمون النار فى تلك السواحل وأحرقوا أشجارها ودورها وقصورها وعجلوا بأهلها الى نار جهنم وساءت مصيرا * وفى اليوم السادس عشر من شهر ربيع الاول ظفر عسكر الاسلام بسفينة للنصارى مشحونة بالقمح كانت متوجهة لبعض قلاعهم فاغتنم المسلمون ذلك وكان أخذها فألا حسنا للمسلمين * وفى اليوم الثامن عشر من الشهر المذكور وصلوا جهودا وامى وطاب الريح للمسلمين فوصلوا الى قلعة حراب فى قرب تونس قريبا من قالبية بورنى وهى على ثمانية عشر ميلا من مدينة تونس فزينت السفائن والاغربة بالرايات المصبوغة ألوانا اظهارا لهيبة الاسلام وعنوانا للعساكر المنصورة وأرسوا فى اليوم الرابع والعشرين فى جزيرة حلق الواد ونزلت العساكر المنصورة السلطانية ونصب وطاق حضرة الوزير المعظم والقابودان المكرم على مسافة لا يصل اليها المدافع ونزلوا المدافع الكبار التى اذا رمى بها تزلزل الجبال وتهدمها وتخرب الاطواد الكبار وتحطمها وشرعوا يتقربون قليلا قليلا الى القلعة ويبنون لهم متاريس يتترسون بها ويسوقون الاتربة أمامهم ويتسترون خلفها ويحفرون خنادق فيها كيلا تصيبهم المدافع ويتقدمون ويدنون من القلعة على هذا الاسلوب الى أن أحاطت العساكر المنصورة بقلعة المجنيقات والمدافع ووجهت لى صوب الكفرة أفواه المكاحل الكبار والمصانع وبرز حضرة الوزير المعظم سنان باشا محفوفا بنصر الله يخوض حول الموت وهو يراه محتسبا نفسه فى سبيل الله معتمدا على عون معين نصير تسجد لعظمته الجباه وأقدمت العساكر المنصورة بصدق اعتقادها وثبتت النصارى بغلاظ أكبادها من أشد الصواعق وأخطف للابصار والاسماع من الرعود والبوارق تخطف ماصدفت من النفوس والارواح وتغرق ماصادمت من الهياكل والاشباح وتفلق اللحم من العظم وتذيب الشحم وتسيل الدم والعساكر المنصورة مقدمون على هذه الاهوال ثابتون ثبات الاطواد والجبال

---

المعادى الذى لا تأثير له والحديث بيان للسبب الحقيقى وهو فضل الله تعالى وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث باعتبار الكسب أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعا فاذا قلت أغثنى يا الله تريد الاسناد الحقيقى باعتبار الخلق والايجاد واذا قلت أغثنى يا رسول الله تريد الاسناد المجازى باعتبار الكسب والتوسط والتسبب بالشفاعة ولو تتبعت كلام العلماء والائمة لوجدت شيأ كثيرا من ذلك ومنه مامر فى صحيح البخارى فى مبحث الحشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة بينماهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فتأمل تعبيره صلى الله عليه وسلم بقوله استغاثوا بآدم فان الاسناد مجازى اذ المستغاث به حقيقة هو الله تعالى وصح عنه صلى الله عليه وسلم لمن أراد عونا أن يقول يا عباد الله أعينونى وفى رواية أغيثونى وجاء فى قصة قارون لما خسف به أنه استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه وصار يقول يا أرض خذيه فعاتبه الله تعالى حيث لم يغثه وقال له استغاث بك فلم تغثه ولو استغاث بى لاغثته فاسناد الاغاثة الى الله تعالى اسناد حقيقى والى موسى عليه السلام مجازى وقد يكون معنى التوسل به صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء منه اذ هو حى صلى الله عليه وسلم يعلم سؤال من يسأله وقد تقدم حديث بلال بن الحرث رضى الله عنه المذكور وفيه انه جاء الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لامتك أى ادع الله لهم فعلم انه صلى الله عليه وسلم يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما كان يطلب منه فى حياته لعلمه بسؤال من يسأله مع قدرته على التسبب فى حصول ماسئل فيه بسؤاله ودعائه وشفاعته الى ربه عز وجل وانه صلى الله عليه وسلم يتوسل به فى كل خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده فى حياته وبعد وفاته وكذا فى عرصات القيامة فيشفع الى ربه وكل هذا مما تواترت به الاخبار وقام به الاجماع قبل ظهور المانعين منه فهو صلى الله عليه وسلم له الجاه الوسيع والقدر المنيع عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه وأولاه وأما تخيل بعض المحرومين ان منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد وان فعل ذلك مما يؤدى الى الشرك فهو تخيل فاسد باطل فالتوسل والزيارة اذا فعل كل منهما مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدى الى محذور البتة والقائل بمنع ذلك سدا للذريعة متقول على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وكان هؤلاء المانعين للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم فحيثما صدر من أحد تعظيم له صلى الله عليه وسلم حكموا على فاعله بالكفر والاشراك وليس الامر كما يقولون فان الله تعالى عظم النبى صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم باعلى أنواع التعظيم فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه نعم يجب علينا أن لا نصفه بشئ من صفات الربوبية ورحم الله الشيخ الابوصيرى حيث قال

دع

على الحرب والقتال اذ وصل الخبر بوصول بكلر بكي تونس المولى عليها من قبل السلطنة الشريفة العثمانية السليمية أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام والمجاهدين العظام حيدر باشا وكذلك بكلر بكي طرابلس الغرب أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء المجاهدين العظام ذو القدر والعظمة والاحتشام مصطفى باشا أيدهما الله تعالى بالنصر والتأييد وظفرهما على كل كافر عنيد وكانا وصلا قبل وصول العمارة السلطانية من البر الى مقدار نصف يوم من تونس بقصد محاصرتها وأخذها فلما علم البكلار بكيان بوصول العمارة السلطانية الى حلق الواد واشتغال العسكر المنصور السلطاني بالجهاد وصلا الا بالخفية مع قليل من الغلمان الى وطاق سردار العمارة المنصورة الوزير المعظم الباشا سنان واجتمعا به وفرح كل منهما كال الفرح وحصل له الاطمئنان وطلبا منه الامداد والاعانة على أخذ تونس وما أمكن الوزير المعظم سنان باشا أن يتوجه معهما بنفسه فأمر طائفة من أمرائه وعين نحو ألف نفر مع التفكجية وبعض المدافع الكبار والضربزنات أن يتوجهوا مع البكلار بكيين من السناجق فخر الأمراء العظام ابراهيم بك من سناجق محروسة وسنجق قرستي محمود بك وسنجق قره حصار بالي بك ومقدار ألفي نفر من طائفة كوكلو مع آغاهم حبيب بك فتوجهوا في الحال مع حيدر باشا ومصطفى باشا وأحاطوا بتونس وكان سلطانها المواس مع النصارى أحمد الحفصي ومن معه من النصارى ورأوا أنهم عاجزون عن حفظ تونس لسعتها ورأوا ان قلعتها أيضا خراب متهدمة لا تصونهم فخرجوا من تونس الى مرحلة بقربها يقال لها قوملو كربعني بحر الرمل وعملوا بها حصارا من الخشب حشوه بالتراب وتحصنوا فيه وكانوا نحو سبعة آلاف مقاتل ما بين كفار ومرتدين ومردة من النصارى المخذولين وشحنوا هذا الحصار بآلات الحرب والمدافع والذخيرة ونحو ذلك فلما خلت تونس من أعداء الدين فتحها عساكر المسلمين وضبطوها وحصنوها ثم برزوا الى قتال أولئك الملاعين وحاصروهم في قلعتهم التي أحدثوها وأحكموها بالاخشاب والالواح والطين وأرسلوا خبر ذلك الى سردار عسكر المسلمين الوزير المعظم سنان باشا فأرسل لنصرتهم وامدادهم واعانتهم القابودان المعظم والبكلار بكي المفخم قلج علي فتوجه بطائفة من المسلمين من العساكر المنصورة السلطانية الى اعانة بكلار بكي تونس حبيب باشا وبكلار بكي طرابلس الغرب

دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فليس في تعظيمه بغير صفات الربوبية شئ من الكفر والاشراك بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات وهكذا كل من عظم الله تعالى كالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين قال الله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب وقال تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الاسود ومقام ابراهيم عليه السلام فانها أحجار وأمرنا الله تعالى بتعظيمها بالطواف بالبيت ومس الركن اليماني وتقبيل الحجر الاسود وبالصلاة خلف المقام وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم ونحن في ذلك كله لم نعبد الا الله تعالى ولم نعتقد تأثيرا لغيره ولا نفعا ولا ضرا فلا يثبت شئ من ذلك لاحد سوى الله تعالى والحاصل ان هنا أمرين أحدهما وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ورفع رتبته عن سائر الخلق والثاني افراد الربوبية واعتقاد ان الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه فمن اعتقد في مخلوق مشاركة البارى سبحانه وتعالى في شئ من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الالوهية للاصنام واستحقاقها العبادة ومن قصر بالرسول صلى الله عليه وسلم عن شئ من مرتبته فقد عصى أو كفر وأما من بالغ في تعظيمه بانواع التعظيم ولم يصفه بشئ من صفات البارى عز وجل فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا وذلك هو القول الذي لا افراط فيه ولا تفريط واذا وجد في كلام المؤمنين اسناد شئ لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلي ولا سبيل الى تكفيرهم اذ المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة فمن ذلك قوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاسناد الزيادة الى الآيات مجاز عقلي لانها سبب في الزيادة والذي يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده وقوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا فاسناد الجعل الى اليوم مجاز عقلي لان اليوم محل لجعلهم شيبا فالجعل المذكور واقع في اليوم والجاعل حقيقة هو الله تعالى وقوله تعالى ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا فاسناد الاضلال الى الاصنام مجاز عقلي لانها سبب في حصول الاضلال والهادي والمضل هو الله تعالى وحده وقوله تعالى حكاية عن فرعون يا هامان ابن لي صرحا فاسناد البناء الى هامان مجاز عقلي لانه سبب آمر فهو يأمر ولا يبني بنفسه والباني انما هم الفعلة وأما الاحاديث ففيها شئ كثير يعرفه من وقف عليها وكان ممن يعرف الفرق بين الاسناد الحقيقي والمجازي فلا حاجة الى الاطالة بنقلها وقال العلماء ان صدور ذلك الاسناد من موحد كاف في حمله اسنادا مجازيا لان الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد ان الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده فهو الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لاحد سواه لا لحي ولا لميت فهذا

مصطفى باشا ومن جهز معهما من العساكر سابقا وهم محيطون بالقلعة التى تحصنوا بها الكفار الاشقياء والعربان المرتدون فرأى قلج على باشا صعوبة أخذ القلعة لكثرة من فيها من المقاتلة وطلب عسكرا آخر وعدة ومدافع أخر من الوزير المعظم سنان باشا فارسل له ألف ينكجرى وصوباشى اشى ومن سلحدارية الباب العالى على أغا وجهز معهم ثمانية مدافع وستة ضربزن ولحقوا بالقابودان قلج على باشا وأحاطوا بقلعة الكفار وبنوا المتاريس من كل جانب ومع ذلك كانت الكفرة والملاعين ومن ارتد منهم من عربان تونس فى غاية الكثرة والقوة ومعهم الخيول فخرجوا من القلعة مرارا وهجموا على عساكر المسلمين عند المتاريس فى جهة من جهات القلعة وقاتلوا المسلمين قتالا شديدا وعادوا الى قلعتهم واستشهد فى ذلك كثير من المسلمين وانتقلوا الى رحمة الله تعالى فى أعلى عليين فلما بلغ حضرة الوزير المعظم ما فيه عساكر المسلمين من الشدة جاء بنفسه اليهم فان المسافة قريبة وعساكر السلطنة محيطة بقلعة حلق الواد والحرب قائم على حاله فتوجه حضرة الوزير الى تلك القلعة المحصورة بقرب تونس وشاهدها ووزع على جوانبها عساكر المسلمين وقوى جاشهم وعين فى كل موضع طائفة وأشار على القبودان والبكلربكية بما رأى فيه الصواب وطمنهم وشد قلوبهم وعاد من يومه الى حلق الواد لاحتياج عساكر المسلمين اليه فى هذه الجهة أيضا واستمر كل من الفريقين على مجاهدة الكفار وهم على الثبات والقرار لا يسأمون من مصادمة النار ولا يخافون من الموت لانهم قادمون على جنة الخلد وملك لا يبلى طالبون درجة الشهادة من الله العلى الاعلى * ووصل فى هذا الاثناء فى بكلربكى الجزائر سابقا أمير الامراء العظام أحمد باشا لاعانة عسكر الاسلام وأقبل على حضرة الوزير المعظم واستأمر لما يأمره به فاعطاه عدة من المدافع وعين له جهة الجنوب من حلق الواد فتوجه اليه وبنى المتاريس عليها وجاهد فى الله حق جهاده وأقدم على قتال الكفار وألقى الى الحرب مقاليد قياده فوصل العسكر المنصور الى حافة خندق الكفار بعد أربعة عشر يوما وبنوا على حافته المتاريس وكان الكفار قد نقبوا تحت الارض نقبا طويلا وصلوا به الى موضع كان كمرك خانه وفيه قلة برج يصلح للتحصين فوصلوا اليه من تحت الارض وملؤه من الرجال وآلات الحرب ففطن المسلمون لذلك وكان قريبا من الجانب الذى فيه حضرة الوزير

الاعتقاد هو التوحيد المحض بخلاف من اعتقد غير هذا فانه يقع فى الاشراك وأما الفرق بين الحى والميت مع اعتقاد ان الحى يخلق أفعال نفسه فهو اعتقاد المعتزلة فلو كان هؤلاء الذين يريدون المحافظة على التوحيد باعتبار زعمهم وأن مرادهم منع الالفاظ الموهمة وسد الذريعة يقتصرون على منع العامة عن الالفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى تأدبا ومع هذا فاذا صدرت منهم تحمل على المجاز العقلى ويجيزون لهم التوسل مع المحافظة على الادب لكان لكلامهم وجه وأما المنع منه بالكلية فهو مصادم للاحاديث الصحيحة ولفعل السلف والخلف فعليك باتباع الجمهور والسواد الاعظم قال الله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواد الاعظم فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية وقال صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وقد ذكر العلامة ابن الجوزى فى كتابه المسمى تلبيس ابليس أحاديث كثيرة فى التحذير من مفارقة السواد الاعظم منها حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه خطب فى الجابية فقال من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد وفى حديث عرفجة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة وحديث أسامة بن شريك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة فاذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم وحديث معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية والنائية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة العامة والمسجد وحديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فان الله تعالى لن يجمع أمتى الا على هدى فهؤلاء المنكرون للتوسل والزيارة فارقوا الجماعة والسواد الاعظم وعمدوا الى آيات كثيرة من آيات القرآن التى نزلت فى المشركين فحملوها على المؤمنين الذين تقع منهم الزيارة والتوسل وتوصلوا بذلك الى تكفير أكثر الامة من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد وعوام الخلق وقالوا انهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد علمت ان المشركين اعتقدوا الوهية غير الله تعالى واستحقاقه العبادة وأما المؤمنون فلم يعتقد أحد منهم هذا الاعتقاد فكيف يجعلونهم مثل أولئك المشركين سبحانك هذا بهتان عظيم وشبهة هؤلاء الخوارج فى المنع من طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم انهم يقولون ان الله تعالى قال

فتوجه اليه بنفسه النفيسه ووقع فيه حرب شديد واخذت القلعه وقتل من فيها من النصارى المخذولين وأرسل حضرة الوزير بالليل من يقيس عمق الخندق الذى وصل اليه العسكر المنصور فكان عمقه ستين ذراعا بذراع العمل وقعره متصل بالبحر ملوء بماء البحر فتشاور الوزير مع الأمراء وأصحاب الرأى فى ذلك فما وجدوا لذلك حيلة غير ان يملأ الخندق بالتراب وتبنى عليه المتاريس فامر الوزير المذكور وسائر العسكر بذلك فشرعوا فى نقل التراب من خلف المتاريس وباشر حضرة الوزير المشار اليه ذلك ونقل بيده الشريفة التراب ابتغاء مرضاة الله العزيز الوهاب ونصرة لدين الاسلام وتأييد الملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ورأى الامراء ذلك فبادروا بانفسهم الى نقل التراب ورأى العسكر المنصور ذلك فهموا غاية الاهتمام وأقدموا نهاية الاقدام وحملوا التراب كامثال القباب ورموا بها فى الخندق الى ان امتلأ فارتفع وزاد فى الارتفاع فبنوا المتاريس فوق ذلك الى أن اعتلوا على الحصار وذلك لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الثانى سنة احدى وثمانين وتسعمائة فصارت مدافع المسلمين تصل الى وسط قلعة الكفار وتقتلهم وتحرقهم بالنار وتسوقهم الى جهنم وبئس القرار * ووصل رمضان باشا ومعه ثلاثة آلاف مقاتل واجتمع بحضرة الوزير المعظم وطلب معه خدمة يؤديها فارسله بمن معه من عسكر الاسلام الى اعانة المسلمين الذين حصروا الكفار بالقلعة التى بقرب تونس فتوجه اليها ونزل فى جهة من جهاتها واحاط عليها مع من هناك من البكلاربكية والأمراء والغزاة والمجاهدين والكبراء واستمر حضرة الوزير فى محاصرة حلق الواد والاستيلاء على من فيها من أهل الكفر والعناد وأقدم المسلمون على الدخول على الحصار لما شاهدوا وهن الكفار وحمل الوزير المعظم بمن معه من الابطال حملة تزلزل الجبال وحمل من الجهات الثلاث من العسكر والأمراء والرجال فدخلوا القلعة وفتحوها عنوة بالسيف والقتال لست مضين من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة ووضعوا السيف فيمن وجدوا بها من الكفار وساقوهم بالنار الى عذاب النار جهنم وبئس القرار وغير ذلك واستؤسر صاحب القلعة كبير النصارى المخذولين وكذلك أسرى سلطان تونس أحمد بن حسن الحفصى وقيدهما وحبسهما حضرة الوزير وأمر بقتل سائر من وجد من النصارى والعرب المرتدين وفرح بفتح هذا الحصن كافة أهل

فى كتابه العزيز من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالطالب للشفاعة من أين يعلم حصول الاذن للنبى صلى الله عليه وسلم فى أنه يشفع له حتى يطلب الشفاعة منه ومن أين يعلم انه ممن ارتضى حتى يطلب الشفاعة منهم واحتجاجهم هذا مردود بالاحاديث الصحيحة الصريحة فى حصول الاذن له صلى الله عليه وسلم فى أنه يشفع لمن قال بعد الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة الى آخر الدعاء المشهور ولمن صلى على النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ولمن زار قبره صلى الله عليه وسلم بل جاءت أحاديث كثيرة صريحة فى شفاعته صلى الله عليه وسلم لعصاة أمته كقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى فكل من مات مؤمنا فانه يدخل فى شفاعته صلى الله عليه وسلم فهى ثابتة لجميع المؤمنين ومأذون له صلى الله عليه وسلم فيها فالطالب للشفاعة كانه يتوسل الى الله تعالى بالنبى صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى أن يحفظ عليه الأيمان حتى يتوفاه الله عليه فيشفع فيه نبيه صلى الله عليه وسلم فلا حاجة الى التطويل ببسط الدلائل فى ذلك مع وضوح الامر الا لمن عميت بصيرته وأما شبهتهم فى المنع من النداء فقالوا ان النداء والخطاب للجمادات والغائبين والاموات من الشرك الاكبر الذى يباح به الدم والمال ولا مستند لهم فى ذلك بل الاحاديث الصحيحة الصريحة فى بطلان قولهم هذا وزعموا أن النداء للاموات والغائبين والجمادات يسمى دعاء وأن الدعاء عبادة بل الدعاء مخ العبادة وحملوا كثيرا من الآيات القرآنية التى نزلت فى المشركين على الموحدين وقد تقدم ذكر كثير من تلك الآيات وهذا كله منهم تلبيس فى الدين وتضليل لاكثر الموحدين فانه وان كان النداء قد يسمى دعاء كما فى قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لكن ليس كل نداء عبادة ولو كان كل نداء عبادة لشمل ذلك نداء الاحياء والاموات فيكون كل نداء ممنوعا مطلقا وليس الامر كذلك وانما النداء الذى يكون عبادة هو نداء من يعتقدون ألوهيته واستحقاقه العبادة فيرغبون اليه ويخضعون بين يديه فالذى يوقع فى الاشراك هو اعتقاد الوهية غير الله تعالى واعتقاد التأثير لغير الله تعالى وأما مجرد النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته ولا تأثيره فانه ليس عبادة ولو كان لميت أو غائب أو جماد وذلك كله وارد فى كثير من الاحاديث الصحيحة والآثار الصريحة فقولهم ان نداء الميت والجماد والغائب دعاء وكل دعاء عبادة غير صحيح على اطلاقه وعمومه ولو كان كل نداء عبادة لامتنع نداء الحى والميت فانهما مستويان فى ان كلا منهما لا تأثير له فى شئ ولا يعتقد أحد من المسلمين ألوهية غير الله تعالى ولا تأثير أحد سواه فالدعاء الذى هو مخ العبادة هو الرغبة للاله والخضوع بين يديه وسأذكر لك كثيرا من الاحاديث والآثار التى جاء فيها النداء والخطاب للاموات والغائبين والجمادات وان تقدم

الاسلام والمؤمنين واستبشروا بهذا النصر والفتح المبين فانه يعدّ من أجل فتوحات الاسلام وأعظم التأييدات لدين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وكانت هذه القلعة من أحكم القلاع التى أحكمها اللئام وأقواها فى المكنة والاستحكام وأشدها ضررا على أهل الاسلام * ومن عجيب الاتفاق ان هذه القلعة المنكوبة بنتها النصارى فى سنة ست وثلاثين وتسعمائة وكملوا استحكامها فى ثلاث وأربعين سنة وافتتحها حضرة الوزير المعظم سنان باشا فى ثلاث وأربعين يوما من محاصرتها بعدد السنين التى أحكم فيها بناؤها كل يوم بسنة * ولما تم هذا الفتح المبارك رأى حضرة الوزير ان ترميمها واعادتها وحفظها بالعسكر يحتاج الى مؤنة كبيرة وخزائن من الأموال كثيرة مع قلة جدواها لبعدها عن الباب العالى وطول مداها ورأى ان الأولى هدمها وتخريبها فهدموها حجرا حجرا وتركوها خبرا لا أثرا وأعملت المعاول فى رأسها الى أن وصلوا الى أساسها فصارت طللا من الاطلال ودمنة يلعب فيها هبوب الصبا والشمال ولا يسمع فيها نداء أو صدى الاصياح يوم أو صدى ولم يبق بها أنيس الا اليعافير والا العيس وأرسل حضرة الوزير المعظم بشائر النصر والفتح المتوالى الى جهة الباب الشريف العالى والى سائر بلاد الاسلام ليأخذ المسلمون حظهم من هذا البشر التام والفرح الشامل العام ويفرح المؤمنون بنصر الله والملائكة الكرام ويدعو بدوام هذا السلطان الأعظم نصره الله وخلد ملكه على الدوام

وهذا دعاء لا يرد لانه
يزان به كل الورى والممالك
تراه بلا شك أجيب لأنه
اذا ما دعونا أمنته الملائك *

وتوجه البشير كأنه الصبح الصادق ينشر على الخافقين رايات النصر الخوافق مايدب وعلا برايات الفرح أقطار المغارب والمشارق وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره ثم لما فرغ حضرة الوزير من مآربه من حلق الواد وفعل فى تلك الوهاد والمهاد والاوعاد والانجاد ما أراد توجه بعسكره المنصورة الى تونس لتطمن طلعته الغراء من بها من المسلمين وتونس فوصل اليهم وهم محاصرون قلعة النصارى المخذولين مجاهدون مجتهدون فى أخذ أولئك الملعونين ففرح بوصوله البكار بكية الذين يحامون لنصرة الدين واشتد أزرهم وقوى جاشهم على قتال المشركين كيف وقد نشؤا على الطعان والقراع كانشأ الاطفال على الرضاع وضروا بدماء الكفار ضرارة الأسود والسباع بما تفترسه من

كثير من ذلك فلا باس باعادته فمنها حديث الضرير الذى رواه عثمان بن حنيف رضى الله عنه فان فيه يا محمد انى أتوجه بك الى ربك وتقدم أن الصحابة رضى الله عنهم استعملوا ذلك بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وحديث بلال بن الحارث رضى الله عنه فان فيه انه جاء الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول استسق لامتك ففيه النداء له بعد وفاته والخطاب بالطلب منه ان يستسقى لامته والاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى زيارة القبور فى كثير منها النداء والخطاب للاموات كقوله السلام عليكم يا أهل القبور السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ففيها نداء وخطاب وهى أحاديث كثيرة لاحاجة الى الاطالة بذكرها وتقدم ان السلف والخلف من أهل المذاهب الاربعة استحبوا للزائر أن يقول تجاه القبر الشريف يارسول الله انى جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى وصح عن بلال بن الحرث رضى الله عنه انه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وامحمداه وامحمداه وصح أيضا ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم وامحمداه وامحمداه وفى الشفاء للقاضى عياض ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما خدلت رجله مرة فقيل له اذكر أحب الناس اليك فقال وامحمداه فانطلقت رجله وجاء الخطاب وصورة النداء فى التشهد الذى يأتى به المسلم فى كل صلاة وعلمه النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه فان فيه السلام عليك أيها النبى وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل أرضا قال يا أرض ربى وربك الله ففيه الخطاب والنداء للجماد وذكر الفقهاء فى آداب السفر ان المسافر اذا انفلتت دابته بارض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله احبسوا واذا أضل شيأ أو أراد عونا فليقل يا عباد الله أعينونى أو أغيثونى فان لله عبادا لا تراهم واستدل الفقهاء على ذلك بما رواه ابن السنى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فلينادِ يا عباد الله احبسوا فان لله عبادا يجيبونه ففيه نداء وطلب نفع أى التسبب فى ذلك من عباد الله الذين لم يشاهدهم وفى حديث آخر رواه الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أضل أحدكم شيأ أو أراد عونا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينونى وفى رواية أغيثونى فان لله عبادا لا ترونهم قال العلامة ابن حجر فى حاشية ايضاح المناسك وهو مجرب كما قاله الراوى

﴿دعاء يؤتى به فى السفر اذا أقبل الليل﴾

وروى أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر مافيك وشر ما خلق فيك وشر

الصيد وهن جياع وحمل بإقدامه حضرة الوزير المعظم على من في القلعة حملة الأسد الغشمشم وتسابقت العساكر المنصورة الى استئصال أعداء الدين سبق السيل الغطمطم وتعلقوا بأطراف الحصار وصبروا على حر السيف والنار واستشهد كثير من المسلمين الكرام وقتلوا في سبيل الله وهم أحياء لا أموات عند الله في دار السلام واستمر عساكر المسلمين على الاقدام على الموت الزؤام وحد السيف والحسام الى أن دخلوا القلعة ونصبوا الرايات السلطانية على القلعة فدخلوها ووضعوا السيف في الكفار عبدة الصليب وقتلوا منهم ثلاثة آلاف دراع مغاغل من فرقه الى قدمه في سابغات الحديد ورمى نفسه الباقون من أعلى القلعة الى أسفلها وهم زهاء خمسة آلاف نفس نزلوا على أقدامهم في  الرمل وهربوا قدر رمية سهم أو سهمين وشرعوا في التترس بأتربة ورمال أرادوا أن يتحصنوا بها والمسلمون مشغولون بقتل من بقي في القلعة ونهب الأمتعة والاسلاب فوجدوا بها أخشابا وألواحا أعدها الكفار لاتقان القلعة وإحكامها وبارودا كثيرا ومدافع ولبوسا وآلات الحرب وبكسماطا كثيرا لازوادهم وكانت القلعة بسبب العجلة غير محكمة البناء وعجلتهم العساكر المنصورة السلطانية الاسلامية عن اتمامها واتقان استحكامها فلولا تأخر ورود العساكر السلطانية عنهم في ذلك العام لكانوا أتقنوا تلك القلعة اتقانا قويا لا يقوى عسكر الاسلام على فتحها بعد ذلك ولكن خذل الله تلك الطائفة أيضا فقفوا بوصول حضرة هذا الوزير المعظم بهذا الجيش العرمرم في هذا العام قبل استيفاء استحكام القلعة غاية الاحكام وكان ذلك بيمن سعادة طالع السلطنة الشريفة العثمانية وحسن اهتمام هذا الوزير الأعظم ولطف تدبيراته العلية ورفقة آرائه الثاقبة الجلية ثم أمر حضرة الوزير أن يستعقب العساكر المنصورة الاسلامية أولئك الهاربين من الكفار فتبعوهم ووجدوهم قد شرعوا في عمل مكان يتحصنون فيه فهجموا عليهم هجمة واحدة فتيقن الكفار أن لا مفر لهم ولا محيص فقاتلوا أشد قتال وقاتلهم المسلمون بالنصال وصار الوجه في الوجه والناب في الناب والسيوف المسلولة من القراب تغوص في الرقاب والخناجر تندق في اللبات والحناجر حتى سالت الدماء كالسيل العباب الى ان أنبت كافور تلك الرمال شقيقا وصير أحجار الفلا عقيقا وضرب النقع في السماء طريقا وجند الله على كل حال هم الظافرون والكافرون هم

مايدب عليك أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن شر ساكن البلد ومن والد وما ولد وذكر الفقهاء في آداب السفر انه يسن للمسافر الاتيان بهذا الدعاء عند اقبال الليل وفيه النداء والخطاب للجماد وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما والدارمي عن طلحة بن عبد الله رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال ربي وربك الله ففيه خطاب للجماد وصح انه لما توفي صلى الله عليه وسلم أقبل أبو بكر رضي الله عنه حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك وفي رواية للامام أحمد فقبل جبهته ثم قال وانبياه ثم قبله ثلاثا وقال واصفياه ثم قبله ثلاثا وقال واخليلاه ففي ذلك نداء وخطاب له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ولما تحقق عمر رضي الله عنه وفاته صلى الله عليه وسلم بقول أبي بكر رضي الله عنه قال وهو يبكي بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا واتخذت منبرا لتسمعهم حن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك من لم يتبع نوحا في كبر سنه وطول عمره فانظر الى هذه الالفاظ التي صدرت من عمر رضي الله عنه وقد تعدد فيها النداء له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وقد رواها كثير من أئمة الحديث وذكرها القاضي عياض في الشفاء والغزالي في الاحياء والقسطلاني في المواهب اللدنية وابن الحاج في المدخل فيبطل بها وبغيرها قول المانعين للنداء القائلين ان كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه ان فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما توفي رسول صلى الله عليه وسلم يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل ننعاه وفي رواية الى جبريل نعاه والنعي هو الاخبار بالموت وقد يكون الاخبار للعالم بموته تأسفا على فقده فكل من الروايتين صحيح في المعنى ففي هذا الحديث أيضا نداؤه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وفي المواهب ورثته عمته صفية رضي الله عنها بمراث كثيرة قالت في مطلع قصيدة منها

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا • وكنت بنا برا ولم تك جافيا

الصاغرون وصب من دماء أولئك الارجاس ما نجس به الرمل على طهارته والبر على سعته وقتل الكفار عن آخرهم قتلا ذريعا وشكر المسلمون الله عز وجل صنيعا وانتصر على النصارى أهل ملة الاسلام الذى بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام الى كافة الانام وعاد حضرة الوزير المعظم ظافرا منصورا غانما مسرورا مثابا مأجورا وغنمت العساكر المنصورة السلطانية والجيوش الموفرة الايمانية ما يكل عن حصره أنامل التحرير وتضيق عن ذكره أدراج الاساطير وجهزت البشائر الى الابواب الشريفة السلطانية والاعتاب المنيفة العثمانية وتطايرت أخبار البشارة الى سائر المسلمين فى الآفاق تخفق على الخافقين أجنحة السرور والبشر الخفاق ما بين حدود الغرب والاشراق ولولا لطف الله تعالى بأهل الاسلام لكان



البلاء عاما على سائر بلاد المسلمين فان السلطان الاعظم الافخم السلطان سليم خان لو لم يهتم بدفع هؤلاء الكفار الملاعين لكانوا يتسلطون على أخذ تونس وأخذ الجزائر كلها وكانوا يحكمون قلاعها وأسوارها وحصونها وحصارها غاية الاحكام وكانت تزيد عن الاسلام عربان المغرب وتتقوى الكفار الفجار على أخذ مصر وغيرها من ديار الاسلام لا بلغهم الله المرام وأنزل عليهم الخزى والخذلان والنكال الى يوم القيام وقد أعان الله سلطان الاسلام لدفع أولئك الكفرة الطغام ومزقهم كل ممزق بالسيف والسنان والحسام وشتت شملهم وفرق جمعهم فلا يقوم لهم رأس بعد ذلك فالله تعالى يشكر لتأييد الاسلام صنيع هذا السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الافخم السلطان سليم خان صاحب هذه الهمة العالية والقوة والايادى الحسان ويجازيه عن الاسلام والمسلمين خيرا دائم الفيضان ويشكر همة هذا الوزير الاعظم العالى الشان على نصر أهل الايمان أعظم جزاء على هذا الفتح العظيم بحد السيف والسنان • وكان هذا الفتح الاخير فى يوم الخميس المبارك لخمس بقين من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة وقتل فى القلاع الثلاث من الكفرة الخباث عشرة آلاف مقاتل ساقهم الله تعالى الى النار وقد استشهد من الغزاة والمجاهدين ما يوازى عشرة آلاف غاز فمن عين أمراء السناجق من أمراء الاكراد خضر بك وسنجق ابنه لطفى مصطفى بك وسنجق ملكة مسدلو برويز بك وسنجق برك مصطفى بك وسنجق أولية أحمد بك وسنجق ترخانة بايزيد وسنجق اسكندرية

---

فى البيت نداؤه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ولم ينكره عليها أحد من الصحابة رضى الله عنهم مع حضورهم وسماعهم له ومما جاء من النداء للميت التلقين له بعد دفنه وقد ذكره كثير من الفقهاء واستندوا فى ذلك الى حديث الطبرانى عن أبى أمامة رضى الله عنه واعتضد بشواهد وصورته أن يقول للميت عند قبره بعد دفنه يا عبد الله ابن أمة الله اذكر العهد الذى خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق وأن النار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالكعبة قبلة وبالمسلمين اخوانا ربى لا اله الا هو رب العرش العظيم ففى التلقين النداء والخطاب للميت وحديث نداء النبى صلى الله عليه وسلم كفار قريش المقتولين ببدر بعد القائهم فى القليب مشهور رواه البخارى وأصحاب السنن وذكروا ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل يناديهم باسمائهم وأسماء آبائهم ويقول أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وأما ما جاء من الآثار عن الائمة الاحبار والعلماء الاخيار والاولياء الكبار مما يدل على جواز ذلك النداء والخطاب فشئ كثير تنقضى دون نقله الاعمار ومضى على ذلك القرون والاعصار وما وقع منهم انكار فكيف يجوز الاقدام على تكفير المسلمين بشئ قام على ثبوته البراهين وفى الحديث الصحيح من قال لاخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما ان كان كما قال والا رجعت عليه قال العلماء ترك قتل ألف كافر أولى من اراقة دم امرئ مسلم فيجب الاحتياط فى ذلك فلا يحكم بالكفر على أحد من أهل القبلة الا بواضح قاطع للاسلام وممن رد على محمد بن عبد الوهاب أحد أشياخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردى صاحب حواشى شرح مختصر بافضل ومن جملة ما قاله فى الرسالة التى رد بها عليه يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى فانى أنصحك لله تعالى ان تكف لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص انه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرفه الصواب وأبن له الادلة على انه لا تأثير لغير الله فان أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم أقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية اهـ والحاصل ان الذين اعتنوا بالرد عليه خلائق لا يحصون من مشارق الارض ومغاربها من أرباب المذاهب الاربعة فى كتب مبسوطة ومختصرة وبعضهم التزم الرد عليه بنصوص مذهب الامام أحمد ليبين له انه كاذب متلبس فى انتسابه

لمذهب

ـفر بلنوكتخدا الينكجرية فرهادورأس زمرة الباب وكثيرا من الزعماء وأرباب التيمار وغيرهم عدة عديدة وأعطى حضرة الوزير الامان لطائفة من الكفار رأى فى ذلك مصلحة توازى زهاء مائتى نفر بر زوا فى أمان حضرة الوزير وأخبروه بأمور مبهمة كان يريد الاطلاع عليها منها أن عندهم من المعلمين الاستاذين فى عمل الطوب الكبار الذى يعجز جميع الكفار عن عمل مثلها مائتى نفر وخمسة أنفار مما لا نظير لهم فى هذه الصناعة فأمنهم وطلبهم وأخذ بخاطرهم وأعطاهم الامان على أنفسهم وشرط عليهم أن يسبكوا دائما النحاس ويجعلوه مدافع كبارا و يعمل لهم علوفة ويوضع فى أرجلهم القيود و يكفل بعضهم بعضا فرضوا بذلك وطلبوا الامان على هذا الشرط فكساهم الوزير وكتب لهم علوفات على حسب مراتبهم وصاروا من خدام الترسخانة السلطانية موكلا عليهم من يحفظهم و يتيقظ لهم و يستخدمهم فى الخدم السلطانية و يسبكون النحاس للطوب الكبار والمدافع العظام وظفر حضرة الوزير المعظم فى قلعة حلق الواد وقلعتى تونس بمائتى مدفع وخمسة وثلاثين مدفعا لحفظ تونس من الكفار الفجار وأرسل مائة وثمانين مدفعا من أكبر المدافع العظيمة الى الباب الشريف السلطانى ليستعان بها على قتال الكفار الملاعين اذا جهز عليه العمائر فى كل حين * ثم لما فرغ حضرة الوزير المعظم الكبير من هذا الفتح العظيم والغنم الكثير أنعم على من فى ركابه الشريف من الامراء والكبراء والبكلربكية وسائر الزعماء وأرباب التيمار و بلوكات العسكر المنصور وأرباب الجوامك والعلوفات بالترقيات العظيمة والمناصب الكبيرة كل أحد بمقدار سعيه واستحقاقه ومرتبته وعرض ذلك على سرير السلطنة الشريفة وكان مقدارا كبيرا من الخزائن العامرة السلطانية فقوبل جميع ذلك بالقبول ووقعت موقع الاجابة فى المأمول والمسؤل وذلك فى مقابلة ما بذلوا أموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وجاهدوا فى الله حق جهاده ونصروا الاسلام والمسلمين وأنعمت السلطنة على حضرة الوزير بانواع الانعامات السنية والترقيات الكثيرة العلية والخلع الفاخرة البهية والتشريفات الزاهرة السلطانية فى مقابلة سعيه فى نصرة الدين و بذل أمواله للغزاة والمجاهدين وأخذ ثار المسلمين من الكفرة والمشركين على وجه لم يقع فى كثير من الزمان مثل هذا الفتح العظيم الشان وذلك بمحض الاعانة الربانية والنصرة الالهية السبحانية ولله الحمد على نصرة الاسلام وتأييد

---

لمذهب الامام أحمد رضى الله عنه وأما زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقد فعلها الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة وخلفها وانعقد الاجماع على استحبابها وجاء فى فضلها والترغيب فيها أحاديث كثيرة منها ما رواه البيهقى وعمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبرى كنت له شفيعا وشهيدا وهذه شفاعة خاصة للزائر غير شفاعته صلى الله عليه وسلم للعصاة وروى الدارقطنى وابن السكن وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من زار قبرى وجبت له شفاعتى وفى رواية من جاءنى زائرا لا تعمله حاجة غير زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة وفى رواية لابن منده من زارنى فى مسجدى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى وفى رواية لابن عدى من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى والمراد من الجفاء غلظ الطبع والبعد والاعراض عن المحبوب والمراد انه فعل فعل الجافى لا أنه جفا جفاء حقيقيا لان ذلك أذى ولا يجوز أذاه صلى الله عليه وسلم وفى رواية للدارقطنى من زارنى متعمدا كان فى جوارى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة زاد فى رواية ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وفى رواية رواها ابن جريج عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارنى فى مماتى كان كمن زارنى فى حياتى ومن زارنى حتى ينتهى الى قبرى كنت له يوم القيامة شهيدا أو قال شفيعا والاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة لا حاجة لنا الى الاطالة بذكرها مع اجماع السلف والخلف على استحبابها حتى ظهر المنكرون لها المانعون منها وفى هذا القدر كفاية ومقنع لمن كان بمرأى من التوفيق ومسمع وبمجموع ما ذكرناه يبطل جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب ولبس به على المؤمنين واستباح هو ومن تبعه دماءهم وأموالهم ولم ينتدب لمحاربته ومن تبعه أحد مثل سيدنا الشريف غالب رحمه الله تعالى فانه قام بهذا الامر أتم قيام و بذل فيه جميع وسعه سنين متطاولة فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا وتقدم أن الشريف مسعودا ومساعدا وأحمد بن سعيد وسرورا كل منهم لم يأذن لاحد من أتباعه فى الحج

﴿ذكر قتال الشريف غالب للوهابية سنة ١٢٠٥﴾

فلما تولى مولانا الشريف غالب استأذنوه فى الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم واتبع القول بالفعل لانهم ظهر أمرهم وتطاير شررهم فاراد دفعهم عن الوصول الى حرم الله تعالى وفعل كل ما أمكنه حتى عجز فجزاه الله خيرا ولنذكر الوقائع التى كانت بينه و بين هذه الطائفة فانها تنوف عن خمسين واقعة من سنة خمس ومائتين وألف الى سنة عشرين ومائتين وألف

سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ثم عاد حضرة الوزير المعظم المنصور المكرم خلد الله عليه سوابغ النعم الى الابواب الشريفة السلطانية بمن معه من عسكر الباب الشريف السلطاني وأذن لغيرهم من العسكر المنصور وسائر الامراء والبكار بكية بالعود الى أوطانهم وأماكن حكومتهم مجلاين محترمين مجبورين منصورين سالمين غانمين واستمر حضرة الوزير المعظم الى ان ورد الى الباب الشريف العالي السلطاني وقبل قوائم السرير الشريف العثماني فقوبل بأنواع البشر والتهاني وشمله النظر الشريف الخاقاني ونظرت اليه السلطنة بعين القرب والتداني وأفرغ على كاهله مرة بعد أخرى خلع التشريف الخسرواني وقبل كل ماعرضه حضرة الوزير المعظم المشار اليه على الاعتاب الشريفة السلطانية من المطالب وأنعمت عليه السلطنة الشريفة بكل ماسأل فيه من المقاصد والمآرب وكان يوم دخوله الى اسطنبول يوما عظيما مشهودا ووقت حلوله في منزله السعيد وقتا مباركا مسعودا وازدحمت الخلق على مشاهدة طلعته والتبرك بوجهه الكريم وميمون غرته وصاروا يتبركون بالنظر الى المجاهد في سبيل الله ويطلبون الدعاء منه وممن معه من المجاهدين الغزاة والاسارى من النصارى يقادون بين يديه بالسلاسل والاغلال مقرنين في الاصفاد بشديد الذل والنكال ودخلت سفائن العمارة وأغربتها الى الاسقال مزينة مزخرفة بالبيارق والسناجق يخفق عليها رايات الفرح بالنصر والظفر والجلالة وأطلقت المدافع للفرح فزلزلت الارض زلزالها وكادت تصم الآذان فلا تسمع الناس مقالها وعساكر الباب السلطاني وردت صفوفا بعد صفوف وتعاطفت عائدة بالنصر والتأييد عبد الوفا بعد ألوف ودخل أيضا القابودان المعظم المجاهد الاكرم الافخم حضرة قلج علي باشا المكرم لازال في حرب البحر مظفرا منصورا مسعود التقدم فقوبل من الحضرة الشريفة السلطانية بغاية القبول والاقبال وخوطب بلسان الشكر والتعظيم والاجلال وأنعم عليه بسائر مقاصده ومطالبه وحصل له غاية مايتمناه من سؤله ومآربه وحصل لسائر العساكر المنصورة الاحسان الموفور وشكر لهم سعيهم المشكور وأعظم من ذلك ماحازوه من الاجر العظيم والثواب الجزيل الجسيم وناهيك بهذا العز والفخر وقد بقي لهم هذا الذكر الجميل في صفحات الدهر والله تعالى يديم هذه الدولة الشريفة العثمانية على تداول الليالي

## ﴿الغزية الاولى﴾

فاول غزية كانت في سنة خمس ومائتين وألف أرسل عليهم خيلا وركابا وجنودا كثيرة من السادة الاشراف وغيرهم وكان الامير عليها أخاه السيد عبد العزيز بن مساعد وكانوا حين خرجوا من مكة ستمائة فزاد عليهم في الطريق طوائف كثيرة من قبائل العرب يطول الكلام بتعداد تلك القبائل فسار بهم وصار يدخل تحت طاعته القبائل ويملك القرى قرية بعد قرية حتى وصل الى عريق الدسم فشرع يملك من قرى نجد بعضها بقتال وبعضها بدون قتال فملك ضرية وهي أول قرية من قرى نجد فذبح منها احد عشر رجلا وهرب منهم جماعة وأسر جماعة ثم ارتحل الى قرية يقال لها مسكة فهرب أهلها فصيرها ملكه ثم ارتحل منها وأناخ بقرية سواج فهرب أهلها ثم ارتحل الى اثلة ثم الى قرية وضاح فطلب أهلها الامان وكذا أهل قرية الكبريتية ثم ارتحل ونزل على عنيزة قرية بسام وكان أهلها في حصن حصين فحاصرهم اياما ثم انتقل عنها لان المدة طالت وسئم من كان معه من الاشراف والجنود وأراد كثير من الاشراف الرجوع بل توجه كثير منهم بالفعل قاصدين الرجوع الى أم القرى لان المدة بلغت نصف عام فهذه الغزية الاولى وهي أول الوقعات وفي مدة هذه الغزوة غزا سيدنا الشريف بنفسه على ذوي حسن النازلين بالشاقة وصبحهم وأخذ مواشيهم وقتل منهم وسبب ذلك قطعهم الطريق ورجع الى مكة سالما وهذه لم تحسب من الغزوات التي كانت على الوهابية أو بسببهم فهي خارجة عن عدد تلك الغزوات

## ﴿الغزية الثانية﴾

وأما الثانية من الوقعات المتعلقة بالوهابية فهي ان سيدنا الشريف غالبا لما طالت غيبة أخيه في الغزوة الاولى شمر عن ساعد الجد وجهز جيشا آخر وسار فيه بنفسه فخرج من مكة في الثالث والعشرين من شعبان سنة خمس بعد المائتين والالف ولم يزل سائرا بجنوده حتى اناخ على الشعراء وهي قرية محصنة فاحاط بجوانبها الاربع وعاملها بالقنبرة والمدفع والحرب يزداد كل يوم ثم طلب أهلها الامان فامنهم واراد العود الى مكة لقرب زمن الحج وأقبل عليه أخوه السيد عبد العزيز وهو مقيم على الشعراء واما الاشراف الذين فارقوا السيد عبد العزيز فانهم قابلوا مولانا الشريف غالبا قبل ذلك في الطريق فعاملهم بمزيد الانعام ورجعوا معه الى الشعراء ثم رجع هو وأخوه السيد عبد العزيز وجميع من معهم الى مكة ودخلوها في الحادي والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة

## ﴿الغزية الثالثة﴾

كانت في ربيع الثاني من سنة ست بعد المائتين والالف جهز جيشا وأمر عليه أيضا أخاه السيد

والايام ويحمى بحمايتهم كافة ويؤيد بتأييدهم ملة الاسلام ويبقى سلطنتهم على الدوام الى يوم القيام فكم لهم ولاسلافهم الغزاة والمجاهدين فى نصرة الملة الحنيفية الغراء من يد بيضاء آية للناظرين وكم فتحوا دار الكفر وصيروها دار الاسلام على رغم المشركين والكافرين ويكاد تلتحق فتوحاتهم بفتوحات الصحابة رضى الله عنهم أجمعين • ولقد حكت علماء أمة الاسلام واتفق قول الائمة الاعلام رضوان الله عليهم أجمعين وشملهم برحمته انه أرحم الراحمين أن سيوف الحق أربعة وما عداها للنار سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المشركين وسيف أبى بكر رضى الله عنه فى المرتدين وسيف القصاص بين المسلمين • أقول وسيوف بنى عثمان رحمهم الله تعالى وأبقى الملك فيهم وفى عقبهم الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى اذا اعتبرتها وتأملتها لا تخرج عن هذه السيوف الاربعة فانهم من زال ومن أول أسلافهم رحمهم الله تعالى الى الآن يجاهدون الكفار والمشركين ويقاتلون الملحدين والباغين ويقيمون شرائع شعائر الدين فالله تعالى يمد ظلال سلطنتهم على المسلمين ويؤيد بهم أهل السنة ويقمع بهم كافة الملحدين وهذا دعاء يجب أن يدعو لهم به طوائف المؤمنين فانهم عماد الاسلام وقوام هذا الدين المتين وسبب قيامه بين الانام والدعاء لهذه السلطنة الشريفة دعاء لاهل الاسلام واعزاز لدين الله تعالى ونصرة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وتأمين البلاد وتطمين العباد وتوهين أهل الفساد وقطع جادرة الالحاد وقمع جميع أرباب البغى والفساد ﴿فصل فيما جدد المرحوم السلطان الاعظم سليم خان من الخير والاحسان زيادة على والده المرحوم السلطان سليمان خان تغمدهما الله بالرحمة والرضوان﴾ وذلك فى أول سلطنته الشريفة أمر لاهل الحرمين الشريفين أن يزاد لهم سبعة آلاف اردب حب من صدقته المقبولة المبرورة زيادة على ما كان يرسله والده المرحوم لهم فى كل عام فكانت تحمل فى كل سنة من الانبار الخاصة السلطانية على ظهور الجمال من مصر الى السويس وتوضع فى سفائن الدشائش الشريفة السلطانية من بندر السويس الى بندر جدة والى ينبع وتوزع على الفقراء وكان برز أمره الشريف العالى ان يضاف ثلاثة آلاف اردب الى الدشيشة العامة السليمانية لفقراء المدينة الشريفة وتوزع عليهم وأن يوزع خمسمائة أردب على الفقراء المنقطعين بينبع العاجزين فيها عن السفر الى المدينة الشريفة فيستعينون بها على

عبد العزيز لقتال القبائل الذين دخلوا فى دين عبد العزيز بن محمد بن سعود فوصل به الى تربة ثم الى رنية ثم الى بيشة وأطاعه جميع قبائل تلك الجهات وخلعوا اطاعة عبد العزيز وسيأتى انهم سيعودون الى طاعته ثانيا واقام مدة ببيشة ثم عاد بمن معه الى مكة المشرفة

﴿ذكر فتنة بين وزير مولانا الشريف وكواخى البلكات وذكر وقوع الفتنة بين شيخ الحرم وأهل المدينة سنة ١٢٠٧﴾

وفى سنة سبع فى شعبان وقعت فتنة بالمدينة بين وزير مولانا الشريف والكواخى على البلكات فارسل مولانا الشريف السيد ناصر بن مستور فاصلح الامر وطفئت الفتنة ثم وقع اختلاف بين شيخ الحرم وأهل المدينة وكادت ان تقوم الفتنة بينهم فأرسل مولانا الشريف السيد ناصر بن مستور فأصلح الامر وفى هذا الشهر أرسل مولانا الشريف للدولة العلية يخبرهم بظهور أمر الوهابية وأرسل لذلك السيد محسنا ابن عبد الله الجودى والسيد حسينا مفتى المالكية فلم تكترث الدولة لهذا الخبر ولم تلتفت اليه

﴿الغزية الرابعة﴾

كانت فى السادس والعشرين من ذى الحجة سنة ثمان بعد المائتين والالف وجعل تلك الغزية أيضا على من دخلوا فى طاعة ابن سعود وتبعوه على ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب فجمع كثيرا من العربان من البقوم وعتيبة وغيرهم وأمر على هذه الغزية عثمان المضايفى فصبح جماعة ابن قيحان بموضع يقال له عقيلان وصارت بينهم ملحمة عظيمة وحصل على عثمان هضيمة فانه بعد ان أخذ جميع ابل ابن قيحان وطلع الفجر وحان صال ابن قيحان على عثمان وهزمه ولكنه لم ينتزع منه ما أخذ من ابله فتمنع منه عثمان حتى رجع الى مكة وفى سنة ثمان قبض مولانا الشريف على الشريف عبد الله بن سرور لامر بلغه عنه وأودعه السجن أربعة أشهر ثم تدلى بحبل وهرب

﴿ذكر السيل الذى كان بمكة سنة ١٢٠٨﴾

وفى شعبان من سنة ثمان كان السيل المشهور عند أهل مكة الذى خرب كل ناحية وسكة وهدم كثيرا من الدور وقتل من الخلق نحو الاربعين جرى عليهم المقدور

﴿الغزية الخامسة﴾

فى شهر ربيع الآخر من سنة تسع جهز سيدنا الشريف غالب جيشا وأمر عليه أخاه مولانا الشريف عبد المعين فسار من الطائف ومعه كثير من القبائل والجنود وقصد موضعا يقال له رغوة فيه هادى بن قرملة وكان ممن تبع ابن سعود ودخل فى دينه فلما وصل ذلك الموضع وجده قد أنذر به

التوجه الى حيث أرادوا وتوزع خمسمائة اردب على فقراء جدة المنقطعين بها العاجزين عن التوجه الى مكة لاداء حج الفرض والنفل وذلك مقصد جميل للمرحوم فكان الفقراء يتوسعون فيها ويرتفقون بها وكانت ترد اليهم في كل عام من أعوام سلطنته الشريفة وكان الدعاء مبذولا له من سائر الفقراء المحتاجين المضطرين وكان يحوز بذلك ثوابا جزيلا وأجرا وافيا جميلا رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأثابه المثوبة العظمى في الدرجات الآخرة على مقاصده الجميلة وخيراته الوافرة الجزيلة ومنها أيضا ما كان يتصدق به على فقراء الحرمين الشريفين أيام كان شاه زاده قبل أن يلي السلطنة العظمى فانه كان يرسل ألف دينار ذهبا توزع أيام موسم الحج على فقراء مكة يستعينون بها على الوصول من المدينة الشريفة المنورة الى مكة المشرفة لأداء الحج



الشريف في كل عام وكان يخص بعض العلماء والصلحاء والمشايخ بكسوة من الاصواف الخاصة وبعض غير ذلك يرسلها اليهم يستمد منهم الدعاء بظهر الغيب منهم فلما ولي السلطنة الشريفة وجلس على التخت الشريف السلطاني كان يرسل لهم عوائدهم السابقة في كل عام وجعل ذلك مضافا الى دفتر صر الرومية فكانت ترد أيام سلطنته الشريفة واستمرت ترد الى الآن بعد انتقاله الى رحمة الله تعالى وذلك أيضا من مقاصده الجميلة وخيراته الباقية العميمة وله أنواع من الخيرات أيضا في القدس الشريف وفي الشام وفي حلب وفي مصر بجامع الازهر وغيرها من الممالك الشريفة العثمانية غير ما بني في بلاد الروم من المدارس والجوامع والتكايا وغير ذلك رحمه الله تعالى

وفر هاربا فقصد الشريف عبد المعين رنية بمن معه من العربان وكان في رنية من تبع ابن سعود ابن قطنان فحصره في قصره حتى قبض عليه باليد وأرسله الى سيدنا الشريف غالب فلما وصل اليه طلب السماح والعفو فعفا عنه وعاهده وأطلقه فتوجه بعد توبته وعهده والغدر يلمع بين عينيه فلما وصل الى بلده أظهر العصيان وقاتل فصنع له الشريف عبد المعين دسيسة وأرسل له جماعة أظهروا له انهم معه وعلى دينه فصدقهم فطلعوا وعندهم في القصر واحتالوا عليه حتى قتلوه ثم ان الشريف عبد المعين ارتحل قاصدا مواضع فيها قوم ممن تبعوا ابن سعود منها موضع يقال له بريم ثم قصد شعبيا وغزا على موضع يقال له سياج الخيل نزل به أناس دخلوا في دين محمد بن عبد الوهاب فيهم جماعة من هتيم ومطير فاما مطير فجاءهم نذير فارتحلوا وأما هتيم فصكهم صكة عجيبة وقتل منهم كثيرا وأخذ مواشيهم ثم رجع الى مكة في ثامن رجب الاصم من العام المذكور فهذه غزوة مشتملة على غزوات

﴿الغزية السادسة﴾

كانت في شهر صفر من سنة عشر جهز مولانا الشريف غالب غزية من جنوده وأمر عليها السيد ناصر بن سليمان وأمره بقصد جماعات من القبائل الذين دخلوا في دين ابن سعود فغزاهم وتنقل في مواضع كثيرة منها الشامية عدا فيها على آل زروق وقتلهم قتلة شنيعة وأخذ لهم قطائع من الابل ورجع سالما

﴿الغزية السابعة﴾

كانت في الثالث من شهر ربيع الثاني من سنة عشر أيضا جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد فهيد بن عبد الله بن سعيد وأمره بقصد جماعة من اتباع ابن سعود فأناخ أولا بمن معه بالمبعوث فعرض عليه كثير من القبائل ثم أناخ بالحنو فعرض عليه البقوم وقبائل كثيرة ثم أناخ بالقنصلية ثم أناخ دون رنية فعرض عليه بنو هاجر على رأس شبنان وقبض وهو في ذلك الموضع على ثلاثة جواسيس أرسلهم هادي بن قرملة فقطع رؤس اثنين منهم وأخبره الثالث بموضع القوم مخافة ان يقتله فعفا عنه وارتحل واجد في السير بمن معه وفي اليوم الثاني وصل الى الموضع الذي فيه هادي ابن قرملة فادار عليه الرحى وأخذه أخذة الضحى وقتل من جماعته ما يقارب المائة وانهزم من بقي من تلك الفئة ثم توجه على طريق الفرشة فصادف جماعة من قحطان تحت امارة ابن قحيان ومعه كثير من الابل فأغار عليهم وأخذها وقتل من كان معها الامن فر ومن عجيب الاتفاق انهم صادفوا ابن شذير من شيوخ قحطان كان غازيا بعض العربان وكان ابن قحيان ممن تابع ابن سعود فقتل السيد فهيد من جماعته خمسة وأربعين وأخذ ابن شذير وما معهم من الابل واقتلع من خيلهم خمس قلائع ٣

﴿فصل فيما وقع من عمارة الحرم الشريف المكي في أيامه رحمه الله تعالى﴾ اعلم ان عمارة المسجد الحرام زاده الله تعالى شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما من أعظم مزايا الملوك والخلفاء وأشراف أكابر السلاطين العظماء وقد يسر الله تعالى ذلك لسلاطين آل عثمان أيد الله تعالى نصرهم وخلد سعادتهم مدى الزمان فوقع الشروع فيها في أيام السلطان الاعظم الخاقان الاكرم الافخم خليفة الله في أرضه القائم باقامة سنته وفرضه ملك البرين والبحرين سلطان الروم والترك والعرب والعجم والعراقين صاحب المشرقين والمغربين خادم الحرمين الشريفين المحترمين عامر البلدين المكرمين المنيفين واسطة عقد ملوك بني عثمان السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان أمطر الله تربتهما سحائب الرحمة والرضوان وجعل ومن

قبرهما روضة من رياض الجنان وجعل السلطنة كلمة باقية فى عقبهما الى يوم الحشر والميزان الى أن يعود القارظان كلاهما ويحشر فى القتلى كايب لوائد * ﴿وسبب الامر الشريف﴾ بتعمير المسجد الحرام ان الرواق الشرقى مال الى نحو الكعبة الشريفة بحيث برزت رؤس خشب السقف الثالث منه عن محل تركيبها فى جدار المسجد وذلك الجدار هو جدار مدرسة السلطان قايتباى وجدار مدرسة الافضلية التى هى الآن من أوقاف المرحوم ابن عباد الله فى شرقى المسجد الحرام وفارق خشب السقف عن موضع تركيبه فى الجدار المذكور أكثر من ذراع ومال وجه الرواق الى صحن المسجد ميلا ظاهرا بينا وصار نظار الحرم الشريف يصلحون المحل الذى قد فارق خشب السقف اما بتبديل خشب السقف بأطول منه أو بنحو ذلك من العلاج وأما الرواق الذى ظهر ميله الى صحن المسجد فترسوه بأخشاب كار حفروا لها فى المسجد تمسكه عن السقوط واستمر الرواق الشرقى متماسكا على الاسلوب فى أواخر دولة المرحوم السلطان سليمان خان وصدرا من دولة المرحوم السلطان سليم خان ثم لما أفحش ميلان الرواق المذكور عرض ذلك على الابواب الشريفة السلطانية السليمية سنة تسع وسبعين وتسعمائة فبرز الامر الشريف السلطانى بالمبادرة الى بناء المسجد الحرام جميعه على وجه الاتقان والاحكام وان يجعل عوض السقف الشريف قببا دائرة بأروقة المسجد الحرام ليأمن من التآكل فان خشب السقف كان متآكلا من جانب طرفيه بطول العمد وكان يحتاج بعض السقف الى تبديل خشبه بخشب أخرى فى كل قليل اذ لا بقاء للخشب زمانا طويلا مع تكسر بعضه * وكان له سقفان بين كل سقف نحو ذراعين بذراع العمل وصار ما بين السقفين مأوى للحيات والطيور فكان من أحسن الرأى تبديلها بالقبب لتمكنها ودفع مواد الضرر عنها وصلت أحكام شريفة سلطانية الى بكلربكى مصر يومئذ الوزير المعظم والمشير المفخم حضرة سنان باشا أدام الله تعالى سعادته واقباله وضاعف عظمته واجلاله ان يعين لهذه الخدمة من أمراء السناجق المستحفظين بمصر من يخرج من عهدة هذه الخدمة الشريفة ويكون فى غاية الديانة والامانة والمعرفة والخير والصلاح فامر البكلربكى يومئذ وهو سنان باشا أمراء مصر ان يقبلوا هذه الخدمة فما أقدم أحد على تلقيها بالقبول لكثرة مشقتها واشتغالهم بأمور دنياهم والتوغل فيها

ومن جيد الركاب عشرين ذلولا وربط سبعة وأوصلهم الى رنية وأمر بقطع خصائهم ثم رجع الى الفرشة ثم الى تربة ثم الى الطائف وكان مولانا الشريف غالب اذ ذاك بالطائف

﴿الغزية الثامنة﴾

كانت فى الحادى عشر من شوال سنة عشر أيضا جهز جيشا أمر عليه أخاه السيد عبد المعين فسار بمن معه حتى أناخ على بريم الى نصف القعدة وورد عليه كثير من القبائل وصار يرسل الجواسيس فوجدوا من يريدون من العربان قد ترفعوا وأبعدوا لما سمعوا بهذا الغزو فابقى رنية فى تربة أمر عليها السيد سعد بن عرمطة واستأذن مولانا الشريف غالب فى الرجوع فاذن له فرجع فوجده يستقبله فى الاخيضر ثم رجعا معا الى الطائف ثم الى مكة رابع ذى الحجة

*(الغزية التاسعة)*

كانت فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة عشر أيضا جهز سيدنا الشريف غالب جيشا كثيفا أمر عليه السيد ناصر بن سليمان فتوجه حتى أناخ بعران وعرض عليه كثير من القبائل ثم انتقل الى موضع يقال له عفيف ثم الى موضع يقال له الشماس وتزايد عليه العربان فدهمهم جيش الوهابيين ومعهم ابن ربيعان وهادى بن قرملة والدوشان وخلق كثير فصار بينهم قتال وملحمة عظيمة وقتل من الفريقين خلق كثير وقتل من مراجل الشريف ثلاثة وأربعون وأخذ الوهابيون كثيرا من مواشى البوادى ورجع السيد ناصر بن سليمان ومن معه الى مكة

*(الغزية العاشرة)*

كانت فى ثلاث من شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة ومائتين وألف جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد فهيد بن عبد الله بن سعيد فتوجه بمن معه من الطائف الى الاخيضر ثم الى ركبة وأرسل منها سرية الى الخرمة وأمر عليها السيد حسن بن غالب فاغار على أهل الخرمة وقتل منهم ورجع الى ركبة وجاءه قبائل من قحطان والبقوم وانضموا الى من معه وارتحل بمن معه وأناخ بكشب واغار على قوم من حرب دخلوا فى دين الوهابى وأخذ لهم خمسين من الابل ثم ارتحل الى موضع يقال له روغ النعام فدهمهم الجيلانى أمير الخرج ومعهم جند كثير من مطير وغيرهم فوقعت ملحمة عظيمة بينهم وقتل كثير من الطرفين ثم ارتحل السيد فهيد بمن معه الى الحناكية وهى قريبة من المدينة المنورة وعرض عليه كثير من قبائل حرب ووفد عليه كثير من بنى حسين أهل السويرقية ثم انتقل الى موضع يقال له صلبة وغزا بمن معه على هادى بن قرملة بموضع يقال له البقرة فصكهم صكة أى صكة وقاتلهم قتلة شنيعة وأخذ فرس ابن قرملة وابله ثم عاد الى صلبة ثم أراد غزوا آخر

يعود عليهم نفعه عاجلا من غير مشقة * وكان من جملة الامراء المحافظين بمصر كتخداى المرحوم اسكندر باشا الجركسى بكلر بكى مصر سابقا فخر الأمراء العظام ذخر الكبراء ذوى الاحترام أحمد بك بارك الله فيه وفى ذويه وأناله من خيرى الدنيا والآخرة ما يرتجيه وكان ممن اجتمع فيه هذه الخصال المحمودة المطلوبة من حب الخير والتوجه الى الله تعالى وقلة الميل الى الدنيا وزخارفها والميل الى الفقراء والضعفاء والعلماء والتواضع مع الناس وحب المعدلة والاستقامة مع صدق الخدمة وكمال الديانة والامانة والاقدام وعلو الهمة ووفور الاهتمام فطلب منه حضرة الوزير المشار اليه هذه الخدمة الشريفة وأضيف اليه عمل بقية دبل عين عرفات من الابطح الى آخر المسفلة بمكة المشرفة فان السلطنة الشريفة أمرت أن يبنى لها دبل مستقل ولا تجرى فى دبل عين حنين فعينت هذه الخدمة أيضا للامير أحمد المذكور وعرض له ذلك الى الباب الشريف العالى فوردت الاحكام الشريفة السلطانية له بذلك حسب ما عرض له وأضيف الى الخدمة سنجق جدة المعمورة تعظيما لشانه وتوقيرا لقدره ومكانه وبعد ورود الاحكام الشريفة السلطانية اليه أخذ فى أهبة السفر وتوجه من مصر من طريق البحر الى بندر جدة ثم وصل الى مكة شرفها الله تعالى فى أواخر سنة تسع وسبعين وتسعمائة مهتما غاية الاهتمام سائلا من الله تعالى الاعانة والامداد التام وكانت الأوامر الشريفة السلطانية للمتكلم عليه من جانب السلطانية المنيفة الخاقانية سيدنا ومولانا ناظر المسجد الحرام ومدرس مدرسة أعظم سلاطين الأنام بدر الملة والدين حسين الحسينى خلد الله سعادته ففرح بهذه الخدمة الشريفة الفرح التام وشد مناطق حزمه آخر على مناطق عزمه وقام فى ذلك أحسن قيام وحصل بين مولانا الناظر والأمير أحمد المشار اليه كمال الملاءمة والاتفاق وبذلك يحصل تمام النجاح والارتفاق وجرت عادة الله أن الخير كله فى الوفاق والشر جميعه فى الشقاق ولم يكن الرفق فى شئ الا زانه ولم يكن العنف فى أمر الا شانه ومن أراد الرفق بعباد الله رفق الله تعالى به وأعانه ووصل لهذه العمارة الشريفة معمار دقيق الانظار جليل الآثار تقدم له مباشرة الابنية العظيمة وحصلت له بالتجربة خبرة تامة ومعرفة مستقيمة أجمع المهندسون على تقدمه فى هذه الصناعة ودقة نظره فى لوازم هذه البضاعة اسمه المعمار محمد جاويش الديوان العالى وهو انسان من أهل الخير

فامتنع العسكر أشد الامتناع فرجع الى مكة

*(الغزية الحادية عشرة)*

كانت فى العام المذكور بعد رجوع السيد فهيد جهز له مولانا الشريف غالب جيشا وأمره بالرجوع وان يغزوا اهل رنية فسار بمن معه حتى أناخ بهم ووقع القتال بينه وبينهم فملكها وأخذ ما فيها من الغنائم وأحرق دورها ثم قصد بيشة فنزل منها موضعا يسمى الجنينة فقابله أهلها بالترحاب وأرسل الجواسيس ينظرون له قوما سماهم لهم أراد الاغارة عليهم فرجعوا وأخبروه انهم ارتحلوا وأبعدوا ولم يبق منهم أحد فرجع الى رنية ثم الى تربة ثم الى مكة وفى هذه السنة أعنى سنة احدى عشرة توفى السيد عبد العزيز بن مساعد وهو أخو مولانا الشريف وكانت وفاته فى الثانى والعشرين من جمادى الاولى ودفن فى قبة السيدة خديجة على أخيه الشريف سرور فى قبره وفى شهر رمضان ركب سيدنا الشريف بنفسه على بنى عمرو وأهل اللقاع لقطعهم الطريق فقتل منهم ثلاثة وربط أربعة وأتلف مراحهم ورجع الى جدة ثم الى مكة وهذه خارجة عن الغزوات المتعلقة بالوهابى

*(ذكر الحريق الذى فى دار أولاد الشريف سرور سنة ١٢١٢)*

وفى سابع عشر محرم من سنة اثنتى عشرة حرقت دار بباب القطبى لاولاد الشريف سرور فيها من الادباش ما تضيق عنه السطور وهى خراب الى يومنا هذا وفى سنة اثنتى عشرة أيضا أرسل مولانا الشريف الشيخ أحمد تركى للدولة العلية يستنجدهم ويطلب منهم الاعانة على دفاع الوهابية فلم يجيبوا دعوته ولم يلتفتوا لذلك ولم يكترثوا به فما زال قائما بدفاعهم وحده

*(الغزية الثانية عشرة)*

كانت فى الخامس والعشرين من محرم سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه أيضا السيد فهيد بن عبد الله بن سعيد فأغار على قوم موهبين من حرب فى عريق الدسم وغنم ما عندهم من النعم ورجع سالما

*(الغزية الثالثة عشرة)*

كانت فى الخامس والعشرين من ربيع الثانى سنة اثنتى عشرة أيضا جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد مبارك بن محمد بن مساعد بن سعيد فاغار على قوم من حرب أيضا موهبين وكانوا فى موضع يقال له العلم فأخذ مراحهم ومواشيهم ثم توجه مقبلا فصادف خمسة وأربعين من الوهابيين خارجين ببضاعة اشتروها من المدينة المنورة فقبضهم ووضعهم فى الحديد ثم أخذ أخبارهم وقتلهم جميعا وأقبل راجعا فبلغ مولانا الشريف رجوعه فمنعه من الرجوع وأمده بجيش

آخر فى جمادى الاولى وأمر عليه السيد سعد بن سعيد عرمطة فتكون هذه

•(الغزية الرابعة عشرة)•

فأقبل السيد سعد المذكور حتى اجتمع بالسيد مبارك بن محمد على صلبة بتلك الجنود فارتحلوا وأقاموا على مران وارسلوا العيون والجواسيس فرجعوا اليهم واخبروهم ان الوهابى جمع لهم جموعا لا طاقة لهم بمقابلتها وأرادوا الرجوع الى مكة فنعهم مولانا الشريف من الرجوع وخرج بنفسه وهى

•(الغزية الخامسة عشرة ويقال لها غزية الخرمة التى كان فيها الوقعة العظمى)•

غزا فيها مولانا الشريف غالب بنفسه وكانت فى الحادى عشر من شعبان سنة اثنتى عشرة أيضا جمع مولانا الشريف جمعا عظيما من ابطال الرجال وادخر الخزائن كامثال الجبال وفرق على القوم الكثير من المال وأخذ معه جملة من أرباب الصنائع والحرف وتوجه وأناخ بوادى العقيق فاجتمعت عليه القبائل من كل مكان ثم توجه الى مران فوفد عليه السيد مبارك بن محمد والسيد سعد بن عرمطة ثم ارتحل الى المويه والبقرة واغار على قوم من قحطان وأخذ مواشيهم ثم أغار على ابن قرملة فى القنصلية وذبح فيهم ذبحة عظيمة وفر ابن قرملة منهزما ثم عاد مولانا الشريف الى رنية وحاربها وقطع نخلها وخربها فأطاعه أهلها وطلبوا الصلح فعفا عنهم وصالحهم ثم ارتحل الى بيشة فاقربها جماعة أعطوه الطاعة وفر آخرون فاحرق دورهم ثم أبقى فيها رتبة وارتحل الى الخرمة فاباد ها ولم يبق لها حرمة وأقام بها أياما ففى بعض الايام ورد عليه شريف من العبادلة اسمه لؤى وأخبره بقدوم الوهابيين كالسيل المنهمر والجراد المنتشر فاتهمه ولم يصدقه ظنا انه تابع لتلك العصابة فما مضى يوم أو يومان حتى أقبلوا بجنود كالرمال فوقع القتال بينه وبينهم فكانت هنالك ملحمة كبرى فقتل فيها من الفريقين ما ينوف عن الالفين وقتل من أغلب بدو الاشراف نيف وأربعون شريفا وكانت الغلبة يومئذ للوهابيين فرجع مولانا الشريف بعد انفضاض القتال الى مكة ودخلها لثلاث خلون من ذى القعدة وفى شهر جمادى الاولى من سنة ثلاث عشرة ورد فرمان من الدولة بتحصين الحرمين تحفظا من الفرنسيس بعد أخذهم مصر فقرئ الفرمان بمكة والمدينة فأمروا الناس بالاستعداد للكفاح بتعلم الرمى وحمل السلاح وأصلحوا سور جدة وعمروه واستعد الناس لذلك غاية الاستعداد ولكن كفى الله المؤمنين القتال

﴿ذكر الصلح سنة ١٢١٣﴾

وفى غاية جمادى الاولى من سنة ثلاث عشرة انعقد الصلح بين مولانا الشريف غالب وعبد العزيز بن محمد بن سعود بعد مكاتبات كانت بينهما وجعلوا حدود الممالك والقبائل التى تحت طاعة مولانا

---

عظيم الامانة كثير الديانة مستقيم الرأى منور الباطن مشكور السيرة زاد الله توفيقه وأرشد طريقه فاتفق الناظر والامين والمعمار على الشروع فى هدم ما يجب هدمه الى أن يوصل الى الاساس فشرع أولا فى أكمال الدبل المستقل لاجراء عين عرفات وبناه من جهة المدعى ثم مر به من عرض ثم من جهة سويقة ثم عطف به الى السوق الصغير وأكمله الى منتهاه وبنى قبة فى الابطح جعل فيها مقسم ماء عرفات وركب فى جداره برابيز من النحاس يشرب منها الماء ثم بنى مسجدا وسبيلا وحوض ماء للدواب على يمين الصاعد الى الابطح فى قبلى بستان بيرم خواجه الصاير الى المرحومة الخاصكية أم سلاطين طاب ثراها وبنى مسجدا آخر وسبيلا ومتوضأ فى انتهاء سوق المعلاة على يسار الصاعد وكل ذلك من أعمال الخير الجارية النافعة للمسلمين وعرض ذلك على أبواب السلطنة الشريفة فأنعمت على الامير المشار اليه بسبعين ألف عثمانى ترقيا فى علوفته فى مقابلة هذه الخدمة ثم شرع فى تجديد أروقة الحرم الشريف فبدأ فيه بالهدم من جهة باب السلام فى منتصف ربيع الاول سنة ثمانين وتسعمائة وأخذت المعاول تعمل فى رأس شرفات المسجد وطبطاب سقفه الى أن ينكشف السقف فتنزل أخشابه الى الارض وتجمع فى صحن المسجد الشريف وتنظف الارض من نقض البناء وأتربته ويحمل على الدواب ويرمى فى أسفل مكة فى ناحية جبل الفلق ثم تمام الاساطين الرخام الى ان تنزل بالرفق الى الارض واستمروا فى هذا العمل الى ان نظفوا وجه الارض من ذلك من باب على الى باب السلام وهو الجانب الشرقى من المسجد ثم كشفوا عن أساسه فوجدوه مختلا فأخرجوا الاساس جميعه وكان جدارا عريضا نازلا فى الارض على هيئة بيوت رقعة الشطرنج وكان موضع تقاطع الجدران على وجه الارض قاعدة تركيب الاسطوانة على تلك القاعدة فشرع أولا فى موضع الاساس على وجه الاحكام والاتقان من جانب باب السلام لست مضين من جمادى الاولى سنة ثمانين وتسعمائة واجتمعت الاشراف والكبراء والامراء والفقراء والمشايخ والصلحاء تبركا وتيمنا بالحضور فى هذا الخير العظيم وقرئت الفواتح بالاخلاص من سويداء القلب الصميم وذبحت الابقار والانعام والاغنام وتصدق بها على الفقراء والخدام ووضع الاساس المبارك باعانة الله تعالى وتبارك وكان يوما مباركا مشهودا متيمنا ميمونا مسعودا ولله الحمد على هذا الاكرام وله الشكر والثناء

الحسن في المبدا والختام وكانت الاساطين المبنية سابقا على نسق واحد في جميع الاروقة فظهر لهم ان ذلك الوضع لا يقوى على تركيب القبب عليها لقلة استحكامها اذ القبة يجب أن يكون لها دعائم أربعة قوية تحملها من جوانبها الاربع فرأوا أن يدخلوا بين أساطين الرخام الابيض دعامات أخر تبنى من الحجر الشميسي الاصفر يكون سمكها مقدار سمك أربع اسطوانات من الرخام ليكون مقيما لها من كل جانب فتقوى على تركيب القبب من فوقها ويكون كل صنف من أساطين الاروقة الثلاثة في غاية الزينة والقوة ففي أول ركن من الرواق الاول دعامة قوية مبنية من الحجر الشميسي ثم اسطوانة رخام كذلك ثم دعامة من الحجر الاصفر الشميسي وعلى هذا المنوال الى آخر هذا الصف من أساطين الرواق ثم الصف الثاني من الرواق الثاني كذلك على هذا المنوال الى آخر هذا الصف من أساطين الرواق ثم الصف الثالث من الرواق الثالث على هذا المنوال و بنيت القبب على تلك الدعائم والاساطين في دور المسجد جميعه وشرعوا من ركن المسجد الشريف من جهة باب السلام كما تقدم وقاسوا تلك الصفوف بخط مستو وأزالوا ما كان قبل ذلك من الازورار والاعوجاج والحجر الشميسي نسبة الى شميس تصغير شمس جبل بقرب بئر شمس وهي حد الحرم من جانب جدة به جبيلات صفر تكسر منها هذه الاحجار وتحمل الى مكة مسافة مادون ليلة فكان في ادخال هذه الدعامات الصفر ما بين الاساطين البيض حكمة أخرى غير الاستحكام والزينة وهي أن أساطين الرخام الباقية في المسجد كانت تبنى بجوانبه الاربعة لان الجانب الغربي احترقت أساطينه الرخام وسقفه أيام الجراكسة في دولة الناصر فرج بن برقوق في سنة اثنتين وثمانمائة وأرسل من أمرائه الامير سيف الظاهري الى مكة المشرفة فعمر الجانب الذي احترق من المسجد الحرام بالحجر الصوان المنحوت كما قدمنا ذكر ذلك في محله وصارت الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام وهي الجانب الشرقي والجانب اليماني والجانب الشامي على نسبة واحدة أساطينها من الرخام الابيض وأساطين الجانب الغربي جميعها من قطع الحجارة المنحوتة من الحجر الصوان غير مناسبة للجوانب الاخر الآن و بادخال هذه الدعامات الصفر صارت الاساطين كلها على نسبة واحدة وهي أن كل ثلاث أساطين من الرخام الابيض يكون رابعها دعامة واحدة من الحجر الاصفر الشميسي وذلك في غالب الاروقة من الجوانب الاربعة من المسجد الشريف

الشريف والتي تحت طاعتهم فكان ممن في حدوده وطاعته القبائل التي حول مكة والمدينة والطائف وبنو سعد وناصرة وبجيلة وغامد وزهران والحنو وبارق ومحايل وغير ذلك ثم دسوا الدسائس وصاروا يكاتبون القبائل خفية ويرسلون لهم من يفسدهم حتى انتقض الصلح وتبعوهم كما سيأتي بيان ذلك وقد ارتبط بينهم عهود ومواثيق على المسالمة وان الحرب بينهم موقوف وان يحج الوهابيون بيت الله الحرام ونادى المنادي بالامن والامان ومنع الناس عن التعرض لهم باليد واللسان فأقبلوا على مكة من كل مكان فسبحانه وتعالى كل يوم هو في شان وفي موسم هذا العام حج من علمائهم حمد بن ناصر ومعه شرذمة من الوهابيين ولم يحج أميرهم لكون صاحب بغداد سليمان باشا جهز عليه جيشا ليس له حد وجعل أميره على بيك كتخدا الوزير المذكور فجاء العرضي وأحاط بهم وحاصرهم أشد الحصار فضاقوا ذرعا من ذلك وأيقنوا بالهلاك لكن لما كان في علم الله ان مدتهم باقية لم تتم هيأ لهم أسبابا فوسطوا وسائط أفسدوا كثيرا من أهل العرضي فركب على بيك بجانب السمري ولم يطب له القعود وفر هاربا فتبدد شمل ذلك الجيش وتفرق ولم ينل منهم شيأ لانهم لما كانت مدتهم باقية كانت الرشوة لهم واقية

## ﴿ذكر حج سعود سنة ١٢١٤﴾

وفي سنة أربع عشرة حج سعود بن عبد العزيز ومعه قوم كامثال الرمال واجتمع بمولانا الشريف في خيمة ضربت لهما بالابطح وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة ارتحل وحج أيضا في سنة خمس عشرة ومعه جند عظيم وقدم سعود لمولانا الشريف هدية تقدم بها قبله حمد بن ناصر وهي خمسة وثلاثون رأسا من الخيل وعشر من النوق العمانيات فقبل ذلك مولانا الشريف وكافأهم على ذلك بما يليق بجنابه وكان مولانا الشريف قبل قدومهم للحج قد احترس وتحرز منهم خوفا من وقوع غدرهم فأمر أولا ببناء سور الطائف ثم ببناء الابراج التي في أطراف مكة فشيد مداخل مكة بالابراج وطلب كثيرا من القبائل من جميع الفجاج ورتب جميع المداخل والابراج فلم يدخل سعود بجيشه مكة قبل الوقوف بل نزل بعرفة وكان معه ما يزيد على عشرين ألفا وفي أيام منى في اليوم الثاني عشر وقعت خصومة بين عربان سيدنا الشريف وقوم سعود آلت الى قتال وضرب بالرصاص فما زال مولانا الشريف يمنع عربانه حتى كف القتال واتصل الخبر الى مكة وفي كل ناحية وسكة ونزل الناس من منى قبل الزوال وفي اليوم السابع عشر من ذي الحجة توجه سعود بقومه الى الشرق وفي هذه المدة التي مضت بعد الصلح كان سعود يراسل خفية كثيرا من مشايخ القبائل أرباب البغي والفساد فكاتب شيخ محايل سعدي بن شار وشيخ بارق أحمد بن زاهر فصارا يفسدان كثيرا من القبائل حتى كان منهما من الفساد

ما حصل

كلها قائمة على أقدامها بغاية الاحكام كأنها صفوف واقفة بالادب حول صحن مسجد بيت الله الحرام من جهاته الاربع وهي أعلى من الارتفاع السابق وأرفع كأنها تنشد بلسان حالها مفتخرة على أمثالها بل تفوق على ماسواها وتطول

ان الذي سمك السماء بنى لنا • بيتا دعائمه أعز وأطول

واستمر أمير العمارة الشريفة حضرة الامير أحمد المشار اليه شكر الله سعيه وبارك له وعليه في غاية بذل الجد والاجتهاد مقرون الحركة بالتوفيق والسداد يتلطف بالخدم والعمال ويتفضل عليهم بأنواع الافضال ويوصلهم أجورهم كاملة لا يقتطع منها مقتطعا من أحد ولا يضر بحاله بل يزيدهم من عنده ويسامحهم بماله مع كمال الدقة في الاموال السلطانية والحرص على حفظها (٢٦٩) وعدم التبذير فيها وأما مال نفسه فيوسع به على الفقراء ويبذل لهم وللخدام والعمال ما أراد ويحسن الى أهل البلاد مع التواضع وحسن الخلق ولين الكلام ومواساة الناس في جميع المهام والمشي في تشييع الجنائز معهم وعيادة مرضاهم وسلام القدوم واستجلاب رضاهم بحيث ترك عظمة الامارة وصار من جملة فقراء الناس لكثرة تواضعه فأحبه الناس وحمدوه وشكروا جميله واحسانه وذكروا كثرة تحمله ولطفه ولقد جاءني الى منزلي متفضلا مرارا وأنا من آحاد الفقهاء بل من أدنى الفقراء وما فعل ذلك الا محبة في الله أحبه الله لا لأمر يناله مني فانه أجل قدرا وأعظم خطرا من ذلك وما ذكرته الا ليعلم حسن تواضعه وتخلقه وتلبسه بالاوصاف الجميلة وتحققه فلا جرم أن الله تعالى وفقه لهذه الخدمة السنية الفاخرة وأتم عمل هذا الخير العظيم على يده فيكفيه ذلك سعادة في الدنيا والآخرة فكم من وزير كبير نبيل بل ملك عظيم جليل يتمنى الوقوف في هذه الخدمة مع جلالته ويعدها من أكبر سعادة دنياه وآخرته وما قدرها الله تعالى الا لمن ظهرت العناية الازلية في حقه فاختاره الله تعالى لذلك من بين عباده واصطفاه من خلقه وهو هذا الامير الكريم الصفات فالله تعالى يعينه على فعل الخيرات ويسدده في أفعاله وأقواله ويوفقه للباقيات الصالحات فلما كمل جانبين من المسجد وهما الجانب الشرقي والجانب الشمالي وحصل خبر انتقال حضرة السلطان سليم الى دار النعيم رحمه الله وطيب ثراه وأحسن اليه في الدار الآخرة واستمر حضرة الامير أحمد المشار اليه أحسن الله تعالى اليه في عمله المبرور وفعله المعمور بالمعمور

ما حصل بسببه انتقاض الصلح وكان سببا في دخول جميع قبائل الحجاز في دين الوهابية ولما بلغ مولانا الشريف أن شيخ محائل كاتبهم وتبعهم على دينهم وخلع طاعة مولانا الشريف غالب أرسل لوزيره بالقنفذة أبي بكر بن عثمان وكان مشهورا بالشجاعة وأمره أن يجمع كثيرا من الذخائر ويجمع ما أمكنه من القبائل ويذهب لقتال شيخ محائل فامتثل أمره وخرج لقتاله فوقع بينهما قتال شديد وهزمهم الوزير وملك ما في واديهم ثم أضرم النار ببلادهم ثم عاد الى القنفذة

﴿الغزية السادسة عشرة﴾

وهي الغزية السادسة عشرة ثم بعد أيام بلغ الوزير بالقنفذة انهم رجعوا وتجمعوا للفساد وصاروا يراسلون أهل تلك الاطراف فدخل في دينهم كثير من أهل تلك الاراضي ومن لم يطعهم يهددونه بالسيف والسنان فعند ذلك أرسل الوزير لمولانا الشريف وعرفه حقيقة الامر

﴿الغزية السابعة عشرة﴾

فكانت الغزية السابعة عشرة وذلك ان مولانا الشريف جهز جيشا عظيما وأمر عليه السيد منديل ابن أبي طالب فتوجه حتى وصل الى القنفذة واجتمع بوزيرها ثم توجه بمن معه الى قوز أبي العير وعرض عليه بنو يعلى وبنو زيد ورحمان وزبيد فغزا بهم على بني كنانة وقتلوا فيهم قتلة شنيعة ورجع الى قوز أبي العير وفي هذا الاثناء جاء الخبر لمولانا الشريف ان أهل حلي دخلوا في دين الوهابي فأرسل غزية أخرى معينة للسيد منديل

﴿الغزية الثامنة عشرة﴾

وهي الغزية الثامنة عشرة جهز جيشا وأمر عليه السيد ناصر بن سليمان فسار حتى أناخ على حلي ووقع بينه وبين أهله القتال فقتل منهم كثيرا وغنم من البقر والغنم والدقيق شيأ كثيرا وسبى بعض العسكر بعض أولادهم وباعهم بمكة بيع الرقيق ورجعوا الى مكة ودخلوها سابع عشر رمضان سنة ست عشرة ورجع معهم بعض أهل حلي تائبين مطيعين راجعين عن دين الوهابية وطلبوا من مولانا الشريف أن يرسل معهم جيشا يقيم بأرضهم وتعهدوا انهم يؤونه وينصرونه وان يؤمر عليه واحدا من بني عمه ففعل ذلك وأرسل معهم جيشا وأمر عليه وعليهم السيد منديل بن أبي طالب

﴿الغزية التاسعة عشرة﴾

فكانت هذه الغزية التاسعة عشرة فلما أناخ على حلي استحسن أن يجعل عليها سورا للحفظ من العدو فاستأذن مولانا الشريف فأذن له فبناه وجمع عنده من الذخائر والخزائن شيأ كثيرا مخافة هجوم العدو فلما تم له ثمانية أشهر بلغه أن الوهابيين مقبلون للقتال على رأس أمير اسمه حشر وكان

مستعينا بالله ولى الامور ﴿فصل فى وفاة المرحوم المقدس السلطان سليم الثانى وانتقاله الى عالم القدس من ملك هذا الفانى﴾
لما كان لكل أجل كتاب ولكل نفس أنفاس معدودة قدرها الله تعالى فى أم الكتاب لا يسلم منه والد ولا مولود ولا سلطان ولا
جنود ولا سيد ولا مسود ولا ينجو منه شئ خرج من كتم العدم الى فضاء الوجود هو الموت سلطان البرايا العاجز *
لديه وغلاب كن لم يغالب ودرع الفنا فى حكمه درع غارة * وايوان كسرى من بيوت العناكب قدر الله تعالى له بالانابة عن
كل ما يخالف أمره ورضاه وغلب عليه قرب توجهه الى الله صلاحه وتقواه وطهره الله تعالى بمقاساة المرض وكفاه وصيره نورا
روحانيا جوهرا علويا سنيا وهيكلا شريفا (١٧٠) ملكيا يصلح لجناب قدسه الكريم ودعاه فلباه بقلب سليم
ومضى الى رحمة ربه الرحيم
فائزا بالملك الاخروى فى
جنات النعيم مخاطبا من
الحضرة الالهية بلسان
الالطاف الرحمانية يا أيتها
النفس المطمئنة ارجعى
الى ربك راضية مرضية
فادخلى فى عبادى
وادخلى جنتى * وكان وقوع
هذا الامر المهول لسبع
مضين من شهر رمضان
فيضان الرحمة والاحسان
سنة اثنتين وثمانين
وتسعمائة ودفن جسده
الشريف وهيكله الطاهر
المنيف بقرب أياصوفية
بتربة طيبة غراء وروضة
نضرة غناء تنوح بها ورق
الاطيار وتبكى فيها سحب
الامطار وتشقق أثوابها
أكمام الازهار وتلطم
خدودها أوراق البهار
أنزل الله تعالى عليه مطر
الرحمة والرضوان وجعل
قبره الشريف روضة من
رياض الجنان
سرى نعشه فوق الرقاب
وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله أفاض عيون الناس حتى كأنما * عيونهم مما تفيض أنامله منهم
فيا عين سحى لاتشحى بسائل * على ملك لا يعرف الدهر سائله فان دفنوا تحت التراب جماله * فما دفنت أوصافه وشمائله
سقى جدثا هالت عليه ترابه * أناملهم سح الغمام ووابله ﴿الباب العاشر﴾ فى سلطنة سلطان العصر والزمان خاقان
خواقين العهد والدوران ملك ملوك المشرقين والمغربين سلطان سلاطين الخافقين خادم الحرمين الشريفين عامر البلدين
المحترمين المنيفين أعظم سلطان خفقت عليه البنود وتشرفت بمدحه رؤس المنابر وأكبر مليك جند الجنود وكتب الكتائب
وحشد العساكر وأعدل خليفة انتظم به نظام الوجود وعقدت على عظمته عقود الخناصر ملك اذا ضاق الزمان بأهله *

فاجراختالا وقد أرسلوا لشيخ حلى واستمالوه فمال وانعقد بينهم الكلام على أنهم متى خرجوا
لقتالكم تمنعهم من الدخول فلما أقبلوا وخرج السيد منديل لقتالهم غالب المراحل وبقى بنفسه فى
البلد ومعه خمسون مقاتلا فوقع بينهم قتال شديد وقتل من الفريقين جمع عديد ثم انهزم الوهابيون
عن حذيقة وتقرير وجعلوا لهم كمينا فلما جدوا خلفهم ظهر الكمين واشتد القتال وحجز بين
الفريقين حر النهار قيل انه لما ظهر الكمين كانت الغلبة لهم ثم أظهر أهل حلى الخيانة وأمروا
السيد منديلا بالخروج من البلد وترسوا الاسوار وامعن السيد منديل بفكره فرأى ان العود أجد
فاختار الخروج فرجع الى مكة سالما

﴿الغزية المكملة عشرين﴾

الغزية المكملة عشرين حاصلها ان مولانا الشريف بلغه أن عربانا بساحل اليمن تجاه الاحسبة
دخلوا فى هذا الدين المبتدع منهم قبيلة يقال لها دمينة وقبيلة يقال لها غامد الفرعاء فارسل غزية
من السادة الاشراف ومعهم كثير من العسكر والبوادى وأمر على هذه الغزية السيد سعد بن زيد
القنادى فسار حتى نزل بموضع يقال له أم الخشب وأغار على آل دمينة وغامد الفرعاء وقتل فيهم
وأخذ مواشيهم وربط منهم تسعة عشر رجلا ورجع الى أم الخشب

﴿الغزية الحادية والعشرون﴾

الغزية الحادية والعشرون كانت من وزير القنفذة أبى بكر بن عثمان وحاصلها ان المذكور كان
قد أذاقهم الويل فى قتاله لهم فصاروا يترصدون له ويحتالون على اغتياله فاطاعه ثلاث قبائل مكرا
وخديعة وهم بالقرن وبنو سهيم وبالمنتشر وتجمعوا فى مواضعهم وكاتبوه ان يقبل عليهم ليقاتلوا
معه الوهابيين والمجاورين لهم وأضمروا انه اذا وصل اليهم قبضوا عليه باليد فاقبل عليهم بمن معه
من الجند فلما وصل اليهم بادروه بالقتال واستضعفوا من كان معه فقاتلهم بمن معه وأظهره الله
عليهم وقتل كثيرا منهم وأخذ كثيرا من مواشيهم ورجع وخيم بموضع قريب من القنفذة ثم انتقل
الى أم الخشب واجتمع بالسيد سعد بن زيد القنادى ثم بلغه أن الوهابيين أقبلوا بجنود كثيرة وانهم
افترقوا فرقتين فرقة قصدها دخول القنفذة وفرقة تقاتله خارج القنفذة فلما بلغه هذا الخبر توجه فى
الاثر فاقبلت فرقة تقاتل السيد سعدا ومن معه ولما أشرفوا على الموضع الذى هو فيه عرفوا انهم
لا طاقة لهم به فتركوه وأما الفرقة التى أقبلت على القنفذة

﴿الغزية الثانية والعشرون﴾

فادركهم الوزير بموضع يقال له دكان فقاتلهم وأثخن فيهم القتل ونهب مواشيهم وأثقالهم ولم يسلم

بخلا توسع في المكارم وانفسح  تكبوا السحائب اذ تجارى كفه * فالغيث من راحاته عرق رشح  ومكلف الاسد ان تصور بعدله
في القفر أن يرعى الغزال اذا سنح  المنصوب له على أعلى أوج سرير السلطنة سرادق الخلافة العظمى  المرفوع في أرجاء بساط
البسيطة لواء الملك الاسنى العظيم الاسماء حضرة السلطان الاعظم والخاقان الاكرم السلطان مرادخان ابن السلطان سليم خان
ابن السلطان سليمان خان  نسب كان عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا  لازالت أعلام خلافته مرفوعة
على هام الثريا  ولابرحت ألوية سلطنته منصوبة فوق الكواكب مكانا عليا  مادام الجديدان  وطلع النيران ولمع الفرقدان
* مولده الشريف في سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وجلس على تخت الملك الشريف  في عاشر رمضان المبارك
سنة اثنتين وثمانين
وتسعمائة وسنه الشريف
حين ولى الملك المنيف
ثلاثون سنة وهو ملك
همام وأسد ضرغام
وهزبر مقدام وسيف
صمصام وبحر طمطام
وملك بقائم سيفه ملوك
الاملاك وأدار على حسب
مراده الافلاك وملأ
بصيت عظمته ما بين
السماك والاسماك وخاطبه
الصبح والليل أسعد
الله صباحك ومساك
خداوندكار العالم وسلطانه
وامام المسلمين الذى اذا
اجلس على كرسيه فما
قدر كسرى وايوانه وهو
منذ هجر المهد والرضاع
مجبول على كرم الخصال
وشرف الطباع مشغول
اللسان بالذكر والقرآن
مشغوف الجنان بالسيف
والجنان ممدود الهمة
الى معالى الشان معقود
الامنية بعلو القدر وسمو
المكان لم يزل قائما بنصرة
الدين وحماية بيضة الاسلام وتقوية جناح المسلمين  وانى أنشر في هذه الرسالة سيرة معدلته في الرعايا وأتحدث بما طبعه الله عليه
من كرم السجايا  وحبب الى خلقه الشريف من الرأفة بالبرايا  والمحبة لعلماء الدين واكرامهم بالمواهب والعطايا  وحسن نظره الى
الحرمين الشريفين  واحسانه الى الفقهاء والفقراء والصلحاء بالبلدين المنيفين  وأمره الشريف بتكميل عمارة المسجد الحرام
عمارة فائقة  حسنة رائقة باقية  في صفحات الايام  فاق بها من قبله من الخلفاء الكرام  وسائر سلاطين الانام  وكافة ملوك
الاسلام  فلقد آتاه الله مالم يؤت أحدا من العالمين  وجمع له بين أعظم سعادة الدنيا والدين  وجعله ملكا كريما وسلطانا رؤفا رحيما
ومنحه ملكا جليلا عظيما  واقفا عند مراد ربه سبحانه فلا يتعداه  عاملا في أمره بتوفيق الله  مراعيا العدل والاحسان فيما استرعاه

---

منهم الاطويل العمر ثم رجع الى القنفذة وينبغى أن تجعل هذه الغزية ثانية لما قبلها فتكون هى
الثانية والعشرين ثم ان معدى بن شار شيخ محائل جمع جموعا من كنانة وأهل المخواة وغامد الفرعاء
ومحائل يبلغون اثنى عشر ألفا وعزم هو ومن معه على انهم يتملكون القنفذة فاقبلوا بمواشيهم
وأطفالهم ونسائهم وكان ذلك على حين غفلة من الوزير وذلك في أوائل سنة سبع عشرة فلم يمكنه أن
يجمع كثيرا من العربان وعلم ان تأخير القتال ذل ووبال فخرج عليهم ودهمهم بغتة

﴿ الغزية الثالثة والعشرون سنة ١٢٢٣ ﴾

فتكون هذه الغزية هى الثالثة والعشرين فوصل الى الموضع الذى هم فيه قبل الفجر ومعه
سبعمائة رام وثلاثة عشر من الخيل وصاح فيهم كما يصيح الذئب في الغنم فقتل منهم قتلة تجل عن
العد حتى قال بعضهم لما سمع بهذه القتلة هذه هى داهية الغفلة قيل ان القتلى بلغوا أربعمائة
والجرحى مائتين واخذ سلاحهم ومواشيهم وهرب الباقون وربط منهم نحو المائتين وهذه الوقائع
المذكورة بعد الصلح كلها كانت في مدة الصلح لما وقع منهم من الغدر بافسادهم القبائل بوسائط
أتباعهم الذين يوسوسون لهم ويدخلونهم في الطين حتى افسدوا جميع اقليم اليمن ثم سرى الامر الى
غيرهم ولما علم سعود أن اقليم اليمن سيصير تحت يده سلط سالم بن شكبان على قبائل زهران فشرع
في افسادهم وسلط عربانه عليهم فلما علم بذلك سيدنا الشريف غالب أرسل كتابا لعبد العزيز وسعود
يطلب منهما الوفاء بالعهود  فارسل كل منهما كتابا يعتذر باعذار واهية وزعم ان هذه الشوائع
أكاذيب من العربان يرمى بها بعضهم بعضا لاجل نقض الصلح فارسل مولانا الشريف السيد فاخر
ابن سلطان بن حازم وأمره أن ينزل عند زهران ويعرفه بما شاهد وزان  فاقام عندهم أياما فظهر
له تحقيق الخبر فعرف بذلك مولانا الشريف غالب فارسل مولانا الشريف الى الدرعية رحمه عثمان
ابن عبد الرحمن المضايفى ومعه من كبار الاشراف السيد عبد المحسن الحرث وجماعة منهم ابن حميد
شيخ المقطة لاجل تجديد الصلح والعهود وربط الامر واحكامه فتوجهوا من الطائف وكان مولانا
الشريف اذ ذاك بالطائف فلما وصلوا الى الدرعية والتقوا بعبد العزيز قدموا له المكاتيب  فقابلهم
بالبشاشة والترحيب  فاول ما نطق به عثمان ان قال يا عبد العزيز بشرنى بالامارة وأبشرك بمكة تملكها
وأطلب منك أن تخلى لى المجلس لامور سأبديها فاختلى معه وحدثه بكلام طاب له وأمره على
الطائف وما حوله من العربان  ولم يجتمع عبد العزيز وسعود بالسيد عبد المحسن وابن حميد في مجلس
آخر الا يوم السفر فكتب لهم جوابات مكاتيب الشريف وجعلوا الكلام الذى فيها مجاراة ظاهرية
لكلامه في كتبه وكان ذلك مكرا وخديعة وأمرهم بالتوجه  وكان عثمان ذكر له أسماء شيوخ

معانى بنى عثمان غير خفية ✱ وكل الى شأو المفاخر سابق وقد تخمد الشمس النجوم بضوئها ✱ تفاوتت الانوار والكل رائق
باسم مراد ينجلى كل مشكل ✱ عويص وتنقاد الجبال الشواهق ويوهمنا في ان آدم لم يمت ✱ حنو على أولاده منه صادق
ولطف تساوى الخلق فيه فضمهم ✱ كما ضمت الخصر الرقيق المناطق بقاؤك فى الاسلام عز مؤبد ✱ فدم وابق للاسلام ماذر شارق

طالما عمرنى وغمرنى باحسانه وهو شهزاده قبل جلوسه الشريف على تخت السلطنة والسعادة وشملنى لحظه الشريف السلطانى بالحسنى وزيادة واستمر ذلك اللحظ الشريف السلطانى يشملنى بلطفه واكرامه ويكرمنى بحسن التفاته الشريف وانعامه فوق ما بيدى من المدرسة (٢٧٣) الشريفة السلطانية السليمانية مدرسة جده المرحوم المحفوف بالرحمة الرحمانية وأنعم على أولادى بالتدريس وأولادهم بكل اكرام واحسان لطيف نفيس

فلو أن لى فى كل منبت شعرة
لسانا يبث الشكر كنت مقصرا

وما بيدى الا الدعاء لنصره
ليملك قسرا ملك كسرى وقيصرا

وانى لاخدمه أنا وأولادى وأجنادى فى بلد الله المنيف بالدعاء بطول عمره الشريف وخلود ظل عدله الوريف وبقاء سلطنته القاهرة ودوام خلافته الزاهرة الباهرة وأخلد ذكره الشريف فى صدور الدفاتر والكتب وانشر طيب عرف شكره على مرور الاعصار والحقب وانى وان أعطيت فى القول بسطة ✱ وطال عنى هذا الكلام المحبر

لاعلم انى فى الثناء مقصر
وان الذى أولاه أوفى وأوفر

فأى جميل من عطاياه ينتهى
وفى كل حين فضله يتكرر

ولكننى مادمت حيا لشاكر
ويشكره بعدى كتابى المسطر

﴿فصل﴾ ومن سعادة هذا السلطان الاعظم الاسعد ثبت الله سلطنته وشيد وأدام ملكه السعيد وخلد مقارنة والمدفع هذا الوزير المعظم الاكرم الافخم ظهير السلطنة الشريفة العثمانية وعضد الدولة المرادية الخاقانية مدبر الامور برأيه المصيب الثاقب وممهد مصالح الجمهور بفكره الدقيق الصائب أعظم وزراء السلاطين العظام وأكبر الصدور الكبراء الفخام فى دواوين أعظم ملوك الانام ﴿حضرة محمد باشا﴾ المشار الى حضرته العلية سابقا فى وزارة والد هذا السلطان الاعظم وجده قرن الله صدارته بسعادته وجده وأدام صدارته فى ظل اقبال هذا السلطان الاكرم وشمله بسعده فأول خدمة هذا الوزير حسن التدبير حتى أجلس حضرة هذا السلطان الاعظم روح هذا العالم على السرير وقام بأعباء هذا الامر الخطير ودبر ذلك برأيه السديد أحسن تدبير وأعانه

---

القبائل التى يريد التأمر عليهم فكتب لهم كتبا يخبرهم فيها بانه أقام عثمان المضايفى أميرا عليهم وسلمها بيده والجماعة الذين معه لا علم لهم بذلك كله الا انهم لما خرجوا من الدرعية متوجهين الى مكة أنكروا على عثمان فى كلامه فانه صار يمدح ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب من الطين ويثنى عليه ويرغب فى اتباعه والدخول فى طينه ومازالوا سائرين الى أن وصلوا العبيلاء وهو موضع بينه وبين الطائف يوم وله به حصن على جبل فجلس هنالك وأمرهم بالتوجه الى مكة وأظهر لهم انه يجىء فى أثرهم ودخل الحصن ونصب له بيرقا ودق الزير وأظهر الامارة وأرسل بعض الكتب التى معه لبعض شيوخ القبائل القريبة منه فاطاعوه وعزم على شن الغارة وكان بالطائف الشريف عبد المعين وكيلا عن أخيه ولم يكن مع عثمان من الخيل سوى ثمانية جمعها من الطريق ولفقها تلفيقا ثم أرسل عثمان كتابا للشريف عبد المعين يامره بالدخول فى الطين وأول من أطاع عثمان من القبائل الطفعة ثم النفعة والعصمة فغزا بهم على الزوران فاطاعوه بعد قتال ثم غزا بهم أسفل وادى لية على عوف وطال بينهم وبينه القتال فكسروه فرجع الى حصنه ثم خرج بمن معه على العرج فقاتله أهل العرج فهزمهم وأحرق دورهم ونهب مواشيهم وعاد الى حصنه ولما تحقق مولانا الشريف غالب أمره استدعى القبائل وأمرهم بالحضور فى الطائف فاجتمع بالطائف من القبائل ما ينوف على ثلاثة آلاف

﴿الغزية الرابعة والعشرون﴾

وهذه الغزية الرابعة والعشرون وكان عثمان قد خرج من حصنه فى رمضان قاصدا قتال من بالطائف بمن معه من العربان فخرج الشريف عبد المعين لاستقباله وقتاله بمن معه من القبائل وخرج معهم كثير من أهل الطائف والتقى مع عثمان وقومه بوادى العرج فاقتتلوا قتالا شديدا من أول النهار الى غروب الشمس فكان النصر للشريف عبد المعين وقتل من قوم عثمان نحو الستين ولولا أنهم تحصنوا فى جبل منيع ما سلم منهم أحد وأخذ ما كان معهم من الابل والذخائر ورجع الى الطائف واستشهد من جماعة الشريف عبد المعين جماعة وهم السيد ابراهيم بن سعيد بن على وخمسة من أهل الطائف وثلاثة من ثقيف وأربعة من هذيل ثم رجع عثمان الى حصنه ومازال يراسل القبائل فعزم مولانا الشريف غالب أن يتوجه اليه بنفسه فجمع كثيرا من الجنود وأحضر كثيرا من الذخائر والمهمات وخرج من مكة ليلة الثامن عشر من رمضان

﴿الغزية الخامسة والعشرون﴾

فكانت هذه الغزية هى الخامسة والعشرين فسار بالجنود قاصدا العبيلاء والتقى باخيه الشريف عبد المعين قبل وصولها فلما نزلوا العبيلاء أحاطوا بالحصن من الجوانب الاربع ورموا عليه بالقنبرة

على ذلك تقدير اللطيف الخبير وتيسير العلي الكبير والله على كل شيء قدير وأقبلت السلطنة الشريفة عليه الى أن صار ملهج لسانها وعظم في عين الدولة الشريفة فحل محل انسانها وكبرشأنه وقد كان كبيرا عظيما وعم احسانه وكان كثيرا عميما وعرف نعمة الله فقابلها بالشكر والتحميد واعترف بآلاء الله تعالى جلبا للمزيد وربطا للتليد بالعتيد وأشرقت شمس سعادته في الآفاق وأورقت رياض صدارته انضر ايراق وقلد أجياد أركان السلطنة الشريفة بعقود منه السامية المنيفة فكانت كالاطواق في الاعناق والنور في الاحداق بحيث لم يبق من أمراء الديوان وزعماء الجيوش والامراء والبكلاربكية الاعيان من لم يضرب بسهم وافر من عطاه ولم يخدمه الافاز بانعامه وحباه وأحسن الى السادات والمشايخ والعلماء والموالي وسائر العظماء والاهالي والى أهل الحرمين الشريفين وجيران البلدين المطهرين المنيفين وأكثر فيهما الصدقات وأجرى فيهما الخيرات من اجراء العيون وحفر الآبار وبناء دار الشفاء والحمامات وغير ذلك من الاعمال الصالحات مستجلبا بذلك دعاء الفقراء والصلحاء وتوجه خاطر الاولياء والاصفياء بدوام دولة هذا السلطان الاعظم وقيام دولة سلطنته العظمى وخلافته الكبرى على هذا العالم فهم مواظبون على وظيفة الدعاء بدوام دولة سلطان الربع المسكون وبقاء صدارة هذا الوزير الاعظم بالسعد المقرون زين الله أعماله بحسن القبول وكسى ديباجة وجهه الشريف قبولا يدوم بدوام الصبا والقبول في ظل مراحم هذا السلطان المحفوف بالعدل والاحسان خلد الله سلطنته العادلة مدا الزمان وأبد خلافته الكاملة مادام الفرقدان واضاء النيران * ومن سعادة هذا السلطان الاعظم خلد الله سلطنته القاهرة على جميع هذا العالم مقارنته لحضرة الخواجا المعظم الاسعد الاكرم الافضل الاكمل الاعلم الفائق في كل علم على من كان في علم العلوم فائقا والمتميز في كل فن على من كان في فن من الفنون ماهرا سابقا ان نظم أتى بعقود الجواهر من نحور الحور وان نثر نثر الزهر المنثور من الروض الممطور بعبارة رائقة فائقة البراعة في الالسن الثلاثة وفصاحة بارعة فيها حازها كسبا ووراثة طال ما بهر الناقد البصير بحسن التقرير ولطف التحرير وأتى في البديهة بما يقصر عنه بعد الروية كل ماهر نحرير ولا شك أنه يغترف من بحر الفيض

والمدفع فامتنع عليهم فتحها وأخذها وجاء يوم العيد وهو بالعبيلاء فعيد هنالك ثم دخل الطائف وأقام به أياما ثم رجع الى العبيلاء مرة ثانية وحاصر البلد

﴿الغزية السادسة والعشرون﴾

وهذه الغزية السادسة والعشرون ولم يرد الله أن يستولى عليها فرجع الى الطائف فلما كان اليوم الخامس والعشرون من شوال أقبل على الطائف عثمان بمن معه من العربان وجاء مددا أمير بيشة سالم بن شكبان ومعه من العرب عدد كالرمال فاحاطوا بالطائف ووقع القتال بينهم طول النهار فلما غربت الشمس عادوا وتباعدوا عن السور بعدما أهلكتهم المدافع والقلل

﴿الغزية السابعة والعشرون﴾

وهذه ينبغي أن تكون الغزية السابعة والعشرين ولما أصبح الصباح أقبلت على الطائف طوائف الاحزاب وطال بينهم القتال حتى جاء الليل فرجعوا بعد ان قتل كثير منهم الى خيامهم

﴿الغزية الثامنة والعشرون﴾

وهذه الغزية الثامنة والعشرون ووقع هذه الليلة أمر غريب يتحير فيه العاقل اللبيب وذلك ان عربان الشريف تفرقوا شذر مذر وعالجهم على العقود ويعطيهم ما أرادوا من المال فما وافقوه وظهر خلل كثير في السور والابراج واتفق السيد عبد الله بن سرور مع جملة من الاشراف أن يرتحلوا من الطائف ويتوجهوا الى مكة وفعلوا ذلك فلما أصبح الصباح أخبر مولانا الشريف غالب بالخبر وقيل له أيضا ان عثمان وسالم بن شكبان ومن معهم من العربان يريدون التوجه الى مكة فارسل من يكشف له الخبر فجاء ذلك الرسول وأخبره انه رآهم نازلين من ريع التمارة فتحقق الامر عنده فعزم أن يجد السير الى مكة من الطريق الثاني فجاء من قصره الذي في حوايا الى الطائف وحرضهم على قتال العدو وأعطى للعسكر ومن بقي من البوادي كل واحد عشرة مشاخصة وتوجه الى مكة على طريق المثناة ولما انفصل وغاب عن الطائف انفشل أهل الطائف وذهلت عقولهم وتركوا الحصون والاسوار وخرج من الطائف رجل يسمى دخيل الله بن حريب فاسرع مجدا في طلب الوهابيين واسترجاعهم بعد ان ولوا مدبرين وأخبرهم بتوجه الشريف الى مكة فرجعوا مقبلين وتقدمهم رجل يقال له عبد الله البويحيت وكان من كبارهم عهد لهم الامور ويخبرهم بمن بقي في السور فدخلها مع دخيل الله بن حريب وجاء الى بيت ابراهيم الزرعة وكان من أعز أهل البلد وأغناها فاتفق معه على مبلغ جزيل من المال يدفعه لسلامة أهل البلد

﴿ذكر قصة أهل الطائف وما وقع لهم من الوهابية﴾

القدسى ويفيض بالقوة القدسية ما استفاضه من عالم القدس على عالم الانسى وانه كتب الخط الحسن وما بقل خط عذاره
الانضر وتميز فى الكمالات على مشايخه فضلا عن أقرانه فى عصر شبابه الازهر باحث العلماء فى دقائق العلوم ورجح عليهم فى
تحقيق فهم المنطوق والمفهوم ونفث السحر الحلال بكلامه ورقم على وجنات الطروس نفثات أقلامه فبهر العقول والالباب
وأتى بالتصانيف الفائقة فى كل باب وأتاه العلم والسعادة وفصل الخطاب ثالث السعدين وثانى سعد الدين مكنه الله من العز
المكين ومنحه أعلى رتب السعادة والفضل والتمكين ولقد أسعده الله وأكرمه غاية التكريم فساقه الى تعليم هذا السلطان
الاعظم ذى الطبع السليم والخلق الكريم وهو شهزاده فاقبل عليه بكمال قابليته الشريفة غاية الاقبال



فانطبع فى مرآة قوته الدراكة نقوش صور العلم والكمال وانتقش فى صحيفة ذهنه الصقيل مزايا الفواضل والفضائل والافضال فلما ولى السلطنة العظمى عرف له خدمته السابقة ورفع مرتبته السنية الفائقة وأعلى مكانته ومكانه وأعز قدره وأعظم شانه فانثالت العظماء والموالى العظام الى بابه وكذلك الاكابر والاعيان صمدوا الى جنابه فاحسن اليهم كما أحسن الله اليه وعطف عليهم بمزيد الحنو والاحسان كما عطفت السعادة والاقبال عليه فهو بالخير الجميل مذكور وبوفور التلطف والتكرم معروف مشهور طالما شملنى باحسانه الكثير الوافر وعضدنى بلطفه وجميله المتواتر وأخذ بيدى أخذ الله بيده وأدام عليه فضله الباهر وأحسن غاية الاحسان الىّ وتفضل بأنواع التفضل علىّ وشمل بفضله أولادى وذوىّ نظر الله عزيز
بعين عنايته وألطافه اليه وأجرى مواد الكرم والاحسان على يديه وأسعده فى ظل هذا السلطان الاسعد وخلد سلطنته
العظمى وأبد خلافته الكبرى وأيد وهذا دعاء للبرية نافع * وحسن رجاء للسعادة جامع وقد حفه حسن القبول لانه *
عليه مجاع الصدق والله سامع ﴿فصل﴾ ومن سعادة هذا السلطان الاعظم عمر الله بشمول سعادته ورحمته علماء العالم كثرة
العلماء العظام الاعالى والفضلاء الفخام الموالى والمشايخ الاولياء الكرام والاهالى فى بابه الكريم العالى وتحت ظله الظليل
المتعالى فمنهم من اجتمعت به وعرفت كمال فضله واعترفت بعد مشاهدته برفعته فى العلم ومحله واغترفت من بحر فوائده وتقلدت

فخرج الويحيت على أن يأتيهم بالامان من عثمان وسالم بن شكبان فرماه برصاصة من منارة بعض
أهل الطائف فكان فيها موته وهلاكه فلما علمت الاعيانية بذلك حملوا على السور حملة واحدة ولم
يوجد من له قدرة على قتالهم ومدافعتهم وكان جماعة من أهل الطائف خرجوا قبل ذلك هاربين
فادركتهم الخيل وقتلوهم وما سلم منهم الا القليل ولما دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلا عاما
واستوعبوا الكبير والصغير والمأمور والامير والشريف والوضيع وصاروا يذبحون على صدر
الام الطفل الرضيع وصاروا يصعدون البيوت يخرجون من توارى فيها فيقتلونهم ووجدوا
جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم حتى أبادوا من فى البيوت جميعا ثم خرجوا الى
الحوانيت والمساجد وقتلوا من فيها ويقتلون الرجل فى المسجد وهو راكع أو ساجد حتى أفنوا هؤلاء
المخلوقات فويل لهم من جبار السموات ولم يبق من أهل الطائف الا شرذمة قدر نيف وعشرين
انحازوا البيت المفتى وترسوه ومنعوه بالرصاص أن يصلوه وجماعة فى بيت الفعر يبلغون مائتين
وسبعين قاتلوهم يومهم بما طال وشاغلوهم بكثرة النضال ثم قاتلوهم فى اليوم الثانى والثالث
فعلم ابن شكبان أن لا سبيل الى هؤلاء الا بالمكر والخديعة فراسلهم بالامان وقال لهم انكم فى
وجه ابن شكبان وعثمان وأعطوهم على ذلك العهود فكفوا عن القتال فادخلوا عليهم جماعة
وأخذوا منهم السلاح وقالوا لهم حمله للمشركين غير مباح ثم أمروهم بالخروج لمقابلة الامير فلما مثلوا
بين يديه أمر بقتلهم جميعا ففازوا بالشهادة وكان قتلهم بقوز يسمى دقاق اللوز وكان جماعة مفرقون
فى بيوت ذوى عيسى نحو الخمسين كانوا مترسين يرمونهم برصاص فاخرجوهم أيضا بالامان والعهود
على سلامة الارواح والرقاب دون بقية الاسباب ثم أخرجوهم الى وادى وج وتركوهم فى البرد
والثلج ومازالوا مكشوفى السوآتين حتى رموا عليهم اطمارا بالية من الكساء وجمعوا بين الرجال
والنساء وصارت المخدرات فى أسوء الحالات ثم عاهدوهم بعد ثلاثة عشر يوما على الدخول فى الطين
فصاروا يتكففون المسلمين فيعطون السائل الحفنة من الذرة ملء الكف يقبضها وصار العربان كل
يوم يدخلون الطائف وينقلون الاموال الى الخارج فنهبوا النقود والعروض والاساس والفراش
ويتهافتون على ذلك تهافت الفراش فصارت الاموال فى مخيمهم كامثال الجبال الا الكتب فانهم
نشروها فى تلك البطاح وفى الازقة والاسواق تعصف بها الرياح وكان فيها من المصاحف والرباع
ألوف مؤلفة ومن نسخ البخارى ومسلم وبقية كتب الحديث والفقه والنحو وغير ذلك من بقية
العلوم شئ كثير ومكثت أياما يطؤنها بارجلهم لا يستطيع أحد أن يرفع منها ورقة وأخبرهم
بعض شياطينهم ان عزيز الاموال مدفونة فى الخبايى فحفروا حفيرة فى بعض المحال فوجدوا فيها

بدرر فرائده ومنهم من كانبني بفضله وكاتبته لفضله وتحققت ثقوب فهمه ووفور علمه وعقله ومنهم من أحطت علما بكماله بعد التفحص عن مرتبة فضله وافضاله فوجدتهم في الرتبة العليا في الفضل والكمال فائقين علماء الدنيا في هذا العصر على كل حال فاني أتتبع علماء كل اقليم وأسأل عن مراتبهم في العلم وكمالاتهم في التعلم والتعليم وأكثر الفحص عن أحوالهم وتصانيفهم وفضائلهم وفوائدهم وتآليفهم وأستجلب ما يمكن جلبه وأطلب منهم ذلك اذا أمكنني طلبه وأنشر ذلك بين العلماء في كل البلاد وأبذلها لطلبة العلم الشريف من أهل القابلية والاستعداد وهذا دأبي منذ أميطت عني التمائم وأنيطت بعذاري عقود العمائم مع كثرة الواردين الى بلد الله الحرام والوافدين من الاقطار الشاسعة (٢٧٥) لاداء حجة الاسلام وشدة شغفي بملاقاتهم والتيمن ببركاتهم والسؤال عن فضائل فضلائهم وكمالاتهم فكنت أكثر الناس خبرة باحوال العلماء ودرجاتهم فوجدت الموالي العظام من علماء الروم هم الفائقين في هذا العصر في هذه العلوم ونظرهم فيها أدق نظر في المنطوق والمفهوم زادهم الله جمالا وكمالا وفضلا باهرا وافضالا وكل ذلك بشريف التفات هذا السلطان العالم سلطان العالم خليفة الله الاعظم على كافة الامم جمل الله بوجوده الانام وأكرم بعظيم اكرامه العلماء الكرام وأكابر فضلاء الموالي العظام فرفلوا في أيام سعادته في حلل المناصب العالية الفخام وأحرزوا قصب السبق في ميادين المراتب في ظله الظليل المستدام أدام الله تعالى لهم ذلك الى قيام الساعة وساعة القيام

* وأما زمرة المشايخ والاولياء والصلحاء والاصفياء نفعنا الله ببركاتهم وأدخلنا ببركة محبتهم في عداد خدام عتباتهم فمن شأنهم عدم الظهور ولا عين الناس الا نادرا * وأما أرباب الظهور منهم لارشاد عباد الله تعالى كأهل الزوايا وأصحاب النفع والتكايا فكثير ظاهرون كثرهم الله تعالى ونفع بهم ويجب على كل أحد أن يعتقد فيهم ولا ينكر على أحد منهم وان شاهد منه ما ينكره حمل نفسه على قصور الفهم فكم فيهم من ملامتي يقصد أن ينكر عليه يخفي حاله على الناس فحمل حاله على الصلاح أسلم وأجمل * وقد ذكر الشيخ الاكبر مولانا محيي الدين بن عربي رضي الله عنه في أول فتوحاته المكية من أعظم سعادة الانسان أن يعتقد في كل من انتسب الى الله تعالى ولو كان كاذبا فنسأل الله تعالى أن يسعدنا بالاعتقاد في أوليائه حيث كانوا وكيف كانوا ويدخلنا في زمرتهم ويعدنا

عز بالمال مخبأ فظنوا ان جميع الدور كذلك فحفروا جميع بيوت أهل البلد قاصيها ودانيها وأخربوها من أسفلها وأعاليها حتى حفروا بيوت الخلاء والبالوعات فاخربوا تلك الربوع التي كانت عامرة بالانس والمسامرة فسبحان من بيده ملكوت كل شئ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وما هذه الدنيا الا موعظة واستبصار لاولي الفكر والاعتبار ليعلم أهل الدنيا ان نعيمها زوال وزخرفها محال أي محال وان القاطن فيها على جناح سفر فليتخذها جسر ممر ومن أراد الاعتبار فليعتبر بهذه القصة فقصة الطائف كانت على المسلمين أعظم غصة وكان حصول هذا الشر في ذي القعدة سنة ألف ومائتين وسبع عشرة وبعد جمعهم تلك الاموال التي أخذوها من الطائف اخرجوا منها الخمس للامير واقتسموا الباقي كما نقسم غنائم الكفار وتوجه سالم بن شكبان وارتحل عن البلاد وبقي عثمان أميرا على الطائف وأرسلوا كتابا الى سعود بما صار على الطائف من القضاء الموعود فسر بذلك غاية السرور وكان مبرزا بالدهناء راكبا على العراق بغزية له سبعة أيام عن الدرعية فاسرع مقبلا الى هذه الاطراف فالتقى بابن شكبان فاعاده معه بمن معه من العربان فلما وصلوا الى قرية يقال لها العبيلاء وهي الى مكة على ثلاث مراحل أناخوا بجنودهم على تلك القرية وهم كدود على عود فبلغ الخبر جيران بيت الله الحرام فحصل اضطراب لاهل مكة وحجاج المسلمين وكان ذلك في شهر ذي القعدة ومكة قد امتلأت من الحجاج من جميع الآفاق فاشتد كربهم لا سيما لما سمعوا بما صار على أهل الطائف وجاء للحج في هذا العام من أرض المغرب نحو خمسة عشر ألفا وحج امام مسكت سلطان بن سعيد وحج أيضا نقيب المكي ولما وصلت الحجوج كان أمير الحاج الشامي عبد الله باشا ابن العظم ومعه كثير من العساكر وأمير الحج المصري عثمان بيك قرجي معه أيضا كثير من العساكر وكثرت الناس بمكة واشتد الزحام ولم يعلم قبل هذه السنة سنة فيها من المخلوقات مثل ما حضر في هذا العام وتراكم الناس بعضهم على بعض حتى ملئت بيوت مكة ونواحيها وجهاتها وضواحيها فلما كان يوم التروية ورد الخبر أن سعودا بجيوشه خيم بعرفة فحصل للناس خوف ووجل كثير فلما صعد الحجاج للوقوف وهي خائفة لم يجدوا أحدا من هذه الطائفة فحج الناس في أمن وأمان وكانت كثرة الحجاج في هذا العام هي السبب في تأخر تلك الطائفة عن الوصول زمن الحج ولله تعالى في كل شئ حكمة بل حكم كثيرة ثم بعد تمام الحج نادى منادي سيدنا الشريف ان يخرج الناس للجهاد ومدافعة أهل البغي والالحاد فأول من خرج شريف باشا والي جدة بمن معه من العساكر فلما سمع سعود هذا الخبر تقهقر يومين عن موضعه وتأخر فعند ذلك جمع مولانا الشريف امراء الحجوج وعقد لهم مجلسا وأشار عليهم بالركوب على هؤلاء البغاة فما وافقه

عن المنكرين عليهم ﴿فصل﴾ ومن أعظم مآثره الجليلة الكرام وأكرم آثاره الجليلة العظام اتمام عمارة المسجد الحرام زاده الله شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما وقد تقدم أن والده السلطان الأعظم المندرج في رحمة ربه الكريم الاكرم شرع في تعميره على الوجه الذي تقدم وأتم منه الجانب الشرقي والجانب الشمالي الى أن انتهت العمارة الشريفة الى باب العمرة فما عمر الى أن تتم العمارة وسلم ملكه المشيد الى نجله السعيد السلطان الاعظم الفريد السلطان المشار اليه الافخم الاكرم خلد الله ملكه الاعظم وأفاض على العالمين عدله الاقوم * فبرز أمره الشريف العالي الى أمير العمارة الشريفة المشار اليه سابقا افتخار الامراء الكرام أحمد بك ان يبذل جده وجهده في بناء المسجد الحرام ويسرع في انجاز عمارته بكمال



السعي والاهتمام فبادر الامير المشار اليه الى بذل الجد والاجتهاد وتوجه بكليته الى اتمام العمارة في خير البلاد فأعانه الله على اتمامها ومد بذلك سائر خدامها الى أن تم بناء الجانبين الغربي والجنوبي من المسجد الحرام بجميع شرفاته وأبوابه ودرجاته من داخل المسجد الحرام وخارجه في أيام هذا السلطان الاعظم الاكرم خلد الله ملكه الاقوم وأبد سلطانه الافخم وأفاض عليه سوابغ الفضل والنعم فتم ولله الحمد بسعد طالعه السعيد وكمل على هذا الوجه الحميد بحسن توجهه الشريف وقوة عزمه المشيد وكان ذلك في آخر سنة أربع وثمانين وتسعمائة وصار المسجد الحرام نزهة للناظر وبغية للخاطر وجلاء للنواظر وصفاء للقلوب والخواطر بحيث ما عمره الخلفاء العباسيون قبل ذلك لا يحسن عنده ان يذكر ويوصف لان هذا البناء الشريف أمكن وأزين ولا وأعلى وأشرف فكان الآن ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد بعقود عالية كأطواق الذهب في الاجياد وقبب سامية كقباب القلال الشداد وشرفات شريفة مشرفة على المهاد والوهاد بل أعلى وأشرف وأجل وألطف وأرق وأتحف فبنى ذلك بالرخام الابيض المرمر والحجر الشميسي المنحوت الاصفر كأنه سبك الذهب أو سبك العسجد والجوهر مكتوب على الابواب وصدور الاروقة آيات الكتاب والاسم السامي السلطاني المستطاب بحلي الذهب بخط كسلاسل الذهب على كل موضع ما يناسب من الآيات الشريفة القرآنية بالكتابة المنسوبة الفائقة الجليلة واخترع الفضلاء لذلك تواريخ عديدة بكل لسان

أحد على الخروج والركوب وتعللوا بعدم الذخائر وفوات الوقت للمسافر فتضمن وتعهد لهم بكل ما يحتاجونه من ماله بغير ثمن فما قبلوا قوله بل قالوا يكاتبه كل منا بكتاب ويرشده الى الصواب فان رأى فهو المطلوب والاحق عليه الركوب وأرسل كل أمير منهم من طرفه رسولا يحذره عن القدوم فلما وصلت اليه المكاتيب علم وتحقق ان عصبة عزمهم وهنت وضعف عراها فأعاد لهم الجوابات وشحنها بكثير من تزويره وأباطيله وأكثر فيها من التهديدات وأظهر لهم انه في غاية القوة ولا يبالي بهم فلما وصلت المكاتيب للامراء علموا انه لا مطمع في رجوعه عما يريد واضطربت آراؤهم وارتبكوا كل الارتباك فأشار عليهم مولانا الشريف ثانيا بالركوب عليه وقال لهم في ركوبنا ناموس للدولة العلية واكتساب عز وفخر وتكفل لهم بما يحتاجونه من النقود والذخائر وآلات القتال فقالوا لابد من اعادة المراسيل وراموا حصول أمر مستحيل فأرسلوا رسلهم بمكاتيب مرة ثانية فأعاد جواب كل بخلاف ما أمله وأخافهم حتى عالت المسئلة وتهدد كل واحد منهم بقوله من أقام بمكة غير ثلاثة أيام أقتله بالقتل العام وأجعله عبرة للانام ففزعوا وأدركهم الخوف وهموا بالفرار فعالجهم شريف مكة أشد العلاج على الثبات وما حصل لعلاجه انتاج فعند ذلك اجتمع أكابر مكة وأعيانها وذهبوا الى عبد الله باشا ابن العظم أمير الحاج الشامي وترجوا عنده ان يقيم بمكة عشرة أيام فأبى وسافر في خامس المحرم سنة ثماني عشرة وفي ثاني يوم توجه أمير الحج المصري ثم توجه شريف باشا الى جدة فبقي الشريف وحده لما توجهوا كلهم هاربين فعند ذلك توجه هو أيضا الى جدة فبقيت الرعايا بمكة لا يقر لها من الخوف قرار ونودي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ليس للبلاد حاكم ولا وزير ولا أمير ولا مشير قد استسلم أهل مكة للشهادة وطلبوا من الله الكريم الحسنى وزيادة لعلمهم ان هذا الرجل لا يدخل أرضا الا أفسدها ولو لم يكن الا قصة الطائف وما فعله بأهلها لكان في ذلك كفاية فعند ذلك أقام مولانا الشريف عبد المعين بن مساعد وأرسل كتابا الى سعود مع القائد حامد بن سليم اغا على فرس وطلب منه امانا لجيران بيت الله الحرام وان لا يخفر لسكان مكة ذمام وان يكون هو عامله فيها وان أهل مكة تحت طاعته وأرسل أهل مكة رسلا من أفاضل العلماء وأهل البيت النبوي منهم العلامة الشيخ محمد طاهر سنبل والعلامة الشيخ عبد الحفيظ العجيمي وشيخ السادة السيد محمد بن محسن العطاس والسيد محمد ميرغني والد مولانا السيد عبد الله ميرغني مفتي مكة بعد هذه المدة كل ذلك لاجل صيانة سكان البلد الامين وشفقة بالفقراء والمساكين فتوجه الجميع واجتمعوا بسعود بوادي السيل على مرحلتين من مكة وتكلموا معه بأفصح كلام وطلبوا منه الامان لجيران البيت الحرام وانهم يدخلون في طاعته فقال لهم انما جئتكم لتعبدوا الله وحده وتهدموا الاصنام والطواغيت

واخترت أخصرها لانه خير مساجد الله ثم رأيت بعض الفضلاء جعل لهذه العمارة الشريفة تاريخا في بيت مفرد فأعجبني نظمه لحسن سبكه واستيفاء المعنى فيه فذكرته وهو هذا البيت    جدد المسجد الحرام مراد * دام سلطانه وطال أوانه    ثم رأيت تاريخا جعله سيدنا ومولانا شيخ الاسلام وناظر المسجد الحرام ومدرس أعظم مدارس أعظم سلاطين الانام سيد السادات العظام بدر الملة والدين مولانا السيد القاضي حسين الحسيني قاضي المدينة المنورة سابقا أدام الله اجلاله وضاعف فضله وافضاله فأثبته هنا بحسن انشائه ولطف مبناه وسلامة لفظه وبلاغة معناه وهو هذا باسمه سبحانه انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (٢٧٧) وشرع في عمارة هذا الحرم الشريف وتجديده من اختاره الله من خلفائه وعبيده المقدس المرحوم السعيد المبرور المغفور له الشهيد سلطان الاسلام والمسلمين خاقان خواقين العالمين المستضيء بفضل الله ظلال دار النعيم حضرة الملك الاعظم السلطان سليم نور الله تعالى ضريحه وروح بروائح الجنان روحه بناه وأكمله وأتقنه وحسنه وجمله وارث الملك الاعظم الامام الافخم والخليفة الاكبر المعظم والملك القاهر العرمرم من ملكه الله شرق البلاد وغربها وجعل طوع يده بلاد عجم الرعايا وعربها وأطلعه سراجا منيرا في المشارق والمغارب ومكارم فوقها على هام الكواكب وصيره للاسلام حصنا محيطا وجعل ظله المديد على كافة الناس بسيطا وعدله الفريد في جميع الوجود مبسوطا وقمع بسلطنته الشريفة طوائف الكفر والعناد وجمع له بين الملك في الدنيا والفوز في المعاد خليفة الله على كافة العباد ورحمة الله الشاملة لجميع البلاد سلطان سلاطين الزمان خلاصة آل عثمان السلطان ابن السلطان بن السلطان الخنكار الاعظم مراد لازال الوجود بدوام خلافته عامرا ولابرح الايمان في أيام سلطنته قويا ظاهرا زاده الله قوة ونصرا وشد علا نكته الكرام أزرا فتاريخ تمامه قد جاء ﴿أطال الله لمن أتمه عمرا﴾ ثم ورد من الباب الشريف العالي تاريخ منظوم در النحور وعرب البحور ونثره كالدر المنثور والزهر المنثور بخطبة وتعريفات السلطان الاعظم في آخره ثلاثة أبيات بالعربي لا أعلم من أبدعه واخترعه وأنشأه ونظمه ورصعه وورد معه حكم شريف سلطاني يتضمن الامر بكتابته

ولا تشركوا بالله الذي يحيي ويميت فأجابه الشيخ طاهر بقوله والله ما عبدنا غير الله فدا لهم بيده وقال عاهدتكم على دين الله ورسوله توالون من والاه وتعادون من عاداه والسمع والطاعة فعاهدوه على هذا المقال من غير بحث ولا جدال فعند ذلك كاد يطير من السرور والفرح واطمأن بخروج الشريف وانشرح وقال أسجد لله شكرا فقد أولانا أرضه فعز الناو نحر اوأمر كاتبه ان يكتب كتاب الامان ليحصل لاهل مكة الاطمئنان في كاغد يردع عن لمس الاصابع وهذا ما هو مذكور فيه كما هو الواقع بسم الله الرحمن الرحيم من سعود بن عبد العزيز الى كافة أهل مكة والعلماء والاغاوات وقاضي السلطان السلام على من اتبع الهدى أما بعد فأنتم جيران الله وسكان حرمه آمنون بأمنه انما ندعوكم لدين الله ورسوله قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فأنتم في وجه الله ووجه أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز وأميركم عبد المعين بن مساعد فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام وكان وصول هذا الكتاب الذي جعل أهل مكة فيه مثل اليهود يوم الجمعة سابع شهر محرم الحرام عام ثمانية عشر بعد المائتين والالف فصعد به المنبر السيد حسين مفتي المالكية بعد صلاة الجمعة والناس مجتمعة وقرأ هذا الكتاب على رؤس الاشهاد فقالوا اجباوكرامة وحمدوا الله تعالى على حصول السلامة وفي ثامن محرم يوم السبت وصل سعود ودخل محرما فطاف وسعى ونحر من الابل نحو المائة وصعد بستان الشريف الذي في المحصب وفي ثاني يوم نادى مناديه بان سكان البلد الحرام يجتمعون في المسجد غدا ضحوة النهار فاجتمعت الناس على طبقاتها وحضر الشريف عبد المعين ومن بمكة من السادة الاشراف والقاضي ومفتي مكة مولانا الشيخ عبد الملك القلعي وبقية المفاتي والعلماء ومازالت الناس في اجتماع وائتلاف وسعود المذكور في المطاف ثم أقبل وصعد باعلى درج الصفا والناس أفواجا ينظرون له ويسمعون قوله فاخذ المفتي عن يمينه والقاضي وعن شماله فحمد الله وأثنى عليه وقال الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأنجز وعده وأعز جنده لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون الحمد لله الذي صدقنا وعده ثم ضمته بهتة وجاءته سكتة ثم قال يا أهل مكة أنتم جيران بيته آمنون بأمنه وسكني حرمه وأنتم في خير بقعة اعلموا أن مكة حرام ما فيها لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يعضد شجرها وانما أحلت ساعة من نهار وانا كنا من أضعف العرب ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا اليه وكل يهزأ بنا ويقاتلنا عليه وينهب مواشينا ونشتريها منهم ولم نزل ندعو الناس للاسلام وجميع من تراه عيونكم ومن تسمعون به من القبائل انما أسلموا بهذا السيف ورفع سيفه تجاه البيت الحرام حتى رآه الخاص

على بعض أبواب المسجد الحرام فامتثل الامر الشريف وكتب هذا التاريخ البديع اللطيف على باب سيدنا العباس الى باب على رضى الله عنهما فى الجانب الشرقى من المسجد ونقر له فى الحجر الشميسى وطلى محله بالذهب فى ذلك المقام ليقرأه الخاص والعام ويبقى ذلك النقر فى الحجر على صفحات الليالى والايام وهو هذا الحمد لله الذى أسس بنيان هذا الدين المتين بنبى الرحمة والارشاد وخصه بمزيد الفضل والكرامة والاسعاد وجعل حرم مكة مطافا لطوائف الطائفين الحاجين من أقاصى البلاد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الاجلة الامجاد ووفق عبده المعتاد باحكام الاحكام الشريفة وتشييد أركانها على وجه المراد المذخر ذخر الآخرة المزيد من زاد المعاد أدام الله ظله الممدود  على مفارق العباد السلطان ابن السلطان ابن السلطان ابن السلطان السلطان

مراد جعل الله الخلافة فيه وفى أعقابه الى يوم التناد لتجديد معالم المسجد الحرام الذى سواء العاكف فيه والباد فتم فى افتتاح سلطنته العظمى لازال للحرمين المحترمين خادما ولاساس الجور والاعتساف هادما بتجديد حرم بيت الله عز وجل بامره المعزز المجل وعمر عامر جوده ما تضعضع من أركانه بعدما كان ينقض والى جدرانه فجدد جدران البيت العتيق وسوره باكمل زينة وصورة بعدما أبلاه الجديدان وأكل عيدان أرضها الارضة والديدان فرفع القباب موضع السطوح المبنية بالاخشاب وابتهج بهذه الحسنة الكبرى كل شيخ وشاب فاذعنوا له باشرف الباهر والمجد الفاخر تالين قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وداعين له من الله بالجميل والذخر الزاخر قائلين اللهم أدمه فى سرير الخلافة محروسا بحفظك الملك من آفة وظافرا على من يريد خلافه مشيد المساجد والمدارس مجددا لكل خير منهدم ودارس واجعل بابه للراجين حرما آمنا وجنابه للمحتاجين كفيلا ضامنا يأتون اليه من كل فج عميق لحرمة البيت العتيق تقبل الله معطى السؤال بجاه الرسول هذا الدعا الحرى بالقبول فلما أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان جاء مشيد الاركان حاكيا روضات الجنان وصار عنوان خلافته وبراعة استهلاله لمنشور سعادته فى أوائل سنة أربع وثمانين وتسعمائة هجرية وكان الابتداء بذلك التجديد بأمر والده الدارج الى مدارج الملك المجيد السلطان السعيد يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم السلطان سليم ابن

والعام وقد كنت فى هذا العام غازيا نحو العراق فلما سمعت ما وقع من المسلمين بغزوة الطائف واقبلوا عليكم يغزونكم خفت عليكم من العربان والبادية فاحمدوا الله الذى هداكم للاسلام وأنقذكم من الشرك وأنا أدعوكم ان تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك الذى كنتم عليه وأطلب منكم ان تبايعونى على دين الله ورسوله وتوالون من والاه وتعادون من عاداه فى السراء والضراء والسمع والطاعة ثم جلس ومد يده فأول من تقدم لمبايعته الشريف عبد المعين ثم مولانا المفتى عبد الملك ثم القاضى ثم بقية الناس على طبقاتهم وكان هذا من عادتهم فلما تمت المبايعة ركب فرسه وصعد الى المحصب وقال قبل ركوبه يا أهل مكة انتظرونى بعد صلاة العصر بالمسجد الحرام بين الركن والمقام لابين لكم الدين وشرائط الاسلام فلما كان العصر اجتمعوا اليه وصعد المقام الذى على ظهر زمزم والمفتى معه فهمهم وبلغهم وتشدق وتكلم والناس تحته ملؤا الحرم وصار يعلمهم دين رعاة الغنم وأجهل أهل مكة من أكبرهم أعلم ثم وقف يخاطب المفتى عبد الملك ويعلمه الدين لا يتوقف فى قوله ولا يرتبك كلما علمه مسئلة يقول له علمها للناس حتى يعرفها الجهلة فكان أول ما علمه من كلامه فبلغه هو قوله اعلموا أيها الناس ان الامير سعودا يقول لكم ان الخمر حرام والزنا حرام الى آخر الكلام الذى يعلمه البهائم والانعام

## ﴿ذكر هدم القبب﴾

ثم قال له قل لهم فى غد اطلعوا للقبب واهدموها واطرحوا الاصنام وارموها حتى لا يكون لكم معبود غير الله فقالوا سمعا وطاعة وتفرق الناس فما أصبح الصباح الا وهم سارحون بالمساحى لهدم القبب فبادر الوهابيون ومعهم كثير من الناس لهدم المساجد ومآثر الصالحين فهدموا أولا ما فى المعلى من القبب فكانت كثيرة ثم هدموا قبة مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومولد سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه ومولد سيدنا على رضى الله عنه وقبة السيدة خديجة رضى الله عنها وتتبعوا جميع المواضع التى فيها آثار الصالحين وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون وبالغوا فى شتم القبور التى هدموها وقالوا ان هى الا أسماء سميتموها حتى قيل ان بعض الناس بال على قبر السيد المحجوب وأما أهل مكة فانهم لما حرضوهم على الهدم وليس لهم قدرة على ترك الطاعة فارتكبوا أخف الضررين فبعضهم جعل يلتقط الاحجار وبعضهم يمشى خلف أولئك الفجرة فما مضى ثلاثة أيام الا ومحوا تلك الآثار وفى اليوم السادس من أيام اقامته نادى مناديه بابطال تكرار صلاة الجماعة فى المسجد الحرام فكان يصلى الصبح الشافعى والظهر المالكى والعصر الحنبلى والمغرب الحنفى والعشاء يصليه كل راكع وساجد وأمر أن يصلى بالناس الجمعة المفتى عبد

الملك القاهى وفى اليوم الثامن أمر أن يأتيه الناس بالشيش وآلات اللهو ذوات الاوتار وأمر على ذلك جماعة من قومه ليحرقوها بالنار بعد كتابة أسماء أصحابها ليعرف من أطاعه ومن عصاه وكان ينزل من المحصب قبل الفجر ليحضر صلاة الصبح فسمع ليلة المؤذنين يؤذنون الاذان الاول و يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم ثم سمعهم يقولون يا أرحم الراحمين و يترضون عن الصحابة فقال هذا شرك أكبر ومنعهم من ذلك كله ثم أمر علماء مكة أن يدرسوا بعقيدته التى ألفها محمد بن عبد الوهاب وسماها كشف الشبهات و وضع فيها شيأ من الكفريات فقرؤها ورأوا مافيها من التلبيس الذى هو من وساوس ابليس ولم يقدروا على الانكار ثم طلب قبائل العرب التى حول مكة فبايعوه وأخذ منهم من المال شيأ كثيرا زعم انه نكال و وضع فى القلعة مائتين من بيشة وجعل عليهم أميرا فهدا أخا سالم بن شكبان فأرسل كتابا لاهل جدة مع على بن عبد الرحمن أخى عثمان المضايفى يطلب منهم الدخول فى طاعته فأجابوه بان رعية سيدنا الشريف غالب فطاعتنا من طاعته واذا فرض انا نطيعك ونعصيه هل تطلب منا شيأ من الدراهم أم يصح الدخول فى دينك بدونها فلما قرأ الكتاب فرح عافيه من الجواب وظن انه حق وهم يسخرون به فارسل يطلب منهم مائتى ألف ريال وستين ألف مشخص ومن القماش ماقيمته ستة آلاف ريال و وجه لتلك الاموال من يقبضها فى الحال وعزم على التوجه بجيوشه الى جدة وكان ذلك يوم الجمعة الثانى والعشرين من المحرم سنة ألف ومائتين وثمانى عشرة ومدة اقامته بمكة أربعة عشر يوما ولما أناخ بجدة استعدله مولانا الشريف غالب بالمدافع والقلل فصار يشتتهم و يفرقهم بذلك شذر مذر فحملوا حملة رجل واحد وراموا ان ينفزوا على السور فاذا رمى عليهم بالمدفع ينهزمون لموضع شاسع و يعودون الى مخيمهم وفى اليوم الثانى يقدمون على السور و يفعلون كما فعلوا بالامس فيجدون مثل ماوجدوا من امس فعلوا ذلك مرارا عديدة وقتل منهم خلائق لا يحصون فضى عليهم ثمانية أيام ثم نادوا بالرحيل والتفت سعود الى عثمان المضايفى يوبخه و يشتمه لكونه هو الذى أشار عليه بالنزول الى جدة ثم بعد ارتحالهم أناخوا بالوادى ولم يدخلوا مكة وأمر على أهل الوادى السيد ابراهيم بن سليمان البركاتى ثم توجه من الوادى الى الزيماثم الى الشرق و بعد ارتحاله من الوادى ركب مولانا الشريف من جدة وغزا أهل الوادى لكونهم دخلوا فى الطين فقتل وأسر وأما أميرهم فانه فر ثم رجع مولانا الشريف الى جدة

﴿الغزية التاسعة والعشرون﴾

وهذه الغزية التاسعة والعشرون وفى أيام امارة الشريف عبد المعين على مكة صارت العرب تقطع الطرقات وتنهب الاموال فى كل ناحية وليس عنده من العسكر والجند مايدفعهم به وفى أيام امارته

---

السلطان سليمان ابن السلطان سليم ابن السلطان بايزيد ابن السلطان محمد ابن السلطان مراد بن السلطان أورخان ابن السلطان عثمان مكنهم الله على سرر فى دار الجنان وأثل اخلافهم فى مسند الخلافة الى انقراض الزمان وكان الشروع فى الرابع عشر من ربيع الاول من شهور سنة ثمانين وتسعمائة فلما سلم السلطان سليم وديعته بأحسن تسليم وارتحل من دار القصور الى ماهيأ الله له فى الجنة من القصور قبل تمام مارام من تجديد المسجد الحرام وأجلس الله على سرير الخلافة نجله النجيب أحسن اجلاس وجعل حرمه مثابة للناس يسر الله له الاتمام بطلعة اقباله وجوده الليالى والايام وأنام الانام فى مهد عدله الى قيام الساعة وساعة القيام ونظم راقم هذه الارقام تاريخا يليق ان يكتب فى هذا المقام وهو هذا

جدد السلطان مراد بن سليم
مسجد النبى العتيق المحترم
مر منه المسلمون كلهم
دار منشور اللواء والعلم

قال روح القدس فى تاريخه
عمر سلطان مراد الحرم

انتهى * ومن جملة تعمير الحرم الشريف حفر خارج المسجد الحرام من الجانب الجنوبى الذى هو مجرى السيل الآن فان الارض علت وامتلأ المسيل كله الى أسفل مكة بالتراب الى أن لم يبق للدخول الى المسجد من الابواب التى فى تلك الجهة الاثلاث درجات بعد ان كانت نحو خمس عشرة درجة يصعد منها الى أن يدخل من الباب الى المسجد وكان هذا المسيل يقطع ويحمل ترابه الى خارج البلد من جهة المسفلة فى كل عشرة أعوام مرة فغفل عنه نحو ثلاثين عاما فعلت الارض فجاءت سيول طاخة ليلة الاربعاء عاشر جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة فدخلت من أبواب المسجد وامتلأ المطاف الشريف و وصل الماء الى حول الكعبة الشريفة وعلا الى أن غطى الحجر الاسود وجدار الحجر الشريف و وصل الماء والطين الى عتبة الكعبة الشريفة وعلا الى أن قرب من قفل الباب الشريف و وقف الماء فى الحرم الشريف يوما وليلة وما أمكن أداء الصلوات الخمس فتعطلت الجماعة سبعة أوقات و بادر مولانا شيخ الاسلام ناظر الحرم الشريف والامير المعظم المكرم أحمد بك أمير العمارة الشريفة بخدامهم وعبيدهم وسائر المشدين وخدام الحرم الشريف والفقهاء والاعيان والتجار الى فتح طريق الماء من أسفل مكة ثم نظفت وغسل داخل البيت الشريف ثم نظف وغسل المطاف الشريف ومقام الحنفى ثم أخرجت الاوساخ من الحرم الشريف وكوم الطين

أكواما في المسجد ثم أخرج ثم فرش المسجد الشريف بالحصباء الجديدة وتعب في ذلك حضرة الامير أحمد بك وصرف من ماله مبلغا كبيرا ثم شرع في قطع المسيل وتهبيط أرضه الى أسفل عشر درجات أو نحوها من الجانب الجنوبي من المسجد الحرام الى آخر المسفلة وهو ممر سيل أعالي مكة فصار السيل اذا سال درج بسرعة ولم يصل الى أن يمكنه الدخول الى المسجد الحرام وفعل ذلك أيضا من جهة باب الزيادة في الجانب الشمالي وهو ممر سيل قيقعان وحواليه ويجري الى باب الزيادة ولم يصعد الى باب المسجد بل يدخل سردابا واسعا يسمى العنبة ويجري فيه الى أن يخرج من قرب باب ابراهيم فيسيل الى أسفل مكة مع المسيل الكبير وصان الله المسجد الحرام بذلك وصارت السيول بعد ذلك  تسيل ولم تصل الى باب المسجد ولم تقرب منه وهذا رأي سديد وعمل مهم نافع فيصان به المسجد الحرام عن دخول السيول اليه غير انه يحتاج الى أن تتعهد في كل عامين أو ثلاثة أعوام فيقطع ما علا من الارض قبل ان يعلو كثيرا فيحتاج الى قطع كثير ومصرف زائد فاللازم على ولي الامراء سلطان الاسلام والمسلمين نصره الله تعالى وشيد به قواعد الدين أن يقنن لذلك قانونا فيقطع هذا المسيل في كل عامين مرة ليستمر المسيل منهبطا دائما لجريان السيل فيه صونا للمسجد الحرام عن دخول ماء السيل اليه في كل سيل يأتي ويكون ذلك قانونا مستمرا للسلاطين ويسطر ثواب ذلك في صحائف هذا السلطان الاعظم نصره الله تعالى * وكانت اليد البيضاء في هذه المرة في هذه الخدمة الشريفة للامير المعظم أحمد بك المشار اليه أنعم الله عليه وأكرم منزلته لديه وأجرى كل خير بيديه ويكفيه عند الله هذه المرتبة العظمى والمثوبات العظمى ان الكبرى * وأخبرني الامير المشار اليه أعظم الله شأنه وأحسن اليه أن الذي صرفه في عمارة المسجد الحرام هدما وبناء وقطعا لارض المسيل من جهة الجنوب الى آخر المسفلة ومن جهة باب الزيادة الى آخر مجرى سرداب العنبة من خاصة أموال السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى مائة ألف دينار ذهب جديد سلطاني وذلك غير ثمن الاخشاب المحمولة من مصر الى مكة المشرفة وغير ثمن الحديد الصلب لآلات العمارة كالمساحي والمجارف والمسامير والحديد المحدد رأسه بطول الرواقين وبين الاسطوانتين تحت كل عقد كيلا يجلس طير الحمام عليه وغيره فيلوث المسجد بذرقه وهذا الحديد لتحديد رأسه وتواصله يمنع من جلوس الطير عليه وغير أهله

ورد عبد الرحمن أبو نقطة أمير عسير ومعه جنود كثيرة وظن انه يدرك سعودا وجنوده قبل رحيلهم فبلغه وهو بالحسينية انهم قد ارتحلوا فلم يدخل مكة وحدثته نفسه انه يقاتل أهل جدة ويأخذها ممن معه من الجند وكتب من الحسينية كتابا لمولانا الشريف عبد المعين وأرسل مع الكتاب خمسة عشر ريالا فقال في كتابه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الوهاب أبو نقطة الى عبد المعين بن مساعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته اعلم أن قصدي أخذ جدة وقد استعددت لها بالسلاح والقوم ومدحلات بهذا الوادي نجح زادي فعجل لي بخمسة ريالات دقيقا وبخمسة ريالات سمنا وخمسة ريالات علفا فلربما يطول علينا زمن الحصار ويلحقنا من عدم الزاد مضار وأرسل لنا قدر مائة سلم ننقز عليها السور ونهجم على البندر المذكور فقرأ الشريف عبد المعين كتابه بحضر من أهل مكة وأناس من جماعته فأخذهم العجب من غباوة عقله وحماقته ثم أرسل له مع الرسول كل ما طلب فوصل الى نصف طريق جدة وحرض قومه على القتال ثم تأخروا وامتنع عن الاقدام وعاد الى مكة ونزل بالمحصب فسأله بعض الناس وقال له لم رجعت عن القتال فقال قد أسلم على يدي كل من كان بجدة وأطاع ولم يبق بيننا قتال ولا نزاع فضحك الناس من قوله وعبد الوهاب أبو نقطة هذا قتله الشريف حمود الخيراتي بعد مدة حمل عليه في وسط مخيمه فقتله وخلف ولدا يقال له دوسري أمسكه سيدنا الشريف محمد بن عون حين كان أميرا على عسير لاستشعاره منه بعض الفساد وأرسله الى مصر فبقي بها مدة ثم لما جهز محمد علي باشا على عسير المرة الاخيرة أرسل دوسري المذكور مع الجيوش ثم رجع الى مصر ولم يطب له القرار بهذه الديار وبقي بمصر الى أن مات ولما نزل عبد الوهاب أبو نقطة بالمحصب طلع الشريف عبد المعين الى الابطح لمواجهته ومعه نحو خمسمائة من أهل مكة تقلد كل منهم بالسلاح فسلم عليه وآنسه وحياه ثم صنع له ضيافة واستمر مقيما بالابطح أياما ثم ارتحل الى حيث آل وخلف من جماعته أربعمائة أسكنهم في بستان سيدنا الشريف غالب الذي بالابطح وفي الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول عزم سيدنا الشريف غالب على القدوم الى مكة واخراج من فيها من جماعة سعود وأبي نقطة

﴿الغزوة المكملة ثلاثين﴾

فكانت هذه الغزوة هي المكملة ثلاثين قال بعضهم وهي حرية بأن تسمى غزوة الفتح فتوجه من جدة ومعه الوزير شريف باشا صاحب جدة وكثير من العساكر والجنود وثلاث مدافع منها مدفع كبير أهداه له امام مسكت فنزل أولا بالزاهر ثم أرسل العساكر والعبيد وأحاطوا بالقلعة التي بجياد فيها من خلفهم سعود وترسوا البيوت التي تليها وحصروهم أشد الحصار ودخل مولانا الشريف مكة ومعه شريف باشا بعد الاشراق ولم ينازعه الشريف عبد المعين فيما رام ثم رتب بعض العساكر وأمرهم

أن يحيطوا بالبستان الذي فيه من خلفهم أبو نقطة وأثاروا الحرب عليهم وركب عليهم المدفع وصنع لهم لغما تحت الارض فلما أثاروه رفع البرج الى الجو عن فيه من الجند ومع ذلك ما برحوا عن القتال فطلب مدفعا كبيرا من جدة لايمكن سيره بدون خمسين بعيرا فلما وصل رموا به الى جدار البستان فصار في كل رمية يطرح جانبا من البنيان حتى وقع منه شئ كثير فطلبوا الامان فأعطاهم الامان واستأجر لهم جمالا يتوجهون عليها الى بلادهم وأما الذين في القلعة فافتر العسكر عن قتالهم وكان يخرج جماعة منهم بالليل ويحرقون بعض العشش ويعودون الى القلعة ونزل جماعة منهم يوما في ضحوة النهار ونهبوا أغناما فتفازعت العساكر عليهم فرجعوا الى القلعة فوضع مولانا الشريف لهم حرسا لئلا يخرج أحد منهم من القلعة وأمر على الحرس القائد أحمد بن مثقال وبعد ثلاث أو أربع ليال هربوا من القلعة جنح ليل بالخيبة والويل وماطلب الامان الذين كانوا في البستان الا بعد علمهم بخروج الذين كانوا في القلعة وكانت مدة الحصار للجميع خمسة وعشرين يوما ثم أقبلت قبائل هذيل لمبايعة سيدنا الشريف غالب وطلبوا الامان لثقيف فأبى أن يعطيهم الامان الان بانوا عثمان فاظهروا صدق دعواهم لعداوته وتمكنوا بعد ذلك ثم جهز مولانا الشريف غالب رتبة لمحافظة الزيماء وجهز جماعة لمحاصرة الطائف اعانة لثقيف وأمر عليها السيد ناصر بن أبي طالب

﴿الغزية الحادية والثلاثون﴾

وكانت هذه هي الغزية الحادية والثلاثين فأحاطوا بالطائف مع ثقيف وضيقوا على عثمان أكثر من شهر ثم أمده الامير سعود من الشرق بالجنود وأمر عليهم سعد بن قرملة فلما رأى السيد ناصر أمير الغزية هذا الجند مقبلا ارتحل الى قرن وأقام به اياما ثم رجع الى مكة ثم أرسل مولانا الشريف جندا الى قرن

﴿الغزية الثانية والثلاثون﴾

وهي الغزية الثانية والثلاثون فجاءهم جند كثير من عثمان فرجعوا الى مكة ودخل ثقيف في طاعة عثمان فجهز مولانا الشريف غالب غزية أخرى

﴿الغزية الثالثة والثلاثون﴾

وهي الغزية الثالثة والثلاثون وأمر عليها وزير القنفذة أبا بكر بن عثمان فتوجه بجنود كثيرة حتى أناخ بركبة فوجد فيها القوم فنازلهم وقاتلهم ذلك اليوم وأخذ حلتهم ومواشيهم وقتل منهم ورجع الى مكة وفي شهر رمضان من سنة ثماني عشرة توجه عثمان وتلاه سالم بن شكبان لقتال هذيل الشام فنزلوا بوادي الزيماء والمضيق وأخذوا جماعة من هذيل الشام ومن حل بذلك الوادي وسلبوا النساء وأهلكوا الرجال ثم ارسلوا الى بني مسعود وهم مجتمعون بجبلهم المعهود وطلبوا منهم الدخول في هذا الطين فما قبلوا الدخول واستعدوا للقتال في الجبل وترسوه فاقبلوا عليهم بجنودهم وأحاطوا بهم من كل ناحية وثار القتال بينهم وأهلك بنو مسعود منهم جانبا عظيما قيل انهم سبعمائة ومع ذلك ماتركوهم حتى صعدوا خلفهم الجبل وقتلوا من ادركوه منهم ثم رجعوا الى مخيمهم ونادوا لمن يصل اليهم من بني مسعود بالامان في وجه سالم بن شكبان فصاروا يتناسلون اليه من كل حدب ويطلبونه بطلب وغير طلب ولما تملك منهم طلب النكال فما أمكنهم الخلاف فأخذ منهم شيأ كثيرا ثم ركب عثمان ومن معه على الاشراف بني عمرو وأهل اللفاع وصار بينه وبينهم قتال عظيم ثم تكاثروا بجنودهم على الاشراف وقتلوا ستة وعشرين شريفا ونهبوا حلتهم وسلبوا نساءهم حتى جردوهم من الثياب فطلبوا الامان وأطاعوه ودخلوا في طينه ثم عاد عثمان الى المضيق واجتمع بسالم بن شكبان وصارا ينتظران عبد الوهاب أبا نقطة يأتيهم من أي ناحية وسكة لكونهم تواعدوا على حصار مكة فتأخر عن الوصول اليهم فارتحلوا فلما وصلوا السيل نهبوا كل ماوجدوه في طريقهم من المواشي والنعم وقدموه كما تقسم الغنائم ثم عقبهم

القبب التي عملت بمصر من النحاس وطليت بالذهب وجهزت الى الحرم الشريف فركبت على أعلا القبب فصار لها منظر حسن وزينة عظيمة كأنها صفوف بالاساكف من الذهب بغاية السكون والادب حول بيت الله تعالى زاده الله تعالى رفعة وعظمة ومهابة واجلالا وأثمان ذلك خارجة عن القدر المصروف في العمارة الشريفة وكان عمل أهلة قبب المسجد الحرام بمصر بأمر بكاربكي مصر الآن نائب السلطنة الشريفة بها في هذا الزمان أمير الامراء العظام كبير الكبراء الفخام محيي البلاد والعباد بعدله الاغنى سمى روح الله المسيح والاسمى تنزل من السماء زاد الله شأنه عظما وأنعش باحيائه العلماء العظاما والسادات الاجلاء الكرام وأفاض على أهل الحرمين الشريفين من فيض نيل كرمه الفياض مايزيد على القياس وزرع بسحائب معدلته ومرحمته بذر محبته ومودته في قلوب الناس وأعانه على البر والتقوى وصانه وحماه عن جميع الاسوا وأفاض عليه جلائل نعمه الباطنة والظاهرة وجمع له بين سعادتي الدنيا والآخرة ولما كان هذا المسيح أحيا موات مصر وعمر مافيها من الخيرات وأبرأ جميع ما بها وأهلها من الاوصاب وأنعش أهل الحرمين الشريفين كما أحيا الموتى روح الله المسيح وجهز اليهم الصدقات المبرورة السلطانية المرادية

وصل الى الليث أبو نقطة بعد تفرق جموعهم حين فات أوان الربطة فأخذ أبو نقطة ينكل أهل الليث وغيرهم من العربان حتى اجتمع له من الاموال شئ كثير وزينت له نفسه أن يطلع على الجادلة وهم في الجبال لكونهم لم يصلوا اليه بشئ من المال فلما تمكنوا من نصف جبلهم الشاهق تصيدهم الجادلة بالبنادق وقتلوا منهم مائة وستين فرجعوا منهزمين فكسرهم كسرة شنيعة بعد القتلة الذريعة وفي موسم سنة ثماني عشرة كان أمير الحاج الشامي سليمان باشا مملوك أحمد الجزار فبعد تمام الحج طلب منه مولانا الشريف ان يبقي جانبا من العسكر تحت يده ويرتب لهم العلائف والمقرر صيانة لحماية هذا البيت الامين فابى وصمم على الامتناع فلم يقبل منه سيدنا الشريف ذلك الامتناع وقال لابد من أخذ شئ من ذلك فتوسط بينهما عثمان بيك أمين الصرة ان يبقي مائة وخمسين من خيار العسكر ومائة وخمسين من الجمال موسوقة من المهمات وآلات القتال فارسلها أمير الحج على مقتضى الشرط وفي شهر المحرم من سنة تسع عشرة اقبل سالم بن شكبان وعثمان باثني عشر ألفا يريدون محاصرة جدة وأخذها بزعمهم الفاسد فاراد مولانا الشريف غالب التحرز والتحصين لمكة لئلا يدخلوها وعلم ان جدة لا يمكنهم أخذها فنادى مناديه في البلد الحرام بالنفير العام وأمر الناس بحمل السلاح والخروج الى الزاهر فخرج الناس على طبقاتهم الى الزاهر حاملين السلاح يبيتون من وقت المساء الى الصباح حتى مضى لهم سبع ليال على هذا المنوال

*(الغزية الرابعة والثلاثون)*

فهذه الغزية الرابعة والثلاثون ثم تحقق انكسار فرقة الضلال ورجوعهم عن جدة بالويل والوبال وجاء البشير من جدة مخبرا بارتحالهم وقال انهم أناخوا بساحل جدة ومعهم اثنا عشر ألف مقاتل وأحاطوا بالسور وفي كل يوم يحملون على البلدة حملة واحدة فيفرق جمعهم المدفع فيعودون الى الخيام حتى أفنى المدفع منهم الكثير فلما مضى لهم ثلاثة أيام ولم يظفروا بمرام ارتحلوا بالخيبة والويل وامتلأت من جيفهم الحفر والقنوات حتى صاروا يجدون العشرة والعشرين مدفونين في محل واحد وتوجه سالم بن شكبان على طريق الوادي واصبح بالمضيق وأخذ عثمان على خلاف هذا الطريق ومعه كثير من ثقيف وغيرهم فقتلوا عربا في طريقهم وأخذوا ابلا لمولانا الشريف فلما بلغه الخبر أرسل خلفهم غزية فيها مائتان من الخيل الجياد

*(الغزية الخامسة والثلاثون)*

فهي الغزية الخامسة والثلاثون وأمرهم ان يتوجهوا على طريق عرفة فاذا صادفوا عثمان ومن معه يقاتلونهم فلم يصادفوه فعند ذلك جهز مولانا الشريف غزية أخرى

*(الغزية السادسة والثلاثون)*

وهي الغزية السادسة والثلاثون جهزها من طريق البحر لتتوجه الى الليث فجهز من الداوات الكبار عشرة وشحنها بالذخائر والعساكر والمدافع الكبار والجبخانة وآلات القتال وجعل الامير عليها القائد مفرح عتيق الوزير ريحان وجهز جيشا آخر من طريق البر الى الليث أيضا

*(الغزية السابعة والثلاثون)*

فهي الغزية السابعة والثلاثون وفيها مائة من خيل الاروام مع كثير من الجند وجعل الامير عليها السيد حسن بن زين العابدين بن غالب وجعل أميرا على الاتراك حسين أغا تفكجي باشا فتوجهت غزية البر فلما وصلوا الليث وجدوا غزية البحر قد سبقتهم ودخل القائد مفرح البندر بجيشه وأطاعه أهل الليث بغير قتال لكن وقعت قضية بعد وصول غزية البر لم يسبق مثلها وهي ان بعض الاوباش أغرى حسين تفكجي باشا ان يخوزق ثلاثة من الاشراف المناديل ٣ فجعل لكل واحد خازوقا وأجلسه عليه وأدخله فيما بين رجليه مع انهم دخلوا في الطاعة مع أهل البلد وقد كانوا من جملة خدم

ومرجعها اليهم أحسن تسريح فهم داعون (٢٨٣) بدوام معدلته وخلود ملك السلطان الاعظم المحسن الجزيل الاحسان حيث ولي رعاياه من برأفتهم وينعم عليهم بالخيرات الحسان أدام الله سعادته واقباله ورقاه وحفظه ورعاه وحماه من الاسواء ووقاه

*(فصل في ذكر أساطين المسجد الحرام قبل هدمها وتجديدها على ما صارت عليه الآن)* اعلم أن عدد جملة أساطين المسجد الحرام في جوانبه الاربع غير الزيادتين أربعمائة اسطوانة وتسعة وستون وسطوانة وما على أبوابه سبع وعشرون اسطوانة فتكون جملة أساطين أبوابه الشريفة أربعمائة اسطوانة وستا وتسعين اسطوانة بتقديم التاء على السين غير ما كانت من أساطين الزيادتين فكان في الجانب الشرقي ثمان وثمانون اسطوانة كلها رخام مخروط ما عدا اسطوانة واحدة في الصف الاوسط عند باب علي فانها من الآجر مبنية بالنورة مبيضة بالجص * وكان في الجانب الشمالي ويقال له الشامي مائة اسطوانة وأربع أساطين كلها رخام ما عدا أربع عشرة اسطوانة من آخر الصف الاوسط مما يلي باب العجلة وباب السدة فانها حجارة منحوتة * وكان في الجانب الجنوبي ويقال له اليماني مائة وأربعون اسطوانة كلها رخام ما عدا خمسا وعشرين اسطوانة في مؤخر هذا الرواق عند أبواب أم هانئ

الشريف وبنى عمه فقتلوا ظلما وجورا وكان أمر الله قدرا مقدورا فما مضى بعد ذلك ثلاثة أو أربعة أيام حتى هجم عليهم من طائفة الوهابية جند زهاء أربعة آلاف مقاتل فوقع القتال بينهم وبين جنود مولانا الشريف فكانت ملحمة عظيمة اسفرت عن انهزام الوهابيين بعد ان قتل منهم شئ كثير واستشهد ذلك اليوم السيد حسن بن غالب أمير الغزية البرية التى أرسلها مولانا الشريف من طريق البر وجمع بعض الاتراك رؤوس الوهابيين وأرسلها لمولانا الشريف بعد المعركة فحشاها بالتبن وأرسلها فأمر مولانا الشريف بتعليقها خارج البلد وهرع الناس ينظرون اليها وبعد أيام رجع الى مكة مفرح أغا وحسين أغا وكان مجىء حسين أغا على خلاف مراد مولانا الشريف لانه أحب بقاءه فى الليث لكونه مشهورا بالشجاعة فاعتذر بان باعثه على الوصول نفاد الزاد فجهز مولانا الشريف غزية أخرى

﴿الغزية الثامنة والثلاثون﴾

وهى الغزية الثامنة والثلاثون وجعل فيها كثيرا من عساكر العرب ومن الاشراف والعبيد ولم يجعل فيها أحدا من الاروام وجعل الامير عليها السيد حسن بن على بن سعيد فتوجه بمن معه الى الليث فوجده قاعا صفصفا ليس فيه أنيس ولا من اليعافير والعيس فعادوا من يومهم الى مكة فضحك منهم سيدنا الشريف وتعجب من رجوعهم ثم جهز غزية أخرى الى جهة الوادى

﴿الغزية التاسعة والثلاثون﴾

وهى الغزية التاسعة والثلاثون ومعها كثير من السادة الاشراف ومن الاتراك نحو مائتين وخمسين فارسا وكثير من الرماة المشاة وجعل الامير عليها السيد شنبر بن مبارك بن شنبر المنعمى وأمرهم ان يقيموا بقرية المدرة ليمنعوا العدو من الوصول لذلك النادى ويطمئن بهم أهل الوادى ففعلوا ما أمرهم به الا ان الماء والهواء تغيرا على الاروام واعتراهم مرض وسقام ومع ذلك صابروا ومكثوا ثلاثة أشهر وهم حامون تلك الحوزة ورجع بعض منهم الى مكة ولم يبق بالوادى الا نحو الاربعين فلما بلغ عثمان الخبر أغراه على الوصول اليهم داء الطمع فجمع أربعة آلاف مقاتل ما بين راكب وراجل ودهمهم بغتة فانتشب القتال بينهم وبينه وأنزل الله النصر على أولئك الاربعين حتى صار الواحد منهم يقتل العشرة والعشرين فهزموا ذلك الجند الذى جاء به عثمان وقتلوا فيهم قتلا ذريعا حتى وصلوا الى الزيما هاربين ولا يلتفت أحد منهم الى أحد ولما بلغ مولانا الشريف الخبر أرسل خلفهم مائتين من الخيل تطرد خلفهم ولو أدركوهم لاذاقوهم كأس الويل

﴿الغزية المكملة أربعين﴾

فهذه الغزية المكملة أربعين ولما بلغ سعودا هذا الخبر قال كيف يفعل الاربعون هذا الفعل واستغربه غاية الاستغراب واعتبر وقال انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر ثم رجع القوم من الوادى الى مكة فانعم عليهم مولانا الشريف بالدراهم والملابس الفاخرة وفى مدة ها تين الغزوتين وقعت غزوات أخر وذلك انه فى خلال هذه المدة جاءت الاخبار لمولانا الشريف ان عشرين من خيل الوهابية تصل الى المغمس يترقبون الفرصة فاذا غفل عنهم بادية الحرم نهبوا ما يجدونه من النعم فجهز غزية عدتها أربعة عشر فارسا ونحو عشرين من الرماة

﴿الغزية الحادية والاربعون﴾

وهى الغزية الحادية والاربعون وجعل الامير عليها السيد راجح بن عمرو الشنبرى فوصل هو ومن معه الى المغمس فلم يجد أحدا فاخذوا على طريق الزيما فلما أقبل على سولة بدا لهم مواطئ أقدام ماشية فاقبلوا مجدين فرأوا بها جماعة ينوفون عن الخمسمائة فصاح السيد راجح صيحة الاسد الضارى واستنجد بمن معه فثار الحرب بينهم وبين القوم حتى صار صوت البنادق كالرعد ودفعت

فانها كلها حجارة منحوتة وكان فى الجانب الغربى سبع وثمانون اسطوانة كلها حجارة منحوتة قطع دون الذراع منحوتة فى نصف الدائرة مركبة على كل اثنتين منها اثنتان الى أن يطول فى شكل اسطوانة الرخام مسبوك بينهما من الرصاص فى داخل وسطها حديد بطول الاسطوانة منحوت مكانه فى وسط الحجر مسبوك عليه بالرصاص عمل ذلك فى أيام الناصر فرج برقوق لما احترق هذا الجانب الغربى من المسجد الحرام فى آخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة كما تقدم شرحه فى محله فيكون جميع ما أدركاه من الاساطين غير الرخام مائة وتسعا وعشرين اسطوانة ٭ واما أساطين دار الندوة فادركا ستا وستين اسطوانة من جوانبها الاربعة كانت من الحجر الغشيم غير منحوت مطلية بالجص من ظاهرها وقد ينكشف عنه الجص فيظهر الحجر الغشيم فيها فى الجانب الشرقى اثنتا عشرة اسطوانة وفى الجانب الشمالى عشرون ٭ ثم فى أيام دولة المرحوم المغفور له السعيد الشهيد السلطان سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان أمر أميرا من أمرائه بجدة هو الامير خوش كلدى فى سنة سبع وأربعين وتسعمائة وما بعدها أن

يهدم مقام الحنفى الذى كان بناه الامير مصلح الدين فى ابتداء الفتح العثمانى لممالك العرب وأن يبنى مكانه مربعا على وضعه الباقى الى

الخيل تركض على القوم واستمر الطعن والضرب وأفنوا الكثير من ذلك الحزب وما سلم الا من فر منهم وانهزموا هزيمة شنيعة وقتل في ذلك اليوم سعد بن قرملة وقاتله السيد راجح بن عمرو الشنبري وقتل فيها كثير من قحطان وغنم السيد راجح ومن معه كثيرا من الابل الطلائع والخيل الجياد والقلائع ورجعوا الى مكة حاملين للرؤس على الرماح ومعهم ما غنموه من الخيل والابل والسلاح وأصيب يومها السيد راجح في يده صوبا خفيفا ومع هذا قتل فيهم قتلا عنيفا وفرح المؤمنون بنصر الله وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وفي شهر صفر جاءت الاخبار ان بداي شيخ حرب دخل ومن معه في الطين واستولوا على ينبع ومعه ابن جبارة شيخ جهينة وخدعا وزيرها بعد قتال وحصار واغارة وكان وزير ينبع محمد الجري من عسكر اليمن ولم يكن له بمكايد الحرب دراية فحاصروه ليالي مع أيام فلم يتم لهم ارب ولا مرام فسلطوا عليه ابراهيم الرويتي فما زال يخوفه ويصعب عليه الامور حتى طلب بواسطته الامان وهو في غاية التمكن والاحصان فاعطوه الامان ودخل ينبع بداي وابن جبارة مع كثير من حرب وجهينة واستباحوا قتل المسلمين بلا عقل ولا دين وتمكن من البندر ثم توجه وزير ينبع الى جدة في الداوات ثم طلع الى مكة ورماه بعض العسكر عند مولانا الشريف بانه وقعت منه خيانة في تسليم البندر فاجرى عليه ما حكم با قضاءه القدر وأمر بسلبه ثم صلبه فسلب وصلب وتوجه يومها مولانا الشريف الى جدة لاخذ الثار فصادف ان رأى مركبين من مراكب الانكليز مجهزة للسفر فتكلم مع قبطانها ان يسير معهم جماعة للقتال ولو بأخذ ما طلبه من المال فاطاعه ورضي ثم خان وغدر وسافر بمركبيه فقام مولانا الشريف بهمة قوية وعزمة هاشمية وجهز عشرة داوات من الداوات الكبار وشحنها بكثير من العساكر والذخائر وجعل نصف العسكر من عساكر الارواام والنصف الآخر من عساكر أهل الاقدام

﴿الغزية الثانية والاربعون﴾

وهي الغزية الثانية والاربعون وجعل الامير على الارواام رسول أغا وعلى العرب القائد مفرح وفي ليالي اقامته بجدة وردت زعيمة من ينبع واذا فيها ابراهيم الرويتي المتقدم ذكره الذي كان سببا في أخذ ينبع وخدعته للوزير حتى سلمها لهم وكان وصوله من عجيب الاتفاق فأمر مولانا الشريف باحضاره وسأله عن تلك القضية ووجد عنده أوراقا من بداي يفسد بها الرعية فاجاب مولانا الشريف بكلام كالعدم لا يخلو عن التهم فألان له الكلام حتى وقف على المرام ثم أمر بصلبه بعد سلبه فصلب ثلاثة أيام ولما تم مولانا الشريف ارسال الغزية رجع الى مكة ثم جاءته الاخبار بان الداوات وصلت بالسلامة وطرحوا مراسي ينبع وأحاطوا بها ورموا عليها المدافع الى مضي ثلاثة أيام ثم نزل الجند وحملوا على البلد حتى دخلوها وملكوها وقتلوا جماعة ابن بداي قتلا ذريعا ولم يكن ابن بداي هنالك لانه بعد أن ملكها جعل فيها ابن عمه وخرج وبعد أن تمكن جند مولانا الشريف من ينبع أرسلوا له بالبشارة فارسل الخلع الفاخرة لمفرح أغا وأنعم عليه بوزارة ينبع وأكرم رسول أغا بفرو سمور وكثير من النقود له ولبقية الجنود

﴿الغزية الثالثة والاربعون﴾

الغزية الثالثة والاربعون كانت في شهر جمادى الاولى سنة تسع عشرة وذلك أن سيدنا الشريف في الشهر المذكور شمر عن ذيل عزمه وركب بمن لديه من السادة الاشراف والاتراك والعساكر وتوجه الى الطائف من طريق اليمانية وأرسل القائد أحمد بن منقال من طريق كرا وأحاطوا بالطائف واجتمع معهم كثير من العربان وصار عثمان المضايفي محصورا في الطائف ولم يقدر على ملاقاة الشريف وجاءت الجنود بالبنود والرايات على السور وصارت تنقبه بالمعاول في أحجاره فلم يرد الله عز وجل بلوغ المرام فاقام عشرة أيام ورجع الى البلد الحرام وفي أواخر شهر رمضان جاءت الاخبار

آنناهذا الخفا في فكره الشريف ان يجعل في المسجد الشريف حاصلا واسعا لحفظ مؤن المسجد واخشابه وآلاته وان يجعل الى جانبه حاصلا آخر يوضع فيه زيت قناديل الحرم الشريف وشمعه وقناديله وظروف زيته ومسارجه فعمد الى هذه الزيادة وجعل الجانب الشرقي منها حاصلين بحجرة وبنى عليه وجعل له بابين لهذه المصلحة واستمر كذلك الى أيام دولة هذا السلطان الاعظم عمر الله به الوجود وأفاض على أهل العلم ظل سلطنته العادلة سحائب العدل والاحسان والجود فاعيد ذلك المحل المعمور من المسجد الحرم كما كان وأما زيادة باب ابراهيم فقد كان منها في الرواق سبع عشرة اسطوانة من الحجر المنحوت صفين متصلين في الرواق القبلي الذي يلي المسجد الحرام اثنتان منها لاصقتان برباط رامشت على يمين المستقبل واثنتان لاصقتان برباط الخوزي على يسار المستقبل وفي الجانب الشمالي ست أساطين احداها لاصقة بالمنارة التي كانت بهذه الزيادة ولم يكن بالجانب الغربي من هذه الزيادة أساطين * ثم في أيام السلطان الغوري أرسل أميرا من أمرائه يقال له خير بك المعمار لتعمير زيادة باب ابراهيم في حدود سنة سبع عشرة وتسعمائة فبنى على باب ابراهيم قصرا مرتفعا مع مرافقه وجعل حول القصر من خارج المسجد منازل ومساكن وبنى خارج ذلك ميضأة

باب

بان عبد الوهاب أبا نقطة حل بارض اليمن ثم تحقق وصوله الى الليث ومعه كثير من الجند فاستعد مولانا الشريف لقتاله وخرج بجنوده الى الحسينية ثم انتقل الى الشرفية

﴿الغزية الرابعة والاربعون﴾

وهي الغزية الرابعة والاربعون ثم انتقل الى السعدية فوجد جنود الوهابية نازلين بها ومعهم عدد كالرمال فالتقى الجمعان بعاشر شوال وتكافح الفريقان واشتد القتال فكانت النصرة في أول الامر لمولانا الشريف ومن معه حتى صارت الاتراك تقطع في روس أولئك القوم قطع روس الكباش حتى فني من عسير جم كثير ثم انقلب الدور على الاتراك وقتل منهم كثير فكان القتلى من الفريقين نحو الالفين لكن قتلى الوهابية أكثر بيقين ثم انهزموا وطرد خلفهم مدة جند مولانا الشريف ثم رجعوا ورجع مولانا الشريف ومن معه الى مكة وفي الخامس عشر من شوال وصل عثمان المضايفي الى الزيما بجنود كثيرة وتلاه عثمان بن شكبان ثم انتقلوا الى عرفة ودخل في طيهم بعض قريش وهذيل فقتلوا من لم يطعهم ممن قدروا عليه وأسروا البعض وأتلفوا عين زبيدة بالتهديم والتكسير فقل الماء بمكة وصار الضعيف في جهد وضنك ثم انتقل كثير منهم الى وادي مر في عاشر ذي القعدة وصاروا ينهبون ويقتلون الوافدين الى مكة حتى غدا طريق جدة أيام اقامتهم أيام نحر وتشريق ولما جاء الحج الشامي لم يدخل الامن طريق جدة ولم يصل الوادي وكذلك الحج المصري ثم وصل شريف باشا صاحب جدة وحج الناس لكن لم يحج في هذا العام أحد من أهل مكة وجدة والمدينة ومصر والشام وجميع البلدان غير ما كان في الحج الشامي والمصري بسبب هذه الفتنة والعربان محيطة بمكة محاصرة لها من جميع الجهات حتى ان أكثر البيوت بمنى كانت خالية أيام الحج وكان أمير الحج الشامي ابراهيم باشا والى الشام فتكلم معه مولانا الشريف أن يخرج لقتال هذا الخارجي فامتنع ثم طلب منه أن يرسل عساكر رجالا الى جدة لاحضار شيء من الذخائر والقوت فوعد وأخلف ثم كرر الطلب عليه ثانيا وثالثا فلم يفعل وفي ليلة من الليالي التي هو مقيم فيها بالزاهر جاء خمسة من الجبل فصاحوا في أطراف العسكر وكبروا وجالوا بخيلهم ففزع وحصل له خوف كثير فكاتب عثمان المضايفي وارتبط بينهما حبل المودة والمواصلة فصار جماعة من قوم عثمان يأتون الى الخيام ويبالغ لهم في الاكرام وفي ليلة عشرين من شهر الحج سافر عند طلوع الفجر ولم يأذن له عثمان في الانتقال الا بعد أن دفع له مائتي كيس من المال وقد تقدم انه في سنة ثماني عشرة أبقى أمير الحج الشامي طائفة من العسكر لاعانة مولانا الشريف فاخذهم ابراهيم باشا في هذا العام فنصحه العلماء والقضاة وحذروه من غضب السلطان فما ازداد الا عتوا ونفورا فقام مولانا الشريف باعباء تحمل الاثقال وسكن روع سكان البلد الامين بمن معه من العسكر والرجال وترس البلاد من الجوانب الاربع لكن اشتد على الناس بقطع الطرق الجوع ووقع الغلاء الذي تسيل له الدموع فلم يجد ما يشتريه الجائع ولا ما يبيعه البائع ودخلت سنة عشرين والناس في بلاء مبين

﴿ذكر ابتداء القحط بمكة وانتهائه﴾

وكان ابتداء القحط والغلاء من أواخر ذي الحجة سنة تسع عشرة واستمر الى ذي القعدة من سنة عشرين ومضت هذه السنة وهو كل يوم في ازدياد حتى انه في آخر الامر بلغت كيلة القمح والرز مشخصين وبلغ الرطل من السكر والشحم والزيت ريالين والرطل من البن والتمر ريالا والرطل من السمن ريالا ونصفا وكيلة الزبيب ثلاثة ريالات ورطل اللحم الماعز والجمل نصف ريال وأخرج أهل مكة جميع ما يملكونه من الحلي والثياب والاثاث يبيعونه بابخس الاثمان ويشترون به ما يأكلون ثم عدمت الاقوات بالكلية ولا يجدونها بالاوقية فضلا عن الارطال وصار كثير من الناس يأكلون من أدوية العطار كبزر الخشخاش وزبيب الهوى والصمغ والنوى وبزر الجرو وشرب أناس الدم المسفوح وأكل

تشتمل على مراحض وبركتها ووقف ذلك جميعه على جهات خير وبني من داخل باب ابراهيم (٢٨٥) على يمين الداخل حاصلا في أرض المسجد وفي علوه سكنا وعلى يسار الداخل مثله وقرر فيها بعض المستحقين وجعل في الجانب اليماني من هذه الزيادة حاصلا يشتمل على سبيل ماء وصهريج كبير يملأ من ماء المطر من سطح المسجد وأبقى الجانب القبلي والجانب الشمالي على حالهما وفرغ الامير خير بك المعمار من ذلك في حدود سنة عشرين وتسعمائة * وأما عدد شرفات المسجد الحرام من داخله فكانت أربعمائة شرفة وسبع أنصاف شرفة * وأما الشرفات التي كانت على جدر المسجد من خارجه فهي اثنتان وخمسون شرفة متفرقة على أبواب المسجد الحرام ليس فيها شرفات وكانت في زيادة دار الندوة من جوانبها الاربعة التي تلي بطنها اثنتان وسبعون شرفة ولا شرفة للجهة الخارجة لاحاطة الدور بها وكانت في زيادة دار ابراهيم مما يلي بطنها في ثلاث جهات منها وهي القبلية واليمانية والشامية بضع وأربعون شرفة * وأما أبواب المسجد الحرام فهي تسعة عشر بابا كانت تفتح على ثمانية وثلاثين طاقا وهي باقية على حالها ما عدا بابا واحدا في زيادة دار الندوة وكان يفتح على طاقين فزادها الامير قاسم أمين بناء المدارس الشريفة السلطانية السليمانية

بعض الناس الجلود والهرات والكلاب وكل حيوان على وجه الارض فهلك الفقير وافتقر الغنى وجعل الغلاء يطول ويتزايد وأرباب العيال صاروا حيارى وترى الناس سكارى وماهم بسكارى وقاسى أهل مكة فى هذا العام مالم يقاسه أصحاب السبع الشداد وفى أثناء هذه المدة وقعت الخيانة من بعض الناس من الاشراف وغيرهم فكاتبوا عثمان ومن كان فى الجند من الامراء وانساب بعض منهم انسياب السيل وهرب جنح ليل ومنهم من ثبت وقعد ودخل معهم فى الخيانة بعض شيوخ العبيد الذين كانوا أمناء على القلعة فاراد الله لهم بالفضيحة وأطلع مولانا الشريف على بعض مكايدهم القبيحة واطلع أيضا على مكاتبات من بعض الاشراف الكبار لاولئك الفجار فامر بسجن ابن أخيه السيد مساعد بن مسعود والسيد أحمد بن سرور وسجن كثيرا من غير الاشراف من العسكر والعبيد وقتل بعضا من شيوخ العبيد ودخل فى طاعة الوهابى كثير من الاشراف من ذوى بركات وذوى عبد الله وذوى الحرث والمناعمة وغيرهم مما يطول الكلام بذكرهم وقويت عزائم الخارجى بطاعتهم له ومازال الناس ينهالون ويتسللون ويخرجون من مكة ويدخلون فى طاعة الخبيث لاسيما لما اشتد الغلاء والجوع وكانت الاقوات فى جيوش الخارجى كثيرة تباع بأبخس الاثمان ولما رأى الشريف يحيى بن سرور ما حل ببعض الاشراف من الحبس والاهانة ركب فرسه ليلا وفر ولم يزل سائرا حتى وصل وادى مر وعامل القوم كما عاملهم غيره ففرحوا به فما أقام عندهم غير ثلاثة أيام حتى جاء بعقودة من الخيل على رأسه ووصل بهم الى عمرة التنعيم وبعضهم أشرف على الزاهر فجاء الخبر لمولانا الشريف غالب فأمر الفرسان بالركوب خلفهم

﴿الغزية الخامسة والاربعون﴾

وهى الغزية الخامسة والاربعون ففروا هاربين ولم يدركوهم وأمر أهل البلاد فترسوا أطرافها وأكنافها وحصل فى ذلك اليوم ضجة أى ضجة وكان ذلك يوم الربوع لاثنين خلوا من شهر المحرم سنة عشرين وبعد يومين من هذه القضية ارتحل الجنود الذين كانوا بالوادى ونزلوا الحسينية واقبلوا الى أطراف مكة وهم منتقلون فاشرف عليهم أهل مكة من رؤس الجبال وما كان منهم هذا الانتقال الا لظنهم انهم يدخلون مكة لكن قاتلهم العبيد المترسون فى الابراج التى حول مكة ومنعوهم عن الدخول كرها واستمر القتال بينهم من الظهر الى الغروب وهلك من تلك الجنود سبعة فتوجهوا الى الحسينية وقتلوا احد عشر رجلا من أهلها وأخذوا مواشى أهل الحسينية وتوجهوا الى العابدية لانه بلغهم ان أبراجها حصينة وهى خلية لان العبيد تركوا الابراج وجاؤا الى مكة لطلب الزاد فلما وصلوا الى مكة غضب عليهم مولانا الشريف لتركهم الحصون وأعادا لجميع مبادرة فى الحال وزاد عليهم مثلهم بين راجل وخيال وأمر سراة من الفرسان ان يجدوا بخيلهم مسرعين يسبقوا العبيد الى الابراج قبل ان يستولى العدو عليها فلما أقبلوا عليها وجدوا الوهابيين مسارعين اليها فسبقوا الوهابيين وولجوها ومنعوهم عنها بالطبنجات لتأخر أهل البندق والرماة

﴿الغزية السادسة والاربعون﴾

وهذه الغزية السادسة والاربعون فلما لم يتم للوهابيين أمر رجعوا الى وادى مر ثم ارتحل عثمان بكثير من الجنود وتوجه الى الطائف وكانوا قبل ارتحالهم بنوا حصنا بقرية المدرة وتركوا فيها عصابة من قومهم وأمر عليهم ابن يحيى من عدوان وارتحل بعده سالم بن شكبان وكانوا فى مدة اقامتهم بالوادى بايعهم أكثر العربان الذين باطراف مكة كالمطارفة وقريش وبعض هذيل والجحادلة ولحيان وأمروهم بقطع الجلب عن مكة ولما رأى مولانا الشريف ما حل بأهل مكة من القحط والغلاء والجوع أخذته الشفقة والرحمة فاجتهد فى جمع ما أمكنه من الجمال وأرسلها الى جدة لتأتى بالذخائر والاحمال وأرسل معها جماعة من الاشراف والعسكر والعبيد ومعهم نحو المائة من فرسان الخيل

طاقا واحدا وصار على ثلاث طاقات فصارت طاقات أبواب المسجد الحرام الآن تسعا وثلاثين طاقا فى كل طاق دفتان وسيأتى تفصيلها بعد ذكر الاسطوانات المتجددة فى عصرنا * والذى اشتمل عليه المسجد الحرام الآن من الاساطين الرخام والاساطين الصفر الشميسى والقبب والطواحين والمصليات وشرفات المسجد الحرام فهى ما نذكره * وأما الاسطوانات الرخام فعددها ثلثمائة واحدى عشرة اسطوانة ففى جهة شرقى المسجد الحرام وهى ما يقابل باب البيت الشريف اثنتان وستون اسطوانة رخاما وفى جهة شاميه ويقال له الجانب الشمالى وهو ما يقابل الحجر الشريف احدى وثمانون اسطوانة رخاما وفى جهة غربيه أربع وستون اسطوانة من ذلك وهو ما يقابل المستجار العظيم ست اسطوانات من الحجر الصوان والباقى من الرخام * وفى زيادة دار الندوة خمس عشرة اسطوانة من ذلك واحدة من الحجر الصوان وفى زيادة باب ابراهيم ست اسطوانات * وأما الاسطوانات الصفر الشميسى فجملتها مائتان وأربع وأربعون اسطوانة وهى عبارة عن شكل مثمن أو مسدس أو مربع على حسب ما اقتضاه المكان وهى فى طوال الاسطوانة العليا مقدار الثلث من الحجر الصوان المنحوت وثلثاها من الحجر الشميسى المنحوت * فمن ذلك فى شرقى المسجد الحرام ثلاثون

وارسل

وأرسل معهم أحمد كتخدا وهرع معهم كثير من أهل مكة لما حل بهم من الجوع وصاروا كالجراد المنتشر بين مشاة وركبان وبلغ كراء البعير الى جدة سبعين قرشا الى ثمانين وفى ثانى يوم خروجهم من مكة بلغ مولانا الشريف انه خرج عليهم بعض الوهابيين فأعقبهم بما ينوف عن مائة خيال من الصناديد الابطال وأمر عليهم السيد ماضى بن سليمان

﴿الغزية السابعة والاربعون﴾

وهذه الغزية السابعة والاربعون ثم جاء الخبران الذين خرجوا أولا لجلب القوت والذخيرة مع أحمد كتخدا لما بلغوا نصف الطريق خرج عليهم ثلاث من خيل ذلك الفريق وهم عيون وجواسيس توصل لهم الاخبار فركض عليهم بعض الخيل وبقى بعض منها لحراسة القافلة فنبع لهم نحو عشرين خيالا كانوا امتوارين خلف تلك الجبال فركض عليهم خيل الهوارة فأصابوا رجلا وقتلوا رجلين واقتلعوا حصانا وقتلوا فرسين وفر بقية الاشرار للويل والدمار ولما وصلت القافلة للمنحنى وهو جبل معروف وجدوا فى حصنه سبعة من الوهابيين فصعدوا اليهم بخيل ورجال من أهل مكة ومن العسكر فقتلوهم وقطعوا رؤسهم ودخلوا بتلك الرؤس الى بندر جدة المحروس وفى اليوم الثانى من دخولهم جدة وردت أغنام الى جدة فعدوا عليها وأخذوها فأرسل الوزير خلفهم جريدة من الخيل ليسترجعوها فلم يدركوهم ثم ان القافلة حملت أحمالها وأوسقت جمالها وتوجهت الى مكة ونالت البادية الحظ الاوفر من كراء الجمال وأكروا كل بعير بثلاثين ريالا وكان الشيخ عبد الله عبد الشكور صاحب التاريخ له حمل من القمح من تلك الجمال فاستولى عليه بمكة الناظر عثمان بلج وفرقه على العسكر وحسب قيمته على مولانا الشريف وأخذها ولم يعط الشيخ عبد الله شيأ من الحمل ولا من قيمته فرفع فيه شكاية لمولانا الشريف وجعل الشكاية فى منظومة طويلة مذكورة فى التاريخ وبعد وصول القافلة الى مكة أقاموا يومين فأمرهم مولانا الشريف بالرجوع ثانيا ليأتوا بذخيرة أخرى وأمدهم بالعسكر وكراء الجمال على حاله كالرد الاول وكان أهل مكة يسمون تلك القوافل بالردود وجعل أميرا على هذا الرد السيد ماضى بن سليمان وهرع كثير من أهل مكة الفقراء مع هذا الرد فتوجه الجميع فى الثالث والعشرين من المحرم ووصلوا الى جدة بالسلامة وحملوا الجمال وخرجوا بها وسلكوا غير الطريق المعتاد وحصل لهم تعب لعسر الطريق الذى سلكوه ووصلوا الى مكة بالسلامة وأقاموا أربعة أيام فأمرهم مولانا الشريف بالرجوع ثالثا وكراء الجمال على حاله وكثير من أهل الجمال يحملون كيلتين من البر بريال وأكثر الجمالة تحوم حول المنفعة فكانوا يشترون لانفسهم كيلة البر بشئ قليل من جدة ويبيعونها فى مكة بأربعة ريالات وكان رجوعهم الى مكة سادس صفر وكانت تلك الردود سببا لارتخاء الاسعار عما كانت عليه ثم أمر بالرجوع أيضا الى جدة رابعا وخرج معهم فى هذا الرد خلق كثير من أهل مكة قيل انهم نحو ثلاثة آلاف حتى قل الناس من مكة ولم يتكامل الصف الاول بالمسجد الحرام وما حملهم على ذلك الا الفقر وكثرة الجوع وكان معهم أيضا من العسكر مثل ما كان اولا والامير عليهم السيد ماضى المذكور وسمع أهل مكة من بعض أهل جدة كلاما شاقا فى الازقة والاسواق يقولون لهم جئتم أرضنا لتعاشرونا فى الارزاق فتعب لذلك الكلام أهل مكة وضاقت عليهم الارض بما رحبت وما صدر ذلك الكلام الا من بعض السفلة والاراذل وأما المعتمدون من أهل جدة فلم يقع منهم شئ من ذلك بل كانوا يتلقونهم بغاية الاكرام وللشيخ محمد البنانى مفتى المالكية بمكة قصيدة طويلة يذكر فيها ما وقع لاهل مكة من بعض أولئك الاراذل وهذه القافلة الرابعة أقامت بجدة ثلاثة أيام وحملت جمالها ورجعت لحمى البيت الحرام ولم تزل هذه الردود تسرى الى ان انقطع الطريق بالكلية وأحاطت جنود الوهابيين بمكة من جميع الجوانب فى شعبان ورمضان وفى تاسع شهر صفر أرسل مولانا الشريف غزية على قوم من

اسطوانة وفى جهة غربيه ست وثلاثون اسطوانة * وفى جهة جنوبيه ست وسبعون اسطوانة وأربع فى أركان المسجد * وفى زيادة باب ابراهيم ثمانى عشرة * وأما القبب فعددها مائة واثنتان وخمسون قبة * فمن ذلك فى شرقى المسجد الحرام أربع وعشرون قبة وفى الجانب الشامى ست وثلاثون قبة واحدة فى ركن المسجد الحرام من جهة منارة الحزورة وفى زيادة دار الندوة ست عشرة قبة وفى زيادة باب ابراهيم خمس عشرة قبة * وأما الطواجن فجملتها مائتان واثنان وثلاثون طاجنا وفى الجانب الشمالى تسعة وخمسون طاجنا وفى الجانب الغربى ثلاثة وأربعون طاجنا وفى الجانب الجنوبى أربعة وستون طاجنا واثنان فى مأذنة باب السلام وواحد فى ركن المسجد من جهة باب العمرة وفى زيادة دار الندوة أربعة وعشرون طاجنا * وأما المصليات فجملتها ستة وخمسون مصلى فى جهة شرقى المسجد الحرام مقابل باب السلام ثلاثة وفى جهة شاميه اثنان وعشرون وفى جهة غربيه ستة عشر وفى جهة جنوبيه خمسة عشر * وأما الشرفات فجملتها ألف وثلثمائة وثمانون شرفة فمن ذلك فى شرقى المسجد الحرام مائة واثنتان وستون شرفة * فمن الرخام سبع وعشرون فى وسطهن واحدة طويلة ومن الحجر الشميسى مائة وخمس وثلاثون

بني لحيان دخلوا في الطين

**﴿الغزية الثامنة والاربعون﴾**

وهي الغزية الثامنة والاربعون جهز فيها خيلا وركابا ومشاة وأمر عليها السيد راجح بن عمرو الشنبري أمره أن يقصد بغزوه قوما من بني لحيان دخلوا في طاعة عثمان وكانوا نازلين بشعب من وادي الطرفاء يسمى شعب الذئب فاغار بمن معه عليهم فقتلوا ثلاثة وأخذوا من ابلهم نحو الخمسين والباقي من القوم فرّ حين سمعوا اسنابك الخيل ورجع السيد راجح ومن معه سالمين ثم أعاده سيدنا الشريف ومن معه وأمرهم ان يغزوا المناعمة

**﴿الغزية التاسعة والاربعون﴾**

وهي الغزية التاسعة والاربعون فغزوا على المناعمة وعلى جماعة من المطارفة فولوا فارين مدبرين وأخذوا الممكن من مواشيهم وحلتهم ورجعوا سالمين وفي السادس من ربيع الاول جهز مولانا الشريف جيشا مكمل القوة والاستعداد فيه جملة من السادة الاشراف والعساكر والعبيد وأمرهم ان يغزوا الحصن الذي في المدرة فيه جملة من الوهابيين

**﴿الغزية المكملة خمسين﴾**

وهي الغزية المكملة خمسين ومعهم مدفع كبير وقنبرة فساروا الى ان نزلوا المدرة وأحاطوا بالحصن وحاصروا القوم ورموهم بالمدفع والقنبرة فلما مضى ثلاثة أيام جاء قوم من بني لحيان يريدون دخول الحصن اعانة لمن فيه فحمل عليهم عسكر مولانا الشريف وطردوا خلفهم حتى أصعدوهم رؤس الجبال وأرسل لهم مولانا الشريف مدفعا آخر وجاء قوم من بني مسعود هذيل الشام يريدون أيضا دخول الحصن اعانة لمن فيه فمنعوهم أيضا من الدخول ووقع القتال بينهم حتى انهزموا وتعلقوا برؤس الجبال وقتلوا أناسا منهم وقتل عبد من عبيد مولانا الشريف ورجع القوم الى مخيمهم وفي هذه الايام هرب من مكة السيد ماضي بن سلمان وذهب الى الوهابيين وتبعهم على ماهم عليه فاختلفت أقاويل الناس فيه فمنهم من قال ان ذلك باطلاع سيدنا الشريف وله فيه مقصد ومرام ومنهم من قال ان الرجل غلب على قلبه الخوف منهم ففعل ما فعل بعد ان كاتبوه وكاتبهم ثم ان القوم المحاصرين للحصن حملوا عليه وكان محيطا به خندق فأخذوا معهم أخشابا ليضعوها على الخندق ويعبروا عليها فقصرت عن ذلك فرجعوا بعد ان أصابوا من القوم خمسة أشخاص وخرج من الترك مثلهم والجروح قصاص وكان الترك الذين هجموا معهم وصلوا الى باب الحصن فوجدوا على الباب نحو العشرة فقتلوا منهم ستة وفر أربعة ثم رجعوا الى مخيمهم فلما بلغ الخبر مولانا الشريف جهز لهم جيشا نحو المائتين وأمر عليهم القائد أحمد بن مثقال ومعه مدفع كبير

**﴿الغزية الحادية والخمسون﴾**

وهذه الغزية الحادية والخمسون وكان أكثر هذا الجيش من شبان أهل مكة وجاؤا بالمدفع على نحو خمسين جملا ومدة سيره في الطريق خمسة أيام وانكسر العجل فوصلوا المدرة والحصار على حاله ثم بلغهم ان عثمان المضايفي أمد المحاصرين بثلاثة آلاف وخيلهم نحو المائتين فأخذت جنود مولانا الشريف حذرها وجعلوا لهم متارس فلما أقبل القوم رموهم بالمدفع ووقع القتال بينهم الى آخر النهار وقتل من قوم عثمان نحو الخمسين ولم يقتل من جماعة الشريف أحد بل أصيب واحد في يده صوبا خفيفا فلما جاء الليل أشار عليهم بعض من أدركه الخوف والفزع بالرجوع الى مكة وقال لهم قدتم لنا الغلب وطاب لنا حسن المنقلب فارتحلوا فأدركتهم خيل الوهابية قبل ان يصلوا مكة فلما أحسوا بسنابك الخيل في عتمة الليل فر بعضهم وثبت البعض ووقعت بينهم ملحمة قتل فيها من عسكر الشريف نحو العشرة ومن الوهابين جماعة ممن لهم شهرة واقتلع عسكر مولانا الشريف من

الشميسي • ومن جهة غربيه مائتان وأربع • فمن الرخام اثنتان وعشرون في وسطهن واحدة طويلة والباقي من الحجر الشميسي وفي زيادة دار الندوة مائة واحدى وتسعون من الحجر الشميسي وفي زيادة باب ابراهيم مائة وست وأربعون من الحجر الشميسي لاغير • وأما أبواب المسجد الحرام الآن فعدتها تسعة عشر بابا تفتح على تسعة وثلاثين طاقا في كل طاق دفتان فيها خوخة تفتح فمنها بالجانب الشرقي أربعة أبواب وفي الدفة اليمنى من الطاق الاوسط خوخة أيضا تغلق الدفتان وتفتح الخوخة ليلا لمن يدخل المسجد أو يخرج منه فترد الخوخة كما كانت وكذلك جميع الخوخات • الاول باب السلام ويعرف بباب بني شيبة وهو ثلاث طاقات وهذا الباب لم يجدد فيه شئ لكونه عامر المحكم البناء وفي الدفة اليمنى من الطاق الاوسط خوخة تغلق الدفتان وتفتح الخوخة ليلا لمن يفتح المسجد ويخرج منه • الثاني طاقات ويعرف بباب الجنائز وبباب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجدد في هذا الباب غير الشرفات التي عليها

خيلهم خمسة من أنجب الكحائل ورجعوا الى مكة وفي ربيع الآخر ورد الخبر بان سالم بن شكبان حل الطائف بنحو خمسمائة من قومه واستقبله عثمان بمن عنده من القوم وخيموا بالقرب من جبال بني سفيان وأرسلوا اليهم يأمرونهم بالدخول في الطاعة وخوفوهم وتهددوهم فأطاعوا وهم خوفا بعد ان كانوا ممتنعين أشد الامتناع ونبذوا عهود مولانا الشريف وأرسلوا مشايخهم ليعرفوا المطلب لعثمان وابن شكبان فطوقوا أعناقهم بالحديد ثم وضعوا عليهم نكالا جسيما جعلوا على كل سفياني عشرين ريالا وأخذوا سلاحهم فعندما سمعت بذلك هذيل طارت قلوبهم من الخوف والفزع فأرسلوا اليهم من يأخذ لهم الامان وحملوا ما طلبوه لهم من النكال مع انهم لم يقاتلوه قط وغيرهم انما تبعه بعد قتال شديد فقبلوا منهم الدخول في الدين من غير صلاة ولا زكاة ولا حج ولا صيام بل بمجرد أخذ المال وقالوا لهم قد صح اسلامكم فقاتلوا أهل مكة المشركين حتى يدخلوا في الطين فارتحلوا من جبالكم واسكنوا تهامة في العابدية والحسينية وامنعوا الخيرات الواردة الى مكة وأقام على كل قبيلة شيخها أميرا على جماعته وأمر بالتحجير على المشركين في زعمه فلما بلغ سيدنا الشريف هذه الاخبار أمر ببناء أبراج في الحسينية زيادة في تحصينها ولما بلغ المقصود عثمان وابن شكبان من هذين القبيلتين وحازوا السلاح وظفروا بالنقدين ارتحلا من الموضع الذي كانا مخيمين فيه وتوجه سالم بن شكبان الى بيشة وعثمان الى الطائف وقد تقدم ذكر الردود التي تأتي من جدة بالميرة مرة بعد أخرى

## ﴿الغزية الثانية والخمسون﴾

وفي شهر ربيع الثاني من سنة عشرين بلغ مولانا الشريف ان الوهابية عازمة على أخذ الرد في الطريق بجموع اجتمعت لاخذها فجهز غزية زيادة في الحفظ والحماية وهي الغزية الثانية والخمسون فأصبحت الغزية بالركاني وجاءها الخبر ان القوم بصروعة فالبثوا ان ملؤا القرب بالماء حتى جاءهم القوم كالغمامة الدهماء فحصل بينهم قتال وطالت الملحمة على ظهور الخيل وانحاز ثلاثون من عبيد مولانا الشريف على جبل شاهق وقتلوا كثيرا بالبنادق ثم انجلى الامر بانهزام الوهابيين وقتل سبع أو ثمان من خيلهم وبعض من رجالهم وأخذت قليعة من خيلهم وقتل أميرهم مجمى وصعد جماعة منهم وأحاطوا بالذين في الجبل من العبيد واقتتلوا معهم أشد القتال فقتل من الوهابيين نحو السبعين ومن العبيد خمسة وعشرون ثم توجه جماعة الشريف بعد العراك الى الحرم فلقيت الرد سالما وعوض الله مولانا الشريف فجاءه من جدة من العبيد خمسة وأربعون وفي الرد الذي بعده خمسون وفي شهر جمادى الاولى من هذه السنة عقد سعود مجمعا عاما وطلب جميع الامراء فحضروا وعنده منهم عبد الوهاب أبو نقطة أمير عسير وسالم بن شكبان أمير بيشة وعثمان المضايفي أمير الطائف وما حوله وغير هؤلاء من الامراء وأمرهم ان يحاصروا أم القرى من جميع الجهات وان يمنعوا عنها جميع الوارد وبالغ في منعهم الاقوات وانصرفوا من المجمع على ذلك وفي عشرين من شهر جمادى الثانية وصل عثمان المضايفي فاستقبله خواص قومه وسألوه عما جاءهم به فقال قد أباح لنا سعود قتل هؤلاء المشركين في الحل والحرم وان علماء الدرعية وجدوا هذا القول في حاشية كتاب للشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو صادق النقل فيما روى معصوم من الهوى فقروا عينا وطيبوا انفسا ولكن اكتموا هذا الامر فانه سر مكتوم ثم أظهر لبقية الناس خلاف ما أبطن وان سعودا أمره باصلاح عين زبيدة التي هدمها فأخذ يتجهز بشغل المعاول وحرق النورة وجمع المكاتل والرمل يطلب من القبائل لعمارة العين فمضى برهة من الزمن حتى اجتمع عنده نحو خمسة آلاف من هذيل اليمن والشام وثقيف وغيرهم من الانام وتوجه بهم وخيم في المضيق ثم ارتحل بهم ونزل في حدود الحرم وفي شعبان أرسل عشرين خيالا

العباس رضي الله عنه ويعرف أيضا بباب الجنائز * الرابع ثلاث طاقات ويعرف  بباب علي و بباب بني هاشم وقد جدد هذا الباب والذي قبله على أحسن وضع * وعدد ما عليهما من الشرفات مائة وخمس عشرة شرفة وبالجانب الجنوبي سبعة أبواب * الاول طاقتان ويقال له باب بازان لان عين بازان قريب منه وقد جدد هذا بأسلوب حسن وعدد ما عليه من الشرفات ست عشرة شرفة * الثاني طاقات ويعرف بباب البغلة بباء موحدة وغين معجمة وقد جدد هذا الباب ولم يعمل عليه من الشرفات * الثالث باب الصفا لانه يليه ويعرف أيضا بباب بني مخزوم وهو خمس طاقات وقد جدد هذا الباب تجديدا حسنا وعدد شرفاته تسع وعشرون * الرابع طاقتان ويعرف بباب أجياد الصغير وقد جدد وعدد شرفاته تسع عشرة شرفة * الخامس طاقتان ويعرف بباب المجاهدية ويقال له باب الرحمة وقد جدد هذا الباب وعدد شرفاته عشرون * السادس طاقتان ويعرف بباب مدرسة الشريف عجلان لاتصاله بها وقد جدد الباب أيضا وعدد شرفاته عشرون * السابع طاقتان ويعرف بباب أم هانئ وقد جدد هذا الباب ببناء حسن لطيف وأسلوب ظريف وعدد شرفاته ثلاث عشرة شرفة * وبالجانب الغربي ثلاثة أبواب * الاول طاقتان ويعرف

فانهزموا ركضا الى جبل المحنا وأعلنوا بالتكبير وطلبوا البراز فركبت خيل الشريف خلفهم ففروا ولم يجدوا لهم أثرا وصاروا يفعلون مثل ذلك ثلاثة أيام ثم انتقل بجنوده قاصدا جدة وأحاطوا بالسور ومعهم كثير من السلالم ومعاول الحديد ثم قربوا من السور حتى صعد بعضهم على بعض السلالم بعد وضعها على جدار السور فجاءهم من كانوا قائمين بحماية السور وأبعدوهم عنه بالبندق والمدفع وقتلوا منهم خلقا كثيرا فرجعوا منهزمين الى مخيمهم وكان بعيدا عن وقع الرصاص ثم ارتحل الى المدرة بمن معه من الفجرة وأرسل يطلب من بقي من العربان فجعلوا يتسللون اليه من كل مكان فرتبهم لقطع الطرقات فجعل لمحاصرة جدة وقطع طريقها واهس شيخ زبيد ومعه جماعة من أهل الكبد فخيموا اتجاه جدة بحيث يردون من آبار غليل ويغيرون على حول البندر بالنهار والليل وكم قتلوا حولها من الفقراء والمساكين وخضبوا أكفهم بدم الموحدين وفي كل يوم يصلون الى الحفر ويقطعون من يرد اليها وكثر العطب في التكارنة الذين يجمعون الحطب وما برحوا على هذا المنوال حتى انقطع الواصلون من جدة بالكلية وأمر الجادلة وبعضا من هذيل ان يخيموا على الشرفية ويقطعوا من يرد من طريق اليمن وأمر بعضا من هذيل ان يخيموا على وادي نعمان ومعهم العرب النازلون بتلك الجبال من غير هذيل وأمر بني لحيان وعربان الحرم ان يخيموا بالحصن الذي شيده بالوادي والمدرة ثم انتقل هو ومن معه مرة ثانية الى طريق جدة يقتلون ويأخذون من مر عليهم من الحجاج وغيرهم وكم قتلوا من المحرمين المعلنين بالتلبية ويقولون له يا مشرك مع انهم ما سمعوا منه لفظ الشرك الذي يزعمونه وما عرفوه قط ورأوه الا ذلك اليوم فيقتلونه بدعواهم لأجل أخذ ماله

## ﴿الغزية الثالثة والخمسون﴾

وفي اليوم الثالث من رمضان أرسل عثمان جماعة من قومه نهبوا ابل الشريف التي كانت في العكيشية فركبت خيل مولانا الشريف خلفهم لاسترجاعها فهي الغزية الثالثة والخمسون وساقوا خلفهم الى الشميسي فوجدوهم قد تعلقوا بها في شواهق الجبال فرجعوا وفي اليوم الخامس من رمضان أمر عثمان أربعين من هذيل الندويين ان يقعدوا بين مكة والحسينية فجلسوا عند الشرفة التي عند جبل الثور يقطعون من مر عليهم فمر عليهم أربعة من جماعة سيدنا الشريف فقبضوهم وأخذوا سلاحهم وحملوا ثلاثة منهم الى عثمان وأطلقوا الرابع وكان رجلا سلمانيا طاعنا في السن فجاء الى مكة آخر الليل وأخبر بما وقع وبما فعلوه في هذا الشهر المعظم انهم منعوا الناس من الاعتمار من التنعيم ومع هذا لم يمتنع كثير من الناس الاغراب حتى انهم قتلوا شخصا معتمرا عند الزاهر

## ﴿الغزية الرابعة والخمسون﴾

وفي العاشر من شوال ارتحل عثمان من طريق جدة قاصدا الحسينية فلما بلغ مولانا الشريف ذلك جهز جماعة من الخيل والفرسان والمشاة فهي الغزية الرابعة والخمسون فالتقوا بقوم عثمان باسفل مكة عند بطحاء قريش فوقع القتال بينهم وصالت خيل مولانا الشريف عليهم فولوا على أعقابهم مدبرين وقتل منهم جماعة منهم ولد السيد ماضي بن سلمان ودخل قوم الشريف برأسه محمولا على رمح وعلق في الاسواق وذبح من جياد خيلهم أربع واستشهد من جماعة الشريف السيد فواز الحسيني أمير المدينة وواحد من الهوارة وقتلت فرس وأصيبت أخرى ثم رجع قوم عثمان على الحسينية وأقاموا يحاربون من فيها يومين فملكوها فقيل ان وكيل الشريف بالحسينية خان فملكهم اياها والا فقد كان في مكان حصين والامر لله يفعل ما يشاء ولو شاء ربك ما فعلوه وكان استيلاؤهم على الحسينية في الثاني عشر من شوال فانثالت عليهم العربان من كل سهل وجبل وأرسل يشر

---

باب الحزورة ولم يجدد في هذا الباب شئ أصلا لعمارته * الثاني طاق واحد كبير يقال له باب ابراهيم ولم يجدد هذا



الباب أيضا لعمارة قصره لان قصر الغوري مبني عليه * الثالث طاق واحد ويعرف بباب العمرة لان المعتمرين من التنعيم يخرجون منه ويدخلون في الغالب وكان قديما يسمى باب بني سهم وقد جدد هذا الباب وعدد شرفاته ثلاث شرفات * وبالجانب الشمالي خمسة أبواب * الاول طاق واحد ويعرف بباب السدة وكان يقال له باب عمرو بن العاص رضي الله عنه وقد جدد هذا الباب أيضا وعدد شرفاته ست شرفات * الثاني طاق واحد ويعرف بباب العجلة ويعرف بباب الباسطية لاتصاله بمدرسة عبد الباسط المتقدم أيضا وقد جدد هذا الباب أيضا وعدد شرفاته سبع * الثالث طاق واحد بزيادة دار الندوة في ركنها الغربي ولم يجدد هذا الباب أيضا * وطيقانه ثلاث طاقات بالزيادة المذكورة بجانبها الشامي وقد كان هذا الباب قديما طاقين الى آن أمر المرحوم الأمير قاسم بك ببناء المدارس السلطانية ففتح طاقا ثالثا ثم هدمت الطاقات الثلاث عند بناء المسجد الحرام وأعيدت كما كانت وعدد شرفاته اثنتان وعشرون شرفة

* الخامس طاق واحد ويعرف بباب الدريبة بالقرب من منارة باب السلام وقد جدد هذا الباب الامير قاسم بك

سعود ابدا لك وفى هذا الاثناء وصل سالم بن شكبان بما يزيد عن خمسة آلاف من بيشة وشمران وغامد وزهران وقحطان وغيرة من عصائب الشيطان ثم تلاه بالوصول عبد الوهاب أبو نقطة بنحو عشرة آلاف من عسير وعربان اليمن فتكاملوا فى الحسينية مع قوم عثمان فكانوا يبلغون ثلاثين ألفا فعند ذلك اشتد الكرب على المسلمين وضاق ذرع سكان البلد الامين ووقع القحط الذى لامزيد عليه وارتفعت الاسعار حتى بلغت القدر الذى تقدم ذكره وبلوغها ذلك المقدار انما كان هذه المدة وأما الغلاء الذى كان قبل ذلك فانه لم يبلغ هذا السعر فبلغت فى هذه المدة الكيلة من القمح أو الرز مشخصين وبلغ الرطل من السكر أو الشحم أو الزيت ريالين وبلغ الرطل من التمر والبن ريالا ومن ناله بهذا السعر فقد بلغ الآمال وبلغ رطل السمن ريالين ونصفا ورطل العسل ريالا ونصفا ورطل اللحم من الماعز أو الجمال نصف ريال وكيلة الزبيب ثلاثة ريالات ورطل التنباك ستة ريالات ونصفا وقس على هذا فصار الناس يشترون حتى نفد ما بايديهم من النقود فاشتروا بالاثاث والثياب والحلى ويبيعون ما قيمته مائة بعشرة وأقل ويشترون بالعشرة ما قيمته واحد فأقل حتى فنى القليل والكثير ومات كثير من الناس بالجوع وصار كثير من الناس يأكلون الجلود البالية والبطاط بعد حرقها بالنار ويأكلون شيأ يسمى الاخريط وهو نوع من النبات فأثر فى وجوه الناس وأرجلهم نفخا وأوراما ثم يموتون بعد ذلك فترى الناس يموتون وهم يمشون فى الاسواق وترى كثيرا من الاطفال موتى فى كل زقاق وشرب أناس الدم المسفوح وأكل آخرون الهرات والكلاب وكل ما يجدون من الحيوانات ومضى على الناس شئ لم يعهد قط ثم فنيت الاقوات فلم توجد بقليل ولا كثير فصار بعض الناس يأكلون أدوية العطار مثل بزر الخشخاش وزبيب الهوى والصمغ العربى ونوى التمر والجر وكل شئ ألين من الحجر فهلك الضعيف وافتقر الغنى فلما ذهب النقد والنشب وفنيت الذخائر والمكتسب وتحققوا ان المآل الى العطب هرعت الناس الى الحسينية لان الاقوات بها رخية وصاروا يمشون فى الطرق الصعاب وعلى رؤس الجبال خوفا من السطوة عليهم فى الطريق ومنهم من قتل ومنهم من مات جوعا قبل الوصول اليها ومنهم من دخلها محمولا حتى لم يبق بمكة الا القليل ولا يتكامل الصف الاول اذا اجتمعوا للصلاة فى المسجد الحرام وغلقت الحوانيت واستمر هذا الحال الى السادس والعشرين من ذى القعدة سنة عشرين فوصل من الحسينية عبد الرحمن بن نامى أحد علماء القوم المعتمد عليهم ومعه ثلاثة منهم فاجتمع بسيدنا الشريف غالب وتذاكرا فى الصلح وانحسام هذا الجرح ورجع فى يومه الى الحسينية يخبر بما وقع بينهما من الاتفاق وبعد يومين نهب عثمان ابلا للشريف كانت ترعى فى أرض الحرم فاركب مولانا الشريف ستة من الخيل تقتفيها وتأتيه بالخبر

### ﴿الغزية الخامسة والخمسون﴾

وهى الغزية الخامسة والخمسون فاحاط بهم نحو الستين من خيل الوهابية كانوا خلف الجبال وقتلوا ثلاثة وقبضوا على اثنين ونجا السادس وهو السيد راجح بن عمرو الشنبرى فعند ذلك أرسل مولانا الشريف نحو ستين خيالا

### ﴿الغزية السادسة والخمسون﴾

وهى الغزية السادسة والخمسون فلما وصلوا الى ذلك الموضع لم يجدوا أحدا

### ﴿ذكر انعقاد الصلح بين مولانا الشريف وأحد علمائهم على دخول مكة﴾

ثم رجع عبد الرحمن بن نامى من الحسينية واجتمع بمولانا الشريف وتمم معه الصلح على ان الشريف يأذن لهم فى الدخول الى الحج ثم يتوجهون الى بلادهم وان الناس يدخلون فى الطاعة ويكون أمر

المذكور سابقا عند بنائه للمدارس السليمانية (وأما منائر المسجد الحرام) فهى (٢٩١) الآن ست منائر يؤذنون عليها فى الاوقات الخمس، أولها منارة باب العمرة عمرها أبو حفص المنصور ثانى ملوك بنى العباس وعمرها بعده وزير صاحب الموصل محمد الجواد بن على بن أبى منصور الاصفهانى فى سنة احدى وخمسين وخمسمائة وكان رئيس المؤذنين يؤذن بها فى زمن الفاكهى ويتبعه سائر المؤذنين، ثم صار فى زمن التقى الفاسى يؤذن رئيس المؤذنين بباب السلام ويتبعه سائر المؤذنين وهو الآن يؤذن الاوقات الخمس على قبة زمزم ويتبعه المؤذنون الا ليالى رمضان فى التسحير فان رئيس المؤذنين يسحر فيها على منارة باب السلام ويتبعه المؤذنون فى التسحير واحدا بعد واحد وكذلك فى التمجيد والتذكير والتوديع ونحو ذلك وقد أدركنا هذه المأذنة وهى عتيقة البناء فأمر بتجديدها المرحوم المقدس المغفور له الاقدس السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان فهدمت الى الارض وبنيت بالآجر وأعيدت كما كانت بدور واحد الا أنهم غيروا رأسها على أسلوب منائر بلاد الروم وكانت على أسلوب منائر مصر يعلق عليها فى رأسها ثلاثة قناديل فى ثلاثة أعواد مغروزة فى قبة صغيرة على رأس المأذنة وكان ذلك فى احدى وثلاثين وتسعمائة، وثانيها منارة باب السلام عمرها

مكة وأحكامها تحت نظر مولانا الشريف واشترط عليهم أمورا منها اعادة الحسينية وغرامة ماذهب فيهما من الكثير والقليل حتى دية المقاتيل وغير ذلك مما اشترطه فيما فيه الصلاح والرفق بأهل البلد الحرام وأذن لهم بدخول مكة وانهم يرسلون مكاتيبهم الى سعود يخبرونه بما صار عليه الاتفاق وينتظرون الجواب فدخل بعد هذا كثير من أهل مكة الذين كانوا قد خرجوا الى الحسينية وتنازلت الاسعار واطمأنت القلوب ثم دخل عثمان وسالم بن شكان لاربع بقين من ذى القعدة وفرج الله على المسلمين تلك الشدة ثم دخل أولئك الجيوش مكة وملؤا كل زقاق وسكة وجعلوا يركضون فى الطواف ويشيرون الى الحجر الاسود بالمشاعيب والبواكير ثم خيموا بالابطح وفى اليوم الثالث من ذى الحجة وصل عبد الوهاب أبو نقطة بجنوده ونزل أيضا بالابطح وفى اليوم الثامن توجهوا الى عرفة ووصل الحج الشامى يوم الثامن وكان أميره عبد الله باشا ومعه قوة زيادة عن المعتاد وكان معه نحو ألف وخمسمائة خيال وكان فى مجيئه وقع بينه وبين قبيلة حرب قتال شديد لانهم تعرضوه فى الطريق فجلس له بداى شيخ حرب ومعه قوم كثير وابن جبارة شيخ جهينة ومعه قوم كثير فى جبال النازية يمينا وشمالا فقاتلهم ورماهم بالمدفع وأمر بعض العسكران تصعد لهم فى الجبال بخيولهم فقتل منهم خلقا كثيرا وأذاقهم العذاب الاليم ويوم العيد عرض قوم أبى نقطة على مولانا الشريف وبعد تمام الحج نزلوا بالمحصب وفى هذا الاثناء جاء أبو نقطة لمنزل مولانا الشريف وسلم عليه وقدم له مولانا الشريف حصانا مرختا وألبسه فروا سمورا وشالا وسيفا وأقاموا بعد سفر الحجوج الى الحادى عشر من محرم ثم ارتحلوا وكانوا مدة اقامتهم بمكة مصابين بداء الجدرى فافنى منهم خلقا كثيرا حتى صاروا يحفرون لهم حفرا ويضعون الموتى بعضهم لبعض ويدفنونهم فى الحفر وكان الكثير منهم مدة اقامتهم بمكة أيضا يستأجرون أنفسهم فى ما يحتاجه أهل مكة من الخدم كالاحتطاب وحمل القمام ونزح الغائط من المراحيض ونحو ذلك فانظر كيف أعز الله جيران بيته وأذل أولئك القوم الذين جاؤا لقتلهم وسبى أطفالهم وأخذ أموالهم فمنعهم عنهم وسخرهم لخدمتهم ثم ان سيدنا الشريف فى افتتاح سنة احدى وعشرين رتب محاكمه فأرسل وزيرا الى ينبع ومعه خمسون خيالا ومائتان من العسكر وأرسل مائتين من الاتراك الى سواكن ومثلها الى مصوع ونزل هو الى جدة وأقام بها مدة ورتب أمورها وأمر باصلاح السور وعمارة الخندق وأمر ببناء برج على نفس باب البغاز المسمى بالعلم يمنع الداخل الى المرسى ان قصده عنوة وفى غاية صفر وصل من الدرعية عشرون رجلا وفيهم حمد بن ناصر أحد علمائهم وكان مولانا الشريف بجدة فنزلوا لملاقاته فاتجهوا به وأعطوه ما كان معهم من المكاتيب من سعود وفيها اتمام أمر الصلح ونزل حمد بن ناصر الى مسجد عكاش وأمر بجمع الناس له وقرأ عليهم رسالة محمد بن عبد الوهاب التى يكفر فيها المسلمين وحضر التجار والاعيان وطلبة العلم وكافة الناس ثم أمر مولانا الشريف بهدم قبب الصالحين لتطييب قلوب أولئك المعاندين وأمر أهل جدة ومكة بالامساك عن شرب التنباك وان لا يباع فى حانوت وأمر الناس ان يدخلوا المسجد حين يسمعون الاذان لاداء صلاة الجماعة وأمر العلماء أن يقرؤا الرسائل التى ألفها ابن عبد الوهاب لتأسيس ما ابتدعه ونهى عن تكرير الجماعة فى المسجد الحرام وان لا يصلى الا امام واحد وان يقتصروا على الاذان على المنائر ويتركوا التسليم والتذكير والترحيم وانما وافقهم مولانا الشريف وكافة الناس على ذلك كله مداراة لهم ودفعا لشرهم وأبطل مولانا الشريف ضرب نوبته ونوبة والى جدة فلما ظهر ذلك كله لحمد ابن ناصر ظن ان ذلك فعلوه معتقدين فيه ظاهرا وباطنا فتوجه الى الدرعية يعرفهم بتلك الطاعة وأرسل معه مولانا الشريف من جهته شيخ السادة السيد محمد بن محسن العطاس فغاب شهرين

المهدى بن المنصور العباسى الذى وسع  المسجد الحرام فى سنة ثمان وستين ومائة وهى بدورين ثم تهدمت فى زمن

الناصر فرج بن برقوق فى ست عشرة وثمانمائة وهى باقية الى الآن وثالثها منارة على وأول من عمرها المهدى العباسى لما عمر منارة باب السلام واستمرت الى أن أدركاها وقد آلت الى الخراب وكانت بدور واحد فى أعلاها فأمر المرحوم المغفور له المقدس المبرور السلطان سليمان خان عليه التحية والروح والريحان فهدمت وأعيدت من الحجر الاصفر الشميسى وجعل لها دوران أعلى وأسفل وغير رأسها على أسلوب منائر الروم • ورابعها منارة الحزورة وهى بدورين أول من بناها المهدى العباسى ثم عمرت فى زمن الاشرف شعبان بن حسين صاحب الموصل وكانت سقطت فى سنة احدى وسبعين وسبعمائة وسلم الناس منها فوصل المعمرون لعمارتها وفرغوا منها فى مفتتح محرم الحرام سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة بتقديم السين فيهما وهى باقية الى الآن • وخامسها منارة باب الزيادة وهى قديمة بدورين بناها المعتضد العباسى لما بنى زيادة دار الندوة ثم سقطت وأنشأها الاشرف برسباى فى عام ثمان وثلاثين وثمانمائة

كما هو فى حجر بجنب المأذنة والله أعلم • وسادسها منارة مدرسة السلطان قايتباى رحمه الله تعالى بناها على

ورجع

و رجع بالجواب وسيدنا الشريف مازال مقيما بجدة فنزل اليه وأعطاه الجواب فاحتاج مولانا الشريف الى اعادة جواب آخر لهم فارسل به محسنا الشبلي فغاب شهرا ويومين ورجع وفي الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخرة وقع بمكة قتال شديد بين الاتراك والعبيد وسيدنا الشريف بجدة فأرسل وأمرهم بالكف عن القتال فكفوا وكان من جملة القتلى ولد مرضي العمري وكان أخوه بجدة فجاء مكة لاخذ الثار فوجد تركيا فطعنه برمح فثار القتال مرة ثانية فبلغ مولانا الشريف الخبر وهو بجدة فعلم ان هذه الفتنة لا تسكن الا ان وصل بنفسه فجاء الى مكة في شهر رجب وأسكن تلك الفتنة وكان الفائت في تلك الفتنة نحو عشرين مابين قتيل وصويب وكانت مدة الحرب أربعة أيام ولياليها ثم بعد وصول سيدنا الشريف سأل عمن كانوا أصول هذه الفتنة فانتقم منهم بالتسفير والحبس والقتل لرئيس تلك الفتنة وهو محمد اوض باشا ولما وقعت هذه الفتنة فرح عثمان المضايفي ليجعلها قدحا في مولانا الشريف وعدم كفايته لضبط مكة فركب من الطائف الى الدرعية ليخبر سعودا بهذه القضية فكان توجهه في الخامس من رجب ورجع بعد خمسة وثلاثين يوما ولم يصادف لكلامه قبولا عند سعود

﴿ذكر بناء قلعة الهندي سنة ١٢٢١﴾

وفي السابع والعشرين من رجب أمر مولانا الشريف ان يبنى له حصن على رأس الجبل المسمى بجبل الهندي وتم بناؤه في عاشر رمضان فحصنه بالرجال والذخائر وفي آخر يوم من رمضان وقع قتال أيضا بين العبيد والاتراك وعزلت الاسواق وترس كل منهم بمكان مكين فشمر مولانا الشريف ساعده لاطفاء هذه الفتنة وماخرج الناس من صلاة المغرب الا وقد خمدت ولم يقتل من الطرفين سوى اثنين وعيدت الناس

﴿ذكر وصول الشريف عبد الله بن سرور وتوجهه الى الدرعية وحبسه في السويرقية﴾

وفي ثالث شوال وصل الشريف عبد الله بن سرور من القسطنطينية بعد غيابه عن مكة أربع سنوات لانه خرج سنة سبع عشرة ورجع سنة احدى وعشرين بعد ان وصل الى أبواب السلطنة وأراد ان يولوه شرافة مكة فما كان له في ذلك نصيب ولما وصل مابين الحرمين لم يطب له دخول مكة مدة شرافة عمه لكونه تكلم فيه عند السلطنة فتوجه الى الدرعية واتجه بأميرها سعود وأعطاه على الدخول في دينه المواثيق والعهود رجاء ان يوليه شرافة مكة فلم يفعل ذلك سعود فطلب منه امارة الطائف حين ايس من امارة مكة فلم يعطه أيضا فطالت اقامته هنالك وضاق به الحال واشتاق الى الوطن فطلب الاذن في الرجوع فلم يأذن له الا الى السويرقية فرجع اليها كأنه محبوس فمكث ثلاث سنين وصار يكاتب سعودا ويستأذنه في الرجوع الى مكة فاذن له بعد مضي ثلاث سنين فلما أقبل على مكة وكان بين الجالية وأبي الدود أرسل لعمه كتابا يستأذنه في الدخول فلم يأذن له فتوسط بعض السادة الاشراف بينه وبين عمه وكفلوا لعمه ما يخشى منه من الفساد ومضى على ذلك ثلاثة أيام فلما سمع عثمان المضايفي بكل ما كان وكان قد بلغه أنه طلب امارة الطائف وتكلم فيه عند سعود أرسل جماعة من عدوان وأمرهم بالقبض على عبد الله بن سرور من أي مكان كان فوجدوه في ذلك الموضع فقبضوا عليه ونقلوه محمولا اليه فلما مثل بين يديه أمر بالسجن عليه ومعه جماعة من الاشراف قيل انه مكث في السجن ستة أشهر ثم أطلقه ثم ان الشريف عبد الله بن سرور مكث بعد ذلك في الجبال أكثر المدة والسنين وهو موضع قريب من الطائف ولما جاء محمد علي باشا وقبض على مولانا الشريف غالب وولي مولانا الشريف يحيى بن سرور شرافة مكة كان اخوه الشريف عبد الله بن سرور غائبا بالجبال وكان أكبر من أخيه الشريف يحيى فكان يؤمل ان شرافة مكة تكون له

عقد باب مدرسته الذي الى جهة المسعى في غاية الصناعة بثلاثة أدوار افتخر بصنعها مهندس عصره على مهندسي زمانه وبني نظيرها منارة أخرى على عقد باب مسجد الخيف بمنى في حدود سنة ٩٠٠ والسابعة منارة السلطان الأعظم المغفور له الاقدس السلطان سليمان تغمده الله بالرحمة والرضوان أمر ببنائها في احدى مدارسه الشريفة فيما بين باب السلام وباب الزيادة وهي منارة في غاية العلو والارتفاع مشرفة على البقاع مبنية بالحجر الشميسي الاصفر مسبوكة بسبك الذهب الأحمر لها ثلاث دوائر مرفوعة وأساسات محكمة موضوعة رأسها على أسلوب بلاد الروم تكاد تلازم معارج النجوم وتغوص في الأرض الى مدارج التخوم بناها المرحوم قاسم أمين العمارة السلطانية السليمانية وسنجق جدة المعمورة فرغ من بنائها في اثنا سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة رحمه الله وهذه هي المنائر السبعة التي هي حول المسجد الحرام الآن عليها عمل المؤذنين في الاوقات الخمس وفي رمضان وغيره وكانت على المسجد منائر أخر ذكرها أصحاب التاريخ • منها على باب ابراهيم منارة شبه صومعة هدمها بعض أمراء مكة المشرفة لاشرافها على داره ذكرها التقي الفاسي رحمه الله تعالى ومنها منارة ذكرها ابن جبير على باب الصفا قال وهي أصغرها

مع كثرة طلبه لها ومحاولته عليها فلما تولاها أخوه الشريف يحيى ضاق ذرعه ونزل الى مكة وكان أخوه الشريف يحيى يعظمه ويجله كثيرا فلم تطب نفسه بذلك بل كان يحقر أخاه ويسفه عليه جهارا في وجهه فشكاه للوزير محمد علي باشا فقبض عليه وأرسله الى مصر محبوسا فمكث فيها مدة ثم أطلق بشفاعة أخيه الشريف يحيى وقيل بل خرج هاربا بالخفية فرجع الى مكة ثم انتقل الى الجال وأقام به الى ان توفي سنة تسع وثلاثين بالجال فنقل منه الى مكة ودفن بها فانظر الى تقدير الله تعالى حيث لم يجعل له نصيبا في تولية شرافة مكة وما نفعه كثرة جده واجتهاده في ذلك فانه حارب عمه الشريف غالبا في أول مدة ولايته ثم توجه الى أبواب السلطنة فلم يصادف قبولا ثم الى الدرعية فلم ينل مارام بل اعقبه ذلك الحبس والاهانة فعلى العاقل أن يستسلم لقضاء الله وقدره ويرضى بقسمته فان قدر له شئ يهئ الاسباب لذلك الشئ حتى يكون ولما رجع عثمان المضايفي الى الدرعية ولم يحصل له من الطعن في مولانا الشريف طائل أمر العربان بقطع الطرق مشاققة لمولانا الشريف وكان عثمان أعطاه سعود امارة العربان فغلت الاسعار بمكة ووقع للناس شدة وصار الناس كالمحصورين بمكة لقطع الطرق فارسل مولانا الشريف الى سعود وعرفه بما هو حاصل لجيران الله تعالى وعرفه الاسباب الموجبة لذلك فارسل سعود لعثمان ومنعه مما كان ففرج الله على الناس تلك الشدة وكانت مدتها قليلة بالنسبة لما قاسوه من الحصر الذي كان في سنة عشرين قيل ان مدة الشدة هذه الاخيرة كانت ثمانية أيام فزالت ولله الحمد بهمة مولانا الشريف ثم ان مولانا الشريف غالبا في جميع السنين التي كان فيها تغلب الوهابي على مكة كان يصانعهم ويهاديهم بالاموال الجزيلة بحيث كانت هداياه تصل الى أكثر امرائهم وعلمائهم وأعوانهم يفعل ذلك مدافعة عن نفسه وحماية لبقاء ملكه ووقاية لاهل مكة أن ينالهم من أحد الوهابية مكروه ومع ذلك كان يكاتب الدولة العلية سرا ويحثهم على تعجيل تجهيز عساكرهم لانقاذ الحرمين من الوهابية واستمر الحال الى ان انقضت المدة التي قدر الله استيلاءهم على الحرمين فيها وكان سعود وكثير من امرائهم يأتون في كل سنة الى الحج بجنود كثيرة فيكرمهم مولانا الشريف ويهئ لهم الضيافات الكثيرة وفي سنة عشرين لما جاء الحج الشامي والمصري الى مكة قال الامير سعود لامراء الحجين ماهذه العويدات التي تأتون بها وتعظمونها بينكم يعني المحمل الشامي والمحمل المصري فقالوا له قد جرت العادة من قديم الزمان باتخاذ المحملين يجعلونهما علامة واشارة لاجتماع الحجاج فقال لا تفعلوا ذلك ولا تأتوا بهما بعد هذا العام وان أتيتم بهما فاني أكسرهما وكذا شرط عليهما ان لا يصحبوا معهم شيأ من الطبل والزمر

﴿ذكر رجوع الحج الشامي من الطريق من غير حج سنة ١٢٢١﴾

وفي سنة احدى وعشرين كان أمير الحاج الشامي عبدالله باشا فلما وصل هدية جاءته مكاتيب من الوهابي لا تأت الا على الشرط الذي شرطناه عليك في العام الماضي فلما قرأ تلك المكاتيب رجعوا من هدية من غير حج

﴿ذكر أمر سعود باحراق المحمل المصري سنة ١٢٢١﴾

وأما المحمل المصري فانه لما وصل أمر سعود باحراقه وأمر بعد الحج أن ينادى لا يأتي الى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن وتلا المنادي في المناداة يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فانقطع مجئ الحج الشامي والمصري من هذا العام

﴿ذكر أخذ الوهابي ما في الحجرة الشريفة سنة ١٢٢١﴾

وفي سنة احدى وعشرين أيضا أخذ الوهابي كل ما كان في الحجرة النبوية من الاموال والجواهر وطرد قاضي مكة وقاضي المدينة الواصلين لمباشرة القضاء سنة احدى وعشرين وأقاموا الشيخ

وهي علم لباب الصفا ولا يصعد عليها لضيقها انتهى • ومنها منارة على الميل الذي يهرول عنده من يسعى بين الصفا والمروة ذكرها الفاكهي وهذه المنائر الثلاث كانت على المسجد الحرام وهدمت ولا يعلم من بناها ولا متى هدمت وبعلو مكة منارة على مسجد يقال له مسجد الراية على يسار النازل من المعلاة بقرب بئر عدي بن مطعم ابن نوفل يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم ركز رايته يوم فتح مكة فيه وهي منارة عتيقة ذهب رأسها وكان لها دوران لا أعلم من بناها يؤذن فيها بعض أهل الخير في مغرب شهر رمضان ويعلق قنديلا لاعلام أهل ذلك المكان بدخول المغرب للافطار في رمضان ويسحر عليها آخر الليل ويطفئ قنديلها بعد السحور اعلاما بدخول أول الفجر ليمتنع الصائمون من الاكل والشرب وهو باق الى الآن وذكر التقي الفاسي رحمه الله تعالى ان المنائر بمكة على غير المسجد الحرام كانت كثيرة في الشعاب والحلات وكان المؤذنون يؤذنون عليها للصلوات وكانت لهم أرزاق تجري عليهم وأول من جدد تلك المنائر على رؤس الجبال وفجاج مكة وشعابها هارون الرشيد وأجرى على المؤذنين بها أرزاقا وكان لعبد الله بن مالك الخزاعي على جبل أبي قبيس منارة وعلى القلة منارة ومنارة مشرفة على أجياد ومنارة الى جنبها ولعبد الله بن مالك منارة تشرف

عبد الحفيظ العجيمي من علماء مكة لمباشرة القضاء بمكة وأقاموا القضاء المدينة بعض علماء المدينة ومنعوا الناس من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم

## ﴿ذكر صدور الامر من السلطان سليم لمحمد علي باشا بالتجهيز سنة ١٢٢٢﴾

وفي سنة اثنتين وعشرين صدر الامر من مولانا السلطان سليم لمحمد علي باشا صاحب مصر ان يجهز الجيوش والعساكر لقتال الوهابي واخراجه من الحرمين الشريفين وكان محمد علي باشا قد تولى مصر سنة عشرين ووقع بينه وبين الصناجق المماليك الذين كانوا متغلبين على مصر محاربات ووقائع كثيرة والى هذا الوقت لم يصف له ملك مصر بل كان في ارتباك كثير فلم يتيسر له ارسال الجيوش لقتال الوهابي بالحجاز وكانت تتكرر عليه الاوامر السلطانية بتعجيل التجهيز فما تيسر له ذلك الا في أوائل سنة ست وعشرين فجهز جيشا عظيما وجعل سارى عسكره ابنه طوسون باشا وجعل معه من العلماء الشيخ المهدي والسيد أحمد الطحطاوي محشي الدر المختار ورئيس التجار السيد محمد المحروقي

## ﴿ذكر وصول الجيش الى ينبع وقتاله مع الوهابي سنة ١٢٢٦﴾

فتوجهوا من مصر في رمضان سنة ست وعشرين ومائتين وألف فملكوا ينبع وما بعدها بسهولة الى ان وصلوا الصفراء وكان قد اجتمع فيها وفي جبالها ونواحيها كثير من قبائل العرب وأمرائهم وجاء عثمان المضايفي من الطائف ومعه قبائل كثيرة فوقع بينهم وبين العساكر المصرية في ثالث عشر ذي القعدة من السنة المذكورة قتال شديد بين تلك الجبال فانهزم طوسون باشا ومن معه من العساكر وقتل كثير منهم واستولى العرب على أموالهم وذخائرهم وأكثر ما كان معهم وفرت العساكر هاربة في كل ناحية ورجع من سلم منهم الى مصر وكذا المشايخ الذين كانوا مع ذلك الجيش وتأخر طوسون باشا بالقصير ينتظر الاذن من والده محمد علي باشا ثم في شهر المحرم افتتاح سنة سبع وعشرين شرع محمد علي باشا في تجهيز جيش آخر فبعث بعض العساكر من طريق البحر وجعل عليهم خزنداره المسمى بونابرته وأمره ان يكون هو وابنه طوسون باشا في ينبع لمحافظتها وجهز في شهر صفر عساكر غيرهم لتسير من طريق البر وجعل عليهم صالح آغا السلحدار وجعله سارى عسكر العساكر المتوجهة من طريق البر ثم صار يوالي ارسال العساكر في دفعات برا وبحرا فلما اجتمع كثير من عساكر البر والبحر في ينبع ومعهم صناديق من الاموال أخذوا في تألف العربان واستمالتهم ببذل المال وكان ذلك بعد مكاتبتهم مع شريف مكة مولانا الشريف غالب فكانوا يكاتبونه ويكاتبهم سرا فكانوا يعملون بتدبيره وبما يعتمد عليه فكان ذلك سبب اقبال مشايخ العربان عليهم وأرسلوا الى شيخ مشايخ حرب كافة فحضر فاكرموه وخلعوا عليه وعلى من حضر معه من أكابر العربان فالبسوهم الفراوي السمور والشالات القشميري ففرقوا عليهم من الشالات ملء أربع سحاحير وصبوا عليهم الاموال وأعطوا شيخ مشايخ حرب مائة ألف ريال فرانسة عينا ففرقها على المشايخ وخصه هو بمفرده من ذلك بثمانية عشر ألف ريال ثم رتبوا لهم علائق ونقودا تصرف لهم كل شهر فعند ذلك ملكوهم الارض وصاروا يسعون في خدمتهم وتقدمهم الى ان أدخلوهم المدينة المنورة في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة وأخرجوا من كان فيها من الوهابية وقبضوا على ابن مضيان الذي كان متأمرا في المدينة وجاء الامير سعود في هذا العام الى الحج ولم يطلع على مكاتبات الشريف غالب للعساكر المصرية فلما تم الحج رجع الى بلاده بسرعة فكاتب الشريف غالب العساكر الذين في ينبع فسار بعض العساكر من ينبع الى جدة من طريق البحر فلما وصلوا جدة في أوائل المحرم من سنة ثمان وعشرين أدخلوهم وكان بمكة جماعة من الوهابية جعلوهم عسكرا في القلعة يسمونهم المهاجرين فلما بلغهم وصول بعض العساكر الى جدة هربوا من القلعة في الليل وأصبحت القلعة

على الجزرة ومنارة في شعب عامر وعلى جبل نفاحة وجبل الاعرج وعلى الجبل الاحمر ومنائر كثير عددها ورأيت في تعليقه انها كانت خمسين منارة في شعاب مكة ثم قال التقي وقد ترك الأذان على جميع هذه المنائر وما بقي شيء منها والله أعلم

﴿خاتمة في ذكر المواضع المباركة والاماكن المأثورة بمكة المشرفة﴾

فمنها المواضع التي نص العلماء رحمهم الله تعالى ان الدعاء فيها مستجاب وذكر الحسن البصري رضي الله عنه خمسة عشر موضعا يستجاب الدعاء فيها وعددها وزاد غيره مواضع أخر فبلغت ثلاثة وخمسين موضعا وذكر منها مواضع غير معروفة الآن فاقتصرنا على المعروف منها وهي مكان الطواف جميعه وعند الملتزم وقد جربته مرارا وتحت ميزاب الرحمة وداخل الكعبة وعند زمزم خلف المقام وعلى الصفا وعلى المروة وفي المسعى وفي عرفات وفي المزدلفة وفي منى وعند الجمرات وعدتها ثلاثة مواضع غير ان علماءنا ذكروا أن الحاج يقف للدعاء بعد الرمي عند الجمرة الاولى وعند الجمرة الثانية ولا يقف بعد الرمي عند الجمرة الثالثة وهي جمرة العقبة ويظهر من كلامهم ان الوقوف للدعاء بعد جمرة العقبة غير مأثور لانه لا يدعى هنالك فقد ذكر الحسن البصري ان الدعاء عندها مستجاب كالجمرتين الاوليين

ومكة خاليتين منهم ثم توجه بعض العسكر من جدة ودخلوا مكة فقابلهم شريف مكة وأكرمهم فلما بلغ خبرهم الوهابية الذين بالطائف ألقى الله الرعب في قلوبهم وهربوا من الطائف هم وأميرهم عثمان المضايفي ولما جاءت البشائر الى مصر باستيلاء العساكر على المدينة وجدة ومكة والطائف ضربت المدافع الكثيرة لذلك وأمر الباشا بالزينة خمسة أيام في الاقطار المصرية في شهر صفر سنة ثمان وعشرين وأرسل محمد علي باشا مبشرا لدار السلطنة يبشرهم بفتح الحرمين وكان يسمى لطيفا أفندي ولما وصل الى قرب اسلامبول خرج لملاقاته أعيان رجال الدولة وعند دخوله جعلوا له موكبا عظيما مشى فيه أعيان رجال الدولة وصحبته عدة مفاتيح قالوا انها مفاتيح المدينة ومكة وجدة والطائف ووضعوها على صفائح الذهب والفضة وأمامها البخورات في مجامر الذهب والفضة والعطر والطيب وخلفهم الطبول والزمور وضربوا لذلك مدافع كثيرة وعملوا شنكا وأنعم السلطان على لطيف أفندي وأعطاه خلعا وأنعم عليه بطوخين وجعله باشا وأهداه كثير من رجال الدولة وأنعمت الدولة على محمد علي باشا بخلع وأطواق وخنجرين مجوهرين وسيف مجوهر وعدة أطواخ بولايات الباشوية لمن يريده ويختاره وسأل مولانا الشريف غالب مفتي مكة الشيخ عبد الملك القلعي وقال له هل جعلتم تاريخا لانتهاء مدة الوهابي فأجابه بقوله (قطع دابر الخوارج) فكان ذلك تاريخا فعد ذلك من بدائع المفتي عبد الملك ولا يدري هل كان مهيئا ذلك قبل ان يسأله أو أنه استحضر ذلك حالا وعلى كل حال فهو من بدائعه فانه كان عالما متفننا متضلعا من العلوم رحمه الله تعالى ثم بعد استقرار كثير من العساكر بمكة والطائف شنوا الغارات على طوائف الوهابية الذين كانوا قريبا من الطائف وخرج الشريف غالب بنفسه مع العساكر وتلك الوقائع يطول الكلام بذكرها الى ان قتلوا كثيرا منهم وفرقوا جموعهم وقبضوا على كثير من امرائهم ومنهم عثمان المضايفي ولما قبضوا عليه سلموه لشريف مكة مولانا الشريف غالب فوضعه في الحديد وحبسه ثم أرسله الى جدة ليوجهوه الى مصر وجاءت البشائر لمحمد علي باشا في مصر بالقبض على عثمان المضايفي في شهر شوال سنة ثمان وعشرين وكان محمد علي باشا قد تهيأ الى التوجه الى الحجاز بنفسه فجاءته البشائر بالقبض على المذكور وقبل توجهه ثم توجه في الرابع عشر من شوال من السنة المذكورة ووصل الى جدة في أواخر شوال ونزل مولانا الشريف غالب الى جدة لمقابلته وكان عثمان المضايفي قد بعثوا به الى مصر ومعه ابن مضيان قبل وصول محمد علي باشا الى جدة فلم يلتق به ووصل عثمان المضايفي الى مصر في منتصف ذي القعدة فأركبوه على هجين وأدخلوه في آلاي ليراه الناس ثم أرسلوه الى دار السلطنة ومعه ابن مضيان فطافوا بهما في اسلامبول ثم قتلوهما ولما كان عثمان المضايفي في مصر اجتمع به بعض رجال دولة محمد علي باشا وحادثوه ساعة فرأوه فصيحا يجيبهم بجنس كلامهم بأحسن خطاب وأفصح جواب وفيه سكون وتؤدة في الخطاب وعليه آثار الامارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال بعضهم لبعض يا أسفا على مثل هذا اذا ذهب الى دار السلطنة يقتلونه ولم يزل يتحدث معهم الى أن حضر الطعام فواكلهم وأقام عندهم ثلاثة أيام ثم وجهوا به الى دار السلطنة مع المحافظة عليه ولما وصل محمد علي باشا الى جدة جاءته رسل من الامير سعود يطلبون الافراج عن عثمان المضايفي ويفتديه سعود بمائة ألف ريال وقالوا ان الامير سعود يريد اجراء الصلح بينكم وبينه والكف عن القتال فتقابل هؤلاء الرسل أولا مع الشريف غالب وطوسون باشا وأخبروهما بما جاؤا لاجله ثم أوصلوهم الى مقابلة محمد علي باشا فلما بلغوه رسالتهم بالمكالمة مشافهة وفهم مطلبهم فقال لهم أما عثمان المضايفي فقد توجه الى أبواب السلطنة وأما الصلح فلا نمتنع منه لكن بشروط منها ان يدفع لنا كل ما صرفناه على العساكر من ابتداء الامر الى وقت تاريخه وان يأتي بكل ما أخذه من الجواهر والاموال التي كانت بالحجرة الشريفة

* وعد أبو سهل النيسابوري من المواضع التي يستجاب فيها الدعاء باب النبي صلى الله عليه وسلم ويقال له باب الحرير وباب القفص وعد منها باب الصفا وباب السلام وعد القاضي مجد الدين الفيروزابادي في كتابه الوصل والمنى في فضل منى مواضع أخر يستجاب الدعاء فيها نقلا عن النقاش المفسر في منسكه فقال يستجاب الدعاء في ثبير وفي مسجد الكبش وزاد غيره فقال وفي مسجد الخيف وزاد آخر وفي مسجد النحر وهو موجود الآن يعني غير انه داثر عمره الله من عمره نحر فيه النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ثلاثا وثلاثين بدنة وأمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يكمل نحر تتمة مائة بدنة عنه وهو موضع مأثور مشهور وزاد الحافظ ابن الجوزي وفي مسجد الخيف على يمين الذاهب الى عرفات في هذا الغار تجويف في سقفه تزعم العامة انه لان لرأس النبي صلى الله عليه وسلم فأثر فيه تجويفا فيضع الزائر رأسه فيه تيمنا وتبركا بموضع رأس النبي صلى الله عليه وسلم ولم أقف على خبر أعتمده في ذلك الآن الاثر وارد بنزول سورة والمرسلات * قال النقاش ويستجاب الدعاء في دار خديجة رضي الله عنها أم المؤمنين وهي معروفة بمكة وتعرف بمولد السيدة فاطمة رضي الله عنها لانها ولدت فيها هي وجميع اولاد خديجة رضي الله عنها من النبي

وكذلك

وكذلك ثمن ما استهلك منها وان يأتي بنفسه ويتلاقى معي وأتعاهد معه ويتم صلحنا بعد ذلك وان أبى ذلك ولم يأت فنحن ذاهبون اليه فقالوا له اكتب له جوابا فقال لا أكتب جوابا لانه لم يرسل معكم جوابا ولا كتابا وكما أرسلكم بمجرد الكلام فعودوا له كذلك فلما أصبح الصباح أمر باجتماع العساكر فاجتمعوا ونصب ديوانا وأجروا فيه تعليما على صورة الحرب وتابعوا الرمي بالبنادق والمدافع ليشاهد الرسل ذلك ويخبروا به مرسلهم ولما وصل محمد على باشا مكة احتفل به مولانا الشريف غالب غاية الاحتفال وبالغ في ضيافته واكرامه مع التحذر منه غاية التحذر وأنزله في الشامية في بيت القطرسي المعروف الآن ببيت باناعمة وأنزل ولده طوسون باشا في الشامية أيضا في بيت السقاط المقابل لبيت السيد علي نائب الحرم الآن وكان محمد على باشا يعظم الشريف غالبا غاية التعظيم ويقبل يده ودخل معه الكعبة وتعاهد معه وكان محمد على باشا اذا ذهب اليه يذهب في قلة من العسكر والاتباع ومن تحذر الشريف غالب منه انه حسن له ان العساكر الواردة ينبغي أنها اذا وصلت جدة من البحر تتوجه الى الطائف من جدة ولا تدخل مكة لئلا يحصل للناس ضيق في الماء لكثرة الحجاج الواردين في ذلك العام فوافقه محمد على باشا على ذلك فكانت العساكر تتوجه من جدة الى الطائف ولا تدخل مكة ولم يكن في مكة الا العساكر الذين مع محمد على باشا ومع ولده طوسون باشا بقدر الحاجة وكان عند الشريف غالب عساكر موظفون من أهل اليمن أربعمائة ومثلهم من الحضارمة ومثلهم من يافع ومثلهم من المغاربة ومثلهم من السلمانية الجميع نحو الالفين مفرقين قلقات في اطراف مكة لاجل محافظة الاطراف وكان عنده من العبيد نحو الألف لمحافظة القلاع ولا يغني حذر عن قدر وكان محمد على باشا مأمورا من السلطنة بالقبض على الشريف غالب وارساله الى دار السلطنة فصار متحيرا في كيفية الوصول الى ذلك المطلب مع تحفظ مولانا الشريف هذا التحفظ ومع المعاهدة التي صارت بينهما فاستحسن ان يكون القبض عليه بمباشرة ابنه طوسون باشا لا بمباشرته وفاء بالعهد على زعمه فاظهر ان بينه وبين ابنه منافرة لسبب من الاسباب فتوجه ابنه الى جدة مظهرا انه مغاضب لوالده وأشيع ذلك بين الناس ثم كتب من جدة لحضرة مولانا الشريف أن يتوسط بالصلح بينه وبين والده وان يشفع له عند والده في حصول الرضا ففعل ذلك حضرة الشريف فقبل محمد على باشا شفاعته فكتب حضرة الشريف لطوسون باشا بحصول قبول الشفاعة وطلب منه الحضور الى مكة ليجمع بينه وبين والده ليتم الصلح بينهما فتوجه الى مكة فلما وصل ذهب مولانا الشريف اليه في بيته للسلام عليه وليأخذه معه ويجمع بينه وبين والده ليتم الصلح بينهما وكان طوسون باشا قد عزم على القبض على الشريف اذا جاء اليه في ذلك اليوم باشارة من والده وكان ذلك بتدبير الشيخ أحمد تركي فلما وصل حضرة مولانا الشريف الى بيت طوسون باشا وجد أكثر عساكر محمد على باشا مجتمعة مع عساكر ابنه طوسون باشا فلم ينكر ذلك لكون ذلك اليوم كان وصول طوسون باشا فظن انهم جاؤا للسلام عليه وكان مولانا الشريف في قلة من الخدم والاتباع فلما دخل الديوان عند طوسون باشا تفرق خدمه وأتباعه في الدهاليز يتحدثون مع أتباع طوسون باشا ولما اقبل حضرة مولانا الشريف على الديوان خرج طوسون باشا لمقابلته وقبل يده وعظمه غاية التعظيم ودخل معه الديوان وجلسا يتحدثان ومنعا الناس من الدخول عليهما على عادة الامراء اذا اجتمعوا مع بعضهم وبعد قليل دخل عليهم من كبار العسكر عابدين بيك فدنا من حضرة الشريف وقبل يده وقبض على الجنبية التي تحزم بها مولانا الشريف ليأخذها من وسطه وقال له أنت مطلوب للدولة العلية فنظر مولانا الشريف فلم يجد عنده أحدا من أتباعه وباب الديوان مغلق بحيث لا يعلم من هو خارجه من العسكر وغيرهم ماهو حاصل داخله فلم ير مولانا الشريف الا الامتثال فقال له سمعا وطاعة ولكن أقضي أشغالي في ظرف ثلاثة أيام ثم أتوجه فقال لا سبيل الى ذلك فامتثل ماقالوه

صلى الله عليه وسلم ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم ساكنا فيها الى أن هاجر الى المدينة فأخذها عقيل بن أبي طالب ثم اشتراها منه معاوية بن أبي سفيان فجعلها مسجدا يصلى فيه كذا ذكره الازرقي وعمر هذا المحل الشريف في زمان الناصر العباسي وفي زمان الاشرف شعبان صاحب مصر وعمره أيضا الملك المظفر الغساني صاحب اليمن وكان المرحوم المقدس السلطان سليمان خان سقى الله تعالى عهده صوب الرحمة والرضوان أمر بتعمير هذا الجانب الشريف فعمر قبة ومسجدا يصلى فيه ويزار يجتمع فيه الفقراء للذكر كل جمعة بعد الصلاة الى العصر وكل ليلة ثلاثاء من العشاء الى الصبح يذكرون الله تعالى وكان عمارتها في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة * قال ويستجاب الدعاء في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهو موضع مشهور يزار الى الآن وفي خلفه مسجد يصلى فيه ويكون في كل ليلة اثنين فيه جمعية يذكرون الله تعالى ويزار في الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الاول في كل عام فيجتمع الفقهاء والاعيان على نظام المسجد الحرام والقضاة الاربعة بمكة المشرفة بعد صلاة المغرب بالشموع الكثيرة والمفرغات والفوانيس والمشاعل وجميع المشايخ مع طوائفهم بالاعلام الكثيرة ويخرجون من المسجد الى سوق الليل ويمشون فيه الى محل المولد الشريف بازدحام

فأدخلوه في مخلوان الديوان وكان مهيأ مفروشا ولا يعلم أحد من العسكر وغيرهم ممن هو خارج الديوان بما صار في داخله وكان ذلك في أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة أعني سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف ومكة ممتلئة من الحجاج والاسواق قائمة بالبيع والشراء ولم يشعر أحد بذلك بل كان الناس يخوضون ويتحدثون في قدوم طوسون باشا من جدة لاتمام الصلح بينه وبين والده وفي وصول حضرة مولانا الشريف اليه للسلام عليه والذهاب به الى والده لاتمام الصلح بينهما ولم يخطر على قلب أحد شيء مما حصل ثم ان طوسون باشا كتب ورقة صغيرة وارسلها الى والده يخبره بما فعل وينتظر بقية التدبير منه وكان الشيخ أحمد تركي عند محمد علي باشا حين مجيء الورقة اليه فتشاور معه فيما يفعلونه بعد ذلك فقال له الشيخ أحمد تركي ان الشريف غالبا له أولاد ثلاثة كبار فيخشى أن يحدثوا فتنة اذا علموا بالقبض على والدهم والقلاع بايدي عبيدهم وعندهم كثير من العساكر الموظفة وهم تحت طوعهم فلابد من الاحتيال على أولاده حتى نقبض عليهم قبل ان يعلموا بالقبض على والدهم ثم ذهب الشيخ أحمد تركي الى مولانا الشريف غالب فدخل عليه وقبل يده وقال له ان أفندينا يسلم عليكم ويقول لاتهتموا ولا يكون لكم فكرة في شيء والقصد ان تقابلوا مولانا السلطان وترجعوا الى ملككم في أقرب زمن ويكون في مدة غيبتكم أحد أولادكم نائبا عنكم في مكة وقائما مقامكم فاذا طلبتموهم يحضرون عندكم وأخبرتموهم بحقيقة الامر لاجل أن يطمئنوا ولا يحصل لهم تشويش فصدق مقالته وأمر بكتابة ورقة لاولاده ليحضروا عنده وختمها وارسلها اليهم ولم يعلم أحد ممن هو خارج الدار بما هو حاصل باطنها فلما وصلت الورقة لاولاده الثلاثة الكبار حضروا فلما دخلوا دار طوسون باشا ادخلوهم في موضع لائق بهم قبل ان يصلوا لوالدهم ويجتمعوا به وأرسل طوسون باشا لوالده يخبره بذلك فتشاور محمد علي باشا مع الشيخ أحمد تركي فيمن يوجهون له امارة مكة قبل شيوع الخبر عند الناس ليحصل الامن والاطمئنان فصار الاستحسان ان تكون الامارة للشريف يحيى بن سرور بن مساعد وهو ابن أخي الشريف غالب بن مساعد فارسلوا من أحضره فالبسه محمد علي باشا فروا سمورا وشالا ثمينا وأحضر له صندوقا من المال وأركبوه على فرس مزين بالرخت ومشت القواسة بين يديه الى أن أوصلوه الى داره التي تجاه باب الصفا فحينئذ علم الناس بحقيقة الحال وارتجت البلد وعزلت الاسواق خوفا من حصول فتنة ولم يقع شيء من تلك الفتنة التي خافوا وقوعها وضربت النوبة عند دار الشريف يحيى وجاءت الاشراف ووجوه الناس للسلام عليه والتهنئة له وسكن اضطراب الناس هذه الرواية هي الصحيحة وقيل ان أولاده قبل القبض عليهم علموا بالقبض على أبيهم فارادوا احداث فتنة فارسل اليهم محمد علي باشا يقول لهم ان وقع منكم حرب أحرقت البلاد وقتلت استاذكم ثم أرسل اليهم الشريف غالب وكفهم عن ذلك وجاءهم الشيخ أحمد تركي وقال لهم لم يكن هنا بأس واعلموا ان والدكم مطلوب في مشاورة مع الدولة ويعود بالسلامة وحضرة الباشا يريد ان يقلد كبيركم النيابة عن أبيه الى حين رجوعه ولم يزل بهم حتى انخدع كبيرهم لكلامه وقاموا معه فذهب بهم الى بيت طوسون باشا وجعلوا في موضع غير الموضع الذي فيه والدهم متحفظا عليهم فلما كان الليل أركبوهم مع العسكر وتوجهوا بالجميع الى جدة وقيل كان ارسالهم الى جدة بعد القبض عليهم بثلاثة أيام وبعد القبض على الشريف غالب نهبت العساكر داره التي بجياد وأخذوا منها أموالا كثيرة وأخرجوا أهله منها بصورة شنيعة ثم بعد وصول الشريف غالب وأولاده الى جدة أركبوهم البحر وسيروهم على طريق القصير الى ان وصلوا الى مصر في شهر المحرم في سابع عشرة من سنة تسع وعشرين فضرب بواعدة مدافع اعلاما بوصوله واكرامه وقابله كبار رجال محمد علي باشا وقبلوا يده وعظموه وأنزلوه في منزل لائق به وأحضروا له مايليق به من الاطعمة ولم يأذنوا لاحد من الاشياخ والتجار ان يأتوا للسلام عليه الا السيد

ويخطب فيه شخص ويدعو للسلطنة الشريفة ثم يعودون الى المسجد الحرام ويجلسون صفوفا في وسط المسجد من جهة الباب الشريف خلف مقام الشافعية ويقف رئيس زمزم بين يدي ناظر الحرم الشريف والقضاة ويدعو للسلطان ويلبسه الناظر خلعة ويلبس شيخ الفراشين خلعة ثم يؤذن للعشاء ويصلي الناس على عادتهم ثم يمشي الفقهاء مع ناظر الحرم الى الباب الذي يخرج منه من المسجد ثم يتفرقون وهذه من أعظم مواكب ناظر الحرم الشريف بمكة المشرفة ويأتي الناس من البدو والحضر وأهل جدة وسكان الاودية في تلك الليلة ويفرحون بها وكيف لا يفرح المؤمنون بليلة ظهر فيها أشرف الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم وكيف لا يجعلونها عيدا من أكبر أعيادهم غير أن بعض المتقشفين أنكر خصوص هذه الجمعية على هذا الوجه لزعم انه يجتمع فيه من الملاهي والغوغاء واجتماع الرجال والنساء وافضاء ذلك الى مالا يصح شرعا فيكون بدعة ولم يحك عن السلف شيء من ذلك والصواب أن هذه الجمعية ان حفظت عن ما ينكر فيها من الجمع بين الرجال والنساء ويقع فيها ما يتوهم من وقوع الملاهي فهي بدعة حسنة تتضمن من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر والدعاء والعبادة وقراءة القرآن وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم

البحر وفي قائه كان رئيس التجار وكان معدودا من رجال محمد علي باشا وكان عندهم بمصر اقامة فرح لزواج اسمعيل باشا ابن محمد علي باشا فاعدوا امكانا على حدته في بيت الشرايبي واحضروا فيه مولانا الشريف غالبا وأولاده ليتفرجوا على الملاعيب والبهلوانات نهارا والشنك والحراقات ليلا وعلى الشريف وأولاده الحرس ولا يجتمع بهم أحد على الصورة التي كانوا عليها بالمنزل الذي أنزلوا فيه أولا وصنعوا في ذلك الفرح أشياء يطول الكلام بذكرها ثم وصل في شهر صفر حريم للشريف غالب فعينوا له دارا يسكنها مع حريمه فسكنها ومعه أولاده وعليهم الحرس المحافظون وتجري عليهم النفقات اللائقة بهم وفصل لهم كساوي من مقصبات وقشمير وتفاصيل هندية وفي التاسع عشر من ربيع الاول من السنة المذكورة حضر الى مصر الشريف عبد الله بن سرور وأرسله الباشا محمد علي منفيا من أرض الحجاز لاختلاف وقع بينه وبين أخيه الشريف يحيي قيل انه اذا جاء عند أخيه يتهاون به ويتعاظم عليه لكونه أكبر منه سنا ويخاطبه بغلظة وبكلمات فيها احتقار له فشكاه أخوه الشريف يحيي لمحمد علي باشا فقبض عليه ونفاه الى مصر فانزلوه في منزل ولم يجتمع بعمه الشريف غالب ثم اجتمع به وفي الحادي عشر من شهر رجب هرب الشريف عبد الله بن سرور في وقت الفجر ولم يشعر وا به الا بعد الظهر فلما بلغ كتخدا بيك الخبر تكدر لذلك وأرسل الى مشايخ الحارات وغيرهم وبث العربان في الجهات فظفروا به بعد ثلاثة أيام فمن ذلك الوقت ضيقوا عليه ومنعوه من الدخول والخروج بعد ان كان مطلق السراح يخرج من بيته الذي هو فيه ويذهب الى بيت عمه ويعود وحده فبعد هذا الهرب منعوه من الخروج وضيقوا عليه وعلى عمه أيضا وفي التاسع عشر من شعبان أنزلوا الشريف غالبا الى بولاق بحريمه وأولاده وعبيده وأعطوه خمسمائة كيس بدلا عما انتهب من أمواله بمكة بعد القبض عليه وكانت تلك الاموال كثيرة أكثر من خمسمائة كيس التي أعطوه اياها وزودوه وأعطوه سكرا وبنا وأرزا وشرابات وغير ذلك ليتوجه الى سلانيك حسبما صدر الامر بذلك من السلطنة السنية وفي شهر ذي القعدة جاءت مكاتيب من محمد علي باشا بارجاع الشريف عبد الله بن سرور الى الحجاز وكان ذلك بشفاعة أخيه الشريف يحيي فيه فوجهوه بعد ان أعطوه أكياسا فقضى أشغاله وخرج مسافرا ورجع الى الحجاز وأما مولانا الشريف غالب فأقام بسلانيك الى ان توفي سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف رحمه الله تعالى وكانت مدة امارته على مكة نحوا من سبع وعشرين سنة ولنرجع الى ذكر اتمام الكلام السابق فنقول قد تقدم ان الشيخ أحمد تركي كان يشاوره محمد علي باشا عند القبض على الشريف غالب وأولاده وسبب ذلك ان الشيخ أحمد تركي كان رجلا مطوفا وله دراية بأحوال الحجاز وكان ذا عقل ومعرفة وكان أولا من خدم الشريف غالب المختصين به وكان يعتمد عليه في مهمات أموره وكان يبعثه الى دار السلطنة في المدة السابقة عند الاحتياج الى قضاء أشغاله فلما قدم محمد علي باشا الى الحجاز جعله ملازما له فوجده محمد علي باشا ذا خبرة ودراية بالامور فأحبه وقربه وصار يستشيره في كثير من الامور ويعتمد على قوله ويعمل بما يشير به فيحصل النجاح بتدبيره ولما أراد الرجوع الى مصر أقام حسن باشا بمكة قائمقامه وأمره ان يستشير الشيخ أحمد تركي في مهماته وان يعتمد على ما يقوله له فكان الامر على ذلك فكان الحل والعقد بيد الشيخ أحمد تركي وله أخبار وحكايات مشهورة بين الناس تشهد بعقله ودرايته بحسن السياسة وبقي الى ان توفي سنة خمس وثلاثين وصار له صيت وشهرة بين الناس وتقدم ذكر ولاية مولانا الشريف يحيي امارة مكة وهو ابن أخي مولانا الشريف غالب لانه الشريف يحيي بن سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين ابن حسن بن أبي نمي وكانت ولايته في أواخر شهر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف بعد القبض على عمه مولانا الشريف غالب ولما ولاه محمد علي باشا امارة مكة رتب له المرتبات الكثيرة

الى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله صلى الله عليه وسلم للذي سأله عن صوم الاثنين ذاك يوم ولدت فيه فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذي هو فيه فينبغي أن يحترم غاية الاحترام ليشغله بالعبادة والصيام والقيام ويظهر السرور فيه بظهور سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام * وأما المبتدعات السيئة والمنكرات فهي محرمة في كل مقام والله ولي الاعتصام وقال بعض العلماء قد اجابة الدعاء في مولد النبي صلى الله عليه وسلم عند الزوال * وفي دار السيدة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أفضل المواضع بمكة بعد المسجد وذلك لسكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ولكثرة نزول الوحي عليه بها وفيها مولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها * ومنها دار الخيزران وهي بقرب الصفا كانت تسمى دار الارقم المخزومي ثم عرفت بدار الخيزران والمختبا هو أفضل المواضع بمكة بعد دار أم المؤمنين رضي الله عنها لكثرة مكث النبي صلى الله عليه وسلم فيه يدعو الناس للاسلام مستخفيا عن أشرار قريش الكفار ذكره التقي الفاسي في شفاء الغرام * وقد وقت بعض العلماء الدعاء فيها ما بين العشاءين والمختبا قبة تزاره وهو الموضع الذي كان صلى الله عليه وسلم يختبئ فيه من الكفار ويجتمع فيه من آمن به ويصلي بهم الاوقات الخمسة سرا الى أن

أسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فظهر  بالاسلام وبالصلاة وأعز الله الاسلام به * ودار الخيزران هي دور حول

من الدراهم والذخائر الا ان محمد علي باشا كان يعتمد في تدبير أمور الاشراف والعرب على الشريف شنبر بن مبارك المنعمي وكان ذلك بواسطة الشيخ أحمد تركي لانه كان بينه وبين الشريف شنبر المذكور محبة وصداقة فقربه وجعل تدبير أمور العرب بمعرفته وكان الشريف شنبر مشهورا بالعقل والديانة وحسن التدبير فصارت تلك الامور كلها بيده وكان ذلك سبب وقوع العداوة بينه وبين الشريف يحيى بن سرور الى أن قتله كما سيأتي وفي شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين جهز محمد علي باشا ابنه طوسون باشا وعابدين بيك بعساكر كثيرة ووجههم الى ناحية تربة وكان القائم بامارة تربة امرأة يقال لها غالية مشهورة بالشجاعة في القتال واجتمع عندها كثير من أمراء الوهابية وجنودهم فوقع بينهم وبين العساكر المتوجهة اليهم مع طوسون باشا قتال شديد ثمانية أيام ثم رجع العسكر منهزمين ولم يظفروا بطائل لان العربان لما وقع القبض على الشريف غالب نفرت طباعهم من محمد علي باشا وهاجر كثير من الاشراف وانضموا الى الاخصام وتفرقوا في النواحي ومنهم الشريف راجح بن عمرو الشنبري وكان مشهورا بالشجاعة فأتى من خلف العسكر وقت قيام الحرب وحاربهم ونهب الذخيرة والاحمال وقطع عنهم المدد وقلت الجمال عند محمد علي باشا وصار يشتريها من العربان المسالمين له بأغلى الاثمان ووقع غلاء شديد بمكة واحتكر الباشا الغلال الواصلة له من مصر لاحتياج العساكر وفي شهر ربيع الثاني من هذه السنة توفي سعود أمير الوهابية بالدرعية دار ملكه وتولى مكانه ابنه عبد الله وفي شهر ربيع الثاني أرسل محمد علي باشا عساكر كثيرة الى ناحية القنفذة برا وبحرا فاستولوا عليها وهرب من كان بها من الوهابية من قبائل عسير فلم يجدوا بها غير أهلها وكان كبير العساكر المذكورة محمود بيك فقتلوا من وجدوه بها وقطعوا آذانهم وأرسلوها الى الباشا فأرسلها الى مصر ثم منها الى اسلامبول فلما سمع قبائل عسير بذلك تجمع كثير منهم وكان كبيرهم يسمى طامي أبا نقطة وساروا الى القنفذة بعد مضي ثمانية أيام من دخول العساكر فيها وحاصروا العساكر وأحاطوا بالقنفذة ومنعوا العساكر من الماء فركبت العساكر وحاربوهم فانهزم العساكر وقتل كثير منهم وركب الباقون في سفينة فغضب الباشا فارسل نجدة فحاربهم العرب فرجع العسكر أيضا منهزمين وفي شهر جمادى الثانية توجه محمد علي باشا بنفسه الى الطائف لمحاربة الوهابية وأبقى حسنا باشا بمكة ومازالت العساكر تأتيه من مصر متوالية دفعة بعد دفعة وكذا الذخائر وخزائن الاموال وورد الى جدة في هذه السنة أموال كثيرة للتجار حتى بلغ قدر العشور التي أخذها الباشا أربعة وعشرين لكا فصار محمد علي باشا يرغب الناس ببذل الاموال وصالح الشريف راجحا الشنبري وكثيرا من الاشراف ومشايخ العربان الذين كانوا فارين منه قيل انه أعطى الشريف راجحا مائتي كيس ورتب له مرتبات كثيرة فصار من جملة جنوده ثم توجه الباشا من الطائف الى كلاخ ورتب كثيرا من العساكر ووجههم الى جهات متفرقة ووجه ابنه طوسون باشا الى المدينة المنورة ثم رجع الى مكة وجعل عابدين بيك مع العساكر ثم أرسل اليه أيضا حسن باشا وبقي محمد علي باشا بمكة الى ان حج سنة تسع وعشرين وبعد الحج توجه الى العساكر التي بالطائف وما فوقه في افتتاح سنة ثلاثين وسار بهم بنفسه ووقع بينه وبين الوهابية حروب كان النصر فيها له عليهم فملك تربة ورنية وبيشة وتوجه الى بلاد عسير وكان معه كثير من الاشراف من أعظمهم الشريف محمد بن عون والشريف راجح الشنبري وكان يستشيرهما في كثير من الامور ويعمل بتدبيرهما فوصل الى بلاد عسير بعد ان ملك ماقبلها ثم ملكها وقتل في محاربتها كثير من العرب وقبض على طامي كبير عسير وكان ذلك بتدبير الشريف راجح لم يزل ينصب الحبائل لطامي حتى قبض عليه فوضعه الباشا في الحديد ثم أرسله الى مكة ثم منها الى مصر ثم الى دار السلطنة فقتلوه بها قيل ان الشريف راجحا جعل مالا جزيلا لابن أخي طامي وطلب منه القبض على عمه

المختبأ ملكتها الخيزران أم الرشيد شراء ثم تجددت وتناقلت في يد الملاك الى أن صارت الآن من جملة أملاك سلطان سلاطين العالم خليفة الله على خليقته من بني آدم سلطان الروم والعرب والعجم الملك المظفر المنصور الاعظم * مراد خان الاكرم الافخم عمر الله بعدله الربع المسكون وأسعده في كل ما ظهر منه من الحركة والسكون ومنها في جبل ثور عند الظهر وجبل ثبير وحراء مطلقا ومنها المسجد البيعة وهو مسجد على يسار الذاهب الى منى بينه وبين العقبة التي هي حد منى مقدار غلوة سهم أو أكثر وهو مسجد منهدم فيه حجران مكتوب فيهما مايدل على ذلك في أحدهما أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله تعالى ببناء هذا المسجد مسجد البيعة التي كانت أول بيعة بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عقدها العباس ابن عبد المطلب وانه بني في سنة أربع وأربعين ومائة والمشار اليه أبو جعفر المنصور العباسي وعمره أيضا المستنصر العباسي كما في حجر آخر بناه في سنة تسع وعشرين وستمائة وتلك الاحجار ملقاة بذلك المسجد الخراب يخشى عليها الضياع فيندثر أثر هذا المسجد * وكان المرحوم ابراهيم دفتردار مصر سابقا أمين فصنع

فصنع له وليمة فأتاه آمنا فقبض عليه وأرسله الى الشريف راجح فسلمه للباشا ولما دخلوا به مصر أركبوه على هجين وفي رقبته الجنزير مربوطا في عنق الهجين وكان رجلا شهما عظيم اللحية وهو لابس عباءة ويقرأ القرآن وهو راكب لانه كان حافظا للقرآن وعملوا لدخوله شنكا وضربوا مدافع ثم أرسلوه الى دار السلطنة فطافوا به في البلاد ثم قتلوه ولم يزل محمد علي باشا يجول في بلاد العرب ويقهر الخصوم ويبذل الاموال ويرتب الامراء في كل موضع يستولي عليه الى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة أعني سنة ثلاثين ثم رجع الى مكة ورتب بها مرتبات ومعاشات لكثير من الاشراف وغيرهم وهي باقية الى الآن لاولادهم وجدد ترتيب دفاتر الجراية المرتبة لاهالي مكة وكانت انقطعت في مدة الوهابية ووجد محمد علي باشا ترتيب تلك الدفاتر غير واقع موقعه لان كثيرا من الناس التجار والاغنياء استولوا عليها بالفراغات وصار كل واحد بيده نحو مائة اردب والناس الفقراء ليس لهم شئ فابطل ذلك كله ورتبها ترتيبا جديدا وهي باقية الى الآن ثم توجه الى مصر وأقام بمكة حسن باشا الارنؤطي قبل توجهه الى مصر ووصل اليها في النصف من رجب وأبقى ابنه طوسون باشا مع العساكر بالحجاز وفي شهر شعبان انعقد صلح بين طوسون باشا وعبد الله بن سعود على ترك الحروب والقتال وانه يذعن بالطاعة وتحتقن الدماء وأرسل نحو العشرين من الوهابية لطوسون باشا العقد الصلح فارسل منهم الى مصر لمحمد علي باشا فلم يعجبه هذا الصلح ولم يرتض به ولم يحسن نزل الواصلين اليه واجتمع به اثنان منهم فخاطبهما وعاتبهما على المخالفة فاعتذرا بأن الامير سعود المتوفى كان فيه عناد وحدة مزاج وكان يريد الملك واقامة الدين وأما ابنه الامير عبد الله فانه لين الجانب والعريكة ويكره سفك الدماء على طريقة جده عبد العزيز فانه كان مسالما للدولة حتى ان الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة ولم يقع بينهما منازعة ولا مخالفة في شئ ولم يحصل التفاقم والخلاف الا في أيام الامير سعود ومعظم الامر للشريف غالب بخلاف الامير عبد الله فانه أحسن السيرة وترك الخلاف وآمن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين ونحو ذلك من العبارات والكلمات المستحسنات وانقضى المجلس وانصرفا الى المحل الذي أمر ابالنزول فيه ومعهما بعض أتراك ملازمون لصحبتهما مع اتباعهما في الركوب والذهاب والاياب فانه أطلق لهما الاذن الى أي محل أراداه فكانا يركبان ويمران في الشوارع باتباعهما ومن يصحبهما ويتفرجان على البلدة وأهلها ودخلا في الجامع الازهر في وقت لم يكن به أحد من المتصدرين للاقراء والتدريس ومكثا بمصر أياما ورجعا الى الحجاز واستمر طوسون باشا في الحجاز الى شهر ذي القعدة من السنة المذكورة ثم رجع الى مصر بأمر من أبيه فكان وصوله الى مصر في شهر ذي الحجة وضربوا لقدومه المدافع وزينت مصر وكان قد ولد له مولود في مدة غيبته سموه عباسا وهو الذي تولى مصر لما كبر بعد عمه ابراهيم باشا كما سيأتي ان شاء الله تعالى وتوفي طوسون باشا سنة احدى وثلاثين بطاعون وقع بمصر تلك السنة وعمره نحو عشرين سنة وبقي أمر محمد علي باشا نافذا بالحجاز وعساكره في كل ناحية ونائبه بمكة حسن باشا ومستشاره بها الشيخ أحمد تركي والشريف شنبر المنعمي ولم ينقطع ارسال العساكر من مصر الى الحجاز ثم أرسل محمد علي باشا ابنه ابراهيم باشا الى الحجاز في المحرم من سنة اثنتين وثلاثين لاستكمال محاربة الوهابية وللاستيلاء على الدرعية وهي دار الملك لعبد الله بن سعود واسلافه فتوجه ابراهيم باشا ومعه عساكر كثيرة زيادة على ما أرسل قبل ذلك من العساكر وأصحبه من صناديق الاموال ما لا يدخل تحت الحصر ولم يزل سائرا حتى وصل الى مكة ثم توجه بالعرضي الى الدرعية وتملك كل أرض وصل اليها بلا معارض ومعه كثير من العرب الذين دخلوا في الطاعة الى ان وصل الى محل يقال له الموتان في شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة فوقع بينه وبين الوهابية قتال شديد وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ منهم أسرى وخياما ومدفعين ولما وصلت البشائر الى مكة ضربوا

---

عرفات رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنته شرع في تجديد هذا المسجد وأسسه وبنى بعض طاقاته وجدرانه وتوفي الى رحمة الله تعالى قبل ان يتمه وما وفق أحد بعده الى الآن لاتمامه وهو من المساجد المأثورة النبوية وهو الذي بايع فيه النبي صلى الله عليه وسلم سبعون من الانصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فنادى ازب العقبة وهو شيطان ذلك المكان معاشر قريش ان الاوس والخزرج بايعوا محمدا على أن ينصروه فامسكت الأنصار بقوائم سيوفها وقالوا لنقاتلن الاسود والأحمر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفاهم الله تعالى ببركة نبيه صلى الله عليه وسلم شر ذلك الشيطان ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضي الله عنه الى المدينة لما أذن لهما في الهجرة وهذا مسجد شريف يستجاب الدعاء فيه رحم الله من يكون سببا في تجديده وعمارته • ومنها مسجد المتكا يستجاب فيه الدعاء يوم ٢ وأنكر الازرقي وجوده وقال القاضي أبو البقاء بن الضياء الحنفي في البحر العميق ان بأجياد الصغير موضعا يقال له المتكا وهو دكة مرتفعة عن الارض ملاصقة لدار بعض بني شيبة • قلت وهذه الدار درثت الآن ومابقي منها الا بعض أحجارها وطالما سألت كثيرا من الاعيان أن يعمروها ويعيدوها كما كانت فما وفق أحد

٢ بياض بالاصل

لذلك مدافع وكذا فعلوا في مصر لما جاءتهم البشائر ثم قصد ابراهيم باشا قرية تسمى الشقراء كان بها
عبد الله بن سعود فلما سمع بقرب ابراهيم باشا منه خرج هاربا الى الدرعية ليلا فجاء ابراهيم باشا
الشقرا وملكها وكان بينها وبين الدرعية يومان ثم تقدم الى ان حاصر الدرعية بعساكره ومن
كان معه من العرب واتفق في مدة الحصار ان ابراهيم باشا غاب مدة في جهة من نواحي الدرعية لامر
يبتغيه وترك عرضيه فاغتنم الوهابية غيبته وكبسوا على العرضي على حين غفلة وقتلوا من
العساكر جملة وافرة وأحرقوا الجبخانة فلما وصلت الاخبار الى مصر بذلك قوي اهتمام محمد علي باشا
وأرسل جملة من العساكر في دفعات ثلاث برا وبحرا يتلو بعضهم بعضا وصحبهم كثيرا من الجبخانة
والدراهم والذخائر ولم يزل ابراهيم باشا يغير على أطرافهم ويشدد الحصار عليهم ولما وصلت العساكر
المرسلة ازدادت قوته وقوي عزمه ووقع له معهم وقائع الى ان استولى على الدرعية وملكها في شهر
ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف وجاءت البشائر الى مكة فضربت المدافع ولما وصلت
البشائر الى مصر فرح محمد علي باشا بذلك وصار له سرور عظيم وضرب لذلك نحو ألف مدفع وصنعوا لذلك
شنكا وزينة قيل ان عدد المدافع التي ضربت في أيام الزينة بلغت ثمانين ألف مدفع وكان محمد علي
باشا قبل ذلك مهتما بأمر ابراهيم باشا وكان يوالي ويتابع له ارسال الذخائر والاموال من الذهب
والفضة بالاحمال حتى انهم في مرة من المرات حملوا ذخيرة على جمال العرب خاصة من ينبع الى
المدينة بلغت أجرة تلك الجمال في تلك المرة خمسة وأربعين ألف ريال عن أجرة كل بعير ستة ريالات
يدفع نصفها أمير ينبع والنصف الآخر أمير المدينة عند وصول ذلك ثم صرفوا على تلك الدفعة
بعينها من المدينة الى الدرعية ما يبلغ مائة وأربعين ألف ريال وكان مثل ذلك مستمر التكرار
والبعوث ويحتاج الى كنوز قارون وهامان واكسير جابر بن حيان واذا نظرت الى هذا والى ما أنفقه
محمد علي باشا من ابتداء التجهيز الى الحجاز الى آخره تعلم ان ذلك شئ لا يعد ولا يحصى ولا يمكن فيه
الاستقصا ولما استولى ابراهيم باشا على الدرعية قبض على عبد الله بن سعود أمير الدرعية وعلى
كثير من قرابته وعشيرته وأولاده وأعوانه وأخرب الدرعية بحيث صارت لا تسكن فاستبدل من
بقي من أهلها سكنى الرياض وجعلوها بدلا عنها وتركوها خرابا ثم ان ابراهيم باشا أرسل عبد الله بن
سعود وكثيرا ممن قبض عليهم من عشيرته الى مصر فكان ورود عبد الله بن سعود الى مصر في أوائل
المحرم افتتاح سنة أربع وثلاثين وأدخلوه مصر وهو راكب على هجين وأمامه كثير من العساكر
وخرج الناس أفواجا للتفرج ركبانا ومشاة رجالا ونساء وأطفالا وكان يوما مشهودا لا يكاد يوصف
ما وقع فيه من نصب الملاعب وشدة الازدحام وضربوا عند دخوله مدافع كثيرة وذهبوا به الى بيت
اسمعيل باشا ابن محمد علي باشا ببولاق فأقام يومه ثم ذهبوا به في صبحها عند الباشا بشبرى فلما دخل
عليه قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه وقال له ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال قال
وكيف رأيت ابراهيم باشا قال ما قصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما قدره المولى فقال الباشا
أنا ان شاء الله أترجى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون ثم ألبسه خلعة وانصرف الى
بيت اسمعيل باشا ببولاق وكان صحبة عبد الله بن سعود صندوق صغير مصفح فقال له الباشا ما هذا
فقال هذا ما أخذه أبي من الحجرة أصحبه معي الى السلطان وفتحه فوجد فيه ثلاثة مصاحف قرآنا
مكللة ونحو ثلاثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد كبيرة وبها شريط ذهب فقال له الباشا الذي أخذه
من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذي وجدته عند أبي فانه لم يستأصل كل ما كان في الحجرة
لنفسه بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة فقال الباشا صحيح
وجدنا عند الشريف غالب أشياء من ذلك وفي التاسع عشر من محرم من السنة المذكورة سافر عبد
الله بن سعود الى جهة الاسكندرية وصحبته جماعة من العسكر الى دار السلطنة ومعه خدم لزومه

لذلك ليكون ذلك الثواب نصيبا لمن وفقه الله لذلك * وذكر النقاش في مناسكه المواضع التي يستجاب فيها الدعاء بمكة
ووقت لكل بقعة أوقاتا
معينة * قال أما خلف
المقام وتحت الميزاب ففي
السحر وعند الركن اليماني
وقت الفجر وعند الحجر
الاسود نصف النهار وعند
الملتزم نصف الليل وداخل
زمزم عند غيبوبة الشمس
وداخل البيت عند الزوال
وعلى الصفا والمروة عند
العصر وبمنى ليلة البدر
شطر الليل وبالمزدلفة
عند طلوع الشمس وبعرفة
وقت الزوال تحت السدرة
وهي غير معروفة الآن
وبالموقف عند غيبوبة
الشمس كذا ذكره
النقاش ومنها جبل أبي
قبيس وانما سمي به لان رجلا
من اياد يكنى أبا قبيس صعد
فيه وبنى فيه بناء فعرف
به * قال الفاكهي ان
الدعاء فيه يستجاب وان
وفد عاد قدموا الى مكة
للاستسقاء لقومهم فأمروا
بالطلوع الى أبي قبيس
للدعاء وقيل لهم لم يعلم
خاطئ يعرف الله منه
الانابة الا أجابه الى ما دعاه
اليه وفيه على احدى
الروايات قبر آدم وحواء
وشيث عليهم السلام * وقال
الذهبي في جزئه في تاريخ
آدم وبنيه ما نصه وخلفه
بعده شيث ابنه ونزلت
عليه ثلاثون صحيفة
وعاش تسعمائة سنة
ودفن مع أبويه في غار أبي
قبيس * وقال وهب بن منبه حفر لآدم في موضع من أبي قبيس يقال له غار الكنز فاستخرجه نوح عليه السلام

وفي

وفي هذه السنة أرسل محمد علي باشا خليلا باشا ابن أخته بعساكر الى الحجاز فتوجه الى اليمن واستولى عليه صلحا ثم صار محافظ المكة بدل حسن باشا وتوجه حسن باشا الى مصر ولما وصل عبد الله بن سعود الى دار السلطنة طافوا به البلدة ليراه الناس ثم قتلوه عند باب همايون وقتلوا كثيرا من أتباعه في نواح متفرقة   وفي شهر رجب من السنة المذكورة وصل كثير من الوهابية الى مصر أرسلهم ابراهيم باشا بحريمهم وأولادهم نحو الاربعمائة ومعهم أيضا أولاد عبد الله بن سعود وكثير من عشيرته وأقاربه فأسكنوا بالقشلة التي بالازبكية وأولاد عبد الله بن سعود وخواصه بدار عند جامع مسكة وطفقوا يذهبون ويجيئون من غير حرج عليهم وكانوا يترددون على المشايخ وغيرهم ويمشون في الاسواق ويشترون البضائع والاحتياجات وبعد ان حج ابراهيم باشا سنة أربع وثلاثين توجه الى مصر فوصل حريمه اليها في أواخر ذي الحجة من السنة المذكورة ووصل هو في الحادي والعشرين من شهر صفر سنة خمس وثلاثين ونودي بالزينة سبعة أيام وضربت المدافع عند قدومه ودخل في موكب حافل وفي أوائل رجب من سنة خمس وثلاثين توفي خليل باشا بالحجاز فخلع محمد علي باشا على أخيه أحمد بيك وقلده منصب أخيه بالحجاز عوضا عنه ثم صيره باشا بعد ذلك وطالت مدته بالحجاز حتى صار يقال له أحمد باشا الحجاز فانه تولى سنة خمس وثلاثين وعزل سنة أربع وأربعين وأعيد سنة ثمان وأربعين ومكث الى سنة ست وخمسين وسيأتي مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى  وفي سنة ست وثلاثين قبض حسين بيك على كثير من كبار الوهابية وأرسلهم الى مصر وسبب ذلك انهم كانوا هربوا من ابراهيم باشا حين أخذ الدرعية فلما ارتحل ابراهيم باشا وعساكره من الدرعية رجعوا اليها وكان منهم عمر بن عبد العزيز وأولاده وأبناء عمه وتركي بن عبد الله بن أخي عبد العزيز وولد عم سعود ومشاري بن سعود لكن مشاري كان ممن قبض عليه ابراهيم باشا وهرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد سعود وجماعتهم حين أرسلهم ابراهيم باشا الى مصر وكان هربه في الحمراء وهي قريبة من الصفراء وذهب الى الدرعية واجتمع عليه من فرّ حين قدمت العساكر مع ابراهيم باشا وأخذوا في تعمير الدرعية ورجع أكثر أهلها وقدموا عليهم مشاريا ودعا الناس الى طاعته فأجابه الكثير منهم فكادت تتسع دولته وتعظم شوكته فلما بلغ محمد علي باشا ذلك جهز له عساكر رئيسها حسين بيك فأوثقوا مشاريا وأرسلوه الى مصر فمات في الطريق   وأما عمر وأولاده وبنو عمه فتحصنوا في قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة وبينها وبين الدرعية أربع ساعات للقافلة فنزل عليهم حسين بيك وحاصرهم وحاربهم ثلاثة أيام أو أربعة فطلبوا الامان لما علموا أنهم لا طاقة لهم به فأعطاهم الامان على أنفسهم فخرجوا له الا تركيا فانه خرج من القلعة ليلا وهرب ثم صار له ملك بالرياض بعد سنين ثم ثار عليه رجل من آل سعود يقال له مشاري فقتله وكان لتركي ولد يقال له فيصل كان وقت مقتل أبيه في الغزو فلما بلغه مقتل أبيه جاء بمن معه من رجال الغزو فقتل مشاريا الذي قتل أباه واستقل فيصل بالملك وسيأتي ان شاء الله تمام الكلام عليه  وأما حسين بيك فانه قيد الجماعة وأرسلهم الى مصر فصاروا مع جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت   وفي هذه السنة جهز محمد علي باشا عساكر كثيرة الى السودان مع ابنه اسمعيل باشا فاستولى على سنار ومواضع من السودان ثم قتل فتابع محمد علي باشا ارسال العساكر على السودان حتى استولى على كثير منها وقد تقدم ذكر ولاية مولانا الشريف يحيى بن سرور بن مساعد امارة مكة سنة ثمان وعشرين في أواخر ذي القعدة بعد القبض على مولانا الشريف غالب وكانت مباشرة أحكام الاشراف والعرب عند محمد علي باشا وممن كانوا نائبين عنه بعد رجوعه الى مصر وكانوا يستعينون بالشريف شنبر بن مبارك المنعمي بواسطة الشيخ أحمد تركي لانه كان صديقا للشريف شنبر فقربه وأدناه وتوفي الشيخ أحمد تركي سنة خمس وثلاثين كما تقدم وبقي الشريف شنبر مقربا عند أحمد باشا يفوض اليه أكثر أحكام الاشراف

وجعله في تابوت معه في السفينة فلما انصب الماء رده الى مكانه انتهى وقيل غير (٣٠٣) ذلك وفي أعلى الجبل ضريح يزوره الناس وليس ذلك بقبر آدم عليه السلام وانما هو ضريح كان يعد للماء لما كان على رأسه قلعة قديما وزعم الناس أن من أكل يوم السبت في جبل أبي قبيس رأسا مطبوخا يسلم من وجع الرأس طول عمره والناس يتهافتون على ذلك في كل صبح يوم سبت وفيه موضع يزعم الناس أن القمر انشق فيه للنبي صلى الله عليه وسلم وليس لذلك صحة كذا ذكره السيد التقي الفاسي رحمه الله تعالى وقال وهو أول جبل وضعه الله في الارض وذكر بعض العلماء انه أفضل جبال مكة وفضله على جبل حراء ونوقش في ذلك ومنها رباط قديم بمكة يسكنه فقراء المغاربة يسمى رباط الموفق وقفه القاضي الموفق جمال الدين علي بن عبد الوهاب الاسكندري في سنة أربع وستمائة يحكى عن الشيخ خليل انه كان يكثر اتيانه ويقول ان الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه  ويروى عن الولي المشهور الشيخ عبد الله بن مطرف انه قال ما وضعت يدي في حلقة هذا الرباط الا تذكرت ووقع في نفسي كم لله ولي وضع يده في هذه الحلقة وفي مقبرة المعلاة مواضع يستجاب فيها الدعاء منها قبر أم المؤمنين سيدتنا خديجة الكبرى رضي الله عنها وهو محل في شعب بني هاشم كان فيه تابوت من خشب يزار فبني عليه قبة من الحجر الشميسي

والعرب وما يتعلق بهم فاستحكمت العداوة بين الشريف يحيى والشريف شنبر وحصل بينهما معارضات ومنافسات في قضايا كثيرة واستمر الحال الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف والناس يوشون بينهما ويوقعون الفتن بنقل كثير من الكلام الذي يحصل منه تكدير النفوس فعزم الشريف يحيى وصمم على قتل الشريف شنبر فجاءه الشريف يحيى وهو في المسجد عند باب الصفا بعد صلاة المغرب فقتله بيده بالسلاح ليلة الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف فارتج المسجد والبلاد وعزلت الاسواق وفزع الناس فزعا شديدا وكانت ليلة مهولة فأحضر أحمد باشا العساكر وصب الرصاص وأحضر آلات الحرب وتترس الشريف يحيى في داره التي عند باب الوداع وأراد أحمد باشا القبض عليه فلم يتمكن له ذلك وأدار المدافع التي في قلعة جياد على الشريف يحيى لقربها منه وتهدده بان يضرب بها داره وتردد الشيخ محمد الشيبي فاتح بيت الله الحرام بينهما الى أن تم الامر على أن الشريف يحيى يتوجه الى مصر من طريق البر وأقر واعترف بانه هو الذي قتل الشريف شنبرا بيده حتى انه قيل له انكر قتله وأسنده الى بعض العبيد فأبى وقال بل قتلته بيدي ولا انكر ذلك ثم لما أصبح الصباح أخذ في التجهز للسفر وركب بعد الظهر على ركائبه ومعه بعض أتباعه وعبيده وتوجه على طريق الوادي فأدركه دخول شهر رمضان وهو ببدر فصام رمضان ببدر ونكص عن التوجه الى مصر وجاءه مشايخ حرب ووعدوه بالاعانة والنصرة له وانهم يقومون معه حتى يرجعه الى دار ملكه فاغتر بقولهم ومكث في بدر الى تمام السنة ولما دخلت سنة ثلاث وأربعين أخذ في الشروع في جمع القبائل ليرجع الى مكة وكان أحمد باشا بعد مقتل الشريف شنبر أنهى الامر الى محمد علي باشا والتمس منه ان تكون امارة مكة للشريف عبد المطلب بن الشريف غالب وكان الشريف عبد المطلب وأخواه الشريف علي والشريف يحيى حين صار القبض على أبيهم صغارا فكبروا وصاروا في هذا الوقت رجالا وكان الشريف عبد المطلب أكبرهم فاستحسن أحمد باشا ان تكون الامارة للمذكور وعرض ذلك لمحمد علي باشا فأبطأ عليه الجواب الى تمام سنة اثنتين وأربعين فلما بلغه ان الشريف يحيى يجمع قبائل حرب ويريد المجيء للقتال استحسن أن يعجل بتولية الشريف عبد المطلب ليجمع جموعا يقابل بها الشريف يحيى اذا جاء للقتال فعقد مجمعا في ديوان الحكومة وأحضر العلماء وكبار الاشراف ووجوه الناس وأبرز صورة فرمان تولية الشريف عبد المطلب ونودي له في البلاد وضربت المدافع وضربت النوبة عند داره وجلس للناس فجاؤه للسلام عليه والتهنئة له وكتب للقبائل وشرع في جمعها ليقاتل بها الشريف يحيى بن سرور وفي أثناء ذلك جاءت الاخبار من مصر في شهر صفر بان محمد علي باشا استحسن ان تكون امارة مكة للشريف محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي وانه أرسل يطلب له الفرمان السلطاني من مولانا السلطان محمود الثاني ابن عبد الحميد الاول وكان الشريف محمد بن عون اذ ذاك بمصر نزيلا عند محمد علي باشا في عز واكرام لانه لما كان محمد علي باشا بالحجاز كان قد أقام الشريف محمد المذكور أميرا على تربة ثم أقامه أميرا على قبائل عسير ومن يتبعهم من القبائل والقرى ثم بعد سنين من امارته فيهم وقع بينه وبينهم اختلاف فخرج عنهم وكتب الى مصر لمحمد علي باشا يطلب منه تجهيز عساكر لمحاربة قبائل عسير فأرسل محمد علي باشا عساكر كثيرة من العساكر النظامية وكان ذلك في ابتداء حدوث العساكر النظامية فتوجه الشريف محمد بتلك العساكر لمحاربة عسير سنة تسع وثلاثين فوقع انهزام لتلك العساكر وقتل في ذلك القتال الشريف راجح بن عمر والشنبري فرجع الشريف محمد بن عون الى مصر وبقي بها الى افتتاح سنة ثلاث وأربعين نزيلا عند محمد علي باشا في عز واكرام فلما وقع قتل الشريف يحيى للشريف شنبر المنعمي استحسن محمد علي باشا ولاية الشريف محمد بن عون لما يعلم فيه من الشجاعة والكفاية

واللباقة

الامير الكبير السعيد الشهيد محمد بن سليمان جوكرزدفتردار مصر في أيام المرحوم داود باشا نائب الديار المصرية في أيام السلطان الاقدس المرحوم المقدس السلطان سليم خان عليهم الرحمة والتحية والرضوان بناه في سنة خمسين وتسعمائة وكسي التابوت الشريف كسوة فاخرة وعين له خادما ورتب له علوفة من خزائن الصدقات الشريفة السلطانية العثمانية جارية عليه الى الآن وكان من أهل الخير والجميل والمعروف كريما جوادا بذولا له احسان كثير وجميل وافر أحسن الله اليه كما أحسن الى وضاعف حسناته ومخاسيا آنه حج الى بيت الله تعالى وهو أمير الركب الشامي وأحسن الى الناس كثيرا وعم احسانه وكان يحب العلماء والصلحاء ويكرمهم ويحسن اليهم ويقضي حوائجهم بحيث كانوا يسمون أيامه تنفسات الدهر ثم قتل مظلوما وعند الله تجتمع الخصوم والله غفور رحيم ومنها عند قبر سيدنا الفضيل بن عياض رضي الله عنه وهما في محوطة فيها جماعة أولياء أجلاء كبراء منهم الشيخ تقي الدين السبكي والشيخ عبد الله بن عمر المعروف بالطواشي وكثير من مشاهير الصلحاء آخرهم مولانا الشيخ عبد اللطيف النقشبندي الرومي رحمه الله تعالى ومنها عند قبر سفيان بن عيينة رضي الله عنه ومنها عند قبر الشيخ أبي الحسن علي

واللياقة لامارة مكة فجعل الامر مكتوما وأرسل يطلب الفرمان من مولانا السلطان محمود فلما جاءت الاخبار بولاية الشريف محمد بن عون بعد ان ولي أحمد باشا الشريف عبد المطلب حسبما تقدم ذكره وقع الاختلاف والتنافر بين أحمد باشا والشريف عبد المطلب وكان أحمد باشا بالطائف وكذا الشريف عبد المطلب أيضا كان بالطائف يجمع القبائل لمحاربة الشريف يحيى بن سرور فلما جاءت الاخبار بولاية الشريف محمد وقع الاختلاف بين الشريف عبد المطلب وأحمد باشا وأراد أحمد باشا التوجه الى مكة ثم بلغه ان الطرق كلها مقعود فيها وان الشريف مرزوق بن عبد العزيز الحرث أمير المضيق وهذيل الشام جمع قبائل وجلس بها في الربعان ليمنع أحمد باشا من العبور وشاع انه فعل ذلك باشارة من الشريف عبد المطلب فأخذ أحمد باشا وجها من الشريف علي بن غالب وطلب منه ان يسير معه الى أن يوصله الى مكة ففعل الشريف علي ذلك ولما وصلوا وقربوا من الربعان تحققوا ان الشريف مرزوقا الحرث في الربعان ومعه القبائل كما شاع فتقدم الشريف علي وارسل اليهم يقول ان أحمد باشا في وجهه ومنعهم ان يتعرضوا له بشئ فامتنعوا مما كانوا أرادوا ان يفعلوه وبعد ان وصل أحمد باشا الى مكة رجع الشريف علي بن غالب الى أخيه الشريف عبد المطلب ثم عزم الشريف عبد المطلب على محاربة أحمد باشا واخراج العساكر المصرية قبل قدوم الشريف محمد بن عون فضم الى القبائل التي كانت اجتمعت عنده قبائل غيرهم وتوجه بها الى مكة فوقع بينه وبين أحمد باشا وقائع متعددة يطول الكلام بذكرها وقتل فيها كثير من العرب وكثير من عساكر أحمد باشا وكانت تلك الوقائع بعضها في عرفة وبعضها في العابدية وبعضها في الحسينية وبعضها في منى واستمر الحال الى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان آخر الوقائع في جمادى الاولى تقوى فيها الشريف عبد المطلب وكثرت القبائل معه ودام الحرب ثلاثة أيام وأيس أحمد باشا من النصر وطلع القلعة بأهله وحريمه وانحصر العسكر بعضهم في القلعة وبعضهم في البياضية وبعضهم في بيت بنت جعفر الذي عند القبور وأحاطت القبائل بجبال مكة وطرفاتها ونزل بعضهم من الجبال وعقر بعض الخيل التي كانت مربوطة في اصطبل خيل أحمد باشا الذي في جياد وضربت العساكر من القلعتين بالمدافع المشحونة بالقلل على القبائل التي في الجبال كل ذلك كان يوم السادس والسابع والثامن من جمادى الاولى وخاف كثير من الناس الذين بمكة ان يقع النهب من القبائل اذا دخلوا مكة فادخلوا أموالهم في المخابي تحت الارض وبنى بعض الناس متارس في بيوتهم وأحضروا البنادق والبارود والرصاص ليحموا أنفسهم ودورهم من نهب العرب اذا دخلوا مكة قيل ان عدد القبائل كان تسعة آلاف وشاع ان الشريف عبد المطلب تكاتب مع الشريف يحيى بن سرور وعقد صلحا معه واتفقا على أن تكون كلمتهما واحدة وان الشريف يحيى يأتي من طريق الوادي ومعه ثلاثة آلاف من قبائل حرب وغيرها وانه يدخل من أسفل مكة والشريف عبد المطلب من أعلاها وان دخولهما يكون في صبح التاسع من جمادى الاولى ووقعت أراجيف كثيرة فبات الناس بمكة في تلك الليلة في كرب شديد فلما أصبح صبح ذلك اليوم جاء الخبر بان الشريف محمد بن عون وصل الهجالية وفي أثر ورود الخبر دخل مكة بنفسه بعد الاشراق ومعه سبعة خيالة من أتباعه وذلك انه وصل الى جدة يوم الثامن فاخبروه ان الحرب على مكة فبمجرد نزوله من البحر ركب وتوجه الى مكة فلما وصل بعد الاشراق جلس أولا في بيت أحمد باشا الذي عند باب علي وكان ديوانا للحكومة وطلب حضور أحمد باشا ونزوله من القلعة فنزل وجلس معه قليلا ثم ركب هو والسبعة الذين جاؤا معه وتوجه الى الابطح موضع شدة الحرب وأمر باخراج العساكر المحصورة في البياضية وبيت بنت جعفر وصار يرتبهم للحرب وكان الشريف عبد المطلب عند المفجر وقد أحضر الخيول الجنائب وصار يرتب الموكب الذي يريد دخول مكة به والحرب قائم والقلعتان يرمى منهما بالمدافع المشحونة بالقلل على قبائل العرب التي انتشرت في

الشولي رضي الله عنه ذكر الشيخ خليل المالكي ان الدعاء عنده مستجاب وكذلك عند قبر سماسرة الخير بالمعلاة ويقال انه اذا أراد أن يدعو عند سماسرة الخير يستقبل القبلة بحيث تكون تربة الملك المسعود بحذائه عن يساره وقد اندثرت تربة الملك المسعود الآن ومحلها فوق البئر المعروف ببئر أم سليمان الموجودة الآن مرتفعا عن طريق السيل ومنها عند قبر الداودي بالقرب من الجبل قال المرجاني في بهجة النفوس الدعاء عند قبره يستجاب ومن المواضع التي جربتها أنا لقبول الدعاء تربة شيخنا المرحوم مولانا علاء الدين الكرماني النقشبندي طيب الله تعالى ثراه ونفع ببركاته أحياء توفي في سنة تسع وعشرين وتسعمائة وله كتب جليلة في الطريق أجلها كتاب منظوم في مقابلة المثنوي رحمه الله وفي مكة مواضع مباركة وموالد متعينة ومساجد مأثورة غير هذه فمنها مولد سيدنا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وهو بقرب مولد النبي صلى الله عليه وسلم بقرب جبل أبي قبيس من قفاه في شعب يقال له شعب علي به مسجد يصلى فيه ومولد يزار الا أنه منهدم

الجبال ولما طلع الشريف محمد بن عون الى الابطح ومعه السبعة الخيالة الذين جاؤا معه صار كثير من الناس يسخرون به و يقولون أين يذهب بهؤلاء السبعة الى هذه الجنود المجندة فبينما الامر كذلك اذ جاء للشريف عبد المطلب رجل من جنوده من شيوخ ثقيف يقال له مساعد الوحشى وكلمه سرا وقال له ان الشريف محمد بن عون قد وصل وان القبائل قد بادرت وطلبت منه الامان والحال انه لم يقع ذلك من أحد منهم وانما هذا شئ أراده الله وأنطقه به فصدق الشريف عبد المطلب مقالته وركب وتوجه الى الطائف من طريق كرى وترك القبائل والقتال وركب معه بعض خواصه وأتباعه فلما علمت القبائل ذلك أمسكوا عن القتال وأرسلوا للشريف محمد بن عون يطلبون منه الامان فأمنهم وأرسل الى أهل القلعتين وأمرهم بالكف عن رمى المدافع بالقلل ونصب له صيوان بالابطح وجلس فيه فجاءه شيوخ القبائل مع قبائلهم وعرضوا عليه فكساهم الجوخ والشيلان وأعطاهم الجوائز ثم ركب ورجع الى مكة والقبائل يعرضون بين يديه وكان رجوعه قبيل الظهر ونزل فى دار الشريف يحيى ابن سرور التى عند باب الوداع وضربت له المدافع وضربت النوبة عند باب داره وجاء الناس أفواجا للسلام عليه والتهنئة وأمنت البلاد واطمأنت العباد وعاد الخوف أمنا وسرورا وكانت تلك الفتنة لم تكن فى لمح البصر وكان الشريف يحيى بن سرور قد أقبل بقبائل من الحربية على الامر الذى اتفق مع الشريف عبد المطلب عليه فلما كان بالوادى تحقق عنده قدوم الشريف محمد بن عون فى آخر النهار الذى وصل فيه الشريف محمد بن عون الى جدة فقيل له لو تقدمت بالقبائل التى معك الى طريق جدة لمنعته العبور الى مكة فامتنع وقال حيثما وصل الشريف محمد بن عون فالامارة له ولا أتعرض له ولا أمنعه العبور الى مكة ثم لما تحقق عنده هزيمة الشريف عبد المطلب وانه توجه الى الطائف فرق تلك القبائل واستحسن التوجه الى الطائف ليكاتب الشريف محمدا هو والشريف عبد المطلب وينعقد الصلح معه للجميع فلما وصل الى الطائف جاءتهم المكاتيب من الشريف محمد ابن عون بالتأمين والاستعطاف وانه يترجى عند محمد على باشا فى العفو عن الجميع وانه يرتب لكل منهما الترتيب اللائق وان تكون اقامتهما حيثما أرادا اما بالطائف أو بمكة أو المدينة المنورة فاستحسن الشريف يحيى انعقاد الصلح وامتنع الشريف عبد المطلب من قبول ذلك وقال ليس بيننا وبينه الا الحرب وحصن الطائف وتحصن به وأمر أهل الطائف بحمل السلاح وأن يقوموا معه فلم يقدروا على الامتناع وبعث أخاه الشريف عليا الى الحجاز ليجمع له قبائل بنى سعد وناصرة وأهل بجيلة وغامد وزهران وأظهر كل الجد والاجتهاد فى ذلك ولم يتمكن الشريف يحيى بن سرور من مخالفته لقلة من معه بالنسبة اليه فبقى معه بالطائف ومعه ولداه الشريف منصور والشريف حسن وبعض أولاد أخيه الشريف عبد الله بن سرور ومعهم أيضا الشريف عبد الله بن فهيد بن عبد الله بن سعيد ابن سعد بن زيد وكان من كبار الاشراف ذوى زيد ومعهم أيضا السيد محمد بن محسن العطاس شيخ السادة العلوية وقبض الشريف عبد المطلب على بعض الاشراف العبادلة الذين كانوا بالطائف منهم الشريف زيد بن سليم بن عبد الله الفعر ووضعه فى الحديد وحبسه فى القلعة مع من قبض عليهم معه فلما جاءت هذه الاخبار للشريف محمد بن عون تجهز للمسير الى الطائف لقتاله وجاءته عساكر كثيرة من مصر من الخيالة والعساكر النظامية وعليها أمير اللواء سليم بيك فلما استكمل وصول العساكر والذخائر وخزائن الاموال فى صناديق كثيرة وسحاحير كثيرة فيها الجوخ والشيلان والفراوى السمور وانعمامات وكان استكمال وصول الجميع فى شهر جمادى الثانية من السنة المذكورة توجه بها ومعه أمير اللواء سليم بيك وساروا الى أن وصلوا الطائف وجاء كثير من قبائل هذيل وثقيف وغيرهما ليكونوا معهم فأكرمهم الشريف محمد بن عون بالكساوى والجوائز والضيافات فأنزلوا العرضى بالعقيق وهو قريب من الطائف بحيث تصل المدافع منه الى الطائف وأرسلوا للشريف

عبد

الآن عمر الله من عمره ومنها موضع يقال له مولد سيدنا حمزة رضى الله عنه فى أسفل مكة لاصق بموضع يسمى بازان وهو مجرى عين حنين الى بركة ماجن قال السيد التقى الفاسى رحمه الله تعالى لم أر شيأ يدل على صحة ان هذا المكان مولد السيد حمزة رضى الله عنه لان هذا المحل ليس محلا لبنى هاشم وطول هذا المحل خمسة عشر ذراعا وثلث وعرضه سبعة أذرع وربع فى صدره محراب وبابه فى الجدار الذى الى جهة بركة ماجن انتهى وقد خرب الآن وامتلأ بالتراب فلا يظهر له محراب ولا باب ولا جدر وهو قد سمى بمولد سيدنا حمزة فرحم الله من أحياه وعمره ومنها موضع فى أعلا جبل يقال له جبل النوبى يقال انه مولد سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطلع الناس اليه للسير والفرجة لاشرافه على مكة ومن الناس من يقصده للزيارة قال التقى الفاسى رحمه الله لا أعلم فى ذلك شيأ يستأنس به غير أن جدى أبا الفضل النويرى كان يزور هذا الموضع فى جمع من أصحابه فى الليلة الرابعة عشرة من شهر ربيع الاول من كل سنة انتهى * قلت وهذا

عبد المطلب يعرضون عليه الامان فامتنع وكان عنده بالطائف بعض الطبجية فى قلعة الطائف فامرهم بالرمى بالمدافع المشحونة بالقلل على العرضى فلم يقدروا على مخالفته ففعلوا ذلك وثار الحرب بين الفريقين ورمت المدافع أيضا من العرضى على الطائف وكان عنده بالطائف بعض قبائل بنى سفيان وهذيل أهل الشفا من الطلحات وآل خالد فتسللوا وهربوا الى ان وصلوا الى العرضى وأخذوا الامان لهم ولقبائلهم وصاروا مع الشريف محمد بن عون ولم يبق معه بالطائف الا أهل الطائف وهو يأمرهم بحمل السلاح والقتال ولم يترك أحدا منهم حتى الشيخ عثمان القارئ حمل البندق ولبس السلاح وكان من العلماء وكان من أصدقاء الشريف محمد بن عون فامتثل أمر الشريف عبد المطلب فكان مع أهل الطائف فى جميع ما يأمرهم به الشريف عبد المطلب وكانوا مفرقين فى الطائف وعند السور والابراج ليلا ونهارا وأصابهم فى ذلك غاية الجهد والعناء والشريف عبد المطلب يعدهم بحضور القبائل الذين ذهب أخوه الشريف على يجمعهم من الحجاز فمضت الايام والليالى ولم يحضر أحد منهم وكان للشريف محمد بن عون بيت بالطائف له فيه عيال من حين توجهه الى مصر سنة تسع وثلاثين وكان له معهم ابنه الشريف عبد الله وعمره اذ ذاك نحو ست سنين وذلك البيت الذى كانوا فيه فى حارة وسط وهو المعروف ببيت محمد على طيب فوسط الشريف محمد من أتاه بابنه الشريف عبد الله خفية وأخرجوه اليه فى العرضى ولم يشعر بذلك الشريف عبد المطلب واستمر الحرب والرمى بالمدافع نحو اثنين وعشرين يوما وعجز أهل الطائف وقلت أقواتهم ونالهم غاية المشقة فخرج أناس منهم خفية ووصلوا الى العرضى وأخذوا الامان لانفسهم ولاهل الطائف ووعدوا بانهم يفتحون الابواب لدخول العساكر فلما علم الشريف عبد المطلب بذلك تدارك الامر قبل وقوعه وأرسل وطلب الامان له وللشريف يحيى بن سرور ولكل من كان معهم فاعطاهم الشريف محمد بن عون وسليم بيك ذلك وأطلق الشريف زيد بن سليم الفعر وكل من كان محبوسا معه ثم خرج الشريف عبد المطلب والشريف يحيى بن سرور ومن كان معهما الى العرضى وتقابلوا مع الشريف محمد بن عون وسليم بيك ووقع بين الجميع عهود ومواثيق وتم الصلح ووعدهم الشريف محمد وسليم بيك بانهما يشفعان عند محمد على باشا فى قضاء كل ما يريدون ثم رجعوا الى الطائف وكان ذلك فى شهر رجب من السنة المذكورة فلما كان الليل عزم الشريف عبد المطلب على الهرب والخروج من الطائف فشد بعض ركائبه وبعض خيله وركبها وخرج ومعه أخوه الشريف يحيى بن غالب وبعض أتباعه وكان خروجهم خفية من باب السور الذى عند ضريح ابن عباس رضى الله عنهما لانه لم يكن عنده شئ من حرس العسكر وبعد خروجهم بقليل علم بذلك الشريف يحيى بن سرور فاركب واحدا من أتباعه يقال له ناصر بن رشيد وأرسله للشريف محمد بن عون وسليم بيك يخبرهما بذلك فلما أخبرهما بذلك أمرا بركوب العساكر الخيالة ليسيروا على طريق لية خلف الشريف عبد المطلب ومن معه فساروا الى لية فلم يدركوهم ثم رجعوا الا أنهم قبضوا على الشريف يحيى بن غالب لانه عثرت به فرسه وسقط عنها فظفروا به وقبضوا عليه وأتوا به ثم دخل الطائف الشريف محمد بن عون وسليم بيك وحصل الامن والاطمئنان للبلاد والعباد وعرضت القبائل وبعد أيام رجعوا الى مكة ومعهم الشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب ومن كان معهم وكتب الشريف محمد بن عون وسليم بيك لمحمد على باشا بجميع ما صار فلما كان شهر شوال من السنة المذكورة صنع سليم بيك ضيافة للشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب ومن كان معهما وكانت الضيافة فى دار سليم بيك التى كان ساكنها من حين وصوله مع العسكر من مصر وهى دار السيد محمد العطاس التى فى الشبيكة عند المحجوب فحضروا للضيافة وبعد تمام الطعام أبرز لهم سليم بيك أمرا جاء من محمد على باشا مضمونه انه يطلب حضورهم الى مصر فامتثلوا الامر فقبض عليهم ووجههم الى مصر وهم

باق الى الآن يجتمع بعض الفقراء فى الليلة الرابعة عشرة من كل شهر يذكرون الله تعالى فيه احياء لتلك الليلة ومنها موضع بقرب باب العجلة يقال انه مولد سيدنا جعفر الصادق بن أبى طالب يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم دخله والله أعلم بحقيقة ذلك ومنها فى زقاق المرفق محل فيه مسجد يقال انه دكان سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه ويقال انها داره وبناه نور الدين بن عمر ابن على بن رسول الغسانى صاحب اليمن قبل أن يؤول الملك اليه فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة ويقابل هذه الدار حجر يتبرك الناس بلمسه يقال انه كان يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم متى اجتاز قال التقى الفاسى رحمه الله تعالى هذا الحجر ان صح كلامه للنبى صلى الله عليه وسلم فهو الحجر الذى عناه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على ليالى بعثت انتهى وقلت ويقرب هذا الحجر قبل أن يوصل اليه فى مقابلته على يساره صفحة حجر مبنى فى الجدر فى وسطه حفرة مثل محل المرفق يزوره العوام ويزعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم اتكأ عليه فغاص مرفقه الشريف فى

الشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب والشريف عبد الله بن فهيد والشريف حسين بن
يحيى وبعض أولاد الشريف عبد الله بن سرور والسيد محمد العطاس وأما الشريف منصور بن
الشريف يحيى بن سرور فكان قد توجه الى بلاد عسير حين كانوا بالطائف ولما وصل الى مصر هؤلاء
الجماعة الذين قبض عليهم سليم بيك أكرمهم محمد علي باشا وأحسن نزلهم وأجرى عليهم ما يليق بهم
من الطعام وغيره ثم بعد مضي سنة أذن بالرجوع الى مكة للشريف يحيى بن غالب بطلب من أخته
الشريفة مزينة عرضت لمحمد علي باشا تترجى عنده في ارجاع أخيها ليقوم بمصالحهم فقبل رجاءها
وأذن له بالرجوع وبقي بمكة الى أن توفي سنة اثنتين وخمسين وكذلك أذن للشريف عبد الله بن فهيد
ومحمد بن الشريف عبد الله بن سرور والسيد محمد العطاس وبقي بمصر الشريف يحيى بن سرور وابنه
الشريف حسين واستمر الشريف يحيى بن سرور بمصر الى أن توفي سنة أربع وخمسين فرجع الى
مكة ابنه الشريف حسين وكذلك ابنه الشريف حسين بن يحيى وكان صغيرا لانه ولد للشريف يحيى
وهو بمصر وتوفي بمصر أيضا سعد ومسعود وسرور أبناء الشريف عبد الله بن سرور وكانوا مع عمهم
الشريف يحيى بن سرور وبقي الشريف منصور بن يحيى بن سرور في بلاد عسير الى أن توفي والده بمصر
فقدم الى مكة سنة ست وخمسين وأما الشريف عبد المطلب فانه بعد أن توجه من الطائف مر على
الحجاز واجتمع بأخيه الشريف علي بن غالب وتوجها جميعا ومن كان معهما الى بلاد عسير وكان أمير
عسير علي بن مجثل فأكرمهما ومن معهما وأحسن نزل الجميع وأقاموا عنده سنتين ثم توجهوا الى
الشرق ثم الى بغداد وتنقلوا في بلاد كثيرة الى سنة ست وأربعين ثم صار لهم عزم على التوجه الى
الشام ليتوصلوا الى دار السلطنة فترقبوا رجوع الحاج الشامي بعد خروجه من المدينة ورافقوه وكان
أمير الحاج الشامي في تلك السنة رؤف باشا فصار لهم صحبة معه وبعد وصولهم الى الشام توصلوا الى
دار السلطنة فأقاموا بها في عز واكرام فلما حصل الاختلاف بين محمد علي باشا ومولانا السلطان
محمود سنة سبع وأربعين ثم حصل القتال الذي تملك الشام بعده محمد علي باشا ولي في تلك المدة مولانا
السلطان محمود الشريف عبد المطلب امارة مكة ولم يتمكن من ايصاله الى مكة بسبب تلك الفتنة بل
كان في كل سنة يبعث الخلعة وفرمان التأييد للشريف محمد بن عون وطالت تلك الفتنة الى أن توفي
السلطان محمود سنة خمس وخمسين وتولى ابنه السلطان عبد المجيد واشترط على محمد علي باشا ارجاع
الشام والحجاز لمولانا السلطان فحصلت تلك الشروط فلما صار الحجاز لمولانا السلطان عبد المجيد أبقى
مولانا الشريف محمد بن عون على امارة مكة كما كان وصار كل سنة يرسل له الخلعة وفرمان التأييد
وولي ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي لعثمان باشا وبقي الشريف عبد المطلب مقيما بدار السلطنة
الى سنة سبع وستين وسيأتي اتمام الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى ولنرجع الى اتمام الكلام على
امارة مولانا الشريف محمد بن عون فان ولايته كما تقدم كانت سنة ثلاث وأربعين فاستقامت له الامور
وباشر أحكام العرب والاشراف وغيرهم وانتظمت أحكامه على أتم النظام وأقام في مشيخة السادة
العلوية السيد اسحق بن عقيل وكان مجلس مولانا الشريف محمد دائما منتظما بالعلماء والادباء
وطلبة العلم وتجري فيه المذاكرات في كثير من الفنون ومدحه كثير من الشعراء بالقصائد فاجازهم
عليها بالجوائز السنية وغزا غزوات بناحية الشرق والحجاز وتربة ورنية وبيشة كان له فيها كلها النصر
والظفر وكان محافظ مكة أحمد باشا مقاما من محمد علي باشا من سنة خمس وثلاثين كما تقدم ثم عزله
محمد علي باشا سنة أربع وأربعين وتوجه الى مصر وولي محافظة مكة سليم بيك أمير اللواء الذي كان
مجيئه أولا مع العساكر التي جاءت مع سيدنا الشريف محمد بن عون فأقام سليم بيك في محافظة مكة نحو
شهرين ثم عزله محمد علي باشا وولي عابدين بيك أمير اللواء واستمر الى ان توفي بمكة سنة ست وأربعين
بمرض الوباء بالاسهال والقيء وكانت تلك السنة هي أول السنين التي حدث فيها ذلك الوباء بمكة ولم

ذلك الحجر وهو يكلم الحجر
الذي أمامه على شماله
قال القاضي أبو البقاء بن
الضياء في البحر العميق
ذكر سعد الدين الاسفرايني
في كتاب زبدة الاعمال ان
أهل مكة يمشون اذا رأوا
المواليد من دار خديجة
رضي الله عنها الى مسجد
يقولون انه دكان أبي بكر
الصديق كان يبيع فيه
البز وأسلم فيه على يده
عثمان بن عفان رضي الله
عنه وطلحة والزبير رضي
الله عنهم قال وفي جدار
هذا الدكان أثر مرفق رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يروى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم جاء دار أبي
بكر رضي الله عنه ذات
يوم ونادى يا أبا بكر انتهى
• قلت الجدار الذي فيه
المرفق بعيد عن دكان أبي
بكر رضي الله عنه الى
ناحية القبلة بينهما دور
وما رأيت في كلام أحد
من المؤرخين من حقق شيأ
من ذلك والله أعلم بحقيقته
• ومن الدور المباركة بمكة
دار سيدنا العباس رضي
الله عنه بالمسعى عند أحد
الميلين الاخضرين وهي
الآن رباط يسكنه
الفقراء ومنها موضع
بخلف جبل قيقعان بلصق
دار سيدنا ومولانا قاضي
القضاة وناظر المسجد
الحرام القاضي حسين بن
أبي بكر الحسيني أطال

يعرفه

يعرفه الناس قبل تلك السنة ثم بعد هذه السنة تكرر مجيئه بمكة مرات لكنه ماجاء في السنين التي بعد هذه السنة مثل هذه السنة فانه كان شديد الكثرة مات فيه خلق كثير لا يمكن ضبطهم ولا احصاؤهم وكان ابتداؤه من شهر شوال من السنة المذكورة وكان ابتداء وقوعه في التكرور والجبرت فلم يكترث الناس به ولم ينزعجوا منه ثم انه في النصف من شهر ذي القعدة أصاب كثيرا من أهل مكة ومن الحجاج من كل صنف ولم يزل يتزايد واشتد أمره في أيام منى حتى صار الموتى مطروحين في الطرقات ونزل الناس من منى والجمال محملة من الاموات واشتد أيضا بمكة بعد النزول من منى وامتلأت الاسواق والطرقات من الاموات وعجز الناس عن تجهيزهم ودفنهم فخرج مولانا الشريف محمد بن عون بنفسه راكبا ومعه بعض أتباعه وصار يمر على بعض الطرقات والاسواق ويأمر الناس بتجهيز الموتى ودفنهم وأعطاهم ما يحتاجون اليه من الاكفان وامتلأت القبور من الاموات فحفروا حفائر كثيرة وصاروا يضعون في كل حفرة جملة من الاموات وقاسى الناس من ذلك الوباء هولا شديدا واستمر ذلك الوباء الى عشرين من ذي الحجة ثم ارتفع شيأ فشيأ فكان ممن توفي في منى من ذلك الوباء عابدين بيك محافظ مكة فولى محمد علي باشا بدله أمير اللواء خورشيد بيك ثم صار بعد مدة باشا فكانت ولايته في افتتاح سنة سبع وأربعين ثم في شهر رجب من السنة المذكورة حصل بينه وبين العساكر الخيالة والقرابة من الاتراك فتنة سببها أنهم أغاظوا عليه في طلب جوامكهم ولم يكن عنده ما يقوم بمطلبهم فحاصروا خورشيد بيك المذكور وتخلص ونزل الى جدة ثم سافر الى مصر وأبقى نائبا عنه بمكة اسمعيل بيك كبير العساكر النظامية ومعه شريم بيك أيضا من كبار العساكر النظامية والفتنة باقية بينهم وبين الاتراك الخيالة والقرابة وكان كبير تلك العساكر تركي بلماز ولهذا صارت هذه الفتنة تعرف بفتنة تركي بلماز وأرسل محمد علي باشا من مصر على أغا رزقلي لتسكين تلك الفتنة والاصلاح بين عساكر الترك والعساكر النظامية فلم يتمكن له ذلك بل ازداد الامر شدة لان عساكر الاتراك اشتد خوفهم من محمد علي باشا في احداثهم تلك الفتنة فصاروا يقترحون أشياء زادت بها الفتنة وكذلك سيدنا الشريف محمد بن عون أراد تسكين الفتنة والاصلاح بين الفريقين فلم يوافقوه فاعتزل الفريقين وطلع الى الهدا بعد ان حج في تلك السنة ومكث الى أن انقضت تلك الفتنة ولم يحضر الحرب الذي وقع بين الفريقين وذلك انه في شهر المحرم من سنة ثمان وأربعين ثار الحرب بمكة بين الفريقين عساكر الاتراك والعساكر النظامية وتغلبت عساكر الاتراك على العساكر النظامية وحصروهم في البياضية وفي بيت بنت جعفر الذي عند مقبرة مكة واستمر الحرب بينهم ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع خرجت العساكر النظامية من البياضية وقاتلوا الاتراك قتالا شديدا الى أن هزموهم هزيمة قبيحة وقتلوا كثيرا منهم فتوجه من بقي من الاتراك الى جدة فنزلت العساكر النظامية الى مكة وأمنوا الناس ولم يقع منهم خلاف على أحد الا أنهم دخلوا خان الترك الذي عند المروة وكسروا دكاكينه وأخذوا ما فيها ثم بعد مضي هذه الفتنة أعطى محمد علي باشا أهل تلك الدكاكين قيمة أموالهم التي أخذتها العساكر النظامية من تلك الدكاكين على حسب ما ادعوه وكان الذي ادعوا به شيأ كثيرا فأعطاهم اياه ثم ان تركي بلماز ومن معه من الاتراك لما انهزموا ونزلوا الى جدة أخذوا كثيرا من أموال الميري وكان بمرسى جدة مراكب لمحمد علي باشا فأطلعوا الاموال التي أخذوها في المراكب المذكورة وركبوا فيها وساروا الى اليمن وتملكوا الحديدة والمخا بالتغلب ثم خافوا أن يجهز عليهم محمد علي باشا فتركوا اليمن وتفرقوا في كل ناحية والكلام على هذه الفتنة طويل ولكن هذا حاصلها ثم ان محمد علي باشا ولى أحمد باشا الحجازي محافظة مكة كما كان فيها سابقا وذلك في وسط سنة ثمان وأربعين وفي سنة تسع وأربعين ولد لسيدنا الشريف محمد بن عون ولده الشريف علي وفي سنة تسع وأربعين أيضا صدر الامر من محمد علي باشا بالتجهيز لمحاربة عسير وكان

الله بقاه وأدام علاه يقال له معبد الجنيد أحيا المشار اليه مآثره قال سعد الدين الاسفرايني انه معبد الجنيد ومعبد ابراهيم بن أدهم رضي الله عنهما * ومن الجبال المأثورة بمكة جبل حراء بكسر الحاء المهملة وفتح الراء الممدودة ممنوعا وكانت الجاهلية تعظمه أيضا وتذكره في أشعارها فمن ذلك قول أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق ليرقى في حراء ونازل

ويقال له جبل النور بالنون أيضا لظهور أنوار النبوة ولكثرة اقامة النبي صلى الله عليه وسلم فيه وتعبده ونزول الوحي عليه فيه وذلك في غار أعلاه صهريج ماء يجتمع فيه أيام المطر ماء عذب سائغ قال السهيلي في الروض الانف ان قريشا لما طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهموا بقتله كان على جبل ثبير فناداه وهو على ظهره اهبط عني يارسول الله فاني أخاف ان تقتل وأنت على ظهري فيعذبني الله فناداه حراء الي يارسول الله قال القاضي أبو البقاء بن الضياء في البحر العميق ان النبي صلى الله عليه وسلم اختبأ من المشركين في غار ثور فيحتمل ان يكون النبي

قد تولى في أميرهم علي بن مجثل وكان من بني مغيد وأقيم بعده أميرا عليهم عائض بن مرعي وكان أيضا من بني مغيد فاستفحل ملكه وتقوى وتغلب على بعض الممالك التي بقيت تحت طوع الدولة مثل بني شهر وبيشة وبلاد غامد وزهران فجهز محمد علي باشا عساكر كثيرة ليتوجه بها مولانا الشريف محمد بن عون ويستخلص تلك الممالك فتوجه العساكر وبقي أحمد باشا بمكة عدة بارسال الذخائر والخزائن ووقع بينه وبينهم وقائع واستخلص تلك المواضع التي تغلبوا عليها وأرجعها الى حكم الدولة فصارت بلاد غامد وزهران وبيشة وبني شهر تحت طوعه وتقدم الى بلاد عسير ليتخلصها منهم ويرجعها كما كانت عند مجيء محمد علي باشا الى الحجاز فحصل من أحمد باشا تقصير في ارسال الذخائر والخزائن وما يحتاجون اليه فحصل للعساكر ضيق شديد من ذلك وهم محاصرون بلاد عسير فوقع الفشل في الجيوش وأدى ذلك الى انهزام تلك العساكر فرجع الشريف محمد بن عون الى مكة وكذلك العساكر وكان ذلك سنة احدى وخمسين وأنكر أحمد باشا وقوع التقصير منه ونسب التقصير الى سيدنا الشريف محمد بن عون فطلبهما محمد علي باشا ليحضرا عنده بمصر ليتحقق كما في ذلك فتوجها الى مصر في سنة اثنتين وخمسين وأبقى الشريف محمد بن عون وكيلا عنه بمكة الشريف مبارك ابن عبد الله الحودي العبدلي وأبقى أحمد باشا وكيلا عنه أمير اللواء أمين بيك فلما وصلا الى مصر تحاكما عند محمد علي باشا وثبت ان التقصير انما كان من أحمد باشا ولم يثبت على مولانا الشريف محمد شيء من التقصير فأذن محمد علي باشا لمولانا الشريف محمد بالرجوع الى مكة فوسط أحمد باشا وسائط لمحمد علي باشا وبذل لهم في ذلك مالا جزيلا على انه هو الذي يرجع الى مكة ويبقى مولانا الشريف محمد بمصر وتعهد أحمد باشا بأنه يستولي على عسير بالعسكر في ثلاثة أشهر فحضر مولانا الشريف محمد عند محمد علي باشا وأخبره بأن أحمد باشا يطلب الرجوع الى مكة وانه يتعهد بانه يستولي على عسير في ثلاثة أشهر فقال له الشريف محمد لا يقدر على ذلك ولا بعد ثلاث سنين فقال محمد علي باشا نجربه وننظر ماذا يصير وتبقى أنت عندي بمصر ويتوجه هو فقال مولانا الشريف محمد لا بأس بذلك فبقي مولانا الشريف محمد بمصر ورجع أحمد باشا وكان معتمدا على بعض الأشراف مثل الشريف منصور بن زيد الشنبري فانه كان مصطحبا مع أحمد باشا وكان يتعهد له بحصول هذا الامر وكان قد تولى امارة غامد وزهران في بعض السنين ويريد رجوعه الى امارته وكان أحمد باشا أيضا معتمدا على سلطان بن عبدة العسيري والمذكور كان أميرا على قبيلة من قبائل عسير يقال لهم علكم وكان قد وقع بينه وبين أمير عسير اختلاف فأراد أن يقتله فهرب وجاء الى مكة ملتجأ قبل هذه الوقائع بسنين فسعى له أحمد باشا عند محمد علي باشا في ترتيب معاش جزيل ومرتبات جزيلة فبقي بمكة مصطحبا مع أحمد باشا ويداهن مولانا الشريف محمدا ظاهرا وميله في الباطن مع أحمد باشا فكان يعده ان قبائل عسير لا تخرج عن طوعه وانه اذا توجه مع أحمد باشا والعساكر يملكه بلاد عسير فلما رجع أحمد باشا من مصر أبقى أمين بيك قائما مقامه وتوجه هو بالعساكر الى الحجاز بلاد غامد وزهران ومعه الشريف منصور بن زيد وكثير من الاشراف وسلطان بن عبدة العسيري فوقع بينه وبين عسير وقائع في الحجاز وانتصر أحمد باشا في وقعة منها في سنة ثلاث وخمسين تسمى وقعة الباحة واستخلص منهم بلاد غامد وزهران ثم رجعوا بعد ذلك وأخذوها ولما حصلت له هذه النصرة أرسل البشائر الى مكة وضربت المدافع وأمروا بالزينة بمكة وجدة والطائف ثلاثة أيام وأرسلوا الى مصر لمحمد علي باشا وعظموا هذه النصرة مع انهم ما قدروا ان يتقدموا بالعساكر الى بلاد بني شهر ولا الى بلاد عسير بل في سنة أربع وخمسين رجع العسيري الى بلاد غامد وزهران واسترجعها والحاصل أن الامر استمر بلا نتيجة ولا فائدة الى سنة ست وخمسين ومولانا الشريف محمد بن عون مقيم بمصر ومعه ولده الشريف عبد الله والجميع في عز وإكرام وولد لسيدنا الشريف محمد بمصر ولده الشريف حسين في

صلى الله عليه وسلم اختبأ عن المشركين في حراء في واقعة ثم اختفى منهم في غار ثور وقت الهجرة • قلت لم ينقل وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم مرتين وليس في حديث السهيلي ان حراء لما نادى النبي صلى الله عليه وسلم الى أن اختبأ من المشركين خصوصا وقد قال السهيلي لما نقل هذا الحديث في الهجرة قال وأحسب في الحديث ان ثورا ناداه لما قال له ثبير اهبط عني

﴿ومن الجبال المباركة المأثورة جبل ثور﴾ وهو جبل أكبر من حراء وأبعد منه بالنسبة الى مكة سمي بثور بن مناة لسكناه به وصح أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق دخلا واختبآ فيه عن المشركين لما قصدوه بالقتل فنجاه الله تعالى منهم • قال صاحب البحر العميق يروى ان أبا بكر رضي الله عنه لما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى الغار يجعل طورا يمشي أمامه وطورا يمشي خلفه وطورا عن يمينه وطورا عن شماله فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أذكر الرصد فأحب أن أكون أمامك وأتخوف الطلب فأحب أن أكون

أواخر سنة أربع وخمسين وأرسله الى مكة ليكون عند المراضع فوصل الى مكة فى المحرم سنة خمس وخمسين فلما كانت سنة ست وخمسين بعد انعقاد الصلح بين مولانا السلطان عبد المجيد ومحمد على باشا كان من جملة شروط الصلح ان يترك محمد على باشا الحجاز والشام ويفوض الجميع لمولانا السلطان ويبقى له ولاولاده ملك مصر وأعمالها فأذن محمد على باشا لمولانا الشريف محمد ان يرجع الى مكة فى امارته كما كان وان يجهز له عساكره التى بالحجاز ويرسلها الى مصر لانه كان له عساكر كثيرة بالحجاز والحربية أعنى بلاد حرب وخشى انه اذا شاع زوال حكمه عن الحجاز يحصل اضطراب بالحجاز فيقع ضرر على عساكره ورأى انه لا يحصل التسكين والامن فى الحجاز ويتسهل ارسال العساكر الا بمولانا الشريف محمد بن عون وكانت العساكر التى فى حرب بمعية سليم باشا الملقب أطزبير وكان مخيما بعساكر فى الغازية والخيف وكان قد ملك تلك البنادر والخيوف وضايق قبائل حرب أشد المضايقة وقطع كثيرا من نخيلهم وفروا هاربين الى رؤس الجبال وصاروا متحصرين فيها وتقطعت الطرق وحصل لاهل المدينة ضيق شديد وانقطعت عنهم الذخائر واشتد الغلاء عندهم حتى بلغ الاردب القمح ثلاثين ريالا فاستحسن محمد على باشا أن يكون توجه مولانا الشريف محمد أولا الى بلاد حرب لازالة هذه المشكلات وارسال عساكره التى هناك فتوجه من مصر فى سنة ست وخمسين فلما وصل الى موضع العساكر شاع خبر وصوله عند قبائل حرب المتحصرين فى الجبال فحصل لهم خوف شديد وأيقنوا بالهلاك والاستئصال فارسلوا اليه يطلبون الامان وانهم يكونون تحت الطاعة على حسب ما يشترطه عليهم فامتنع من اعطائهم الامان حتى يقهرهم بالسيف ويطلع الفقرة فتجهز بتلك العساكر وقصد الفقرة وهى أعظم جبل لهم يتحصنون فيه ولهم فى الفقرة نخيل ومزارع وأموال كثيرة فلما أقبل على الفقرة ما قدروا على قتاله بل فروا فى كل جهة فطلع الفقرة وأحرق فيها أماكن وقطع بعض النخيل وصار لقبائل حرب غاية الذل والهوان ثم أرسلوا يطلبون منه الامان فأمنهم فأقبلوا عليه أفواجا وعاهدوه واشترط عليهم شروطا فقبلوها ثم رجع من الفقرة وأرسل العساكر الى مصر بغاية الامن والراحة ثم توجه الى المدينة وسلكت الطرق وارتخت الاسعار وزالت تلك الشدة ولما دخل المدينة كان بها عثمان باشا من طرف الدولة شيخا على الحرم النبوى وشريف بيك مديرا على الحرم ثم صار باشا بعد ذلك ولما دخلا على مولانا الشريف محمد يوم قدومه المدينة للسلام عليه والتهنئة بالقدوم قالا له أنت غوث الحرمين أغاث الله بك أهل مكة فى سنة ثلاث وأربعين وأغاث بك أهل المدينة فى هذا العام فأجابهم ارتجالا حالا بقوله وأنا ابن عون م وابن عون اذا صحف يكون أنت غوث فتعجبا من استحضاره لهذا الجواب ثم انه بعد قدومه المدينة حصل له مرض شديد وأرسل الى مكة وطلب أهله فأرسلوا اليه الى ان شفاه الله تعالى من المرض وتمم الاصلاحات المتعلقة بالمدينة وأعمالها ورجع الى مكة فى آخر سنة ست وخمسين وفى آخر شهر ذى الحجة من السنة المذكورة كانت ولادة ابنه الشريف عون الرفيق كانت أمه حملت به وهم فى المدينة فهو مدنى مكى وسماه السيد اسحق شيخ السادة فى الدار التى بالشامية لسيدنا الشريف محمد بن عون المشهورة بدار الجيلانى وحضرت تسميته وكان فى مدة مكثه فى المدينة أرسل ابنه مولانا الشريف عبد الله الى مكة وكان ارساله له من مصر حين عزم على التوجه الى بلاد حرب فلم يتوجه معه ابنه المذكور الى بلاد حرب بل قدم الى مكة وصار قائما مقامه وكان عمره اذذاك نحو عشرين سنة فقام بالامر وكالة عن أبيه أتم القيام وحصل بعد قدومه تجهيز العساكر المصرية التى بالحجاز وأرسلت الى مصر فى غاية الامن والاطمئنان وتوجه أحمد باشا وأمين بيك الى مصر ثم وجهت الدولة ولاية جدة ومشيخة الحرم المكى لعثمان باشا الذى كان شيخا للحرم النبوى ووجهت مشيخة الحرم النبوى لشريف بيك الذى كان مديرا بالمدينة وصار شريف باشا

خافقة وأسفظ الطريق عينا وشمالا فقال لا بأس عليك يا أبا بكر ان الله معنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مخصر القدم بل كان يطأ الارض بجميع قدمه وكان حافيا فحفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمله أبو بكر رضى الله عنه على كاهله حتى انتهى به الى الغار فلما وضعه أراد النبى صلى صلى الله عليه وسلم أن يدخل الغار فقال أبو بكر والذى بعثك بالحق لا تدخل حتى أدخل فاستبرئه قبلك فدخل أبو بكر رضى الله عنه فجعل يلمس بيده الغار فى ظلمات الليل مخافة أن يكون فيه شئ يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لم ير شيأ أدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار وباتا فيه فلما أسفر بعض الاسفار رأى أبو بكر رضى الله عنه خرقا فى الغار فألقمه قدمه حتى الصباح مخافة ان يخرج منه شئ فيؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار والراء فنبتت وحمامتين وحشيتين فعششتا عليه وباضتا وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بعصيهم وسيوفهم ومعهم كرز بن علقمة القصاص فقص الاثر حتى انتهى الى الغار

وقدم عثمان باشا مكة أيضا سنة ست وخمسين ثم أقام عثمان باشا مولانا الشريف عبد الله بن سيدنا الشريف محمد بن عون قائما مقامه فصار قائما المقام الامارة والولاية جامعا بينهما ولما رجع سيدنا الشريف محمد بن عون من المدينة أبقى فى المدينة الشريف محمد بن عبد الله بن سرور قائما مقامه واستمر الامر بين مولانا الشريف محمد وعثمان باشا بغاية الاتفاق والمحبة الى سنة ستين فوقع بينهما الاختلاف سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى ولما توجهت العساكر المصرية الى مصر كان لمحمد على باشا بالحجاز كثير من الذخائر والمهمات والجبخانات فقومت جميعها بالقيمة واستقبلتها الدولة لتخصم من الخراج المقرر على محمد على باشا فى مقابلة ولايته مصر وكانت تلك الذخائر والمهمات شئ لا يمكن حصره ولا ضبطه من جملة ذلك انه وجد له من صنف العدس بمكة وحده ثلاثة وعشرون ألف اردب وقس على ذلك بقية الاشياء وتقدم ان محمد على باشا لما كان بالحجاز رتب معاشات ومرتبات لكثير من الاشراف وغيرهم فاستقبل عثمان باشا ذلك كله وعرف به الدولة فأجازته وأمرت ببقائه وصيرته فى دفاترها وكذلك تقدم ان محمد على باشا جدد دفاتر قمح الجراية المرتبة لاهالى مكة ورتبها على ترتيب غير الذى كانت عليه لانه وجدها بأيدى التجار والاغنياء بالفراغات وليس بأيدى الفقراء منها شئ فأبطل تلك الدفاتر ورتبها على ماهى عليه الآن فلما وصل عثمان باشا وصار الحجاز للدولة أبقى دفاتر الجراية على الترتيب الذى رتبه محمد على باشا وينبغى ان يذكر هنا تجهيز محمد على باشا على الدرعية والرياض لقتال فيصل بن تركى بن عبد الله بن أخى عبد العزيز والد سعود فيكون عبد الله والد تركى ابن عم سعود كما تقدم وقد تقدم أيضا ان فيصل بن تركى تملك نجدا بعد أبيه ثم قوى واستفحل ملكه ورجع الى اشهار الدعوى التى كان عليها اسلافه فلما بلغت الاخبار محمد على باشا أمر بتجهيز العساكر الى قتاله وجعل على تلك العساكر خورشيد باشا الذى كان محافظ مكة سنة سبع وأربعين ووقعت الفتنة بينه وبين تركى بلماز كما تقدم بيان ذلك فتجهز خورشيد باشا بالعساكر الكثيرة للمسير الى نجد وكان مسيره من المدينة المنورة سنة ثلاث وخمسين فلما وصل الى نجد وقع بينه وبين فيصل بن تركى وقائع حصل فيها قتال شديد يطول الكلام بذكره واستمر الامر بينهما الى ان قبض على فيصل واستولى على الدرعية والرياض وغيرهما وأرسل فيصل الى مصر لمحمد على باشا سنة أربع وخمسين وكان صحبة خورشيد باشا خالد بيك ابن سعود وكان خالد من الاسرى الذين قبض عليهم ابراهيم باشا سنة ثلاث وثلاثين وأرسلهم الى مصر فكبر خالد بن سعود وتربى بمصر فاستحسن محمد على باشا ان يجعله أميرا فى نجد بلاد آبائه فأرسله صحبة خورشيد باشا ورتب له المرتبات الجزيلة فلما قبض خورشيد باشا على فيصل بن تركى وأرسله الى مصر أقام خالد بن سعود أميرا فى الرياض ومهد له الامور الى ان استقر أمره ورجع خورشيد باشا بالعساكر فاستمر خالد بن سعود سنتين ثم ظهر منه عدم استقامته وعدم سلوكه على الطريقة التى يرتضيها أهل نجد فثار عليه رجل يقال له عبد الله بن ثنيان قيل انه ليس من آل سعود أهل الامارة وقيل انه منهم فتغلب وعاهده الناس وأراد الفتك بخالد بن سعود فهرب خالد وجاء الى مكة هاربا وكان يتردد بين مكة وجدة الى ان توفى وكان له معاش جزيل مرتب من محمد على باشا وصار أمر نجد لعبد الله بن ثنيان فلما بلغ الخبر فيصل ابن تركى الذى أرسله خورشيد باشا الى مصر محبوسا صار فيصل يدبر الامر فى هربه من مصر ليصل الى نجد وينتزع الملك من عبد الله بن ثنيان فسهل الله له ذلك باعانة عباس باشا ابن طوسون باشا ابن محمد على باشا وكان الامر فى ذلك الوقت لمحمد على باشا ولابنه ابراهيم وليس لعباس باشا شئ من الامر الا انه كان محببا عند جده محمد على باشا ومسموع الكلمة عند رجال دولته وكان يجتمع كثيرا بفيصل بن تركى وهو محبوس فقال له فيصل يوما ان نجدا صارت بيد عبد الله بن ثنيان فلو تخلصت من الحبس وأصل الى نجد انتزع الملك منه ان شاء الله تعالى وأصير خادما لافندينا تحت أمره فوعده



فقال لهم الى هنا انتهى أثره فما أدرى بعد ذلك أصعد السماء أم غاص فى الارض فقال لهم قائل ادخلوا الغار فقال لهم أمية بن خلف ما أربكم فى الغار وان عليه لعنكبوتا من قبل ميلاد محمد ثم بال حتى سال بوله فى الغار بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل العنكبوت وقال انها جند من جنود الله تعالى والراء شجرة لها زهر دقاق بيض يحشى به المخاد وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين ذكره السهيلى * وفى الصحيحين والترمذى عن أبى بكر رضى الله عنه قال نظرت الى أقدام المشركين وهى على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدمه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما انتهى وكان خوف الصديق رضى الله عنه على رسول صلى الله عليه وسلم لا على نفسه فانه قال يا رسول الله ان قتلت فأنا رجل واحد من أمتك وان أصبت أنت هلكت الامة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يسكن روعه ويقوى جاشه ويقول له لا تحزن ان الله معنا فرجع المشركون خزايا وعصم الله تعالى نبيه

عباس باشا بأنه يدبر هذا الامر له وأمره بكتمانه ثم بعد أيام أحضر له ركائب وخيلا خفية ووضعها بموضع بعيد عن مصر واحتال في اخراجه من القلعة المحبوس فيها بمواطأة مع البواب سرا فخرج في ليلة ووصل الى المواضع التي فيها الركائب والخيل هو وبعض اتباعه وركبوها وتوجهوا الى نجد وبعد يومين بلغ خبر هروبه ابراهيم باشا فأركب كثيرا من العسكر يسيرون خلفه ليدركوه وكان ممن ركب معهم عباس باشا فساروا يومين فلم يدركوه فرجعوا ولم يزل فيصل سائرا هو ومن معه الى ان وصلوا جبل شمر وقصدوا ابن رشيد أمير جبل شمر فأضافهم وأكرمهم وأحسن نزلهم ثم سار بكثير من قومه معهم وقصدوا القصيم فلما وصلوا القصيم قابلهم أهله وأضافوهم وأكرموا نزلهم وساروا معهم بكثير من قومهم معهم فصار الجميع جيشا فقصدوا عبد الله بن ثنيان وهو في الرياض فقاتلوه وحصروه الى ان قبضوا عليه وحبسوه ثم قتل خنقا في الحبس وكان ذلك سنة ثمان وخمسين واستقل فيصل بالملك واستقامت له الامور واستمر الى ان توفي سنة اثنتين وثمانين وأصابه في آخر عمره غشاوة في عينيه فصار لا يبصر فكان يوقف عنده بعض خدمه يعرفونه الناس ويخبرونه بكل من أقبل للدخول عليه قبل ان يصل اليه ولما توفي فيصل قام بالامر بعده ابنه عبد الله ثم وقع بينه وبين اخوته اختلاف فانتزعوا الامر منه وقام به أخوه سعود بن فيصل ثم مات ورجع الامر الى عبد الله وهو باق الى الآن أعني سنة ألف وثلثمائة الا ان ملكه صار ضعيفا جدا لان الدولة العلية انتزعت منه الحساء والقطيف وخرج عن طاعته أهل القصيم وصاروا تحت أمر الدولة وكذلك ابن رشيد أمير جبل شمر قوي ملكه وخرج عن طاعة عبد الله بن فيصل وصار تحت طاعة الدولة ويدفع لهم خراجا وكذلك أهل القصيم يدفعون للدولة خراجا وأميرهم منهم ولم يبق تحت طاعة عبد الله بن فيصل سوى القبائل القريبة منه ولنرجع الى اتمام مدة امارة سيدنا الشريف محمد بن عون وقد تقدم انه كان بينه وبين عثمان باشا غاية المحبة والالفة الى سنة ستين ثم حصل بينهما تنافر واختلاف سببه ان عثمان باشا أغراه بعض الناس على بعض الامراء من الاشراف منهم الشريف سلطان بن شرف والشريف عبد الله بن زيد بن سليم وقالوا له انهم يأخذون أكثر المتحصل من الزكوات المتحصلة من رعاياهم ولا يدخلون الخزانة الا النزر اليسير فتهدد عثمان باشا بعض الامراء الذين قيل فيهم ذلك فلما بلغ الخبر مولانا الشريف محمدا غضب لذلك وحصل بينه وبين عثمان باشا التنافر ونزل عثمان باشا الى جدة وأقام بها وتوجه مولانا الشريف محمد الى الطائف ثم الى المبعوث وأقام به وصار كل منهما ينتظر الجواب من دار السلطنة لان كلا منهما أنهى الى الدولة الشكاية وفي تلك المدة كثر القيل والقال وصار الناس أهل الفساد يثيرون الشر بينهما ويختلقون كثيرا من الاكاذيب وأمر عثمان باشا كرد عثمان كبير العساكر الخيالة ان يتوجه بالعساكر الى المبعوث ويكون في مقابلة سيدنا الشريف محمد وقصد بذلك التخويف والمحافظة عليه فلم يكترث بهم مولانا الشريف بل أذن لهم بالنزول في مقابلته وكان كرد عثمان يأتي اليه ويقبل يده ويجلس عنده وهو يقابله ويكرمه وأرسل عثمان باشا الى الدولة يطلب منهم ارسال الشريف علي بن غالب الى مكة وأظهر ان القصد بذلك حضوره عند أهله لحفظ أموالهم فأذنت الدولة للشريف علي بن غالب بالتوجه وكان مولانا الشريف محمد بن عون عرف محمد علي باشا بما هو حاصل بينه وبين عثمان باشا وكان محمد علي باشا يحب الشريف محمدا لكونه السبب في أصل ولايته امارة مكة فصار محمد علي باشا مجتهدا في نصرته وكان مسموع الكلمة عند الدولة ورجالها فلما توجه الشريف علي بن غالب من دار السلطنة وجاءت الاخبار الى مكة بتوجهه كثرت الاراجيف بمكة وشاع بين الناس انه اذا وصل يتم مراد عثمان باشا ويقبض على مولانا الشريف محمد ويأتي بعد ذلك الشريف عبد المطلب أميرا على مكة وكثرت هذه الاشاعات ولما وصل الشريف علي بن غالب الى مصر أكرمه محمد علي باشا غاية الاكرام

وصاحبه منهم وقد ثبت في صحيح البخاري انهما مكثا في الغار ثلاثا * وعن طلحة البصري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكثت أنا وأبو بكر رضي الله عنه بضعة عشر يوما ما لنا طعام الا ثمر البرير قال أبو داود البرير الاراك * وفي حديث الهجرة ان أبا بكر رضي الله عنه أمر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقوله المشركون فيهما نهاره ثم يأتيهما ليلا بما يكون في ذلك اليوم من الخبر وأمر مولاه عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما في الغار اذا أمسى وكانت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه تأتيهما ليلا بما تصلحه لهما من الطعام وكان عبد الله بن أبي بكر يكون نهاره في قريش يتسمع ما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأتيهما اذا أمسى ويخبرهما الخبر وكان عامر ابن فهيرة يرعى غنمه في رعيان مكة فاذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا لهما فاذا راح عبد الله بن أبي بكر من عندهما الى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم فقفاه حتى يعمي أثره على الكفار حتى اذا مضت الثلاثة وسكت عنهما الناس أتاهما صاحبهما

واحتفل به غاية الاحتفال وكان ذلك سنة احدى وستين ثم بعد ذلك بثلاثة أيام توفى وانتقل الى رحمة الله تعالى بعمر فقيل انه مرض وقيل مات مسموما والله أعلم بحقيقة ذلك ثم ان محمد على باشا عرف الدولة العلية بما هو حاصل من عثمان باشا من المضاررة للشريف محمد بن عون وطلب منهم ان يعزلوا عثمان باشا من ولاية جدة و يرجعوه الى مشيخة حرم المدينة وان شريفا باشا الذى فى المدينة يكون واليا على جدة وشيخ الحرم المكى فاجيب محمد على باشا الى ذلك وصدر الامر من الدولة بذلك فلما جاءت الاخبار لعثمان باشا بما صدر به الامر اغتم ومات من ليلته وقيل انه سم نفسه وكان ذلك أيضا سنة احدى وستين ثم جاء شريف باشا من المدينة بعد وصول الامر له من الدولة العلية ووقع بينه و بين مولانا الشريف محمد بن عون غاية المحبة والالفة واستقامت الاحوال على أتم النظام وفى سنة اثنتين أو ثلاث وستين توجه مولانا الشريف محمد بن عون الى نجد بأمر من الدولة العلية لاخماد فيصل بن تركى أمير الرياض لانه بلغ الدولة انه استفحل ملكه و يخشى من تطاوله كما كان من أسلافه فصدر الامر من الدولة بتوجيه العساكر لقتاله واخماده وان يكون ذلك بمعرفة الشريف محمد بن عون وتدبيره فأخذ العساكر وتوجه بنفسه وكان توجهه من المدينة ولم يزل سائرا بالعساكر والقبائل تطيعه وسار معه ابن رشيد أمير جبل شمر بكثير من القبائل فلما وصلوا الى القصيم نزلوا به فقابلهم أهل القصيم وأعطوهم الطاعة ووعدوهم النصر فلما بلغ الخبر فيصل بن تركى دخله غاية الرعب وأرسل لاهل القصيم وطلب منهم ان يجتهدوا له فى عقد صلح و يضعوا عليه خراجا فاجتهدوا مع مولانا الشريف محمد فى الصلح الى ان رضى ووضعوا على فيصل بن تركى خراجا لكل سنة عشرة آلاف ريال فرضى بذلك فيصل وتم الصلح ورجع مولانا الشريف محمد بالعساكر فى سنته تلك وكان رجوعه من الشرق الى الطائف واستمر فيصل يدفع ذلك الخراج سنين كثيرة الى ان توفى فيصل ثم انقطع دفع ذلك الخراج وتقدم ان وفاة فيصل كانت سنة اثنتين وثمانين وفى سنة أربع وستين تخلى محمد على باشا عن ملك مصر لمرض أصابه فقلده ولده ابراهيم باشا ومكث نحو احد عشر شهرا وتوفى فى ذى الحجة من السنة المذكورة فاقيم فى ولاية مصر عباس باشا بن طوسون باشا ابن محمد على باشا وفى رمضان سنة خمس وستين توفى محمد على باشا وعمره تسع وسبعون وفى سنة أربع وستين وجهت الدولة للشريف عبد الله بن مولانا الشريف محمد بن عون رتبة باشا ميرميران بنيشان ولاخيه الشريف على رتبة باشا أمير الامراء بنيشان ثم بعد مدة جاء مثل ذلك لاخيه الشريف الحسين ثم جاء بعد مدة مثل ذلك لاخيه الشريف عون الرفيق ثم بعد مدة جاء مثل ذلك لاخيه الشريف عبد الله ثم بعد مدة ترقى الجميع الى ان أعطوا رتبة الوزارة وفى سنة خمس وستين عزل شريف باشا وتولى بدله حسيب باشا وفى هذه السنة توجه الشريف عبد الله باشا بكثير من العساكر الى بيشة لاخماد عسير لانهم تطاولوا واستولوا على بيشة وبنى شهر فسار بالعساكر وأرجع تلك المواضع الى حكم الدولة وعقد صلحا مع عسير على أنهم لا يتجاوزون بلادهم وفى هذه السنة أيضا توجه سيدنا الشريف محمد بن عون الى الحديدة بكثير من العساكر الباقية بعد الذين توجهوا الى بيشة مع الشريف عبد الله وكان توجه مولانا الشريف محمد الى اليمن من طريق البحر وانتزع الحديدة والمخا وزبيد وبيت الفقيه من يد الشريف الحسين بن على بن حيدر لانه كان تغلب عليها وملكها فلما وصل مولانا الشريف محمد بالعساكر خاف الشريف الحسين وسلم البنادر المذكورة لسيدنا الشريف محمد بلا قتال ووعده بان الدولة ترتب له مرتبات فى مقابلة ذلك ووفى له بذلك ثم بعد تملكه تلك البنادر رتبها وجعل فيها أمراء وجعل الشريف عبد الله بن شرف فى المخا وكان قد أعطى رتبة باشا ومكث هنالك أميرا الى أن توفى بعد سنة وأما سيدنا الشريف محمد فانه بعد تملكه البنادر أرسل العساكر الى صنعاء ومعها معاونه توفيق باشا والسيد اسحق شيخ السادة ومعهم محمد بن يحيى من أبناء

الذى استأجراه ليريهما الطريق وأتتهما أسماء رضى الله عنها بسفرتها وارتحلا وبقية أخبار هجرتهما فى السير فليراجعها من أرادها

• ورحم الله الابوصيرى حيث قال فى بردته

وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما
وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الاطم

قال المرجانى فى بهجة النفوس ذكر لى ان رجلا كان له أموال و بنون وانه أصيب بذلك فلم يحزن ولم يجزع على مصائبه لقوة صبره وتحمله فقال روى انه من دخل غار ثور الذى آوى اليه النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضى الله عنه وسأل الله تعالى أن يذهب عنه الحزن لم يحزن على شئ من مصائب الدنيا وقد فعلت ذلك فما أجد حزنا

• وقال المرجانى رحمه الله تعالى هذه الخاصية من

أئمة صنعاء فتملكوا صنعاء ووضعوا فيها اماما محمد بن يحيى ثم بعد أيام ثار عليه أهل صنعاء وقتلوه وقتلوا توفيقا باشا وبعض العسكر وأخرجوا الباقين وأما الحديدة وبقية البنادر فبقيت على ما رتبها عليه سيدنا الشريف محمد بن عون ورجع من سنته وكان رجوع ابنه الشريف عبد الله من بيشة قبل رجوعه وفى مدة غيبتهما كانت أكثر الاحكام بتصرف حسيب باشا ورتب مجلسا من العلماء والمفاتى الاربعة فى كل أسبوع وصار يصنع لهم طعاما من أفخر الاطعمة الملوكية فى كل أسبوع وأظهر فى أول الامر انه يريد التحقيق فى الاحكام الشرعية واجراءها على طبق الشرع الشريف وقسم هدايا جزيلة على العلماء ثم ظهر بعد ذلك انه انما يريد انتزاع الاوقاف السلطانية من أيدى الناس الذين استولوا عليها بالفراغات الشرعية فلم يمكنوه من ذلك وقال له مفتى مكة السيد عبد الله المرغنى لا يسوغ لك ذلك بحال فعزله وقلد منصب الافتاء للسيد محمد الكتبى الحنفى الازهرى وظن أنه يوافقه على مراده فصار السيد محمد الكتبى متحيرا فى هذا الامر وانعقد لذلك مجالس كثيرة فى كل أسبوع فأراد حسيب باشا فتح دعوى على السيد عبد الله بن عقيل أخى السيد اسحق شيخ السادة لينتزع منه دارا بناها السيد عبد الله المذكور بالقرب من الصفا وأصلها من الاوقاف السلطانية فلما تحقق السيد عبد الله بن عقيل انه يريد فتح الدعوى عليه ركب بالليل على ركائب وتوجه من طريق البر الى مصر ثم منها الى دار السلطنة وكتب أهل مكة محضرا خفية عن حسيب باشا وبعثوا به الى السيد عبد الله بن عقيل ليقدمه الى مولانا السلطان وفيه جملة من أختام أعيان أهل مكة من العلماء والاشراف والسادة وغيرهم مضمونه الشكاية من حسيب باشا وانه يريد انتزاع الاوقاف السلطانية من أيدى أهلها الواضعين أيديهم عليها بالفراغات الشرعية فقدمه السيد عبد الله بن عقيل لمولانا السلطان وانعقد لذلك مجالس فى دار السلطنة ثم برز الامر من السلطنة السنية بمنع حسيب باشا عن التعرض للاوقاف السلطانية وابقاء ما كان على ما كان وتحرر لذلك فرمان سلطانى بطرة مولانا السلطان عبد المجيد ابن مولانا السلطان محمود وجاء به السيد ابن عقيل وكان حسيب باشا بعد ان تحقق توجه السيد عبد الله بن عقيل الى دار السلطنة أمسك عن فتح الدعاوى فى الاوقاف السلطانية ينتظر ماذا يكون بعد وصول السيد عبد الله بن عقيل فلما جاء السيد عبد الله بن عقيل بالفرمان المذكور بطل كل ما أراده حسيب باشا واطمأن الناس وكان الفرمان المذكور بالعربى والخطاب فيه لامير مكة سيدنا الشريف محمد بن عون فقرئ الفرمان بحضوره وحضور حسيب باشا وجمع من وجوه الناس فامتثل ذلك حسيب باشا ورجع عما كان فى عزمه وبقى هذا الفرمان محفوظا عند السيد عبد الله المرغنى بعد ان سجل فى سجل قاضى مكة ثم جاء الامر من شيخ الاسلام عارف عصمت بيك لحسيب باشا بارجاع منصب الفتوى للسيد عبد الله المرغنى ففعل ذلك ثم جاء بعد ذلك العزل لحسيب باشا فى شوال سنة ست وستين وكان ابتداء ولايته فى آخر سنة أربع وستين ووصل الى مكة فى المحرم سنة خمس وستين فكانت مدة ولايته بمكة سنة وتسعة أشهر وولى بدله عبد العزيز باشا الملقب آقه باشا واشتهر بلقبه فوصل الى مكة فى شوال سنة ست وستين وتوجه حسيب باشا الى المدينة للزيارة ثم منها الى دار السلطنة وكان معه شريف باشا لانه لما عزل حسيب باشا لم يتوجه الى دار السلطنة بل بقى بمكة مصطحبا مع حسيب باشا الى أن توجها معا بعد عزل حسيب باشا ومجىء آقه باشا لمكة وفى سنة سبع وستين نزل الشريف عبد الله باشا الى جدة ومعه أخوه الشريف على باشا لقضاء بعض أشغال لهما فخضرا يوما عند آقه باشا وكان ذلك فى شهر رجب من السنة المذكورة فابرز لهما أمرا ساميا من الصدر الاعظم رشيد باشا مضمونه حضورهما مع والدهما سيدنا الشريف محمد ابن عون الى دار السلطنة فامتثلا الامر وطلعا الى المراكب وكتب آقه باشا الى والدهما سيدنا الشريف محمد بن عون بمضمون ذلك الامر فامتثل الامر ونزل الى جدة وركب مع ولديه فى المركب

تأثير قوله تعالى ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا انتهى * وهذا الغار مشهور معروف يتلقاه الخلف عن السلف ويزوره الناس ويدخلون اليه من بابه الكبير الذى يروى ان جبريل عليه السلام ضربه بجناحه ففتحه وقل أن يدخل اليه أحد من بابه الضيق لان الدخول عسر ويحتاج الى فطنة والمشهور عند العوام أن من حبس فيه لا يكون ابن أبيه وذلك كلام باطل لا أصل له وقد تعوق فيه قديما وحديثا كثير من الناس وأخذ لهم حجارون من مكة وقطعوا عنه وتكرر ذلك كثيرا فى كل عصر ومع ذلك لم يتسع كثيرا بل يتعوق الناس فيه للجهل بكيفية الدخول خصوصا اذا كان شخصا بطينا * وطريق الدخول فيه ان الداخل اليه ينبطح على وجهه ويدخل رأسه وكتفيه ثم يميل الى جانب يساره فلا يجد ما يعوقه ويسلك مائلا الى اليسار وأما من لا يعرف طريق الدخول فيدخل رأسه وكتفيه يستمر داخلا بباقى جسده فتصادمه صخرة أمامه وتعوقه فيرفع رأسه الى فوق ويخن بوسطه فلا يمكنه الولوج لسمنه وكلما شدد فى الدخول

وتوجهوا الى دار السلطنة ومعهم بعض العسكر من طرف آقه باشا وأقام آقه باشا فى مكة الشريف منصور بن الشريف يحيى بن سرور رقائما مقام أمير مكة وشاع بين الناس ان الدولة تريد توجيه الامارة لسيدنا الشريف عبد المطلب وحسن السيد اسحق لآقه باشا انه يطلب توجيه الامارة للشريف منصور بن يحيى فكتب فى ذلك وأصحبه محضرا من الاشراف وغيرهم من أعيان الناس مضمونه طلب الامارة للشريف منصور فلم يصادف ذلك عند الدولة العلية قبولا بل وجهت الامارة لمولانا الشريف عبد المطلب فى شهر رمضان ووصل الى مكة فى ذى القعدة من السنة المذكورة ولما وصل مولانا الشريف محمد وأولاده الى دار السلطنة حصل لهم غاية العز والاكرام وانزلوا فى المنزل اللائق بهم وأجرى عليهم الضيافة اللائقة ثم الترتيب اللائق بهم مدة اقامتهم وولد الشريف عبد الله بمكة وهو فى دار السلطنة مولود ترك فى بطن أمه سموه شرفا كانت ولادته فى آخر سنة سبع وستين وولد لاخيه الشريف على بدار السلطنة ولده الشريف حسين وكانت ولادته سنة سبعين وفى شهر المحرم من سنة ثمان وستين توجه سيدنا الشريف عبد المطلب لاصلاح قبائل حرب ولبناء قلاع فى الحربية فقابله قبائل حرب بالطاعة ومكنوه من بناء القلاع فبناها وأقام بها عساكر ثم توجه الى المدينة وأقام بها مدة ورجع الى مكة فى آخر السنة المذكورة وقد وقع بينه وبين آقه باشا اختلاف وتنافروا دعى على آقه باشا انه ضاره مدة اقامته فى الحربية فى ارسال الذخائر والخزائن والمهمات وانعقد بينهما مجلس فى شهر الحج فى دار أمير الحاج الشامى الذى جاء فى ذلك العام وهو أحمد عزت باشا الارزنجانى فأعان الشريف عبد المطلب وأثبتوا الخطأ على آقه باشا فأرسل مولانا الشريف عبد المطلب للصدر الاعظم رشيد باشا يطلب عزل آقه باشا وتوجيه ولاية جدة لاحمد عزت باشا الارزنجانى فأجيب الى ذلك لانه كان بين الشريف عبد المطلب ورشيد باشا صداقة فلما رجع أحمد عزت باشا بالحج الى الشام وجهت له ولاية جدة ومشيخة الحرم المكى وعزل آقه باشا فجاء أحمد عزت باشا المذكور الى مكة صحبة الحج الشامى فى شهر ذى الحجة سنة تسع وستين ومائتين وألف وأحمد عزت باشا هذا هو الذى بنى البيت الذى بالزاهر بالقرب من شهداء فخ فى مدة ولايته هذه وفى سنة سبعين توفى عباس باشا صاحب مصر وأقيم فى ولاية مصر سعيد باشا ابن محمد على باشا وفى سنة سبعين كان الشروع فى عمارة المسجد النبوى عمره السلطان عبد المجيد بعمارة عجيبة لم ير الراؤن أحسن منها واستمر فى تعميره نحو أربع سنين والبناء الذى كان قبله تعمير السلطان قايتباى سلطان مصر ثم ان أحمد عزت باشا المتولى ولاية جدة لما وصل الى مكة حصل بينه وبين الشريف عبد المطلب اختلاف ومنافرة بعد وصوله بأيام قلائل حتى صار الناس يتعجبون من سرعة وقوع الاختلاف بينهما ثم طلع كل منهما الى الطائف مع وجود تلك المنافرة فاتفق ان عزت باشا المذكور طلع يوما الى الوهط لزيارة عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما على مازعمه كثير من الناس والصحيح أن عكرمة مدفون بالشام فلما رجع عزت باشا من الوهط قرب المغرب صار عليه رمى بالبنادق من الجبال القريبة من المثنى فقيل ان بعض الرصاص أصاب طربوشه وسلمه الله منها فوقع فى ظنه ان وقوع هذا الامر انما كان باغراء الشريف عبد المطلب فاستحكمت العداوة بينهما فنزل الى مكة ولم ينزل الشريف عبد المطلب فى تلك السنة من الطائف وكتب كل منهما الى الدولة العلية يشكو من صاحبه بشكيات فعزلت الدولة أحمد عزت باشا وولوا كامل باشا فوصل الى مكة سنة سبعين فى شهر رجب فنزل الشريف عبد المطلب من الطائف قبل قدومه وقابله وأضافه وصار بينهما محبة وألفة وكان بينهما محبة سابقة حين كان الشريف عبد المطلب فى دار السلطنة ثم بعد أيام صنع كامل باشا تعليما للعساكر النظامية بالابطح وحضر هو والشريف عبد المطلب وغيرهما ممن يعتاد حضورهم وفى أثناء حصول ذلك التعليم جاء شخص للشريف عبد المطلب وأخبره

تعوق والحبس فيحتاج الى جار يقطع قليلا يخلصه ولا يتفطن للميل الى جهة الخلاص بسهولة ولكن الخرق قد اتسع كثيرا الآن * ومن الجبال المباركة فى الحرم جبل ثبير وهو على يسار الذاهب الى عرفات فى منى وهو الذى أهبط عليه الكبش الذى فدى به سيدنا اسماعيل عليه السلام قال مجد الدين الفيروزابادى فى كتابه الوصل والمنى فى فضل منى ان أبا بكر النقاش المفسر قال فى مناسكه ان الدعاء يستجاب فى ثبير الاثبيرا الذى بالخفه مغارة الفتح لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة وذكر ان بقرب المغارة التى أنشأها بالخف ثبير تعتكف عائشة رضى الله عنها * قال التقى الفاسى ويعرف هذا الموضع بصخرة عائشة انتهى * قلت هذه الصخرة غير معروفة الآن * قال رحمه الله تعالى حدثنى محمد بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز بن عمران عن معاوية الازدى عن معاوية بن قرة عن الجلد بن أيوب عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تجلى الله عز وجل للجبل تشظى

بانهم يريدون القبض عليه فى هذا اليوم فقام كانه يريد قضاء حاجة وخرج من المجلس وغاب طويلا ثم جاء الخبر لكامل باشا انه ركب وتوجه الى الطائف فتفرق الجمع الذين كانوا مجتمعين لحضور التعليم وكان تفرقهم بعد تمام التعليم على ماهو المعتاد ولم يعلم أحد بحقيقة الحال الا بعد مدة وبقى الشريف عبد المطلب بالطائف واستحكمت العداوة بينهما أكثر مما كانت مع عزت باشا وآقه باشا وكان الشريف عبد المطلب يتهم السيد اسحق لانه هو الذى يلقى العداوة بينه وبين الولاة لان السيد اسحق كان من أكبر المحبين للشريف محمد بن عون فلما تولى الشريف عبد المطلب نزل الى جدة واستقبله عند قدومه ومدحه بقصيدة وصار يصانعه ويظهر له الصداقة فلم يأمنه الشريف عبد المطلب لكونه يراه مصطحبا مع الولاة فان آقه باشا كان مقربا للسيد اسحق يستشيره فى كثير من مهمات الامور ثم صار بعده عزت باشا كذلك ثم كامل باشا كذلك وكانت تأتيهم مكاتيب من الصدارة ومن شيخ الاسلام بالتوصية على السيد اسحق وكان استخراج تلك المكاتيب من الصدارة ومشيخة الاسلام بواسطة الشريف محمد بن عون وابنه الشريف عبد الله فلما رأى الشريف عبد المطلب شدة اتصال السيد اسحق بالولاة ورأى محبتهم له لم يأمنه وصار يظهر له الكراهة واذا حضر عنده لم يلتفت له كل الالتفات وكان قد عزله من مشيخة السادة سنة تسع وستين بعد عزل آقه باشا وتولية عزت باشا وأقام فى مشيخة السادة أخاه السيد عبد الله بن عقيل وبعد عزله زاد اتصاله بالولاة وزاد تقريبهم له ومحبتهم اياه لاسيما والمكاتيب من دار السلطنة يتوالى تكرارها عليهم فاستحكمت العداوة بين السيد اسحق والشريف عبد المطلب وزيادة على ذلك ان الناس الذين يسعون بالفساد صاروا يوشون بينهما وينقلون أشياء توغر منها الصدور ويشيعونها بين الناس ففى سنة احدى وسبعين والشريف عبد المطلب بالطائف وكامل باشا بجدة أرسل الشريف عبد المطلب من الطائف عسكرا من عسكر بيشة للقبض على السيد اسحق والاتيان به الى الطائف فجاؤا خفية من طريق الحسينية والسيد اسحق بداره المعروفة بالهجالية فوجدوه بالبستان المتصل بالدار وعنده نجار يصطنع له ساقية فقبضوا عليه وذهبوا به على طريق الحفاير ثم على الحسينية وتوجهوا به الى الطائف فلما جاء الخبر الى مكة لقائم مقام كامل باشا أركب العساكر ليدركوهم ويخلصوه منهم فلم يدركوهم فلما وصل السيد اسحق الى الطائف أركبوه حمارا اسود قصيرا وكان السيد اسحق طويلا ذا هيئة بهية فكان ذلك تعزيرا له وطافوا به فى الطائف وسوقه وعسكر بيشة والعبيد محيطون به ثم حبسوه فى القلعة التى فى المثناة المسماة مشرفة تجاه دار الشريف عبد المطلب الكبيرة التى بناها فى العام الذى قبله ثم بعد ليلتين أخرجوه منها ميتا فصار بذلك تهمة على الشريف عبد المطلب فمن قائل انه مات خنقا وقائل انهم عصروا خصيتيه حتى مات والله أعلم بحقيقة الحال فلما بلغ خبر موته كاملا باشا وهو بجدة غضب غضبا شديدا وأرسل رمزى أفندى مدير الحرم الى دار السلطنة ليبلغ هذا الخبر وكثر فى ذلك القيل والقال وبقى الشريف عبد المطلب بالطائف ومانزل ولا فى وقت الحج وانقضت السنة والاراجيف كثيرة فلما كان شهر صفر من سنة اثنتين وسبعين وصل الى جدة من دار السلطنة باشا فريق يسمى راشد باشا وشاع بين الناس انه يريد القبض على الشريف عبد المطلب ويقيم الشريف عبد الله بن ناصر ابن فواز بن عون قائما مقام الشريف محمد بن عون وكان متزوجا ببنت الشريف محمد وأبوه ابن عم الشريف محمد وكان وكيلا على بيته وأمواله فى مدة غيبته واتفق فى تلك الايام التى قدم فيها راشد باشا انه ورد التنبيه من كامل باشا لقائم مقامه بمكة ان يجمع دلالى الرقيق ويمنعهم من بيع الرقيق بمقتضى أمر جاء لكامل باشا من الدولة ففعل قائم مقام الباشا ما أمره به فصار للناس من ذلك انزعاج واضطراب وصاروا يقولون كيف يمنع بيع الرقيق الذى أجازه الشارع وهاج الناس هيجانا شديدا

فطارت من قطعه ثلاثة أجبل فوقعت بمكة وثلاثة أجبل بالمدينة فوقع بمكة حراء وثبير وثور ووقع بالمدينة أحد وورقان ورضوى * ومنها الجبل المقابل لثبير الذى بجهة مسجد الخيف لان فيه غارا يقال له غار المرسلات فيه أثر رأس النبى صلى الله عليه وسلم * قال ابن جبير بعد أن ذكر مسجد الخيف وبقربه على يمين المار فى الطريق حجر مستدير الى سفح الجبل مرتفع عن الارض يظلل ماتحته ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم قعد تحته مستظلا ومس رأسه الكريم فلان الحجر حتى أثر فيه تأثيرا بقدر دورة الرأس فيضع الناس رؤسهم فى هذا الموضع تبركا بموضع رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم كيلا تمس رؤسهم النار برحمة الله عز وجل * وقال ابن خليل يستحب أن يزور مسجد المرسلات نزلت فيه المرسلات وهو يمين مسجد الخيف * وذكر المحب الطبرى فى كتابه القرى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال بينا نحن مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار بمنى اذ وثبت علينا حية فقال النبى صلى الله عليه وسلم اقتلوها فابتدرناها فذهبت

فاجتمع جماعة من طلبة العلم عند الشيخ جمال شيخ عمر وكان رئيس العلماء وقالوا نذهب الى القاضي ونذاكره في ذلك ليراجع كاملا باشا وهو يراجع الدولة في ذلك فاجتمع معهم وهم ذاهبون الى بيت القاضي خلق كثير من غوغاء الناس فلما دخلوا على القاضي فزع منهم وهرب ودخل الى بيت حريمه فزاد هيجان الناس واضطرابهم وهاج بسبب ذلك بعض العساكر الضابطية الذين كانوا في دار الحكومة ورأوا بعض الناس حاملين السلاح ويقولون الجهاد فثار من ذلك فتنة عظيمة وصار الرمي بالبندق من الفريقين وانتشرت الفتنة ورمي البندق في الاسواق والطرقات وصار القتل لكثير من العسكر وغيرهم وتوقف بعض العسكر مع بعض أهل البلد في المسجد الحرام وصاروا يترامون بالبندق وقتل في المسجد أناس من ذلك الرمي ففزع بعض الناس الى الشريف منصور وابن الشريف يحيى بن سرور وهو في داره وسألوه تسكين هذه الفتنة فاطلق مناديا في مكة لمنع الناس من الفتنة فامتثلوا أمره وأمن الناس وتحفظ على العساكر الشاهانية وأطلع كثيرا منهم القلعة وكذلك الشريف عبد الله بن ناصر أدخل كثيرا من العسكر في دار الشريف محمد بن عون وسكنت الفتنة فلما جاء الخبر في الطائف للشريف عبد المطلب جمع القبائل وقال اني أريد حماية أهل مكة لئلا يصيبهم ضرر من كامل باشا بسبب ما صار منهم فلما وصلت لكامل باشا الاخبار الاولى التي حصل منها الفتنة أرسل الى أهل مكة بالامان وانه يراجع الدولة في أمر الرقيق فلم يطمئن الناس بذلك بل صاروا خائفين من سطوته ثم لما بلغه ان الشريف عبد المطلب جمع القبائل ويريد المجيء بهم الى مكة أرسل وطلب الشريف عبد الله بن ناصر الى جدة وكذلك طلب الشريف منصور بن يحيى وقيل ان الشريف منصورا توجه الى جدة بلا طلب خوفا من الشريف عبد المطلب وتباعدا عن الفتنة ثم توجه الشريف عبد المطلب بالقبائل من الطائف وجاء بهم الى مكة وكان العساكر الشاهانية بالقلعة ومعهم أويس باشا قمندان العساكر فأقام كامل باشا الشريف عبد الله بن ناصر قائما مقام أمير مكة الشريف محمد بن عون وكتب للشريف عبد المطلب انك معزول وان الدولة وجهت امارة مكة للشريف محمد بن عون وقد أقمنا الشريف عبد الله بن ناصر قائما مقامه فلم يقبل منه الشريف عبد المطلب ذلك وعقد مجمعا في داره التي في القرارة وأحضر فيه كثيرا من الاشراف والسادة والعلماء وأعيان الناس وأخبرهم اني انما جئت بالقبائل لحمايتكم ونصرة الدين وعقد عهودا ومواثيق بينهم وصار أهل الحارات حاملين للسلاح ويعسون في البلاد طول الليل ثم ان كاملا باشا جهز عسكرا من جدة بعد ان أقام الشريف عبد الله بن ناصر قائما مقام أمير مكة الشريف محمد بن عون وأرسله مع العسكر الذين جهزهم الى بحره ومعهم أيضا راشد باشا الفريق الذي قدم من دار السلطنة فنصبوا العرضي في بحره وكتب الشريف عبد الله بن ناصر للامراء من الاشراف وللقبائل وأهالي مكة يخبرهم بحقيقة الحال ولم يقبل ذلك الشريف عبد المطلب وقال هذا كله تزوير واختلاق من كامل باشا وجهز كثيرا من القبائل وأرسلهم مع بعض الامراء من الاشراف وغيرهم لقتال العسكر الذين في بحره فهجموا على العرضي ووقع القتال بين الفريقين ثم انهزمت تلك القبائل ورجعت الى مكة وتكرر ذلك ثلاث مرات وهم ينهزمون في كل مرة منها وتكررت مكاتبات الشريف عبد الله بن ناصر لكثير من الاشراف وشيوخ القبائل وبقية الناس فصاروا يتأخرون عن الشريف عبد المطلب ودخلهم الفشل وذهب كثير من الاشراف وشيوخ القبائل الى العرضي في بحره عند الشريف عبد الله بن ناصر فصار يكرمهم بالكساوي وعطايا الدراهم ثم انتقل بالعرضي الى الشميسي فلما تحقق الشريف عبد المطلب ان كثيرا من الناس تخلوا عنه وأخذوا الامان من الشريف عبد الله بن ناصر عزم على الخروج من مكة والتوجه الى الطائف وقال للاشراف ولاهل مكة ومن بقي معه من القبائل قد أعذرتكم فخذوا الامان لانفسكم من

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها أخرجه البخاري * قال السيد التقي الفاسي رحمه الله بلغني عن شيخنا المجد الفيروزابادي أنه قرأ في هذا الغار سورة المرسلات في جماعة فخرجت عليهم حية فابتدروها ليقتلوها فهربت وهذا من غريب الاتفاق لموافقته للقصة التي اتفقت للنبي صلى الله عليه وسلم * ومنها جبل الخندمة وهو جبل كبير خلف أبي قبيس * قال الفاكهي حدثني أبو بكر أحمد بن محمد المليكي حدثنا عبد الله ابن عمرو بن أسامة قال حدثنا أبو صفوان المرواني عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما مطرت مكة قط الا وكان الخندمة غرة وذلك ان فيها قبر سبعين نبيا انتهى وهي مشرفة على أجياد الصغير وشعب عامر وهي معروفة الآن عند الناس بمكة * وأما المساجد المأثورة المباركة فمنها ما قد انمحى أثره ولا يعرف مكانه فلا نطول كتابنا بذكره * وأما الموجود المعروف منها فعدة مساجد * منها مسجد الاجابة على يسار الذاهب الى منى في شعب بقرب ثنية أذاخر يقال ان النبي صلى الله عليه

الشريف عبد الله بن ناصر وانى أريد التوجه الى الطائف وأتجهز منه ثم أتوجه الى دار السلطنة من طريق البر ثم توجه الى الطائف ومعه بعض أتباعه وكان ذلك فى آخر شهر ربيع الاول من السنة المذكورة ثم سار الشريف عبد الله بن ناصر وراشد باشا ومن معهما من العساكر من الشميسى ودخلوا مكة وأطلقوا المنادى بولاية سيدنا الشريف محمد بن عون امارة مكة وأمنوا الناس ولم يعاقبوا أحدا من الناس الذين قاموا فى تلك الفتنة فاطمأنت البلاد وسكنت الفتنة ونصبوا العرضى الذى فيه العسكر الذين جاؤا معهم فى الابطح وصار الشريف عبد الله بن ناصر يطلع فى الليل يبيت فى العرضى فى صيوان نصب له هناك ويجلس فيه فى النهار أيضا فى بعض الاوقات وفى بعضها ينزل الى دار سيدنا الشريف محمد بن عون وصارت أحكام البلد كلها مفوضة اليه وأما الشريف عبد المطلب فانه لما وصل الى الطائف وهو عازم على التجهز والتوجه الى دار السلطنة من طريق البر جاءه بعض الناس ونقضوا عزمه عن التوجه الى دار السلطنة وحسنوا له ان يجمع قبائل الحجاز كبنى سعد وغامد وزهران ويجعلهم مع قبائل الطائف كثقيف وبنى سفيان ويقاتل بالجميع الشريف عبد الله بن ناصر ومن معه ويخرجهم من مكة فوافقهم على ذلك وترك التوجه الى دار السلطنة وأرسل للقبائل المذكورة وجمعهم ودفع لهم أموالا من عنده وكان فى قلعة الطائف عسكر من عساكر الدولة فأخرجهم منها واستولى على القلعة ثم أمر عسكر الدولة الذين كانوا فى القلعة ان يتوجهوا الى مكة وكانت الطرق كلها مخوفة لانتشار العربان والقبائل فيها وكان الشريف فواز بن ناصر أخو الشريف عبد الله بن ناصر فى بلاد لهم تسمى رحاب ومعه اخوانه وأهله فخاف على عسكر الدولة الذين أخرجوهم من الطائف ان تتخطفهم الاعراب فى الطريق فعارضهم بعد أن خرجوا من الطائف وذهب بهم الى رحاب وأضافهم وأكرمهم ثم سير معهم من أوصلهم الى الشريف عبد الله بن ناصر ولما اجتمع كثير من القبائل عند الشريف عبد المطلب فى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة أرسلهم الى مكة وجعل عليهم أميرا الشريف الحسين بن منصور الشنبرى ومعه جماعة من الاشراف الذين كانوا مع الشريف عبد المطلب فهجموا على العرضى الذى فى الابطح وثار الحرب بين الفريقين وكان الشريف عبد الله بن ناصر فى ذلك الوقت بمكة فلما جاءه الخبر ركب مسرعا وتواقف الفريقان الى ان جاء الليل فصعد القبائل التى جاءت من عند الشريف عبد المطلب الى الجبال وتحصنوا فيها وباتوا الى ان أصبح الصباح فاعادوا الحرب ثم انهزموا هزيمة شنيعة وقتل كثير منهم وجاؤا برؤسهم الى مكة ثم جهز الشريف عبد المطلب جيشا آخر من القبائل آخر شهر رجب وسيرهم كالاولين فخرج الشريف عبد الله بن ناصر بالعساكر الى عرفة حين بلغه اقبالهم ليقاتلهم هناك فلما أقبلوا انتشب القتال بعرفة ثم انهزموا مثل الهزيمة الاولى ثم جهز الشريف عبد المطلب جيشا آخر من القبائل فى أواخر شعبان وسيرهم كالذين قبلهم ومعهم الشريف الحسين ابن منصور الشنبرى وبعض الاشراف وقيل ان الشريف عبد المطلب سار معهم بنفسه فى هذه المرة فهجموا على العرضى الذى فى الابطح واقتتلوا الى ان جاء الليل فتحصن القبائل بالجبال واتخذوا لهم متارس وبات الشريف عبد الله بن ناصر تلك الليلة فى العرضى بغاية الاحتراس خوفا على العساكر الشاهانية ان تهجم عليهم القبائل فى الليل وفى تلك الليلة جاء البشير من جدة بخبر وصول سيدنا الشريف محمد بن عون الى جدة وكان ذلك فى ثامن شعبان فبات العساكر تلك الليلة فى العرضى فى فرح وسرور ومظهرين الزينة فى العرضى حين ورد الخبر اليهم باطلاق المدافع والصواريخ وغير ذلك فلما أصبحوا انتشب القتال قليلا ثم انهزمت تلك القبائل هزيمة أقبح من اللتين كانتا قبل ذلك ورجعوا الى الطائف بعد ان قتل كثير منهم وجئ برؤسهم الى مكة ثم بعد يومين وصل سيدنا الشريف محمد بن عون الى مكة ومعه ابنه الشريف على باشا وأما ابنه الشريف عبد الله باشا فانه تأخر فى دار

وسلم صلى فيه وهو منهدم وفيه حجر مكتوب فيه انه مسجد الاجابة وانه عمر فى سنة عشرين وسبعمائة وعمر قريبا ثم انهدم وبنى حوله العربان بيوتا وهم يصلون فيه ويصونونه الا انه يحتاج الى أعظم من هذا ﴿ ومنها مسجد باعلى مكة ﴾ يقال انه مسجد الجن قال الازرقى فى تسمية أهل مكة مسجد الحرس فى مقابل الحجون وأنت مصعد على يمينك وانما سمى مسجد الحرس لان العسس يجتمعون عنده ليلا وقال وهو فيما يقال الموضع الذى خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ليلة استمع عليه الجن وان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اه * قلت وهذا المسجد الذى تحت الموضع الذى يسمى الآن الفرهادية بينهما طريق ضيق والله أعلم * ومنها مسجد الراية فيه مأذنة ذات دورين تهدم رأسها الآن ويقال لها منارة أبى شامة وامامه الى جانب اليسار بئر معطلة الآن يقال انها بئر جبير بن مطعم ابن عدى بن نوفل ويقال ان النبى صلى الله عليه وسلم ركز رايته يوم الفتح فى هذا المسجد * ومنها مسجد بالدعاء عند الميل الايمن للمستقبل فى مقابلة زقاق الحجزرة

السلطنة ثم أعطى رتبة الوزارة وصار من أعضاء مجلس شورى الدولة ثم بعد وصول سيدنا الشريف محمد بن عون الى مكة بأيام تجهز بالعساكر وتوجه بهم الى الطائف ومعه ابنه الشريف علي باشا والشريف عبد الله بن ناصر وكثير من الاشراف والقبائل وكان توجههم بعد ان أرسلوا للشريف عبد المطلب يعطونه الامان وان يترك القتال فامتنع وتحصن بالطائف واستعد للقتال وأمر أهل الطائف بحمل السلاح على مثل الحال الذي كان سنة ثلاث وأربعين وكان عنده بالطائف بعض من قبائل هذيل وثقيف وبني سفيان فلما قرب الشريف محمد بالعرضي من الطائف هربوا من الطائف وذهبوا للشريف محمد بن عون ولما توجه الشريف محمد بالعرضي من مكة في أواخر شعبان ولم يزل سائرا والقبائل تقبل عليه من كل ناحية يعرضون عليه ويطلبون الامان وهو يؤمنهم ويكرمهم بالضيافة والدراهم والكساوي من الجوخ والشيلان فلما قرب من الطائف أمر بنصب العرضي في العقيق في الموضع الذي نصب فيه سنة ثلاث وأربعين وحاصروا الطائف وضربوا عليهم المدافع ولم يبق عند الشريف عبد المطلب أحد غير أهل الطائف والشريف الحسين بن منصور الشنبري وبعض الاشراف فلما اشتد الحصار على أهل الطائف خرج جماعة منهم بالخفية ووصلوا الى العرضي وقابلوا سيدنا الشريف محمد وأخذوا منه أمانا لانفسهم ولاهل الطائف وللشريف الحسين ابن منصور الشنبري ومن معه من الاشراف ثم فتحوا باب السور وأدخلوا العساكر فأحاطوا بالدار التي كان فيها الشريف عبد المطلب ثم أعطوه الامان على نفسه وقبضوا عليه وأركبوه على فرس وأحاط به الشريف علي باشا والشريف عبد الله بن ناصر وأتباعهما وساروا به الى ان أوصلوه العرضي وسلموه للشريف محمد بن عون وكان ذلك في شهر رمضان من السنة المذكورة فأنزله الشريف محمد بن عون في داره التي بالطائف عند باب الحرم وجعل عليه عسكرا للتحفظ واطمأنت الناس وزالت الفتنة وأمنت الطرق وفي شهر شوال أنزلوا الشريف عبد المطلب من الطائف الى مكة والعساكر محيطة به للتحفظ وبعد وصوله الى مكة أنزلوه الى جدة وسلموه لكامل باشا فأركبه البحر ووجهه الى دار السلطنة ومعه عساكر للتحفظ وشاع ان الدولة أمرت بتوجهه الى سلانيك فأرسل الشريف عبد المطلب الى الصدر الاعظم رشيد باشا يطلب ان تكون اقامته بدار السلطنة فأجيب الى ذلك فجيء به الى دار السلطنة ونزل بالدار التي كان فيها أولا فبقي فيها في عز وإكرام ولم تعاقبه الدولة على شيء مما كان وأقام سيدنا الشريف محمد بن عون في مكة بعد هذه الفتنة سنتين والناس في أمن وأمان وسرور وقدم لمباشرة أكثر الامور ابنه الشريف علي باشا ومعه الشريف عبد الله بن ناصر وفي سنة ثلاث وسبعين عزل كامل باشا وتولى بدله محمود باشا الكردي وكان واليا على اليمن وقبل ولايته اليمن كان فريقا قندان العساكر بمكة فلما ولي اليمن أعطى رتبة الوزارة ثم عزل من اليمن وأعطى ولاية جدة بعد ان عزل كامل باشا فجاء الى مكة ومكث نحو سنة ثم عزل وتولى بدله نامق باشا فوصل الى مكة في أوائل سنة أربع وسبعين

﴿ذكر وفاة الشريف عبد الله بن ناصر سنة ١٢٧٤﴾

وقبل وصوله بأيام توفي الشريف عبد الله بن ناصر بعد ان مرض أياما

﴿ذكر وفاة سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٧٤﴾

وفي الثالث عشر من شعبان في هذه السنة توفي سيدنا الشريف محمد بن عون وانتقل الى رحمة الله تعالى بعد ان مرض أياما رحمه الله تعالى وعمره نحو السبعين ودفن في قبة السيدة آمنة والدة النبي صلى الله عليه وسلم بجانب قبرها وخلف ستة من الذكور وهم عبد الله وعلي وحسين وعون وسلطان وعبد الاله وكلهم في غاية الفطنة والنجابة والكمال وخلف أربعة من الاناث فلما توفي أقام نامق باشا الشريف عليا باشا وكيلا للامارة الى أن يأتي الخبر من دار السلطنة

*قال السيد الفاسي رحمه الله تعالى ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه المغرب على ماهو مكتوب في حجر بن بهذا المسجد أحدهما بخط عبد الرحمن بن أبي حرى وفيه انه عمر في رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة *وفي الآخر انه عمر في سنة سبع وأربعين وستمائة وذكره الازرقي أيضا في المواضع التي يستحب الصلاة فيها بمكة * قلت هو مسجد لطيف جدا موجود الآن ومعروف أحاطت به الدور الا الجهة الجنوبية منها التي هي الطريق وهو بين دكاكين السوقة يتعين على أهل الخير بناؤه وصونه وتعظيمه وفقهم الله تعالى لذلك * ومنها مسجد بأسفل مكة ينسب الى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه يسمى الآن دار الهجرة ويقال انه ركب منها مع النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة يزوره الناس وفيه يذكرون الله تعالى * ومنها مسجد فوق التنعيم على يمين المستقبل يقال له مساجد عائشة رضي الله عنها وهو بعيد عن أميال حد الحرم وكان يسمى مسجد الهليلجة لشجرة كانت هناك قديما وقد تهدم هذا المسجد ومابقي منه الا آثار

## ﴿ذكر ولاية سيدنا الشريف عبد الله باشا سنة ١٢٧٤﴾

ولما بلغ الخبر بالوفاة دار السلطنة وجهت الدولة امارة مكة لابنه مولانا الشريف عبد الله وقد تقدم ذكر بقائه هنالك بعد مجيء والده الى مكة وانه وجهت له رتبة الوزارة وجعل من أعضاء المجلس الخاص وزيادة على ذلك اشتهر عند رجال الدولة بكمال العقل وحسن التدبير ومعرفة الاحكام وكان قد قرأ في علم النحو وصار له به دراية واشتغل كثيرا بمطالعة كتب العلم من التفسير والحديث والفقه والادب واقتنى من الكتب شيئاً كثيرا وكان يكثر في مجلسه من مذاكرة العلم والادب ويحضر في مجلسه كثير من العلماء والادباء في كثير من الاوقات وكان يحبهم ويعظمهم ويكرمهم ويقضي حوائجهم وكان توجيه الامارة له في شهر رمضان بعد مجيء خبر وفاة والده ومكث في دار السلطنة بعد توجيه الامارة له شهورا لقضاء مهماته وتوجه الى مكة في شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين ودخل مكة في موكب عظيم وفرح الناس بولايته وصارت له هيبة في قلوب الاشراف والعربان وكافة الناس لعلمهم بدرايته وحسن سياسته حين كان قائما مقام والده في الولاية الاولى ولما قدم جاء معه بميزاب للكعبة محلى بالذهب لم ير الراؤن أحسن منه بعثه السلطان عبد المجيد وأرسلوا القديم الى دار السلطنة

## ﴿ذكر فتنة جدة سنة ١٢٧٤﴾

وينبغي ان نذكر هنا الفتنة التي كانت بجدة قبل وصوله من دار السلطنة وكانت بعد وفاة والده لان الفتنة المذكورة كانت في السادس من ذي القعدة سنة أربع وسبعين وملخصها اجمالا ان صالحا جوهر أحد التجار بجدة كان له مركب منشور فيه بنديرة الانكليز والبنديرة هي البيرق فأراد ان يغيرها ويجعل فيه بنديرة من بندرات الدولة العلية فسمع بذلك قنصل الانكليز فمنعه من ذلك فلم يمتنع وأخذ رخصة من نامق باشا فأذن له بوضع بنديرة الدولة العلية وكتب له منشورا بذلك فوضعها ونشرها وأزال بنديرة الانكليز فطلع قنصل الانكليز البحر ودخل المركب المذكور وأنزل بنديرة الدولة التي نشرت ونشر بنديرة الانكليز وشاع انه لما أنزل بنديرة الدولة وطئها برجله وتكلم بكلام غير لائق فغضب لذلك المسلمون الذين في جدة فهاجوا هيجة عظيمة وقصدوا دار القنصل وقتلوه وثار من ذلك فتنة عظيمة قتلوا فيها غيره من القناصل الموجودين ومن كان بجدة من النصارى ونهبوا أموالهم وأرادوا ان يقتلوا فرج يسر أحد التجار المشهورين بجدة لكونه كان محاميا عن قنصل الانكليز ومعدودا من رعيتهم فاختفى فأراد عوام الناس ان ينهبوا داره فمنعهم من ذلك عبد الله نصيف وكيل مولانا الشريف محمد بن عون بجدة وكان نامق باشا بمكة والشريف علي باشا القائم مقام الامارة كان قد توجه الى المدينة المنورة لمقابلة الحج فلما جاء خبر هذه الفتنة لنامق باشا اهتم لذلك ثم توجه الى جدة وسكن الفتنة وقبض على بعض الناس الذين نسب لهم القتل والنهب ووضعهم في السجن وأرسل الى الدولة العلية يخبرهم بما وقع في هذه الفتنة وطلع الى مكة لاداء الحج فلما كان الثالث من أيام التشريق والناس بمنى جاء الخبر من جدة بأنه جاءهم مركب حربي للانكليز وصار يرمي بالمدافع المحشوة بالقلل على جدة فخرج كثير من الناس من جدة هاربين بنسائهم وأولادهم وأموالهم ركبانا ومشاة فانزعج الناس من ذلك انزعاجا شديدا فلما فرغ الناس من أداء مناسك الحج ونزلوا من منى عقد نامق باشا في مكة مجلسا في ديوان الحكومة أحضر فيه كثيرا من العلماء والتجار وأعيان الناس وأحضر كثيرا من تجار جدة الذين قدموا مكة لاداء الحج وكانوا حضروا وقوع الفتنة حين وقعت بجدة وأخبرهم بمجيء المركب الحربي الذي جاء من الانكليز وبضربه القلل على جدة وبخروج كثير من الناس منها وقال لهم القصد المشاورة معكم فيما يحصل به تسكين هذا الامر فقال له كثير من الحاضرين ان الاسلام لله الحمد قوي وأهله كثيرون وذكروا له عدد قبائل الحجاز مثل هذيل وثقيف وحرب وغامد وزهران وعسير وانكم لو تعطون الناس

جدارات قائمة وكان المكان الذي أرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة مع أخيها رضي الله عنهما ليعتمر امنه ولا يصل اليه المعتمرون الآن بل يقتصرون على أميال الحرم فيبرزون منها قليلا ويحرمون بالعمرة ويعودون ومسجد عائشة رضي الله عنها مما يتعين تجديده وتعميره لانه من الآثار المباركة القديمة وقد تركه الناس لتهدمه واقتصروا على مساجد مرضومة بالاحجار بمحاريب مرضومة من الاحجار الصغار تتهدم ويرضم غيرها وكلها من وراء الاميال بمرأى منها وهناك صهريج عظيم قديم يمتلئ من السيول أيام المطر يتوضأ المعتمرون منه فلما جاء الوزير المعظم المجاهد في سبيل الله حضرة

رخصه ينفرون نفيرا عاما فيجتمع من ذلك الالوف بل الالكوك فيدفعون تعدى الانكليز ولا يرضون
ان يقع عليهم هذا الذل فقال لهم نامق باشا هذا العدد الذى ذكرتموه من قبائل العرب صحيح بل
يوجد مثله أضعافا مضاعفة لكن اذا اجتمعت هذه القبائل غاية ما يقدرون عليه انهم يصلون الى
مكة وجدة و بعد ذلك يدفعون هذا المركب عن جدة فيحصل من الانكليز وغيرهم من النصارى
تسلط على بقية مدائن الاسلام و يجتمعون على محاربة الدولة العلية وليس عند هؤلاء القبائل التى
اجتمعت قدرة على الدفع عن بقية مدائن الاسلام لانه ليس عندهم مراكب يعبرون فيها ولا ذخائر
ولا جبخانات ولا مدافع ولا شئ مما يحتاجون اليه وأيضا مرادنا دفع هذا الضرر الآن ولا يجتمع
هؤلاء القبائل الا بعد مدة طويلة فلابد من التدبير الآن فى دفع هذا الضرر بالسرعة فقال بعض
التجار الحاضرين يأذن لنا أفندينا فى تغريق هذا المركب الحربى الذى جاء يرمى بالمدافع المشحونة
بالقلل على جدة فان كثيرا من أهل البحر الموجودين تحت أيدينا لهم معرفة وصناعة بتغريق
المراكب يأتونها من تحت الماء و يغرقونها ببرامات يجعلونها فى المراكب فقال لهم ليس هذا صوابا
فانكم اذا أغرقتم مركبا يأتيكم بعده عشرة مراكب واذا أغرقتم العشرة يأتيكم مائة وهكذا فيتسلسل
الامر ولا يزول الضرر و يضار بما يتركون جدة و يتوجهون الى اضرار بقية مدائن الاسلام
وانما الاحسن فى تدبير هذا الامر انا نتدارك باللطف وحسن السياسة بان نتوجه الى جدة أنا وكثير
من أعيانكم ونجتمع بقبطان هذا المركب ونعقد معه أمرا يندفع به الضرر فاستحسنوا رأيه
فتوجهوا الى جدة وأخذ معه رئيس العلماء الشيخ جمال شيخ عمر ومعه من العلماء الشيخ صديق كمال
والشيخ ابراهيم الفتا والشيخ محمد جاد الله وشيخ السادة السيد محمد بن اسحق بن عقيل وتجار جدة
الذين كانوا جاؤا للحج فلما وصلوا الى جدة صار اجتماعهم بالقبطان المذكور وعقدوا مجلسا صار
القرار فيه على انه يصير تحقيق هذه القضية و يحصل الانتقام ممن وقع منه التعدى فى هذه الفتنة
و يكون ذلك بعد رفع الامر الى الدولة العلية وانتظار الجواب منها بما تأمرون به ورضى الجميع بذلك
وكتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم فلما كان أواخر شهر محرم من سنة خمس وسبعين وصل الى
جدة مأمورون من طرف الدولة ومعهم أناس من كبار الانكليز والفرنسيس وكان نامق باشا بجدة
فعقدوا مجلسا معه واتفقوا على انهم يحضرون الناس المتهمين فى احداث هذه الفتنة و يقررونهم
و يستنطقونهم كل واحد وحده حتى يقفوا على حقيقة الامر و يعرفوا الذين قتلوا والذين نهبوا
والذين هيجوا فلما تم قرارهم على ذلك صاروا يعقدون مجالس لا يحضر فيها نامق باشا وانما يحضر
هؤلاء المرخصون الذين جاؤا مرسلين من الدولة ومن الانكليز والفرنسيس وصاروا يقبضون على
كل من صارت عليه تهمة و يحبسونه فى موضع وحده ثم يحضرون كل واحد منهم وحده و يسألونه
و يستنطقونه بغاية التلطف والتعظيم والتبجيل و يحتالون عليهم بكل حيلة و يكتبون كل ما يقول
فكان ملخص تلك الاستنطاقات ان أهل جدة الذين هاجوا فى الفتنة وحصل منهم القتل والنهب
قالوا انما كان ذلك منا بأمر من التجار وقاضى جدة الشيخ عبد القادر شيخ والاعيان وسموا أناسا
منهم وقال الحضارم أمرنا بذلك شيخ السادة السيد عبد الله باهارون وكبير الحضارم الشيخ سعيد
العامودى وقال شيخ السادة وسعيد العامودى وقاضى جدة و بقية التجار والاعيان انما كان ذلك
منا بأمر من عبد الله المحتسب وقال عبد الله المحتسب انما كان ذلك منى بأمر من ابراهيم أغا
القائم مقام نامق باشا هذا ملخص استنطاقاتهم فانها تتضمن الاعتراف بما وقع والاعتراف بانهم
تسببوا فى ذلك الا انهم أسندوا ذلك لسعيد العامودى وعبد الله المحتسب والقائم مقام نامق باشا
وكان نامق باشا وهو بجدة يرسل اليهم مرارا يقول لهم الحذر ان تقروا بشئ من ذلك فانه يصير
عليكم ضرر كثير فلم يمتثلوا ذلك بل أقروا بذلك وسببه ان المرخصين الذين حضروا من الدولة

• سنان باشا يسر الله له ماشا فى سنة ثمان وسبعين وتسعمائة اعتمر من التنعيم وكان هذا الصهريج خاليا لانه لم يكن أيام المطر حينئذ ورأى المعتمرين يحملون ماء الوضوء معهم من مواضع بعيدة يتعبون فى ذلك وكانت هنالك بئر بعيدة مهدمة مملوءة بالتراب فامر سيدنا ومولانا شيخ الاسلام ناظر المسجد الحرام السيد القاضى حسين الحسينى أن يحصل له من يحفر ذلك البئر و يبنى له مجرى يجرى فيه الماء من البئر الى الموضع الذى يعتمر الناس فيه بقرب الاميال وعين جاذبا يجذب الماء من البئر فى كل وقت و يسلكه فى ذلك المجرى فيسيل الماء الى موضع يتوضأ فيه المعتمرون على الاتصال والدوام و يشرب منه الناس والدواب

والانكليز

والانكليز والفرنسيس كانوا يتلطفون بهم ويعظمونهم ويحتالون عليهم بكل حيلة ويقولون لهم اخبروا بالواقع ولا يحصل لكم ضرر ويسألون كل واحد وحده فاذا نطق بشئ مخالف للواقع يقولون له ان فلانا وفلانا أخبرانا بما هو كذا وكذا وذلك يخالف ما تقول ولا يزالون به حتى يطابق كلامه كلام غيره فلما انتهت الاسانيد كلها الى ابراهيم أغا القائم مقام نامق باشا أحضروه وسألوه فأنكر جميع ما نسبوه له وكذبهم ولم يقر بشئ فاحتالوا عليه بكل حيلة فلم يقر بشئ فحبسوه فى موضع وحده ثم حكموا عليه بالنفى مؤبدا ثم بحثوا أيضا عن الاشخاص الذين حصل منهم القتل والنهب فعرفوهم وحبسوهم ثم تشاور هؤلاء المرخصون المرسلون من الدولة العلية ومن الانكليز والفرنسيس فيما بينهم واتفقوا على انه يقتل عبد الله المحتسب وسعيد العامودى ونحو اثنى عشر نفسا من عوام الناس الذين وقع منهم القتل وانه ينفى من جدة شيخ السادة وقاضى جدة وبعض التجار بعضهم مؤبدا وبعضهم الى مدة مؤقتة ويحبس كثير من الذين وقع منهم النهب بعد ان أحضروا كثيرا مما أخذوه وان ما بقى من الاموال المنهوبة يأخذون قيمته من الدولة العلية فلما تم قرار مجلسهم على ذلك كتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم وأعطوها النامق باشا وطلبوا منه تنفيذ ذلك على ما جاؤه به من الامر من الدولة فانهم جاؤه بأوامر فيها الامر له بتنفيذ ما يتفقون عليه فنفذه فأخرجوا عبد الله المحتسب وسعيد العامودى من الحبس وقتلوهما فى سوق جدة على رؤس الاشهاد وقتلوا الاثنى عشر الذين من عوام الناس خارج جدة وكان ذلك اليوم يوما مهولا فى جدة اشتد فيه الكرب على جميع المسلمين ثم نفوا من حكموا عليه بالنفى فمنهم من قضى السنين التى أقتوها له ورجع الى جدة ومنهم من مات ولم يرجع اليها فمن الذين رجعوا الشيخ عبد القادر شيخ قاضى جدة والشيخ عمر بادرب والشيخ سعيد بغلف ومن الذين لم يرجعوا وتوفوا وهم منفيون السيد عبد الله باهارون والشيخ عبد الغفار والشيخ يوسف باناجه رحمهم الله تعالى وقبضوا من الدولة قيمة بقية الاموال المنهوبة وكان شيأ كثيرا هذا ملخص تلك الفتنة باختصار ولا حول ولا قوة الا بالله فان هذه القضية كانت من أعظم المصائب على أهل الاسلام وكان قدوم سيدنا الشريف عبد الله المتولى امارة مكة بعد تمام هذه الامور كلها وكان تأخره بدار السلطنة الى هذه المدة لاجل أن لا يناله شئ من الدخول فى هذه القضية ولا يمكنه المعارضة لما يتفقون عليه ولما وصل الى جدة كان هؤلاء المرخصون الذين حضروا لتحقيق هذه القضية من الدولة والانكليز والفرنسيس موجودين بجدة لم يسافروا فحضروا عنده يوم وصوله جدة للسلام عليه وقالوا له صرنا ممنونين بقدومك الى جدة قبل ان نسافر لانا نريد الوصول الى مكة للتفرج عليها وخشينا أن يمنعنا أهل مكة من دخولها ولما حضرت أنت تحقق عندنا أن نتمكن من ذلك ولا يستطيع أحد أن يمنعنا لانك أنت الامير المطاع النافذ الامر قال انهم لما طلبوا منى ذلك تحيرت ولا يقبلون منى فى الجواب انى أقول لهم ان ذلك ممنوع فى شرعنا ولا يرضى المسلمون بذلك فألهمنى الله لهم جوابا عقليا اقناعيا فقلت لهم أنتم رأيتم صورة مكة فى الخرائط والجغرافيات ليس فيها بساتين ولا أنهار ولا شئ من الزخارف وانما هى واد غير ذى زرع بين الجبال فلو أتيتم اليها ما تكسبون شيأ زائدا عما علمتوه من صورتها التى رأيتموها فى الخرائط والجغرافيات فأرى ان وصولكم اليها تعب لكم بلا فائدة فقنعوا بهذا الجواب وأعرضوا عن طلب الوصول اليها وتوجهوا الى دار السلطنة وكان سيدنا الشريف عبد الله باشا لما قدم أميرا على مكة معه معاون من الدولة يسمى زكى باشا فى مرتبة فريق وفى سنة ست وسبعين غزا غزوة الى الشرق لقمع بعض المخالفين وعاد منصورا مظفرا وكان ذلك فى مدة نامق باشا قبل عزله ثم عزل نامق باشا فى آخر هذه السنة وتولى بدله على باشا الكاهيلى وفى هذه السنة ولد لسيدنا الشريف عبد الله ابنه الشريف على

﴿ذكر زيارة سعيد باشا والى مصر المدينة سنة ١٢٧٧﴾

والمعتمرون وأهل القوافل المارون منه هنالك وابناء السبيل وينتفعون بذلك انتفاعا عاما ويدعون لصاحب هذا الخير وهذا أثر عظيم لهذا الوزير المعظم من جملة خيراته الجارية دائما ان شاء الله تعالى أجرى الله تعالى على يديه الخيرات وأثابه عليها أعظم الاجر وأسنى المثوبات وبلغه من ألطافه وعنايته ما يتمنى وختم لنا وله أجمعين بالحسنى * هذا آخر ما أردنا جمعه فى هذه الاوراق من كل خبر لطيف وأثر مبارك شريف رق معناه وراق ولطف مؤداه فى الاسماع والاذواق كله نخب درر ونصائح وجمعه تحف غرر ومنائح ينسى بها الراكب العجلان حاجته ويصبح الحاسد الغضبان يطير بها كأنها نجوم فى سماء اللطافة زاهره أو زهور فى رياض

وفى سنة سبع وسبعين توجه سيدنا الشريف عبد الله الى المدينة لمقابلة سعيد باشا والى مصر ابن محمد على باشا حين جاء للزيارة ثم لما رجع الى مصر توجه معه الى مصر ورجع الى مكة فى شهر شوال من هذه السنة

﴿ذكر وفاة السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٧ وتولية أخيه مولانا السلطان عبد العزيز﴾

وفى آخر هذه السنة كانت وفاة مولانا السلطان عبد المجيد ابن مولانا السلطان محمود وكانت وفاته لسبعة عشر من ذى الحجة من سنة سبع وسبعين ومائتين وألف وعمره أربعون سنة ومدة سلطنته اثنتان وعشرون سنة وستة أشهر وأقيم فى السلطنة بعده أخوه مولانا السلطان عبد العزيز وجاء الى مصر سنة تسع وسبعين بعد ولاية اسمعيل باشا وفى سنة ثمان وسبعين عزل على باشا الكاهيلى عن ولاية جدة ومشيخة الحرم المكى وتولى بدله عزت حقى باشا

﴿ذكر وفاة سعيد باشا والى مصر سنة ١٢٧٩ وتولية ابن أخيه اسمعيل بن ابراهيم باشا﴾

وفى سنة تسع وسبعين توفى سعيد باشا والى مصر وأقيم بعده اسمعيل باشا ابن ابراهيم باشا ابن محمد على باشا ولما تولى عزت حقى باشا ولاية جدة سنة ثمان وسبعين وصل الى مكة فى شهر رجب من السنة المذكورة واستمر الى سنة احدى وثمانين فعزل وتولى بدله محمد وجيهى باشا وجعل له مشيخة الحرمين مكة والمدينة ولم تقع لغيره وفى هذه السنة ولد لسيدنا الشريف عبد الله ابنه الشريف محمد وأحضرنى فى التسمية فسميته

﴿ذكر مسير سيدنا الشريف عبد الله لقتال عسير سنة ١٢٨١﴾

وفى هذه السنة أيضا كان مسير سيدنا الشريف عبد الله لقتال عسير وأميرهم محمد بن عائض لانهم تجاوزوا الحدود واستولوا على بعض محاكم الدولة وصدر الامر من الدولة العلية لاسمعيل باشا والى مصر بأن يرسل عساكر من مصر لاعانة مولانا الشريف عبد الله على قتالهم فامتثل الامر وأرسل عساكر كثيرة ونزلوا على القنفذة وتوجه سيدنا الشريف عبد الله بمن معه من العساكر التى فى مكة على طريق الليث ثم وصل الى القنفذة وجعل العرضى فى ناحية الخواة والاحسبة وأرسل اليه عسير وأميرهم محمد بن عائض يطلبون الصلح فامتنع وترددت الرسل بينه وبينهم فى ذلك وبينما هم كذلك اذ جاءته مكاتيب من اسمعيل باشا والى مصر يطلب استرجاع عساكره بالسرعة ولم يمهل فى تأخيرها وتكررت منه تلك المكاتيب فلما رأى الامر كذلك عقد الصلح مع عسير وأميرهم واشترط عليهم ان لا يتجاوزوا محاكمهم فقبلوا ذلك فأرسل العساكر المصرية الى مصر ورجع الى الطائف من طريق الحجاز بعد ان أقام مدة فى بلاد غامد

﴿ذكر وفاة الشريف سلطان ابن سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٨٣﴾

وفى آخر شهر ذى الحجة من سنة ثلاث وثمانين توفى بمكة الشريف سلطان ابن سيدنا الشريف محمد ابن عون وعمره نحو أربع وعشرين سنة وخلف بنتا

﴿ذكر وفاة محمد وجيهى باشا وتولية معمر باشا سنة ١٢٨٤﴾

وفى سنة أربع وثمانين توفى بالطائف وجيهى باشا والى جدة وشيخ الحرمين فى ربيع الثانى وتولى بعده معمر باشا ولم يجعل له مشيخة حرم المدينة كما كانت لوجيهى باشا بل ولاية جدة ومشيخة حرم مكة فقط ولما توفى وجيهى باشا دفن فى قبة الحبر سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بجانب قبر الحبر رضى الله عنه ولما توفى أقام سيدنا الشريف عبد الله عزت أفندى الحاسجى مقامه الى ان وصل معمر باشا وكان وصوله فى شهر شوال من السنة المذكورة وفى سنة خمس وثمانين غزا سيدنا الشريف عبد الله ناحية الشرق ووصل الى رنية لتأديب بعض القبائل ورجع منصورا مظفرا

﴿ذكر ابتداء حفر خليج السويس سنة ١٢٨٦﴾

الاناقة زاهرة تحت كل درة منها درة فاخرة وضمن كل لفظة نكتة خفية أو حكمة ظاهرة جلية أصبحت للقلوب قوتا وأضحت قرط أذن وللواحظ قرة ولعمرى يحق لو كتبوها بسواد العيون فوق الحجرة فدونك أيها الناضل الاوذعى الكامل الفطن الالمعى الناظر فى هذا الكتاب المتصفح لوجنات هذه العذارى الكعاب ما أودعته من لطائف الآداب وأدرجته من زبد الحكم واللباب ولا يحملك الحسد الذى جبلت عليه الاقران على انكار ما يجد لغيره من المزايا الحسان ولا يستميلك استصغار مؤلفه الى نبذ فرائده والاستسهال بعظيم فوائده فان لك غنمها وعلى غيرك غرمها

وفي سنة ست وثمانين كان ابتداء حفر خليج السويس ليتصل بحر الروم ببحر القلزم وكان تمام ذلك سنة احدى وتسعين وكان القائم بذلك دولة الفرنسيس والانكليز واسمعيل باشا والي مصر وبعد تمامه جعلوا على المراكب التي تمر منه عوائد معلومة على قدر مافيها من الحمل وهذا الذي حفروه حتى اتصل البحران كان هرون الرشيد أراد ان يفعله ليتهيأ له غزو الروم فمنعه يحيى بن خالد البرمكي وقال له ان فعلته تختطف الافرنج المسلمين من المسجد الحرام فامتثل كلامه وترك ذلك والآن بعد ان فعلوه يخشى على الثغور التي على البحر في جزيرة العرب منهم فنسأل الله الحفظ وفي مدة معمر باشا كان ترتيب مجالس الادارة ومجلس التمييز بمكة والمدينة وجدة والطائف وذلك سنة ست وثمانين

﴿ذكر وفاة سيدنا الشريف علي باشا ابن سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٨٧﴾

وفي سنة سبع وثمانين كانت وفاة سيدنا الشريف علي باشا ابن سيدنا الشريف محمد بن عون بدار السلطنة لانه توجه الى دار السلطنة سنة ثمان وسبعين وأعطى رتبة الوزراة وصار من أعضاء مجلس شورى الدولة ورجع الى مكة سنة خمس وثمانين ومكث شهورا ثم رجع الى دار السلطنة وتوفي بها سنة سبع وثمانين بعد ان مرض مدة وعمره نحو ثمان وثلاثين سنة وخلف ابنيه الشريف حسينا والشريف ناصرا وأربعا من الاناث وتقدم ان ولادة الشريف حسين بن الشريف علي كانت سنة سبعين واما الشريف ناصر أخوه فولادته كانت سنة تسع وسبعين بدار السلطنة أيضا ثم أرسله أبوه الى مكة

﴿ذكر عزل معمر باشا وتولية خورشيد باشا سنة ١٢٨٧﴾

وفي سنة سبع وثمانين عزل معمر باشا من ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي وتولى بدله خورشيد باشا ووصل الى مكة في شهر شوال من السنة المذكورة

﴿ذكر فتنة حوا سنة ١٢٨٨﴾

وفي سنة ثمان وثمانين في مدة خورشيد باشا وقعت فتنة بمكة تسمى فتنة حوا كانت بين الاهالي والعسكر كانت في شهر صفر من السنة المذكورة كان سببها هذا الشخص المسمى حوا تضارب مع بعض العسكر في سوق المعلى فثار لذلك أهل السوق واقتتلوا مع العسكر ثم انتشرت الفتنة في أطراف البلد من غير ان يعلموا السبب فيها وقتل بعض العسكر وعزلت الاسواق فركب سيدنا الشريف عبد الله بنفسه ومعه بعض اتباعه وخرج الى السوق وأطراف البلد وسكن الفتنة ثم قبضوا على كثير من عوام الناس الذين كانت منهم تلك الفتنة وحبسوهم ثم قرروهم بالاستنطاق وعقدوا لذلك مجالس حضرها مولانا الشريف وخورشيد باشا والقاضي والمفاتي وكثير من العلماء وحكموا على كل من ثبت عليه شئ بمقتضاه وحكموا على بعضهم بالنفي سنين مؤقتة واطمأنت الناس وزالت الفتنة

﴿ذكر استيلاء الدولة العلية على بلاد عسير سنة ١٢٨٨﴾

وفي أول سنة ثمان وثمانين أيضا كان تمام الاستيلاء على بلاد عسير وأصل تلك الفتنة ان محمد بن عائض أمير عسير طغا وبغى ونقض العهود والصلح الذي عقده معه سيدنا الشريف عبد الله سنة احدى وثمانين كما تقدم واستولى على كثير من المحاكم التي كانت تحت حكم الدولة كبلاد بني شهر وغامد وزهران ثم سار بجيش عظيم سنة ست وثمانين الى الحديدة والمخا وفعل أشياء يطول الكلام بذكرها ثم أصاب جيوشه مرض ووباء فانهزم فجهزت الدولة سنة سبع وثمانين الفريق رديفا باشا ومعه عساكر كثيرة فتوجه من جدة الى القنفذة على طريق البحر في شهر ذي القعدة وجعل العساكر بالقرب من محائل وحشد عسير اجنوده عند العقبة فتركها وصعد من عقبة أخرى وملك الدمراة من بلادهم ونزل عليهم من خلفهم وقاتلهم وانتصر عليهم وقبض على محمد بن عائض وكثير من امرائهم وقتلهم وبعث بعضهم الى دار السلطنة

وماعبر الانسان عن فضل نفسه
بمثل اعتراف الفضل في كل فاضل
ومع ذلك فلا أدعي رتبة الكمال ففوق كل ذي علم عليم ولا أزعم النزاهة عن النقص والعيب فالمنزه عن كل عيب هو الله الملك القدوس العزيز الحكيم ولقد قيل لا يعري ذو كمال من نقص ولا يخلو ذو نقص من كمال فلا يمنعك نقص الكامل من استفادة كماله ولا يرغبك كمال الناقص في الميل الى نقصه ● ولقد كتب أستاذ البلغاء القاضي عبد الرحيم الفاضل البيساني الى العماد الاصفهاني الكاتب معتذرا عن كلام استدركه عليه وقد وقع لي شئ وما أدري أوقع لك أم لا وها أنا أخبرك به وذلك اني رأيت أن لا يكتب انسان كتابا في يومه الا قال

﴿ذكر وفاة الشريف شرف ابن سيدنا الشريف عبد الله سنة ١٢٨٨﴾

وفي سنة ثمان وثمانين في رمضان توفي الشريف شرف ابن سيدنا الشريف عبد الله بالطائف وكان قد قرأ كثيرا من العلوم ونجب فيها فحزن عليه حزنا كثيرا رحمه الله تعالى وعمره نحو اثنتين وعشرين سنة

﴿ذكر عزل خورشيد باشا وتولية قاسم باشا الفريق سنة ١٢٨٨﴾

وعزل خورشيد باشا في شوال سنة ثمان وثمانين وتولى بدله الفريق قاسم باشا وكان أولا محافظا على المدينة ثم صار محافظا لجدة فأقام مقام خورشيد باشا في جدة ثم وجهت له الولاية بعد عزل خورشيد باشا مع بقائه فريقا ولم يعط رتبة الوزارة وجعل اقامته بجدة وأرسل معه الخزينة والكتبة ومكث سنة

﴿ذكر عزل قاسم باشا وتولية محمد رشيد باشا الاكز سنة ١٢٨٩﴾

ثم عزل في شوال سنة تسع وثمانين وتولى بعده محمد رشيد باشا ويلقب اكز وفي سنة تسع وثمانين كان استيلاء عساكر الدولة الذين في اليمن على مدينة صنعاء واستمر محمد رشيد باشا الى سنة احدى وتسعين

﴿عزل محمد رشيد باشا الاكز وتولية محمد رشدي باشا الشرواني سنة ١٢٩١﴾

فعزل وولي بعده محمد رشدي باشا الشرواني الداغستاني وكان عالما متفننا لانه كان في سلك العلمية وسبب انتقاله الى الملكية انه طلب من شيخ الاسلام رتبة قضاء فامتنع وكان الشرواني صديقا للصدر الاعظم فؤاد باشا فاعطاه رتبة الوزارة وأدخله في سلك الملكية وترقى الى ان ولي الصدارة بعد عالي باشا ومحمود نديم باشا ثم عزل من الصدارة وأعطي ولاية الحجاز فقدم في شهر رجب من سنة احدى وتسعين وتوجه الى الطائف

﴿ذكر وفاة محمد رشدي باشا الشرواني وتولية تقي الدين باشا الحلبي سنة ١٢٩١﴾

وتوفي في أواخر شعبان بالطائف فكانت مدته أقل من شهرين ودفن في قبة الحبر رضي الله عنه في قبر وجيهي باشا وتولى بعده تقي الدين باشا الحلبي وكان مفتيا في حلب كابيه من قبله ثم وقعت فتنة في حلب اتهم بالتسبب لها فوقع بينه وبين أهل حلب تنافر فعزل من الفتوى وتوجه الى دار السلطنة ودخل في سلك الملكية وأعطي رتبة الوزارة وترقى وولي ولايات منها بغداد وليها سنة واحدة بعد نامق باشا ثم عزل من بغداد وجاء الى دار السلطنة ثم أعطي ولاية الحجاز سنة احدى وتسعين بعد وفاة الشرواني فقدم في ذي القعدة من السنة المذكورة وفي سنة احدى وتسعين ولد للشريف عون باشا مولود سماه محمدا عبد العزيز واستمر تقي الدين باشا الى سنة أربع وتسعين

﴿ذكر خلع السلطان عبد العزيز سنة ١٢٩٣ وتولية السلطان مراد خان﴾

وفي سنة ثلاث وتسعين خلع السلطان عبد العزيز وأقيم في السلطنة السلطان مراد ابن السلطان عبد المجيد وكان ذلك في السابع من جمادى الاولى من السنة المذكورة ثم توفي السلطان عبد العزيز بعد خمسة أيام من خلعه ثم خلع السلطان مراد في الحادي عشر من شعبان من السنة المذكورة فكانت مدته ثلاثة أشهر وثلاثة أيام وأقيم في السلطنة أخوه السلطان عبد الحميد ابن السلطان عبد المجيد بن محمود وفي مدته كان الحرب بين الدولة العلية والروسية

﴿ذكر ابتداء تعليم أهالي مكة الحركات العسكرية سنة ١٢٩٤﴾

فاستحسن سيدنا الشريف عبد الله ان أهل مكة يتعلمون حركات العساكر النظامية وكيفية رميهم بالبنادق فصدر الامر منه بذلك لاجل ارهاب الروسية واظهار الاستعداد لهم فامتثل الناس ذلك واحضروا لهم البنادق وصار يعلمهم بعض العساكر النظامية الموجودة بمكة فتعلم كثير من الناس في أقرب زمن وكان ذلك في أول سنة أربع وتسعين واستمر التعليم نحو أربعة أشهر ثم تركوا ذلك

﴿ذكر وفاة سيدنا المرحوم المبرور سيدنا الشريف عبد الله في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٤﴾

وفي هذه السنة توفي سيدنا الشريف عبد الله ابن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون بالطائف

في غده لو غير هذا المكان أحسن ولو زيد هذا المكان يستحسن ولو قدم هذا المكان أفضل ولو ترك هذا المكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر انتهى فالائق بالافاضل اذا عثر بشيء مما كان فيه المؤلف وعثرات يستر الزلل ويقبل العثار وليسد الخلل والعوار والكريم غفار والحليم ستار ولقد رأيت أن أجعل ختام هذا الكتاب مسكا وأنظم له الجواهر المآثر سلكا فأختمه كما بدأته بالدعاء لدوام سلطاننا الاعظم خليفة الله الاكبر الافخم صاحب السيف والعلم مولى ملوك الترك والروم والعرب والعجم سلطان سلاطين هذا الزمان الخافض لكلمة الكفر والرافع لكلمة

في الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة رحمه الله تعالى ودفن في قبة الحبر رضي الله عنه قريبا من قبر الحبر وكان مريضا بعرق النسا أصابه من سنة تسعين وعولج بعلاجات كثيرة وشفي منه لكن لم يحصل له تمام الشفاء وبقيت آثاره معه بحيث لا يستطيع الركوب على الخيل ولا يركب الا في العربة ولا يستطيع المشي الا قليلا بشئ يعتمد عليه في يده وما انقطع في جميع المدة عن جلوسه في الديوان ولا عن مقابلته للناس ولا عن سماع الدعاوى وفصل الاحكام وفي هذه السنة طرأ عليه داء الاستسقاء وتقوى عليه من شهر جمادى الاولى الى ان توفي رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين وعمره نحو ست وخمسين سنة ومدة امارته نحو تسع عشرة سنة وخلف اثنين من الذكور عليا ومحمدا وأربعا من الاناث وبعد وفاته بايام أعطى ابنه الشريف علي رتبة باشا وكذا الشريف الحسين بن الشريف علي باشا جاء الامر من الدولة بذلك ولما توفي سيدنا الشريف عبد الله أقام تقي الدين باشا أخاه الشريف عونا باشا وكيلا قائما مقام الامارة وكان أخوه الاكبر منه الشريف حسين باشا بدار السلطنة

﴿ذكر توجيه امارة مكة لسيدنا الشريف الحسين وقدومه في شعبان سنة ١٢٩٤﴾

فوجهت اليه الدولة امارة مكة فقدم في شعبان من السنة المذكورة وتوجه الشريف عون الى دار السلطنة في شوال من السنة المذكورة فاعطي رتبة الوزارة وجعل من أعضاء شورى الدولة

﴿ذكر عزل تقي الدين باشا وتولية حالت باشا سنة ١٢٩٤ ووفاته بجدة سنة ١٢٩٦ وتولية ناشد باشا سنة ١٢٩٦﴾

وفي شهر ذي القعدة من سنة أربع وتسعين عزل تقي الدين باشا من ولاية الحجاز وولي بعده حالت باشا واستمر الى جمادى الآخرة سنة ست وتسعين فتوفي بجدة في شهر جمادى الآخرة وولي بعده ناشد باشا ووصل الى مكة في شعبان من السنة المذكورة وكان سيدنا الشريف الحسين حين وصوله غازيا ناحية تربة ثم وصل آخر شعبان منصورا مظفرا واستمر سيدنا الشريف الحسين في امارة مكة الى سنة سبع وتسعين وفيها توجه الى جدة في أوائل ربيع الثاني فعند دخول جدة وهو سائر في موكب حافل جاءه رجل أفغاني وقصده وهو راكب كانه يريد تقبيل يده

﴿ذكر طعن سيدنا الشريف الحسين ووفاته بجدة ونقله الى مكة سنة ١٢٩٧﴾

فطعنه بسكين في أسفل خاصرته فاشتد عليه الالم فنزل عن جواده وكان قد قرب من الدار التي يريد النزول بها وهي دار عمر نصيف فتعاضده بعض خدمه وأدخلوه الدار فلما علموا انه مطعون طلبوا ذلك الافغاني حتى وجدوه بين الناس فقبضوا عليه ثم توفي سيدنا الشريف الحسين بعد يومين ونقلوه الى مكة ودفنوه بها في قبر والده في قبة السيدة آمنة والدة النبي صلى الله عليه وسلم رحمه الله تعالى وعمره نحو اثنتين وأربعين سنة وشهور وخلف ثلاث بنات ولم يخلف ذكرا ثم ان ذلك الافغاني الذي طعنه قرر عن سبب قتله وعذب بأنواع العذاب فلم يقر بشئ ولم يقر بأحد أغراه على ذلك فقتل بعد ذلك

﴿ذكر الامارة الثالثة لسيدنا الشريف عبد المطلب سنة ١٢٩٧﴾

ولما وصل الخبر الى دار السلطنة وكان الشريف عبد المطلب بدار السلطنة وجهت اليه امارة مكة فتوجه من دار السلطنة فلما وصل الى ينبع توجه للمدينة المنورة وأقام فيها أياما ثم رجع الى ينبع وتوجه الى جدة ثم الى مكة ودخلها في الحادي عشر من جمادى الثانية من السنة المذكورة ووالي جدة اذ ذاك ناشد باشا ثم وقع بينه وبينه اختلاف وتنافر لاسباب اقتضت ذلك وذلك ان الشريف عبد المطلب كان في هذا الوقت طعن في السن وكبر فصار كثير من اتباعه المباشرين للمصالح يحسنون له فعل بعض الاشياء فيوافقهم على ما يقولونه ويأمر بها وينسب الناس اليهم انهم يأخذون من الناس رشوة في مقابلة تلك المصالح فكثر بسبب ذلك القيل والقال ووقع التنافر

الاعيان عالم السلاطين وسلطان العلماء الاعاظم الاعيان الذي تتصاغر في أبواب سلطنته تيجان كسرى وقيصر وتسعى الى انتسابه ملوك الشرق والغرب وامثال دارا والاسكندر قبلة اقبال قلوب العالمين المحسن الى أهل الحرمين الشريفين المتكرم على جيران الله وجيران نبيه صلى الله عليه وسلم في هذين البلدين العظيمين المنيفين الباذل عدله واحسانه على كافة الرعايا والآمن في ظل أمنه ولطفه ورأفته جميع البرايا الذي هو بحر كرم تحدث الالسن مكارمه بالعجائب ولا حرج ويلوذ بأعتابه الشريفة من نالته شدة الافتقار تدخل اليه السعادة من باب الفرج له دولة أسمى لها الله في العلى

بينه و بين ناشد باشا فى تلك الاشياء التى أوجبت التنافر انهم أخبروه باشخاص انهم يقع منهم كلام غير لائق فغضب فاحضر ثلاثة منهم وهم عبد الله بن قو بحص ومحمد تركى ومساعد الهابط وكان احضارهم ليلا فامر بضربهم فضربوا ضربا كثيرا ثم بعد أيام مات من ذلك الضرب عبد الله ابن قو بحص ومحمد تركى وشفى مساعد الهابط فكثر كلام الناس فى هذه القضية ومن ذلك انه رأى دارا تجاه داره التى فى القرارة فى مدة غيبته بناها الشريف مهدى بن أبى طالب الجودى وكانت عالية مشرفة فقال ان هذه الدار تكشف على دارى وفى بقائها ضرر كثير لا أتحمله فامر بهدمها بعد ان أحضر مشرفين أشرفوا عليها ووافقوه على ان فى بقائها ضررا وأحضر أولاد الشريف مهدى وقال لهم أدفع لكم أربعة آلاف ريال فى مقابلتها وكتب فى ذلك حجة عند القاضى ببيعهم اياها له فكانوا يقولون انهم مكرهون فى ذلك وبعد هدمها كثر كلام الناس فى ذلك ومن أسباب التنافر بينه وبين ناشد باشا أيضا وكثرة كلام الناس انه كتب تقريرا للشريف دخيل الله العواجى فى دلالات الحلقة التى يباع فيها الفواكه والخضر فمنع دخيل الله أهلها الذين كانوا يباشرون الدلالات فيها ثم اشترى وامنه تلك الدلالات بمبالغ كثيرة وفعل مثل ذلك فى دلالات الفحم والحطب والحشيش وقرر فيها أشخاصا من الاشراف وكذلك فعل مثل ذلك فى خراجات جمال بعض بيوت مشايخ الجاوى فكثر كلام الناس فى ذلك كله وحصل أيضا اختلال فى الطرق وعدا كثير من الاعراب فى طريق الطائف وجدة والمدينة

﴿ذكر عزل ناشد باشا وتولية صفوت باشا سنة ١٢٩٧﴾

ثم ان الدولة عزلت ناشدا باشا ووجهت الولاية لصفوت باشا فوصل الى مكة فى أوائل شهر ذى الحجة من السنة المذكورة أعنى سنة سبع وتسعين وتوجه ناشد باشا الى دار السلطنة بعد ان حج واستمر صفوت باشا الى سنة ثمان وتسعين وكان الاتفاق بينه وبين الشريف عبد المطلب نحو شهر ثم وقع الاختلاف بينهما أكثر مما كان مع ناشد باشا للاسباب المتقدمة وأسباب غيرها ومعارضات فى بعض القضايا واتسع الامر بينهما

﴿ذكر عزل صفوت باشا وتولية أحمد عزت باشا سنة ١٢٩٨﴾

وعند تمام شهر الحجة من سنة ثمان وتسعين عزل صفوت باشا وتولى بدله أحمد عزت باشا الارزنجانى التى كانت ولايته سابقا فى سنة تسع وستين فى مدة الشريف عبد المطلب فى الولاية التى قبل هذه وقبل وصول أحمد عزت باشا وصل الى جدة الفريق عثمان باشا قمندانا على العساكر وقائمقاما أحمد عزت باشا الى قدومه وتوجه صفوت باشا الى دار السلطنة فى أوائل سنة تسع وتسعين وقدم أحمد عزت باشا فى المحرم من السنة المذكورة واجتمع بصفوت باشا فى جدة قبل توجهه وكان أحمد عزت باشا المذكور قد طعن فى السن وبلغ نحو التسعين الا انه قوى البنية وكان بين ولايته هذه وولايته الاولى نحو ثلاثين سنة وكان عثمان باشا قمندان العساكر يباشر كثيرا من الاحكام ويعارض الشريف عبد المطلب فى كثير منها

﴿ذكر عزل أحمد عزت باشا وتوجيه الولاية لعثمان باشا سنة ١٢٩٩﴾

واستمر الحال على الاختلاف الى عشرين من شعبان من السنة المذكورة أعنى سنة تسع وتسعين فجاء الامر فى التلغراف بعزل أحمد عزت باشا وولاية عثمان باشا القمندان بدله وهو فى رتبة فريق كما كان فتوجه أحمد عزت باشا الى دار السلطنة فى رمضان من السنة المذكورة وبقى عثمان باشا واليا وكان لما توجه الى الطائف فى شعبان صحب معه مدافع كثيرة وجبخانات وكثر خوض الناس فى ذلك وصاروا يقولون انه يريد القبض على الشريف عبد المطلب ويريد ولاية الشريف عبد الله باشا ابن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون امارة الحجاز

مقاما وأعلاها جنابا
واسماها
لقد أعربت عن سيرة
عمرية
تبوأها عثمان بالعدل
مبناها
﴿السلطان ابن السلطان
ابن السلطان الملك المؤيد
مراد خان بن سليم خان﴾
نصر الله تعالى عزائمه
وأمضى فى رؤس الاعداء
صوارمه وشيد به بنيان
الاسلام ودعائمه وجعل
مغارمه فى سبيل الله
مغانمه ولازالت ألوية
نصره منشورة الذوائب
مشهورة القواضب
مشرقة كالشمس يغشى

﴿ذكر كيفية خلع الشريف عبد المطلب من الامارة وتوجيهها للشريف عبد الله باشا فى ٢٨ من شوال سنة ١٢٩٩﴾

فلما كان ليلة الثامن والعشرين من شهر شوال من السنة المذكورة أخرج بعد نصف الليل كثيرا من العساكر الى المثناة ومعهم مدافع وبعض من الاشراف ذوى عون وعمر باشا رئيس العساكر وطلعوا فى الجبال التى فى المثناة المحيطة بالدار التى فيها الشريف عبد المطلب وأطلعوا معهم المدافع ورتبوا ذلك كله بالليل ولم يشعر أحد بهم فلما طلع النهار أرسلوا للشريف عبد المطلب وأخبروه بأنك معزول ومطلوب حضورك لدار السلطنة وانه ورد الينا تلغراف بذلك وبولاية الامارة للشريف عبد الله باشا وأرسلوا له صورة التلغراف الذى قالوا انه ورد اليهم فطلب مهلة الى أن يقضى أشغاله ونظر ورأى العساكر قد ملأت الجبال وأحاطت بداره فلم يعطوه المهلة التى طلبها وبعد ساعة خرج من داره وركب العربية وأحاطت به العساكر الى أن أوصلوه القشلة التى فيها العساكر بالطائف وهيؤا له فيها موضعا فنزل به ووضعوا العساكر للتحفظ عليه محيطة بالموضع الذى نزل به ثم أطلقوا مناديا بالطائف بولاية الامارة للشريف عبد الله باشا استقلالا وأرسلوا الى مكة وفعلوا مثل ذلك واختلفت آراء الناس فبعضهم يقول انما جعلوا الامارة استقلالا للشريف عبد الله باشا لاجل تسكين العربان وأمن الطرق لانهم لولم يفعلوا كذلك لم يحصل اطمئنان للناس ولو قالوا انه وكيل ماحصل الاطمئنان ولا تصدق القبائل والعربان وتطمئن الا اذا كان الامر كذلك ففعل عثمان باشا كذلك استحسانا من وأظهر انه انما فعله بامر من الدولة وبعض الناس يقول بل جاء الامر تحقيقا من الدولة بوضع الشريف عبد الله استقلالا وأمنت الطرق واطمأنت الناس وأقبلت القبائل عليه طبق العوائد الجارية ثم نزل الشريف عبد الله الى مكة فى النصف من ذى القعدة وكذلك الوالى عثمان باشا وبقى الشريف عبد المطلب وعنده بعض العسكر للمحافظة وبعد الحج أوصلوه الى مكة فى داره عند أهله وعلى الدار عسكر للمحافظة

ضوءها المشارق والمغارب صاعدة فى أفق السماء حتى تزاحم مناكب مواكب الكواكب ولا برحت أسباب سعادته تقوى وأحاديث المكارم اليه تسند وعنه تروى والقلوب تمسك من عبوديته وصدق رأيه بالسبب الاقوى فى عز مديد ونصر مشيد وعمر مزيد وسلطنة ثابتة لا تزول

﴿ذكر ولاية سيدنا الشريف عون الرفيق باشا سنة ١٢٩٩﴾

ثم فى أواخر شهر ذى القعدة جاءت الاخبار بالتلغراف من دار السلطنة بأن الدولة العلية وجهت امارة الحجاز لسيدنا الشريف عون باشا وكان مقيما بدار السلطنة كما تقدم وان الشريف عبد الله باشا وكيل عنه الى قدومه فامتثل الشريف عبد الله ذلك وأخذ يهيئ الاسباب اللازمة لقدوم أخيه سيدنا الشريف عون الرفيق باشا وبعث لمقابلته من جدة أولاد أخيه الشريف حسين باشا ابن المرحوم الشريف على باشا والشريف على باشا ابن المرحوم سيدنا الشريف عبد الله باشا وبقى الناس فى انتظار قدومه الى يوم الثامن من ذى الحجة وكان كثير من الناس توجهوا الى جدة لمقابلته وبقية الناس صعدوا الى عرفة لاداء فريضة الحج وصعد أيضا الى عرفة الشريف عبد الله باشا فلما كان يوم عرفة وهو التاسع من ذى الحجة وصل سيدنا الشريف عون باشا الى جدة وكان يمكنه ادراك الوقوف بعرفة لو توجه من جدة مسرعا لكن كان معه شيخ الحرم النبوى وبعض من رجال الدولة ويشق عليهم التوجه الى عرفة بسرعة السير فرعاية لهم بقى معهم بجدة وفاته الحج ووصل الى مكة يوم النحر واستقبله بمكة أخوه الشريف عبد الله باشا ثم صعدوا الى منى جميعا عصر يوم النحر وقرئ فرمان ولايته الذى قدم به معه ثانى يوم النحر على مثل العادة التى جرت فى كل سنة فانه فى كل سنة فى مثل ذلك اليوم يقرأ فرمان التأييد لامير مكة فجرى الامر على مثل العادة الجارية وأقاموا بمنى الى انقضاء أيام منى ثم رجعوا الى مكة وحصل للناس غاية الامن والفرح والسرور ثم

توجهت الحجوج والقوافل على طبق العادة الجارية كل سنة

﴿ذكر فتنة عرابي بمصر سنة ١٢٩٨﴾

ولنذكر على سبيل الاستطراد الفتنة العظمى التى وقعت بمصر هذه السنة تتميما للفائدة وتسمى فتنة عرابى وكان انتهاؤها فى شوال من هذه السنة أعنى سنة تسع وتسعين وكان ابتداؤها فى سنة ثمان وتسعين لكن الاصل الذى نشأت بسببه وتأسست عليه كان قبل ذلك وذلك ان الاصل الاصيل كان من مدة اسمعيل باشا لانه استدان ديونا كثيرة من الانكليز والفرنسيس وصار التراضى بينه وبينهم على انهم يجعلون أناسا منهم يباشرون المتحصلات من أموال مصر ويضبطونها ويجعلون قسطا منها المقابلة ديونهم فعينوا أشخاصا من الفريقين لمباشرة ذلك سنة خمس وتسعين ثم ان اسمعيل باشا رأى منهم انهم صاروا يتداخلون فى أكثر الامور ويريدون انه لا يفعل شيأ الا باطلاعهم ومعرفتهم فخاف من اتساع الامر وسلب الملك منه فاراد أن يجعل له عصبية من أهالى مصر وان يشكل منهم مجالس ويكون أعضاؤها من العلماء ووجوه الاهالى والعمد من مشايخ البلدان فشرع فى ذلك ليكون الامر بيدهم صورة وانه لا يفعل شيأ الا بمشورتهم ليدفع بذلك تغلب الانكليز والفرنسيس وتسلطهم ففطنوا لذلك فسعوا فى خلعه واقامة ولده محمد توفيق باشا بدله فما زالوا يجتهدون فى ذلك حتى تم لهم

﴿ذكر عزل اسمعيل باشا واقامة ولده محمد توفيق باشا واليا على مصر سنة ١٢٩٦﴾

فخلعوه بأمر من السلطنة السنية وأقاموا ولده توفيقا باشا بدله ونفوه وعائلته الى نابولى من بلاد ايطاليا كل ذلك كان سنة ست وتسعين ثم ان الدولة العلية أرادت ان تنقص توفيقا باشا بعض التميزات التى كانت لوالده اسمعيل باشا وتجدد فى الفرمان التى تحرر له شروطا فامتنعت دولة الانكليز والفرنسيس من تنقيص شئ واجتهدت فى ان الدولة تحرر له فرمان الولاية على مثل ما كان لابيه ويكون عليه من الخراج مثل ما كان على أبيه ولم تزل الدولتان المذكورتان تجتهدان مع الدولة فى ذلك الى ان استخرجتا له الفرمان على مثل ما كان لابيه وجعل رئيس الوزارة رياض باشا وكان رئيسا على العساكر أحمد عرابى بيك ثم ترقى وصار أحمد عرابى باشا فاتفق مع كثير من رؤساء العساكر على عزل رياض باشا فى النصف من شوال سنة سبع وتسعين ولم يزل الامر فى اتساع الى ابتداء شهر جمادى الثانية من سنة تسع وتسعين فحضر فى مينا الاسكندرية كثير من الوابورات الحربية التى للانكليز والفرنسيس ووابورات لغيرهم أيضا لاعانة توفيق باشا ومنع عرابى باشا ومن معه من التغلب ومن التجهيزات التى شرع فيها وبقى الامر كذلك حتى انتشبت الحرب بين عرابى وعساكر الانكليز وانتهت بدخول أولئك العساكر مصر وعقاب عرابى وبعض من معه بعقوبات مختلفة الانواع * ومن الحوادث الغريبة التى وقعت سنة تسع وتسعين انه ظهر رجل ببلاد السودان التى هى فى حكم صاحب مصر يقال له محمد أحمد اشتهر عند كثير من الناس انه المهدى وتبعه خلق كثير ووقع بينه وبين العساكر المصرية التى فى تلك الاطراف قتال ووقائع كثيرة قتل فيها خلق كثير وملك من تلك البلاد كردفان ومواضع أخر وحاصر سنارا مدة ثم انهزم عنها وبقيت العساكر المصرية مجتمعة فى الخرطوم وبعث اليهم توفيق باشا صاحب مصر امدادات كثيرة من العساكر وغيرها من آلات القتال ومعهم كثير من الانكليز الذين لهم دراية بالحرب وانقضت سنة تسع وتسعين ودخلت سنة ثلاثمائة بعد الالف ومضى منها شهور ولم ينفصل الامر بينهم وبينه وفى شهر ربيع الاول من سنة ثلثمائة توجه الشريف عبد الله باشا الى دار السلطنة ومعه ابن أخيه الشريف ناصر ابن المرحوم الشريف على باشا فلما وصلا الى دار السلطنة قوبلا بالعز والاكرام وأعطيت

ولا تبيد وسعادة دائمة تتضاعف وتزيد واقبال يلازم ركابه السعيد مالاح نجم على أفق السماء وما هب النسيم على العشاق بالطيب والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه الطيبين

رتبة الوزارة للشريف عبد الله باشا وجعل من أعضاء مجلس شورى الدولة وأعطى للشريف ناصر رتبة باشا وأعطى الشريف محمد ابن المرحوم الشريف عبد الله باشا أيضا مثله رتبة باشا وجاءته البشرى بذلك وقبل ذلك بأيام جاءت البشرى بترقية رتبة الباشوية للشريف حسين باشا ابن الشريف على باشا والشريف على ابن الشريف عبد الله وصارا فى مثل الرتبة التى كان فيها الشريف عبد الله وفى شهر رمضان من هذه السنة أعنى سنة ثلثمائة وألف كانت فتنة فى أطراف مكة بخروج بعض العرب من قبائل زبيد وبشر ومعبد وسليم خرجوا فى طريق جدة وصاروا ينهبون الجمل الذى يمر بهم وهجم جماعة منهم على جدة فى ليلة العاشر من رمضان وحصل من ذلك اضطراب كثير ثم هربوا وكان سيدنا الشريف عون بالطائف فنزل فى أواخر رمضان وجهز جيشا لغزوهم ووصل به الى عسفان ووقع قتال قليل ثم وقع الصلح وجاؤا طائعين وسكنت الفتنة وأمنت الطرق وسلكت واعتذروا بأن الفاعل لذلك بعض الجهال منهم ولم يرض الشيوخ به وان الحامل على ذلك أن الحكماء الذين بمكة وجدة يأخذون الغنم التى يجلبونها لمكة ويدفنونها فى الارض لان فيها أثر الوباء الذى يسمونه بالكليرة وانه ذهب لهم بذلك أموال كثيرة وان النصارى الذين بجدة يأخذون رقيقهم ويطلقونه من أيديهم ويرفعون الرق عنه حتى عصى عليهم عبيدهم وقيل ان من أسباب ذلك حبس الشريف عبد الله بن زبن أحد الاشراف ذوى حسين فانه لما قبض على الشريف عبد المطلب قبض عليه وعلى الشريف على بن سعد السرورى وحبسا وطالت مدة حبسهما ويدعى عليهما بدعاوى الله أعلم بصحتها وفى شهر جمادى الآخرة من سنة احدى وثلثمائة وردت أخبار الى مكة بأن محمد بن حمد القائم بالسودان استولى على الخرطوم وان قصده التوجه الى الصعيد ثم الى مصر وقبل ذلك وقع قتال بين بعض جيوشه وبين الانكليز فى برسواكن وكان المقدم على جيش محمد بن حمد فى ذلك القتال عثمان دقنة وتكرر القتال بينه وبين الانكليز فى وقائع وكلها يكون النصر فيها له على الانكليز وقتل منهم خلق كثير ثم انهزموا وبقيت جيوش عثمان دقنة فى برسواكن وهذا آخر ما انتهى اليه قلم المؤلف رحمه الله تعالى كما هو آخر مسودة هذا التاريخ وذلك منقول بقلم راجى عفو ربه المنان الطبجى محمد سعيد بن محمد بن سليمان لطف الله به وبوالديه ومشايخه وجميع المسلمين وغفر له ولهما ولهم أجمعين ووفقه لما يرضيه من العلم النافع والعمل الصالح ووجهه للخير أينما كان وختم له بالايمان بجاه سيد الاكوان صلى الله عليه وسلم

(فان لى ذمة منه بتسميتى * محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم)

وذلك يوم السبت الموافق عاشر يوم من شوال من شهور سنة ١٣٠٤ والحمد لله رب العالمين

الطاهرين وسائر الانبياء والمرسلين وآل كل والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين * وقد فرغ مؤلفه من تحريره ووقفت أنامل أقلامه من تحبيره فى ليلة يسفر صباحها عن سبع مضين من شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وتسعمائة

﴿ يقول الراجي من الله الغفران الفقير اليه تعالى أحمد مروان ﴾

أما بعد حمد من بيده الملك والملكوت وله العزة والجبروت والبقاء والثبوت وهو الحي الذي لا يموت وهو الاول والآخر واليه المصير والباطن والظاهر وهو على كل شيء قدير ورحيق الصلاة العطرى وتسنيم التسليم الشذى على من جاءنا بالآيات البينات والمعجزات الباهرات وعلى آله وأصحابه أولي البصيره المعروفين بحسن السيرة والسريره فقد تم طبع التاريخ المسمى خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام تأليف العلامة السيد أحمد بن زيني دحلان تغمده الله بالرحمة والرضوان مطرزا هامشه بكتاب تاريخ مكة المشرفة المسمى بالاعلام باعلام بيت الله الحرام وذلك بالمطبعة الخيرية المنشأة بحوش عطى بجمالية مصر المحمية تعلق حضرة السيد عمر حسين الخشاب وحضرة الشيخ محمد عبد الواحد الطوبي على ذمة ملتزمه الفهامة الفاضل الاريب اللوذعي الماهر الاديب حضرة الشيخ أبي بكر بن محمد الخوقير النقادة الشهير الكتبي في مكة بباب السلام والمدرس والامام بالمسجد الحرام وكان انتهاء طبعه في أوائل شعبان المعظم من سنة ١٣٠٥ هجريه على صاحبها وآله أكمل الصلاة وأتم التحيه